الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد

واثاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الأدب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الأول



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد

وآثاره الأدبيّة

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الأدب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
مطابع اليمامة - الرياض - تلفون ٣٢٣٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد ..

فهذا بحث حصلت به على الدكتوراة بمرتبة الشرف الاولى من قسم الادب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة ـ الجامعة الازهرية ٢٣/ شوال / ١٣٩٨ هـ ـ ٢٥/٩/١٩٧٨م .

وهو دراسة لحياة وآثار أحد رواد الفكر فى بلادنا فى عصرها الحديث (الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد) رحمه الله ، اقدمه للقارىء كما هو من غير تبديل ولاتعديل ولا زيادة او نقصان .
وأملي ان اكون اسهمت به فى خدمة ادبنا العربى ، وبخاصة الادب فى بلادنا اذ هو منطلق هذا البحث وهدفه .

وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

المؤلف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الادب الحديث ـ بكلية اللغة العربية بالرياض
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
١١ / رمضان ١٣٩٩ هـ
٤ / أغسطس ١٩٧٩م

يا طير ملي بالسهرة يكسر المحزوم ... انقل كتاب الصبح وحفظ وصاته

يقول عشيه جاريته للذة النوم ... والقلب عقبه النار فارق حياته

اضحى هي الحب بحمرة يشرب عدوم ... واضنى ماضي سيوة مسواته

اذا دخل منزل اهله كانهم قوم ... ينظر ويترك في مكانه عاته

وما سمع بذنبه صوت ام كلثوم ... بالراديو صلكات لساحباته

نموذج لخط الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد
وهو مما كتب قبل وفاته بثلاث سنين تقريبا .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .... وبعد

فنحن أمة عربية اسلامية ، تشدنا الى جزيرة العرب أواصر متينة المتات ، روابط يلتقى فيها : الدين ، واللغة ، والتراث ، وقد يعززها الدم ، وقد يتخلف عنها ، لكنها به وبدونه قائمة ربطت مصيرنا بأوثق رباط .

ولما كانت جزيرة العرب هى المنطلق الاول لجميع تلكم الروابط ، والمنبت الأول لتلكم الصلات ، كان لزاما علينا ـ وفاء للآباء واعتدادا بالتاريخ والتراث أن نولى ذلك المنبت كثيرا من العناية والاهتمام ـ تماما كما كان فعل أسلافنا العلماء ، فى القرون الأولى من تاريخ الاسلام المجيد ، حيث كانوا يجوسون خلالها ، فيجمعون مادة لغتهم ، وتاريخهم وأدبهم من أفواه سكانها .

أما جغرافيتها فلم تحظ بالعناية الكافية ، كما لم يحظ سكانها بفضل اهتمام لدى الحكام بعد العصر العباسى الأول، فعميت فيها الآثار ومحيت من الديار، وتحت الأنقاض وفى بطون الرمال انطوت حقائق وانطمست

معالم ، وجاء المتأخرون يتلمسونها ، فما وجدوا سوى ، ما حوته كتب اللغة والمعاجم والأخبار من روايات ـ هى ـ على جلالها وغناها ـ غير كافية ولا شافية للباحث الذى يطمع فى أن يرى الأشياء على صورتها أو قريبا من ذلك ـ كما جاءالمتأخرون من رجالالأدب ينشدون الحقيقة فى تفسير الأشعار ، وأرادوا الاستعانة بتحديد المنازل والديار ، فلم يجدوا سوى ما فى بطون الكتب والمعاجم من أخبار اختلط فيها الخطأ والصواب •

فعد الجبل ماء والماء واديا والوادى بلدا ، ومافى الجنوب فى الشمال وما في الشرق فى الغرب ، وما كان فى نجد عد فى تهامة وآخر في نجران عد في الحجاز وهكذا •

ولا سبيل لزوال هذه الالتباسات،الا أن يتولى التعريف بتلك الأماكن والبقاع من يعرفها حق المعرفة ولن يكون ذلك الا من أبناء الجزيرة الناشئين بها المقيمين فى أحضانها ، فانهم أعرف الناس بها، والمثل يقول (أهل مكة أعلم بشعابها) •

ولم يسبق أن كتب عن جزيرة العرب ـ وصفا وتحديدا لأماكنها ـ من أبنائها ، سوى «الهمدانى» الذى فصل الحديث عن أماكن الجنوب ، وتحدث عن قلب الجزيرة وشماليها وأفاد فيه بعض الفائدة الا أن الكثير قد فاته ذكره ، •

على أننا نحمد له صنيعه هذا لسببين :

أولهما : أنه من سكان الجنوب ، وأن وسائل التنقل والأسفار أيامه انما كانت ظهور الابل أو بطون الأقدام •

وثانيهما : أن أحدا لم يكتب عن وصف الجزيرة أصدق وأصح مما كتب «الهمدانى » وكان حسنا من مثقفى هذا العصر من أبناء الجزيرة

أن يتموا ما بدأه الهمدانى وأن يصححوا ما وقع فيه أرباب المعاجم من أخطاء ، كان مصدرها الاعتماد على الرواه ٠

لقد كتب ياقوت معجمه وهو فى «فارس» وكتب البكرى معجم مـــا استعجم وهو فى «الأندلس» ، وكتب لغدة الأصفهانى كتابه بلاد العرب وهو فى «أصفهان» ، ومن الظلم والجور أن نطالبهم باكثر مما أتوابه ، وأن نشتط فى لومهم على ما وقعوا فيه من خطأ أو التباس ، ولقد تخلف أبناء الجزيرة المتأخرون عن أداء واجبهم فى هذا ، ولا ينفى التقصير عنهم أن هذا اللون من البحث والتحقيق ، يحتاج الى صفات وقـدرات خاصة ، كما أشار الى ذلك الشيخ عبدالله بن خميس (١) ، أذ يرد هذا أنهم حين تنبهوا لذلك ، وأخذوا بأسبابه وجدوا فى العمل، أخرجوا لنا من البحوث والتحقيقات ما يعد فريدا من نوعه (٢) ، ولعلهم بعد أيام قليلة يلمون شمل هذه البحوث ويضعون بين أيدينا ، المعجم الجغرافى الكامل لجزيـــرة العـــرب ٠

من الذى نبه الأذهان وفتح الباب لمثل هذه البحوث ؟ :

في عام (١٣٦٩ هـ ــ ١٩٤٩ م) ٠ والسنوات التى تليها ، نشـــر الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ــ أحد علماء جزيرة العرب ــ بحوثا فى بعض صحفها الصادرة فى «مكة المكرمة» وكانت تلك البحوث فـــى

---

(١) حيث قال فى تقديمه لكتاب ابن بليهد المخطوط (ما تقارب سماعه وتباينت امكنته وبقاعه) :
(والجزيرة ليست خلاء من الأدبـاء والباحثين ، الذين لهم اليد الطولى فى كل فن من الفنون ، ولكن المسألة ليست مسألة بحث وكتابة ومقارنة وتحقيق فحســـب ، ولكنها مع ذلك تحتاج الى عوامـــل وأسباب،قل أن تتوفر فى شخص من الأشخاص)

(٢) انظر مجلة العرب التى يصدرها الشيخ حمد الجاسر ، فلقد عنيت منذ تأسيســـها بهذا الميدان ، ونشرت فيها بحـــوث كثيرة لعدد من الكتاب ، تحت عنوان «المعجم الجغرافى للبلاد السعودية» ، ومـــا زالت تواصل نشر هذه البحوث ٠

تحقيق الأماكن والبقاع الواردة فى المعلقات الجاهلية ، كما نشر فـى السنة نفسها بحثا عن تحقيق موقع سوق عكاظ ، أكبر الأسواق العربية وأجمعها وأهمها فى الجاهلية وصدر الاسلام ٠

وفى عام (١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥٠م) ٠ نشر كتابا سماه (صحيـــح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار) فى خمسة أجزاء،اثنان منها عما ورد فى أشعار العرب من أماكن وبقاع ، والثلاثة الباقية منها تعقيبات واستدراكات على أرباب المعاجم وبخاصة معجمى : ياقوت والبكرى ٠

وفى عام (١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٣ م) ٠ نشر كتاب صفة جزيـــرة العرب للهمدانى) بعد أن قـــام بتحقيقـــه ٠

وفى عام (١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٤م) ٠ أملى كتابة المخطوط (ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) الذى تدور مادته حول ما تشابهـــت أسماؤه من الأمكنة والبقاع ، ففتح بذلك الباب للباحثين ٠

ذلكم هو الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ، العالم الشاعر والرحالة المحقق الذى قال عنه الأستاذ عبد العزيز الرفاعى (١) ٠

(فى مستهل نهضة المملكة العربية السعودية ،والتفات العالم العربى وغير العربى الى بوادر التطور الاجتماعى والحضارى فى المملكة ٠٠٠ كان هناك تطلع ملح الى من يتولى تعريف تلك المنازل والديار والمعالم الى علماء الأدب ودارسيـــه ٠

---

(١) ولد عام (١٣٤٢ هـ ــ ١٩٢٣ م) ٠ بمكة المكرمة وبها نشأ وتعلم ، حتى تخـرج في المعهد السعودى بها ، ثم تقلب فيالوظائف الحكومية الى أن صار مستشـــارا بمجلس الوزراء ، وهو في الطليعة منأدباء البلاد ومفكريها ، وله نشاط فكـــرى وعلاقات اجتماعية طيبة ٠

لقد تولى هذه المهمة الكبيرة رائد من أهل هذه البلاد ·· خبير بها، ولكن ·· لابد أن يكون هذا الخبير ذا حاسة أدبية ، فلو افتقد هـــذه الحاسة ، لما استطاع أن يساير هؤلاء الشعراء في أوصافهم ولا أن يستشف مقاصـــدهم ·

ولابد أيضا أن يكون واسع الاطلاع على الشعر العربى بعامـــة والشعر الجاهلـــى بخاصـــة ·

ولابد أيضا أن يكون ذا جلد وصبر ، وله دربة على أمتطاء ظهـور النياق ، والانسياح فى الصحارى،واحتمال جفاف الحياة بها، وانقطاع الماء والشجر ، وقلة الأنيس والرفيق ، وهجوم الحر والقر ، وأخطـــار الذئاب والأفاعى ····· وكان الشيخ محمد بن بليهد مهيأ لكـــل ذلك ، لتوفر كل تلك المميزات فيه ·

ولقد توفرت له ظروف وامكانات ساعدته على بلوغ هدفـــه ··· فاضطلع بمهمته اضطلاعا جيدا ، سيظل يذكره له التاريخ بالاعجـاب والتقديـــر (١)

سبب أختيار هذا الموضـــوع :

ولقد غفلت الأقلام السعودية عن هذا العالم وآثاره ، فلم توله من الاهتمام ما هو به جدير ، كما لم يجد من الاخوة العرب أدنى اهتمـــام اللهم الا اشارات حظى باكثر منها من لا شأن له ، وتكاد تنحصر في سطور معدودة فى مجلة «الأديب اللبنانية» (٢) حين توفى فى لبنان ، ونقلها عنها عمـــر رضا كحالة (٣) ·

---

(١) من مقال طويل بعث به الى ·
(٢) السنة السابعة عشرة ــ العدد ٤ صفحة ٧٨ ·
(٣) معجم المؤلفين ١٠ : ٢٠٥ ــ دار احياء التراث العربى ــ بيروت ·

وكان لزاما على وقد اقتنعت بأهمية الدور الكبير ، الذى قام بـه هذا الرجل في مؤلفاته ، أن أعمل على كشف أستار الاهمال عن تلكـم الأسفار ، وأن أنفض عنها غبار النسيان ، وأن أجلو محاسنها أمـام أبصـار الباحثـين ٠

وشغلتنى عنه أمور ، ومرت أعوام ، فوجدتنى أفتش عن موضوع لأطروحتى ، فكان من بين الموضوعات التى كنت أفاضل بينها، فوجدته أولى بالتقديم وأحرى بالاهتمام لما أسلفت من أسباب ،ثم أن الباحث عن طريق دراسته للرجل وتراثه ، يستطيع أن يعطى صورة صحيحـة لأدب «الحجاز ونجد» فى تلك الفترة التى عاشها ابن بليهد ٠

لكنى لم أكد أشرع في الدراسة ، حتى فجأتنى صعوبات جمة كنـت أنتقل فيها من واحدة لأخرى ،حتى ذل لى عصيها وانقاد نافرها ، وما تم لى ذلك الا بعد جهد ومشقة وصبر ومعاناة ، وتجشم أسفار ومـرى أفكار ، كان بعضها شحيحا ، وقليل منها الـدار ٠

فلقد تنقلت فى ذلك بين القاهرة والرياض ومدن الحجاز ، وطـال مقامى في المكتبات وكثر ترددى على مزامنيه من الخاصة والعـامـة ، بحثا عما طوى من آثاره ، أو نشر فى الصحف والمجلات ، وصورت جملة من صفحات صحيفة «أم القرى» ومجلة «المنهل» الى جانب تصوير كتاب (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) لابن بليهد ، ثم الكثير من الأوراق المخطوطة المتصلة بآثار صاحبنا عثرت عليها هنا وهناك ،وان كان جلها من لدن ابنه عبدالله ، والكثير تصيدته من الأفواه ومن خزائن اخرين ، كان لهم الفضل فى اكتمال مادة هذا البحث ، فشكرا لهم بعـد اللـه ٠

على أني لم أكتف من التصوير بما لم يكن عندى ، وانما صورت كل ما عثرت عليه منشورا أو مخطوطا من أثاره ، وقابلته بما تحت يدى مما هو مطبوع ، حتى أخرج من ذلك بصورة أوضح عن الرجل وأساليبه في الكتابة والنظم ، وفي ذلك عون للباحث ، وفتح نوافذ يطل من خلالها على الكثير من مستور أحوال الشخصية التى يدرســـــها ٠

ولقد طال تفتيشى عن أخبار الرجل وآثاره ، فقرىء لى المئات من الكتب ، وكثير من الصحف والمجلات ، دون أن يجد الكلال ولا الملال الى سبيلا ، حتى ظفرت بمالا مطمع وراءه ـ فى ظنى ـ لباحث ٠

ومن هنا اتجهت الى تصنيف ما وجدت ، ثم دراسته مسلوكا فـــى النظـــــام التالــــــى ٠

قسمت البحث الى خمســـــة أبـــواب :

الباب الأول : البيئة العامة والخاصة للرجل ٠

البـــاب الثانـــــى : آثـــــــاره ٠

الباب الثالث : عرض عام لشعره وأغراضــــــه ٠

الباب الرابع : قصائد موازنة ومحللـــــة ٠

الباب الخامس : شعر ابن بليهد بين الاصالة والتقليد ٠

وهذا يعنى أنى خصصت شعره الفصيح ، بثلاثة أبواب من مجموع أبواب البحث الخمسة ، وذلك لانه يمثل الجانب الأغلب والأهم فى تراثه الأدبــــــــــى

الباب الاول تحدثت فيه عن «البيئة السياسية والفكرية والاجتماعية وذلك فى فصول ثلاثة أوضحت فيها مدى ارتباط الرجل ببيئتـــــــه ومجتمعه وتأثره بهما وتأثيره فيهما ، وهذا أمر يكاد أن يكون طبيعيـــا

لدى كل أديب أصيل أتبعتها بعد ذلك بالفصل الرابع فى هذا الباب ، وهو عن حياة ابن بليهد مشتملا على مولده ونشأته ودراسته ورحلاته وأعماله وأسرته ومعيشته ، وذلك في حديث جلا حياة الرجل تجلية ما أظن أن وراءها مطمع لباحث •

والباب الثانى «مؤلفات ابن بليهد وآثاره» وفيه سبعة فصول :

تحدثت فى الثلاثة الأولى منها عن مؤلفيه (صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الاثار) و (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) ، وهو مخطوط ، ثم تحقيقه كتاب (صفة جزيرة العرب للهمدانى) •

وفى الفصل الرابع من هذا الباب وقفت عند الأماكن التى أطال ابن بليهد عندها الوقوف ، ففصلت الحديث نوع تفصيل عن سوق عكاظ واكتشافه ، وتنازع السبق فى ذلك بين حمد الجاسر وابن بليهد وعبد الوهاب عزام وذلك لكثرة ما دار حول هذا الأمر من جدل •

وفى الفصل الخامس أوردت فى ايجاز بعض ملاحظاتى على مؤلفات ابن بليهد وآراء معاصريه فيها •

وفى الفصل السادس تحدثت عن النثر العلمى والأدبى عنده ،فجلوت معارض فنه فى نثره العلمى والانشائى ، ثم ختمت هذا الباب بفصل سابع أفردته للحديث عن شعره العامى ، باعتبار أنه أثرمن آثاره ، وأنه كان أحد مجالات فكره ، ومهدت لهذا الفصل بحديث مجمل عن الشعر العامى في جزيرة العرب ، ثم جست خلال قصائده العامية ما نشر منها وما وجدته مما لم ينشر،فى دراسة مفصلة عنأغراضه وأساليبهوأفكاره وعرضت من النماذج ما يعطى أوضح صورة عن فنه فى هذا الميدان ، وختمته بعرض عام لمختاراته العامية الملحقة بديوانه المطبوع •

والباب الثالث (عرض عام لشعره وأغراضه) وفيه فصلان :

أولهما : عرض عام للديوان وما عثرت عليه من شعره الذى لم يحوه الديـــوان ·

وثانيهما : فيه تفضيل لأغراض شعره ، أوضحت فيه أنه كان فـى مدحه وهجائه ، يسير وفق المنهج الذى اصطفاه الناقدون العرب مـــن تقديم المعنويات على الحسيات كما أنه كان في غزله عفيفا ·

وفى هذا الفصل تفصيل لجميع الأغراض التى طرقها بشعره، وأهمها:

وأهمها : المدح ، والسياسة ، والهجاء والرثاء، والغزل والوصف ·
الباب الرابع أفردته لعرض نماذج من قصائده ، وفيه فصلان :

الأول : موازنات وازنت فيها بينه وبين بعض الشـــعراء كمـــــا وازنت فيه بين قصيدتين غزليتين لابن بليهد نفسه نظم ، آحداهما على لسان عساف بن منصور ·

والثانى : تحليل لبعض القصائد التى اخترتها لتمثل أطوار شعـــره وأغراضه ·

والباب الخامس وهو الأخير عنونت له (شعر ابن بليهد بين الأصالة والتقليد) وفيه أربعة فصـــول :

الأول : تأثر ابن بليهد بغيره من الشعراء ، وفيه أوضحت مقـــدار تأثر ابن بليهد بالشعراء الأقدمين وما قد يعد أخذا من أشعارهم، ورجحت أنه لم يكن يتعمد الأخذ وانما نشأ ذلك مما علق لسانه من محفوظـــه ، فدخل فى شعره دون قصــــــد ·

والثانى : وقفة مع ابن بليهد وفيه عرضت لما يمكن أن يؤخذ به شعره فقابلت بين ماعثرت عليه من شعره منشورا فى غير الديوان بما في الديوان فوجدت بعض الاختلاف الناشىء ــ حسب ظنى ــ من اعادته النظر فى شعره فحصرت أماكن الاختلاف فى نقاط أوضحت فيها رأيى فيه ، وهل أصاب أم أخطأ ، ثم ألمعت الى شىء من الأخطاء العروضية واللغوية ،استكمالا للبحث واتماما لعقد نظامه ٠

والثالث : عرضت فيه للشكل والمضمون ، والصورة الأدبية،والطبع والصنعة عنده ٠

أما الفصل الرابع فهو عن الخصائص العامة لشعره ، معضدا فيه قولى بايراد جملة من أراء معاصريه سبقت استخلاص الخصائص ٠

ثم أتبعت ذلك بخاتمة ، أوضحت فيها جدوى بحثنا هذا ، وما سيضيفه من اضافة حسنة أن شاء الله الى المكتبة العربية ٠

ثم ارتأيت ــ اتماما للفائدة ، وجمعا لما لم يحوه الديوان من شعر ابن بليهد ــ أن أذيل هذا البحث بملحق ألم فيه شتات ذلك الشعر الذى لم يحوه الديوان ، فأثبت فى هذا الملحق كل ما عثرت عليه من شعره الفصيح ، الذى جمعته من صحيفة «أم القرى» ومن بعض أصدقائه ومحبى شعره فى جزيرة العرب ومصر ٠

وأود أن أنبه هنا الى أن مقطوعتين مما حواه هذا الملحق ، لم تردا على ، الافى أخريات أيام نسخ هذا البحث ، ولذا لم يشتمل عليهما العرض الذى كان في الباب الثالث ٠

والمقطوعتان هما : (ألا ليت شعرى)، (يالائح البرق) ٠

ثم أتبعت ذلك بفهارس أربعة : للموضوعات ، والأعلام ، والأماكن والمراجع والمصادر .

وبهذا ختمت هذه الصحبة لابن بليهد فى هذا البحث .

وكانت بداية صحبتى لابن بليهد عـــام (١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م) ، حين كنت أكتب فى مجلة «الجزيرة» تحت عنوان «شعراء مغمورون» فلقد وجدت كتابه «صحيح الأخبار» خير عون لى على تحديد منازلهـــم والأماكن الواردة فى أشعارهم ، وازدادت صلتى به أكثر عندما شرعت في تقديم سلسلة من المحاضرات عن الأدب الحديث فى نجد ، وخصصته في كتابى «الأدب الحديث في نجد» باثنتى عشرة صفحة ، وتوجت تلــك الصحبة باتخاذه موضوعا لاطروحتى هذه ، التى أرجو من البـــارى ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعل عملى فيها خالصا لوجهه ، أذ أنى انما توخيت به خدمة لغة القرآن الكريم ، ولسان العرب الذى به نزل من رب العالمين على رسوله ونبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ولا يفوتنى وأنا أختم القول في هذه المقدمة ، أن أرفع الى مقـــام أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود ـ عميد كليـــة اللغة العربية بالمنصورة ـ جزيل الشكر والثناء ، على ما قدم لى مـــن عون وارشاد وتوجيه ، كان نبراسى الوضاء فى طريق هذا البحث الشاق الطويل ، وما بسط لى من أكناف مجلسه وأخلاقه ، وما عاناه من قراءة ومتابعة لهذا البحث حتى ظهر ـ بحمد الله ـ في هذه الصورة المشرقة المرضية ، جزاه الله عنى وعن رواد البحث والمعرفة خير الجزاء وبالله التوفيـــــق .

على أني أود أن أنبه هنا الى أن الأمراء الذين مدحهم ابن بليهد ـ الى جانب مدحه للملك عبد العزيز (١) ـ هم أبناؤه الملوك الثلاثة ٠

سعود (٢) ، وفيصل (٣) ، وخالد (٤) وسنشير الى كل منهم بلقبه (الأمير) الذى كان عليه عند نظم الشعر فيه ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ٠

منيل الروضة بالقاهرة
الدكتور
محمد بن سعد بن حسين
فى غرة رجب سنة ١٣٩٨ هـ
الموافق ٦ يونيو سنة ١٩٧٨ م ٠

---

(١) الملك عبد العزيز ولد في أواخر القرن الثالث عشر هجرى بالرياض ، وخرج منها بصحبة أبيه سنة (١٣٠٨ ـ ١٨٩٠ م) ٠
قصد الرياض عاصمة ملك أبائه في رهط من أعوانه فاستنقذها سنة (٣١٩ ـ ١٩٠١م) ٠ من أمير آل رشيد عليها ، ثم بدأ يمد سلطانه على البلاد حتى تمكن من توحيد أجزاء المملكة في وضعها الحالى سنة (١٣٥١ هـ ـ ٣٢ وتوفى في ٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م ـ رحمه الله ـ بعد حكم امتد أربعة وخمسين عاما ٠

(٢) الملك سعود من عام (١٣١٩ هـ ١٩٠١ م) الى (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) ٠
تولى العهد (سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٢م) ، ثم تولى الملك بعد وفاة أبيه (سنة ١٣٧٣ هـ ـ سنة ١٩٥٣ م) ـ الى أن نحى عنه (سنة ١٣٨٥ هـ ـ سنة ١٩٦٥ م) ٠

(٣) الملك فيصل من (سنة ١٣٢٤ هـ ـ سنة ١٩٠٦ م) ٠ الى (سنة ١٣٩٥ هـ ـ سنة ١٩٧٥م) ٠
عين نائبا لأبيه على الحجاز (سنة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م) ٠ ثم ولى العهد بعد وفاة أبيه (سنة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣م) ٠ وتولى الملك (سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م)

(٤) الملك خالد ـ من (سنة ١٣٣٢ هـ ـ سنة ١٩١٣ م) ٠
ولى العهد (سنة ١٣٨٥ هـ ـ سنة ١٩٦٥ م) ثم تولى الملك (سنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م) ٠

الباب الأول

• البيئة العامة •

الفصل الأول : البيئة السياسية

الفصل الثاني : البيئة الثقافية والفكرية

الفصل الثالث : البيئة الاجتماعية

• البيئة الخاصة •

الفصل الرابع : حياة ابن بلميهد

توطئة :

كانت البيئة التى نشأ فيها محمد بن بليهد بيئة عربية ، صرفة ذات طابع قديم ، بل انها موغلة فى القدم ، حتى لاتكاد ترى فيها من ملامح العصور العربية الاسلامية ، الا ما يتصل بالدين من العبادات والمعاملات

أما العادات فهى بالجاهلية الصق ، ولو بحثنا عن أسباب ذلك لوجدناها كامنة في العزلة التى عاشتها جزيرة العرب من أيام العباسيين الى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة تقريبا باستثناء (مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة) على أن الأتراك قد فرضوا على هذه المدن أيضا نوعا من العزلة بالحصار الذى ضربوه حولها بفرض : اللغة التركية ، والتعليم التركى على البلاد ، الأمر الذى ترك آثاره واضحة فى الأدب حتى الشعبى منه كقول بديوى شاعر الأشراف :

خدامكم ما عاد يملك ولا (بير) (فرانسه) في الجيب أو فى المخابير
ياكود (أكى) قروش أو (انفركسير) حلفت مالى غيرها رأس مال(١)

ثم تقلص الحكم العثمانى ، وظلت جزيرة العرب يحكمها أمراؤها الذين لم يحاولوا الاتصال بالعالم الخارجى ، اللهم الا فى بعض الأحوال الدفاعية ، كما فعل حكام «الحجاز في اتصالهم بالانجليز ، وآل رشيد فى اتصالهم بالأتراك ، والاستعانة بهم على ابن سعود .

أما جيوش محمد على فلم يكن لها من الأثر ما يستحق الذكر ، اذ كانت حملات عسكرية جاءت الى هذه البلاد ، لأهداف عسكرية وسياسية

---

(١) فرانسه : جمع فرانسى ، والمقصود به ، الريال الفرنسى .
أما باقى الكلمات التى في الاقواس فأسماء عملات والفاظ حسبة فى اللغة التركية وأما مخابير فهى الخزائن .

وانتهى أمرها بانتهاء مهمتها ، وهى القضاء على دولة آل سعود ، التى كانوا يسمونها (الوهابية) نسبة الى الامام محمد بن عبد الوهاب •

من هنا كان التقليد والمحاكاة أحلى سمات أدب هذه البلاد ، حتى بدأت تخرج من عزلتها ، وتطل على الحياة الجديدة المعاصرة من نافذتين : الأولى الرجوع الى تراث الآباء والأجداد الذى بدأت تنشره وتحييه المطابع في مصر • والثانية : الاطلاع على ما دبجته أقلام المفكرين ورجال الثقافة في مصر والشام • وانما تم لهم ذلك عندما اطمأنوا وأخذوا بأسباب الاستقرار بعد أن قامت في البلاد دولة واحدة عام (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م) •

وفي مجال علوم الدين واللغة ، والعلوم العامة ، فان العلماء من أهل عصر ابن بليهد قد قصروا اهتمامهم على كتب : التفسير ، والحديث ، والفقه والتوحيد وشيء من التاريخ ، ولا شيء بعد هذا يستحق الذكر •

فالبيئة الفكرية لذلك العصر كانت لا يعنيها من علوم العربية الا ما يراه العلماء ضروريا لفهم مسائل الدين • وهذا الضرورى : هو علم النحو والتصريف •

أما ما عدا ذلك فعلوم مكملة لا حاجة ماسة اليها ، ولذا ندر فيهم الناظر في علم اللغة ، والبلاغة ، والأدب ، والعروض ، أما الفلسفة والمنطق فحرام ، ويجب الابتعاد عنهما ، وأما الحساب فيكفى منه ما يحقق الوصول الى معرفة الميراث وأحوال الزراعة ، وأما العلوم الأخرى كالهندسة والجغرافية ونحوها ، فانها علوم لا تدعو الحاجة اليها حسبما يرون •

ومن هنا نجد أن اتجاه ابن بليهد الى دراسة الأماكن الواردة فى أشعار العرب ، كان اتجاها غريبا على بيئته ومجتمعه ، فهو دال دلالة

قاطعة على أن لهذا الرجل عقلية خرجت عن محدود بيئته الفكرية الى ميدان لم تعهده هذه البيئة ٠

صحيح أن بعض الدراسات الأدبية الضيئلة قد صدرت أذ ذاك في الحجاز ، لكنها من ناحية لا تجاوز كتابين أو ثلاثة (١) ، ومن ناحية أخرى ما كانت الا تراجم ومختارات فهي ضيئلة في كمها وكيفها ٠

(١) مثل «من وحي الصحراء» جمع الأديبين محمد سعيد عبد المقصود،وعبدالله بالخير ط عيسى الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥٠ (والمعرض) محمد سرور الصبان ط العربية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ ٠ ،أدبالحجاز ٠ محمد سرور الصبان ط بمصر سنة ١٩٤٦ م ٠



الفصل الأول

البيئة السياسية

كانت جزيرة العرب في منتصف القرن الثانى عشر الهجرى ـ أول القرن الثامن عشر الميلادى ـ قد عادت الى جاهليتها الأولى ، حيث أصبحت خلاء من الاسلام ، الا من بعض مظاهره الشكلية ، التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ٠

ولم تكن البلاد المجاورة لجزيرة العرب بأحسن منها حالا، بل أن أكثر بلدان العالم الاسلامى كانت أسوأ حالا ، فلقد أصبح المسلمون فى جميع أقطارهم يعيشون في اضطراب وقلق أجتماعى وسياسى ، فاشتدت الحاجة الى مصلح حكيم أمين ، ليجدد لهذه الأمة دينها ، وينظم أحوالها تنظيما محكما مبنيا على أساس متين من الحكمة والحنكة والاخلاص ٠

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، هو ذلك المجدد المنتظر ، فلقد قام عام (١١٥٥ هـ ـ ١٧٤٢م) ـ فى بلدة «العينية» مسقط رأسه على المشهور ـ بأول ثورة اسلامية عربية في تاريخ النهضة العربية الحديثة ، فكان بذلك أول زعيم اسلامى عربى ، قاد أول ثورة اسلامية عربية ، ضد الجهل والفساد بأنواعهما ٠

وكان الأمير عثمان بن معمر أول مناصر للدعوة ، وأول من باشر مع الامام ازالة معالم الوثنية من أشجار وقباب ، حتى كاد يفوز براية النصر والزعامة ، لولا أنه فضل العاجل على الآجل ! فأخرج الشيخ من

(العينية) مطرودا ، بل لقد حاول قتله الا أن الله أبطل كيده ، فوصل الامام الى (الدرعية) وكان ما كان من أمر اتفاقه مع الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية ، فنصبت راية الجهاد ، وأخذ المؤيدون يتوافدون من كل مكان فلما أحسوا من أنفسهم القوة ساروا يقودهم الأمير لقتال المعاندين .

وكان من الد الخصوم وأصلبهم أمير الرياض ، دهام بن دواس ـ الذى استمرت الحرب بينهم وبينه ثلاثين عاما ، انتهت على يد الأمير عبد العزيز بن الامام محمد بن سعود ، الذى كان يتولى قيادة الجيوش المجاهدة في حياة أبيه ، وعلى يده بدأ نشر الدعوة عمليا ، وقد بويع بالامامة بعد وفاة أبيه عام (١١٧٩ هـ ـ ١٧٦٥ م) ، فواصل الجهاد بهمة عالية وعزم أكيد ، حتى أقتطع كثيرا من البلدان وقضى على ذلك الخصم العنيد (دهام بن دواس) .

وفى آخر حياة الامام عبد العزيز صار أمر الجيش الى ابنه البطل سعود الذى أوغل بجيوشه فى أقاصى البلاد فى كل اتجاه ، حتى لقد دخل كربلاء فى العراق فى حياة أبيه عام (١٢١٥ هـ ـ ١٨٠٠م) وهدم ما هنالك من «القباب» فكانت تلك الغزوة سببا في قتل أبيه ، وهو يصلى العصر فى الجامع في (الدرعية) عام (١٢١٨ هـ ـ ١٨٠٣ م) ، فبويع أبنه سعود الأول بالامامة في السنة نفسها ،

أما الامام محمد بن عبد الوهاب ، فقد أقام فى الدرعية يعلم الناس وينفح الأمراء بنصائحه وتوجيهاته الى أن توفى ـ رحمه الله ـ في أيام الامام عبد العزيز عام (١٢٠٦ هـ ـ ١٧٩١م) ، فقدم الى ربة قرير العين بعد أن نبه العالم العربى والاسلامى من غفوته ، وأرشده الى طريق الحق والصراط السوى ، فجزاه الله خير ما يجزى به الصالحين والمصلحين .

وقد توفى الامام الكبير سعود بن عبد العزيز عام (١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م) وبانتهاء عهد ذلك البطل العظيم انتهت أزهى فترات الدعوة في عصورها الأولى ، وبدأت فترات سادت فيها الفوضى والاضطراب ، فعادت البلاد الى التمزق •

(فنجد) وما حولها يتنافس على حكمها : ال سعود ، وال رشيد •

والحجاز يحكمه : الأشراف ، والادارسة : يسيطرون في الجنوب ، •

وتركيا تغتصب السواحل واحدا بعد آخر ، وتحاول احكام قبضتها على بلاد العرب ، وبخاصة الديار المقدسة ، لأن آمالها فى قيادة العالم الاسلامى انما تدعم بذلك •

وظلت البلاد تعيش حياة رهيبة ، كلها تمزق وانقسام ، وفوضى وانحلال ، وسلب ونهب ، وعدم للامن والاستقرار •

والواقع أن تلك الحروب ، التى قامت في جزيرة العرب ، وفي الكثير من بلاد العرب خارج الجزيرة ، انما يقع وزرها على الأتراك ، وذلك تاريخيا معروف •

وقد عاد «تركى بن عبدالله» ، الذى فرالى (الخرج) ليستنقذ البلاد من جديد ، ولكنه قتل بيد ابن عمه (مشارى) الذى قتله «فيصل بن تركى» انتقاما لأبيه ، فتولى حكم البلاد ، وبحكمه بدأت فترة جديدة لتاريخ البلاد وكان فيصل ذا حكمة ودهاء وكرم وعفة وتورع عن سفك الدم ولذلك كان محبوبا مطاعا فى أمته ، فاجتمعوا تحت رئاسته وجمعتهم كلمته ، الا أن الجيوش التركية جددت حملتها على السعوديين ، وأتت «بخالد بن سعود» ليحكم البلاد وذهبت بفيصل أسيرا الا أنه عاد بعد ذلك فاسترجع البلاد وحكمها حكما مستقرا زهاء أربعة وعشرين عاما •

وبعد وفاته أضطرب زمام الأمن ، وتمزقت دولة آل سعود وصار بعضهم يقتل بعضا على الحكم ، ثم نازعهم أل رشيد على ذلك ، واستقل هؤلاء بالبلاد فترة طمست بعدها تلك الحقبة المظلمة بقيام الموحد الكبير لأجزاء المملكة العربية الحديثة ـ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ·

ولم تكن البلاد العربية والاسلامية المجاورة بأحسن حالا من جزيرة العرب كان لكل منها نصيب من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار وشيوع الجرائم والمفاسد ·

فمصر كان الصراع بينها وبين الاستعمار الانجليزى على أشده وبلاد الشام كانت فى صراع مع الأتراك ، ثم الفرنسيين ·

والعراق كان في صراع أيضا مع الاتراك ، ثم الانجليز ·

فالعصر الذى نشأ فيه الشاعر كان عصر فوضى واضطراب ، كما أن هذا العصر نفسه قد شهد الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية ، وهما من أمر وأفظع الحروب التى حلت بالبشرية ، وجرت عليها كثيرا من الخراب والدمار ، الذى ما زالت آثاره مشهودة فى كثير من الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، فلقد تمزقت الدول وتبددت الأسر والمجتمعات ، ثم تطورت الأوضاع الدفاعية ، التى أنجبت سباق التسلح والتفنن في ابتكار وسائل الدمار ·

عاش شاعرنا هذا العصر مره وحلوه ·· ان كان فيه حلو ·· !فهل تركت أحداث عصره (بصماتها) على ما كتب من شعر ونثر ، وما مبلغ ذلك الأثر ان وجد ؟ ·

ذلك ما سنعرفه فيما يأتى من بحثنا هذا ان شاء الله ·

ثم عاش ابن بليهد عصرا كله أمن واستقرار ، اجتمع فيه شمل الأخوة واتحدت فيه أنحاء المملكة فى شكلها القائم الان ·

أحداث المجتمع من خلال شعر ابـــن بليهـــد :

وفي تتبعنا لشعر ابن بليهد ، نجد أنه ساير بشعره أهم الأحداث فى مجتمعه ، خاصة ما يتصل منها بالملك عبد العزيز وابنية سعود، وفيصل)

وسنعرض أحداث المملكة العربية السعودية من خلال شعره متنكبين الايضاح ، وتفصيل الأحداث ، لكون ذلك التفصيل ليس مهمتنا الآن ٠

(١) ولكون ابن بليهد لم ينظم الشعر الفصيح الا في عام (١٣٣٧ هـ ١٩١٨م)فان أول حادثة سجلها فى شعره كانت موقعة (تربة) التى وقعت بين جيش الشريف حسين ، وجيش الملك عبد العزيز في العـــام نفسه وانتصر فيها الجيش السعودى ، فنظم الشاعر فى ذلـــك ثلاث قصائـــــد :

أ ــ في مدح الملك عبد العزيز ومطلعها :

تغير رسم الدار أصبح خاليـــــا
فليس بها حى يجيب المناديا

ب ــ في مدح الملك عبد العزيز ومطلعها :

بسمر القنا والمرهفات القواضـــب
تنال العلا والعز أعلى المراتب

جـ ــ في مدح ولى العهد سعود (الملك الأسبق) ومطلعها :

تمسك بتقوى الله أزكى الشعائر
تنال العلى والعز أعلى المفاخـــر (٣)

---

(١) ابتسامات الايام لابن بليهد ٠ ص١٥ ٠ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥٠ م ٠

(٢) ابتسامـــات الايـــام ص : ١٨ ٠

(٣) ابتسامات الايام ص : ١٣٢ ٠

٢) وفى عام (١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩م) عرض الشاعر لثلاثة أحداث هـــى :

أ ـ اتفاق الشريف حسين مع ابن رشيد ، وابن صباح علــى حرب السعوديين ،

فقال مستنهضا الملك عبد العزيز على الثالوث الجديد :
لك الحمد يا من للمحامد مأهل وشكر جزيل والرضا منك أجزل (١)
ب ـ وبعث الملك عبد العزيز جيشا من أهل (الفطغط) ـ احدى مستوطنات البادية الجديدة ـ الى بعض المنشقين من بادية حرب بزعامة ابن دهيم ناحية (لينة) فقال الشاعر فى ذلك:

عفا رسم الديار فلا يــــرام
لكل النازلين بها مقــام (٢)

جـ ـ وبعث الملك عبد العزيز ابنه سعود ، لقتال بعض القبائل الشمرية بالشعيبة من نواحى الجبل ، فقال الشاعر فــى ذلك :

ألا ان جيران العشية راحل
دعتهم دواعى البين والبين طائل (٣)

٣) وفى عام (١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠م) عرض ابن بليهد لخمسة أحــــداث :

---

(١) نفس المرجـــــع السابق ص : ٢١ ·
(٢) نفس المرجع السابق ص : ٢٥ ·
(٣) نفس المرجع السابــق ص : ١٣٦ ·

أ ـ وقعة (الجهرى) التى كانت بين جيش الملك عبد العزيز بقيادة فيصل ابن سلطان الدويش ، وجيش ابن صباح أمير الكويت بقيادة سالم بن مبارك الصباح ، وفيها يقول ابن بليهد فى شهر محرم :

دع الركاب تجوب البيد والمدرا
منها القنود وقد نقضى بها الوطرا (١)

ب ـ ويبعث الملك عبد العزيز الجيوش الى «حائل» فبادر ابن بليهد الى تسجيل ذلك بقوله :

الدار قفر عفاها البين والغير
ريب المنون وشتت شملها القدر (٢)

جـ ـ ويغزو جيش الملك عبد العزيز (الحائط) التابعة للشريف حسين ، ويصالح أهلها الجيش بوساطة ابن بليهد فيقول فى ذلك :

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب (٣)

د ـ ويهجم أمير حائل الجديد محمد بن طلال بلد «الروضة» التابعة للملك عبد العزيز ، فيقتل من بها من جند ويرجع بالغنائم الى حائل ، فيستثير ذلك الشاعر ، فينظم قصيدة يحرض فيها الملك على قتال ابن رشيد ، مطلعها :

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ٢٨ .
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٣٢ .
(٣) المرجع السابق ص : ٣٩ .

الخيل ما حبست سبتا ولا أحدا
والله ما عذرت عند الوغى أحدا (١)

هـ ــ وفي هذا العام توفى الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، فيتألم الشاعر وينظم فى ذلك قصيدتين يرثى بهما ذلك العالم الجليل ومطلع الأولى :

هل في اللوى من أناس بعد ما انقسموا
أأنت تعرف رسم الدار بعدهم ؟ (٢)

ومطلع الثانية :

سبحان من جعل الدنيا لأهليها
شهدا وقدرته فى الخلق يمضيها (٣)

٤) وفى عام (١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م) وقعت ثلاثة أحداث أسهم فيها الشاعر بأربع قصائد :

أ ــ فقد حاصر الملك عبد العزيز (حائل) وذهب ابن بليهد مع من ذهب من أهل (الوشم) لمساعدته في حصارها ، وفى الطريق نظم ابن بليهد قصيدة مطلعها :

ما أنصفت دمنة فى ربعها قبب
من حين قوض منها الحى وانشعبوا (٤)

---

(١) المرجع السابق ص : ٤٤
(٢) المرجع السابق ص : ٢٤٣ .
(٣) المرجع السابق ص : ٢٤٧ .
(٤) ابتسامات الأيام ص : ٤٨ .

ب ـ وفتح الملك عبد العزيز حائل وكان الشاعر فى مهمة بعثه ، فيها الملك عبد العزيز ، وهى جباية الزكاة من قبائل هتيم «بخيبر» وحين بلغه الخبر نظم قصيدة قدمها بين يدي الملك بعد أن لحق به في الرياض ، ومطلعها :

لك الحمد ما هب النسيم وما ذرا
وما طلع النجم اليمانى وأزهرا (١)

ثم ينظم قصيده ثانية في الموضوع نفسه يهنىء بها عبدالله بن جلوى ومطلعها :

قد كان للدهر في أيامه دول
بها تزلزلت الأمصار والدول (٢)

ج ـ وفي أثناء الحصار هجم جيش الملك عبد العزيز من بالوقيد من أتباع ابن رشيد وقضى عليهم ، فقال الشاعر فى ذلك :

لك الحمد ما غنى الحمام وغردا
وما طلع النجم المنير وما بدا (٣)

٥) وفى عام (١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢م) . بعث الملك عبد العزيز جيشا بقيادة ابنه فيصل ، لفتح (أبها) وبلاد (عسير) فنجح الجيش فى مهمته،فنظم الشاعر فى جمادى الأولى قصيدة مطلعها:

لايدرك المجد من لا يبذل المالا
ولا ينال ذرا العلياء من قالا (٤)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٥٦ .
(٢) المرجع السابق ص : ٦١ .
(٣) المرجع السابق ص : ٥٢ .
(٤) المرجع السابق ص : ٢١١ .

٦) وفي عام (١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣م) مرض الملك عبد العزيز مرضا شديدا أضجر الناس في بلده ، فلما شفى هنأه الشاعر بقوله :

لك الحمد اللهم ما زجر الرعد
وما طلعت شمس فقد وجب الحمد (١)

٧) وفي عام ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م) بعد أن فتح جيش الملك عبد العزيز «الطائف» مكة المكرمة نظم الشاعر قصيدتين الأولى في تهنئة الملك عبد العزيز ومدحه ،
وقد نظمها في شهر ربيع ومطلعها :

للحرب عند ثغور الحرب أبطال
وصارم ذكر عضب وعسال (٢)

والثانية : في الرد على أحد الشعراء حين هجا الملك عبد العزيز وجيوشه ، فى قصيدة نشرها فى رجب فى صحيفة بريد الحجاز الصادرة فى (جدة) آنذاك ، ومطلع قصيدة ذلك الشاعر :

حدثيهم عن بأسنا يا حراب
وأذقهم نكالنا ياعذاب (٣)
أما قصيدة ابن بليهد ، فكانت في الشهر نفسه ومطلعها :

ما أصبتم وما لديكم صواب
بعدما نص فى البريد كتاب (٤)

---

(١) المرجع السابق ص : ٧٦ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص : ٨٢ ٠
(٣) بريد الحجاز العدد ٢٤ السنة الأولى الأحد ٢١ رجب سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٥ فبراير سنة ١٩٢٥ م ٠
(٤) ابتسامات الأيام ص : ٨٦ ٠

٨) ويبعث الملك عبد العزيز جيشا بقيادة ابنه فيصل الى « جدة » آخر معاقل الشريف حسين ، فيشدد الجيش السعودى حصاره على (جدة ، والمدينة المنورة وينبع) ويضيق سكان هذه المدن ذرعا بذلك الحصار ، فتبعث المدينة الى الملك عبد العزيز طالبة الأمان ، عارضة التسليم ، ثم تفتح «جدة» ويبايع أهل الحجاز الملك عبد العزيز في (الحرم المكى) فيسجل الشاعر ذلك كله بأربع قصائد :

أ ـ الأولى فى حصار : جدة،والمدينة ، وينبع ، فى شهر ربيع ومطلعها

دعتك طيبة فانهض وانتبه وجب
سر واجنب الخيل خلف الأينق النجب (١)

ب ـ والثانية في مدح قائد الجيش فيصل في شهر جمادى ومطلعها :

لنجلك السعد قبل اليوم مشهود
وفى لواه أطيد العز معقود (٢)

جـ ـ والثالثة في مدح الملك عبد العزيز وابنه محمد ـ أمير المدينة المنورة ، بعد تسليمها ،وقد نظمهافى شهر جمادىالثانى ومطلعها

الى طيبة الشهم النبيل تيمما
وحيته بالاقبال لما تقدما (٣)

د ـ والرابعة فى فتح جدة ومبايعة أهل الحجاز للملك فى«الحرم المكى الشريف» في شهر جمادى الثانى ومطلعها :

---

(١) ابتسامات الايام ص : ٩٠ .
(٢) المرجع السابق ص : ٢١٥ .
(٣) المرجع السابق ص : ٩٤ .

سر واسأل الركب هل ينبيك ما سمعا
لما تمزق ضيق العيش وانقشعا (١)

٩) أ ـ وفى ١٣٤٥/١/٢٠ هـ نشرت «أم القرى» قصيدة في مدح الملك عبد العزيز لم تذكر مناسبتها ، ولكن سياقها يدل على أن حدثا وراءها ، وهى مما لم يحوه الديوان ومطلعها :

أنت الامام فما نيل العلا أمم
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم (٢)

ب ـ ويقول في سفر الأمير سعود الى مصر، وعودته منها في ربيع الثانى من هذه السنة :

لك الحمد اللهم ما طلع الفجر
وما بزغت شمس فقد وجب الشكر (٣)

جـ ـ وفي سفر الملك عبد العزيز الى «المدينة المنورة» في جمادى الأولى في هذه السنة قال قصيدة مطلعها :

على المدينة صوب العارض الهطل
أحيا جوانبها بالمدجن الهمل (٤)

د ـ وفى رجب من هذه السنة نفسها سافر الملك عبد العزيز من الحجاز الى نجد ، فقال الشاعر قصيدة مطلعها :

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ١٠٠ .
(٢) صحيفة ام القرى العدد ٨٥ فى ١٣٤٥/١/٢ هـ .
(٣) ابتسامات الأيام ص : ١٤٢ .
(٤) المرجع السابق ص : ١٠٤ .

أهاجتك دار أم أهاجك منزل
كأنك بالبين المشت موكــــل (١)

هـ ــ ويصل خبر قدوم الملك عبد العزيز من «نجد» الى الحجاز في شوال من هذه السنة ، فينظم الشاعر قصيدة مطلعها :

أيا عين دارى دمعك المتسكب
فرادى وطال البين للمترقب (٢)

و ــ ولكن الملك لم يصل الى الحجاز الا في ذى القعدة ، فيستقبله الشاعر بقصيدة أخرى مطلعها :

أيا صاحبى هل أنت مثلى مولع
الى اللاحب النجدى قم نتطلع (٣)

ز ــ أما تعيين الأمير فيصل نائبا لابيه على «الحجاز» فــــان الشاعر يحتفل به بقصيدة يبدأ كل بيت فيها بحرف من أسم فيصل بن عبد العزيز مطلعها :

فتى السعد باد والعيون تراقبه
ولاحت على أفق الحجاز كواكبه (٤)

١٠) وفي عام ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٨ م يرصد الشاعر لحدثين هامين :
أ ــ أحدهما تزعم عبدالله بن فاضل لجيش كبير من بــــوادى

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ١٠٧ .
(٢) المرجع السابق ص : ١١٠ .
(٣) ابتسامات الأيام ص : ١٠٢ .
(٤) ابتسامات الأيام ص : ٢١٨ .

«الحجاز وتهامة» يسير لمقاتلة جيش الملك عبد العزيز فيهزم ابن فاضل وجيشه ، فينظم في ذلك الشاعر قصيدة مطلعها :

ربع سقتك الغوادى في دجى الظلم
وكل أسحم هطال من الديم (١)

ب ــ وحين توفى الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود والد الملك عبد العزيز رثاه ابن بليهد بقصيدة مطلعها :

أقلوا بالملامة أو أطيلوا
فما يغنى البكاء ولا العويل (٢)

جـ ــ وتتجمع بعض بوادى نجد في جيش كبير يتزعمه سلطان بن بجاد ، وفيصل الدويش ، وتلتقى الجموع بجيش الملك عبد العزيز في «روضة السهلة» بنجد ، وينتصر جيش الملك ، فيقول الشاعر في ذلك ٠

متى تسير بنا المهربة النجب
بهن يقضى لأهل الطية الأرب(٣)

١١) وفي عام (١٣٤٨ هـ ــ ١٩٢٩ م) ينظم الشاعر اربع قصائد :

أ ــ أولاها : فى قدوم الأمير سعود بن عبد العزيز الى مكة المكرمة ومطلعها :

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ١١٢ ٠
(٢) صحيفة أم القرى ٠ العدد ١٩٩ جمادىالأولى سنة ١٣٤٧ هـ ٠
(٣) ابتسامات الأيام ص : ٢١٩ ٠

طلعت بنجم السعد يا خير وافد
نهنيك يا بن الأكرمين الأماجد (١)

ب ـ والثانية ، في تأديب بعض الخارجين على الأمر بزعامة مقعد بن سعود الدهينة ومطلعها :

أمر قضى حكمه من خالق البشر
اصبر فقد جاءت الأيام بالعبر (٢)

جـ ـ وفى رمضان من العام نفسه نشرت «أم القرى» قصيدة لابن بليهد في الملك عبد العزيز لم تذكر مناسبتها ، وان دل سياقها على وجود حدث وراءها ومطلعها :

هناك عند بنى الأملاك مجتمع
به من الناس متبوع ومتبع (٣)

د ـ والرابعة : في ذكرى جلوس الملك عبد العزيز على عرش المملكة ومطلعها :

هذا الجلوس به الأمجاد تحتفل
أصغت لهيبته الأسماع والمقل (٤)

١٢) أ ـ كما يسجل في عام (١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م) ذكرى جلوس الملك أيضا بقصيدة مطلعها :

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ١٤٧ .
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٢٢٣ .
(٣) صحيفة «أم القرى» العدد ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ .
(٤) ابتسامات الأيام ص : ٢٢٨ .

أصعد الى المجد لا تستصعب الطرقا
واسبق فان ذرا العليا لمن سبقا(١)

ب ـ وفى شوال من العام نفسه نشرت «أم القرى» قصيدة فى مدح الملك نحلها ابن بليهد ابن عمه عثمان (٢) ومطلعها :

يا ابن الألى وبنوك الفتية الصيد
تقابل السعد فى مرآك والعيد (٣)

١٣) فى عام (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢م) خطط العدو لحملتين ضد الحكومة السعودية ٠
أحداهما : تزحف من الأردن فى الشمال ، والثانية من «صبياء» فى الجنوب ، وقدر أن تقوم الحملتان فى آن واحد ، لكن قدر الله أن تختلفا فى موعد الزحف ، فزحفت حملة الشمال بقيادة حامد بن رفادة ، فى ربيع الثانى ، ولم تزحف حملة الجنوب التى قادها الحسن الادريسى الا فى شعبان ، فسهل ذلك مهمة القضاء عليهما ، وقد خص شاعرنا كل واحدة بقصيدة ٠

أ ـ فمطلع الأولى التى في حملة ابن رفادة :

هل للوغى وحمام الموت من شارى
نعم هناك بسفح الواد من شار (٤)

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ٢٣٧ ٠
(٢) صحيفة أم القرى العدد ٣٢٤ شـوال سنة ١٣٤٩ هـ ٠
(٣) وكان يصنع مثل ذلك كثيراً ومن تلك القصائد التى نحلها ابن بليهد ابن عمه عثمان هذا ما ضمنه الديوان كالقصيدة السالفة قبل هذه ٠
(٤) ابتسامات الأيام ص : ١١٥

ب ـ وأما مطلع قصيدته فى حملة الادريسى فهو :

أقمت فما هذا المقام المحتم
ووخد المطايا فى فضا الأرض أحزم (١)

جـ ـ كما سجل في السنة نفسها سفر الأمير فيصل الى أوروبا سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م · ورجوعه منها (سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م بقصيدة مطلعها :

قفا ان هذا الربع مقو جنابه
نسائله عن أهله وجوابه (٢)

١٤) وفي عام (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م) نظم الشاعر ثلاث قصائد في ثلاثة أحداث ·

أ ـ أخذ الملك عبد العزيز البيعة لأبنه سعود بولاية العهد ، فنظم الشاعر قصيدة مطلعها :

أبسط يمينا نشت في الجود والكرم
لبيعة عقدت فى الحل والحرم (٣)

ب ـ وقامت حرب ضارية بين السعودية واليمن انتصرت فيها الجيوش السعودية ، واحتلت «الحديدة» وكثيرا من بلاد اليمن ، حتى وصلت مشارف «صنعاء» العاصمة ، ثم انتهت بخضوع اليمن لشروط المصالحة ومطلع القصيدة :

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ١١٩ ·
(٢) المرجع السابق ص : ٢٣٤ ·
(٣) المرجع السابق ص : ١٥٠ ·

ترقبوا لأسود الغاب والأجـــــم
سارت من الحل والأخرى من الحرم (١)

جـ ـ وقدم الأمير فيصل بعد ذلك ، الى الرياض ، فنظم الشاعر قصيدة مطلعهـــا :

أتعبت نفسك في حل ومرتحل
دعها وربك هذا منتهى الأمل (٢)

١٥) وفي عام (١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م) • نظم ثلاث قصائد •

أ ـ اولاها : في الصلح بين السعودية واليمن مطلعها :

حط الرحال فهذا سيد العرب
عبد العزيز فما فى النفس من أرب (٣)

ب ـ والثانية: في مقدم ولى العهد سعود الى مكة المكرمة ومطلعها

بمقدمك الميمون لاح لنا السعد
وفى رأيك المحمود قد عرف الرشد (٤)

جـ ـ والثالثة : في حادث الاعتداء على الملك عبد العزيز وهـــو يطوف بالكعبة المشرفة وهو الاعتداء الذى دبره امام اليمن يحيى وقام به ثلاثة من اليمنيين ، وفى هذه القصيدة أثنى الشاعر على ولى العهد ، الذى رمى نفسه دون أبيه فى وجه

---

(١) المرجع السابق ص : ١٥٢ •
(٢) المرجع السابق ص : ٢٣٨ •
(٣) ابتسامات الأيام ص : ١٥٨ •
(٤) نفس المرجع ص : ١٦٢ •

خناجر اليمنيين ، وكاد يموت لولا عناية الله ، ومطلع هذه القصيدة

اليوم تفترق الركبان بالخبر
عن حادث الأمس بين الحجر والحجر (١)

١٦) وفي عام (١٣٥٤ هـ ــ ١٩٣٥ م) ٠

أ ــ سافر ولى العهد سعود الى أوروبا ، وعند رجوعه أستقبله الشاعر في جمادى الأولى بقصيدة مطلعها :

هذا سعود سعود لاح يطلع
على الحجاز فهل للقول مستمع (٢)

ب ــ كما نظم قصيدة فى آخر هذه السنة ، فى استقبال الملك عبد العزيز وابنه سعود عند قدومهما الى مكة ومطلعها :

لك الطائر الميمون من متقدم
بيوم حرام فى بلاد محـــرم (٣)

١٧) وفي عام (١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م) ٠

أ ــ في شهر شوال من هذه السنة توفى عالمان هما : أبراهيم بن عبد اللطيف قاضى الوشم ، وعبدالله بن سليمان السيارى قاضى «العرض» فرثاهما بقصيدة مطلعها :

---

(١) المرجع السابق ص : ١٢٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص : ١٦٥ ٠
(٣) المرجع السابق ص : ١٢٥ ٠

أرقت أراعى النجم وانبلج الفجر

أكابد أحزانا يضيق بها الصدر (١)

ب ـ وفى شهر ذى الحجة هنأ الشاعر الأمير فيصل بشفائــــه بقصيدة مطلعــــها :

هنيت بالعيد في البطحاء والحرم

وبالسلامة من سقم ومن ألم (٢)

١٨) وفي عام (١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م) · سافر ولى العهد مندوبا عن الملك ، في حضور تتويج ملك بريطانيا ، ولما عاد في جمادى الأولى من هذه السنة استقبله الشاعر بقصيدة مطلعها :

المجد والعزة القعساء والنبل

ينالها الجد والتشمير والعمل (٣)

١٩) وفي عام (١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م) · نظم الشاعر قصيدتين :

أ ـ احداهما : في رثاء الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمــن آل فيصل ، الذى توفى في محرم حين انقلبت به سيارته ، وكان صديقا للشاعر فرثاه بقصيدة مطلعها :

أيا عين جودى بالدموع الرواكد

على الخد منها مستهل وجامد (٤)

---

(١) ابتسامات الأيام ص : ٢٥١ ·
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٢٤١ ·
(٣) المرجع السابق ص : ١٦٨ ·
(٤) المرجع السابق ص : ٢٥٩ ·

ب ــ والثانية : في توديع الأمير فيصل حين سافر الى أوروبا في ذى القعدة من هذا العام ، وهى مما لم يحوه الديوان •

وقد حدثنى ابن عمه سعود بن عبد الرحمن آل بليهد أنها مما كان يحرص على أن يتضمنه الديوان من شعره غير أنه لم يعثر عليها حين جمع الديوان •

وفي تتبعى للصحف الصادرة في المملكة عثرت على هذه القصيدة كاملة في صحيفة «أم القرى» وهى من مطولاته وأجلى سماتها أنها تحوى حديثا عن (فلسطين) حاول فيه رد دعوى اليهود بان فلسطين موطن أجدادهم ، كما عرض في اقتضاب تاريخ العرب في البلاد ، أما مطلع هذه القصيدة فهو :

يا راكب البحر في الروحات والبكر
في حفظ رب البرايا خالق البشر (١)

ومن الملاحظ هنا أن نظم هذه القصيدة كان قبل قيام «دولة اسرائيل» بعشر سنين •

٢٠) وفي عام (١٣٥٩ هـ شهر جمادى الأول ــ ١٩٤٠ م) توفى ابن عم الشاعر الشيخ عبدالله السليمان آل بليهد ، فرثاه بقصيدة مطلعها :

ما بال عينك منها الدمع ينهمر
كأنه جدول أو مدجن مطر (٢)

---

(١) أم القرى ص ٣ العدد ٧٣٦ الجمعة ٣٠ من ذى القعدة سنة ١٣٥٧ هـ ــ ٢٠ يناير سنة ١٩٣٨ م •
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٢٦١ •

٢١) وفي عام (١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٤ م) أقيم سد في أعلى «مكة المكرمة» لحجز السيول التى باتت تهدد المدينة المقدسة ، وكانت قد جارت عليها اكثر من مرة ، حتى ارتفعت في الحرم المكي الشريف الى باب الكعبة الشريفة وأحدثت أضرارا ، فلما أقيم السد ألقى الشاعر بهذه المناسبة قصيدة مطلعها :

من المقيم بأمر الواحد الأحد
معالم العدل فى الأغوار والنجد (١)

٢٢) وفي شهر ربيع من عام (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م) ٠ توفى الملك عبد العزيز ، فرثاه الشاعر بقصيدة مطلعها :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألقت الحرب والأحداث فى فيها

وهى مما لم يحوه الديوان ٠

هذه هى الأحداث التاريخية ، والمناسبات الوطنية ، التى أسهم فيها شاعرنا بأدبه الى جانب جهوده ومساهماته العلمية والعملية فى الكثير منها ، رتبناها حسب السنوات التى وقعت فيها ٠

ومما يلاحظ هنا :

١ ـ أن معظم شعره الذى ينيف على ثمانين قصيدة في أحداث تاريخية ، ومناسبات وطنية خلال ثلاث وعشرين قصيدة جلها في مناسبات خاصة ، وفيها المدح والرثاء والشكر ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٣٨ ٠

٢ ـ أن شعر الرثاء الذى تبلغ قصائده ثمانى قصائد جلها فى رثاء العلماء ، مما يؤكد ارتباطه بهم ارتباطا روحيا ، بعيدا عن الحياة ومغرياتهـــا

٣ ـ أن هناك من الأحداث الهامة والمناسبات الوطنية ما فات ابـــن بليهد تسجيلها ، وذلك ما سنخصه بالصفحات القليلة الآتية٠

أحداث ومواقف لم يسهم فيها ابـــن بليهـــد

أن المتتبع لشعر ابن بليهد يجده الا قليلا منه يدور حول مناسـبات وأحداث قامت في مجتمعه أذ ذاك ، وانه وقف شعره على رصد تلـــك الأحداث وتسجيلها ، حتى انه بلغ في حرصه على ذلك أن كان يكتـــب مقدمة يثبت فيها الحدث وتاريخه ، وتاريخ نظم القصيدة ، ولم يند عن ذلك سوى قصائد قلائل أهمل تاريخ نظمها ، ولكنه ذكر مناسباتـــها فأغنت عن التاريخ ، أو أرشدت اليه كالقصيدة التى نظمها حين أقيـم السد بأعلى مكة لحجز السيول عنها وعن الكعبة المشرفة ٠

ومما يلفت النظر في شعره أنه لم يكن يتجاوز الأحداث المحلية ٠

فمن تلك الأحداث والمواقف الجليلة التى فاته الاسهام فيها وكـان حريـــا ألا تفوتـــــه :

١ ـ المؤتمر الاسلامى الذى دعا اليه الملك عبد العزيز عام (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م) ، وكان الشيخ عبدالله بن سليمان ابن بليهد ابن عم صاحبنا ـ هو مندوب جلالة الملك عبد العزيز في ذلك المؤتمر ، وكان انعقاده حدثا هاما سجله الكثير من شـــعراء المملكة أمثال الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوى الشاعر الكبير ٠

٢ ـ العين العزيزيه :

كانت مدينة جدة ـ ثغر البلد الحرام ـ قبل عام (١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م) ـ تعانى من الظمأ ، وكان سكانها يلجئون الـــى الطرق البدائية لحفظ المياه ، كما كان حجاج بيت الله الحرام الوافدون عن طريقها يعانون من الظمأ ما يعانيه الأهالى •

وحين علم الملك عبد العزيز بهذا أمر بجلب المـــاء لها ، ولم يكن هناك من مورد أقرب من (وادى فاطمة) الذى يبعد عن مدينة جدة بستين كيلو مترا فى الشمال الشرقى تقريبا •

وفى غرة محرم عام (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م) • تدفق الماء على مدينة جده من تلك العين ، فأقام سكانها احتفالا ألقيــت فيه الخطب والقصائد الكثيرة ، فأين ابن بليهد من ذلـــــك المهرجان ؟ اذ لم نسمع له صوتا على الرغم من متابعته لأعمال الملك عبـــد العزيـــــز •

٣ ـ وتتفجر الحربان العالميتان : الأولى ، ثم الثانية ، فتـــــذوق الشعوب من الأهوال والويلات ما جعلها تعيش فى كروب لا تفر منها الا اليها ، كانما كتب عليها أن تكون وقودا لنار أوقدتها شهوات الزعماء ونزواتهم وتجار الحروب ، لكن المملكـــــة السعودية تبقى في معزل عن ذلك الصراع ، فسلمت من ويلاته وأهواله وكربه فحق لشعرائها أن يتغنوا بذلك ، وأن يشيدوا بمثل هذا وقد فعلوا ، فأين أخبار تلك الحربين عن أذن صاحبنا

٤ ـ قضية فلسطين : أما قضية فلسطين ، قضية العرب والمسلمين أجمع ، فلم يبق من شعراء العرب من لم يسجلها في شعره ، ولا

أعرف شاعرا من شعراء المملكة كبر أو صغر الا وتشغل فلسطين من شعره جانبا كبيرا ٠

واني لأعجب كثيرا عندما أجد صاحبنا لا يذكرها الا في قصيدة واحدة ، هي تلك التي ودع بها الأمير فيصل عند سفره الى أوربا عام (١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨م) ٠

٥ ـ وحين أنشئت «دار التوحيد» بالطائف ، ثم كلية الشريعة بمكة المكرمة لم نجد لابن بليهد فيهما شعرا ، مع أن الشعراء أكثروا من الاشادة بذلك العمل ، الذي من شأنه بناء العقول وتخريج جيل جديد يسهم في بناء المجتمع ، على أساس من العلم والمعرفة والفكر القويم ٠

٦ ـ وكشف النفط في «المملكة السعودية» حدث له خطره وأثره الكبير ، خاصة في مثل بلادي ، وكان حريا بابن بليهد أن يشيد بهذا الاكتشاف ، الذي در ويدر على البلاد الخيرات الكثيرة ولكنه لم يفعل ٠

٧ ـ وبويع الملك سعود بعد وفاة والده عام (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣م كما بويع الأمير فيصل وليا للعهد ، وكان ابن بليهد قد كتب في مدحهما الكثير ، ولكن لم أجد في تهنئتهما ومدحهما له شيئا بهذه المناسبة ، ويخامرني شك كبير في أنه لم ينظم في هذه المناسبة ، ذلك لمدحه لهما سابقا ، ولكون فيصل ولي نعمته بعد الله ، وقد بعثه على حسابه الى مصر ، ثم الى لبنان للعلاج ولم يكن ابن بليهد من عدم الوفاء الى حد أن يهمل هذه المناسبة ثم ان ابن عمه سعود بن عبد الرحمن ذكر أن الكثير من شعره قد ضاع ٠ ومن جهة أخرى نجد أن قصائده التي سمعنا بها كقصيدته حين سافر الى لبنان قد ضاعت ولم نعثر لها على أثر٠

تلك أحداث فات ابن بلميهد تسجيلها ، أوردناها لا على أنها مآخذ تسمح بالطعن فى الشاعر وشاعريته ،وانما على أنهـــا أحداث غفل عنها في حينها ، أو أنه لم ينفعل بها ، أو لغير ذلك من الأسباب ، والشاعر ليس مؤرخا اذا فاته تسجيل حدث أخذ عليه كمطعن ينقص من قدر ما يكتب ، وانما هو شاعر يسير خلف مشاعره وانفعالاته ليسجل ما تقوده اليه ، قد يقيم وزنـا لاهتمامات الآخرين بذلك ، وقد لا يفعل ذلك ، ولكنه على أى حال أسير مشاعره وانفعالاته •

وهذا جوهر الفرق بين الشاعر والمؤرخ تجاه الأحـداث ، فالأول حر فى أن يسجلها ، أما الثانى فملزم بتسجيلها جميعا ، لأنه يكتب تاريخا لا شعرا ، وقد يلتقى الشاعر والمـــؤرخ اذا كان الشعر ملحميا أو قصصيا ، لكنه التقاء من زاوية واحدة هى أصل الحدث ومادته ؛ أما أسلوب معالجته فيختلف جـــدا فلكل منهما أسلوبه ولغته وتصوراته وتفسيراته •

الفصل الثاني

البيئة الثقافية والفكرية في عصره

اولا : الشعر : قبل عصر النهضة :

ان من السهل جدا أن يتحدث المرء عن جزيرة العرب ـ شعرها ، وشعرائها من أيام الجاهلية الى نهاية العصر الأول من أيام العباسيين ـ اذ كانت في تلك العصور منبت الشعر ، ومستوحى الشعراء ومجلى عرائس الشعر ، ومسرح الفصحى ، الذى نمت وتدرجت فيه ، ثم أوت اليه حينما هجمتها جيوش اللحن ، فاحتضنتها وصانتها ، حتى تلقفت منها أفواه الرواة والعلماء ما تلقفت ، ثم أودعت بطون رمال الصحارى ما تبقى حينما صدف الخاطب الراغب ، وعزف الطالب ، وصار الناس الى قول ملحون بلسان ملكون ٠

ومن ذلك التاريخ بدأ الباحثون والدارسون ، يتعاورون ما تركته أعمال الرواة والجامعين السابقين من تراث لغتنا وأدبنا بالدرس والتشخيص والتحليل ، سواء من كان فى عصرنا الحديث من العرب والمستشرقين ومن كان منهم في العصور الماضية ٠

فما على الدارس في أيامنا الا أن يرجع الى ما دبجته أقلام أولئك ، فيغرف من معينه ما يشفى غلته ، ويروى ظمأه مما زخرت به كتب الأدب وتاريخه ٠

غير أن هناك فترة من تاريخ (نجد) ليست بالقصيرة ـ أحاط بها الغموض ، واكتنفها الظلام ، من كل جانب ، حتى بدت منبت الفصحى وكأنها من المجاهل التى لم يعمرها الانسان ٠

وهذه الفترة هى الواقعة ما بين العصر العباسى ، وقيام المصلح الكبير الامام محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن «الثانى عشر» ٠

ومن الطبعى والحال هذه ألا يعرف عن الشعر فى هذه البلاد «نجد» شىء فى تلك الفترة ، ألا أن النفس أبت أن تسلم بموت الشعر فى بلاد هى التى أنجبته وأرضعته لما أمتازت به طبيعتها ، التى طالما صبغت أفصح الشعر فى كل صقع من الارض ، وفى أى زمان قرب أو بعد بابدع الألوان والصور ٠

وهل أدل على ذلك من أننا لو تتبعنا شعر فحول شعراء العربية فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، لوجدنا أنه لم يخل شعر واحد منهم من ذكر «نجد» كثر أم قل ٠

فأما من القديم فخذ قول الشاعر الأموى وهو غيض من فيض :

أخا العريب أما تنفك بارقة
تسمو بطرفى الى ريان أو حضن (١)
أصبو الى أرض نجد وهى نازحة
والقلب مشتمل منى على الحزن
وأسأل الركب عنها والدموع دم
بناظر لم يخط جفنا على وسن
فهل سبيل الى نجد وساكنه
يهز من الف المصرين للظعن

(١) العريب : تصغير العرب ، وريان وحضن جبلان بنجد ٠

وكان الشاعر أذ ذاك في «الشام»

أما من الحديث فهذا حافظ ابراهيم مثلا يقول في مبايعته لشوقي بامارة الشعر :

فغن ربوع النيل وأعطف بنظرة
على مساكن النهرين واصدح وأبدع (١)

ولا تنس نجدا انها منبت الهوى
ومرعى المها من سارحات ورتع

فخص «نجدا» ببيت كامل بينما لم يعط غيرها الا شطرا واحدا ٠

أما في «الحجاز» فان الوضع لم يكن أحسن بكثير ، فقد انحسر ظل الخلافة عنها ، كما انحسر من قبلها عن «نجد» وغيرها من أنحاء جزيرة العرب ، وبذلك شاعت الفوضى والاضطراب ، ونزح الطامعون في العلم والمال والجاه والسلطان منها الى مركز الخلافة «بغداد» ثم مصر فاقفرت مجالس الذكر ، وأظلمت زوايا الفكر ، ولم ينته القرن الرابع للهجرة ، حتى صار الشعر فيها أشبه بالنظم ان لم يكن كذلك ، وندر فيها المثقفون ورواة الأدب ٠

ويرجع اهمال الخلافة فى «بغداد» لجزيرة العرب ، وعدم اهتمامها بها لسببين رئيسين :

أولهما : تحول الدول من استعمال أبناء الجزيرة العربية في الجيش والجند ، الى استخدام الفرس والترك بدلا منهم ، انقيادا للاتجاهات السياسية ، التى كانت تحكم الخلفاء في ذلك الوقت ٠

---

(١) النهران : دجلة والفرات ٠٠٠ يعنى وادى العراق

والثانى : أن جزيرة العرب لم تكن من الخصب والثراء بحيث يطمع فيها ، بخلاف البلاد الاسلامية المفتوحة «كمصر والشام والعراق» مثلا ٠
أضف الى ذلك : صعوبة المواصلات ، وبعد الشقة ، ثم سيطرة الفرس والاتراك على الحكم في البلاد العربية ٠

وظلت الجزيرة العربية ردحا من الزمن مقفرة الفكر مجدبة الآداب حتى بدأت تباشير العصر الحديث بقيام الامام محمد بن عبد الوهاب كما أسلفنا ٠

«الشعر فى عصر النهضة»

عندما نتبين (أهداف دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب ومقاصدها يظهر لنا واضحا جليا أنها انما قامت من أجل تجديد ملة المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ وتنظيف الاسلام من رواسب العقول الفاسدة ، التى تعاورته في عصوره المختلفة منذ بدء الخوض في مسائله في أواخر عهد بنى أمية الى قيام المصلح الأول محمد بن عبد الوهاب ، فهى انما كانت تعنى بالجوانب الدينية البحتة لكونها أساس ما قامت الدعوة من أجله ، فلا ضير عليها اذن ان هى لم تؤثر في الشعر أول الأمر تأثيرا مباشرا ٠

أضف الى ذلك أن الشعر كان عند الكثير من العلماء غير مرغوب فيه بل وبما عده بعضهم من الأمور المزرية بالعالم ، ولعل نشوء تلك النظرة كان مصدره أمور أهمها :

١ ـ تعريض القرآن الكريم بالشعر فى قوله تبارك وتعالى . (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) (١)

---

(١) الآية ٢٢٤ من سورة الشعراء ٠

٢ـ الأثر الوارد : لان يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلى شعراً ٠ (١)

٣ ـ ان كثيرا ممن طرقوا سبيل الشعر وامتهنوا القول فيه كانوا من المتطرفين المتساهلـــــين (٢)

لذا نجد كثيرا ما تمثل شعراؤهم بقول الامام الشافعى :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى

لكنت اليوم أشعر من لبيـــد

وتلك كانت نظرة رجال العلم والأخلاق في الشعر ، فلم يكن الشعر عندهم شعورا انسانيا ، ولا نغمات الروح البشرية حين تعرضهـــا للانفعالات المختلفة عندما نتعاورها عوامل : الفرح أو السرور المنبعث من الخير أو الشر ، أو انسيابها وراء الاحساسات التى تتدافع أمـــام القبح أو الجمال ، عندما يعرض للانسان الشاعر أو يتعرض هو لـه ، ومن شأن ذلك كله أن يخلق من الشعر عالما رحبا ، بالغ الاتساع ، يعيش فيه شكول من : المعانى ، والأفكار والتخيلات ، والتصورات تجسمت في قوالب من الألفاظ ، نسميها شعرا ، تلتقى فيها الحقيقة بالخيال ، وقد يستقل أحدهما عن الآخر ، ولكنه عالم ـ على أى حال ـ فيه الخيـــر والشر ، والقبح والجمال ، والفضيلة والرذيلة ، والسمو والاسـفاف ولكنه بعد هذا وذاك صورة صادقة ، لما يعيش في أعماق النفس البشرية من مشاعر واحساسات ، تجيش عندما تهيجها الظروف والمناسبات ، ولا يصح أن نزن ما يتخلق منها في أرحام القوالب اللفظية بموازين أهـل الفقه والوعظ والارشـــاد ٠

---

(١) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير
(٢) أى : فى جانب الخلق والدين ، كأبى نواس ، وبشار بن برد ، وحماد عجرد ٠

على اننا فى ذلك لا نسلب الشعر رسالته فى المجتمع ، ولا نحلـــه من مسئولية الاصلاح ، غير أن الشاعر والواعظ شأنهما فى الاصلاح شأن أرباب الحرف ، الكل يخدم المجتمع ويسعى الى الصالح العـــام ، غير أن لكل أدواته وأسلوبه فمطرقة الصانع ليست كقدوم النجار ، كما أن خطبة الواعظ ليست كقصيدة الشاعر .

على أنه لم يمض العهد الأول من النهضة ، حتى ظهر من العلمـاء من استخدم الشعر فى رد شبهة المشبهين من الشعراء ، الذين استخدمتهم الدولة العثمانية وغيرها .

كما استخدموا الشعر فى التذمر والشكوى ، مما أصاب البلاد من المحن والاحن والرزايا الجسيمة ، التى جرها الأتراك والجيوش التـــى جندوها للقضاء على الوهابية والوهابيين على حد تعبيرهم .

وحين شاع النظم وتوسع العلماء فى استعماله مدوا بساط شعرهم على بعض الأغراض التقليدية ، التى كانت شائعة عند العـــرب (١) فمن ذلـــك :

١ ـ المديح والتهانى ، ولما لم يكن الشعر لذاته ولا المـــادة مـــن مقاصدهم ، فاننا نجد أن شعر المديح عندهم ينقسم الى قسمين :

- أحدهما مدح العلم وبيان شرفه ، وفضيلته والتعب فـــى تحصيله ومدح الدعوة ، وما قامت عليه من أساس متين ونهج قويـــــم .
- وثانيهما مدح أئمة الدعوة وقادتها ، والثناء عليهم بمـــا بذلوه من نفس ونفيس فى سبيل أن تكون كلمةالله هى العليا

(١) من هؤلاء أحمد بن مشرف : المتوفىعام ١٢٨٥ هـ ـ ١٨٦٨ م . وعبد العزيز بن طوق ، والشيخ عبد اللطيف عبد الرحمن الأزهرى ، والشاعر ابراهيم الأسكوبى .

وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتهنئتهم بما حقق الله على أيديهم من النصر والتمكين (١) .

٢ ـ وثانى الأغراض عندهم : الرثاء ، وهو أقل عندهم من سابقه الا أنهم رثوا فيه أعلامهم ، وديارهم المنكوبة ، ومرابع العلم الدوارس ومراتعه المهجورة .

٣ ـ وثالث الأغراض : الغزل ولقد كان شعراء الدعوة أمام هذا الغرض الشعرى الأصيل بين عاملين قويين متضادين هما :

أ ـ طبيعة الدعوة التى لا تحتمل التفرغ لمثل هذا الغرض الطروب .

ب ـ طبيعة الشعر والشعراء التى تميل الى كل ما يهز النفس ، ويطرب القلب ، ويفسح مجال الخيال للتلاعب بشتى صور الجمال على لوحة الوامق الواله بريشة المجنح بالخيال .

ولقد وجد شعراء الدعوة لذلك مخلصا فيما سنه لهم كعب بن زهير ـ رضى الله عنه ـ فى صدر الاسلام فى افتتاحه مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالغزل .

لذلك جال العلماء الشعراء فى الغزل ، حتى بلغ من اكثارهم فيه أن الناظر فى شعرهم غير المتأمل لأحوالهم يخيل اليه أنه غرض مقصود عندهم لذاته ، على الرغم من أنه نسيب قصد به محاكاة الأقدمين .

---

(١) من هؤلاء : محمد بن عثيمين من عام (١٢٧٠ هـ ـ ١٣٦٣ هـ) (١٨٥٣ م ـ ١٩٤٣ م)
: وأحمد ابراهيم الغزاوى ولد عام (١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠ م)

٤ ــ والهجاء في شعرهم كثير ، ولكنك لا تكاد تخرج ببيت واحد فيه هجاء شخصى ، فقد ترفعوا عن ذلك وان كانوا أوغلوا فى هجاء المعارضين لهم ، وأكثروا من وسمهم بالجهل والفسق والفجور · (١)

٥ ــ أما الحكمة والفخر فكلاهما يأتى فى شعرهم عرضا ·

غير أننا فى باب الحكمة نستثنى الحكايات ، التى نظمها ابن مشرف على السن الطيور والحيوان ، فانها حكم ومواعظ جمة النفع والفائدة ·

هذه صورة الشعر وخلاصة حياته فى قلب جزيرة العرب «نجد والحجاز» حتى قبيل منتصف هذا القرن الهجرى ، وذلك هو الجو الشعرى ، الذى نشأ فيه صاحبنا ابن بليهد ، وتلك مناهج الشعراء الذين نهج هو نهجهم واحتذى سننهم ، فلم يخرج عن ذلك الا قليلا فيما نسب اليه ابان أقامته «بمصر» على ما سنبينه فى موضعه أن شاء الله ·

واذا كانت هذه الصورة لا تعطينا أكثر من أن الشعر فى جزيرة العرب ، فى تلك الأيام كان شعر تقليد ومحاكاة ، فان ذلك راجع الى أسباب كان من أهمها :

عزوف العلماء عن الشعر واستخفافهم به وبقائليه أول الأمر كما أسلفنا ·

ثم ان عدم النقد وخلو الميدان من الناقدين والدارسين وقلة المنافسين كل ذلك ساعد على بقاء الشعر فى اطار تقليدى محدود ·

---

(١) من هؤلاء سليمان بن سحمان ·

غير ان ما يحمد لكثير من شعراء ذلك العصر بعدهم عن الصنعة وعدم تورطهم فى المحسنات الا ما ندر ، على أن الميدان لم يخل من بعض المتكلفين كابن سحمان ، وبعض المغربين مثل الشاعر الكبير «محمد بن عثيمين» ٠

ولقد ألفوا ـ رحمهم الله ـ ختام قصيدهم بالصلاة على المصطفى وآله وصحبه والتابعين ، حتى كان ذلك من الأمور التى يتحاشى الشاعر اهمالها ، كما هى الحال بالنسبة لشعراء العامية ٠

وتلك عادة ورثوها من شعراء عهود المماليك ، والأيام التى تليهم من قبل ومن بعد ٠

وتلك على أى حال ظاهرة محمودة لا يضيرها شىء ان هى جدت فى عصور التدهور والانحطاط (١) ٠

ومهما قلنا عن الشعر فى تلك الفترة من تاريخ النهضة فى هذا الربع من بلادنا ، وما بلغه أربابه من احكام وتجويد ، فانا لا نستطيع أن ننكر أنه كان شعر محاكاة وتقليد فى جملته ٠

الا أن أولئك ـ رحمهم الله ـ تباينوا تباينا ظاهرا فى ذلك التقليد

فكان منهم من أشبه شعره شعر عهود التخلف ٠٠ كابن سحمان ٠

ومنهم من أشبه شعره شعر الفحول فى عصر الازدهار ، كالشاعر الكبير ابن عثيمين واحمد ابراهيم الغزاوى ٠

ومنهم من كان وسطا بين ذلك مثل ابن بليهد والشاعر ابراهيم الأسكوبى ، ولكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن أولئك السابقين كان لهم

---

(١) ندر فيما قبل ذلك ، ومنه قول حسان رضى الله عنه :

صلى الاله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

فى تقليدهم من الفضل على الشعر فى هذه البلاد ما قد لا يفوز بـه مدعو التجديد فى تجديدهم ٠

فلقد فتحوا ــ رحمهم الله ــ للشعر المعاصر فى هذه الربوع أبوابا كانت مستحكمة الحلكة والسواد ، وحددوا له من السبل الدوارس ، والمعالم الروامى ، والسنن المعطلة ، والمرابع المهملة ، ما سما بهم الى مصاف الباعثين المجددين أولئك هم السابقون الأولون ، وكفى بالسبق مدحـه ومنحـه ٠

غير أن هناك حقيقة ثابتة تحسن الاشارة اليها لما بينها وبين شعر أولئك الشعراء من متات ، وهى أن أولئك العلماء ــ الشعراء لم يقدر لهم الاطلاع على تلك النهضة الحديثة ، ووسائلها التثقيفية المنوعة : كالمدارس ، والمطابع ، والصحف والمذياع وغيرهما ، مما له بعيد الأثر فى تكوين العقليات المتجددة ذات النتاج الفكرى المتطبع بطابع العصر الحديث ، الملائم للذوق الناشىء فى حضن المربية الجديدة (حضـارة القرن الرابع عشر) ، (القرن العشرين) ٠

صحيح : أن بعضا من أولئك أدرك كثيرا من تلك المظاهر فى أواخر حياته مثل ابن بليهد ، غير أنها أدركتهم ولسان حالهم ينشد مع الشاعر القـديـم :

وماذا يبتغى الشعراء منـى
وقد جاوزت سن الأربعـين

او مع ابن بليهد نفسه فى قوله :

وما أنا الا فى هواهم متيـم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى

الشعر بعد منتصف القرن الرابع عشر

وحين بدأت المملكة عصرها الحديث بتناول أسباب الحياة الحديثة وما فيها من أطوار الارتقاء وصلت بتوفيق الله ، ثم بجهود أبنائها التى لا تعرف الكلال ولا الملال ، الى رتبة من التقدم توشك بها أن تدرك من سبقها ، وتسبق من جاراها فى جميع مناحى الحياة : الفكرية ، والاجتماعية ، والتجارية ، والصناعية ، والعمرانية ، وغير ذلك ٠

فما نصيب الشعر فى معترك الحياة الجديدة ، التى ورفت أفياؤها على أديم أرض أنجبت صناجة العرب «الأعشى» وزهير بن أبى سلمى وامرأ القيس ، وجريرا ، وذا الرمة ، وكثيرين غيرهم ٠

ان أرضا ـ كجزيرة العرب ـ عرفت فى ميدان الشعر بوفرة عطائها وخصوبة نتاجها ، فى فترة كانت فيها شبه معزولة ، لا يمكن الا أن تكون أوفر عطاء وأخصب نتاجا فى عصر انكشفت لها فيه جميع العوالم ، وربطتها بها شتى الروابط والصلات ٠

فهل يستطيع أبناؤها أن يعيدوا لها زعامة الشعر بعدما أفلت من أيديهم زمامها ؟

حينما تريد أمة أن تبنى لها كيانا جديدا ، فان التقليد لابد من أن يكون بداية الطريق الى الترقى والتجديد ، وفى منتصف هذا القرن كانت الحركات الأدبية الجديدة فى العالم العربى ، قد بلغت أشدها وآتت ثمارها يانعة فى بعض الأقطار العربية ، «كمصر» والشام ، والمهجر مثلا ، حيث ظهرت المذاهب الجديدة التى أشتد أوار الصراع بينها على مسرح الأدب العربى الجديد ، متمثلة فى مدارسه التى عرفها تاريخ الأدب العربى فيما خلفه أرباب تلك المدارس ٠

واذا كان التقليد هو الطريق الى التجديد فى كافة مجالات الحياة لدى كل أمة من الأمم ، فان ظهور ذلك يكون واضحا فى الفنون التصويرية ، لا فرق بين ما كان تميزه بالألوان والخطوط ، وما كان تصويره بالكلمة والنبرة أو النغم ·

ومن هذا المنطلق سار الشعر فى هذه البلاد فى مطلع النصف الأخير من هذا القرن ، فلقد أقبل الجيل الجديد ـ اذ ذاك ـ على قراءة الشعر قديمه وحديثه ، وحفظ ما يستجيدون منه ، ثم استظهار معانيه وألفاظه وتراكيبه ،واستجلاء ما فيه من صور وأفكار وأخيلة واتجاهات فاستقامت بهم الطريق حينا ،ثم غرتهم الاتجاهات الجديدة قبل أن تتحدد شخصية أدبهم ، فاختلط فيهم الحابل والنابل ، واغتر منهم من اغتر ·

وما كان أغناهم عن ذلك وهم أبناء أم الشعر ، ومرضعته الأولى «جزيرة العرب» · على أن شعراءنا بعد عام (١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م) · طرقوا بشعرهم كل مجال نظم فيه معاصروهم فى البلاد العربية الأخرى فنظموا فى القضايا : العربية والاسلامية ، وفى السياسة ، والغزل ، والاجتماع ، وغيرها ·

كما ظهر فى شعرهم كثير من اتجاهات الشعر الحديث ، كالبرم بالحياة والناس والشك وشعر الطبيعة ونحوها ، وهى اتجاهات وجدت سبيلها الى أعمالهم وان لم تأخذ شكلا التزاميا عند أحدهم ، اللهم الا شعر الوطنية ، والغزل ، فالشيخ عبدالله بن خميس جل شعره وطنى ، والأمير عبدالله الفيصل جل شعره غزل ·

وعلى الرغم من أن الاتجاهات والمذاهب الحديثة فى الأدب ، قد تفشت فى شعر لشعراء بعض البلاد العربية ، فان الشعر فى «نجد» قد بقى فى الفترة الواقعة قبل عام (١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥م) من هذا القرن غير متأثر فى جملته بتلك الاتجاهات والمذاهب ·

ولعل مرد ذلك الى أنه ما يزال فى دور الصحوة واليقظة ، ولـــذا بقى ملغى الصبغ فى جميع مناحيه ، بل أن دائرة بعضه تبلغ أحيانا من الصنعة حدا يكون الشعر فيها ترديدا سمجا لما خلفه السابقون ٠

غير أنى لا أرى فى ذلك أدنى غرابة ، فانها طبيعة الأشياء ، فالشعر فى جميع الاقطار العربية قد مر بهذا الدور عند صحوته واستيقاظه ٠

ثانيا : ● الخطابـــة ●

ان من بدهيات المعلومات فى «الأدب» العلمْ بأن بلاد نجد والحجاز فى أيام الجاهلية ، وأيام الاسلام حتى نهاية العصر العباســى الأول ، كانت مستقى الفصاحة واللسن العربى ، لا فرق فى ذلك بين الشـــعر والخطابة ، كما كان لسان «نجد آخر السن العرب تأثرا بالعجمة ، الأمر الذى جعل علماء اللغة فى زمن تدوينها أيام العباسيين يؤمونهـــا ، لالتقاط لغة العرب من أفواه سكانها ، تلك الأفواه التى لم يفح فيهـــا بعد نتن العجمة ،ولم تدنسها أدران اللحن وأوضار العجمة، وتلك حقيقة معلومة ومسلم بها ، بل هى فى الواقع فى تاريخ اللغة من أيســـــر البدهيات ، فالقول فيها من معاد الحديث ٠

غير أن جزيرة العرب التى رزئت فى شعرها وفصاحة لسانـــها ، رزئت كذلك فى خطابتها ، لكن متى ؟ وكيف كان ذلك ؟ لا أحد يعلم ٠

فلقد كانت تلك البلاد فى تاريخ عصور الاسلام الوسطى كبــلاد الأساطير ماض عامر ، وحاضر مجهول ٠

غير أنه لابد أن يكون قد أصاب خطابتها ما أصاب خطابة الأقاليم العربية الأخرى ، من جدب فى المعنى وامحال ، مع تكلف وتصنع فـــى المقال ، وركون الى المدونات بعد العجز عن البديهة والارتجال ٠

ولقد بقيت تلك البلاد على هذه الحال ، حتى قيام المجدد الأول فى العصر الحديث لحياة العرب والمسلمين الامام محمد بن عبد الوهاب الذى نفخ فيها من روحه ، ونفحها باخلاصه ، فسارت الحياة فى هيكلها اللفظى ،حتى أشرق منها الجبين ، ولان الأديم بلا ضعف ولا ارتخاء فاستأنفت مسيرتها على درب الكفاح والنضال ، طليعة للفنون الأدبية وسلاحا ماضيا لأرباب الدعوة والاصلاح ، الذين اتخذوا منها سلاحا آخر لايضاح الهدف وتحديد الاتجاه ٠

وذلك سر عناية الامام بالخطابة ، ونفض ما علاها من غبار تراكم عليها عبر عصورالانحطاط،حتى عادت الىالشباب بعدالشيخوخةوالهرم

ذلك ان التجديد قد تناول الخطابة من جميع جوانب اللفظ والتأليف والموضوع ، وخطب الامام مطبوعة وعددها ٧٦ خطبة ، وتقع فى ٩٢ صفحة ـ من القطع الكبير ٠

ولقد حلت خطب الامام محل المدونات القديمة ، فتناقلها أئمة المساجد وخطب بها منهم الخاصة والعامة ، فى المدن والقرى دون أن يخرجوا عليها ، أو يستبدلوا سواها بها ٠

وفى «الحجاز» عادوا الى المدونات القديمة من جديد ، حتى مطلع هذا القرن تقريبا ، وبعد منتصف هذا القرن ظهر أول مجددفىالخطابة بعد الامام ، وهو الشيخ عبد الرحمن بن سعدى أحد مشاهير علماء هذا العصر ، وصاحب المؤلفات العديدة فى الاسلام ، التى منها تفسير للقرآن نهج فيه منهجا جديدا فى التفسير ، ومنها ديوان خطب عالج فيها مشكلات العصر ٠

ومن طلائع المجددين فى الخطابة : الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن حسن امام الحرم المكى وامام المسلمين يوم الحج ، وله ديوان خطب قيم ٠

ومنهم أيضا : أمام الحرم المدنى الشيخ عبد العزيز بن صالح ، والشيخ عبدالله الخياط أحد أئمة الحرم المكى الشريف ٠

ولقد كان لخطب هؤلاء المجددين أثر ظاهر فى أسلوب أبناء العصر حتى غير الخطباء منهم ٠

فنجد : على سبيل المثال : ابن بليهد فى خطبه التى قدمها بين يدى بعض قصائده المطبوعة ، ومقدمة (١) لمخطوط كتابه «صحيح الأخبار» ينهج نهج الخطب المنبرية ، وذلك ما سنلمسه عند عرضنا لبعضها فى مواضعها ان شاء الله ٠

ثالثا : ● الكتابة ●

كانت الأمة العربية فى جاهليتها ، أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وفى الاسلام شغل المسلمون بالمغازى والفتوح ، زد على ذلك أن أنتشار الكتابة دائما كان فى الحواضر : كمكة ، والمدينة ، والكوفة ، ودمشق ٠

وبعد ما مضى عهد الفتوح كان نسيان التاريخ ، لقلب جزيرة العرب قد بدأ ، فمن التكلف أذا أن نحاول البحث عن أى نوع يستحق الذكر من الكتابة ، فى ماضى جزيرة العرب ، المنتهى بقيام الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب ٠

وكانت حركة الاصلاح التى قادها محمد بن عبد الوهاب ، والأمير محمد بن سعود قد استهدفت أول ما استهدفت «الاصلاح الدينى» اذ هو الأهم ، وعن طريقه يتمنى اصلاح ما فسد من الاحوال، ومن هنا ينكشف لنا سر تقدم الكتابة ذلك الذى سنجمله فيما يأتى : ـ

---

(١) يبدو انه عدل عنها عند طبع الكتاب ٠

١) ● الكتابة الديوانيـة ● :

ان المتتبع للكتابة الديوانية منذ ظهور الامام ، الى مطلع الثلـث الأخير من هذا القرن ، يجد أنها تسير فى أسلوبها ولفظها على نهجين متباينين : فتارة تلمح فيها الأسلوب العلمى واللفظ الفصيح ، وأخرى تجدها ، تجنح الى العامية فى لفظها وأسلوبها ٠

وذلك راجع الى اختلاف ثقافة القائمين بها فهم : اما من العلماء الذين لم يألفوا غير كتابه التأليف ، فتناولوا كتابة الديوان بذلـك الأسلوب ، واما من العامة الذين تعلموا القراءة والكتابة وذلك شـىء عظيم فى تلـك الأيـام ٠

وقد يعمد بعض العلماء الى ركوب العامية ، فى محاولة ايصـال الغرض المقصود الى ذهن المخاطب العامى ٠

ولقد استمر ذلك الأسلوب المتباين ، والمتباعد عما يجب أن تكون عليه الكتابة الديوانية من الوضوح والسهولة ، ومساواة اللفظ للمعنى مع فصاحة فى اللفظ والتركيب ، حتى منتصف هذا القرن الهجـرى حين نشطت الكتابة الديوانية فى الحجاز أولا ، ثم فى سائر جزيـرة العرب ، فأخذت الكتابة الديوانية تدنو من مجال أسلوبها شيئا فشيئـا حتى وصلت الذروة فى أيامنا هـذه ٠

ولقد أسهم ابن بليهد فى رقى هذه الكتابة ، وبخاصة ابان توليـه بعض الأعمال ، كجباية الزكاة وادارة مالية «الطائف» ٠

ومن كتبه فى تلك الأيام ما بعثه للامير فيصل ، حين أحال اليـه شخصا فى بعض العطاء يقـول :

سيدى صاحب السمو النائب العام ، فيصل ابن عبد العزيز آل سعود المبجـــــل ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأزكى وأشرف تحياته علـى الدوام ، أدام الله علينا وعليكم نعمة الاسلام ٠

سيدى وصلنا محمد الشريف ، وهو يحمل رسالتكم ، وصرفنا لـه المأمور به من زاد وخلافه ، وانصرف مسرورا يدعو لكم بالتوفيق وطول العمــر ٠

ونحن ياسيدى خدامكم حفظكم الله ورعاكم ٠

والسلام عليكم ورحمه الله

خادمكـــم
محمد بن عبد الله بن بليهد
٢٠ ربيـــع سنة ١٣٤٩ هـ

٢) ● الكتابة العلميـــة ● :

لقد واكبت الكتابة العلميةالنهضةالوهابية منذ بزوغ فجرها المبارك فى منتصف القرن الثانى عشر ، ولا أجد فيما قرأت دليلا ينفـــى أو يثبت وجودها قبل ذلك التاريخ ، غير أنى لا أستبعد وجود مؤلفـات : فى مجالات التاريخ ، والفقه والتفسير ، ونحوها ، أضاعها الاهمـــال وصدوف الدارسين ، وطلاب العلم عن العناية بها واقتنائها ٠

ومهما يكن فان الحكم يكون على الموجود،ونحن لانجد الا مؤلفات أئمة الدعوة ومعاصريهـــم ٠

ولقد استمرت حركة التأليف المباركة فى ازدهار متصل ، وجهــد متواصل،حتى أضاف بها أربابهاالى مكتبة الاسلام كنوزالم ينقطعمددها

ولقد أنجب هذا العصر كثيرا من المؤلفين المكثرين مع قدرة وجدارة ونفاذ بصيره .

على أن من يدرس مؤلفاتهم لابد من أن يخرج بالنتيجة الآتية :

أ) أن أسلوب تلك المؤلفات يحدد بوضوح نوع ثقافة مولفيها وذلك باتباعهم فى أساليبهم وأفكارهم لامامين جليلين : هما شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم .

غير أنهم استطاعوا التخلص من ذلك العمق الموغل المشبه للتعقيد والابهام ، الذى اتسم به غالبا أسلوب الامام ابن تيميه كما أن مسحة من لغة مؤلفات عصور المماليك تلوح على لغة مؤلفاتهم اجمالا .

ب) ركوب بعضهم للغات ضعيفة يزدريها النحاة ، كلغة «أكلوني البراغيث» على حد تعبير النحاة ومثال ذلك فى كتاب «تاريخ الحوادث فى نجد» للشيخ ابراهيم بن عيسى ونحوه من المؤلفين فى ذلك العصر .

ج) وفى الموضوع نجد أنهم لم يخرجوا عن الموضوعات الدينية الا فى القليل النادر فقط .

وأحظى الموضوعات الدينية عندهم ما يتصل بأصول الدين ، والدعوة الى الله . ثم اتسعت المدارك ، وتنوعت الثقافة واطلع العلماء على أساليب علمية حديثة ، لم يعهدوها فى قديم المؤلفات ، وذلك بعد شيوع الوسائل التثقيفية الخاصة والعامة ، فبدأت بواكير ذلك كله تظهر تدريجا .

غير أن أحقها بالذكر وأولاها بالثناء ما كتبه صاحبنا ابن بليهد من مؤلفات وتحقيق ، وهو لم يبعد كثيرا فيها عن أساليب المتقدمين ، ولكنه جانب الأساليب التى شاعت فى عصور الانحطاط ، فجاءت مؤلفاته فى الجملة واضحة الأساليب سهلة التناول ·

ثم أنه أول من فتح الباب للتأليف فى العلوم ذات الصبغة الأدبية واللغوية ، أذ لم يتناول ذلك الميدان أحد قبله فى هذه البلاد ·

٣) ● الكتابة الفنية ● :

تمتاز الكتابة الفنية عن سابقتيها ، بانها مجال رحب ، تظهر فيه شخوص المشاعر والاحساسات البشرية ، والعواطف الانسانية ، ويكون الفضل فيها لمن يتقن التلاعب بالألفاظ ، والأساليب البليغة ·

وعلى هذا تتفاوت رتب الكاتبين ، حسب تفاوت حظوظهم وأنصبتهم فى اللغة والبلاغة ·

والفنون الأدبية ، بطبيعتها انطلاقية ، تأبى القيود والسدود · غير أنا نستطيع أن نقسمها باعتبار كلياتها الى ثلاثة أقسام : الرسالة ، المقالة ، القصة ، وتحت كل كلية من هذه الكليات الثلاث جزئيات كثيرة يطول عدها ·

والكتابة الفنية ـ على هذا المفهوم ـ لم يكن لها وجود فى هذا الجزء العزيز من بلادنا الا قبل منتصف هذا القرن بعشرة أعوام تقريبا ، حينما بدأت طلائع الشبيبة المثقفة، تتناول موضوعاتها بأقلامهم المتفتحة

ولكى نكون أكثر تحريا للصواب فى حديثنا هذا · نقول : ان بذور الرسائل الاخوانيه قد غرست قبل (خمسين ومائة عام) تقريبا ، بيد

العالم الجليل ـ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملقب بالأزهرى ، لكونه درس بالأزهر وكان رحمه الله ـ كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا الى جانب ما اتصف به من سعة فى الرواية والدراية والفقه وله كتابات كثيرة وبليغة وأشعار جيدة ٠

غير أنه قد مضى على غرس تلك البذور قرن ونصف تقريبا، فماالذى أضيف الى عمل الشيخ عبد اللطيف ؟ لا شىء مطلقا ، فلقد بقيت هذه البلاد قفرا من الكتابة الفنية ، خلاء من فنونها وبدائعها حتى قبيل النصف الأول من هذا القرن ، حين بدأت طلائعها تطل فى شحوب وضمور ، شأن كل فن يبدأ من عدم مهين ٠

وكانت فى صور مقالات وبحوث ، يكتبها الأدباء فى الصحف المحلية ويعالجون فيها قضايا المجتمع فى الأدب والفكر ، والسياسة والاقتصاد والاجتماع ٠

ولم يكن لهم من المؤلفات سوى نماذج يسيره جلها كتب تراجم ، وقليل منها مختارات ٠ (١)

ولقد كان اسهام ابن بليهد فى هذه الميادين جليلا ، فلقد كان شاعرا مجيدا كما أنه مؤلف قدير وكاتب محسن ، ثم أنه أول من فتح باب التأليف فى اللغة والأدب بين أبناء جزيرة العرب كما أسلفنا ، وذلك بكتبه الثلاثة : «صحيح الأخبار»، «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» ، «تحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى» ٠ أما كتاباته الفنية فانها تشهد له بالسبق فى هذا الميدان ، كمقدمته لديوانه ، ونبذ هنا وهناك نجدها مبعثرة فى ثنايا مؤلفاته ٠

وذلك لأنه لم يتجه الى ميدان الكتابة ، بل كان اتجاهه اتجاها علميا لكن الكتابة الفنية كانت تغلب حينا على قلمه على ما سنشير اليه ، فى حديثنا عن نثره أن شاء الله ٠

---

(١) منها على سبيل المثال (من وحى الصحراء جمع الاديبين: محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بالخير ٠ و (المعرض) للشيخ محمد سرور الصبان ٠

رابعا : ● أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب فى الأدب ● :

فى مجتمع أشبع بالروح الدينية ، التى حرصت على ترسيخها دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله (١) ــ نشأ ابن بليهد ،وفيه

---

(١) محمد بن عبد الوهاب ــ امام الدعوةفى بلاد العرب ، ورائد الاصلاح فى العصر الحديث ، وزعيم النهضة الدينيــةالحديثة ، أقر له بذلك المنصفون من المفكرين عربا أو مستعربين ، وكتب عـــن سيرته ما يقرب من عشرة كتب ،وترجم لهفى كثير من الكتب ·

ولم يخل كتاب عن العرب والاسلام فىالعصر الحديث من ذكره : تاريخا كان أو فكرا ولد فى «العينية» من أرض اليمامــة«بنجد» سنة (١١١٥ هـ ــ ١٧٠٣م) وتوفى سنة (١٢٠٦ هـ ١٧٩١م) «بالدرعية»عاصمة المملكة اذ ذاك ، وتعد الآن من ضواحى «الرياض» العاصمة الجديدة ·

كان أبوه عبد الوهاب من فقهاء الحنابلة ، وقاضى «العينية» وما جاورها فعنــى بتربية ابنه وتوجيهه ، فحفظ القرآنقبل العاشرة ، وأم الناس قبل الخامسة عشرة وبرز فى فقه الحنابلة وهو صغير ،وأخذ الحديث والتفسير وعلومهما عن أبيــه وعلماء «نجد» ·

حج وأقام «بمكة المكرمة والمدينة المنورة» زمنا ، أخذ فيه العلم عن علماء الحرمين أمثال : محمد حياة السندى ، وعبدالله بن ابراهيم بن سيف ، ثم عاد الى «العينية» ليستأنف منها رحلته الثانية ، بعد انأستولى عليه القلق مما يراه ، من مظاهــــر الفساد فى بلاده «نجد» ، والحجاز فأراد أن يتسلح بالعلم لمحاربته ، فسافر الــــى «البصرة» وأقام بها زمنا ، أخذ فيــهعن مشاهير علمائها مثل محمد المجموعــــــى البصرى ·

وفى «البصرة» بدء يظهر أفكاره وأخذيجادل العلماء ، فثاروا عليه وأرادوا قتله ، ففر الى الزبير وكان يريد «الشام»فنفد زاده فعاد الى «العينية» ولكنه وجد أباه قد تركها الى «حريملاء» ، بعــد انعزله أمير العينية» فلحق بأبيه ·

ولم يبدأ نشر دعوته حتى مات والدهسنة (١١٥٣ هـ ــ ١٧٤٠ م) ، فحاربـــه السفهاء وارادوا قتله ، ففر الــــى«العينية» واتفق مع أميرها ابن معمر علــى نشر الدعوة فهدم القباب ، وقطـــعالاشجار ، وطبق الحدود ·

لكن ابن معمر ضعف أمام تهديدابن عريعر أمير «الاحساء» الذى كان يمنحه مساعدات مالية كبيرة ، فطرد الشيخالذى لجأ الى «الدرعية» حيث تم بينه وبيــن محمد بن سعود الاتفاق على نشر الدعوة وفيها بقى الامام الى أن مات رحمه الله·

من أشهر مؤلفاته : كتاب التوحيــد ،الذى هو حق الله على العبيد ، وكتاب كشف الشبهات ، وكثير من الرسائل فـــىالتوحيد ، ومختصر سيرة الرسول ، ومجموعة خطب ، وكتب أخرى فى الحديـــثوالتفسير ·

أمضى جميع أيام حياته وعليه وقف فنه نثرا وشعرا فى سبيل خدمته فأى صلة كانت بين الدعوة والأدب ؟ وأى خدمة قدمتها له وقدمها لها فى قرنين ونصف مضت على قيام تلك الدعوة ؟ •

يحسن بنا أن نقدم بين يدى حديثنا هذا ما قاله الدكتور طه حسين فى معرض حديثه عن الحياة الأدبية فى جزيرة العرب • حيث قال :

على أن الباحث عن الحياة : العقلية والأدبية فى جزيرة العرب ، لا يستطيع ان يهمل حركة عنيفة ، نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر، فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب ، واضطرته أن يهتم بأمرها ، وأحدثت فيها آثارا خطيرة هامة ، هان شأنها بعض الشىء ، ولكنه عاد فاشتد فى هذه الأيام ، وأخذ يؤثر لافى الجزيرة وحدها ، بل فى علاقاتها بالأمم الأوروبية أيضا ، وهذه الحركة هى حركة الوهابيين التى أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ «نجد» (١)

وهذا يدل على ما للدعوة من تأثير على المجتمعات العربية والاسلامية ، والأديب لا يستطيع بحكم طبعه أن يكون بمعزل عن التأثيرات التى تظهر فى مجتمعه •

ومن هنا كان طبيعا أن تؤثر الدعوة فى أدب معاصريها ، فهى ليست بدعا فى محيطهم الفكرى والعقائدى السليم، وانما كانت تجديدا لما اندرس من تعاليم ديننا الحنيف ، بعد أن تعاورت أمتنا حقب من الزمن شحنت بالفتن ، وسيطر فيها أناس جهلوا تعاليم الدين الحنيف ، لأسباب تختلف باختلاف كل طائفة وما نبتت فيه من بيئة ، وما نشأت عليه من تعاليم (٢) •

---

(١) الوان ــ طه حسين ــ طبعة دار المعارف المصرية ــ الطبعة الرابعة سنة ٧٠ م ــ ص ٤٣

(٢) اشارة الى طوائف الزنادقة الذين وفدوا على بلاد العرب والاسلام ، ثم الحملات التى اجتاحت البلاد العربية كحملة هولاكو وتيمور وأضرا بهما •

ولم يكد نور الدعوة ينبثق ويشع من «نجد» ، حتى تجاوبت أصداؤها هنا وهناك بين مؤيد لها مستبشر بمولدها ومناوىء مبغض لا فرق في ذلك بين ما قرب أو بعد ، من أقاليم جزيرة العرب أو غيرها من بلاد الاسلام ٠

اذ من المعلوم أن الدعوة بوصفها «نهضة دينية» قد تجاوزت الجزيرة العربية ، الى الأقطار النائية كالهند مثلا ٠

ولقد كان من أولئك الفضلاء الأماجد ، الذين أيدوا الدعوة واستبشروا بمولدها من تغنى بها في شعره ، فأثنى عليها ومدح امامها وتشوق اليهما ، كالأمير محمد الصنعاني ، الذى يقول : وكأنك تسمع وتحس ضربات قلبه المشوق في ثنايا أبياته الصادقة التعبير ، وتلمس عاطفته الدينية في قصيدته التى مطلعها :

سلامى على نجد ومن حل فى نجد
وان كان تسلميى على البعد لا يجدى (١)

والحديث عن أثر الدعوة في الأدب الحديث فى البلاد الاسلامية ، يتطلب مجهودا أكبر وبحثا أطول ٠

فحسبنا ـ اذن هنا ـ أن نتحدث بشىء من الايجاز عن أثر الدعوة فى الأدب والحديث ، فى البلاد العربية السعودية ٠

● الدعوة عامل من عوامل النهضة الأدبية ●

من المسلم به أن الدعوة انما استهدفت فى قيامها تصحيح الأوضاع الدينية ، وتصفية العقيدة الاسلامية مما اعتراها من شوائب ، وما شوه صفاءها ونقاءها من خرافات ، وشعوذات وأباطيل تراكمت عليها

---

(١) روضة الأفكار والأفهام للشيخ حسين بن غنام

منذ بدء الخوض فى مسائلها من أخريات القرن الأول الهجرى الى أن قام الامام محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن «الثانى عشـــر الهجرى» بدعوته المباركة ، التى غير بها وجه التاريخ فى العالم العربى والاسلامـــى ·

وكان أثرها واضحا فى سيطرة الموضوعات ، والأغراض الدينيـة على الاداب ولا سيما (فى الفترة من قيامها فى منتصف القرن الثانـى عشر الهجرى) الى مطلع (النصف الثانى من هذا القرن) حيث بـــدأ الاتصال بالعالم خارج الجزيرة العربية يأخذ شكلا أوسع وأعم ، الأمر الذى دفع أدباء الجزيرة الى أن ينهجوا نهج أدباء العرب فى مصـــر ، والشـــام ، والمهجـــر مثلا ·

غير أن ذلك التأثير انما كان فى الموضوع والأسلوب دون بعضـــض الألفاظ والفكر الممقوتة ، التى تصادفنا كثيرا عند قراءتنا لأدب الكثير من المعاصريـــن ·

واذا كانت الموضوعات والأغراض يمكن أن توصف بالنزاهة والشرف ويمكن كذلك أن توصف بالسقوط والنذالة والفساد ، وما مثل هذا أو ذاك من صفات ، فان الألفاظ والأساليب والافكار والمعانى لا شـــك توصف بذلك كله ، بل أنه لا يمكن الوصول الى الغرض المقصود حسنا كان أو قبيحا ، الا عن طريق اللفظ والأسلوب المناسبين له ·

ولقد شغلت قضية اللفظ والمعنى جانبا كبيرا من اهتمامات الأقدمين فلم تخل كتابات أحد منهم من حديث عن اللفظ والمعنى ، قل أو كثر، أخطأ أو أصاب ، ويكفينا هنا أن نورد ماهوأقرب الى حديثنا وألصق به

يقول ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ شيخ الأدباء (وأحسن الكلام ماكان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وكأن اللـــه ـ

عزوجل . قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا ، واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ، ومنزها من الاختلال ، ومصونا عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربه الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطه ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ـ أصحبها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد مالا يمتنع من ـ تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة) . (١)

ومثل ذلك ورد فى وصية بشر بن المعتمر ، التى ألقى بها الى فتيان ابراهيم بن جبلة ، وورد نحوه فى مقدمة ديوان الحماسة للمرزوقى . وفى وجوب مناسبة الالفاظ للمعانى يقول : أبو هلال العسكرى «ان الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ ، لأن المدار بعد ـ على اصابة المعنى ، ولأن المعانى تحل من الكلام محل الأبدان والألفاظ تجرى معها مجرى الكسوة ومرتبة احداهما على الأخرى معروفة.» . (٢)

وكلامهم فى ذلك كثير ربما عرضنا شيئا منه مستقبلا ، حين يقتضى البحث ذلك .

واذا كان الأديب صافى العقيدة ، نزيه التفكير سليمه ، شريف المقاصد والأهداف ، ينزع فيما يذهب اليه عن مبدأ موغل فى الرسوخ معرق فى الثبوت ، منفرد بين المذاهب بقابلية الصلاح والاصلاح ، فى كل زمان ومكان ، بصدوره عمن لا يسأل عما يفعل لكونه الموجد لكل شىء والمتصرف فى كل شىء . وهو الله .

---

(١) البيان والتبيين ج ١ . ص ٨٣ . مطبعة لجنة التأليف والنشر .
(٢) الصناعتين بتحقق البجاوى وأبى الفضل ص ٦٩ دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ م . طبعة الاستانة تصحيح محمد أمين الخانجى سنة ١٣١٩ هـ . ص ٥١

اذا كان الأديب من هذا الطراز ، فانه أشدالادباء احتياجا الى تنزيه اللفظ وشريف التعبير ، لأنه نبيل القصد شريف الموضوع ٠

ولقد كان أدباء هذه البلاد المباركة الطيبة ، من ذلك الطراز النفيس بل انهم كانوا فى ذلك قدوة ، ومذهبهم فيه أسوة ، يأتم بهم الصالحون ويسترشد بهم الراشدون ، وذلك لأنهم من غراس تلك الدعوة المباركة التى قامت على أساس من الوحى المقدس ، والسنة الغراء ، والائتمام بالسلف الصالح ، على أنك تلمح سمات التقليد لدى الأوائل ، ومحاولات التجديد لدى الأواخر ٠

فمن ذلك قول الشاعر على بن حسن العسيرى ، وهو ممن قرأ فى «الدرعية» على أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وذلك حين هزم قومه جيوش الأتراك قال : (١)

وما السر أن أبدلت قصرا مشرفا
وعرشا وفرشا بالعرا والتلدد (٢)
قالت رويدا يا أبا سعد انما
أضاق بنا ذرعا شديد التوعد
عر مرم جيش سيق من مصر معنفا
يهتك أستار النساء ويعتدى
ويسبى ذرارى الأكرمين جهارة
وينظم سادات الرجال بمقلد (٣)
فقلت لها من دونكن ودونهم
ضروب حماة بالحديد المهند

(١) تتمة الشيخ سليمان بن سحمان لكتاب«تاريخ نجد» للالوسى ص ١٢٥ ٠
(٢) التلدد ٠٠ التلفت والحيرة ٠
(٣) المقلد ــ مكان القلد ــ ويعنى مكانجمع الأسرى ٠

ضروب تزيل الهام عما ربت بـــــه
وتظهر مكنونات أجواف أكبد

وطعنا يرى نفذ الأسنة لمعـــــا
من القوم يعوى جرحها لم يسدد

قفى وانظرى يا أم عبد معاركا
يشيب لها الولدان مـن كل أمرد

وان كنت عنها فى البعاد فسائلى
ففيها أسود من «مغيد» بمرصد (١)

وفيها ليوث «الأزد» من كل شيعة
يصلون هذى الحرب نارا لمفســد(٢)

وفيها رئيس عائض حول وجهـــه
حياض المنايا أصدرت كل مورد (٣)

الى أن قال :

فيالك من يوم الحفير وما بـــدا
لريدة من طول الغمام المشيــد (٤)
ويالك من يوم اللحوم سباعـــه
شباع وطير الجو تحظى لمشهد
ويالك من أيام نصر تتابعـــت
بها من شواظ الحرب ذات التوقـــد

---

(١) مغيد ــ اسم قبيلة من قبائل عمير •
(٢) يصلون ــ يشغلون •
(٣) عائض ــ اسم رئيسهم •
(٤) الحفير ــ موضع •

الى ان قال :

بأيدى رجال من شنوءة جدهـــم
رقى بهم مجدا الى حـــذو فرقد

تدلى عليهم من صميم أصولهـــا
ثبات وبحر كالمحيـــط المزبـــد

ففاخر بهم ياخاطبا فوق منبـــر
على الناس فاقوا بالحسام وسؤدد

ليهن بنى قحطان مجد فخارهـــا
مدى الدهر فى ناد بواد وأبلد (١)

ولقد كان السلطان المبارك ، لهذه الدعوة نافذ التأثير ، علـــى ألسنة أبناء هذه البلاد ، اذ كان يحجزهم عن اللفظ النابى ، والقـــول الممقوت ، حتى فى المناسبات التى هى الى المبالغات أقرب ، اذ كـــان يلزمهم فيها الاعتدال وصدق المقال .

واذا كانت الدعوة قد تركت أثرها ظاهـرا فـــى : الألفـــاظ ، والأغراض ، والاستعمالات ، والمقاصد ظاهرها وخفيها ،خاصها وعامها واذا كان ذلك التأثير قد شمل أنواع الأدب : شـــعرا ، وكتابـــــة ، وخطابة ، فان هنالك معرضا يتجلى فيه أثر الدعوة التاريخى ، فـــى حياة الأدب ، وذلك هو أثراء المكتبة الأدبية بما دفقته أقلام كل مـــن المؤيدين لها ، المنافحين عنها والمعاندين المعارضين لها ، اذ بلغت معارك النقد والجدل والأخذ والرد ... أقصى حد من الضراوة، ووقف الباطل يسجل ضلاله وتضليله ، أمام الحق والهدى محاولا القضاء عليـــه أو

---

(١) أبلد ـ جمع بلد .

تعويقه ، فدبج النظم والقصيد ، وسطرت المقالات والبحوث ، فكانت الدواوين والمؤلفات الضخمة التى حفلت بها مؤلفات العصر الحديث •

لذا قامت حرب كلامية صال فيها وجال كل من الفريقين ، ما بين ناثر وناظم استخدما ما أوتياه من فصاحة لسان وقوة بيان •

فمن ذلك قول الشيخ محمد بن عثيمين :

شموس من التحقيق فى طالع السعد
تجلت فأجلت ظلمة الهزل والجد

قواطع من آى الكتاب كأنهـــا
بأعناق أهل الزيغ مرهفة الحـــد

اذا ما تلاها منصـف ومحقـــق
يقول هى الحق المبـين بلا جحـد

ويصدف عنها مبطل متعســــف
يقلد أراء الرجال بلا نقـــد

يجر أقاويل الرسول وفعلــــه
الى رأيه الغاوى ومذهبه المـردى

لعمرك ما التقوى بلبس عمامـــة
ولا تركها فاسلك سبيل أولى الرشد

ولكن بجوف المرء والله مضغـــة
عليها مدار الحل فى الدين والعقد

فكن واقفا عند المحارم زاجــرا
عن البغى نفسا تستبيك لما يـردى

«القصيدة» (١)

وبلغ من اعجاب بعض الشعراء بالدعوى وانقيادهم لها ، أن قاموا بنظم بعض مؤلفات زعمائها أمثال شاعر المدينة المنورة محمد الطيب الانصارى ، الذى نظم كتاب «كشف الشبهات» للامام محمد بن عبد الوهاب وسمى ذلك النظم «البراهين الموضحات فى نظم كشف الشبهات» ومن قوله فى تقديمه له : ــ

هذا وكشف الشبهات ألفه
امام وقته صحيح المعرفه
محمد بن عابد الوهاب
مجدد الدين بلا ارتياب (٢)

وفى مدح الامام ومؤلفاته ، التى كشف بها الشبهات التى غطت بصائر الكثيرين من أهل العصر ، يقول ضياء الدين رجب (٣) من «المدينة المنورة» ايضا :

ما ابن عبد الوهاب الا امام
حمل اليوم راية التجديد
قد أنار القلوب من شبهات
كان فى كشفها انتصار البنود

وكان شعراء «الحجاز» فى أيام حكم الأشراف ، يسرون ميولهم ، الى الدعوة ورجالها ، خوفا من الأشراف ، يدل على ذلك بعض نصوصهم الشعرية ، مثل قول الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوى (٤) :

---

(١) «العقد المثين» من شعر محمد بن عثيمين · دار المعارف بمصر · الطبعة الاولى ص · ٤٣٧

(٢) « البراهين الموضحات» نظم محمد الطيب الأنصارى ــ المدينة المنورة سنة ١٣٥٧ هـ

(٣) المرجع السابق ص ٤٤ ·

(٤) جريدة القبلة عدد ٧٨٦ شوال سنة ١٣٤٢ هـ ·

محبة التوحيد هيا فانفضـــــوا
ما أثارته دعاة المارقـــــين
يمموا قصدكـم «أم القـــــرى»
مظهر التقديس مثوى المتقين
فلقد خط علـــى أبوابهـــــا
ادخلوها بســـلام آمنيـــن

وكانت نفثه جريئـــه ، سرت منه فى قصيدة أنشدها ، أمام الشريف حسين بن على ٠

ومن معارض سيطرة الروح الاسلامية ـ التى قامت الدعوة مـــن أجلها ـ على نفوس شعراء هذا العصر ، ونزوعهم فى تفكيرهم عنهـــا ما تراه فى شعر الكثير أمثال محمد حسن الفقى (١) ، الذى يقول من قصيدة طويلـــة :

قالوا عن الدين الحنيف بأنـــــه
تزهى حضارتهم بغير لباسه (٢)
وتستروا خلف العروبة والهـــوى
بلد يميط الستر عنأضراسه
ياويحكم ان العروبة قد زكـــــت
بالدين وهى تعد من حراسه
هى من أقام صروحه فتطاولــــت
وهى التى نشرته من أرماسه

---

(١) ولد بمكة المكرمة (١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م) ٠
درس بمدرسة الفلاح ثم عمل بهـــامدرسا ، فرئيسا لتحرير جريدة صوت الحجاز ، ثم عمل بوزارة المالية ، فسفيرا للمملكة فى اندونيسيا ثم نائبا لرئيس ديـــوان المراقبة العامة لحسابات الدولة ثـــمطلب الاحالة للتقاعد ، ٠
وهو من الشعراء البارزين فى جزيرةالعرب ، من مؤلفاته ديوانه «قدر ورجل» ٠
(٢) ديوان «قدر ورجل» ص ١٨٣ ٠ طالدار السعودية للنشر سنة ١٣٨٦ هـ ٠

واذا كان تأثير الدعوة على شعراء جزيرة العرب ، مؤيدين أو معارضين من الوضوح ، بحيث لا يحتاج دليلا ، فان ذلك التأثير قد امتد الى خارج الجزيرة ، حيث أيدها ومدحها شعراء ، وعارضها وطعن فيها آخرون ٠

فمن المؤيدين لها فى فارس الأديب الشاعر (١)عمران بن على بن رضوان الذى يقول فى ثنائه على الدعوة من قصيدة طويلة ، يعلن فيها انتماءه اليها :

ان كان تابع «أحمد» متوهبا
فأنا المقر بأننى وهابى

أنفى الشريك عن الاله فليس لى
رب سوى المتفرد الوهاب

لاقبة ترجى ولا وثن ولا
قبر له سبب من الأسباب

وأمر آيات الصفات كما أتت
بخلاف كل مؤول مرتاب

وقد أكثر هذا من ذكر الدعوة ، وله فيها وامامها شعر كثير ، كقوله

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة
يدعون أصحاب القبور الهمد

يرجون منهم قربة وشفاعة
ويؤملون كذاك أخذا باليد

---

(١) الأسنة الحداد ـ سليمان بن سحمان ص ٥٨ ٠ ط ٠ الثانية ـ الرياض ٠

ورأى لعباد القبور تقربـــــا
بالنذر والذبح الشنيع المفسد
فدعا همو للـــه ألا تعبـــدوا
الا المهيمن ذا الجلال السرمد

أما المعارضون ، فمنهم شاعر العراق جميل صدقي الزهاوى (١) الذى نقض اتجاه الدعوة وامامها محمد بن عبد الوهاب ، فتصدى لـــه سليمان بن سمحان ، ورد عليه بأكثر من منظومة وقصيدة فى ديوانه ، منها قوله على سبيل المثال :

ألا بلغا عنى جميلا رسالــــة
فقد جاءنا بالترهات الكواذب
وفاه بقول لاحقيقة تحتـــه
وليس مقال الفدم يوما بصائـب (٢)

وانما حمل ابن سحمان على الاكثار من الرد عليه حتى أفرده بمؤلف خاص هو ما اشتمل عليه شعره من كفر والحاد كقوله :

انى امرؤ الشك لاايمان يربطنى
بالخير ان كان شيئا غير ملموس (٣)

ومهما يكن من أمر فان الدعوة قد دفعت الشعراء ـ معارضـــين ومؤيدين ـ الى معركة أنجبت لنا كثيرا من الشعر ، يتفاوت تفاوتـا

---

(١) جميل صدقي الزهاوى ـ شاعر عراقي عاش فى القرن الماضى ونصف القرن الحاضر خدم الدول التى تعاقبت على حكم العراق ، فقد خدم الدولة العثمانية ، كما خدم أيام الاستعمار الانجليزى ، وأخلص له ، ودعا الى حب الانجليز بمثل قوله : ـ
أحب الانجليز واصطفيهم لمرضى الاخاء من الانام
ولذا ولى كثيراً من المناصب ، راجع شعراء بغداد ج ٢ لعلى خاقانى ص ٣٥٤ ، ٣٦٨ ط أسعد بغداد سنة ١٣٨٢ هـ
(٢) عقود الجواهر المنضدة الحسان لسليمان بن سحمان • مطبعة المصطفوية ص ٢٤١ •
(٣) شعراء بغداد لعلى خاقانى ص ٣٦٧ سنة (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م) •

واضحا فى لفظه وأسلوبه ، ولكنه بلا شك اضافة جديدة غنية الى المكتبة العربية ، الى ما تجلى فيه من أثر الدعوة ، ذلك الأثر الذى كان أوضح معارضه ما قوى سببه بمسائل التوحيد والعقيدة ٠

أما فى النثر ، فكان الميدان أرحب ، فلقد حفلت «المكتبة العربية» بالعديد من مؤلفات رجال الدعوة المؤيدين وأعدائها المناوئين ، من أبناء جزيرة العرب وغيرها من بلاد الاسلام ، كمصر ، والشام ، وفارس ، وغيرها ٠

غير أن الأسلوب الأدبى فيها قد أختلط بالاسلوب العلمى ، حيث أقتحمتها بشكل كبير مسائل التوحيد وقواعد الدين ، كمؤلفات الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ٠ (١) ٠

---

(١) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المعروف بالأزهرى ، لكونه درس بالأزهر ، وصفه الألوسى بقوله :
علامة المعقول والمنقول حاوى علمى الفروع والأصول ٠
ولد عام (١٢٢٥ هـ ـ ١٨١٠ م) بمدينة «الدرعية» ، وتوفى عام (١٢٩٣ هـ ـ ١٨٧٦م) بمدينة الرياض ٠
وحين نقل جيش ابراهيم باشا اباه ، وبعض العلماء الى مصر كان فى صحبة أبيه وعمره اذ ذاك ثمانى سنين ، وبقى بهاواحدا وثلاثين عاما ، درس خلالها على مشاهير علماء الأزهر ، الى جانب دراسته على أبيه وخاله ٠
وممن أخذ عنهم العلم بالأزهر محمدمحمود الجزائرى ، والشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الأزهر ، والشيخ مصطفى الأزهرى ، والشيخ أحمد الصعيدى ٠
وتزوج بمصر ثم عاد منها الى بلاده عام (١٢٦٤ هـ ـ ١٨٤٧ م) فى عهد الامام فيصل بن تركى ، وجلس لطلاب العلم فى الرياض ، ثم أرسله الامام فيصل الى «الاحساء» ، وجلس للعلماء يوجههم ويقرر لهم مذهب السلف لمدة سنتين عاد بعدهما الى «الرياض» ٠
وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا ، الا أننا لم نعثر له من الشعر الا على القليل ٠ غير أن هذاالنزر ـ على قلته ـ كاف للدلالة على أن الشيخ قد تأثر برجال الطبقة الأولى من شعراء «مصر» الذين يحتمل أن يكون قد قرأ لهم ٠
ومن مؤلفاته : ـ
«مصباح الظلام» ، «التأسيس والتقديس» وكتب أخرى ٠
وتشغل رسائله جانبا كبيرا من كتاب «الدرر السنية فى الأجوبة النجدية» لو أفردت لزادت على مجلدين ٠

والشيخ سليمان بن سحمان (١) ، والشيخ محمد رشيد رضا (٢) من المؤيدين • ومن المعارضين أحمد زينى دحلان (٣) ، أحد علماء «الحجاز» المتأخرين له مؤلفات كثيرة فى التاريخ والنحو وغيرها منهـا « الدرر السنيه فى الرد على الوهابية» •

---

(١) هو سليمان بن سحمان (١٢٦٩ هـ - ١٣٤٩ هـ - ١٨٥٢ م - ١٩٣٠ م) ولد بأم سقا من بلاد عسير •
أنتقل مع أبيه الى «الرياض» ، وبهادرس فى المدرسة التى أسسها أبوه ، كمـا أخذ عن علماء الرياض أمثال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن وتأثر به •
وحين هاجت الفتنة بين أبناء الامام فيصل ، انتقل ابن سحمان مع أسرته الـى «الافلاج» بالجنوب ، وبها درس على ابن عتيق ، وبعد ستة عشر عاما عاد الـى «الرياض» ، ثم ذهب الى «حائـل» لاحقا بابن شيخه عبدالله بن عبد اللطيف ، الذى نقله ابن رشيد الى هناك ، ثم عاد معه الى «الرياض» حين عاد •
ولى بعض الأعمال كجباية الزكاة ورياسة الجند بالافلاج، غيرأن جل عمله كان فى نسخ مؤلفات السلف ، والتأليف الرد على أعداء دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب شعرا ونثرا ، وفى آخر عمره كف بصره ، فسافر الى البحرين للعلاج ، ثم عاد الى «الرياض» دون جدوى ، وقد نال عناية الملك عبد العزيز الى أن مات رحمه اللـه •
من مؤلفاته : «ديوان عقود الجواهر» و «تبرئة الشيخين» وكتب أخرى •

(٢) هو الشيخ محمد رشيد رضا : ولد عام (١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥م) • بقرية «قلمـون» بالشام ، أخذ عن جملة من العلمـاء بالشام أعجب بمقالات جمال الدين الأفغانى فى مجلة العروة الوثقى وكاتبه ، والتقى بالامام محمد عبده فى «طرابلس» فأعجب به ، وحمله ذلك الاعجاب على السفر الى مصر للحاق به عام (١٣١٥ - ١٨٩٧) •
وبالقاهرة التقى بمحمد عبده وتوثقت بينهما الصلات ، كما التقى بعلماء الأزهـر ورجال الفكر «بمصر» ، ثم أصـدر مجلة المنار عام (١٣١٥ - ١٨٩٨م) ، وظل يجاهد ويناضل فى سبيل الاسـلام ، واصلاح ما فسد من أوضاع المسلمين ، وتبنى رسالة شيخه الجليل الامام محمد عبده
وله الى جانب ما حوته «المنار» ومقالاته : فى الصحف ، والمجلات ، تفسيـر المنار ، وكتب أخرى •

(٣) من عام (١٢٣١ هـ - ١٨١٦ م) - (١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م) •

● أما الخطابـــة ●

فان تأثير الدعوة فيها كان تأثيرا مبكرا ومباشرا ، اذ تخلصت على يد الامام محمد بن عبد الوهاب زعيم الدعوة ، مما سيطر على أسلوبها ولفظها أيام عصور الانحطاط ، من تعقيد وابهام فى الأسلوب ، وتكلف واغراب فى الألفاظ ، ونبذ الموضوع القائم على الوعد والوعيـــد ، وصارت تعنى بموضوعات الساعة،لكنها بدأت بالأهم : كمحاربة الشرك والزنا وشرب الخمور ، وأكل الربا وغير ذلك من مظاهر الفســـاد ، التى سيطرت على ذلك المجتمع ، وأكدت على الترغيب فى التمســـك بالتوحيد وأداء فرائض الاسلام : كالشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ونحو ذلك · مما نراه جليا فى خطب الامام ·

غير أن ذلك التأثير فتر بعد وفاة الامام ، لتشبث كثير من الخطباء بترديد خطب امامهم · ومر بالخطابة فترة جمدت فيها ، حتى فى البلاد التى خرجت عن سيطرة زعماء الدعوة ، واقتصر خطباؤها على مخلفات عصـــور الانحطـــاط ·

وفى أواخر النصف الأول من هذا القرن الهجرى ، أستأنفت الدعوة نشاطها فى التأثير فى الخطابة ، لا فى المساجد وحدها ، بل وفى الأندية والمحافل ، وذلك على يدى بعض المجددين أمثال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى صاحب المؤلفات العديدة فى الاسلام ·

ولم يكن ابن بليهد فى معزل عن ذلك التأثير ، بل ان روح الدعوة تسرى فى جميع شعره ونثره ، على ما ستراه مفصلا فى أبواب بحثنا هذا أن شاء الله ، فلندع هذا الحديث لمواطنه من البحث ·

الفصل الثالث

البيئة الاجتماعية

عندما ننظر الى الحياة الاجتماعية فى عصر ابن بليهد ، نجد أنها حياة ضاربة بجذور عاداتها وتقاليدها ، فى أصول استحكمت وتحكمت فى المجتمع الجاهلى ، فلما جاء الاسلام نقل المجتمع من حياة كلها : فوضى وفساد وتفكك وانحلال فى كافة مناحى الحياة ، الى مجتمع كله نظام واستقرار ومحبة ووفاء وصدق فى الاخاء ، وحسن فى المعاملة ، واستقامة فى السلوك . مجتمع تحكمه دولة واحدة ، وتشريع واحد ونظام موحد ، فى كافة المجالات : القوى والضعيف فيه سواء ، لأن العدالة الالهية هى التى تحكم الجميع .

غير أن رواسب العادات والتقاليد والأخلاق الجاهلية ظلت نائمة فى الأعضاء الخاملة من ذلك المجتمع ، كلما أحست غفلة من السلطان استقيظت وتحركت استعدادا للوثوب ، لكنها ظلت خاملة ، حتى ضعف وتقلص عن جزيرة العرب سلطان دولة الاسلام .

من هنا أستأنفت عادات المجتمع الجاهلى وتقاليده حياتها من جديد. ونحن نعلم مما رواه لنا التاريخ أن جزيرة العرب لم تحظ من الخلافة التى كان مركزها «دمشق» ثم «بغداد» بالكافى من الاهتمام ، بل ان اهتمامات بنى أمية ومن بعدهم بنو العباس ، كانت فى جزيرة العرب مقصورة على «مكة والمدينة» وما جاورهما من بلاد الحجاز والطرق والمسالك المؤدية اليهما ، وذلك ماجر البلاد تدريجا الى العودة الى

أوضاعها الاجتماعية الفاسدة ، التى ألفها المجتمع الجاهلى ، فتمزقت وحدتها لتمزق السلطان ، وعاد السلب والنهب ، وشاع الفقر والجهل ونشط الربا والزنا وغير ذلك من فاسد الأخلاق والعادات ، وبذا عادت جزيرة العرب الى جاهليتها الأولي ، حتى قيام دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن «الثانى عشر الهجرى» النصف الأول من «الثامن عشر الميلادى» .

وقد وصف ذلك الحال المؤرخان الجليلان عثمان بن بشر وحسين بن غنام .

أ ـ) أما الشيخ ابن غنام ، فقد قال :

(وعدلوا الى عبادة الأولياء والصالحين ، وخلعوا ربقة التوحيد والدين فجدوا فى الاستعانة بهم في :
النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث وأقبلوا عليهم فى طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات ، وكثير يعتقد النفع والاضرار فى الجمادات كالأشجار والأحجار .

وفى بلدة «الفدا» ذكر النخل المعروف بـ ـ الفحال ـ يأتونه النساء والرجال ، ويفدون بالبكر والآصال ، ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج ولم يأتيها لنكاحهاالأزواج فتضمه بيديها بحضور رجاء الانفراج ، وتقول : يا فحل الفحول ، أريد بعلا قبل الحول)(١)

---

(١) روضة الأفكار والأفهام ص ٧ ـ حسين بن غنام ـ الطبعة الثانية .

وهذه أمور كما نراها لا تختلف كثيرا عما كان يفعل الجاهليون ، الذين قال فيهم القرآن الكريم : ● (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ● (١)

وتلك أمور كانت محور الحديث فى مؤلفات أئمة الدعوة، وخطبهم ، ورسائلهم ، بل لقد غلب الحديث فى العقيدة على أقلامهم ، وقل ان تناولوا بها غير ذلك من مسائل الدين كالفقه والتفسير ، ونحوها ٠

هذا هو حديث الشيخ حسين بن غنام (٢) المعاصر للامام ٠

---

(١) سورة الزمر ــ الآية ٣ ٠

(٢) ابن غنام : هو الشيخ حسين بن أبى بكر بن غنام ، الاحسائى موطنا ، المالكى مذهبا التميمى نسبا ٠

ولد ببلدة «المبرز» ودرس على علماء الاحساء ، ثم انتقل الى «الدرعية» فى حياة محمد بن عبد الوهاب : فأخذ عنه ،وكان موضع التقدير والاعزاز من الامام ،وقد جلس لطلاب العلم فى النحو والعروض ٠

من مؤلفاته : «العقد الثمين في أصول الدين» ، «روضة الأفكار والأفهام» مؤلفة التاريخى الشهير ، وقد طبع ثلاث مرات غير أن الطبعة الأخيرة ، التى حققها ناصر الدين الأسد ، قد تصرف فيها وحذف منها مالا يتصل بالتاريخ ، كقصائد المؤلف الخمس الطوال ، وقصيدتين اختارهما من قصائد الامام محمد بن اسماعيل الصنعانى ، »ورسالة الفواكه العذاب«للشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، وحديثين مسلسلين رواهما بالاجازة محمد بن عبد الوهاب ، كما جرد الكتاب من السجع وصاغه صياغة جديدة ، غير أنه وان أحسن صنعا فى تجريد الكتاب من السجعات ، الا أنه قد أساء ، اذ لم يشر الى ما حذف ، كما أشار الى عملية التجريد ٠

ثم أن العمد الى صياغة المؤلفات القديمة صوغا جديدا ، عمل يجب الا يفسد مقاصد المؤلفين وأساليبهم ، ونحن نستطيع الاستفادة من هذه المراجع بوسائل أخرى ، ليس هذا مجال بحثها ٠

وابن غنام يعد من طلائع شعراء النهضة ، وان كانت مسائل الدين تقتحم شعره ، فتقلبه فى كثير من الأحيان الى نظم أما أسلوبه فسجع متكلف يشبه الى حد كبير أساليب الجبرتى وأمثاله ، الذين يؤثرون المحسنات ، ويركبون ضعيف اللغات ، بل ربما صاروا الى اللحن حينا ٠
وقد توفى ابن غنام «بالدرعية» عام (١٢٢٥ هـ ــ ١٨١٠ م) ٠

ب) أما المؤرخ عثمان بن بشر ، فيقول فى معرض حديثه عن الامام محمد بن عبد الوهاب :

كان ــ رحمه الله ــ فى صغره كثير المطالعة ، فى كتب التفسير والحديث وكلام العلماء فى أصل الاسلام ، فشرح الله صدره فى معرفة التوحيد وتحقيقه ، ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه • وكان الشرك اذ ذاك قد فشا فى «نجد» وغيرها ، وكثر الاعتقاد فى الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذرلها واستعاذة بالجنوالذبحلهم،ووضع الطعام لهم، وجعله لهم فى زواياالبيوت لشفاء مرضاهم،ونفعهم وضرهم،والحلفبغير واستعاذة بالجن والذبح لهم ، ووضع الطعام لهم ، وجعله لهم فى زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ، ونفعهم وضرهم ، والحلف بغير الله وغير ذلك ، من الشرك الأكبر والأصغر • والسبب الذى أحدث ذلك فى نجد والله أعلم ، أن الاعراب اذا نزلوا فى البلدان وقت الثمار وصار معهم رجال ونساء يتطببون ويداوون ، فاذا كان فى أحد من أهل البلد مرض أو فى بعض أعضائه أتى أهله الى متطببة ذلك القطين من البادية ، يسألونهم عن دواء علته ، فيقولون لهم : اذبحوا فى الموضع الفلانى كذا وكذا : اما خروفا مهما اسود ، واما تيسا أصمع ، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهله ، ثم يقولون لهم : لا تسموا الله على ذبحه ، واعطوا المريض منه كذا وكذا ، وكلوا منه كذا واكذا، واتركوا كذا وكذا فربما يشفى الله مريضهم فتنة لهم واستدراجا ، وربما يوافق وقت الشفاء ، حتى كثر ذلك فى الناس وطال عليهم الأمد ، فوقعوا بهذا السبب فى العظائم ، وليس للناس من ينهاهم عن ذلك ، فيصدع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون الا ظلم الرعايا ، والجور والقتال لبعضهم بعضا •

فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ، ومعرفة نواقضه وما كان وقع فيه كثير الناس من هذه البدع المضلة، صار يتكر هذه الأشياء واستحسن الناس ما يقول ، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون ، ولم يزيلوا ما أحدث المتبدعون ٠٠٠٠ الخ ٠ (١)

هذا ما قاله عمدة مؤرخى «نجد» فى عصرها الحديث الشيخ عثمان بن بشر (٢) ٠

والدعوة التى قادها الامام محمد بن عبد الوهاب فى عام (١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م) قد أحدثت انقلابا كبيرا وتغييرا شاملا فى الأوضاع الاجتماعية ، كما أحدثت ذلك الانقلاب فى الأوضاع الدينية والسياسية

فالدعوة قد نقلت مجتمع جزيرة العرب ، من مجتمع متخلف الى مجتمع يلتزم التزاما كاملا بتشريع الاسلام وأحكامه فى الدين والسياسة والاجتماع وغيرها ، ويتخذ علماؤه من رجال السلف الصالح أمثال :

---

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد ص ، ١٧ عثمان بن بشر ـ ط صادر بيروت سنة ١٣٨٧ هـ ٠

(٢) عثمان بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن بشر النجدى الحنبلى ، مؤرخ نجد فى عصرها الحديث ، شارك فى الفلك والحساب ٠
ولد «بشقراء» عاصمة أقليم الوشم بنجد وبها قضى شطرا من حياته ، حج عام (١٢٢٥ هـ ـ ١٨١٠ م) ، والتقى بعلماء الحجاز ، ثم استقر به المقام «بجلاجل» من اقليم «سدير» ، وبها توفى عام (١٢٨٨ هـ ـ ١٨٧١م) ٠

وهو أشهر المؤرخين لنجد ، كتب فى ذلك كتابه «عنوان المجد فى تاريخ نجد» وله مؤلفات أخرى منها : «بغية المحاسب فى الحساب» ، والارشاد بمعرفة السبعة السيارة ، فهرس طبقات الحنابلة لابن رجب وكتب أخرى ، كتب عنه الدكتور عبد العزيز الخويطر وزير المعارف حاليا كتابا سماه (عثمان بن بشر منهجه ومصادره) انظر معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ ص ٢٥٩ جـ ٦ ط بيروت ، الاعلام ـ خير الدين الزركلى ـ جـ ٢ : ٢٧١ ، وعثمان بن بشر للدكتور عبد العزيز الخويطر ط الرياض مؤسسة الجزيرة سنة ١٩٧٠ ، «وعنوان المجد فى تاريخ نجد» لابن بشر ط بيروت ٠

ابن حنبل ، وابن تيمية ، وابن القيم لهم مثلا ، حتى أزيلت مظاهر الشرك ومعالم الوثنية فقطعت الأشجار ، وهدمت القباب ، ونثرت الأحجار الى غير رجعة ·

ولقد استطاعت ثورة الامام محمد بن عبد الوهاب أن تقضي على جميع مظاهر الفساد ، كالوثنية والتمزق السياسى ، والزنا والسرقة ، والسلب والنهب ، والربا وغيرها ، وأن تشيع بدلا من ذلك : التوحيد والاتحاد ، والمحبة والأمانة والصدق والاخلاص وغير هذا من مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات والتقاليد ، التى أقرها ودعا اليها الاسلام·

وساعد توحيد البلاد فى دولة واحدة ، تمتد حدودها من «الخليج العربى» الى ـ البحر الأحمر ـ ومن بوادى الشام ، والعراق حتى مشارف «صنعاء» ساعد ذلك على ضبط ذلك المجتمع ، والتحكم فى ظواهر السلوك والأخلاق ، والعادات ، والعبادات ، والمعاملات فيه حتى سارت أحوال ذلك المجتمع فى مجراها السوى ، الذى يريده لها الاسلام ·

غير أن تلك الحياة السوية القويمة لم تدم طويلا ، فقد مزق اهابها وقطعت أوصالها بأيدى الأتراك ، وأبناء محمد على عام (١٢٢٩ هـ ـ ١٨١٣ م) فلم يلتئم لها بعد ذلك شمل الا ليطارده الانشعاب ، ولم يستقر حال الا ليقذف به من الشقاق زلزال ، وليس غريبا أن تسوء الأوضاع الاجتماعية فى مثل هذه الأحوال ، فيفقد الامن والاستقرار ويكثر السلب والنهب وقطع الطريق ، وتشيع الفاحشة،ويستباح الربا وتنتهك المحارم ، وتحترف السرقة والاختلاس ،مجتمع لا يطمئن انسانه الى ما هو عليه من حال يمسى غنيا فيصبح فقيرا ، ويصبح فقيرافيمسى غنيا ، لأن القوة والمكر والخديعة والاحتيال هو كل سلطانه ، بعدما

تمزقت وحدته ، وصار لكل قبيلة صغرت أو كبرت زعيم ، تأتمر في الغالب بأمره ما دام قويا ،فان غلبه على أمره آخر صار له السلطان ٠

وفى خضم هذه الحياة المضطربة المضطرمة ، بشتى صنوف الفوضى والفساد ، قضى شاعرنا محمد بن بليهد شطرا من حياته ، بل أكثرها وأخصبها ، اذ أن توحيد هذه البلاد ، واستتباب الأمن والاستقرار ، والنزوع عن العادات والتقاليد البالية ، واستعادة سلطة الشريعة الاسلامية ،وعقيدة التوحيد على المجتمع والنفوس ، انما بدأت تقوى وترسخ فى أواخر النصف الأول من هذا «القرن الهجرى» وذلك على يد المغفور لهالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، الذى تم على يده توحيد أكثر أجزاء جزيرة العرب باسم «المملكة العربية السعودية» ٠

واذا كانت مظاهر الوثنية ، التى كانت قائمة قبل الامام محمد بن عبد الوهاب ، تلك التي أوردنا شواهد من وصف المؤرخين : ابن بشر وابن غنام لها ـ اذا كانت هذه المظاهر ـ قد أختفت ، فان كثيرا من العادات والتقاليد ، والأوضاع الفاسدة قد نشطت من جديد ، حين ضعف سلطان الدعوة ٠

وفى كتب صاحبنا ابن بليهد «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الاثار» ، ـ وتحقيق صفة جزيرة العرب ـ للهمدانى ، وما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، أحاديث كثيرة عن الأوضاع الاجتماعية السائدة اذ ذاك ٠

فعلى سبيل المثال ذكر فى رحلته الى «المدينة المنورة» استصحاب المسافر الخائف على ماله ونفسه ، رفيقا يمنعه من القبائل ، التي تقطن فى طريقة على أن يكون هذا الرفيق من أبناء تلك القبائل ، كما ذكر

سلطة القبائل الحجازية فى أرضها ، وأن حكم الشريف فى «الحجـــاز» انما كان صوريـــــا (١) ٠

وفى خبر رحلته الى «حوطة بنى تميم» ذكر أن القادم على تلـــك البلاد أذا أراد السلامة ، فلا بد أن يطعم من طعام أحد رجالها ، ليظل فى حمايته مدة أقامتـــه (٢) ٠

وفى مذكراته الثلاث الملحقة بالجزء الخامس من كتابه «صحيح الأخبار» أحاديث عن اللصوص ، وقطاع الطرق ، وعن بعض العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة اذ ذاك (٣) ولها نظائر كثيرة فى كتبه الثلاثة كما أسلفنـــا ٠

واذا كانت تلك العادات المرتبطة بالأمن والسلطان ، قد أنتهـــت باستتباب الأمن بعد توحيد البلاد ، على يد الملك عبد العزيز عـــام (١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥م) فان ذلك المجتمع لم يستطع أن يتخلص بسرعة من كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية البالية ، التى منبعها الجهل ثم الحفاظ على ما توارثه الآباء والأجداد ٠

ومن ذلك ما يصح أن يسمى بالعصبية القبيلية ، فقد كان فيهم ما عرف : «بالقبيلى» والخضيرى ، أو الشيوخ والعبيد ، ومقتضاهما أن المجتمع طائفتان : قبيليون أى شيوخ ، وهم السادة ولا يكون أولو الأمر الا منهم وخضيريون أى عبيد ، وهم الأتباع وكل طائفة منهم معروفـة بولائها وتبعيتها لاحدى قبائل السادة ، وفيهم تكون : الحرف والمهـن كالحدادة ، والنجارة ، والحياكة ، والجزارة ، والدباغة ، ونحوها من

(١) صحيح الأخبار ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ ٠
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق

الحرف التى يراها القبيليون شائنة لهم ، لا تتناسب مع مركزهم الاجتماعى ، وليس للخضيريين حق فى الزعامة اللهم ألا أن يبرز فيهم عالم فيحترم ويجل لعلمه ٠

واذا كانت هذه العادة قد انقرضت ، وصار الناس سواسيه ، لا يفضل أحد أحدا الا بخلقه ودينه وما يقدمه لمجتمعه من خدمات، فان شيئا من رواسبها ، ما زال يعيش في بعض النفوس، فالقبيليون والخضيريون لا يتزاوجون فى بعض البلاد حتى الآن ، على أنه قد برز فى الخضيريين فى أيام الملك عبد العزيز وبعده بعض الرجال ، الذين تولوا أعلى منصب فى الدولة بعد ولى العهد والنائب ، فقد كان حمد بن سليمان أول وزير للمالية فى عهد الملك عبد العزيز (١) ٠

أما الرقيق ، فقد نشط نشاطا فظيعا بعد منتصف هذا القرن (الرابع عشر الهجرى) ، لكن حكومة الملك فيصل رحمه الله قد قضت على تجارة الرقيق قضاء مبرما بشراء الأرقاء ، ثم اعتاقهم على شيء من المال كما حظرت حظرا تاما مشددا تعاطى بيع الرقيق ، بقرار صدر من الحكومة منذ ما ينيف على خمسة عشر عاما ٠

أما موقف ذلك المجتمع من الأفكار الجديدة ، والمخترعات الحديثة فشأنهم فى ذلك شأن المجتمعات المتخلفة ، ــ والانسان عدو ما جهل ــ ، فقد كرهوا الراديو واللاسلكى وما شاكلها فى بداية ظهورها بينهم ، واعقب ذلك اقبال واعجاب بها ٠

غير أن ذلك المجتمع ، الذى عاش فيه شاعرنا ابن بليهد اكثر حياته قد تغير تغيرا كاملا شهد بواكيره ــ رحمه الله ــ قبل وفاته ٠

---

(١) من المعلوم أن هذه التفرقة خلاف ما تقتضيه العلاقات الانسانية والاسلامية ، وأنه لا فرق بين هؤلاء وأولئك فى القدرات وانما هى العادات والتقاليد التى تحجب بعض القدرات وقد انتهت الآن ٠

وكان هذا المجتمع يتخلص من رواسب عاداته وتقاليده البالية بسرعة هائلة تشبه سرعته فى الثراء عندما كشف النفط ، وسرعة فى التعليم والعمران وغير ذلك من مناحى الحياة ، التى ظل يقفز فيها قفزا عشوائيا تارة ومنظما أخرى ، حتى أستقرت له الحال فى حياة مطمئنة منظمة ٠

وحين نبحث عن ابن بليهد الشاعر فى خضم الحياة الاجتماعية لا نجده الا من خلال قصيدة (١) نظمها فى السد الذى أقيم أعلى «مكة المكرمة» حتى شعره العامى لم يكن لشئون مجتمعه فيه نصيب ٠

وقد نجد البيت والبيتين (٢) فى القصيدة فى أثناء مدحه للملوك والأمراء ، أو فى قصائده الأخرى ، ولكنها نتف لا تكفى للتدليل على أنه أسهم فى قضايا مجتمعه ٠

على أنه قد ذكر الكثير من أحوال ذلك المجتمع ، فى أحاديث مسهبة استطرادا فى كتبه الثلاثة ، وقد يطفح شيء من ذلك على أديم شعره حينا ، فى صورة تنم عن ازدراء لبعض الحرف والمهن ، وتعيير أصحابها بها كقوله يهجو الجيش اليمنى :

جاؤا بهم من قرى شتى مصادرها
من حاكة البرد أو دباغه الأدم

ظنوا بأن لقا نجد وصدمته
عند الملاحم أكل العيش فى البرم (٣)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٦٣ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٧١ ٠
(٣) ابتسامات الأيام ١٥٤ ٠

الفصل الرابع

البيئة الخاصــــة

حياة ابن بليهد : أسرته ، مولده ونشأته ،دراسته،رحلاته ،زوجاته وأولاده ، ملامح من شخصيته ، معيشته ، رثاؤه

١ ـ أسرتـــــه :

لقد نشأ ابن بليهد فى بيت التقت فيه الرياسة والسيادة بالعلم ، كما التقت به حياة البدو بحياة الحضر ، والتقت فيه التجارة والفلاحــــة ، فأبوه وجده من الأمراء ، وعمه عبدالله بن سليمان وأحد أجداده مـــن علماء الدين ورجال القضاء ، وعمه عبد العزيز تاجر ، وفى أسرتـــه فلاحون وكثير من شعراء العامية ، فقبس صاحبنا من هذا وذا ، وتأثر بذلك وذاك ، فكأنه خلاصة وصفوة عشيرته ، فأهله ذلك لأن يكون أعز ندماء الملوك فى زمانه وأقربهم الى مجالسهم الخاصة والعامة ٠

أما أمه فلا ننتظر أن نخرج من السؤال عنها بشيء ، فالنساء فـــى عصره وما قبله كن كسائر المتاع ـ ان صح هذا التعبير ـ أو كالجوارى اللائى لا يملكن من أمرهن فضلا عن أمر غيرهن شيئا ـ وكان قصارى ما تصل اليه المتعلمة فيهن أن تحفظ شيئا من القرآن الكريــــم ، أو تستطيع تلاوة المصحف الشريف ، فلم تكن تعد المرأة فى تلك الأيام الا لأن تكون ربة بيت حسبما يتطلبه البيت اذ ذاك ، وحسبما تسمح بـــه مفهومات ذلك العصر ، وليس من شأنها ان تشتغل بالتعليم ، أو العمل خارج البيت ، ويندر أن تشارك الرجل وتعاونه فى الفلاحة ، واذا كان

ذلك ففى الطبقات الأدنى فى المجتمع ، أما مثل بيت صاحبنا فحـــرام عليهن ذلـــــك ٠

٢ ـ مولده ونشأتـــه :

فى سنة (١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٢م) (١) ولد محمد بن عبدالله بـــن عثمان بن سعود بن محمد بن بليهد النجدى ببلدة «غسلة» المعروفة قديما «بذات غسل» ذكرها ـ الشاعر الأموى ذو الرمة فى شعره فقال :

وقمنا فرحنا والدوامع تلتظـــــى
على العيس من شمس بطىءزوالها
ولو عبرت أصلابها عند بيهســـ
على ذات غسل لم تشمس رحالهــا

وقال المزرد بن ضرار مخاطبا المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام :

تعلم رسول الله أنا كأننـــــا
أفأنا بأنمار ثعالب ذى غســــل

وقال سمرة بن زيد المستملى :

أيا ذات غسل يعلم الله أننــــى
لجدك من بين البــلاد صديـــق
وياذات غسل ريج أرضك طيـــب
كمسك لقابين الصلاء سحيـــق

(وذات غسل) ـ ثانية قريتين متجاورتين باقليم «الوشم» تعرفان بالقرائن احداهما «غسلة» ، ذات غسل ، والثانية «الوقف» فى الوشـم الذى هو أحد أقاليم «نجد» وهو الذى يقول فيه الشاعر :

---

(١) انظر صحيح الأخبار ٢ : ١٣٢ الطبعة الثانية ٠

متى أمر على الشقراء معتسفـــــا
خل «النقا» بمروج لحمها زيـــم
والوشم قد خرجت منـــه وقابلهـــــا
من الثنايا التى لم أقلهـا ثـــــرم

ويشتهر أهل «الوشم» بالعمل فى النجارة اكثر من غيرهـــا ، وان كان للزراعة من مجهوداتهم نصيب وضربوا فيها بسهم وافر ، خاصة فى العصر الحديث ٠

وكانت قريته فأقليمها المهد ، الذى تقلب فيه وقضى أجمل أيـــام العمر ـ أيام الطفولة والصبا ـ فى كنيف أسرته ، التى تنتمى الى بنى خالد ، وتعرف برجالها الذين اشتهروا : بالعلم والرياسة والتجارة ٠

أما صاحبنا فقد التقت فيه : السيادة ، والتجارة ، والعلم والأدب فكان بهذه يمثل القمة بأسرته ٠

لقد نشأ ابن بليهد محوطا بعناية أسرته ، ولعل أباه كان يتوسم فيه ما يتوسم السادة فى النجباء من أبنائهم ، فعنى به وأدناه من مجلسه ، ليسمع مايدور فى المجالس من حكايات وأحاديث ، عن الشجاعـــــات والبطولات وما تستتبعه تلك الأحاديث من : طرف وملح ونوادر ورواية للاشعار ٠ وتلك هى المدرسة ، التى كان يتثقف فيها أبناء «نجد» فـــى ذلك الزمـــــــان ٠

٣ ـ ● دراسته ومصادر ثقافتـــــه ● :

وحين بلغ السادسة من العمر الحقه أبوه بمدرسة القرية ، التـــى كان قصارى ما تطمع اليه تعليم : القراءة والكتابة وشىء من الحساب وقواعد الخط والاملاء ، أما غاية ما تصبو اليه ـ وهو عظيم ـ فقراءة

القرآن وحفظه ، أو شيء منه ، أما ضروريات العبادة والعقيدة ، فان الصبي ينشأ عليها في البيت بين والديه وأسرته ، وتطبق في البيوت بلا هوادة ولا لين .

وكان الطفل محمد بن بليهد : متوقد الذهن ، حاد الذكاء ، قوي الذاكرة ، سريع الاستيعاب .

لذا أخذ كفايته في سن مبكرة من تلك المدرسة ، ليتركها الى مجالس الخاصة والعامة والأغراب ، حيث تتلى دروس الحياة وتعاليم الزمان ، وعن هذه المجالس يحدثنا ابن بليهد نفسه في كتابة «صحيح الأخبار» فيقول : (كنت في صغري شغوفا بحب الأعراب والاختلاط بهم، وسماع حديثهم ، وحضور نواديهم ، والتعرف برؤسائهم ، واستماع أشعارهم ومعرفتي لفرسانهم) (١)

ويتجلى أثر تلك المجالس فيما أورده في مؤلفاته ، من حكايات وأحاديث رواها عن ابيه ورواد مجلسه وبخاصة الأعراب ، ومن ذلك ما أورده في كتابه «صحيح الأخبار» حيث قال عن أحد رؤساء البادية :

لقيته ثلاث مرات : المرة الأولى في السنة التي قتل فيها ابن عمه تريحيب بن شرى سنة ١٣١٧ هـ ، ولي من العمر سبع سنوات ولكني كنت بحيث أفهم الحديث ، رأيته عند والدي وأعمامي في بلدنا «ذات غسل» المجاورة لبلد ــ شقرا ــ ، في مقاطعة «الوشم» منيخا ركائبه ضيفا عندنا ،وا تسع الحديث بينه وبين والدي رحمه الله ، وذكروا الحروب التي بينه وبين عتيبة ، فسمعته يقول ــ يخاطب والدي ــ يا عبدالله ، والله لو يتبعني عشر عتيبه لأخرجتهم من «نجد» ، ولكن الذين معي

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٢ طبعة ثانية (١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م) .

شرذمة قليلون من قبيلتي الصعران وسامه الهلال ، وقد جرى علينا نقص عظيم بقتل هذا الغلام الذى كنت أحارب به ، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد ، وذلك هو تريحيب ، فقد كان اذا سمع الصائح قال لي : أعطنى السيف والعبية (١) أو البندقية والكحيلة (٢) ، وطلب السيف والعبية لأنها فرس سابق ، تلحق ولا تلحق ، وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وانيه ،فاذا أدركته الخيل رماهم) (٣) • ومثل هذا الحديث كثير عنده •

وكان ابن بليهد مولعا بالقراءة منذ الصغر ، لا يقع فى يده كتاب الا أكب عليه قراءة واستظهارا ، فكانت عيناه تلتهمان كل ما وقعتا عليه ، بما فى ذلك : كتب الدين ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ • ومن هنا كانت مجالس العلماء أحب المجالس اليه ، واحاديثهم عنده أحلى الأحاديث يصغى اليها بانتباه ، ويتحمل بصدر محب للعلم والمعرفة ما قد يصادفه ، كالذى سمع ـ وهو بصحبة عمه عبد العزيز من الشيخ احمد ابن عيسى حين استخف به وهزأ بشاعريته ، حين سأل الشيخ عنه ، فأخبره بأنه ابن أخيه ، ومدحه بما عرف عنه من حب للعلم والقراءة ، وأنه يحاول نظم الشعر قال الشيخ أحمد : حسب ابن أخيك نظم الخرز (٤) •

ولقد اتصل ابن بليهد فى أول حياته بستة من العلماء ، أعجب بهم وجلس اليهم ، وسمع منهم وان لم يتمكن من الانتظام فى حلق الدرس لديهم ، لاشتغاله بالحياة وانهماكه فى الأسفار ، التى بات يجد فيها اللذة والراحة على ما بها من نصب ووصب •

---

(١) العبية : اسم فرسه •
(٢) الكحيلة : اسم ناقته •
(٣) صحيح الأخبار : ٢ : ١٢٣ •
(٤) انظر ابتسامات الأيام ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ص ٧ •

هؤلاء العلماء هم : عبد الرحمن بن عودان ، وأحمد بـــن عيسى ، وابراهيم بن عيسى ، وهناك عالم رابع جلس ابن بليهد اليه كثيرا ، وصحبه فى بعض أسفاره ، وسجل بعض ذكرياته معه فى حياته ، ثـــم بكاه بعد مماته ورثاه بقصيدة سنذكرها فى موضعها وهذا العالم هو : عبدالله بن سليمان البليهد ٠

أما العالمان اللذان جلس اليهما وأخذ عنهما علم : النحو ، والصرف والعروض فهما : الشيخ ناصر بن سعود الملقب شويمى من علمــــــاء «شقراء» يقول عنه الشيخ حمد الجاسر أنه الذى كان يصحح القصائــد الأولى الفصيحة لابن بليهد(١)والثانى هو:الشيخ عبدالله بن عمار (٢)

وروايات ابن بليهد عن معاصريه من العلماء كثيرة (٣) كروايته عن ابن عمه وعن الشيخ المحقق المؤرخ حمد الجاسر ، وكثير غيرهمـــا من العلماء ، والأمراء والرؤساء ، وخاصة الناس وعامتهم ٠

أما فى «الحجاز» فانا لا نعرف عمن أخذ عنهم وقرأ عليهم شيئا ولم يذكرهم فيما كتب ولكنه كان اذا عاد من «الحجاز» عاد محملا بالكتــب والمخطوطات النفيسه ، التى كان يكب على قراءتها ، ويؤثر صحبتــــها فى حلة وترحاله ، وكان أقباله على كتب اللغة والأدب والتاريخ أكثر ، واعجابه بها أكبر،وكان أذا مر باسم بلد أو واد أو جبل أو مـــــاء أو نحو ذلك طبقه على ما رآه وشاهده ، فخرج من ذلك بحصيله ضخمــــة تجدها فيما كتب من مؤلفات ٠

---

(١) الشيخ حمد ، املاء منه على كاتبى بمنزله بالقاهرة ٣٠ جمادى لآخر سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧/٦/١٧ م ٠
(٢) عن ابن عم الشاعر عثمان فى حديثه له معى ٠
(٣) صحيح الأخبار ٢ : ١٢٧ ٠

وخلاصة القول فى هذا أن ابن بليهد ، لم يجلس الى معلم أو شيخ جلوسا منتظما ، بعد أن خرج من مدرسة القرية التى تعلم بها القراءة والكتابة وشيئا من الحساب ، كما حفظ بها القرآن الكريم ، وشيئا من الحديث • وأصول الدين ، على يد عبد الرحمن العبيدى المعلم بتلك المدرسة (الكتاب) وانما كان أستاذه كتابه ومدرسته مكتبته ، وموطن مذكراته ظهر مطيته ، أو منزل رحله فى القرى والفلوات •

٤ ـ ● أعمـالـه ● :

لم تكن الحياة فى «نجد» أيام صبا ابن بليهد وشبابه وحتى منتصف هذا القرن «الرابع الهجرى» رحبة الميادين واسعة المداخل ، وانما كانت فى الواقع ضيقة المداخل والمخارج ، ولا مجال للعمل فيها الا فى ميدانيين اثنين :

أحدهما الزراعة وهى مصدر للرزق غير مضمون ، لأسباب أهمها : أن الزراعة ، فى نجد تعتمد على المياه الجوفية ، التى تستخرج بأسلوب بدائى من الآبار ، فاذا ما أخلفت السماء حصر الفلاح بين آفتين احداهما غور مياه الآبار ، وهذا معناه استحاله الزراعة ذلك العام ، وانعدام ثمر النخيل ، وقد تكون المصيبة أكبر، وذلك اذاما غارت الآبار وقدقطع الزرع مرحلة من حياته فيموت ، وثانيتهما عدم انبات المراعى التى تعتمد على المطر فى الانبات وهذا معناه موت الماشية •

أما الميدان الثانى للعمل ، فالاتجار وليست التجارة بأقل آفات من سابقتيها ــ فلو لم يكن الا أنها عرضة للسلب والنهب لكفى ذلك صاحبها فلقد كان الناس فى تلك الأيام يعيشون حياة من الفوضى : السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، الروابط فيها بقدر المنافع الغلبة للقوى•

ولقد اختار ابن بليهد من هذين الميدانين ميدان التجارة ، وهى أقرب الميدانين الى طبعه وأدناهما الى ميوله ، أضف الى ذلك أن عمه

عبد العزيز، قد اصطفاه من بين أبناء أسرته ، ليكون رفيقه فى أسفاره ومرشده الى علامات الطريق ، لأن عمه كان كفيف البصر ، وله فـى ذلك قصص وحكايات ، كلها مفاجآت ، ومغامرات ، وأخطار وأهوال ٠

ومر ما يقرب من «ثمانية أعوام» كان فيها صاحبنا يرصـــــد حركات عمه وسكناته ويصغى الى كل كلمة يفوه بها ، وكأنه كان يريد آن يؤهل نفسه لمثل عمل عمه ، حتى أقعد الكبر عمه وألقى عصا التسيار تلقفها منه تلميذه صاحبنا بمفرده ، وحمله نجاحه فى السنوات الأولى على آن يوسع ميدان تجارته وأن ينوع فيها ، أيضا فلم تعد الأطعمـة والماشية كافية لاستيعاب نشاطـــه ٠

وكان الصراع بين : ابن سعود ، وابن رشيد ، والشريف ، وبيـن القبائل بعضها البعض قد بلغ أشده، ومثل ذلك الوضع سوق مربحة للسلاح وتلك فرصة تجارية لا تفوت على مثل ابن بليهـــد ٠

لذا نجده يسافر الى «الحجاز» لهذا الغرض وينضم الى صفـوف المقاتلين بجانب الملك عبد العزيز بن سعود ، ولكن عمله فى الجيش كان وثيق الصلة بالتجارة ، وهو جبى المؤن والسلاح والذخيرة ، أى أنه كان بخبرته الجيدة فى هذا الميدان يعمل فى اعداد المحاربين ٠

وحين أستقر الأمر للدولة السعودية عرض عليه الملك عبد العزيـز العمل ، فلم يقبل الا ما كان وثيق الصلة بما ألف من أعمال ، ولذا عين مديرا لمالية «الطائف» (١) عام (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م) ٠

وحين ترك هذا العمل عام (١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م) ـعاد الـــى «الشعراء» بلده الثانية ، وعاد الى نشاطه التجارى الذى كان قد ضعف أيام عمله ، في ادارة مالية «الطائف» واستمر فى مزاولة التجارة حتى

---

(١) فى تلك الأيام كان لكل اقليم من اقاليم المملكة مالية مستقلة ، تجبى اليها الزكاة ونحوها لتصرفها فى مصارفها الشرعية ٠

أقعده المرض آخريات حياته ، التى كانت أقامته فيها مقسمة بين نجد حيث أسرته وذووه ، «والحجاز» حيث الأمير فيصل بن عبد العزيز ، الذى كان يحتل ابن بليهد فى مجالسة أقربها اليه ٠

٥ ـ ● رحلاته ● :

لقد كثرت رحلات ابن بليهد ، التى أورد بعضا منها فى كتبه فى ثنايا أحاديثه ، ولولا أنى لا أنزع للاطالة لبسطت الحديث فيها ، لأن حياته كانت رحلة متواصلة ، تقطعها الاقامة فى «نجد والحجاز» فترات قلما طالت ، ولذا سأكتفى منها بايراد سبع عشرة رحلة ، كنماذج لرحلات جاب فيها القفار ، وجاس خلال الديار ، وتقلب فى السهول والوعور ، وصعد الجبال وعبر الوهاد ، واستظل بالأشجار والكهوف ، وأكل الضب واليربوع ، وتلمس الماء فى غياهب الأدحال ، بين فحيح الحيات وعواء الذئاب ، وانطماس معالم الطريق ٠ رحلات كلها مغامرات ومخاطرات ، كأنها الأساطير وقصص المسامرات ، وصفها بنفسه ، فقال قضيت سنوات طويلة تتقاذفنى أنا وناقتى الفلوات ، اسمع عواء الذئاب وأطعم فى بعض رحلاتى الظباء والضباب ، وكثيرا ما فوجئت بحيات وذئاب ، وكثيرا ما نفد زادى ومائى ، وأشرفت على الهلاك ، وكثيرا ما شعرت بالسموم كأنه فيح جهنم ٠ (١)

١) وكانت أولى تلك الرحلات ، التى عمرت بها حياة ابن بليهد ، تلك التى اصطحبه فيها عمه عبد العزيز ، ليخبره بعلامات الطريق فى تنقله بتجارته بين القرى ومضارب البادية عام (١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م) ٠

---

(١) صحيح الأخبار ص ٤ : ص ٣ ٠

٢) وفى عام (١٣٣٠ هـ ـ ١٩١١ م) كان فى جماعة المقاتلين من أهل «الوشم» الذين كانوا فى جيش ـ الملك عبد العزيز ٠

٣) وسفرته الثالثة كانت «للاحساء» عام (١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م) ٠ وهى رحلة تعد طويلة بالقياس الى سابقتيها وكان فيها فى جيش الملك عبد العزيز ، الذى ذهب لفتح «الأحساء» ٠

٤) وفى عام (١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م) رحل متجرا الى «حوطة» بنى تميم ، وله حديث عن هذه الرحلة أورده فى كتابه «صحيح الأخبار» فيه تحدث عن عادات أهل تلك البلاد فى تلك الأيام ، وهى عادات فى أيامها لم تنفرد بها بلدة «حوطة» بنى تميم ، بل كانت شائعة فى القبائل العربية اذ ذاك ٠

وخلاصة تلك العادة التى أعجبت ابن بليهد ، فأطنب فى الحديث عنها هى أن العرب تقول : « من أكل من طعامك وجبت له حمايتك» ولذا كان الوافدون على أى حى يحرصون على أن يظفروا بالطعام او اللبن من اى بيت ليمسوا فى حمايته ٠

٥) ورحلته الخامسة الى «الحائط» فى عام (١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م) وخلاصة ما ذكره فى كتابه أنه كان فى تلك البلدة ، وكانت تابعة للشريف ، لوقوعها بالقرب من «تربة والخرمة» فجاء جيش ابن سعود الى الحائط وابن بليهد بها فذعر أهلها وخافوا أن ينكل بهم جيش ابن سعود ، فطلبوا من ابن بليهد أن يكون واسطة بينهم وبين الجيش ، فى صلح يحفظ عليهم دماءهم وأموالهم ، على أن تكون السلطة فى البلاد لابن سعود ، فقبل ونجحت وساطته ودخل الجيش البلدة دون أن يوقع بأهلها أى ضرر ،وفى ذلك نظم قصيدة مطلعها:

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب

٦) وفى عام (١٣٣٩ هـ ــ ١٩٢٠ م) كان فى جيش الملك عبد العزيز الذى فتح «حائل» وفى الطريق نظم قصيدة مطلعها :

الدار قفر عفاها البين والغيـــر
ريب المنون وشتت شملها القدر

٧) وفى أثناء حصار «حائل» بعثه الملك عبد العزيز الى نواحى خيبر جابيا للزكاة (١٣٣٩ هـ ــ ١٩٢٠ م) ٠

٨) وبعد فتح «حائل» رحل مع الملك عبد العزيز الى الرياض ، سـنة (١٣٤٠ هـ ــ ١٩٢١ م) ٠

٩) وفى عام (١٣٤٠ هـ ــ ١٩٢١ م) كانت له رحلة الى قبائل «هتيم» وكان فيها جابيا للزكاة من قبل الملك عبد العزيز ٠

١٠) وفى عام (١٣٤١ هـ ــ ١٩٢٢ م) قام برحلة الى «الحجـــاز» وانتهى به المطاف فيها الى «المدينة المنورة» وظنى أن هذه الرحلة كانت ذات وجهين : أى أن ظاهرها التجارة ، وباطنها السياســـة وذلـــك لأمريـــن :

أحدهما : أن هذه الرحلة جاءت بعد اصطحاب الملك عبد العزيـز له الى «الرياض» والثانى ما ذكره هو فى كتابه صحيح الأخبـــار حيـث قـــال :

« حتى نزلنا العوالى فى المدينة على رجل من بنى على يقال لـــه : دغيمان بن جعيدان ، وهو رجل شجاع كريم مهيب فى قومه، فأقمنا فى المدينة سبعة أشهر فى أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حبست بتهمة أن لى دخلا فى أمور السياسة ، وأمر الحبس صادر مـــن الحسين شريف «مكة» ولكنه لم يثبت على شىء مما اتهمت بـــه ،

وأقوى معين لى على الخروج من الحبس ، هو الرجل الذى كنت عنده ضيفا ، لأن السلطة فى المدينة فى ذلك العهد لقبائل حرب وليست للدولة ٠

وقد فصل ابن بليهد ذلك الحديث تفصيلا جيدا ، ونظم فيه قصيدة هى من جميل ما حوى الديوان ومطلعها :

يا نفس عند اكتراب الأمر لا تسلى
يمضى عليك الذى قد خط فى الأزل

١١) وبعد رجوعه من «الحجاز» وجد جيوش الملك عبد العزيز تتجهز لغزو الشريف ، فى عقر داره فأنضم اليها ، لكن كان جل عمله فى الجيش كممون له ، بالأقوات والسلاح والذخيرة ، الى ما كان ينظم فى تلك المواقف من أشعار ٠

١٢) وفى أثناء حصار «جدة» ارتحل بأمر من ابن سعود الى (عسير) وغامد ، وزهران ، وتهامه ، وما يليها ، لجلب المؤن من هناك ، ولما كانت تلك البلاد فى حكم الأدارسة ــ وهم أعداء لابن سعود ــ فقد كتم ابن بليهد أمره وادعى أنه تاجر ، يبحث عن الربح ولا يعنيه من أمر ابن سعود والشريف شىء ولما لم يكن خبيرا بمسالك تلك البلاد ، فانه قد أصطحب رجلا من أهلها أوهمه أن سيكون شريكا له فى الربح ، اذا باع ما يأتى به على جيش ابن سعود ، وقد ذكر رحلته هذه فى كتابه «صحيح الأخبار» وكانت هذه الرحلة فى عامى (١٣٤٣ هـ ــ ١٩٢٤ م) ، (١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥ م) ٠

١٣) وفى عام (١٣٤٦ هـ ــ ١٩٢٧ م) ٠ رحل الى «الطائف» ليقيم بها ما يقرب من خمس سنوات مديرا للمالية ٠

١٤) وبعد تركه الوظيفة عام (١٣٥١ هـ ــ ١٩٣٢ م) وعودته الــى بلدته الثانية «الشعراء» أستأنف التجـــارة ٠

١٥) وفى عام (١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥٠ م) قام بأهم رحلة فى حياتـــــه الفكرية والعملية والثقافية ، وهى رحلته الى «مصر» ، وكـــان الهدف منها العلاج ، غير أن العلم أبى الا أن يأخذ منه نسبة ، وأبت الثقافة الا أن تفرض نفسها عليه ، فلقد طبع وهو تحت العلاج من الشلل النصفى ، الذى أصابه ثلاثة من آثاره : «ديوانه ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام» ،و«صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار»و«تحقيقه صفة جزيرةالعرب»للهمدانى،وأهم منهذاكله ذلك التغيير الذى تجلى فيما كتبه من شعره بعد طبع الديوان وبعد أن أتصل بالمفكرين والمثقفين فى «مصر» ، وقرأ للمحدثين مـــن كتاب وشعـــراء ٠

فهو اذن لم يقض أيامه فى مصر كما يصنع المرضى أو السائحون ولم تكن رحلته رحلة علاج واستجمام ، بل الى جانب ذلك كانـــت رحلة علم وعمل ٠

حدثنى أحد الثقات أنه كان يأتى الى مطبعة «السعادة» للاشراف على طبع كتبه ، وكان يجر جسمه جرا لما به من مرض ، كما لــــم يمنعه المرض من الاطلاع على معالم القاهرة والتنقل فى أرجائها وقد أشار فى كتابه «صحيح الأخبار» (١) الى التطور ، الذى حدث فى القاهرة ، وأن الفرق شاسع بين ما ذكره ياقوت عنها وما هـــى عليه فى هذا العصر ، كما أشار ، الى «حلوان» (٢) وما فيهـــا

---

(١) أنظر صحيح الأخبار : ٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ ٠
(٢) المرجع السابق ــ ٣ : ٢١٥ ٠

من حدائق وحمامات ومياه معدنية ، والى القطار الموصل اليـها ، وله فى ذلك قصيدة لم يحوها الديوان ومطلعها :

بالأمس فوق ظهور القاطرات الى
حلوان سرنا وكان السـعد حادينا

١٦) وفى عام (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م) بعد رجوعه من «مصر» بعام تقريبا ، عاوده المرض فكان يذهب الى «عين نجم بالأحساء» للاستحمام بمياهها ، وفيها نظم آخر ما عثرنا عليه من شعره ، وهى القصيدة التى أثبتها فى مؤلفه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» ومطلعها :

تحممت فى نجم وقد طلع النجم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم

١٧) وفى عام (١٣٧٧ هـ ـ ١٥٩٧ م) كانت رحلته التى لم يعد ـ رحمه الله ـ منها ، فلقد اشتد به المرض وبصورة أشد ، فسافر الى لبنان وتوفى رحمه الله بها فى العام نفسه تاركا وراءه آثارا لا يستهان بها فى مجال العلم والأدب ، وجيلا ساهم قبل مماته فى فتح باب الشعر الحديـث له ٠

وله رحمه الله رحلات متعددة مع الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك السابق) رحمه الله ـ ونحن لم نتتبع جميع رحلاته ولم نتقص ما ذكر منها فى مؤلفاته (١) ، وانما أردنا تقديم نماذج لتلك الرحلات ، التى ختمت برحلات العلاج الثلاث الأخيرة ٠

---

(١) أنظر صحيح الأخبار ١ : ٥١ ـ ٢ : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ١٥٤ ، ١٦١ ـ ٣ : ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٥٣ ـ ٤ : ٣٤ ، ٥٣ ، ١٤٨ ، ٢١٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ـ ٥ : ١٠ ، ١٤ ٠

ثم أنا فى حديثنا عن رحلاته اغفلنا كثيرا من الأحاديث ، التى أوردها عنها فى مؤلفاته اختصارا ، ولعلمنا أن من يريد أخذالصورة كاملة ، كما أوردها لا يكفيه الا أن يرجع الى نصوصها فى كتبه وهى مطبوعة لا يصعب على الباحث الرجوع اليها ، خلا كتابه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» فهو ما زال مخطوطا ٠

وفى تتبعى لرحلات ابن بليهد والأماكن التى زارها ، لفت انتباهى ظاهرةفى الحديثعنده ، وهى أنه على الرغم من أسهابه فى الحديث فى مواضع كثيرة من مؤلفاته واستطراداته العديدة ، يغفل الحديث عما فى البلاد التى زارها من حياة فكرية ، ونشاط أدبى كان فى حينه موضع اعجاب العارفين من أبناء ذلك العصر ٠

لقد زار «الأحساء» لأول مرة فى عام (١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م) ، وكان فيها تلك الأيام من الأدباء والعلماء والشعراء الكثير ، كعبد العزيز بن عكاس وأمثاله ثم زار الرياض أكثر من مرة ،كانت أولاها فيما علمنا سنة (١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م) ، وكان بها الشيخ الشاعر ابن سحمان وأمثاله من العلماء المتأدبين ، ثم زار (حوطة بنى تميم) ، (سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٧ م) وبها شاعر الجزيرة الكبير محمد بن عثيمين ، ثم زار مدن «الحجاز» الأربع سنة (١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م) وكانت جميعها تعج بالشعراء ، وهواة الأدب ورواده ، وكان قد حج الى «مكة المكرمة» عام (١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٣ م) ، ثم استقر بالحجاز فى صحبة فيصل بن عبد العزيز بعد فتحه ، وسكن «الطائف» ما يزيد على خمس سنين ، واستقر بعض أسرته بجدة ، وبعد عام (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م) ٠ وزع وقته بين «الحجاز» ونجد ، وكان هناك من العلماء والأدباء أعداد كبيرة فى تلك المدن ، أمثال أحمد ابراهيم الغزاوى ،

ومحمد سرور الصبان ، ومحمد سعيد عبد المقصود ، ومحمد حسن عواد وغيــرهم كثيــر ٠

والأعجب من هذا أنه قد ضرب في آحاديثه صفحا عن شيوخــه ، الذين أخذ عنهم فلم يشر الا الى أحمد بن عيسى ، في مقدمة ديوانه ، في معرض حديثه عن بدء نظمه بالفصيح ،حتى ابن عمه الشيخ عبدالله سليمان ، الذى أشار الى مصاحبته له في كثير من أسفاره ، وفي أثناء اقامته «بمكة المكرمة» رئيسا للقضاء بها ، لم يتحدث عن أخذه عنــه ودراسته عليه ، اللهم الا روايات عابرة مقتضبة تعد على الأصابــع ، مبعثرة هنا وهناك في كتبه ، فمنها قوله : «كنت في قرن المنازل يوما مع فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد ـ رحمه الله ـ ونحــن جلوس على حجر في ضفة وادى قرن مما يلى الغرب ، فالتفت عــن يمينه ونحن متوجهون الى القبلة ، ثم قال : انظر هذا الجبل الأحمر ، هذا هو قرن الذى سمى الوادى به » (١)

كما أنه في مطلع حياته شهد حربا كلامية اشتد أوارها ، بين أنصار الدعوة بزعامة الشيخ سليمان بن سحمان ، وخصومها ، أمثال جميــل صدقى الزهاوى ، فلم يتكلم فيها ولم يشارك ، ولم يشر اليها مع أن هؤلاء جميعا أحق من أولئك الذين ذكرهم وجلهم من سواد الناس وعامتهم

ولقد ألح على هذا السؤال كثيرا : لماذا أهمل ابن بليهد ذكــر شيوخه وعلماء عصره وأدبائه ؟ فالحفت في سؤال العارفين بــه ، والمقربين اليه فذكر لي بعضهم : أنه كان ينوى اخراج كتاب حــول تاريخ البلاد يضمنه تراجم رجال العلم ، وأهل الأدب ، فتوقعت العثور على شىء من هذا لدى أسرته ، وفي لقاءاتى المتعددة بهم ـ خاصة ابنه

(١) صحيح الأخبار ٢ : ١٥٠ ومن ذلك ورد في ٣ : ٥،٢٧٦ : ١٨٥ المرجع السابق

عبدالله ـ أكدوا لى أن لا شيء من هذا موجود ، ولم أجد فيما أمدونى به من أوراق ومخطوطات ما يشير الى شيء من هذا ، الأمر الذى يؤكد ما وصلنا اليه فى بحثنا ، من أنه لم ينتظم بحلقة علم ، ولم يواصل الجلوس الى شيخ كما أسلفنا ٠

٦ ـ ● أزواجه وأولاده ● :

كان من العادات السائدة عند أهل «نجد» قبل ثلاثين سنة تقريبا ، أن يزوجوا أولادهم ذكورا واناثا فى سن الخامسة عشرة ، والسادسة عشرة ، وقد يزوجون قبل ذلك ـ ويدفعهم الى الزواج المبكر ، أهداف دينية ، وأخلاق وعادات ، وتقاليد اجتماعية ، ومن تخلف عن ذلك يكون موضع تساؤلات وأحاديث ، واللسان كثير الفضول ، والعقبات المالية والسكنية التى هى مشكلة الزواج فى عصرنا هذا ، لم يكن لها وجود قبل ربع قرن تقريبا ، فلقد كانت المهور رمزية ، كما كان من العيب انفصال الرجل بعد زواجه من بيت أسرته الأولى قبل وفاة رب الأسرة وصاحبنا ابن بليهد لم يتزوج زواجه الأول الا وهو فى سن الثالثة والثلاثين ، فما الذى أخر زواجه الى هذه السن المتأخرة ، وسوغ خروجه على العادات والتقاليد فى هذا على الرغم من أنه كان ميسور الحال ، ومن أسرة لا يرد خاطبها ٠ ؟

لقد شغل ابن بليهد بالأسفار والتجارة المتجولة وهو فى سن مبكرة، كما اتجه الى الشعر والبحث العلمى فى تلك السن نفسها بجميع طاقاته الفكرية والجسمية فاستبدت به وسيطرت عليه ٠

ذكر أحد المعاصرين له عن قصة زواجه ، فقال : «لما عاد محمد بن بليهد من رحلته الى الحجاز» التى سجن فيها وكاد يقتل سمعته يقول فى اكثر من مناسبة : لو قتلنى الشريف لذهبت بلا خلف ، لقد زاد هذا

الخاطر ـ وأنا فى السجن بالمدينة المنورة ـ قلقى ، ولو كنت قدتزوجت لكان لى من الولد من يخلفنى ، ويترحم على ويدعو لى ويستغفر ٠

ولم تمض أيام حتى تزوج ببنت سعد بن سالم من أهل بلدته «غسله ثم تزوج بعد ذلك بسارة بنت عبد الرحمن خلف من أهل الشعرا ، التى تعد البلد الثانى لابن بليهد ، ويقال : ان ذلك الزواج الثانى كان عن حب الا أن القدر لم يمهل زوجته الجديدة ، فتوفيت فى السابع من ذى القعدة (١٣٥٢ هـ ـ فبراير ١٩٣٣ م) فأشعل الفراق فى قلبه نـار الحرقة والالتياع ، فحزن عليها حزنا شديدا وبكاها بكاء مرا ورثاهـا بقصيـــدة منها :

تصرمت الأواصر والرمـــام

من الدنيا وهل يغنى الكلام (١)

وستأتى مستقبلا ان شاء اللـــه ٠

ولكنه لم يكن صادقا حين القى السلام على «الشعرا» وساكنها فى آخر القصـــيدة :

فألقيت الحقائب عن ركابـــــى

على الشعرا وساكنها السلام (٢)

فلقد عاد اليها ليتزوج من أخت زوجته المتوفاة ، فلعله كان ينشد فى أختها السلوة والعزاء ، وهو فى زواجه الثانى والثالث لم يفرط فى زوجته الأولى بنت سعد بن سويلم بل ظل يقسم فراغه بين زوجتيه ، الى أن قضى الله بالفراق فتوفى عام (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م) ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٥٤ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٥٦ ٠

وقد خلف الشيخ محمد بن بليهد ثمانية من الولد : ثلاث بنات ، وخمسة بنين ، عبد العزيز ، وعبدالله ، وعبد الرحمن ، وعمر ، وسعود وبذلك كان له ما تمناه من ولد يخلفه ويذكره ، ويدعو له ويستغفر ٠

٧ ـ ● ملامح من شخصيتـــه ● :

يروق لبعض الباحثين أن يورد الصفات الجسمية لمن يترجـم له ، وقد يربط بعضهم بينها وبين ما للرجل الموصوف من نشاط فكـرى ، ونحن نسلم بما بين الصفات الجسمية والعمل اليدوى والرياضيـات البدنية من سبب ، لكن لا نستطيع أن نسلم بأن للصفات الجسـمية ارتباطا وثيقا بالأعمال الفكرية ، صحيح أن العقل السليم فى الجسـم السليم ، ولكن سلامة الجسم لا تعنى ما يوصف به من طول وعرض وسواد وبياض ونحـوه ٠

على أنا قد أثبتنا فى ذيل بحثنا احدى صور صاحبنا ، ليأخذ منها من لا يوافقنا ما يريـد ٠

أما ما نراه مفيدا فذلك الذى يمس خلاله وسجاياه ، مما سمعتـه عن بعض معاصريه والمجالسين له ومن أبنائه وما قرأت له ، فقد حدثت عنه أنه كان حليما رحيما كريمـا ٠

قال عنه الشيخ حمد الجاسر ــ وهو خير من يستشهد بقوله فى هذا :

(ابن بليهـد الانسان)

لقد عرفت ابن بليهد ــ رحمه الله فعرفت رجلا من خيار أبنـاء بلادنا كرما وسماحة نفس وشهامة ومسارعة الى فعل الخير ومحبـة لمساعدة من احتاج الى مساعدة عرفته وكان مقيما فى «الحجاز» فكان بيته مقصدا لمن عرفه من الناس من تجار وفقراء ، من بدو وحضر ، من

ذوى الحاجة ومن ضيوف ، فكان يقابل كل أولئك ببشاشة ورحابة صدر لا يمل ضيفه مهما أطـــال أقامتـــه ٠

وكان يتفقد ذوى الحاجات ، وكثير منهم كانوا يتوسطون به الـــى الأمير فيصل اذ ذاك ، وكان ذا منزلة عنده ، وكان يبلغه حوائجهم ، أو يذهب بأحدهم ليقابلـــه ٠

وأعرف كثيرا من كبار التجار ، وكبار البدو وغيرهم ، كانـــوا يحتاجون اليه فى أمور استعصى حلها عليهم ، فكان لهم خير العون ٠

وبالاجمال فابن بليهد بقية جيل أوشك أن ينتهى ، ان لم يكـــن انتهى : من حيث كرمه وسخاء نفسه ومحبته لفعل الخير ، وهذا جانب من حياته جدير بالدراسة وما أجدرنا أن نسجل لرجالنا ، الذين بهذه الصفة ، مناقبهم لتكون مثالا يحتذى) (١)

ويقول ابنه عبد العزيز أكبر أبنائه فى احدى رسائله الى :

(كان سريع البديهة ، قوى الذاكرة ، يحب البحث التاريخـــى والقراءة ، ويحب الخير والسعى فى العمل الصالح، ومساعدة المحتاجين بقدر المستطاع فى منزله ، وخارج منزله وكان يمتاز بقلب رحيـــم ، ويعامل أفراد أسرته وخلافهم معاملة فاضلة بأخلاق حميدة ، له رحابة فى الصدر كبيرة ، وقد استطيع القول بأننى لم أشاهده رحمه اللـــه غاضبا فى يوم مـــن الأيـــام) ٠

واستخلاصا مما سمعت وقرأت (٢) أضيف أنه :

---

(١) املاء منه على كاتبى ، بحضـــورى بمنزله بالقاهـــرة ، ١٧ـ٦ـ١٩٧٧ ــ ٣٠ جمادى ثانى ١٣٩٧ هـ ٠

(٢) أما ما سمعت فمن أسرته ومعاصريه من أحاديث ، وأما ما قرأت فكتبه وما وصل لدى من اوراق هنا وهناك ٠

كان رجلا وقورا مهيبا يجله المرء لأول نظرة ، فاذا تحدثت اليه ازداد فى نفسك مهابة • يظل صامتا ، فاذا تكلم سكت المجلس كله وأصغى الجالسون جميعا اجلالا ومهابة ، ثم انهم يجدون عنده : الحكمة الصائبة ، والمثل الصادق ، والتجربة النافعة ، الى ما كان له من : علم وفضل ورياسة وسيادة ، ثم هو محط آمال أهل بلدته ، ووسيلتهم فى رد المظالم ، وتخليص الحقوق ، حتى من : اللصوص وقطاع الطريق من الأعراب والبدو ، الذين كانت تلك مهنتهم ووسيلة عيشهم فى صدر حياته •

وعندما تضمه مجالس العلماء والملوك والأمراء وسادة القوم ، فانه يكون فيها موضع العناية والتقديم والتقدير •

وكان نديما محببا لدى الملك فيصل ، اذ أجتمعت فيه صفات النديم فهو : حلو الحديث ، حاضر البديهة ، مليح النكتة ، راوية للاخبار والأشعار ، عالم بالأنساب ، خبير بالأماكن والبقاع ، ثم هو بعد ذلك كله شاعر ينظم بالفصحى والعامية ، وفوق هذا وذاك كان خبيرا بمداخل الأمور ومخارجها ، ماهرا فى معرفة ما يرتاح له محدثه ومالا يرتاح له ، يتفرس الوجوه ويستخبر النظرات ، ويستوحى الايماءات والاشارات •

ومن هنا كان له المركز المقدم فى تلك الندوات التى كان يعقدها الأمير فيصل للشعراء تلك الندوات التى وصفها أحد مرتاديها ، ابراهيم بن خميس ، فقال : (ومن ذلك أنه فى السنوات التى كان فيها نائبا لجلالة الملك المرحوم والده على «الحجاز» ما بين عامى (١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م ، ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م) (١) كان يقيم

---

(١) هكذا ورد فى الأصل ، فلعله يعنى زمن اقامة تلك الندوات فى «الطائف» ذلك أن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ عين نائبا لأبيه على «الحجاز» عام (١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م) ، وظل كذلك حتى تولى الملك (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م) •

كل أسبوع من أسابيع الصيف ، التى يمضيها فى «الطائف» مباراة للشعراء ، يحضرها ويشترك فيها بنفسه ، فيجمع بعض شعراء نجد وشعراء «الحجاز» وبخاصة شعراء البادية ، ويجعلهم يتبارون فى قول الشعر على البديهة ، وهو يشترك معهم الى أن يقول : (لقد حضرت بنفسى عددا كبيرا من هذه الاجتماعات والندوات الأدبية ، حيث كانت تنصب خيمة كبيرة فى أحد الأودية : اما فى وادى «ليه» بالطائف ، أو فى وادى «مسره» بالطائف ، ثم كانوا يجمعون من الحطب كمية كبيرة ، تكوم وسط الحلقة وتشعل النار ، ويقف الشعراء المتنافسون بجوارها ، كل يردد شعره ، كما كان الحضور يجلسون : يستمعون ، ويشاهدون ، والمحكمون : يقارنون ويحكمون وكان اذا كرر أحد الشعراء بيتا أو شطرا من بيت سبق أن قاله غيره ، اعترض الحكام على الفور ونبهوه ، واعتبروا ذلك سقطة لشعره ، تحسب عليه وتقلل من قيمته (١)

وعلى الرغم من أن جل شعر ابن بليهد كان فى المدح ، ألا أنه لم يصرح بالاستجداء فيه الا نادرا جدا كقوله :

فان أبت مسرورا بعز ورفعة
وقد عم كفى من أياديه أنعم (٢)
فذاك والا بالفؤاد محبة
ومعرفة تبقى أجل وأعظم

وقوله من قصيدة عامية :

سلطان يطلب شرهته هزمان
وبنا مخلى شرهتى من زمانين (٣)

---

(١) أسود آل سعود ص ٧٨، ٧٩ لابراهيم‌بن خميس . دار ، النجاح ـ بيروت سنة (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) .
(٢) ابتسامات الأيام ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م) .
(٣) المرجع السابق ص ٣٠١ .

وهو استجداء كما تراه غير صريح لم يزد فيه على الاخبار بـــأن صاحبه يطلب أعطيتـــه السنوية ، بينما قد ترك هو ذلك منذ عامـين كما أنه شديد الحرص على جمع الكلمة ، وتألف القلوب ، تشهد بذلك كتاباته كقوله فى خاتمة شعره الفصيح بالديوان :

(انى أعتذر من أخواننا المجاورين لنا فى الحروب الماضية ، فـان رأوا بيت شعر فيه شدة ، فان الوقت الذى قيل فيه ذلك البيت أشد منه ، فان القنابل كانت تختلف بيننا وبينهم والحمد لله ، الذى جعلنا اخوانا فى ظل مولانا صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود) (١) ٠

ويتجلى حب وتقدير الملك فيصل له ، فى مبادرة الملك عندما داهمه المرض ، فقد اقترح عليه أن يسافر الى «مصر» للعلاج ٠

يقول ابن بليهد : (مرضت أمراضا عديدة منها : فتور حدث فـى جسمى فى الشق الأيمن بدون ألم ، ومنها ألم فى كتفى الايسر ، فقال لى مولاى صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود : اننى أرى أن تذهب الى «مصر» وتعالج ، فربما تفوز بالصحة والعافية فقدمت «مصر» فى ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ فشفانى الله مـن جميع ما كنـت أشتكـى) (٢)

كما عرف رحمه الله بصدق تدينه وابتعاده عن كل ما من شأنه أن يشين أو يعد اخلالا بالسلوك ، ولا أدل على ذلك من قربه من مجالس العلماء ، ورجال الدين وحرصه عليها ، كما لم يعرف عنه تهتك ولا تبـذل فى الفعل أو القـول ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٨ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٣ ٠

أما أسلوبه فى تربية أولاده ، فقد وجهت سؤالا بهذا المعنى الى ابنه عبدالله فقال : (كان أبى حريصا كل الحرص على أن نبلغ فى التعليم أعلى مراحله ، ولم يكن يبخل علينا بشىء من جهد أو مال ،أو نصح وارشاد ، وكان اذا أخطأ الواحد منا استعمل معه أسلوب التأنيب ، بعد ان يوضح له خطأه ويرشده الى الصواب ، ولا أعرف أنه ضرب أحدا منا اطلاقـــا) .

٨ ـ ● معيشتـــه ● :

قبل وفاة ابن بليهد بثلاثين عاما تقريبا ، كان قصارى ما يطمح اليه المترفون ، فى معيشتهم ، أن يتوفر لديهم ما تنبته الأرض آنـذاك من تمر وبر ، وما تنتجه ثروة تلك البلاد الحيوانية منلحوم ولبن وسمن فكان قوتهم من تلك الأصناف أو ما يشكل منها ، أو بعضها من أطعمـة يضاف اليها بعض النباتات والبقول ، وبعض الخضراوات والفاكهة .

ومن بعض تلك الأكلات المصنعة من هذه الأصناف مالا يوجد لـــه مثيل فى بلد أخر ، الأمر الذى دفع ابن بليهد وهو على ضفاف وادى النيل الخصيب الى أن يقول :

مقيم ــ على كره ــ بدار طعامهـــا
كريم ولكن ليس كالبـــر والتمر
وليس لأصناف الطعام تشوقـــى
ولكن شيئا يجلب الشىء للذكر (١)

أما مراكبهم فظهور الابل والخيل والحمير ، وملابسهم وفرشـــهم وأدوات معيشتهم كثير منها من جلود ما شيتهم وأصوافها وأوبارهـا ،

---

(١) القصيدة المنسوبة اليه (عيون المهـا)مخطوطة .

ونبت البلاد كسعف النخيل وأليافه ، وجذوع الشجر وأغصانها وثمارها خلا الثياب التى ترد من خارج الجزيرة ٠

ولم تكن لمعيشتهم صلة بخارج الجزيرة الا فى بعض الكماليـــات ، كالتوابل وأنواع من الأبخرة والعطور وبعض الملابـــس والأدوات ، وبعض الآنية القليلة ، على أن صلاتهم بالبلاد العربية «كدول» الخليج والعراق والشام ومصر كانت وثيقة ، اذ كان التجار منهم يمـــدون أسباب تجارتهم الى تلك البلاد ، وكثيرا ما جاوزوها الى «الهنـــد وفارس فأى شىء فى تلك المعيشة يدعو الى الحديث ؟

غير أن الحياة قد امتدت بابن بليهد ، فشاهد البلاد وقد انفتحـت على العالم بلا حدود ، وأخذت بشتى أسباب العيش ووسائله الحديثـة فتغير فى المعيشة كل شىء : فكما كان الثراء طفرة كان الترف طفـرة أيضا ، فجلبت جميع مستحدثات العصر بلا استثناء الى البلاد ٠

وركب ابن بليهد الطائرة وأفخم السيارات ، بعد أن كانت تتقاذفه وناقته القفار (١) ، وسكن القصور الفخمة المزودة بالأجهزة الحديثة بعد أنكان يعيش فى بيته ببلدته ، وكان كبيرا الا أنه كان من الطين والخشب ، وهو البيت الذى تبرع به للمدرسة أخريات حياته ٠

ولم يصل ابن بليهد الى الحياة المترفة أخريات أيامه ، الا بعد جهاد طويل شاق ، كان يصارع فيه من أجل العيش ، وحكاياته عن أسفـاره للاتجار وما لقيه فيها من نصب وصعاب ، تشهد أنه كافح فى ســبيل العيش كفاحا مريـــرا ٠

---

(١) أنظر الجزء الرابع من كتابه (صحيح الأخبار) ص ٣ ٠

صحيح أن هبات الملك وبعض الأمراء له كانت كثيرة ، لكن كثرتها كانت قياسا على زمنها ، فلم تبلغ الحكومة اذ ذاك حد الثراء ، ثم أن بعض تلك الأعطيات قد تصادف فى طريقها اليه بعض المعوقات .

واذا كان لابد لنا من أن نضع دليلا على ذلك ، فلن نجد أقوى من قول ابن بليهد نفسه ، فلقد أحيل فى احدى أعطياته الى مالية «مكة» فأحالته مالية مكة الى مالية ـ الظفير ـ ، اذ كان لكل أقليم مالية تجبى اليها زكاته ، ويصرف بعضها للفقراء ، وتتصرف الدولة فيما بقى .

لقد كتب فى هذه الأعطية قصيدة ساقها بشىء من الحكاية يقول فيها

(وقد حولتنى مالية «مكة» على مالية بلد ـ الظفير ـ من بلاد ـ غامد ـ وأمين الصندوق العمومى لمالية «مكة» خليل عبد الجبار قد اختلف هو ومدير مالية ـ الظفير ـ فى ذلك التحويل ، ودار بينهما مكاتبات فى شأنه ، وكان مدير ادارة مالية «مكة» فى ذلك الوقت محمد سرور الصبان . وقد أوقف التحويل خليل أياما قليلة وعرض الموضوع على محمد سرور ، وكان رجلا دمث الأخلاق ، حسن السيرة ، فحل الموضوع بأحسن أسلوب ، فقلت عند ذلك .

وأورد فى ذلك قصيدة طويلة منها :

أقلا ملامى فالحديث طويل
وشكواى بين العارفين شكول
فلو أنها سارت بنهج محمد (١)
لكان لها نحو النجاة سبيل
وأضحت كنور الشمس بيضا صحيحة
ولكن محاها بالقتام خليل

---

(١) محمد : هو المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان .

على غير قصد فى الكتاب يؤمه
له طرق مسلوكة وأصـــول

وقلت له حل الخلاف فقال لـــى
سأفعل ما يرضيكمو وأقـول

وقلت السبيل المرتضى أنت أهلــه
لأنك فيها حاذق ونبيـــل

كذاك جباة المال يلقى اليهمـــو
أمور وفيها مبرم وسحيل (١)

دعوا كل وعرما أطيق ارتقـــاءه
لأن بلادى عثعث وسهول (٢)

وكانت له أعطيات سنوية يسمونها «الشرهة» وفى ذلك يقـــول مشيرا الى مطالبه صديقه سلطان الجبر الرشيد بأعطيته ، بينما أهمل ذلك هو عامين ، ولعله يلفت نظر الأمير فيصل بن عبد العزيز الى ذلك كما أسلفنـــا ٠

ثم ان سلطان الجبر قد كتب كتابا للامير فيصل قال فيه : أنه يغبط ابن بليهد لطول مصاحبته للامير ، كما ذكر فى مقدمة القصيدة :

وسلطان يطلب شرهته هزمـــان
وانا مخلى شرهتى من زمانين
أما الفلوس وجمعها ما عنانـــى
لا شفت حماى الونيات بالعين

---

(١) المبرم : هى ثلاثة خيوط تجمع فتبرم والسحيل : خيط واحد ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٦٧ ٠

يقبل على ربعه عريب المجانـــى

لاشاف عنهم جملة الناس مقفين

يبو طلال عطيت خطك وجانـــى

وانكنت غابطنى على المربع الزين

لياك تجزع ربى الى عطانـــى

ومما عطاك الله منا يجز عين (١)

وكان له نخل ، ومزارع موسمية ، فى بلدته الأولى «غسلـة» (٢) ومثل هذه المزارع والآبار تدر على صاحبها خيرا كثيرا ورزقا وفيرا ٠

وفاتـــــه ٠

وفى عام ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م عاود المرض الشيخ محمد بن بليهد فسافر الى لبنان للعلاج حيث توفى بها ، فرثته الاقلام نثرا وشعرا (٣)

ولم نرد اثقال بحثنا بتلك المراثى الجمة ، فحسبنا من ذلك هـــذه الأبيات لصديقه الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوى ـ قال الغزاوى

لك العتبى وللذكرى الأريـــج

وما يغنى العويل ولاالضجيج

فقدنا فيك شهما عبقريـــــا

له الأدب المهذب والنضيـــج

سجلا كنت لا يطوى وسفـــــرا

به الأزهار تعبق والمـــروج

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٠١

(٢) أشار الى بعضها فى حديث عـــن الأماكن والبقاع منها الوادى الذى ذكره ص ٨٨ جـ ٥ من صحيح الأخبار والبئر التى أشار اليها فى ص ٣٤ من كتابه (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) ٠

(٣) من ذلك جريدة البلاد السعودية العدد ٢٦٣٣ تاريخ الثالث من جمادى الثانية عـام ١٣٧٧ هـ ٠

أرقت فؤادك الفانى بيانـــــا
هو السلسال والروض البهيج
أحقا مانعى الناعى فأصمـــــى
وانك بعد يومك لا تعـــوج
أجل ما عاش الا كل فــــان
وكالطيف الكواكب والبروج
ولكن لن يمــوت أخو يـــراع
له الأثار أســـواق تـــروج
ولن ينســـاه الا ذو جحــــود
والا اكمه شغـــب لجـــوج
صحائفه المضيئة ناطقـــات
وان هو لا يهاج ولا يهيـــج
هى الاحقاف والدهناء طـــــولا
وعرضا واليمامة والخليـج
وأسمات السراة وما اليهـــا
وما انتحت الجحافل والحجيج
قليل مثله فى الناس صـــب
بما احتوت المعاجم والدروج
وأحســـب صمته خطبا جسيما
به الأحزان تسعر والأجيـج
سقى الوسمى مضجعه وحيـــت
قرائنه القرائح والهـــزوج

الباب الثاني

● آثار ابن بليهد ●

الفصل الأول : كتاب صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار

الفصل الثانى : كتاب ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه

الفصل الثالث : كتاب تحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى

الفصل الرابع : أماكن أطال المؤلف الحديث فيها

الفصل الخامس : ملاحظات عامه حول مؤلفات ابن بليهد الثلاثة
وآراء بعض معاصريه فيها

الفصل السادس : نثر ابن بليهد

الفصل السابع : الشعر العامى أو النبطى

الفصل الاول

كتاب صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار

الارتباط بالأرض :

يتغنى الشاعر بحب الوطن فيذيب فى نجواه أعذب الأنغام • وأصدق العواطف وأعمق المشاعر ، لا لأن الأرض حبيبة الشاعر وحده وانما لأنه أوفى بنيها ، وأقدرهم على تصوير عواطف هؤلاء الأبناء ، الذين كان منها خلقهم وعليها كان مولدهم ومدرجهم ، ومنها كان قوتهم ومتاعهم ، واليها يعودون ، ومنها يخرجون تارة أخرى •

واذا كانت الأواصر والروابط المختلفة ، قد شدت الانسان الى الأرض وحببتها اليه ، فان تعلقه بالجزء الذى عاش فيه أكثر ، وحبه له أكبر ، فلا بدع اذن أن يتغنى بحب الوطن فى قصائد .يسكب فيها المشاعر والاحساسات حية صافية ، لا يكدرها الملق والرياء ، ولا تشوبها المطامع والأغراض ، ولا تزيفها الشهوات والنزوات •

ولقد أرتبط العربى القديم بموطنه وأحبه حبا ملك عليه أحساساته ومشاعره ، على نحو لا نجده عند أى أمة ولا عند أحفاد ذلك العربى بالرغم من شيوع الشعر الوطنى فى عصرنا الحديث ، فانه عند هؤلاء المتأخرين يضعف فيه الارتباط بالأرض والمنازل والديار أو بعبارة أخرى تندر فيه تلك الدلالة ، المتمثلة فى ذكر الأماكن والمنازل والديار ولقد نجد شيئا من ذلك عند شوقى متناثرا هنا وهناك ، ولكنه نادر على أى حال أو على الأقل قليل •

أما العربى القديم فيندر أن تجد له قصيدة ، أو مقطوعة خلت مما يدل على أرتباطه بالأرض ، سواء أكان ذلك : أسم جبل أم رملة أم واد أم ماء أم دار ، وقد يكثر ذلك بصورة عجيبة ، كالذى نراه فى هـذا النموذج من قول زهير بن أبى سلمى :

لمن طلل كالوحى عاف منازلـه
عفا الرس منه فالرسيس فعاقلـه

فرقد فصارات فاكناف منعـج
فشرقى سلمى حوضه فأجـاولـه

فوادى البدى فالطوى فثـادق
فوادى القنـان جزعـه فأفاكلـه

فهذه أبيات ثلاثة أحتوت على اثنى عشر اسما ، لأماكن ، فيـها البلدة والوادى والجبل والماء (المورد) ، بعضها ما زال باسمه وبعضها استبدل اسمه ، وبعض منها ناله التحريف .

من هنا كانت المعرفة بتلك البقاع ضرورة ملحة ، لمن يريـد أن يفسر الشعر العربى القديم ، بل ان فى معرفة المنازل والديـار وتحديدها ، ماقد يعيننا على تفسير بعض الجوانب المستورة مـن الحياة العربية ، وبالأخص ما يتصل منها باللغة والتاريخ والأنساب ، وذلك كله كان وما يزال مسرح جدال ونزاع بين كثير من الكاتبين .

ومن هنا ندرك قيمة الجهد الذى بذله الشيخ المرحوم محمد بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» ، ذلك العمل الذى لم يسبق عليه فى هـذا العصـر .

● عرض لمحتوى كتاب صحيح الأخبار ● :

طبع هذا الكتاب طبعتين : الأولى بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة من (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م الى ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م) فى خمسة أجزاء والثانية عام (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م) • خمسة أجزاء فى مجلدين

راجع الطبعة الأولى وضبطها وعلق عليها الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ولم تزد الطبعة الثانية على الأولى شيئا سوى مقدمة قصيرة لابن المؤلف •

ويمكن تقسيم الكتاب الى أربعة أقسام :

المعلقات العشر ، شكول من المعارف الأدبية واللغوية والتاريخية على غير نظام ، استدركت على ياقوت والبكرى ، مذكراته على نحو ما سنفعله •

القسم الأول :

أخذ المؤلف بعد حمد الله والصلاة على النبى مباشرة فى بيان الأسباب التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب وأهمها :

١) تشجيع أدباء المهاجر الأمريكية له بعدما اطلعوا على البحوث ، التى كان ينشرها فى صحيفة البلاد السعودية ، فجعل من تلك البحوث نواة لجمع مادة الكتاب •

٢) ادراك المؤلف حاجة الدارسين للادب العربى ،وبخاصة الجاهلى والاسلامى منه ، الى معرفة البيئة الطبيعية وتفصيلاتها ، ليمكنهم فقه الأدب الذى يقرؤنه ، فضلا عن الفوائد اللغوية والعلمية الأخرى ، التى يستتبعها مثل هذا البحث •

٣) الاسهام فى تقديم المعلومات ، التى قد تفيددارسى اللغات واللهجات المختلفة ٠

٤) تصحيح كثير من الأخطاء ، التى وقع فيها بعض المؤرخين وأرباب المعاجم ، وهى كثيرة لدى بعضهم ، خاصة أولئك الذين كتبوا عن رواية ، ولم يكتبوا عن خبرة ومعاينة ، وليس من سمع كمن رأى ٠

٥) تشجيع الباحثين من العرب والمستشرقين له فيما نشر من بحوث فى الصحف (١) ٠

● المعلقات وأصحابها ●

فى ص ٦ بدأ الحديث عن أرباب المعلقات بعنوان هو (تصدير بذكر الأماكن ، التى طاف بها أصحاب المعلقات)وتحت هذا العنوان ذكر نبذا عن كل واحد من أرباب المعلقات العشرة :

١) أمرؤ القيس ٠
٢) زهير بن أبى سلمى ٠
٣) طرفة بن العبد البكرى ٠
٤) لبيد بن ربيعة العامرى ٠
٥) عمرو بن كلثوم التغلبى ٠
٦) عنترة بن شداد العبسى ٠
٧) الحارث بن حلزة اليشكرى
٨) الأعشى ميمون بن قيس ٠
٩) النابغة الذبيانى ٠
١٠) عبيد بن الأبرص الأسدى

إلا أنه ضمن الجزء الأول الحديث عن الثمانية الأوائل ، أما النابغة وعبيد فقد افتتح بالحديث عنهما الجزء الثانى ٠

وقد تحدث عن كل واحد من هؤلاء على حدة، فذكر: المولد والنشأة والمنشأ والبلاد التى طاف بها ، ثم الوفاة ، وبعض الخبر عن الشاعر ـ غير أنه لم

---

(١) انظر صحيح الأخبار ١ : ١ ـ ٥

يسو بينهم فى الحديث، فقد أعطى أمرأ القيس والنابغة وزهيرا ما لم يعطه الأخرين ، وذلك لأسباب أهمها : ـ

أ) أن أمرأ القيس قد جمع فى شعره من الأماكن المتباعدة الكثير ، منها ما كان فى الشمال من جزيرة العرب ، ومنها ما هو فى أقصى الجنوب وقرر أن الشعراء العرب كانوا يجمعون الأماكن المتباعدة فى القصيدة الواحدة وفى البيت الواحد ، ثم أنكر على كثير من الباحثين قولهم أن (مراه) كانت بلدة امرىء القيس ابن حجر الكندى ، وحقق ان أمرأ القيس الذى نسب الى «مراه» هو امرؤ القيس بن زياد بن تميم ، وأيد هذا بالاشارة الى بعض القبائل ، وأماكنها القريبة من «مراه» ٠

ب) ثم ان ورود الأماكن المتباعدة فى شعر زهير وتكررها فيه ، دليل على أنه أقام فيها ٠

وأرى أن هذا ليس بدليل قاطع ، فقد يكون لمكان ألم به الشاعر عرضا فى نفسه ، ما ليس لمنازل أطال فيها المقام ٠

ثم عقب على هذا باعتبار أرباب المعلقات كلهم ، من أهل «نجد» ما عدا أمرأ القيس ٠

وأرى هذا استثناء لاوجه مطلقا له ، فان أمرأ القيس وان كان يمنى النسب ، «نجدى» النشأة ٠

عاد بعد ذلك الى الحديث عن أشعار هؤلاء الشعراء العشرة ، وهدفه من الحديث عرض الأبيات ، التى تضمنت الأماكن والبقاع والأودية والجبال ونحوها ، مسهبا حينا ومقتضبا حينا ، حتى أوفى على نهاية معلقة عبيد بن الأبرص ٠

شيئا من أخباره تماما ، وانما عمد الى الأبيات التى فيها هدفه وطلبته وهى الأماكن والجبال ونحوها •

وحين عرض لقصيدة زهير التى مطلعها :

لمن الديار بقنة الحجـــــر
أقوين من حجج ومن شهر(١)

حدد المواضع التى فى الأبيات الثلاثة الأولى، على الرغم من أنها موضوعة حسب ما روته كتب الأدب ، من أن حمادا الراوية هو الذى وضعها •

وكان يجمل به أن يشير الى ذلك ، كصنيعه عندما عرض للحديث عن بيت أمرىء القيس :

ولو صادفتهـن على أسيس
وحاقه اذ وردن بنا ورودا

واستشهاد ياقوت فى معجم البلدان ، وأبو عبيد البكرى عند ذكرهما (أسيس) يقول عدى بن الرقاع :

قد حبانى الوليد يوم أسيس
بعشار فيها غنى وبهاء (١)

وقد يرفع عنه مثل قولنا هذا ما ذكره فى ص ٥٦ جـ ١ من كتابه حين قال : (يعلم القارىء أنا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء الجاهلية ، فان بينها وبين أشعار الجاهلية فرقا شاسعا فى المعنى ، والمهدة فى ذلك على من رواها منسوبة الى هؤلاء الشعراء ولذلك أمثلة كثيرة ليس هذا محل الافاضة فى ذكرها •

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ٥٥ ، ٥٦

ولعل هذا ما قصده ، عندما شرع فى هذا القسم من كتابه ، وان خروجه على ذلك فى شعر امرىء القيس ، وزهير والنابغة الذبيانى كـــــان استطـــرادا ٠

١) وهو لا يذكر من أشعار هؤلاء وغيرهم ممن استشهد بأشعارهـــم ، الا ما تضمن أسماء أماكن أو بقاع ونحوها ، واذا راق له أن يورد شيئا من الأبيات غير المحتوية على الأماكن والبقاع ـ وذلك نادر ـ فأنـــه يبين الدافع الى ذلك كما فعل حين أورد أبياتا لامرىء القيس والتى يقـــول فيها :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى
جرداء معروقة اللحيين سرحـوب
كأن صاحبها اذ قام يلجمهـــا
مغد على بكرة زوراء منصـــوب

قال ابن بليهد (قال امرؤ القيس : وهى من أحسن قصائده لكنها خالية من المطلوب الذى نحن فيـــه ٠

ثم أورد القصيدة وعقب عليها بقوله :

«والذى دعانا الى ايراد هذه الأبيات أن الدلو وعراها ، ووذمها ، والتكريب وجميع هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد أمرىء القيس الى يومنـــا هذا» (١)

٢) وفى حديثه عن شاعر الحكمة والسلام فى العصر الجاهلى ، زهير بن أبى سلمى ، لم يتحدث عن حكمته ولا دعوته الى السلام، ولم يذكر

---

(١) انظر صحيح الأخبار ١ : ٥٠ ، ٥١ ٠

٣) وأول ما يطالعنا به في حديثه عن لبيد تحديده (لمنى) الواردة فـي معلقة الشاعر ، وهو تحديد لم يسبق عليه فيما أعلم ، وهذا أمر الفناه لدى ابن بليهد هذاالرجل الذى خدم الأدب العربى بعمله هذا خدمـة لم يضارعه فيها أحد ، فلقد كنا نعتقد أن «منى» الواردة فى معلقة لبيد هو المكان الذى يجتمع فيه الحجاج قرب مكة .

غير أن ابن بليهد أرشدنا بتحديده هذا الى أن «منى» هذا هـو الكائـن فـي عاليـة (نجـد) (١) .

٤) وفى حديثه عن اليمامة الواردة فى معلقة عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخـرت
كأسياف بأيدى مصلتينـا (٢)

أطال فى ذكرها ولعل ما دفعه الى ذلك أن فيهاعاصمةالمملكة الرياض

٥) اختلف الرواة على معلقة الأعشى ، فمن قائل أنها التى مطلعها :

ودع هريرة ان الركب مرتحـل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ومن قائل انها التى مطلعهـا :

ما بكاء الكبير بالأطـلال
وسؤالى فهل ترد سـوالى

بل وهناك من أدعى أنها «الدالية» التى نظمها فى مدح الرسول ، والتى مطلعـها :

---

(١) المرجع السابق ج ١ : ٢٧٠ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ : ١٩٥ ـ ٢٠٩ .

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمـــدا
وبت كما بات السليم مسهدا

وكم كان جميلا من ابن بليهد أن يشير الى ذلك والى سبب تفضيلـــه (ودع هريرة) على أختيها ، ولو أنه لم يستطرد فى حديثه عن الأعشى لقلنا انه اختصـــار ٠

وأما عدم ذكره لدخول «منفوحة» فى مدينة الرياض الحديثة فانه لاوجه للومه على ذلك لأن المد الذى حصل فى مدينة «الرياض» انمـا كان بعد وفاته ـ رحمه الله ـ بسنين وانما الذى يلام عليه حقـــا أعراضه عما عدا المعلقة من شعر الأعشى ، على الرغم من غناه بأسماء الأماكن والبقاع ، ثم ان الأعشى من الشعراءالرحالين،الذين ضربوا في آفاق بلاد العرب وما جاورها عرضا وطولا ، حتى «بلاد فارس والروم وبـــلاد الحبشة » ٠

٦) وكما اختلفت الرواة على معلقة الأعشى ، اختلفوا كذلك علـــى معلقة النابغة ، فمن قائل انها هذه التى مطلعها :

يادارمية بالعلياء فالســــند
أقوت وطال عليها سالف الأبد

ومن قائل انها التى مطلعهـــا :

عوجوا ، فحيوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤى وأحجار

وابن بليهد هنا أيضا لم يذكر سببا ، لتفضيله لهذه على تلـــك ٠ على أن مثل هذا قد لا يعد مأخذا عليه ، أذ أن غرضه من كتابه هذا ـ كما حدده ـ الأماكن والبقاع ونحوهـــا ٠

أما القسم الثانى من كتابة هذا ، فتحدث فيه ، عن شكول من المعارف اللغوية والأدبية ، دون نهج معين يسير عليه • ولذا سنعرضه مضطرين عرضا مفصلا كما جـــــاء •

على أني أشير هنا الى أنه كان ينوى أن يختم كتابه هذا بنهايـــة الجزء الثانى ، الذى سنعرضه الآن ، كما نبه على ذلك فى مقدمة الجزء الثالـــــث •

بدأ القسم الثانى يذكر أشعار وردت فى غير المعلقات ، لشـــعراء مختلفين (١) وفى هذه الصفحات المائة ذكر تحت أربعة وأربعين رقما أبياتا ، لجملة من الشعراء من أرباب المعلقات وغيرهم ـ يزيد عددهـم على مائة شاعر (٢) تخلل ذلك استطراد ، وصف فيه طريق المسافر من «نجد» الى الخليج العربى ، مما يلى الكويت مارا بمدينة الرياضـــ ثم ختم صحبته لأشعار هؤلاء الشعراء بقوله : (وقد انتهينا من ذكـــر المواضع الوارد ذكرها فى أشعار العرب على الاختصار ، ولو أطلنـــا لضاقت المجلدات بذلك • انظر الى قصيدة جرير «الفائية» التى وفـد بها على الوليد بن عبد الملك ، وهى القصيدة التى مطلعها :

انظر خليلى بأعلى ثرمداء ضحى
والعيس جائلةأغراضها خنف

نجد أنه ذكر بها خمسة وعشرين موضعا وهى هذه) (٣) •

ثم سرد الخمسة والعشرين موضعا سردا سريعا ، خلص منه الـــى الاجابة على سؤال عن القبائل العربية ، ومنازلها قال : ان بعضـــ

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٨٣ ـ ١٨٤ •
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧ ـ ١٧٩ •
(٣) المرجع السابق ٢ : ١٨٤ •

الأدباء وجهه اليه (١) ، وهو تعريف مقتضب ومغفل الكثير من القبائل ، التى ما زالت تقطن أماكنها ، ومنها على سبيل المثال (الأزد) من القحطانيين (وقريش) من العدنانيين ٠

وبعد هذا أورد ، فى احدى وعشرين صفحة (٢) من هذا الجزء اثنين وستين مثالا من الشعر العربى الفصيح ، ومثلها من الشعر العامى يأتى بواحد أو أكثر من هذا ، وآخر أو أكثر من ذاك ، ثم يعقب عليها بالاشارة الى أن المعنى واحد أو متشابه ، خذ مثلا هذا المثال مما أورد :

(قال عبدالله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ يخاطب راحلته فى غزوة مؤته :

اذا بلغتنى وحملت رحلى
مسافة أربع بعد الحسا
فشأنك والخلا وخلاك ذم
فلا أرجع الى أهلى ورائى

وقال محمد بن لعبون وهو يخاطب راحلته وصاحبه :

اذا جيت فى وادى سدير فخلها
تذب العفى ما فوقها الا وسومها
قضت لازمى فى قطعها البيد بالدجى
تبى البر والمرعى ونبغى لزومها

عبدالله بن رواحة يقول : اذا أنت بلغتنى مقصدى فشأنك والخلا ، يعنى أنه يتركها ترعى كما تريد ، وابن لعبون لا يزيد عن هذا ولا يختلف عنه ٠ (٣)

(١) المرجع السابق ٢ : ١٨٥ ـ ١٨٩ ٠
(٢) المرجع السابق ٢ : ١٨٩ ـ ٢١٠ ٠
(٣) المرجع السابق ٢ : ١٩٠ ٠

وقد يبين مزية مالأحدهما عن الآخر ، اذا كان لأحدهما مزية ، ولكن ذلك يكون فى عجاله من الحكم السريع ، خذ من قوله هذا المثال :

قال أعشى قيس راعى «منفوحة» :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشـــة
للجن فى الليل فى حافاتها زجل

ذلك قول محمد بن لعبون :

فى مهمة كنه قفا الترس مقلوب
طرب به الجنى على فقده الذيـب

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكـــر زجل الجن ، والزجل : الصوت ٠ وفى قول ابن لعبون ذكر المهمـــــه ، وشبهه بالترس ، وذكر ان الجن طرب فى هذا المهمه على فقده الذئـب والذئب لا يقيم الا قريب ماء فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء فى المفازة التى قبلهـــــا (١) ٠

وهذا نوع من المقارنة طريف جدا ، لو اتجهت اليه أقلام المهتميـن بالأدب العامى فانهم يجدون فيه ما يقوى دعواهم ويسوغ عملهم هـذا الذى يريدون منه اثبات ، أصالة الأدب العامى ، وأنه جدير بالدرســـ والاهتمـــام ٠

غير أنك تحس ميله الى الشعر العامى ينضح به كلامه سواء فـــى المقدمه لتلك المثل من المقارنات ، تلك المقدمة التى اشار فيها الى نشأة الشعر النبطى ، واستشهد على مصدره بشىء من الأبيات العربيـــة ،

---

(١) المرجع السابق ٢ : ١٩٤ ٠

للاعشى والمعرى وابن القرية ، أو فى الخاتمة التى عقب بها على ما أورده من مثل ، وصرح فيها بالعتب على أولئك الذين يقولـــون : ان الشعر العامى لا يصلح للاستشهاد • ولعله يعنى بالاستشهاد هنـــا التمثيل (١) ، لا الاستشهاد المفهوم عند أهل اللغة ، بل لقد صـــرح بذلك حين قال : (ثم أن أهل العربية لا يلتزمون فى المعانى الاستشهاد بشعر طبقة أو طبقات معينة ، بل أنهم ربما استشهدوا بشعر العجم من الفرس وغيرهـــم •

فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه بشعر من قبل الدولة العباســية ، فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة ، وعلماء النحو والصرف • فأما التاريخ والبلدان وعلوم البلاغة ، فلم يلتزم أحد من العلمـــاء الاستشهاد بكلام طائفة معينة (٢) •

وقد لا نلوم الشيخ ابن بليهد على عنايته بالشعر العامى وميلـــه اليه ، اذا ما عرفنا ان ذلك النوع من الشعر قد صحبه من الصغر ، فقد كان ينازل فرسان ذلك الميدان وهو مرفوع على الأكتاف لصغر سنه •

أما لومه للباحثين على اهمالهم للشعر النبطى ، فقد صرح به فى مقدمة ديوانه حيث قـــال :ـ

«ومن المؤلم حقا آن بعض المثقفين، يترفعون عن النزول من آبراجهم العالية الى حيث تكون طبقات الشعب ، ليتلقوا عنهم شيئا من انتاجهم ومحصولهم الأدبى (٣) ثم تحدث فى عشر صفحات (٤) عـن ســوق

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٠

(٢) المرجع السابق ٢ : ٢١٠

(٣) ابتسامات الأيام ص ٦

(٤) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٠

عكاظ ، الذى سنفرد له مع بعض الأماكن التى أطال فى الحديث عنها فصلا خاصا فى هذا الباب . وبانتهاء حديثه عن «عكاظ» ينتهى الجزء الثانى (القسم الثانى) من كتابه صحيح الأخبار .

الأجزاء الثلاثة الأخيرة (القسمان : الثالث ، الرابع) :

فى هذه الأجزاء الثلاثة نهج منهجا مغايرا للجزئين السابقين ، فهو لم يقيد نفسه بما ورد فى أشعار العرب ، كما لم يلتزم نهجا معينا ، فالنهج الذى سار عليه : هو أنه يأتي بقول أحد أصحاب المعاجم ولا يكون سوى ياقوت (١) والبكرى (٢) الا نادرا ، وكثيرا ما يورد

---

١) ياقوت :
هو ياقوت بن عبدالله الرومى . الحموى (ابو عبدالله شهاب الدين) مؤرخ واديب وشاعر وناثر ولغوى ونحوى وعالم بتقويم البلدان . ولد ببلاد «الروم» واعتقه مولاه عسكر الحموى ، فنسخ بالأجره ، ثم أن مولاه أعطاه شيئا من المال ، وسفره الى «كيش» ولما عاد كان مولاه قد مات ، فحصل شيئا مما كان فى يده فأعطاه أولاد مولاه وزوجته وارضاهم به ،وبقي بيده بقية جعلها رأس مال وسافر به وجعل بعض تجارته كتبا وتوجه الى«دمشق» ، ووصل الى «حلب» ، ثم الى الموصل فالى «اربل» وسلك منها الى«خرسان» وخوارزم ثم عاد الى «الموصل» ــ وانتقل الى «سنجار» وارتحل الى«حلب» ، واقام بظاهر مدينة «حلب» ،
من تصانيفه :ــ
ارشاد الأريب فى معجم الأديب«ومعجم البلدان» ، والمشترك وضعا المختلف صقعا ــ وكتب أخرى .
انظر ــ (كتاب معجم المؤلفين لكحالة ١٣ : ١٧٨ ، ١٧٩) .

(١) البكرى :
هو أبو عبيدلله بن أبى مصعب بن عبد العزيز بن أبى زيد بن محسن بن أيوب بن عمرو البكرى .
ولد سنة (٤٣٢ هـ ــ ١٠٤٠ م) . وهو لغوى من الطراز الأول فى الأفق الاندلسى امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية النادرة ، وكان من بيت رياسة وسيادة وعلم
ومن كتبه :
«معجم ما استعجم» وكتاب «اللالى فى شرح امالى القالى» وكتاب الاحصاء لطبقات «الشعراء» و «كتاب التدريب والتهذيب» و كتاب التنبيه على أغلاط أبى على فى اماليه و «كتاب المسالك والممالك» «وكتب اخرى .»
ــ انظر كتاب «بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه» للحافظ جلال الدين السيوطى الطبعة الأولى ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى ٢ : ٤٩ .

اكثر من قول ، يعقب على ذلك بقوله (قال المؤلف) يدلى بعد ذلك برأيه ـ وأهم غرض يجمع هذه الأجزاء الثلاثة الأخيرة ، أنها استدراكات على بعض أرباب المعاجم القديمة، وخاصة ياقوت والبكرى .

وكان قد وعد فى بحثه بالتزام سبيلين : أولهما المشاهدة ، وثانيهما الأخبار المتواترة عن الثقات وحين أخذت فى قراءة هذه الأجزاء ، لم أجد ما كنت أتوقعه من ترتيب لأسماء : الأماكن ، والبقاع ، بل لم أجد أى ترتيب يمكن أن يؤخذ به فمثلا بدأ الحديث عن جالس وجلس ، ثم انتقل فى ص ١١ الى الحديث عن ضرية ، ثم عن حمى ضرية ص ١٥ الى ص ١٨ ، ذلك الحديث الذى عاد اليه فى ص ٢٤٤ الى ص ٢٥٩ جـ ٣ ، وهذا يعكس عدم الترتيب لأسماء الأماكن عند الشيخ فى هذه الأجزاء .

القسم الرابع : • مذكراته • : (١)

ونمضى معه فى الجزء الخامس ، حتى اذا أوفينا ، على ص ٢٧١ ، وجدنا انه غير فى الموضوع والأسلوب معا ، حيث انتقل من الحديث عن أسماء الأماكن والبقاع ، الى رواية ذكرياته فى أسفاره ورحلاته ، ومهد لذلك بقوله :

(قد وعدت القراء فى مقدمة الجزء الرابع فى ص ٦ ، أن أضع لهم مذكرات فى آخر هذا الجزء ، عن تنقلاتى فى «نجد» ، وما تجشمته من المشقة وضيق العيش ونكد الأسفار ، وها هى أضعها بلغة أهل «نجد» الطبيعية) (٢)

---

(١) هى نوع من الحكايات سنفصل الحديث عنها نوع تفصيل فى الفصل السادس من هذا الباب .

(٢) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧١ .

ولنا على عبارة ابن بليهد السالفة ملاحظات :

١) أنه ذكر أن مذكراته ستكون بلغة أهل «نجد» الطبيعية (أى العامية فهل التزم ابن بليهد اللغة العربية الفصحى ، التزاما كاملا فيما مر من أجزاء كتابه الخمسة ، حتى يقول مثل هذا القول ؟ •

لقد سجلت بعض الكلمات التى لحن فيها ابن بليهد ، وهى قليل من كثير ، اذ لو تقصيت لطال وقوفنا معه ، وتلك النماذج من لحنه ستقرؤها فى فقرة مستقلة فى بحثنا هذا مستقبلا •

٢) لقد عبر عن اللغة (العامية) بالطبيعية: وهذا خطأ اذ اللغةالطبيعية لأهل «نجد» ، بل العرب أجمع هى اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، أما العامية فطارئة •

٣) واستعماله (الطبيعية) بدلا من (طبعية) خطأ لغوى أيضا •

وتشغل هذه المذكرات الثلاث من ص ٢٧١ الى ص ٣٠٨ ، وهى مذكرات فيها : طرافة وامتاع وتصوير ، لحياة مجتمع انتهى ، وهو على الرغم من قربه كأنه صورة لحياة العرب الأقدمين ، ولولا أن لنا اليها عودة فى بحثنا هذا لطاب لنا معها الوقوف قليلا •

وبانتهاء هذه المذكرات الثلاث ينتهى كتاب «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار» وينتهى أيضا عرضنا لما احتواه هذا الكتاب •

غير أنا نود أن نذكر هنا أن عمله فى كتابه بأجزائه الخمسة ، كان ثمرة تجوال طويل فى «جزيرة العرب» ينيف على أربعين عاما :

وحديثه فى هذا حديث طريف ، فانه حين يصف لنا ما لقيه من نصب وتعب ، يعطينا صورة واضحة لابن الصحراء : فى حله وترحاله

وفي شربه وطعامه ، وفى جميع أحواله وان كان ذلك فيما قبل ثلاثين عاما أو يزيـــــد ٠

أما الآن فقد غشى أفق «جزيرة العرب» كل ما أنتجته حضارة هـذا العصر ، بشكل ليس له مثيل فى أى من البلاد النامية ٠

ويتخلل كتابه كثير من مشاهداته ومرئياته وما مر به من أهوال وما تعاوره من أحوال ، وقد يستعذب حديثا أو يستطرف خبرا فيذكره ، ولو لم يكن لذكره سبب معين بموضوع الكتاب ٠

غير أنه يجب الا ننسى أن الذين كتبوا عن البلدان جميعهم ، كانوا ينهجون هذا النهج ، بل قد يذكرون من الخرافات ما لم يذكر مثله ابن بليهـــــد ٠

● نظـــرات عامـــة ●

ان القارى لكتاب «صحيح الأخبار» يقع على هذه النظرات :

١) ان ابن بليهد حين يصف المكان ، أو الجبل أو الوادى أو نحوه يعطى وصفا جغرافيا محددا تحديدا دقيقا ، وهو مع خبرته العملية بهـــذه الأماكن ، لا يكتفى بذلك ، بل يعمد الى ما ذكره السابقون فيقر مــا كان صحيحا ، وينفى ما كان باطلا ، ويدلك على رأيه ، واذا خفى عليه اسم مكان ، فانه كان يحاول الاهتداء الى تحديد ، بما ذكر معه مـــن أماكن ، غير أنه لا يجزم بذلك ، لأن شعراء العرب قد يوردون الأماكن المتباعدة فى البيت الواحـــد ٠

واذا لم يمكنه البت فى الأمر، فانه لا يستنكف من الاعتراف بجهله (١)

---

(١) صحيح الأخبار ١ ، ٥٦، ٥٩، ٩٠ ، ٦٢، ٦٣ ٠

غير أنه لا يصير الى ذلك الا اذا أعيته السبل ، وقد بلغ من دقتهفى البحث أن كان يتفحص حروف الكلمة وما عليها من شكل ونقط ، فاذا وجد فيها خللا أشار اليه والى صحته ، واستدل بما أوصله الى حكمه •

ومن ذلك الخطأ فى وضع نقطة الحرف الأول من (جو) الوارد فى بيت زهيـــر •

لئن حللت بجو فى بنى أســـد
فى دين عمرو وحالت بيننا فـدك (١)

قد حكم بأن مكان النقطة فى أعلى الحرف ، فتكون الكلمة (خــو) واستشهد على ذلك بثلاثة شواهد ، تثبت أن صحة الكلمة (خو) لا (جو

٢) واذا اشترك أكثر من موضع فى اسم ، فانه لا يهمل موضعا من هذه المواضع ، بل يحدد كل موضع ويبين ما قصده الشاعر منها بالدليـــل الذى يطمئن اليـــه •

غير أنه فى الوصف أحيانا يضع من العلامات ما هو غير ثابـــت ، كالقصر والبستان ، مثـــلا •

من ذلك قوله : (ونريد أن ننبه القارىء الى أن الشاهد ، الـــذى أوردناه للقتال الكلابى ، انما عنى به «أدمى» التى ذكرها زهير ، وذلك أنها حرة منيعة ، وأما التى ذكرها جرير فهى واقعة فى جبال اليمامة رلا تزال معروفة بهذا الاسم الى اليوم ، وأدمى التى ذكرها أبو خراش الهذلى : فهى من جبال الطائف ، ويقال لها اليوم «أدم» اذا خرجت من بلد ـ الطائف ـ ، وجزت قصر شبرا سالكا طريق الحرية ، العائـــدة

---

(١) المرجع السابق ١ : ١٢٩ •

لسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وتركت بستان سمو الأمير عبدالله على شمالك ، فانها حينئذ على يمينك يحفها الطريق (١) فان ذلك البستان وما حوله صار بيوتا وشوارع ٠

٣) ويخطىء الرواة فى لفظ فيصححه ، ثم لا يستدل على ذلك كعادته كثيرا ، (٢) الا بذكر الأماكن والبقاع المجاورة لها وتحديدها تحديدا قد يعتبر قرية ، من الخطأ الحكم بموجبها لأن شعراء العرب كثيرا ما أوردوا فى أشعارهم الأماكن المتباعدة ٠

٤) وأود أن أشير هنا الى أسلوب تكرر فى كلام ابن بليهد ،وهو أنه يعترف بالجهل بالمكان حينا ، ثم يهتدى اليه بعد السؤال ، فيذكره مشيرا الى أنه قد اهتدى الى معرفته بعد أن كتب ما كتب (٣) ، وكان يجمل به أن يعيد صياغة معارفه ويضم بعضها الى بعض ٠

٥) وحين يرد فى ذكر المكان أقوال يبدو فيها التعارض والتناقض ، فانه يقف على هذه الأقوال ويناقشها حتى يجلو الأمر ، من ذلك على سبيل المثال (المحصب) فقد ورد فى بيت لامرىء القيس ٠

فلله عينا من رأى من تفرق
أشت وأنأى من فراق المحصب (٤)

كما ورد فى بيت عمر بن أبى ربيعة :

نظرت اليها فى المحصب من منى
ولى نظر لولا التحرج عارم (٥)

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٧٧ ٠
(٢) المرجع السابق ١ : ١٢٥ ٠
(٣) المرجع السابق ١ : ١١٨ ـ ١١٩
(٤) المرجع السابق ١ : ٣٤
(٥) المرجع السابق ١ : ٣٥

فقد نفى المؤلف أن يكون «المحصب» فى منى كما ذكر ذلك بعضهم محتجا ببيت ابن ابى ربيعة ، وأثبت أن «المحصب» بين مكة ومنى ثم فسر كلمة (المحصب) فى بيت ابن أبى ربيعة تفسيرا مقبولا ·

٦) واذا كان قد قيد نفسه فى الجزأين : الأول والثانى ، بما ورد من الأمكنة فى أشعار الأقدمين فانه فى الأجزاء الثلاثة الاخيرة لم يلتزم ذلك ، بل قد يذكر من الأماكن مالا شاهد له فى الشعر ، ثم انه يستطرد فيما يورد من الأماكن ، فيخرج عما يدل عليه عنوان كتابه ، وهو ما فى «جزيرة العرب» منها ، فيورد أماكن فى مصر والشام والعراق

والفرق بينه وبين أرباب المعاجم الأخرى ، وبخاصة فى الجزأين الأولين ، أنه لا يذكر من الأماكن الا ماله ذكر فى الشعر ·

٧) واذا كان شراح المعلقات والأشعار العربية القديمة ، قد أخطأوا فى تحديد بعض الأمكنة (كعسيب) الواردة فى بيت أمرىء القيس :

أجارتنا ان الخطوب تنوب
وانى مقيم ما أقام عسيب

«وكمنى» الواردة فى بيت لبيد بن ربيعة العامرى :

عفت الديار محلها فقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

فان ابن بليهد فى مثل هذا قد أوضح الصواب ، فمثلا قال عن «عسيب» : (وعسيب ليس فى بلاد الروم ، بل فى عالية (نجد) فى ضفة وادى الجريب الجنوبية وهو المنفرد فى الجهة الشمالية من جبال العسيبات (١) ·

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٢٠٧ ·

وعن «منى» قال : (فأما منى التى ذكرها لبيد ، فهى هضبة حمراء واقعة بين «طخفة ونفى» فيها ماء عذب ، وهى تسمى اليوم عند عامة أهل (نجد) منيه ولا تزال تذكر بهذا الاسم ، وكثير من الناس قد ظن غالطا ـ أن «منى» فى هذا البيت الموضع الواقع قرب مكه (١) ٠

وقد يستشهد بما قاله شعراء العامية من المتأخرين (٢) ، وهذا يخالف ما عرفناه عنه من أنه ما كان يستشهد الا بشعر الجاهليين ، والاسلاميين ، والأمويين ٠

فلعله بذلك يريد الاستدلال على بقاء الموضع معروفا باسمه لهذا اليوم أو لعل ذلك كان انطلاقا من رأيه فى الشعر العامى ، ذلك الرأى الذى يدل على أعجابه به، كما صرح بذلك فى هذا الكتاب (٣)، ثم مقدمة ديوانه «ابتسامات الأيام» ٠

آ) وقد يشير الى بعض الأحداث التاريخية القديمة والحديثة ، التى وقعت فى تلك الأماكن بين قبائل العرب أو بين العرب وغيرهم (٤)، وقد يقحم بعض ذكرياته مع الأمراء أو غيرهم فى الحديث (٥) ٠

● استدراكات ●

على الرغم مما عرفناه عن ابن بليهد من الملم بأسماء الأماكن والبقاع وعلى الرغم مما ألفناه من تحرى الدقة والصواب ، فانا فى قراءتنا فى كتابه هذا استدركنا عليه أمورا منها :

١) اغفاله لبعض الأماكن ٠ ٢) خطؤه فى اعتراضه على السابقين

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٧٠ ٠
(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٢٩ ٠
(٣) صحيح الأخبار ٢ : ١٨٩ ٠
(٤) المرجع السابق ١ : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ٠
(٥) المرجع السابق ١ : ١٣٤ ، ١٣٦ ٠

٣) الاستطراد القليل الجدوى أو الذى لا تدعو الحاجة اليه ، ونحو ذلك:

وفيما يلى تفصيل لهـــذا :

أولا :

أ) فى حديثه عن حجر الوارد فى بيت النابغة ٠

فلم يك قولكم أن يقذعونـــــى
ودونى عازب وبلاد حجـــر

ذكر أنه حجر اليمامة الموجودة في مدينة «الرياض» ، ولا يزال (١) معروفا بهذا الاسم ، كما كان قد ذكر ذلك أيضا فى الحديث عن اليمامة التى وردت فى بيت عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدى مصلتينا (١)

والواقع أن حجر «اليمامة» قد انمحى اسمه وأثره ، وأما مكانه فانـه انطوى في مدينة (الرياض) ، وقد نقل عن بعض المعمرين فى مدينـــة «الرياض» أنه كان يطلق على بستان غربى وادى الوتر (البطحاء) وقد انمحى اسمه ورسمه ، ولا أعرف مكانا ولا بستانا بهذا الاسم ، علـــى الرغم من نشأتى فى مدينة «الريـاضـــ» ٠

والذى يفهم من الروايات التاريخية ، أن حجر عبيد فى الجاهلية : كان يحوى ثلاثين قصرا وثلاثين بستانا فيها البتل وهى ،القلاع العالية التى يبلغ ارتفاع بعضها خمسمائة ذراع ٠

---

(١) صحيح الأخبار ٢ :٣٣ ٠
(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٩٥ ٠

ب) فى قراءتنا لكتاب «صحيح الأخبار» آلفنا ذكره للاماكن المشتركة فى لفظ واحد ، وان تباعدت أمكنتها ، ولكن نجده يغفل ذلك حينا ٠

من ذلك أنه عند ذكره عوصاء الواردة فى بيت الحارث بن حلزة اذ

أحل العلياء قبو ميســـــو
ن فأدنى ديارها العوصـــاء (١)

فاته أن يذكر «عوصاء» الشعب ، الذى يصـــب سيلـــه فـى وادى (ذى أراط) الذى تسميه عامة أهل «نجد» «وراط» ، وهذا تحريـــف «لذى أراط» لم يذكره ابن بليهد عندما عرض للحديث عنه فى معلقة امرىء القيس ثم ذكر أن (عوصاء) (٢) جبل واستشهد عليه ببيت كان قد ذكره فى الجزء الأول ص ٢٤٠ ، ونفى علمه بمكان اسمه عوصاء كما لم يذكر «عوصاء» عند حديثه عما عرف بذلك من الأمكنـــة ٠ (٣)

ج) وفى «واسط» الذى ورد فى كثير من الشواهد منها قول خداش بن زهيـــــر :

عفا واسط أكلاؤه فمحاضـــره
الى حيث نهيأ سيله فصدائره

قال ابن بليهد : «واسط» ، الذى أعرفه فى بلاد العرب ثلاثة مواضع(٤) يقال لها (واسط) ، منها الذى ذكره ابن حبيب حين قال :

«وواسط» أيضا (بحمى ضرية) ، فانى لا أعلم الا جبلا يقال لـــه «واسط» باق باسمه الى هذا العهد ، وأعرف أيضا واديا يقال له واسط وهو الذى يقع عند (الدوادمى) ، مما يلى مطلـــع الشمـــس ،

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ٢٣٩ ٠
(٢) المرجع السابق ٢ : ١٤٨ ٠
(٣) المرجع السابق ٥ : ١٨٦ ٠
(٤) صحيح الأخبار ٣ : ٣٧ ٠

ويبعد عنها ثلث ساعة سيرا على الاقدام ، وبه معدن بارود «والرس والعلياء والبرك» ، فى عارض (اليمامة) قريبا من الموضع الذى يقال له : «واسط» ·

والواقع أن هناك ماء فى أسفل «وادى سدير» مجاور لبلدة «العودة» يقال له (واسط)،كما لم يشر الى مدينة «واسط» المشهورة بالعراق» ·
د) «العريجاء» ، وحين ذكر «العريجاء» (١) لم يشر الى قرية العريجاء الموجودة فى غرب مدينة «الرياض» الحديثة ، والتى ما زالت تعرف بالعريجاء الى هذا العهد ·

ه) شمس وعين شمس قال ابن بليهد (٣) ·

(شمس الموجودة فى «بلاد العرب» ينطبق عليها هذا الاسم « عين شمس» قريب وادى فاطمة ، بها مزارع وهى معروفة عند أهل تلك الناحية ، ويوجد فى بلاد «الرياض» موضعان : الأول يقال له «الشميسى والثانى يقال له الشمسية ويوجد فى طرف صفراء الوشم موضعان الأول يقال له الشميسى والثانى يقال له «الشمسية» والمواضع الأربعة تحمل هذه الأسماء الى هذا العهد) ·

ولنا على المؤلف هنا ملاحظتان : الأولى : ان «الشميسى» الذى هو حى كبير فى غرب مدينة «الرياض» كان يطلق على مزرعة فيها نخل ومزروعات أخرى ، وتسميته بالشميسى حديثه جاءت من نسبته الى صاحبه «شميسى» وكان له شهرة لدى الفلاحين والعمال ، فأطلق اسمه على المزرعة بعد نسبتها الى صاحبها ثم اطلق على كثير من المزارع ، والأماكن ، التى أصبحت الان فى قلب المعمور من مدينة «الرياض» الحديثة ·

---

(١) صحيح الأخبار ٣ : ١١٩ ·

على أنه قد أشار الى هذا فى الجزء الرابع (١) فى عبارة تحمل الشك فى قدمه أو حداثته ، وهو شك تشجعه الروايات التاريخية ، التى ذكرت ما فى حجر من بتل وآثار ، والثانية أنه أهمل بلدة «الشميسية» الواقعة فى الجنوب الشرقى من مدينة «بريدة» على مسافة «تسعة وعشرين كيلو مترا تقريبا» • أما «شماس» فيقع فى الشمال الغربى من مدينة بريده وقد احتوته مدينة «بريده» الحديثة ويقال انه أسبق فى الوجود من «الشماسية» ، وان الذين عمروا الشماسية ، هم فى الأصل من أهل «الشماس» •

و) وحين عرض لقول البكرى فى القطار (٢) قال : «القطار» موضع فى جبل شعباء المشهورة قرب ضرية وفاته أن يذكر :

١ ـ القطار وهو موضع قرب بلدة «الحوطة» بسدير ، وفيه كهف كبير ينتابه الناس للنزهة ، يقطر فى ناحية منه الماء ولا ينقطع ، لكنه يقوى ويضعف •

٢ ـ كما لم يذكر القطاطير وهو موضع قرب بلدة «العودة» فيه ماء لا ينقطع الا فى سنى الجدب •

ز) وفى ذكره لعبود وعبد وما ماثلهما (٢) ، لم يذكر ، «العبادية» وهو شعب فى أعلى بلدة «العودة» ، وفيه صخور عليها كتابات ونقوش منها قصيدة عربية يرجع تاريخها الى القرن السابع الهجرى •

ح) وعند حديثه عن «أريك» الوارد فى بيت النابغة : (٣)

عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع
فشطا أريك فالتلاع الروافع

---

(١) صحيح الأخبار ٣ : ١٩٤ •
(٢) صحيح الأخبار ٣ : ٢٠١ •
(٣) المرجع السابق ٢ : ٣٧ •

لم يذكر «الوركاء» وهى موضع فى أسفل «وادى سدير» عن يمينه فيها مزارع موسميـــه ٠

ط) وفى حديثه عن «القرنتين» الواردة فى بيت النابغة الذبيانى (١)

انى أظن ابن هند غير تارككم
بالقرنتين ولما يفــرع النعم

لم يذكر «القرنا» الواقعة فى أسفل وادى سدير ، التى تضم هضبتين صغيرتين وفى «القرنا» هذه آثار ، وآبار وأسواق وقصور ٠

ثـــانيـــا :

الخطأ فى اعتراضه على بعض أقوال الأقدمين :

أ) فى الحنبلى ، الوارد فى قول الشاعر :

قلت لصحبى والمطى رائـــح
بالحنبلى نســـوة ملائـح
بيض الوجوه خرد صحائـح (٢)

قال ابن بليهد : (الحنبلى هو كثيب رمل معترض فى «الدهنـــاء» وليس بماء كما ذكره ياقوت ، وجميع أهل نجد يعرفونه بهذا الاسم اليوم وموقعه فى شرق «الدهناء» ، وأيد هذا الشيخ حمد الجاسر حـــين سألتـــه عنه ٠

والواقع أن هناك ماء فى الغرب من حجر «اليمامة» ، يقوم علـــى مكانه حى فى الغرب الشمالى من مدينة «الرياض» كان قبل ذلك مزرعة

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٦٣
(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٧

كبيرة ذات نخيل ، يعرف بالحنبلى ، وما زال كذلك ، حتى بعد تحوله الى مساكن داخل مدينة «الرياض» ، وذكر الهمدانى موضعا آخر قال أنه ماء يعرف بالحنبلى تنعطف عليه يمينا حين تجاوز وادى «الفقى» «بسدير» وبجانبه «منيخين» وهذا هو نص الهمدانى (وتيامن كأنك تريد «البصرة» فترد «منيخين» ثم (الحنبلى) وهما ماءان فى منيخين نخل قليل ، ولا نخل على الحنبلى (١)

فلعل ياقوت أراد أحد هذين حين قال انه ماء ، وهذا لا يمنع من اشتراك مكان ثالث معهما ، لكن كان الأولى التنبيه على ذلك ٠

ب) قال ابن بليهد : (الغبراء انظر ايها القارىء هذه الشواهد ، التى ذكرها ياقوت ، فلا أعلم موضعا يطلق عليه هذا الاسم «الغبراء» الا موضعا واحدا بالتصغير يسمى «غبيراء» وهى فى بلد «القرعة» قريب أشقير وهى بئر لا ينضب ماؤها ، وذكر ياقوت أنها لبنى أمرىء القيس من أرض «اليمامة» وقال ياقوت أيضا : («الغبراء» من قرى (اليمامة) بها بنو الحارث بن مسلمة ، والذى أوجب ذكرها ياقوت فى «اليمامة» وهى من ملحقات اليمامة) (٢) ٠

لكن الهمدانى قال فى حديثه عن «اليمامة» (٣) (وفوق ذلك قرية يقال لها «غبراء» بها بنو الحارث بن مسلمة بن عبيد) وهذا شاهد ما قاله ياقوت ، وشرق الوتر مكان يعرف «بغبيراء» احتوته مدينةالرياض

جـ) وفى الكلام عن بلبول (٤) ابن بليهد اعترض على قول ياقوت : أن «بلبول» فى بلاد «الوشم» بقوله :

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمدانى ٠ تحقيق محمد بن الأكوع ص ٢٨٦ ٠ دار اليمامة ٠
(٢) صحيح الأخبار ٣ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠
(٣) صفة جزيرة العرب ص ٣٠٧ ٠
(٤) صحيح الأخبار ٤ : ٨٦ ـ ٨٧ ٠

(أنا من أهل (الوشم) الذى ذكر ياقوت أن «بلبول» به ، ولكنى لا أعلم موضعا بهذا الاسم ، ويمكن أنه قد اضمحل واندرس اسمه ، والذى أعرفه بهذا الاسم ماء قريب «العقير» ٠

والواقع ، أن بلبول جبل مستدير يشبه الهرم الى حدما ، وهو فى «اليمامة» كما ذكره أبو زياد والحفصى وياقوت ، الا أن ياقوت أخطأ فى تحديده فبعد عنه قليلا ٠ ذلك أن «بلبول» كما ذكرنا جبل فى روضة يصب فيها وادى ــ «سدير» وبعضهم يصغره فيسميه : «بليبل» ٠

وذكر الشيخ حمد الجاسر لى مشافهة : أن فى جزيرة العرب أكثر من موضع يطلق عليه هذا الاسم ٠

ثالثا :

● الاستطراد القليل الجدوى ●

واستطرادات ابن بليهد كثيرة ،لكن الذى يعنينا هنا الاستطراد الذى لا طائل تحته ، أو المتضمن للخطأ ، أو قصور في التعبير ٠

أ) تحديده لبلاد العرب (١) العرب لا أرى حاجة لايراده ، لأن منازل العرب فى جزيرتهم ، وحدود جزيرة العرب معروفة ، فلو اكتفى بما أورد عن الخليل على نقصه لكفى ٠

(قال الخليل : سميت جزيرة العرب لأن بحر «فارس» وبحر «الحبش والفرات ودجلة » أحاطت بها ، وهى أرض العرب ومعدنها) (٢) ٠

---

(١) صحيح الأخبار ٣ : ١٨ ٠
(٢) المرجع السابق ٣ : ١٩ ٠

ب) وفى استطراد ، كعادته تحدث عن بعض اللهجـــات العربيـــــة ، وابدال أصحابها حرفا مكان حرف فى بعض كلماتهـــا ٠

١ ـ فعن ابدال (الجيم) (ياء) قال :

(لغتهم هذه باقية الى هذا العهد ، ويستعملها القاطنون ، فى وادى «برك» ووادى «بريك» وجيرانهم ، وبلغنى أن هناك قوما فى (قطـر) وفى «الساحل» الذى يمتد من «قطر» الى اقصى (عمان) يستعملون هذا الابدال ، وبنو تميم أخذوا هذه اللغة عن أسلافهم كابرا عن كابــر ، وبلغنى أن التميمين فى بلاد «الحوطة» هم عبدالله بن دارم ، وفى هذا العهد لا أعلم أحدا يستعملها غيرهم فى بلاد العرب (١) ٠

وهذا صحيح الا أن الأشمل منه أن نقول : ان الكثير من سكـــان الساحل الشرقى من «جزيرة العرب» «كالكويت والبحرين» كلها تنطق (الجيم يـــاء) ٠

غير أن المثقفين من أبناء هذه البلاد يحرصون على التخلص من هذا الابـــدال ٠

٢ ـ وعن أبدال «الكاف» شينا قال : (وربيعة فى لغتهم يستبدلـــون «الكاف» شينا كقول الشاعر :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيق

فاذا قرأتــه ربيعه قالـــوا : (٢)

---

(١) صحيح الأخبار ٣ : ٥٧ ٠
(٢) المرجع السابق ٣ : ٥٨ ٠

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
ولكن عظم الساق منش دقيق

وهذه اللغة باقية فى لسان ربيعة القاطنين فى «وادى القرى» ·
والواقع أن هناك «آل مرة» فى شرق «المملكة العربية السعودية» ، التى كانت تعرف قديما «بالبحرين» «أى الأحساء» وما يليها ينطقون (الكـــاف شينا) ·

رابعـــا :

ومما يلاحظه القارىء لكتاب «صحيح الأخبار» أنه يقع فى اللحــن كثيرا ، واذا استبعدنا ما يرويه من القصص والحكايات العاميـــة ، لشيوع اللحن فيها نجد أنه يقع فى شىء من ذلك كقوله :
أ) أطمــن (١) حيـــث قال :

و (ان وادى «برك» أطمن من وادى «الركاء» أكثر من مائة وخمسين مترا ويعنى اكثر انخفاضا ·

ب) وفى العبارة الآتية (٢) أخطأ مرتين حيث قال : (احداها والصواب أحدها وذلك فى قوله : (وقد بلغنى أن بها كهوفا من العجائب اذا اشتد الشتاء ودخلت فى احداها وجدته حارا كأن به نارا من شدة الحر ، واذا اشتد الحر ودخلت فى احداها وجدته باردا كأن به ثلجا ·
ج (كرر كلمة «مسك» بمعنى «أمسك» ومن ذلك تكرارها مرتين فـــى صفحـــة واحـــدة (٣) ·

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٨٩ ·
(٢) المرجع السابق ٤ : ١٦٤ ·
(٣) المرجع السابق ٤ : ٢٠٣ ·

د) «شرى» بمعنى «اشترى» في قوله : (واذا شرى أحد من أحد هنا) .

خامســـا :

ومن الأمور التى تلفت نظر قارىء «صحيح الأخبار» أن صاحبه كثير التكرار الى أنه كثير الاحالات ، أما الاحالات فلا أرى فيها مـــا يتنافى ومقتضيات الحديث ، ومتطلباته ، وأما التكرار فمدعاة للملال ومضيعة للوقت ، وكان حريا بابن بليهد أن يتلافاها ، من ذلك :

«عروة» (١) «المحرقة» (٢) وهط (٣) القرنيـــة (٤) أمهار ٥)

فلقد قال على سبيل المثال : في «أمهار» هضبة فى المستوى يقــال لها «مهرة» تحمل هذا الاسم الى هذا العهد (٦) وفى «أم أمهار» قال (هضبة فى المستوى الواقع بين النبقية ، وبين كثيب الزلفى ، يقال لها «مهرة» وهى التى أورد ياقوت عليها بيت الراعى شاهدا ، وهى تعرف بهذا الاسم الى هذا العهـــــد) . (٧)

سادســـا :

وقال تعقيبا على ذكر ياقوت «للتوباد» الوارد فى قول الشاعر :

وأجهشت للتوباد حين رأيتـــه

وسبح للرحمن حين رآنــــى

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٨٠،٤: ٢٣٠ .
(٢) المرجع السابق ٣ : ١٨٩ ، ٤ : ١٣٦
(٣) المرجع السابق ٣ : ١٠٦ ، ٤ : ٢٤٦
(٤) المرجع السابق ٣ : ٢٣ ، ٥ ، ١٩
(٥) المرجع السابق ٣ : ٢٤٠ ، ٤ : ٤٩
(٦) المرجع السابق ٣ : ٢٤٠ .
(٧) المرجع السابق ٤ : ٤٩ .

(توباد جبل من جبال «نجد» ولكنى لا أعلم موقعه ، وهذا الجبل هو الذى تغنى به شعراء «مصر» مطربوها وعند كتابة هذه الأسطر ، عزمت على سؤال الموسيقار المشهور محمد عبد الوهاب ، عن موضع هذا الجبل الذى يتغنى به كل حين «جبل التوباد» ، فلما قررت هذه الفكرة

ظننت أنه لا يعلمه وعدلت عن سؤاله) (١) ٠

فشعراء «مصر» لم يتغنوا بالتوباد ، وانما تغنى به المجنون (قيس) وردد ذلك أمير الشعراء شوقى فى مسرحيته «مجنون ليلى» وقال يرجع ذلك الصدى غناء عبد الوهاب ٠

وأى خبر عن جبل فى جزيرة العرب يملكه مغن فى «مصر» لم تطأ قدمه جزيرة العرب ؟ ، ثم أن المغنين عادة ليسوا بذوى ثقافة لغوية أو أدبية قديمة ، فيفترض عندهم علم بمثل هذا ٠

سابعا :

ان ترتيب كتاب ابن بليهد ترتيبا حديثا يسهل على الباحث طريق الاستفادة من هذا السفر الجليل ، الذى صحح كثيرا من المعارف عن الأماكن والبقاع فى بلاد العرب ، فقد يخطىء المتقدمون فى تحديد بعض الأماكن ، لانهم فعلوا ذلك رواية ونقلا عن الآخرين ، لكن ابن بليهد حين يعرض لمثل ذلك يجلو وجه الصواب منه ، من ذلك مثلا خطأ البكرى فى تحديده «للحجاز» ورد ابن بليهد لهذا الخطأ فلقد قال(٢)

(قال البكرى : عن محمد بن سهل) عن أبيه فحدود «الحجاز» ما بين جبلى طىء الى طريق العراق لمن يريد «مكة» ٠

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٠٦ ٠
(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٠ ٠

قال المؤلف : ان جبلي طيء بعيدان عن «الحجاز» وليسا قريبين منها وأصوب العبارات قول سليمان بن عياش السعدى بأنه حاجز بين «تهامة ونجد» ٠

ثم أن المؤلف رحمه الله لم يثبت فهارس كاملة ، على الزغم من شيوع ذلك في هذا العصر ، والفهرس الوحيد الذى أثبته كان للاماكن والبقاع وحتى في هذا فانه غير واف ، وكان جميلا من ابنه عبدالله أن يصنع ذلك عند اعادته لطبع الكتاب ، لكنه اعتذر عن هذا وغيره من أوجه النقص ، كالخرائط مثلا ، وان كان قد وعد بتحقيق ذلك في طبعة أخرى كما ذكر ذلك في مقدمة الطبعة الثانية ٠

وبعد فهذه ملاحظات واستدراكات سجلناها على صاحب كتاب «صحيح الأخبار» في أثناء قراءتنا له نضعها بين يدى قارىء بحثناهذا انصافا للبحث وانقيادا للامانة العلمية ٠

« وبالله التوفيق»



الفصل الثاني

كتاب (ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه)

• التعريف بالكتـــاب •

كتاب « ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، كتاب مخطوط للشيخ محمد بن بليهد أعده للطبع فى حياته ولم يطبع بعد ·

وتدور مادة هذا الكتاب حول الأماكن والبقاع ، التى أشتركـــت أسماؤها فى مادة واحدة ، واختلفت أماكنها ، وقد ألف ابن بليهد هذا الكتاب فى عام (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م) ·

وكان ـ رحمه الله عند تأليفه هذا الكتاب قدجاوز الرابعة والستين من العمر ، فمولد هذا الكتاب كان فى ظرف اشتد فيه الصراع بين ابن بليهد ، وبين المرضـــ والكبـــر ·

يقول ابن بليهد فى مقدمة كتـــابـه (١) :

(ونحن الآن فى زمان يجرى فيه العلم وراء الصواب ، ولا يستسيغ منه الا الحق واليقين ، وما خفف على هذا المجهود الجبار ـ وقد اشتعل الرأس شيبا ، وبلغت من الكبر عتيا ، ولازمنى المرض ، ناسيا كل هذا مضحيا براحتى ـ الا احقاقا للحق وخدمة للعلـــم) ·

---

(١) ما تقارب سماعه ص ١ ·

ولست أعنى أن الكبر قد أفقد ابن بليهد قوته فى التأليف وقدرته عليه ، فالعالم كلما تقدمت به السن زادت قدرته لازدياد حصيلتـــــه واتساع ميدان خبرته ، ولكن قد تكل العزيمة وتفتر الحماسة ، فيضعف النشاط ، ولا سيما اذا انضم الى ذلك المرض أعاذنا الله جميعا منه ٠

واذا كان مولد هذا الكتاب ، قد تم فى مثل تلك الظروف ، فليس عجيبا أن يأتى ضعيف اللغة ، هزيل الأسلوب ، قاصرا عن الاحاطـــة والشمول النسبى ، على الرغم من توفر الأسباب لدى صاحبه ، وهذا ما نضعه بين يدى القارىء ، فى حديثنا عن هذا الكتاب ٠

● سبب تاليف هذا الكتاب وأهميتـــــه ●

اشتراك الأماكن والبقاع فى اسم واحد ، والتقاء الأسماء فى مادة واحدة كثير ، يعرفه الناس حتى العامة منهم ، واذا كانت الظـــروف والملابسات قد تعين على فهم شىء من هذا ، فان الباحث كثيرا ما يقع عنده اللبس ، ولا سيما اذا اتصل ذلك بمنازل الأقدمين ٠

والقارىء لكتب اللغة والمعاجم ، اذا كان على معرفة ببلاد العــرب يجد الكثير من ذلك ، حتى عند أئمة هؤلاء أمثال : ياقوت الحمـــوى صاحب معجم البلدان ،والبكرى صاحب معجم ما استعجم ، والهمدانى صاحب صفة جزيرة العرب وغيرهــــم ٠

وذلك ما يضيف الى أعباء الباحثين عبئا جديدا ، عانى من مثله ابن بليهد عند تأليفه لكتاب «صحيح الأخبار» الأمر الذى أنشط عزيمتــه ليكتب هذا الكتاب ، الذى نحن بصدد الحديث عنـــه ٠

يقول ابن بليهد فى تقديم هذا الكتاب ، مبينا أهدافه من ورائـــــه (محلات تشابهت أسماؤها ، أو تعددت أعلامها ، ودنت ديارها أو شطط

مزارها ، وذكرت : وهادها ، ونجادها ، وعيونها ، وغدرانها ، وبيدها وسهولها وجاءت الفاظها في شعر الشعراء ، أو خطب الخطبـــاء ، أو مؤلفات الأدباء ، أو كتب المؤرخين • وقد لمست الحاجة الماسة الى أثبات ذلك في كتاب خاص ، خشية أختلاط الأسماء على الباحثين ، وتشابهها على المثقفين ، من مبتدئين وضالعين ، ورواة ومحدثين ، فقد يجـــد أحدهم اسما واحدا يقابله في فنه وعلمه ، وقد يطلق هذا الاسم نفسه على موضع آخر قد لا يمت الى ما يبحث فيه بصلة ، وفي ذلك ما فيه مما لا يخفى على كل مصلح أمين ، لا سيما وكثير من كتب المعاجم ، لم تحدد مواضع أكثر هذه الأسماء تماما ، ان لم تكن أهملتها اهمالا ، فضلا أنه لم يرد ذكر أكثرها في كتابنا «صحيح الأخبار») •

ومن هنا نجد أن أهمية مثل هذا البحث ، تكمن في الاحتياج المسيس لدى الباحثين ، في أدب العرب وتاريخهم الى التحديد بالمسافات والعلامات الواضحة للامكنة ، والتفريق الصحيح فيها : بين الجبل ، والكثيب ، والوادي ،وا لماء والبلد والمرعى ، وبينما هو في «نجد وتهامــــه أو الحجاز» أو غيرها ، وهو كثير وذلك غير متسن في كتب الأقدميـــن وقد ذكرنا سلفا من ذلك طرفـــا •

وهذا الكتاب لا يخلو من خلل ، في اللغة والأسلوب ، وقصور فـــي المادة واستطرادات قد تكون ضعيفة المتات بالمناسبة التي جرتها ، الا أن ذلك لا يحول بيننا وبين الاعتراف بأن هذا الكتاب ، غزير المادة جـــم الفوائد ، فيه منفعة للقارىء ، واسعاف للباحثين ، وبه وبأخيه (صحيح الأخبار) سد ابن بليهد ثغرة في دولة المراجع ، ثم هو في موضعه متمم لسابقـــة (صحيح الأخبـــار) •

وفيما يلي عرض وملاحظات واستدراكات ، أرجو أن يخرج منــها القارىء بصورة واضحة عن هذا السفر الجليل •

● عرض عـــام للكتـــاب ●

مقدمـــــة المؤلــــف :

يبدأ الكتاب بمقدمة للمؤلف ذكر فيها الأسباب ، التي دفعته ألـــى تأليفه كما أشار الى ما لقيه من عناء فى تأليف هذا الكتاب ، وان ذلك كان تضحية منه فى سبيل العلم ، وذلك أنه ألفه وهو يدافع عدويـــــن لدوديـــــن : المرض (١) والكبـــر ، كما أشار فى المقدمة الى أنه كان ينوى السفر الى «مصر» ، لطبعه هو والجزء السادس من كتـــاب «صحيح الأخبار» (٢) ٠ غير أن الأمير فيصل ـ رحمه الله ـ نصحـه بعدم السفر ، كما وعده بطبع الكتاب فى المملكة ، اشفاقا عليه مـــن وعثــــــاء السفر لأنه كان مريضـــا ٠

وقد قدم لهذا الكتاب الشيخ عبدالله بن خميس بتقريظ مقتضـب عرض فيه ، لعرب الجاهلية واعتمادهم على الذاكرة ، ثم مر فى عجالة على تاريخ التدوين ، وبخاصة مادة اللغة ومعاجم البلدان ، كما أثنى على المؤلـــف وكتابـــه ٠

● طريقتـــه فى التاليـــف ●

وقبل أن نأخذ فى عرض صلب الكتاب ، يحسن بنا أن نشير هنا الى النهج الذى سار عليه فى تأليفه : وهو أنه يجمع ما يندرج تحت اسـم واحد ، وما ينطوى تحت مادة فى ترجمة واحدة ، فيسرد هذه الأسماء تباعا فيما توافق فى الحروف جميعها ، يضعه ثم يرمز اليه بالرقم الذى يبين عدد الأمكنة ، التى يجمعها هذا الاسم ، وما اختلفت حروفه مــع

---

(١) راجع ما أوردناه فى النبذة السابقة٠
(٢) لم نجد لهذا الجزء أثرا ٠

كونه من مادته : يضعه بعينه ، ثم يأخذ فى تفصيل كل مكان على حدة مبينا ان هذا المكان ، فى ديار الهذليين مثلا ، ووقع فيه من الحـوادث ما هو كذا ، وقيل فيه من الأسفار كذا ، وأن هذا الماء مثلا فى ديار بنى غطفان ، وقال فيه الشاعر كذا ، ويبعد عن المكان الفلانى كـــذا •

وقد ذكر ابن بليهد طريقته فى ترتيب وتبويب مؤلفه هذا . فقال : «يعلم القارىء لهذا الكتاب ، أننى لم أرتبه على حروف الهجاء ، ولكننى رتبته على المتشابه من الاسماء الأكثر فالأكثر ، أولها عشرون موضعا واخرها ثلاثة مواضـــع (١) ، •••،، •••، ••••، •

وأما الشواهد والأشعار العربية ، فهل دليل على تقدم هذا الاسم فى الوجود ، وبقائه على أسمه الى عهدنا هـــذا» •

على أن فى هذه المقدمة ما يفيد أنه لم يتم الكتاب ، وذلك قولـه (وآخرها ثلاثة مواضع) ، فالذى فى أيدينا منه ينتهى بأربعة مواضع •

● صلـــب الكتـــاب ● (١)

بدأ الحديث فيه عن عشرين موضعا ، تجمعها كلمة شعب ، وبعد عرض اسمائها ، أخذ فى تفصيل الحديث عن هذه الأماكن العشرين ، على نحو من قوله ، قال المؤلف (الشعب) فى طريق «الأحساء» مخالطة الغوار يؤمها : الذاهب «للاحساء» ، والآيب منه ، الشعيبة موضعان : الأول منهما محلة قرب بلد «ثادق» فى الجهة الجنوبية منها ، وقد دفنتها الرياح وقد رأيتها قبل أن تدفنها ، ورأيتها بعدما دفنتها ، بها قصور أمير «ثادق» الأسبق عبدالله بن سعد بن سويلم ونخيله ، فاندفنت جميع تلك القصور والنخيل ، فلا ترى الا شرفات القصور ورؤوس النخيل • وهذا الخبر قد انتشر عند أهل «نجـــد» •

ويستغرق الحديث عن هذه المواضع العشرين ثلاث صفحـــات ، يخلص منها فى صفحة ١٨ ، الى الحديث عن ستة عشر موضعا تجمعها

(١) مقدمة ما تقارب سماعه ص ٢ •
(٢) يشغل تسعا وسبعين ومائة صفحة من الحجم الكبير •

كلمة بيض ، ويستغرق الحديث عن هذه الأمكنة صفحتين ، يخلص منهما في صفحة ٢٠ ،وحتى منتصف ٢٣ الى الحديث عن ثلاثة عشر موضعا تجمعها كلمة ملح ٠

وبعد الحديث عن ملح روى خبر معركة كانت فيه بين جيش الامام عبدالله ابن فيصل ، وبين العجمان ورئيسهم ، راكان بن حثلين «وروى طرفا من خبرها عن أبيه ، ثم نقل خبرها عن تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، عطف بعده الى بقية حديث أبيه عنها ، وقد شغل هذا الاستطراد صفحتين الا سطورا ، أتم بعده الحديث عن الأمكنة الاثنى عشر الباقية ، في صفحة ونصف تقريبا ، عرض بعد ذلك لثلاثة عشر موضعا آخر ، تجمعها كلمة عقل ، وعلى هذا النسق يمضى حتى ينتهى الكتاب (١) دون أن يختم بأى كلمة ٠

(١) لكى أدني تصور نهج هذا الكتاب المخطوط ومحتوياته للقارىء ، ارسم هذا الجدول لعدد المباحث التى احتواها ،والأماكن التى تضمنتها تلك المباحث ، ثم نذيله بجمع للمباحث ، ثم الأماكن ٠

مسلسل	عدد المواضع	عدد المباحث	ملاحظات
١	٢٠	١	
٢	١٦	١	
٣	١٣	٣	
٤	١١	١	
٥	١٠	٣	
٦	٩	٣	
٧	٨	٨	
٨	٧	٤	
٩	٦	١٣	
١٠	٥	٤٥	
١١	٤	٤٥	
		١٢٧	

مجموع المباحث «١٢٧» مبحثا ، ومجموع الأماكن «٧١٨» مكانا خلا ما يأتى عرضا فى ثنايا المباحث ٠

وقد سألت عبدالله ابن المؤلف عن هذا ، فأخبرني أن أباه كـــان ينوي الاضافة اليه ، ومما يدل على ذلك أمران : أولهما خلو الكتاب مما اشترك فيه ثلاثة أمكنة ومكانان ، وهو فيما أعلم كثير جـــدا ، وثانيهما : ما أسلفت الاشارة اليه في بيان نهجه ، من أنه ذكر أن آخر الكتاب ما يشترك فيه ثلاثـــة أمكنة .

غير أن ما في أيدينا منه ينتهي بما يشترك فيه أربعة ، أضف الى ذلك أنه لم يضع فهرسا للكتـــاب .

● ملاحظـــــات ●

١ ـ أن لغته وأسلوبه في هذا الكتاب تدنو من لغته وأسلوبه في كتابه «صحيح الأخبار» لغة سهلة ، تجنح الى العامية حينا ، وأسلـــوب سهل يسير لا تكلف فيه ولا عناء ، وأسلوب ابن بليهد في كتابه قسمان الأول : ما يمليه انشاء ، وهو فيه يشبه أسلوب الجبرتي من حيث اليسر والسهولة ، التي تدنو الى حد الابتذال أحيانا ، وجريـــان قليل من الألفاظ العامية فيه ، مع فارق البيئة واختلاف لهجة العامة والثاني : ما يرويه من قصص وحكايات ، وهذه تغلب عليها العامية فلعل ذلك أتى من كونه رواها عن العامة ، وان كنت لا أعذره في هذا ، ومن ذلك ما ورد في قوله عن بعضهم : (أتينا ونحن أثنـــا عشر «حنشوليا» وكان الناس في وقت الربيع فكمننا فـــي وادي القصير ، ومعنا رجل يحمل بندقية من «المقاميع» ونحن على طريق أهل المذنب ، الذين خرجوا ليأتوا بالعلف لسوانيهم ، وكلما وصـــل الينا قسم مسكناهم في بطن الوادي وكتفنا الرجال منهم (١) .

---

(١) ما تقارب سماعه وتباينت أمكنتـــه وبقاعه ص ١١٦ ، ١١٧ .
الحنشولي : الذي يغزو على الأقدام ـ هكذا ذكر في الهامش وصححه :قاطع طريق

٢ ــ يكثر استشهاده بالشعر الفصيح والعامى ، ولكنه على أى حال أقل مما كان يصنعه فى كتابـــه «صحيح الأخبـــــار» .

٣ ــ حين يعرض لمكان كان له شأن من الشئون ، فانه يشير الى ذلــك فمثلا «بوضان» يقول ابن بليهد : (بوضان : جبل عظيم من جبال «الحجاز» المشهورة ، وهى فى بلاد «دوس» التابعين لقبائل زهران وهم من قبائل «اليمن» المشهورة وفى بلاد «دوس» ذو الخلصة الصنم المشهور ، الذى هدمه جرير بن عبدالله البجلى ، حين بعثه رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهدمـــه . (١)

٤ ــ ومما يلاحظ فى هذا الكتاب ، أن صاحبه لا يشير الى المعاجم فى ذكره للاماكن والبقاع والبلدان الا نادرا جدا ، خلاف ما كـــان يصنعه فى كتابه «صحيح الأخبار» ولعل هذا راجع الى أنه كـــان يمليه على ابنه عبدالله من الذاكرة .

٥ ــ يفوته أحيانا أن يذكر أماكن فى موضع ، ثم يوردها فى موضـــع آخر لمناسبة ولغير مناسبـــــة .

من ذلك على سبيل المثال (رياض القطى) فقد فاته ان يذكـــرها فيما ــ جمعته كلمة «روض» (٢) ، ثم ذكرها فيما جمعته كلمـــة «خرم» (٣) بمناسبة ذكر «خريم» ، على أنه قد بسط القول فيها كتابه «صحيح الأخبار» (٤) . ولعله انما يترك مثل ذلك سهوا ، أو أختصارا ، والأول عندى أرجح لكثرة الاستطراد عنده .

٦ ــ وقد يضمن كتابه شيئا من ذكرياته الدالة على طباع أهل عصره وأخلاقهم كقوله : (ضبعة هضبة قريب «السبلة» التى دارت فيها

---

(١) ما تقارب سماعه ص ١٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٦،٥٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٨٧،٨٨ .
(٤) صحيح الأخبار ١ : ٢٢٩ ، ٢٥٠ .

المعركة بين جلالة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وبين أعدائه وأذكر يوما ونحن جلوس عند الأمير عبدالله بن عبد الرحمن آل فيصل في بيته في «مكة» بعد صلاة المغرب ، فسمع الأمير حشر البواردي ، قد أقبل علينا ، فنزل من كرسيه على المخدة وقال : انزل واتكيء «على»مشلحك (١) ، واذا وصل حشر لا تتحول من محلك ، فصادف أن رجلي جهة الشيخ ابن زاحم ، وبادي بن دبيان ، فلما وصل حشر ـ رحمه الله ـ خذ يستدير في المجلس ، فوقف ولم يجلس فقال الشيخ ابن زاحم : لماذا لا تجلس ؟ قال : ما أنا بجالس أخاف أن يخسف الله بكم ، فقال له الشيخ : ما هو السبب ؟ فقال له : كيف أن رجلا من أهل غسله ماد رجله الى وجه رجل محول الخيل يوم السبلة من «خشم ضبعة» ، وهو لا يعلم أن المسألة مدبرة (٢) ٠

٧ ـ وهو في ذكره للاماكن المتقاربة في الاسم وتحديده لها ، لا يفوته أن يذكر ما جرى على تلك الأماكن من تغير أو تبدل أو نسيان ، كما يشير الى قول أرباب المعاجم خاصة عندما يخطيء أحدهم في تسمية أو تحديد المكان ، الذي هو موضع الحديث ٠

ومن ذلك قوله : (معدن البرم) ، هو المسمى اليوم (أضاخ) وهذا اسمه في العهد الجاهلي ، قال فيه أمرؤ القيس ، والحارث في مساجلتهما :

فلما أن دنا لقفا أضاخ
دنت أعجاز ريقه فحارا (٣)

---

(١) المشلح يعني العباءة ٠
(٢) ما تقارب سماعه ص ٩٨ ، ٩٩ ٠
(٣) ما تقارب سماعه ص ٢٣

وقال ياقوت فى معجمه : (معدن البرم) بين (ضرية والمدينة) ، وهناك موضع «أضاخ» مشهور ـ وياقوت ـ رحمه الله ـ غلط فى تحديده حيث قال : بين «ضرية والمدينة» ، والصحيح أنه بين «ضرية والسر» يعرف الآن بـ «وضاخ» •

على أن أستشهاده بأقوال أرباب المعاجم أقل مما عرفناه عنده فى كتابه «صحيح الأخبار» وقد أسلفت الاشارة الى هذا

٨ ـ والى جانب احتواء الكتاب ، لكثير من الأماكن والبقاع وتحديدها نجده يحتوى الكثير من طريف القصص والحكايات ، فيها : ما يرويه المؤلف عن المعاصرين له من بدو وحضر ، وفيه ما يرويه عن كتب التاريخ . ومن المناسبات التى جمع فيها بين طريف القديم والحديث ما رواه فى حديثه عن «مطوى» حيث قال :

«المطيوى» ثلاثة مواضع مضافة :الأول منها «مطيوى دلعة» منهل ماء ترده الأعراب ، معروف فى غربى «دلعة» يمره واديها ، «ودلعة» قد سكنتها قبيلة ذوى خيوط من الدعاجين • وقد حدثنى عرديل الدعجانى قال : كنا قاطنين على ماء «المطيوى» المذكور ، وكان لنا جار مع الغزو الذين أصابتهم السخونة فى «تهامة» وفى ذات يوم بعد صلاة العصر ، رأينا طيرا مربوطا فى مخالبه سيورا ، يحوم فوق البيوت وقد فهمنا أنه ـ بلا شك ـ من طيور الصيد قد انطلق من صاحبه ، وكان بجانبنا أمرأة ، فقالت هذا طير فلان تقصد جارنا الذى مع الغزو فى «تهامه» ، وكان معه طير لما سافر للغزو فأخذنا لحمة ورميناها له ، وندبناه فجاء منقضا عليها كأنه لم يغب عنا يوم . فقلنا لمن حولنا : اعرفوا هذا اليوم ، الذى وصل فيه هذا

الطير ، فلما رجع صاحبه ، وأخبرناه باليوم الذى وصلنا فيه الطير وحسب الأيام التى ضاع فيها طيره ،وجد أنه فى اليوم الذى وصلنا فيه ، أطلقه على أرنب بالقرب من «ابها» بعد طلوع الشمس فانقض عليها ولم يعد .

وليست بغريبة قصة هذا الطير ، فقد ذكر المؤرخون أنه فى وقعة الجمل قد قطعت يد محمد بن طلحة بن عبيد الله فى تلك الوقعة ، وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم ، الذى حصلت فيه الوقعة ، سقطت من نسر فى «المدينة» يد رجل ، فلما أخذوها وجدوا خاتم محمد بن طلحة بن عبيدالله عليها ، فعلم أهل «المدينة» بالمعركة بسبب هذا الطير فى يومها ، الذى وقعت فيه (١) .

ومن طريف ما رواه من القصص والحكايات قصة رجلين (٢) وجد أحدهما شاة فى بئر ، وسقط على الآخر فصيل ناقة ، من فتحة كانت فى سقف بيته .

٩ـ وفى تحديده للاماكن والبقاع قلما يفوته مكان دون أن يعلق عليه بشىء مما عرف به ، قد يفصل وقد يجمل ، ولكنه على أى حال يدلى بما عنده . خذ مثلا هذا النموذج لتعليقاته المختصرة :

«الزاهر» : يطلق هذا الاسم على وادى «الشهداء» والشهداء لها اسم قديم غير هذا الاسم ، يقال لواديها : وادى «فخ»، وهذا الموضع هو الذى يقول فيه بلال مؤذن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم لما وعكته حمى «المدينة» :

---

(١) ما تقارب سماعه ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ ، ١٦١

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلـــــة
بفخ وحولى أذخر وجليل (١)
وأشرب ماء من مياه مجنـــــة
وهل يبدون لى شامة وطفيـل

بلاد زهران : «هى بلاد واسعة مترامية الأطراف التى أولها» بيده واسمها الجاهلى «بزيادة» همزه هكذا «أبيده» وآخرها بلاد دوس بها فواكه جمه وحبوب كثيـــــرة ٠

«الازهر» : هو الجامع المعروف بهذا الاسم فى «مصر» ، وهو من أقدم الجامعات العلمية فى الشرق ، مشهور بدراسته الاسلامية والدينية ، وأهله معروفون بعلمهم وهيئتهم ولبسهم ، وقد بنـــاه جوهر مولى لأحد ملوك «مصر» ، وكل عالم يتخرج من الأزهر يعد مـــن رجـــال الاصـــلاح ٠

١٠ ـ وحين تحدث عما جمعته كلمة «مغر» (٢) وهى ستة ، يبدو أنه لم يكمل هذه المادة ، اذ لم تشغل من ص٦٢ سوى ستة أسطر وباقـى الصفحة فراغ ، ثم فى ص ١٦٨ ذكر أربعة أمكنة تجمعها كلمـــة «صلب» ، لكن لم يتحدث عنها بكلمة وترك باقى الصفحة ، والصفحة التى تليها من بعد فراغ ، فلعله كان ينوى ـ رحمه الله ـ الحديث عنها مستقبلا ٠ وذلك ما أكده لى ابنه عبدالله الذى أملى عليـــــه والده هـــــذا الكتاب قبـــل وفاتـه ٠

---

(١) ما تقارب سماعه ص ١٨١ ٠
(٢) ما تقارب سماعه ص ١٦١،١٦٢ ٠

● استدراكـــات ● :

لقد توفر لابن بليهد من الأسباب التى تؤهله لمثل هذا العمل ما لم يتوفر لغيره ، فلقد كان كثير التجوال فى جزيرة العرب فى أيام كانت الابل فيها وسيلة التنقل ، فاعطاه ذلك حصيلة ضخمة من معرفة الأماكن والبقاع ، الى ما لديه من الخبرة العلمية والاطلاع الواسع على ما كتب الأقدمـــون فى هذا الميـــدان ٠

ثم أنه كان كثير الاتصال بالبادية الى كونه نديما للامير فيصل بن عبد العزيز ، ثم أنه ذو جلد وصبر على القراءة والكتابة ٠

ومع توافر هذه الأسباب مجتمعة لديه ، فقد فاته ذكر بعض الأماكن كما وقع فى بعض الهفوات ، التى لا يسلم من مثلها من يتصدى لمثـــل عملـــه هـــذا ٠

وانقيادا لما التزمناه من دقة فى البحث ، وأمانة علمية ، نقدم هذه الاستدراكات التى سجلتها عند قرائى لهذا الكتاب ، وهى استدراكات يمكن ادراجها تحت عناويـــن أربعـــة :

أولا : اللحن فى الأسماء والأساليـــب (١) ٠
ثانيا : الخطأ فى تخطئة الأقدمـــين ٠
ثالثا : خطؤة فى التحديد والتسمية والتعبير ٠
رابعا : أمكنة ومواضع فاته تسجيلها ٠

أولا :

اللحن فى الأسماء والأساليـــب :

١) حين عرض لذكر «جازأن» أثبته «جيزان» ، وهذا خطأ شائـــع على ألسنة العامة وأشباههم ، كان أولى بابن بليهد أن ينبه عليه لا أن

(١) ما تقارب سماعه ص ١٥ ، ١٦

يقع فيه ، وخاصة أنه ورد فى «صفة جزيرة العرب» للهمدانى (١) والذى حققه ابن بليهد «جازان» هكذا ، وأورده بالألف ياقوت (٢) • على أني أكاد أجزم بأنها سهوة من المؤلف أو خطأ من الكاتب ، لشيوعه على الألسن كما أسلفنـــــا •

٢) ومن الأساليب العامية التى كان يجمل به النزوع عنها قوله : (فلا نعلم من الصواب معه) (٣) ، وقوله (ان الذى لا يذهب الى بطحـــان لشراء الحـــب ما كأنه أمتـــار) (٤) •

وقوله : (الدربيل أى المنظار) (٥) ، قوله : (غرتينا ياغرور) (٦) بمعنى غررتنا ، وقوله:(أخبر أهلى وأخوتى تراى مع هذه القافلة)(٧) ومعنـــى تـــراى : انـــى •

ثانيا :

الخطا فى تخطئـــة الأقدميـــن :

فى حديثه عن «البحيرة» قال : البحيرة ثلاثة مواضع : الأول منها فى «مصر» معروفة عند أهلها ولم يذكرها ياقوت مع البحيرات ،والواقع أنها ليست بحيرة بالمفهوم ، والا لذكرها ياقـــوت . ولذا لاوجـــه للاستـــدراك عليه فى هـــذا •

---

(١) انظر الكتاب ص ٧٣،٥٤،٥٢ •
(٢) معجم البلدان ٣ : ٢٦ •
(٣) ما تقارب سماعه ص ٣١ •
(٤) ما تقارب سماعه ص ٥٤ •
(٥) المرجع السابق ص ٦٤ •
(٦) المرجع السابق ص ٩١ •
(٧) المرجع السابق ص ١٠٩ •

ثالثا :

خطؤه في التحديد والتسمية والتعبير :

١) عند ذكر «روضة معقلا» (١) ، ذكر روضة أخرى هي «خسيفا» وبجانبها الا أنه قال «فتجمع بالنطق بها ، فيقال : «خسيفا ومعقلا» ، ولا يقال معقلا وخسيفا» • وهذا نفى لا أرى له وجها ، ولم يذكر عليه دليلا ، فأى مانع يمنع من أن نقول : معقلا وخسيفا ، كما نقول خسيفا ومعقلا ، كما قال مثل ذلك عند ذكره «الرقباء والرحيمية» (٢) •

٢) في حديثه عن «حجر» قال : (وحجر هذا معروف بهذا الاسم الى هذا العهد غربي الرياض) (٣) • والذى أعرفه أن «حجرا» هذا هو «حجر اليمامة» يقع في الشرق الشمالي من مدينة «الرياض» القديمة ، على ضفة وادى «الوتر» المعروف «بالبطحاء» ، ووادى «الوتر ، الحجر» كلاهما صارا وسط مدينة «الرياض» الحديثة ومن تعرف على «حجر» الشيخ حمد الجاسر في كتابه «مدينة الرياض» •

٣) وفي قوله «السبع» قرية من قرى «فلسطين» ، تحمل هذا الاسم من العهد الجاهلي الى هذا العهد (٤) والذى أعرفه انها تعرف ببئر السبع

٤) عند ذكر البحر قال : (وذكر ياقوت في معجمه ثمانية مضافة (٥) ولم يذكرها هو ، فلو أنه فعل لكان أجمل •

٥) ذكر في ما جمعته كلمة «سحل» ساحلي المملكة الشرقي والغربي ، وكان الأولى أن يقول : كلمة ساحل ، تطلق على كل ما جاور البحر •

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣ •
(٢) ما تقارب سماعه ص ٦٣ •
(٣) ما تقارب سماعه ص ٣٥ •
(٤) ما تقارب سماعه ص ٣٠ •
(٥) المرجع السابق ص ٣٨ •

رابعا :

أمكنة ومواضع فاتـــه تسجيلهـــا :

١) ذكر ان «الشعبة» ـ موضعان ففاته موضع ثالث ، وهـــو واد ينحدر من جبل «طويق» ويسقى الكثير من نخيل «العودة» بـــوادى ســـديـــر» (١)

٢) ذكر أن : الشعيبة (٢) ماء وفاته أن يذكر أن الشعيبة أيضا نخيل فى الجنوب الشرقى من بلدة «العـــودة بسديـــر» ·

٣) هناك أماكن كثيرة فات ابن بليهد ذكرها ، وكان قد ذكر بعضا منها فى كتابه «صحيح الأخبار» مثل : «الأخشبين» (٣) فقد فاته ذكرها فى هذا الكتاب ، بينما نجده تحدث عنها كثيرا فى «صحيح الأخبار» ·

٤) وفى الموضعين اللذين ذكر منهما ما تجمعه كلمة «قرن» لم يذكـــر أماكن أخرى ، ومما فاتـــه ذكـــره :

أ ــ «قرن المنازل» (٤) وهو المكان الذى يحرم منه الحجاج الوافدون الى «مكة المكرمة» من شرقيها قبل اصلاح الطريق الذى يأتى مـــن الطائف وهو «الهدى» نسبة الى المنطقة ، التى تلى « الطائـــف » ويمر فيها الطريق ، وبعضهم يسميه «كرى» نسبة الى الجبل الذى شـــق فيـــه ·

ب ــ «القرناء» وهى موضع فيه هضبتان صغيرتان مقرونتا القاعدة ، وفى القرناء هذه آثار واضحة لمنازل واسواق قديمة ، وتحيط بهـــا

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ ·
(٢) المرجع السابق ص ١٨ ·
(٣) صحيح الأخبار ٣ : ١٣٩ ·
(٤) ما تقارب سماعه ص ٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ·

آبار مطمورة ، وهى قريبة من المكان المعروف بمدينة «غيلان» تدل أسس بنائه العريض ، وبئره المنحوتة فى الصخر ، على الفن والقوة

وتقع القرناء ، وقصر «غيلان» فى أسفل وادى سدير ، وقد أهملها فى هذا الكتاب ، كما أهملها فى كتاب «صحيح الأخبار» .

٥) وفى حديثه عما جمعته كلمة «عين» (١) مضافة أو غير مضافة ، فاته أن يذكر عين زبيده ، وهى التى تسقى «مكة المكرمة» أجرتها زبيدة زوجة هارون الرشيد ـ الخليفة العباسى ـ فنسبت اليها .

٦) وفى ذكره «لسديرة» (٢) فاته أن يذكر مكانين : أحدهما قرية بين «الطائف» «وتربة» فى منتصف الطريق ، والثانى مزرعة فيها نخل فى العودة من أقليم «سدير» .

٧) وحين ذكر «الوسطا» (٣) قال : انها بئر فى بلد القراين ، وهناك بئران أيضا فيهما مزارع ونخيل : الأولى فى بلد «العودة» ، والثانية فى بلد «الحوطة» وكلتاهما «بسدير» .

٨) وحين ذكر «واسط» (٤) قال أنهما واديان ، وحددهما فى «نجد» وقد فاته أن يذكر موضعين أيضا يطلق عليهما هذا الاسم : أولهما واسط الذى فى «العراق» ، وهو أشهر من أن يعرف . والثانى بئر زراعية كبيرة تابعة لبلده «العودة» .

٩) وفى ذكره لما جمعته كلمة «حم» (٥) ذكر حمام وما شاكلها ، ولم يذكر أم الحمام التى تقع شمال مدينة «الرياض» ، وهى حى حوله مزارع ونخيل .

---

(١) ما تقارب سماعه ص ٣١ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٣ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٤ .
(٥) المرجع السابق ص ٤٧

١٠) عندما ذكر المرقب لم يذكر المرقب (١) الذى فى الجنوب الغربى من بلد «العودة» ، وهو جبل صغير فى أعلاه برج قديم البناء ٠

١١) فى حديثه عما جمعته كلمة «وشم وشام» (٢) لم يذكر الشامية وهى حى كبير فى «مكة المكرمة» بجانب الحرم الشريف ٠

١٢) وتكلم عما جمعته كلمة «كلب» (٣) من أودية وغيرها ، وفاته ان يذكر وادى الكلب ، وهو أحد أودية «ذى أراط» ٠

١٣) وفى حديثه عما جمعته كلمة «بكر» (٤) لم يذكر البكيرية ، وهى بلدة كبيرة باقليم «القصيم من نجد» ٠

١٤) وعند حديثه عما جمعته كلمة «قور» (٥) لم يذكر أبا القور وهو «بذى آراط» ٠

١٥) وعند ذكره لما جمعته كلمة «بقر» (٦) ، لم يذكر البواقر ، وهى روضة قريب من مدينة الرياض الى الغرب ٠

١٦) وفى حديثه عما جمعته كلمة «خنق» (٧) لم يذكر الخنقة وهى مكان معروف بين العودة والعطار بسدير ٠

١٧) وفى حديثه عما جمعته كلمة «جبر» (٨) ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٦٨ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٧٣ ، ٧٤ ٠
(٤) المرجع السابق ص ٨٠ ٠
(٥) المرجع السابق ص ٨٢ ٠
(٦) المرجع السابق ص ٨٣ ٠
(٧) المرجع السابق ص ٨٩ ، ٩٠ ٠
(٨) المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١١٠ ٠

أ ـ ذكر أن البستان الذى فى «الطائف» اسمه «جبرة» ، والــذى أعرفه أن اسمه «شبره» ، على أن الجيم والشين يتعاوران فــى اللغــة •

ب ـ لم يذكر موضعين كلاهما يعرف بجبرة الأول حي من الأحياء الجنوبية «بالرياض» ، والثانى قرية صغيرة تقع بين «الخرج والرياض» •

١٨) وحين ذكر ما تجمعه كلمة «قرى» (١) ، فاته أن يذكر كثيرا من الأماكن المعروفة بهذا منها : القرى حي مــن أحياء وســط «الرياض» ، ومنها القرى في أسفل وادى «سدير» ، وهى مزرعة موسمية لآل حسين ، وبئر فيه نخيل ومزروعات فى أعلى بلــدة العودة لهم أيضا،ومنها القرى بالتصغير وهى حي فيغرب الرياض

١٩) فى ذكره لما جمعته كلمة «شمس» (٢)

أ ـ لم يذكر الشماسية وهى بلدة ذات مزارع ونخيل كثيرة تبعد عن «بريدة» عاصمة «القصيم» بستة وعشرين كيلو متــرا ، وكذا «شماس» التى تقع فى الشمال الغربى من مدينة بريدة

ب ـ ذكر أن الشمسية وهى بئر ذات نخيل شمالى شرق «الرياض» والواقع أنهاقد تحولت اليحى سكنى فىوسط مدينة«الرياض» بعــد امتدادهــا •

٢٠) وفى ذكره لما جمعته كلمة «رمه» (٣) ، لم يذكر الرميمى ، وهو مكان شمال أسفل وادى سدير به مزارع موسمية •

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢ •
(٢) المرجع السابق ص ١٣١ •
(٣) المرجع السابق ص ١٣٢

٢١) وفي ذكر ما جمعته كلمة «سودة» (١) ، لم يذكر السويدى وهو ثلاثة :

الأول : فى عمان قرب الخليج العربى ، والثانى : حى فى شمال «الرياض» ، والثالث : مكان فيه مساكن ومزرعة ونخيل غـرب مدينة «الرياض» وصله مدها العمرانى .

٢٢) وفاته أن يذكر «سمحان» (٢) وهى بلدة بالخرج .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٨٨ ، ١٩٠ .

• كلمـــــة أخيــرة •

لقد انتهيت من صحبة ابن بليهد فى كتابه (ما تقارب سماعـــه وتباينت أمكنته وبقاعه) وأنا أكثر اعجابا بهذا العمل ، وأشد شعورا بالحاجة الى اتمام ما بدأه ابن بليهد بعمله هذا الذى فتح به مدخــلا جديدا ، الى خدمة اللغة وعلومهـــــا •

ومع اعجابنا بهذا العمل وتقديرنا له لا نملك الا أن نقول : أنــه بداية طيبة غير أن ابن بليهد عنى فى عمله هذا «ينجد والحجاز» ومــا يليها من الأماكن في حدود معرفته ، وقد يجاوز ذلك الى بعض الأماكن فى البلاد العربية الأخرى كمصر والشام والعراق ، الا أن ذلك قليل •

من هنا لم أستحسن أخذه بما فاته من مشتبه الأماكن خارج جزيرة العـــرب •

واذا أردنا أن نضرب مثالا على ذلك فمنه مثلا «عين» ، فقد فاته حين تكلم عن هذه المادة (١) أن يذكر ما كان فى « مصر والشـــام» «كعين شمس» ، وعين الصيرة ، «وعين حلوان وعين جالــوت» وعين موسى «والعوينات بليبيا» و «عين زغرته» بلبنان •

ونحن فى ثنائنا ونقدنا لا ننسى أن الرجل كان يعانى من الكبـــر والمرض ما شكا منه فى قوله : (وما خفف على هذا المجهود الجبـــار ، وقد اشتعل الرأس شيبا ، وبلغت من الكبر عتيا ، ولازمنى المرض) (٢)

ثم أن هذا العمل بداية منهج جديد فى التأليف اللغوى شأنه فيــه كشأنه فى كتابه «صحيح الأخبار» نهج مبتكر ومدخل الى ميدان فـــى

---

(١) ما تقارب سماعه ص ٣١ •
(٢) المرجع السابق ص ١ •

اللغة جديد ، يلقى على علماء اللغة والأدب المسئولية فى أن يتموا مــا بدأه ابن بليهد فى هذين الكتابين لخدمة اللغة العربية وعلومها

وما قدمته من استدراكات على المؤلف ليس هو كل ما يقال اذ أنى لم أتتبع المعاجم ، ولم أتقص الخبر والسؤال فى هذا ، وانما ذكرت ما ورد على ذهنى ساعة القراءة مما أطمئن الى صحته •

وقد سبقت بدايات فى هذا النهج من التأليف منها : المشترك وضعا والمختلف صقعا ، لياقوت الحموى ، وما اتفق لغة واختلف معنــى ، أو كتاب «الأماكن» للحازمى ، وما ائتلف صورة واختلف معنى «لنصر بن عبد الرحمن الاسكندرى ، والأول مطبوع • غير أنها لم ترق الى تحقيق الهدف المنشود ، ولم تصل الى ما وصل اليه صاحبنا فى مؤلفه هذا ، من اتساع المادة ودقة التحديد للاماكـــــــن •

الفصل الثالث

تحقيق
صفة جزيرة العرب للهمداني (١)

عرض الكتـــاب :

كان الشيخ ابن بليهد ينوى اخراج جزء سادس لكتاب « صحيــح الأخبار » يقصر الحديث فيه على «نجد» كما ذكر ذلك فى مقدمة الجزء الخامس ، فلما عثر بعد بحث طويل على كتاب «صفة جزيرة العـــرب للهمدانى » ، عدل عن نيته تلك واستبدل منها تحقيقه لهذا الكتـــاب ،

---

(١) أخرجت دار اليمامة بالرياض أخيرا، كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى بتحقيق جديد ، لأحد علماء اليمن المعاصرين هو الشيخ محمد بن على الأكوع الحوالـى ، وقدم له وأخرجه المحقق الشيخ حمدالجاسر ، وقد اقتضبت هذه الأسطـــــر من ترجمة الجاسر للهمدانى ٠

الهمدانى ـ مــن (٢٨٠ ـ ٣٤٤ أو ٣٦٠ هـ) ـ (٨٩٣ ـ ٩٥٥ أو ٩٧٠ م) على خلاف فىذلك بين الشيخين : الجاسروالأكوع هو الحسن بن احمد بن يعقــوب ، ويعرف بابن يعقوب والنسابة ، وبابن الحائك ، وتكرر فى «معجم البلدان» ابــن الدمينة وصوابها ذى الدمنة ، ويدعونفسه «لسان اليمن» ويعبر عن نفسه قائــلا «أبو محمد» أو «الهمدانى » ، وابــنحائك قصد به التنقيص ، وليس صحيحا ما جاء فى «طبقات الزيدية» أنه حائكمن حاكة «ريده» ذكر هو نسبه موصـــولا «بهمدان» بالجزء العاشر من كتابــه«الاكليل» ٠

كان شاعرا مدح بعض أهل عصره ،أقام بمكة زمنا ، وكان بينه وبين الكثير من شعراء عصره معارك كلامية كــانمصدرها تعصب بعضهم علـــى القحطانيين ، الذين قام الهمدانى للدفع عنهـــمبشعره ، حتى أفضى به ذلك الى السجن ٠
وهو مقدم فى كثير من الفنون كعلمالبلدان (الجغرافيا الوصفية) والأنســاب والآثار ٠

وبالاجمال فهو دائرة معارف فـــى :التاريخ واللغة والأدب والجغرافيا والطـــب والحساب وغيرها من العلـوم ٠ =

فأسدى للادب والتاريخ واللغة والجغرافيا بعمله هذا يدا بيضـــاء ، وبخاصة أنه المصدر الأول لفحول هذا الميدان أمثال : ياقوت ، والبكرى ثم ان مؤلفه كما قال ابن بليهد كان دقيقا فى الوصف والتحديـــد لأنه انما كان يكتب بعد خبرة عملية ، فكتابه هذا نتيجة تطواف طويل فى جزيرة العرب وقف فيه على المنازل والديار ، وتفحص الأطـــلال والآثار ، فجاء أقرب الى الصواب من أولئك الذين أخذوا عـــن الرواة ، واستنطقوا الأخبار والأشعـــار ٠

من هنا كان ابن بليهد كثير الحرص على الحصول على كتـــاب «صفة جزيرة العرب» حتى جاءته نسخة من «اليمن» فأقبل عليها بكـل ما أوتى من قوة ، وأنسته فرحته به مرضه ، أو لعله كان يرى فيه نوعا من العلاج ٠

١) كتب ابن بليهد مقدمة للكتاب ، أشار فيها الى كتابه «صحيـــح الأخبار » ونيته فى تحقيق كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمدانى ، ثم وجد أن نشره أجدى فعزم على ذلك ، كما أشار الى ما قابله من عنـاء فى الحصول على هذا الكتاب ثم أخذ يثنى على الهمدانى بعد مالا مـه لوما خفيفا ، على اختصاره فى الأماكن الخارجية من «اليمن» كما لامه على عدم الترتيب ، وان كان قد أثنى على دقته وتثبته ، وضرب لذلك مثلا بأمانته عندما أراد أن يسجل فى كتابه «أرجوزة الحج» لاحمد بن عيسى الرداعى ، عاد بعد ذلك الى الحديث عن صنيعه هو فى هـــذا الكتاب ، وذكر المنهج الذى أختاره لتحقيقه ، وأنه آثر أن يجعـــل التحقيق مستقلا ، وذلك بعد تفكير طويل فى طريقة التحقيق آثر بعده هذه الطريقة ــ كما قال ــ لأسباب ثلاثة حملته على أن يجعل منه قسما

= عد الشيخ حمدالجاسر من مؤلفاته ثلاثة وعشرين مؤلفا شملت شتى المعـــارف منها «الاكليل» ، صفة جزيرة العرب ، وله ديوان شعر (انظر كتاب صفة جزيـــرة العرب للهمدانى ، تحقيق الشيـــخ محمد بن على الأكوع ، تقديم الشيخ حمـــد الجاسر من صفة ٦ ــ ٣١ طبعة دارالیمامة بالرياض) ٠

مستقلا يذيل به الكتاب وأول هذه الأسباب الثلاثة : الفرار من الاطالة التى قد تتطلبها بعض المواضع ، وثانيها : أن ذلك شبيه بعمله فيما أخذه على البكرى وياقوت ، فى الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه «صحيح الأخبار» وثالثها : التوفر أولا على اخراج كتاب الهمدانى ، ثم أخراج ما أخذه عليه بعد ذلك فى جزء ملحق بالكتاب ، يطلق فيه كما يقول ـ للقلم العنان ٠

وهذا عمل من شأنه ـ كما ذكر ـ أن يضع فى يدى القارىء كتابين بدلا من كتاب ٠

٢) وبدأ صلب كتاب الهمدانى بعد المقدمة وتقريظ للشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ، وأول موضوع فيه حديث عن : المعمور ، وأفضله وحدوده وأقسامه ، وطبيعته وطباع سكانه والمفضل منه ، وخطوط طول وعرض المدن المشهورة ٠

وهو فيه ينقل عن الأقدمين من يونانيين وغيرهم ، وممن أكثر النقل عنه بطليموس وتنتهى هذه المقدمة فى صفحة ٤٥ ثم يبدأ الحديث الخاص بالأمكنة والبقاع فى جزيرة العرب عند الهمدانى ، وقد سار الهمدانى فى كتابه على تقسيم جزيرة العرب الى مناطق وأقسام ، تحدث عن كل واحد منها تحت عنوان يخصه ، حتى ختم الكتاب بأرجوزة الحج ، لأحمد بن عيسى الرداعي ، وهى نهاية كتاب الهمدانى (١) ٠

٣) تحقيق صفة جزيرة العرب لمحمد بن عبدالله البليهد (٢) ٠ بدأه بمقدمة مجتزأة ذكر فيها نهجه فقال : (وقد سهلنا تناوله للقارىء فأشرنا عند الكلام على كل موضع الى الصفحة والسطر ، اللذين يحددانه بحرف (ص) الى الصفحة ، و (س) الى السطر ، وأثبتنا ذلك

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٣٦ ـ ٢٨٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٣ ـ ٤٣١ ٠

فى فهرس خاص غير فهرس الكتاب ، الذى أثبتناه برمته عن نسخة بريل المعروفة) . (١)

أخذ بعد هذا فى تتبع ما ورد فى كتاب الهمدانى من أسماء الأماكن والبقاع ، يجمل تارة ويفصل أخرى ، حتى اذا وصل الى أرجوزة الحج «لأحمد بن عيسى الرداعى توقف مكتفيا ـ كما قال ـ فى الخاتمة بما قال الهمدانى ومما قاله فى خاتمة تحقيقه ، : (قد انتهينا بحمد الله ومعونته وحسن توفيقه من تحقيق البقاع الواردة فى «صفة جزيرة العرب» لانقلا عن الكتب ولا سماعا من الأفواه ، ولكن رأى العين وشد الرحال وحث القدم) (٢) .

● ملاحظات واستدراكات ●

فى قراءتى لهذا الكتاب سجلت الملاحظات والاستدراكات الآتية :

أولا : الملاحظات :

أ) تحدث الهمدانى فى كتابه عن جزيرة العرب بعد أن قسمها ، وتحدث عن كل قسم على حده ، وكان من السهل المفيد أن يضع ابن بليهد فهرسا لموضوعاته ولكنه لم يفعل .

ب) جرت العادة لدى المحققين على أن يترجموا للاعلام الواردة فى النص المحقق، لكن ابن بليهد ـ رحمه الله ـ ضرب صفحا عن ذلك .

ج) قد يروى ابن بليهد عن محدثه طرفة فكاهية ، فلا يقوم بتفسيرها ولا يشير الى أنها طرفة ، بل قد تفهم منه أنه يأخذها على ظاهرها من ذلك ما ذكره فى تحقيقه لصفة جزيرة العرب حيث قال : (وبلد

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣١ .

هذا الرئيس يقال لها : « الزهرة » وحدثنى رجل من أهل ذلك ـ الوادى عن أعمال رجالهم ونسائهم ، فقال : أغلب الأعمال فى البلاد قائمة بها النساء الا عمل واحد ، وهو حلب البقر ، قلت له : ما هو السبب ؟ قال من حبهن للجماع اذا وضعت الاناء بين ركبتيها ، ثم امسكت خلف البقره ، فاذا عطفت وانتفخ الخلف فى يدها ذكرت الجماع ، فاستلقت على ظهرها وانتثر الحليب منها) (١) ٠

د) أطال ابن بليهد فى حديثه عن «مأرب» وسدها ، وما روى عنها وعن أهلها من أخبار (٢) ولو أنه ذكر فى هذا الاستطراد طرفا من خبرها الآن لكان حسنا ٠

ه) وهو كثير الاحالات على كتابه «صحيح الأخبار» أو ما سبق ذكره فى هذا الكتاب (٣) ، وقد يحيل الى موضوع دون ذكر الكتاب المحال عليه ، وان كان القارىء لكتبه يعرف أنه فى «صحيح الأخبار» ج ١ ص ٩٦ ٠ من ذلك قوله ص ٤٣٠ من تحقيقه صفة جزيرة العرب ٠

(وهضب «ذى أقدام» هو الهضب المشهور الواقع فى القطعة الجنوبية من «نجد» وقد تقدم الكلام فى أول أشعار امرىء القيس وقد ذكرنا مياهه ووضحنا موقعه ، وكان اسمه فى الجاهلية «هضب ذى أقدام» ٠

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٩٠ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٧ ـ ٤٠٣ ٠
(١) من ذلك احالاته عند ايراده للامكنة الآتية : ـ
أثال ص ٢٩٦ ـ صنعاء ص ٣٩٧ ـ ترج ص ٤٠٤ ـ رنيه ص ٤٠٤ ـ القراء ص ٤٠٥ ـ الحجاز ص ٤١٠ ـ عكاظ ص ٤٠٥ ـ السى ص ٤٠٥ ـ حضن ص ٤٠٧ الزيمه ص ٤١٠ ـ النخلة ص ٤١٠ ـ يلملم ص ٤١٣ ـ المغيشه ص ٤٢٥ الروحاء ص ٤٢٥ ـ العيص ص ٤٢٦ ـ وادى العقيق ص ٤٢٨ ـ والاماكن الواردة فى قول الشاعر :

غشيت ديار الحى بالبكرات فعارمه فبرقه العيرات
فغول فحليت فنفى فمنعج الى عاقل فالجب ذى الأمرات

و) وحين انتهى فى تحقيقه الى «أرجوزة الحج» (١) لاحمد بن عيسى الرداعى وهى نهاية كتاب الهمدانى ، توقف مشعرا أنه اكتفى فيها بمـــا آورده الهمدانـــى يقـــول :

(بقيت قصيدة الرداعى التى ذكرها الهمدانى فى آخر كتابه وهى خير ما قيل فى وصف طريق الحج ، وقد كفانا الهمدانـــى التعليق بما عقله وهو الخبيـــر ببـــلاده) (٢)

وهذا اكتفاء يثير تساؤلا قد لا أجد الآن جوابا عليه ، ولكنه تساؤل قائم على أى حال ، فأى فرق بين ما ذكره الهمدانى علـى «أرجوزة الحج» ـ للرداعى ، وبين ما ذكره فى غيـــرها ، ولماذا تحدث ابن بليهد عن كثير من الأماكن «باليمن» ، التى ذكرهـــا الهمدانى ، وأطنب فى الحديث عن بعضها «كمأرب» التى شغلـت عنده أربع صفحات وضرب صفحا عن جميع ما ورد فى «أرجـوزة الحج» للرداعى ؟ اللهم ألا أن يكون ذلك سأما وملالا أو اختصارا ٠

ز) لم يورد ابن بليهد ثبتا للمراجع والمصادر التى أخذ عنها ، ونحـن وان كنا على يقين من أن مصادره الأولى كانت رحلاته ومشاهداته الشخصية ، كما أشار الى ذلك فى آخر الكتاب (١) ، الا أن ذلك لا يعفيه من ذكر ثبت لبعض الكتب ، التى مر ذكرها فى الكتاب مثل « معجم البلدان» لياقوت ، «ومعجم ما استعجم» للبكرى ، وصحيـح الأخبار» للمؤلـــف وغيرهـــا ٠

---

(١) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٢٣٦ـ ٢٨٢ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٤٣١ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٤٣١ ٠

هـ) وان الطريقة التى سلكها ابن بليهد ، في فصله التحقيق عن الكتاب المحقق والحاقه به كذيل له • طريقة لم يسلكها أحد من قبله فيما أعلم ثم أن التعليل الذى أورده لذلك وخلاصته :

١ ـ أن التعليق قد يطول فيمتد من الصفحة المعلق عليها الى ما بعدها وقد يزيد •

٢ ـ أن القارىء بطريقته يظفر بكتابين المحق والتحقيق •

٣ ـ التفرغ لاخراج كتاب الهمداني أولا ، ثم التحقيق ثانيا ، ان هذا التعليل فى رأيى لا يكفي وبخاصة أنه يفضى بكثير من الوقت الى الضياع ، لأن القارىء لابد أن يضع يدا فى التحقيق وأخرى فى الكتاب المحقق •

ثانيا : ● الاستدراكات ● :

أ) لام ابن بليهد الهمداني على عدم ترتيبه لكتابه حسب ترتيب المعاجم (١) ، ونسى ـ رحمه الله ـ أنه صنع صنيع الهمداني فى كتابه «صحيح الأخبار» وأنه أولى باللوم ،الذى وجهه الى الهمداني

ب) وهو فى تحقيقه هذا لم يترك ما ألفناه منه فى كتابيه : «صحيح الأخبار»و«ما تقارب سماعه» من ايراد الألفاظ العامية اذا عرضت له فيما يرويه من قصص وحكايات ، من ذلك قوله : (والعيص واد عظيم فيه مياه ونخيل وهو ملك لجهينة ، وفى أيام ثورة الشريف حسين على الترك ، نزله ابنه عبدالله ابن الحسين فأبطأ ، فى ذلك المنزل ، وتنتابه التجار ببضائعها حتى أنه عرف ذلك العام (بسنة العيص) ، وحدثنى رجل من الشيابين قال : أتينا عبدالله ابن

---

(١) المرجع السابق ص ٦ •

الحسين وهو في وادى «العيص» ـ ونحن عشرة رجال ـ وقال لنا «المضايفى» الذى يوكل بمن قدم : كم أنتم فقلنا له : عشرون رجلا فكتبنا بأسمائنا ، واختلقنا له عشرة أسماء ، وكان منزلنا فى أصل شجرة مظللة ، وعندنا ماء عذب ، فجاءتنا امرأة من جهينة ، على حمار أسود عليه أربعة «صملان» (١) فلما ملات صملانها من الماء نبهتنى لأساعدها على حمل الصملان على حمارها ، فقلت لها : من أى القبائل أنت ؟ ، فقالت : أنا من جهينة · ثم قالت : من أى القبائل أنت ؟ قلت لها : من عتيبه ولنا مكتب عند عبدالله الشريف فقالت : كم كتبتم قلت لها : عشرين رجلا ، ثم ضربت حمارها بعصا فى يدها ، ثم قالت لى : ترى هذا الحمار الأسود والله أن «حنا» (٢) كاتبينه عند الشريف سويد أبا الصملان ، ومعه ثلاثون نفرا وان والدى يستلم ما خصص له ولأصحابه) (٣) ·

ومما ورد على لسانه من الملحون كلمة «جيزان» التى وردت فى اكثر من مكان ، وهو لحن أخذناه به فى حديثنا عن كتابيه : « ما تقارب سماعه » و « صحيح الأخبار» ·

ج) وفى حديثه عن «جماز» (٤) الذى قال عنه الهمدانى (٥) : (ثم تقفز من «العتك» فى بطن «ذى أراط» ثم تسند فى عارض «الفقى» فأول قراه جماز ، وهى ربابية ملكانية عدوية) · قال ابن بليهد : (ثم ذكر الهمدانى الفقى ، فأول قراه «جماز» فهو قد

---

(١) الصميل فى العامية : وعاء للماء · وهو من جلود الغنم ويستخدم للبن ايضا وهو أصغر من القربة وقد يكون فى حجمها وجمعه (صملان) ·
(٢) حنا : نحن ·
(٣) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٣٢١، ٣٢٢ ·
(٤) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٣٣١
(٥) المرجع السابق ص ١٤١ ·

انقرض اسمه ، وظنى انه احد بلدين : اما بلد «العودة» واما بلد « العطـــــار » ·

لقد أخطأ ابن بليهد هنا ، «فجماز»ماهو ببلد «العودة» ولا (العطار) وانما هو مكان في مرتفع بعد «العودة» في أسفل وادى «سدير» ويقرن اسمه بغيلان ، فيقال : (مدينة جماز وغيلان) ، وتقول الأساطير أنهما أخوان بنيا قصرين عظيمين متجاورين ، واثار القصرين ما زالـــت شاخصة ، وفي كل من القصرين بئر نحتت في الصخر حتى المـــاء ، وحدثت أنهم كانوا قبل ربع قرن يجدون فيها بعض الآنية من الخزف والفخار ، وفيها ما كان مملوءا بمسحوق ورق السدر ، الذى كانـت النساء يستخدمنه في تمشيط شعورهن ·

فالهمدانى صادق فى أن «جماز» أول ما يلى المسند من قرى«سدير» اذا أتاه مـن أسفلـــــــه ·

نمــــوذج للتحقيـــق :

تتلخص طريقة ابن بليهد فى تحقيقــــه أنــــه : ـ

آ) يحدد المكان تحديدا واضحا ان لم يكن حدد من قبل ·

ب) يزيد تحديده وضوحا ان كان قد ورد له تحديد ناقص أوغيرواضح

ج) يصوب الخطأ الذى قد يقع فيه المؤلف ·

د) واذا كان المكان باقيا على اسمه ذكر ذلك ، وان كان قد تغير او نسى فانه لا يغفل عن الاشارة الى هـــــذا ·

هـ) ويستدل على صحة ما يورد بأمرين : الأول : مشاهداته ، والثانى النقل عن أربـــاب المعاجـــم ·

وهو ينقل عن ثلاثة ، وقلما ينقل عن غيرهم وهم : ياقوت الحموى والبكـــرى ، والأصمعى ، وهذا نموذج للاسلوب الذى سار عليه ٠

(ص ٨٤ سطر ١٠ ـ ١٦ : قال الهمدانى : (وهى فلاة تتفرق من الدهناء» من ناحية «اليمامة والفلج» ويسرع عليها «جزر اليمـــن من (مصامة) بنى عامر بناحية «ترج» «فتثليث» فيما بين تثليـــث) (ودثينة) وتفرق هذه الفلاة بين «جزر اليمن » من أسفل هذه الأودية وبين «حضرموت» من أربع مراحل وخمس فيما بين «نجران وبيحان» وأما ما خلف (نجران) الى الشمال فأكثر ، لأن «صيهد» يقبل عن فرقين من «الدهناء» أحدهما من شرقى «اليمامة» ويبرين ، والثانى من غربى (اليمامة) وما بينهما وبين جبل الحضن) ٠

قال الناشر : (قد أخطأ الهمدانى حين قال فى ذكره «للدهناء» لأن « صيهد» يقبل عن فرقين من (الدهناء) أحدهما منشرقى «اليمامـة» «ويبرين» والثانى من غربى «اليمامة» وليس للدهناء ذكر فى غربى اليمامة فان الدهناء جميعها شرقى اليمامةوما اتصل منها (يبريـــن والربع الخالى» هذه المواضع شرقى «اليمامة»

وأما الكثب الذى غربى «اليمامة» فهو يقال له فى هذا العهـــد « الدحى» واسمه القديم يقال له : «الدبيل» وليس له علاقة فى الدهناء وذكر الهمدانى (تثليث) ولم يحدده وهو واد عظيم من أودية «اليمن» وقد ذكرته العرب فى أشعارها ٠ وسكان هذا الوادى «عبيدة» وهم بطن من قحطان ، وهذى رواية ياقوت فى ج ٢ ص ٣٦٦ حين قال «تثليث» بكسر اللام وياء ساكنه وثاء أخرى مثلثة موضع «بالحجاز» «قرب مكة» ويوم «تثليث » من أيام العرب بين بنى سليم ومراد ٠٠ قال محمد بن صالـــح العلـــوى :

نظرت ودونى ماء دجلة موهنـــــا
بمطروقة الانسان محسورة جـدا
لتونس لى نارا بتثليث أوقـــدت
وتالله ما كلفتها منظرا قصـــدا

وقال غيره ٠٠٠ بتثليث ما ؟ بعدى الأحامـــــا ٠

وقـــال الأعشـــى :

وجاشت النفس لما جاء فلهـــم
وراكب جاء من تثليث معتمـــر

وقال ياقوت : انه واد قريب مكه وهو ليس قريبا منها يبعد عنهـا مسافة ثمانية أيام لحاملات الأثقال ، وذكر الهمدانى «نجران» فـــى مواضع كثيرة ولم يذكر سكانه ، فسكانه فى هذا العهد بطون يام ، وقد مضى الكلام عليه مختصرا وتثليث موضعه بين وادى«الدواسر وبيشه» وفيه سنه قريب منتصف القرن الرابع عشر يقولون سنه يفرق ســيل « تثليث وادى الدواسر» وهو يحمل اسمه الى هذا العهد تثليث) (١) ٠

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٣٠٥ ، ٣٠٦

الفصل الرابع

أماكن أطال المؤلف الحديث فيها

في قراءتي لكتب ابن بليهد لاحظت أنه يولي بعض الأماكن اهتماما أكثر من غيرها ، بل لقد أطال في بعضها اطالة تستدعي الانتباه دون أن يذكر سببا أو أكثر للاهتمام الذي أولاه تلك الأماكن ، ونحن نجتهد في تلمس هذه الأسباب ·

● سوق «عكاظ» وتنازع الباحثين السبق في اكتشافه ●

نحن نعرف مكان «سوق عكاظ» في الأدب العربي ، ونعرف أن أهميتها في الأدب العربي انما جاءت من أهميتها التجارية أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، الى أن نهبتها الخوارج الحرورية ، في أخريات العهد الأموي عام (١٢٩ من الهجرة ـ ٧٤٦ م) : فقد كانت أكبر الأسواق العربية ، كما كان الناس يقضون فيها من الزمن أضعاف ما يقضونه في سائر الأسواق ولذا كانت متجر التجار ، ومنتدى الخطباء والشعراء ، ومكان الدعوة والاعلام ـ كما نسمي ذلك الآن · وكان ذلك كافيا لأن يعنى به ابن بليهد وغيره من المحققين والباحثين ، ثم أن (١) جدلا قام على صحف الحجاز حول تحديد مكان هذه السوق ، ومن أشهر الكاتبين فيه الشيخان : محمد بن بليهد ، وحمد الجاسر ·

وكانت عامة الناس يعتقدون أنه «السيل الكبير أو السيل الصغير» وقد نفى هذا بحجة أن هذه الأمكنة ليس فيها ما يتسع للجماهير العربية

---

(١) موقع سوق «عكاظ» للدكتور عبد الوهاب عزام ـ دار المعارف المصرية سنة ١٩٥٠ م ·

التى كانت تفد على السوق من كل مكان ،ثم أن كتب الأقدمين ليس فيها ما يدل على أنه فى تلك الأماكـــــن •

ومن هنا جد ابن بليهد في البحث واستيحاء الأخبار والأشعـــار واقتناص الدلائل ، وضم بعضها الى بعض ، ليخرج منها بالتحديـــد الشافى الكافى الذى طبق فيه على الأمكنة ما ورد فى كتب الأقدمـــين مستعينا على ذلك بالمشاهدة ، أى أنه أجرى مسحا ميدانيا للامكنة على ضوء ما ورد، فخرج بهذا التحديد، وهو تحديد قال: انه بناه على خمسة أدلة كما ذكرها ـ أولها : ما ذكره احمد الرداعى اليمانى فى «أرجوزتـه التى رسم فيها طريق «مكة» من «صنعاء» الى مكة قاصدا الحج ، ولست أذكر من هذه الأرجوزة الا ما دعت الحاجة اليه ، وقد ذكرها الهمدانى فى اخر كتابه «صفة جزيرة العرب» (١) وثانيها : ما ذكره عرام بن الأصبغ السلمى فى كتابه المسمى : «جبال تهامه والحجاز ومحالهـا» ، ثالثها : ما ذكره ياقوت عن الأصمعى فى معجم البلدان على ذكـــر «عكاظ» ، ورابعها : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه المسمى «بأسواق العرب» حين عرض لذكر (عكاظ) وذكر أيام الفجار ، وهى الحـــرب التى وقعت بين قريش ومن ساعدهامن بطون كنانة وبين بنى قيس عيلان وبطونها وذكر مواضع المعارك ، كلها ، أما فى «عكاظ» نفسها ، واما فى الأمكنة المحيطة به ـ خامسها : ما ذكره الكميت بن زيد الأسدى وهو بيت واحد فى قصيدة من قصائده ثم ختم البحث بخريطة لسوق «عكاظ»

ولقد أصدر الدكتور عبد الوهاب عزام (٢) ـ رحمه الله ـ كتابا ضمنه ثلاثة مباحث • الأول بحث له عن محاضرته التى ألقاهـــا فـــى المؤتمـــر الثقافى الثانى بالاسكندرية (سنة ١٣٧٠ هـ ـ سنة ١٩٥٠م) والثانى للشيخ حمد الجاسر ، والثالث لابن بليهـد •

(١) انظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٢٣٦ ـ ٢٨٣ تحقيق ابن بليهد ومن ص ٤٠١ ـ ٤٥٨ تحقيق محمد بن الأكوع

(٢) عبد الوهاب عزام من (سنة ١٣٠١هـ ـ الى سنة ١٣٧٩ هـ) ، (سنة ١٨٨٣ هـ = (١٩٥٩

فأما رأى الدكتور عبد الوهاب عزام فهو فيما يبدو مستمد من رأى ابن بليهد ومشاهداته معه فى الرحلة أما الشيخ حمد الجاسر (١) ،

= كان علما من اعلام الاسلام ، وعالما ضليعا فى اللغات الشرقية والاسلامية ، ولد (بالشوبك الغربى) بمحافظة الجيزة ، حفظ القرآن ، ثم التحق بالأزهر ثم الى مدرسة القضاء الشرعى ، وتخرج بها (سنة ١٣٣٩ هـ سنة ١٩٢٠ م) فعين مدرسا بها فى السنة نفسها .

وكان الى جانب التدريس يدرس بالجامعة المصرية ، حتى حصل فيها على الليسانس سنة ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م ، وفى ذلك العام أختير اماما فى السفارة المصرية «بلندن» ، فالتحق بمدرسة اللغات الشرقية بجامعتها ، لكى يدرس الفارسية ونال فيها درجة الماجستير برسالة عن التصوف عند فريد الدين العطار سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م ، اشتغل بعدها مدرسا بالجامعة المصرية وبها أخذ الدكتوراة فى الأدب الفارسى (سنة ١٣٥١ هـ ـ سنة ١٩٣٢ م) ، ثم عين استاذا ورئيسا لقسم اللغات الشرقية واللغة العربية ، ثم عميدا لكلية الآداب (سنة ١٣٦٥ هـ ـ سنة ١٩٤٥) ، ثم شغل عدة مناصب سياسية منها : السفارة فى «باكستان» ، «المملكة العربية السعودية» مما اتاح له الاتصال بالمثقفين ورجال الفكر فى جميع البلاد وآخر عمل وليه كان ادارة جامعة «الرياض» «بالرياض» من سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م) الى أن توفى ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٧٩ هـ ـ سنة ١٩٥٩ م .

له بحوث كثيرة فى اللغات الشرقية ، وآدابها ومؤلفات متنوعة ، وتحقيقات مختلفة ومترجمات منها : «مدخل الشاهنامه» ، «مهد العرب» ، «رحلاته» فى مجلدين ، و «تحقيق الشاهنامه» نقل البندارى ، وله بحوث ومؤلفات وتحقيقات أخرى كثيرة .

واختير عضوا مراسلا بالمجمعين : العلمى العربى «بدمشق» والعلمى بالعراق» وعضوا عاملا بمجمع اللغة العربية «بالقاهرة» (سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٦ م) .
(انظر مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ـ دكتور محمد مهدى علام (سنة ١٣٥٦ هـ ـ سنة ١٩٦٦ م) المطابع الاميرية .

(١) هو الشيخ حمد بن محمد بن جاسر من عشيرة «الشيول» من بنى سليم ولد ببلدة «البرود» من قرى «السربنجد» وبها نشأ وحفظ القرآن ثم سافر مع أبيه الى «الرياض» ، وبها درس على جملة من العلماء ، فى فنون مختلفة فى الدين والعربية ، منهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، ثم عاد الى قريته بعد وفاة والده واشتغل فى تدريس القرآن وتحفيظه ، ثم سافر الى «مكة» المكرمة ، وبها درس بالحرم المكى ، والتحق بالمعهد السعودى بها .

وكان أثناء دراسته بالمعهد ، اماما لمسجد «أبى قبيس» ، ولما تخرج بالمعهد عين مدرسا بمدرسة «ينبع» ثم مديرا لهاثم عين قاضيا بمحكمة «ضبا» ، وبعد عام انتقل الى «جده» حيث عين معاونا لمدير التعليم بها ، ثم التحق =

فيقول مدللا على سبقه للدكتور عبد الوهاب عزام ، وابن بليهد فـــى تحديد السوق : (حضرت المؤتمر الثقافى الثانى الذى عقـــد فـــى « الاسكندرية » سنة ١٩٥٠ م فعلمت أن الدكتور عبد الوهاب عـزام سيلقى محاضرة عن تحديد موقع « عكاظ » ، فقابلته قبل القائها فـــى غرفة الأستاذ أحمد أمين «مدير الادارة الثقافية» فى الجامعة العربية فى ذلك العهد ، وبحضور الأساتذة احمد حسن الزيات ، ومحمد خلف الله احمد ، ومختار الوكيل ، فأخبرت عزاما : أننى قد حددت الموضع بمقال نشرت ملخصه ، وبعثت به كاملا الى مجلتى : «الرسالة» و «الكتـــاب» وحددت لـــه الموضـــع ٠

القى الدكتور عزام المحاضرة واستهلها بثناء على ـ لا أستحقه ـ وذكر اننى حددت الموضـــع ٠

وطلب الدكتور عزام من الأستاذ الزيات بحثى، فنشره مع محاضرته ومع مقال الشيخ محمد بن بليهد ، فى كتيب صغير طبع فى مطبعة «دار المعـارف بمصـــر) (١)

بالبعثات السعودية «بمصر» وبهـــا التحق بكلية الآداب بجامعة «القاهرة» ٠
فلما قامت الحرب «العالمية الثانية»رجع الى المملكة حيث اشتغل بالتعليـــم والاحصاء ، واعداد البعثات ثم عين بمدرسة «الهفوف» ثم بمدرسة «الخرج» ثم عين رئيسا لمراقبة التعليـــم«بالظهران» ، (وفى عام ١٣٦٩ هـ ، ١٩٤٩ م عين مديرا للتعليم بالرياض ، ثم مساعدا لمدير المعهد العلمى) وفى عـــام (١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م) عين عميدا لكليتى : الشريعة ، واللغة ، ثم ترك الخدمة الحكومية حيث اشتغل بالتأليـــف والنشر ،له مساهمات جليلة فى خدمة مجتمعه منها : اصداره أول صحيـــفة بالرياض هى ـ صحيفة اليمامة ـ وانشاؤه أول مؤسسة مطبعية فى «الرياض»وهى ـ مطابع الرياض ، ثم أنشأ مجلـــة العرب ـ المتخصصة ـ فى خدمـــة التراث وتحقيقه ٠
من مؤلفاته : «مدينة الرياض» ،«مدينة ينبع» ، «معجم البلاد العربيـــة » ، أمراء «نجد ، معادن نجد» وكتـــب أخرى ٠
(انظر مجمع اللغة العربية فـــى ثلاثين عاما ٠ دكتور محمد مهدى علام سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ المطابـــع الأميرية ٠

(١) مجلة العرب ـ دار اليمامة ـ صـــ ٦٩٩ ـ ج ٩ ، ١٠ س ١١ (الربيعان سنة ١٣٩٧ هـ) (اذار ـ نيسان ـ مارس ـ أبريل سنة ١٩٧٧ م) ٠

والشيخ حمد الجاسر ـ مد الله فى عمره ـ من المعاصرين لابن بليهد ومن شركائه فى الصناعة ، بل يعد الشيخ حمد الرجل الأول ، فى ميدان التحقيقات التاريخية ، وبخاصة ما كان منها ذا صلة بجزيرة العرب قديما وحديثا ٠

ولقد جرى بين الشيخين : الجاسر ، وابن بليهد خصومات علمية ، على صفحات الصحف ، كان الشيخ حمد فيها ينقد عمل ابن بليهد فى كتابه «صحيح الأخبار » ، وابن بليهد يرد عليه ، وكأن أسلوبهما فى النقد والرد ـ الى جانب نقض احدهما ما يبرم الآخر ـ يحوى محاولات للانتقاص من قيمة العمل ، الى ما يتبعه من تسنيه الرأى واتهام بالتحامل ونحو ذلك ، مما قد تلفظه أقلام بعض الناقدين ، كما أن كلا منهما يدعى سبق الآخر على تحديد سوق «عكاظ» ٠ ولقد ذهب الشيخ حمد الى أبعد من هذا ، فزعم أن ابن بليهد بنى بحثه على معلومات أمده هو بها ٠

يقول فى «مجلة العرب» :

(كنت نشرت بحثا فى جريدة «أم القرى» فى شهر شوال سنة ١٣٦٣ ٠ عن تحديد موقع «عكاظ» فأتى الى الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ وكان مما حدثنى به أن فيصلا ـ رحمه الله ـ أثنى على ذلك البحث ، وأنه قال : لم يحدد أحد الموضع مثل فلان : يعنينى ٠

ثم جاء الى الشيخ ابن بليهد مرة أخرى ، وقال : انهم فى الاذاعة طلبوا منه حديثا ، وأنه يريد ان يكون حديثه عن «عكاظ» ، وطلب منى أن أرشده الى بعض المصادر فكان ذلك ، وقد نشر حديثه فى مجلة « المنهل» بعد أن أدخل عليه ما أدخل لأسباب لا داعى لذكرها) (١) ٠

---

(١) مجلة العرب ص ٦٩٩ ـ ٧٠٠ ٠

وكان حديث الجاسر هذا ، ردا على نسبة اكتشاف سوق «عكاظ »، الى الملك فيصل وعبد الوهاب عزام ، فى كتاب «مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية» والذى نشرته وزارةالمعارفسنة ١٣٩٥هـ١٩٧٥م٠

ولذا قال : (أعمال الملك فيصل ــ رحمه الله ــ وآثاره الخالده ، مما لا تجهل ، ولا يضيره ــقدس الله روحه ــ ألا يكون له فى تحديد موقع «عكاظ» أى أثر ، والمسألة أصبحت الآن تاريخية ، وما أسوا التاريخ اذا لم يقم على أسس من الحقيقة ٠

أما ابن بليهد فقد أشار الى عمله ، فى تحديد السوق مرتين فى كتابه « صحيح الأخبار » ٠

الأولى : عند الحديث عن سوق « عكاظ» ، فى البحث الذى أورده فى الجزء الثانى من كتابه ، حيث قال : (فما زلت أتتبع كتب الأدب والمعاجم ، التى أظن أنى أجده فيها ، فاذا وجدت عبارة قريبة من الصواب ، عرفت موضعها من الكتاب ، وصفتها فى حافظتى ، حتى اذا اكتملت لدى الدلائل الواضحة ــ ولله الحمد والمنة ــ عزمت على تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق «عكاظ» (١)

والثانية : فى مقدمة الجزء الرابع حيث قال : (أحضرت الكتب التى ذكرت «عكاظ» ، والشعر الذى احتفل به ، والرحالة الذين مروا به ، ودرست أوصاف الأرض ، وطبيعتها ، والجبال والربوع ، والأشجار وغيرها ، ثم طبقت على ما أرى من ارض وجبل وشجر ، وبحثت العلامات الفارقة بين موضع وموضع ، حتى انتهى الى ما أراه صحيحا وحقا واطمئن اليه فى بحثى وتحقيقى ورأيى (٢)

---

(١) صحيح الأخبار ج ٢ : ٢١١ ٠
(٢) المرجع السابق ج ٤:٦ ٠

وفى تدليله على سبقه فى تحديد السوق ، لكل من الجاسر وعـرام قال : (وليعلم قارىء هذه الأحرف أنه لما ثبت عند صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته ، عن «عكـــاظ» وتحديد موقعه ورأى بعينه «الحرة» التى تطلع عليها الشمس والعبيلات البيض ، والأرض المستوية ، التى تسع العرب عند اجتماعهم ، ووادى « شرب» ووادى «قران والعبلاء» وحلات (جلدان) ، وثبت لديه هــذا التحديد الواضح ، بحث مع الكاتب الأديب البحاثة عن بلاد العرب ، وما بها من آثار عبد الوهاب عزام بك ـ وزير مصر المفوض فى جده سابقا وقال له : أنى أحب الوقوف على هذه السوق وآثارها البالية المندرسة وكان الوزير متأهبا للسفر الى «الرياض» ، فاتعدا أن يذهبا جميعا الى سوق « عكاظ » اذا رجع الوزير من الرياض فصادفه عند رجوعه أن كان صاحب السمو الملكى الأمير فيصل فى «جده» فأمر وزيره عبـــد المحسن العنقرى أن ينصب الخيام هناك ، ويرسل الخدم الى ذلك الموضع لتحضير ما تدعو اليه الحاجة ، وقد فعلوا ونصبوا الخيام الى جانـب العبيلات البيض فى نفس «عكاظ» وأمرنى صاحب السمو الملكـــى الأمير فيصل : أن أقابل الوزير فى المطار أنا ووزيره عبد المحســـن العنقرى ، ونذهب مع الوزير الى سوق «عكاظ» فأخذت معى جميـع الدلائل التى أشرت اليها فلما وصلنا الى «عكاظ» قرأت على الوزير ما عندى من الدلائل ، وكلما مررت على ذكر موضع «كالحريرة وشرب العبلاء والعبيلات البيض وجلدان وقران» يقول : أين هى ؟ فأريـــه أيـــاهـــا رؤية عيـــن .

«الحريرة» أخذ عكسها (١) ونحن على ظهرها «والعبيلات البيض» التى ذكرها أبو الأصبغ السلمى صورها ونحن الى جنبها ، والعبـلاء

---

(١) يعنى رسمها وصورتها .

كذلك ، وتجولنا فيه بالسيارة ورأى الآثار القديمة والأرض المتسعة التى تسع العرب جميعها وقد اعتراف أنه « » وأبدى موافقته التامة ، وأخذ منى نسخة تحتوى على جميع الدلائل التى أشرت اليها ، والفضل فى ذلك يرجع الى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ، لانه هو الذى أمر بهذا الاكتشاف ، وتحقيقه والوقوف عليه بعد تصوره ....

وانى قد بدأت البحث عن سوق «عكاظ» وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ ه وانتهيت منه فى شهر شوال سنة ١٣٦٩ ه (١) .

أما الدكتور عبد الوهاب عزام ، فقد ذكر صراحة فى بحثه «موقع عكاظ» ان الفضل فى تحديده لمكان السوق راجع الى ابن بليهد ، وان الذى هيأ له جميع الأسباب فى هذا هو الأمير فيصل ، يقول عبد الوهاب عزام :

(هذه مقالات فيها القول الفصل فى مكان سوق « عكاظ» ، جمعت ما جاء فى أمهات الكتب عن موقع عكاظ وشأنه حين عزمت على الذهاب الى الموضع ، الذى غلب على الظن أنه «عكاظ» ، ثم كتبت المقال بعد أن شهدت المكان وأيقنت بالأدلة الكثيرة أنه هو .

وكان الشيخ محمد بن بليهد النجدى معى فى هذه السفرة ، وله الفضل فى تعريفى بالمكان واعانتى على تطبيق الروايات، عليه ولما عدنا الى « الطائف» عرض على مقاله فى الموضوع ، فوعدته أن أنشره حين أنشر مقالى (٢) .

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٦، ٢١٧ .
(٢) موقع عكاظ للدكتور عبد الوهاب عزام دار المعارف المصرية .

أما عن بحث الشيخ حمد الجاسر وتحقيقه للمكان ، فان عبد الوهاب عزام يقول : (ولما شهدت افتتاح المؤتمر الثقافى العربى فى الاسكندرية فى شهر آب (أغسطس) من هذه السنة (١) ، حدثت الأستاذ أحمد الزيات حديث «عكاظ»، فأشار على أن أحاضر المؤتمرين فيه ، فكانت أول محاضرة من محاضرات المؤتمر العامة محاضرتى عن سوق «عكاظ» ٠

ولقد لقيت قبل المحاضرة الأديب المحقق الشيخ حمد الجاسر النجدى ، فقال : أن له بحثا فى «عكاظ» ٠ قلت : سمعت ان لك بحثا لكن لم أطلع عليه ٠ فقال : نشرت خلاصته فى جريدة أم القرى ، وأرسلته كله الى احدى المجلات المصرية فلم تنشره ،فوعدته بنشر مقاله أيضا حين أنشر بحثى فى «عكاظ» ٠

وقد وفيت بوعدى فنشرت مقال الشيخ ابن بليهد ، ونشرت مقال الشيخ الجاسر ، على طوله واشتماله على أمور ليست من بحثنا فى الصميم ، اذ رأيت كل ما جاء فى المقال مفيدا مجديا على الباحثين ، جامعا لهم ما تشتت فى كثير من الكتب ٠

وقد أخذت على الخريطة التى ألحقها بالمقال ، أنه وضع «حرة الخلص» جنوبى «عكاظ» ، وهى فيما رأينا وفيما قال عرام السلمى شرقى «عكاظ» (٢)

وذكر الدكتور عبد الوهاب عزام صراحة ، فى أكثر من موضع أن أول من حدد هذا المكان التاريخى تحديدا صحيحا فى هذا العصر هو ابن

---

(١) يعنى عام ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م ٠
(٢) موقع عكاظ للدكتور عبد الوهاب عزام ٣،٤ (أنظر الخريطتين : خريطة الجاسر ، وخريطة ابن بليهد ـ فى أخر الحديث عن عكاظ) ٠

بليهد » ، كما روى عن أحمد الغزاوى : أن الملك فيصل رآه رأى العين ولم يذكر أنه حدده كما ورد فى «مقدمة عن أثار المملكة» (١) الذى رده الشيخ حمد الجاسر فى مجلة العرب (٢)

يقول الدكتور عبد الوهاب : (وقد أخبرنى منذ أشهر الصديق الأديب الشيخ أحمد الغزاوى ــ شاعر جلالة الملك عبد العزيز ــ بأن سمو الأمير فيصل آل سعود أخبره أنه ذهب الى موضع «عكاظ» ، وليس هو بالسيل الكبير ولا بالسيل الصغير ، وأنه اجتمعت أدلة كثيرة ، على أن فى هذا الموضع لا غيره كانت سوق «عكاظ» ، وكان ذهاب سمو الأمير اليه في رجوعه من الصيد الى «الطائف» وكان معه الشيخ محمد ابن بليهد ، وهو عالم نجدى واسع المعرفة بأخبار العرب ما ضيها وحاضرها ، راوية لأشعارهم القديمة والحديثة ، عارف بكثير من الأمكنة التى ذكرت في الأشعار والأخبار ، ذهب اليها ورأها رأى العين وقد اجتمع لهذا الشيخ البحاثة نقول وأدلة لا تدع شكا فى أن هذا الموضع كان هو مجتمع العرب فى السوق التى ذاع ذكرها وطار صيتها سوق «عكاظ») (٣)

ومما يؤكد ذلك أن الدكتور عبد الوهاب عزام فى وصفه وتحديده لسوق « عكاظ» يروى ما يقوله له ابن بليهد معززا له بما يرويه هو من أقوال الأقدمين ، اذا لم يكن رواها له ابن بليهد ، ويصفه بالشيخ ويضيف حينا العلامة أو البحاثة .

والخلاف بين البحوث الثلاثة قليل ، بل ان حصره فى نقاط معدودة ممكن ، وهذا ما سنفعل شيئا منه مستقبلا .

---

(١) أنظر ص ١٥٦ .
(٢) أنظر مجلة العرب ــ ص ٦٩٩ (ج ٩، س ١٠ «الربيعان» سنة ١٣٩٧ هـ) (آذار نيسان «مارس ابريل» سنة ١٩٧٧ م) . دار اليمامة للبحث والترجمة .
(٣) موقع عكاظ عبد الوهاب عزام ص ١٧ ، ١٨ دار المعارف بمصر .

غير أن لكل بحث فيها ميزته وخاصيته ، وفى كل واحد منها من الفوائد المتصلة بالبحث ما ليس فى الآخر ، لكنها فوائد جانبية اذا ما اتجه القول الى تحديد موقع السوق •

أما الخلاف الذى يبدو جوهريا فمنه :

اولا : أورد كل من ابن بليهد ، وحمد الجاسر رواية ، لقول عرام بن الأصبغ السلمى فى تحديد سوق «عكاظ» مختلفة احداهما عن الأخرى•

أ ـ قال ابن بليهد (ما ذكره عرام بن الأصبغ فى كتابه المسمى جبال تهامه والحجاز ومحالها) قال :

لما مر على ذكر «عكاظ» : وهو فى أرض مستوية ليس بها جبال اذا كنت فى «عكاظ» طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبه عبيلات بيض تطيف بها العرب فى جاهليتهم ينحرون عندها) (١)

ب ـ وأوردها الشيخ حمد هكذا (وعكاظ صحراء مستوية ، ليس فيها جبل ولا علم ، الا ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية ، وبها دماء من دوناء الابل كالأرجام العظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمريين ، وخليص هذا رجل ، وهو ببلاد تسمى «ركبة» (٢)

وفى الهامش قال الشيخ حمد تهميشا على قول عرام : (أسماء جبال تهامه وما فيها من القرى ، وما نبت عليها من

---

(١) موقع عكاظ للدكتور عبد الوهاب عزام ص ٣٤ •
(٢) المرجع السابق ص ٤٧ ، ٤٨ •

الاشجار ، وما فيها من المياه «نسخة خطية تقع فى ١٨ صفحة وهى قطعة من الكتاب ــ فى مكتبة الشيخ محمد نصيف فـــى «جـــــده») (١) ٠

جـ ــ وفى «رسالة عرام» التى حققها الدكتور عبد السلام هارون جاء النص كما أورده الجاسر مع اختلاف فى كلمتين همـــا : «الابل» «والأرجام» حيث وردت فى تحقيق عبد السلام (البدن و (الارحـــــاء) ٠

وفى الهامش قال الدكتور عبد السلام عند اشارته الى تحقيق ابن بليـــــهد للســـــوق :
(ولكنه نقل عن عرام نصا غريبا لست ادرى من أين نقله ؟) (٢) ٠

فلعل النسخة التى كانت فى يد ابن بليهد غير ما كان فـــى يـــد الجاســـــر وعبـــد الســـــلام ٠

ثانيا :

فى الاستشهاد بأبيات الرداعى :

أ) روى عبد الوهاب عزام أبيات الرداعى عن ابن بليهد ، كما هـــى فى صفة جزيرة العـــــرب (٣) وهـــى :

---

(١) موقع عكاظ ص ٤٧ ٠
(٢) نوادر المخطوطات : «رسالة عرام بن الأصبغ» حـ ٢ : ٤٤٠ــط ٢ ــ تحقيق الدكتور عبد السلام هارون طبعة الحلبـــــى بمصر ٠
(٣) أنظر صفة جزيرة العرب ٠ تحقيق ابن بليهد ص ٢٦٤ ــ صفة جزيرة العـــرب ٠ تحقيق الأكوع ص ٤٣٦ ٠

قلت لها فى مطلخم طـــــاخ
لدى مناخ أيمـــا منـــاخ

لا أوقح ذى المنهل الوضـــاخ
يا ناق هم الشهر بانســلاخ

فازمعى بالجد لا التراخـــــى
فانتهضت بمشرف شمـــاخ
كالجذع جذع النخله الشمـــــراخ
كأم أفراخ الى أفـــــراخ

عن ذى طوى ذى الحمض والسباخ
قاربه للورد مــــن كــــلاخ

ب) أما ابن بليهد فقد أوردها فى كل من : موقع «عكـــــاظ» (١)، وصحيح الاخبار (٢) على النحو التالى :

قلت لها فى مطلخم طــــــاخ
لدى مناخ أيمــــا منــــاخ
يا ناق هم الشهـــر بانســـلاخ
فازمعـــى بالجـــد لا التراخـــى

كأم أفراخ الـــى أفـــــــراخ
عن ذى طوى ذى الحمض والسباخ

وأوقح ذي المنهل الوضـــــاخ
قاربه للورد من كــــــلاخ

---

(١) موقع عكاظ ص ٣٣ .
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١١٢ .

ج) والتقى الشيخ حمد الجاسر مع ابن بليهد فى رواية البيت الثانى (ياناق هم الشهر) (١) وصحته فى صفة جزيرة العرب ، كما أورده عبد الوهاب عزام ٠

ولهذا نظائر فى بحثى الشيخين : ابن بليهد وابن جاسر ، فلعلهما اعتمدا على نسخ مخطوطة لم نرها ، أو لعلهما اعتمدا على الذاكرة ، وقد تخون الحافظ حينا وذلك أنى قابلت النسخ المطبوعة من صفة جزيرة العرب ، بما أورداه من أبيات ، فوجدتها تتفق على خلاف ما أورداه ٠

ثالثا :

أما بيت الكميت بن زيد الأسدى ، الذى ورد فى احدى قصائده «الهاشميات» والذى عده ابن بليهد أحد أسانيده الخمسة ، فى تحديد موقع «عكاظ» ، فقد أورده ابن بليهد هكذا :

أهل الحنيفة فاسأل عن منازلهم
بالمسجدين وملقى الرحل من شرب(٢)

وفى «صحيح الأخبار» (٣) أبدل كلمة منازل بمكارم ٠
وأورده حمد الجاسر هكذا :

وفى الحنيفة فاسأل عن مكانهم
بالموقفين وملقى الرحل من شرب (٤)

وصحته فى «معجم ما استعجم» (٥) كما أورده الشيخ حمد الجاسر

---

(١) موقع عكاظ ص ٣٧ ٠
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٥
(٣) موقع عكاظ ص ٦٤ ٠
(٤) انظر ٣ : ٧٨٩ ــ عبدالله البكرى ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م ٠

رابعا :

وفى ذكر حرة الخلص التى هى أحد المعالم المحددة لموقع السوق، روى عبد الوهاب عزام قول عرام عن ابن بليهد ٠

(قال الشيخ : ان عرام ابن الأصبغ السلمى يقول فى «عكاظ» وهو فى أرض مستوية ليس بها جبال ، واذا كنت فى «عكاظ» طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبه عبيلات بيض تطيف بها العرب فى جاهليتهم وينحرون عندها ٠ (ثم أضاف قائلا) :

قلت : فلننظر تصديق هذا ، هذه أرض مستوية ، وهذه الحرة تطلع الشمس عليها ٠ أعنى انها شرقى المكان ٠ قال هو وبدوى معنا : وهذه الحرة تسمى الخلص) (١)

وهكذا جاءت شرقا فى الخارطة التى رسمها ابن بليهد فى كتابه « صحيح الأخبار» (٢) ، كما اعتبر قول عرام أحد الأدلة الخمسة ، التى اعتمدها فى تحديده للسوق ٠

أما الشيخ حمد الجاسر فقد اعتبر حرة الخلص جنوب عكاظ ، وليست شرقا كما ذكر عرام وكما رسمت فى خارطة ابن بليهد، ووضعها فى الخارطة التى رسمها هو جنوبا يقول الشيخ : (وجنوبا : أيرق العبيلاء ضلع الخلص) (٣) ٠

وقد قال الدكتور عبد الوهاب عزام تهميشا على ذلك: (حرة الخلص فى الشرق لافى الجنوب كما رأيتها) (٤) ٠

---

(١) موقع عكاظ ص ٢١ ٠
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٨ ٠
(٣) موقع عكاظ ص : ٦٢
(٤) موقع عكاظ ص : ٦٢ تعليق

وفى رسالة عرام قال فى وصف عكاظ والأماكن المحيطة بـــه : (وحذاءها عين يقال لها «خليص» للعمريين ، وخليص هذا رجل وهـو ببلاد تسمى «ركبة») (١) وركبة فى الشرق من سوق «عكاظ» .

وجمله القول ان هؤلاء الثلاثة الأعلام الباحثين قد اتفقوا : على موضع السوق ، وتحديد المكان الكائن فيه ، واستطاعوا أن يطبقـــوا بالمشاهدة عليه ، ما ورد من الأخبار فى كتب الأقدمين ، واذا كانوا قد اختلفوا على شىء ، فانما هى أمور جانبية تتمثل اما فى موقع مكان ، او هضبة أو نحو ذلك مما جاور السوق ، واما فى رواية أبيات أو عبارة وهذه وان كانت قد تعد مأخذا على البحث من حيث هو بحث الا أنها لا تنال من الحكم بصدق ما توصلـــوا اليـــه ، واتفقـــوا عليه من تحديد موقع السوق ، ولم يبق الا أن نشير بايمـــاءة سريعـــة ، الى البحوث الثلاثة وأسلوب العرض فيها ، ثم الى شبهة قد تثور فـــى نفس من يقارن بين مقالى ابن بليهد : عن موقع عكاظ ، فى كل مـــن « صحيح الأخبار» وكتاب موقع عكاظ وسنورد الحديث عنها حســـب ترتيبهـــا فى كتاب «موقع عكاظ» .

أولا :

أ ـ مقال الدكتور «عبد الوهاب عزام» :

قدم للبحث بمقدمة ذكر فيها أنه جمع أقوال الأقدمين ، ثم اطلـع على كتاب الأفغانى الذى يحيل ـ عزام ـ القراء اليه فى أخبار عكاظ لا تحديده ،ثم قسم بحثه الى فصلين : (الفصل الأول : فى أخبـــار السوق وشأنه سياسيا واجتماعيا وأدبيا وتجاريا) .

---

(١) نوادر المخطوطات ج ٢ رسالة عـرام بن الأصبغ ص ٤٤٠ طبعة مصطفى البابـى الحلبى .

أما الفصل الثاني : فقد أفرده لتحديد السوق ، وفيه وصف الاستعداد للرحلة الى السوق ، ثم وصف لتلك الرحلة ، التى حدد فيها السوق مشاهدة ورواية ، عن ابن بليهد ومرافقيه • (١)

ب) مقال الشيخ ابن بليهد :

أما ابن بليهد : فقد بدأ بتحديد السوق ، ثم أورد الأدلة الخمسة التى بنى عليها تحديده وهى : ما ذكر احمد الرداعى فى أرجوزته ـ ما ذكره عرام بن الأصبغ السلمى ـ ماروواه ياقوت عن كتاب الأصمعى فى معجمه ••• الأخبار التى نقلها سعيد الأفغانى فى كتابه اسواق العرب ـ بيت الكميت بن زيد الأسدى •

ثم ذكر أنه أطلع على مصادر كتاب الأفغانى ، فاطمأن الى صحة ما ذكر من أخبار (٢) •

جـ ـ مقال الشيخ «حمد الجاسر» :

عرض أقوال السابقين فأورد خمسة عشر قولا ، ثم قدم خلاصة لأقوال السابقين فى موقع سوق «عكاظ وما يجاوره من أماكن،والقبائل التى كانت تسكنه ، حدد بعدها سوق عكاظ على ضوء ما أسلف ، وأتبع ذلك التحديد ذكرا للاماكن القريبة من سوق «عكاظ» ، المعروف فيها والمجهول ، ثم ذكر القبائل الأربع التى قطنت تلك الديار ، ثم ختم البحث بايراد أقوال المتأخرين ولم يعلق عليها بشىء سوى أن قال : (هذه آراء بعض مشاهير متأخرى الكتاب ، وتلك أقوال بعض متقدمى

---

(١) موقع عكاظ ص ٧ ـ ٣٠ •
(٢) المرجع السابق ص ٣٠ ـ ٤٢ •

المؤرخين ، من القرن الثاني الهجرى الى القرن الثامن ، وللباحث أن يدرسها وأن يقارن بينها ، لتظهر له الحقيقة ، وليرى أى الآراء أصوب وأى الأقوال أكثر انطباقا وأوضح دلالة فى تحديد ذلك الموضع التاريخى « عكاظ ») (١) .

وقد قال عبد الوهاب عزام تهميشا على ذلك : (الأقوال التى نقلها الأستاذ الجاسر فى صفحة ٧١ وما بعدها لايدعمها تحقيق ولا أرى ـ بعد الذى قدمنا ـ مجالا للريب فى تحديد «عكاظ») (٢)

وقد أخطأ عبد الوهاب عزام فى تحديد الصفحات،فأقوال المتأخرين التى نقلها الجاسر تبدأ من صفحة ٦٩ ـ ٧٢ .

ثانيا :

ان من يقارن بين مقالى ابن بليهد عن موقع «سوق عكاظ» فى كل من كتاب «صحيح الأخبار» ، وكتاب «موقع عكاظ» يجد أخطاء قد ارتكبت في المقال ، الذى حواه «صحيح الأخبار» منها :

آ ـ أورد ابن بليهد نقله لقول الأصمعى فى موقع عكاظ هكذا :(قال الاصمعى : عكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليله ، وبينه وبين « مكة» ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه « يقال له الأثيداء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها) (٣) .

ثم جاء في «صحيح الأخبار» على نحو ما يلى : (وقال الأصمعى :

---

(١) موقع عكاظ ص ٧١ ـ ٧٢ .
(٢) موقع عكاظ ص ٧٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .

عكاظ واد به نخل ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت أيام الفجار،وكان هناك صخور يطوفون بها،ويحجون اليها(١)
ب ـ ووردت فى «صحيح الأخبار» هذه العبارة : (جعل المعركة فى نفس عكاظ ، وصحيح انها فى نفس عكاظ) (٢) وصحتها : ذكرها فى نفس عكاظ والصحيح ان عكاظا فيضة شرب) (٣) .

جـ ـ ثم وضع كلمة «مكارم» بدلا من « منازل» فى بيت الكميت بن زيد الأسدى ، الذى يقول فيه :

أهل الحنيفة فاسأل عن منازلهم
بالمسجدين وملقى الرحل من شرب (٤)

د ـ ومن ذلك ما أورده عن عرام بن الأصبغ السلمى ، حيث وردت فى « صحيح الأخبار» هكذا (وبها عبيلات بيض كان العرب يطوفون بها فى جاهليتهم) (٥) .

وكان قد أوردها فى موقع عكاظ هكذا : (وبه عبيلات بيض تطوف بها العرب فى جاهليتهم) (٦) .

ولقد مررت بتجارب فى اعدادى لهذه الرسالة ، فيها ما جعلنى أجزم بأن ابن بليهد أسند نقلها الى مثل بعض من عمل معى ، فأخل بالنقل على نحو صادفته من بعض هؤلاء الناقلين .

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٣ .
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٤ .
(٣) موقع عكاظ ص : ٣٧ .
(٤) موقع عكاظ ص ٣٧ .
(٥) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٣
(٦) موقع عكاظ ص ٢١ .

من الذى اكتشف موقع سوق عكاظ اذا ؟ ٠

لقد ذكر ابن بليهد أنه بدأ البحث ، عام (١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م) وانتهى منه فى عام (١٣٦٩ هـ ــ ١٩٤٩ م) ، والجاسر نشر بحثه فى عام (١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٣ م) ، وعزام ألقى محاضراته فى عام (١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥٠ م) ٠ ونشر كتابه فى العام نفسه ، ومن هذا نخرج بالنتيجة الآتية :

أ ــ أن أول من نشر معلومات حديثه عن السوق وتحقيق موضعه ، هو الشيخ حمد الجاسر ببحثه سالف الذكر ٠

ب ــ أن كون ابن بليهد لم ينشر بحثه الا بعد عام (١٣٦٩هـ ــ ١٩٤٩م) بعد أن أمضى فيه أربعة عشر عاما ، نشر أثناءها بحث الجاسر ، ان هذا لا يمنع من الاستفادة ببحث الجاسر والاستعانة ، بل أن البحث الأمين يوجب ذلك ٠

على أنه ــ رحمه الله ــ لم يشر الى هذا فيما نشر ٠

جـ ــ ان الدكتور عبد الوهاب عزام ، لم يلق محاضرته ولم ينشر بحثه الا بعد اطلاعه على بحثى : ابن بليهد ، والجاسر ٠ وقد سبق أن أوضحنا أن تحديده للسوق ، كان مبنيا على المشاهدة المصحوبة برواية ابن بليهد للاخبار ، وتحديده (بالاشارة) الى الأماكن والبقاع ووصفه لها ، كما ذكر عبد الوهاب عزام نفسه رحمه الله

ومن هنا نستطيع القول بأن الفضل الأول فى نشر تحديد موقع سوق عكاظ ، راجع الى الشيخ الجاسر ، وان الشيخ ابن بليهد ، زاد ذلك توضيحا وتبيينا لما وقع فيه اللبس ، وأن الدكتور عبد الوهاب عزام قد شارك فى تطبيق الأخبار على المشاهدة ، ولم شمل البحوث ونشرها

فى كتابه (موقع عكاظ) ، فالفضل فى ذلك مشترك بين الجميع وان اختص الجاسر بالسبق ٠

بقيت لنا اذن هذه الايماءة الى ما ورد فى كتاب «مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية » ٠

نشرت وزارة المعارف بالمملكة هذا الكتاب ، وحين أدلف بهم الحديث الى « عكاظ» ، لم يشيروا الى صاحبى الفضل فى اكتشاف السوق وهما الشيخان : محمد بن بليهد ، وحمد الجاسر ، وزادوا خطأهم هذا أن حكموا بأن عبد الوهاب عزام ، هو الذى اكتشفه وحده بأمر من المغفور له الملك فيصل ٠

(وكان جلالة المغفور له الملك فيصل ــ رحمه الله ــ أول من أهتم بتعيين مكان سوق عكاظ ، عندما كلف الدكتور عبد الوهاب عزام باشا ــ رحمه الله ــ بزيارة المنطقة والتحقيق فى موقع السوق وتاريخه فكتب كتابه المعروف بعنوان « عكاظ») (١) ٠

فاذا كان الدكتور عبد الوهاب عزام ــ رحمه الله ــ قد اعترف فى كتابه «موقع عكاظ» ، الذى أسلفنا الحديث عنه ، والذى نشر عام (١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م) ــ بالفضل والسبق فى ذلك لهذين الرجلين فكيف يأتى رجال وزارة المعارف فى عام (١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م) ، ويقولون : أن عبد الوهاب عزام ، هو الذى اكتشف السوق وحده ؟ ٠

والأغرب من هذا أنهم يستشهدون بكتاب عزام نفسه ، وكانت الأمانة العلمية تقتضى ذكر جهود هذين الرجلين ، وارفاق الخريطتين اللتين رسماهما وتصحيحهما وتوضيحهما ٠

---

(١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية وزارة المعارف السعودية (١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م) ٠ ص ١٥٦ ٠

سوق عكاظ

سنة ١٣٦٢

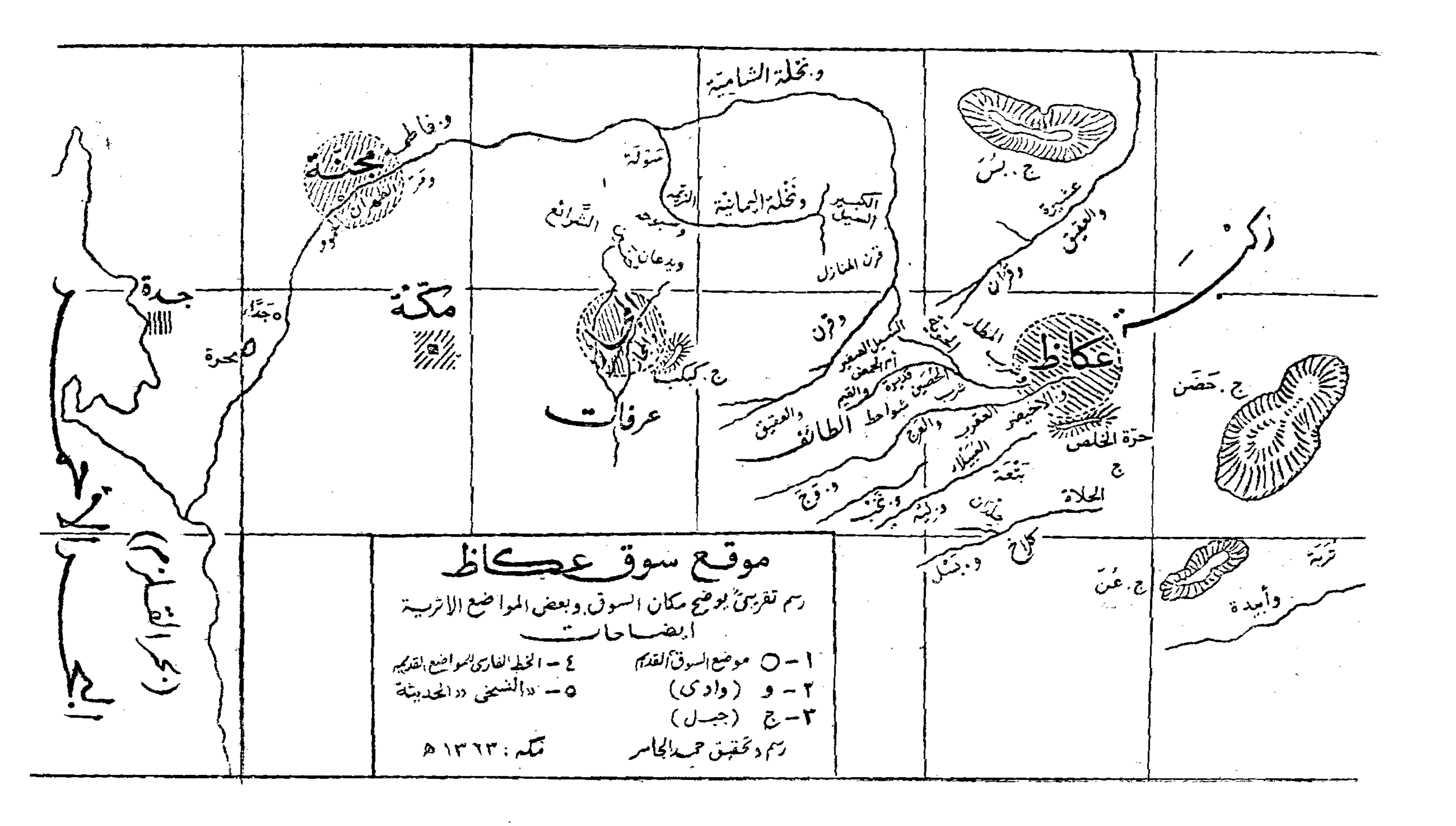
الجهة الشمالية

الجهة الشرقية

الجهة الغربية

الجهة الجنوبية

خارطة لموقع (عكاظ) وما به من الاثار التاريخية كما رسمها الشيخ محمد بن بليهد فى الجزء الثانى من «صحيح الاخبار»



موقع سوق عكاظ
رسم تقريبي يوضح مكان السوق وبعض المواضع الأثرية
ايضاحات
١ - ○ موضع السوق القديم
٢ - و (وادي)
٣ - ج (جبل)
٤ - الخط الفارسي للمواضع القديمة
٥ - « النسخي « الحديثة
رسم وتحقيق حمد الجاسر
مكة : ١٣٦٣ هـ
عكاظ
مكة
عرفات
الطائف
جدة
نخلة
البحر الأحمر
(بحر القلزم)
ركبة
و. نخلة الشامية
و. نخلة اليمانية
و. فاطمة
ج. برس
ج. حضن
ج. كبكب
ج. عن
قرن المنازل
حرة الخلص
السيل الكبير
و. العقيق
و. قرن
وأبيدة
تربة

● طريق المسافر من «جده» الى «الخليج» (١) ● :

وهذه الطريق تشق جزيرة العرب من الغرب الى الشرق الشمالي مارة بصحار وبلدان وجبال ووديان وأكثبة رمال ، شغل عنده الحديث منها اثنتين وأربعين صفحة من كتابه «صحيح الأخبار» ٠

ولم أجد سببا دفع ابن بليهد : ، الى أن يخص هذه الطريق بالحديث الذى بدأه بقوله : (جدة : مدينة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم الى هذا العهد وشهرتها تغنى عن تحديدها) (٢) ٠ ولم يزد على هذا وكان حريا به أن يذكر نبذة عنها وعن تاريخها ، وأن يشير الى الخلاف الذى جرى حول «ج» جدة ، أمضمومة أم مكسورة ؟ ، فلقد كانت هذه الـ (ج) مسرحا لجدل طال واشتد بين الأديبين : حمد الجاسر وعبد القدوس الانصارى ، فالشيخ حمد يرى أن « جيمها » مكسورة ، والشيخ عبد القدوس يرى أنها مضمومة ٠

وختم ابن بليهد حديثه عن هذا الطريق بقوله : (وجميع ما ثبت لدينا باق على اسمه الجاهلى على هذا الطريق الذى سلكناه من «جده» الى الكويت» قد أثبتنا ذكره وأوردنا شاهده ، والاختلاف فى الأسماء قليل ، اما بنقص حرف واحد ، أو ابدال حرف مكان حرف) (٣) ٠

ولقد سار ابن بليهد ، فى حديثه عن هذا الطريق بما عهدناه منه من الوصف الدقيق ، والاستشهاد بأشعار الأقدمين والمحدثين ، حتى انك لو سرت حسب ما وصف لما ضللت الطريق ٠

---

(١) أنظر صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧ـ١٧٩
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧ ٠
(٣) المرجع السابق ٢ : ١٧٩ ٠

● اليمـامـــة ● (١)

وفي اليمامة تتربع مدينة « الرياض» عاصمة المملكة ، التى قامت على أنقاض حجر وخضرائها التى عرفت من أيام طسم وجديس مـــن العرب البائدة ، وذكرها وبساتينها وبتلها ، التى بقيت الى أيـــام العباسيين معروفة فى كتب الأدب والتاريخ والبلدان (٢)

وقد شغل حديث ابن بليهد عن اليمامة أربع عشرة صفحة من كتابه « صحيح الأخبار» ولعل اهتمامه بها ناشيء عن أحد أمرين ، أولهما : أنها فى قلب (نجد) التى ملا الشعر سمع الدنيا بأسمها ، وتشغل اليمامة حيزا كبيرا منها ، والثانى : أن فيها عاصمة المملكة «الرياض» (٣) .

● ضريـــه وحمـــاهـا ●

لم أجد سببا يمكن أن يفسر عناية الشيخ ابن بليهد «بضرية» وحمى ضرية فلقد بدأ الحديث عنهما فى سبع صفحات (٤) ، ثم أستأنـــف الحديث مجددا فى خمس عشرة صفحة (٥) أيضا ، دون أى يبدى سببا لهذه الاطالة ، ولعل اتساع مساحتيهما وخصوبة تربتهما كانتـــــا السبـــب فى هـــذه الاطالـة .

وحديثه عنهما ، كحديثه عن أى مكان آخر ، ليس فيه ما يستدعى الملاحظة سوى أنه فى حديثه عن «حمى ضرية» (٦) ذكر فى آخر الحديث

---

(١) المرجع السابق ١ : ١٩٥ ـ ٢٠٩ .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب للهمدانى تحقيق ابن بليهد ص ١٤١ ط مكتبة السعادة تحقيق محمد الأكوع منشـورات داراليمامة ص ٢٨٤ مطبعة النهضة .

(٣) عن مدينة الرياض كتب الشيـــخ حمد الجاسر كتابا أسماه «مدينة الرياض» تحدث فيه عن ماضيها وحاضرها من أيام طسم وجديس الى ما قبل خمسة عشـر عاما والتطور والازدهار الذى حصل فى المدينة انما تم بعد صدور هذا الكتاب .

(٤) صحيح الأخبار ٣ : ١١ ـ ١٨ .

(٥) صحيح الأخبار ٣ : ٢٤٤ ـ ٢٥٩ .

(٦) المرجع السابق ٣ : ١٥ ـ ١٨ .

ما كان بحمى من الأحمية فى القديم والحديث ، مثل : حمى «الربذة»، وحمى بريدة ، وحمى سامودة وسجـــــا» •

● مـارب ●

وفى تحقيقه لصفة جزيرة العرب للهمدانى ، أطال الحديث عــن مأرب ، وقد أشرنا الى ذلك فى ملاحظتنا السابقة على تحقيق هـــذا ، ويشغل ذلك الحديث عن مأرب ست (١) صفحات ، وكله منقول عن المؤلفين الأقدمين من أرباب المعاجم والمفسرين وكان حريا بابن بليهد أن يعطى صورة لمأرب فى العصور المتأخرة ، خاصـــة أن المستشرقين والرحالين قد كتبوا عنها كثيرا من المؤلفات •

---

(١) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٣٩٧ـ ٤٠٣ •

الفصل الخامس

(ملاحظات عامة)

● حول مؤلفات ابن بلهيد الثلاثة وآراء بعض معاصريه فيها ●

لقد فرغنا من صحبة ابن بليهد فى مؤلفاته الثلاثة«صحيح الأخبار» «وما تقارب سماعه» ، و «تحقيق صفة جزيرة العرب» نتمم الفائدة بحديث عما يلى :ـ

تعقيب مقتضب على كتبه الثلاثة • نبذة عن أحد مصادره ، التى تضاربت الأقوال فى نسبته ، وهو كتاب «جزيرة العرب للاصمعى» • شواهد من آراء الباحثين فى مؤلفاته •

أولا :

ان القارىء لهذه الكتب الثلاثة لابد أن يخرج منها بنتيجة ، لها وزنها الكبير فى الحكم على هذا الرجل ، وبيان مقدار ثقافته ، وأنه كان قوى الصلة بالكتاب العربى قديمه وحديثه ، فى عصر كان العلماء فيه فى «نجد والحجاز» ، يقصرون اهتمامهم على كتب الدين وما يتصل به : كالسير ، والمغازى ، والطبقات ، وكتب رجال الحديث ، وتلك نتيجة يؤكدها ما ورد فى هذه الكتب من بحوث •

أما أن الرجل كان فى أحاديثه رحالة خبيرا فذلك صحيح، بل انه كان فى وصفه لرحلاته يصف وصفا جغرافيا دقيقا ، فيستخدم فيه الألوان الى جانب المسافات والعلامات ، فيصف الجبل مثلا : بأنه أسود ، او

أحمر ، أو أبيض ، كما يشير الى الخواص الطبيعية كثيرا من : خصب أو جدب ، ومـــوارد وينابيـــع ٠

ثم أن كتبه هذه تكون خليطا من اللغة والأدب والتاريخ الى مـــا أحتوته من سجل حافل بتقاليد مجتمعه وعاداته ٠ زد على ذلك أن هذه الكتب قد ضمت الكثير من أخبار رحلاته وذكرياته ٠

وهذه الكتب الثلاثة يمكن أن تقسم فى نهجها الى قسمين :

الأول : ما ألفه ابتداء وهو كتاب «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» ،والجزءالأولوالثانىمن كتاب«صحيح الأخبار»ومذكراته(١) فحديثه على هذا غير مبني على مثال سابـــق ٠

أما الثاني : فهو تحقيقه «لصفة جزيرة العرب» ، والأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب « صحيح الأخبار» وهى تحقيقات واستدراكات علـــى هؤلاء المؤلفين فيما أخطأوا فيـــــــــه ٠

واذا كنا قد أشرنا فى حديثنا الى أعماله هذه بشىء من الملاحظات والاستدراكات التى تضىء للباحث فى هذه الكتب الطريق ، فان هذه الاشارات لن تنال من قدر الكاتب وكتبه ، ولا تنقص من منزلته ، أو تنقص من شأن مؤلفاته ، بل على العكس من ذلك ، فليس من السهل على كثيـــــــرين أن يجـــاروه ٠

غير أن الكمال لله وحده ، وكل عمل لغيره ـ سبحانه ـ مهما أحكم بناؤه ، فان عين الناقد تجد فيه منفـــذا ٠

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٢ ـ ٣٠٨ ٠

ثانيا :

كتاب «مياه جزيرة العرب للاصمعى» ٠

ذكر ابن بليهد أن من مصادر كتبه (مياه جزيرة العرب للاصمعى) وأثنى عليه ووثق ٠

ثم صدر فى عام (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م) ، عن دار اليمامة كتاب «بلاد العرب» للحسن بن عبدالله الأصفهانى ، المعروف بـ «لغدة الأصفهانى » ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، والدكتور صالح العلى ، وصدر الكتاب بكلمتين للمحققين عن نسبة هذا الكتاب ٠

فأما الدكتور صالح العلى ، فانه يرى صحة نسبته الى الأصمعى ، استنادا الى أن معظم نصوصه واردة ، فيما نسب الى الأصمعى مما حواه «معجم البلدان» وغيره ، وفى ذلك يقول :

(جزيرة العرب « للاصمعى واحد من الكتبالكثيرة القيمة المحسوبة فى عداد المفقود من التراث الفكرى العربى الضخم ، لم يبق منه الا مقتطفات نقلتها بعض المؤلفات المتأخرة ،وخاصة «معجم البلدان»لياقوت حتى قادتنى الصدف خلال تتبعى لأحوال «الجزيرة والشرق الأوسط » فى صدر الاسلام ، الى الاطلاع على مخطوط عن (جزيرة العرب) وضع على غلافه اسم مؤلفه : «لغدة الاصبهانى» ، فذكرتنى مادته بما نقله الأقدمون من نصوص عن جزيرة العرب ، ووجدت أغلب ما نقلوه واردا عرضا فى هذا المخطوط ، مما حملنى على الاعتقاد بأنه هو كل او معظم كتاب الأصمعى ، فنسخت الكتاب ودونت فى هامش نسختى أرقام صفحات الكتب ، التى نقلت ما ورد فى متنه ، وسجلت ما بدا لى من ملاحظات على المخطوطة ومادتها) (١) ٠

---

(١) بلاد العرب ، تاليف الحسن بن عبداللهالأصفهانى ، تحقيق حمد الجاسر والدكتور العلى ، منشورات دار اليمامة ،الأولى (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ٠ ص ١٠)٠

أما الشيخ حمدفانه يرفض نسبته الى الأصمعي مستندا الى أدلة ثمانية

١ ـ أن من الرواة الذين ورد ذكرهم في الكتاب ابن الاعرابي ، وهومن المعاصرين للاصمعي وجرى بينهما من الخلاف ماقد يجرى بين المتعاصرين ثم أنه أقل شأنا من الأصمعي ، فمن المستبعد لهذين الأمرين أن يروى عنه ٠

٢ ـ وفي الكتاب نقول عن عمارة بن عقيل ص ٥، وهو متأخر عن الأصمعي ، اذ أدرك أيام الواثق فيما بين سنتي (٢٢٧ هـ ـ ٢٣٢ هـ ٨٤١ ـ ٨٤٦ م) ٠

٣ ـ وفي الكتاب ورد شعر لناهض بن ثوم الكلابي ص ١٥١ ، وهو معاصر لعماره بن عقيل ٠

٤ ـ ورد في الكتاب ص ٩٦ هجاء «لباهلة» ، والأصمعي منسوب الى «باهلة» وليس من المعقول أن يورد في كتابه هجاء لقبيلته ٠

٥ ـ وفي الكتاب كثير من الأماكن ، التي لا نجد لها ذكرا فيما أورده ياقوت ، مما نقل عن الأصمعي

٦ ـ أن نسبة هذا الكتاب للاصمعي قائمة على أساس ، هو نسبة كثير من النصوص الواردة فيه الى الأصمعي في «معجم البلدان» ، واذا كان كتاب الأصمعي قد ورد الى ياقوت رواية : عن ابن دريد ، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه الأصمعي ، واذا كان الكتاب الذي في أيدينا ، يحوى من الألفاظ والأسماء ، ما فات ابن دريد ذكره ، مع دخوله في اختصاص كتابيه : «الجمهرة» و «الاشتقاق» ، فكيف تصح نسبته مع ذلك الى الأصمعي ؟

٧ ـ أن أبا الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندرى فى كتابه المخطوط ، الذى توجد منه نسخة وحيده فى «المتحف البريطانى» قد نسب الى الأصمعى نصوصا لانجدها فى كتابنا هذا ، كما أورد نصوصا من هذا الكتاب لم ينسبها الى الأصمعى ، واسم كتاب أبى الفتح « كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها • المذكورة فى الأخبار والاشعار

٨ ـ وفى كتاب «الجبال والأمكنة والمياه» للزمخشرى نجده يورد نصوصا من هذا الكتاب ، ثم لا ينسبها الى الأصمعى ، مع نسبته نصوصا أخرى غيرها اليه •

لذا فان الشيخ حمد (١) يستبعد نسبة الكتاب الى الأصمعى ، وان حوى كثيرا من النصوص المنسوبة اليه ، اذ من الجائز عنده كما حدثنى مشافهة أن يكون «لغدة الأصفهانى» بنى على نصوص كتاب الأصمعى او أدخلها فى كتابه هذا وذلك ما يحصل كثيرا لدى المتقدمين •

ثالثا :

● شواهد من آراء الباحثين ●

حين صدر كتاب «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار» لابن بليهد وتحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى «له أيضا» كانت مادة هذين الكتابين نهجهما محل أخذ ورد ، على صفحات الصحف والمجلات ، ثم تضمنت مؤلفات المعاصرين من ذلك ما تضمنت •

ونحن لن نعمد هنا الى نقد ما كتب فى ذلك ، خاصة أن الكثير منه لم يكن بالنقد الهادف ولا المصيب ، حسبنا اذن أن نورد هاهنا شيئا من

---

(١) انظر بلاد العرب للحسن الأصفهانى من ص ٣٧ ـ ٤١ •

آراء أشهر الباحثين والكاتبين ، ليكون فيه صورة لما يراه أولئـــك فـــي مؤلفـــات الرجـــل ·

أ) رأى الشيخ حمـــد الجاســـر :

في اجتماعي بالشيخ حمد الجاسر بمنزله بالقاهرة ، أمتعني ببحث أملاه على كاتبي ، جاء فيه عن كتاب «صحيح الأخبار» : (أنه يمكـــن تقسيم ما في الكتاب الى ثلاثة أقسام : ، الأول : الكلام على مواضـــع لا تزال معروفة والمؤلف مصيب في تحديدها ، والثاني : الكلام علـــى مواضع مجهولة ، وللمؤلف رأيه وقد يكون مصيبا أو غير مصيـــب ، والأمر الثالث : مواضع زل فيها قلم المؤلف ، ولا يضيره هذا فالعاقل من عدت هفواته ، وحسنات الرجل أكثر من سيئاته) وذكر مثالا على ذلك الكلام بيت يحيى بن طالب الحنفـــي ·

هل اجعلن يدى للخد مرفقـــــه
على شعبعب بين الحوض والعطن

والشيخ هنا يوميء الى قول ابن بليهد في حديثه عن «شعبعب» الواردة فـــي بيت أمـــرىء القيس :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائـــن
سؤالك نقبا بين حزمى شعبعـــب

يقول ابن بليهد : (شعبعب : موضع «باليمامة» بين وادى نســاح ووادى «الحائر» لبني قشير ،ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليـــوم منه شيء ، وقد قال الصمة بن عبدالله القشيرى يذكر «شعبعب» وهـــو بالسند) (١) ، ثم أورد الأبيات شارحا ما ورد فيها من أماكن بقوله

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ٣٣ ·

(«وتبراك» الذى ذكره فى هذه الأبيات : تقع من المواضع التى ذكرنا أن «شعبعب» يقع عندها فى شماليها الغربى ، بينها وبين «كثيب»(جو اليمامة) على مسافة يوم ونصف للابل التى تحمل الأثقال ، وهنـــاك موضع بين وادى «نساح» ووادى «الحاشر» يقال له (الحويض) اليوم ، ويمكن أن يكون هو الحوض الذى قرنه الصمة بن عبدالله «بشعبعب» ويكون «شعبعب» قد تغير اسمه ، ولكنه فى تلك الناحية التى فيها «تبـــراك والحويض» ، بدليل أنهما أقرنا بـــــه) (١) ٠

ثم ذكر في الهامش ما يلى : (قد عثرنا على بئر فى تلك الناحية قرب «العقبة» التى يقال لها «أبو القد» يقال لتلك البئر (العطيـــن) ولا شك أنها هى التى يقول فيها الشاعر : بين الحوض والعطن ، لأنها مجاورة لتلـــك المواضــــع) (٢) ٠

ويرى الشيخ حمد أن هذا تمحل لاداعى له ، فالحوض هو الـــذى تشرب فيه الأبل ، والعطن عطنها ، وهذا الاعرابى عندما قال هـــذا البيت كان مضجعا بين حوض أبله وعطنها ٠ (٣)

وفى الحديث عن نقده لكتاب ابن بليهد ، الذى نشر عند صـــدور الكتاب ورد عليه ابن بليهد ، قال الشيخ : (ولم أرد فى كتابتى عـــن

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ٣٤ ٠
(٢) المرجع السابق ١ : ٣٤ ٠
(٣) قال البكرى فى معجم ما أستعجم ٣ : ٨٠٠
قال عويج الطائى :
هل اجعلن يدى للخد مرفقة   على شعبعب بين الجد والعطن
ويروى «بين الحوض والعطـــن» ،وانشده ابن الانبارى للصمة بن عبداللـــه القشيرى ٠
واوردها ياقوت فى معجمـــه ٣ :٣٤٨ منسوبة الى الصمة بن عبداللـــه القشيرى بالرواية الثانية «الحوض والعطن» وهذا هو الصحيح خلاف ما قالـــه الشيخ حمد الجاسر ٠

الكتاب الا مجرد الوصول الى الحقيقة ، وقد يكون الحق مع ابن بليهد رحمه ـ الله ـ ولكن ينبغي أن يلاحـــــظ :

أولا : ان ابن بليهد ـ رحمه الله ـ ألف هذا الكتاب في حالة ضعف صحته ، وما كان له جلد على البحث ومراجعة المصادر ٠

ثانيا : أنه كان ـ رحمه الله ـ يعتمد على ذاكرته أكثر مما يعتمد على النصوص ، ومن أمثلة ذلك ما نقله عن الكميت وعرام فى تحديـد «عكاظ» ، وكذا أبيات الرداعى فى الموضوع ، فهو ـ رحمه الله ـ كان قوى الحافظـــة سريع البديهـــة (١) ٠

ثالثا : ان النصوص التى أعتمد عليها فى كتاب «صحيح الأخبار» تكاد تكون محصورة فى كتابين أو ثلاثة ، ولهذا وقع خلل كثير فـــى تحديـد بعضـــ المواضـــع ٠

رابعا : هناك بعض النصوص فى الكتاب ، لم أهتد الى مصادرها وكما قيل : من علم حجة على من لم يعلم ٠ ومع كل ذلك فان الشـــيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ قد أسدى الى العلم يدا بكتابه هـــذا ولا يضيره أن وقعت فيه هفوات يسيرة بالنسبة لما فيه من جديد الفوائد

وجل القائل : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافـــا كثيـــرا) (٢) ٠

---

(١) سبق أن أوضحنا هذا فى حديثنا عـن سوق «عكاظ» وما وقع فيه الشيخان كلاهمـا من خطأ ٠

(٢) أ ـ سورة النساء الآية ٨٢ ٠

ب ـ أملاء الشيخ حمد الجاسر علـى كاتبى بمنزله بالقاهرة فى جمادى الثانـــى (١٣٩٧ ـ ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٧ م) ٠

ب ـ رأى ابـــن خميســـ : (١)

والشيخ عبدالله بن خميس من الذين عاصروا ابن بليهد ، فـــى أخريات حياته والتقى به ، وكانت بينهما صلات ، وثقة متبادلة دفعت ابن بليهد الى أن يطلب من ابن خميس أن يقدم لكتابه «ما تقـــارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» وقـــد فعـــل ٠

وفى تلك المقدمة التى بلغت ثمانى صفحات ، أثبت خلاصة رأيه فى ابن بليهد ومؤلفاته ، على نحو مما يأتـــى :

فبعد أن ألمع الى جهود السابقين من الباحثين فى الأمكنة والبقاع فى جزيرة العرب ، وأشار الى ما اعتارها من نقص مصدره : عـــدم الخبرة الذاتية فى الأماكن والبقاع ، والاعتماد على الرواة ، ثم الى الحاح هذا العصر وأهله فى معرفة الأماكن والبقاع معرفة محقـقة ، وأن مسئولية ذلك ملقاه على أبناء الجزيرة أنفسهم ، وأن أبنـــاء الجزيرة لم يكن فيهم قصور عن البحث والتحقيق ٠

بعد هذا وذاك قال مثنيا على ابن بليهد وأعماله ، واصفا اياه بأنه الرجل الذى توفرت فيه صفات الباحث القادر ، على أن يقدم فى ذلك ما يوثق به ويركن اليه ، مستدلا بعمله فى كتابه «صحيح الأخبار عما

---

(١) الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس ـ ولد «بالملقى» ، وانتقلت أسرته الـــى «الدرعية» وهو صغير ، وبها تلقى دراسته الأولى ، وفى عـــام (١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٤ م) ٠ التحق بدار التوحيـد «بالطائف» وكان رئيس النادى بها أيـــام دراسته ، ثم التحق بكلية الشريعـة «بمكة المكرمة» وتخرج فيها عام (١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م) ، فعين مديرا للمعهـد العلمى بالاحساء فى عـــام ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م) ، فعميدا لكليتـــى :الشريعة واللغة «بالرياض» فى عام (١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م) ثم مديراً عامـــاً لرئاسة القضاء بالمملكة فـى عام ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م) ، وفى عام (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م) عين وكيلا لوزارة المواصـلات ثم رئيسا لمصلحة المياه ، ونائبـــاً لرئيس اللجنة الشعبية ، ثم تفرغ لخدمـــة الأدب والتراث ٠

أصدر مجلة الجزيرة الأدبية ، التى تحولت الى مؤسسة صحفية ٠

له مؤلفات منها : «المجاز بيـــن اليمامة والحجاز» ، «الأدب الشعبى فى جزيرة العرب» ، «على ربا اليمامة» ، وديوان شعر ، وهو فى شعره شديد المحافظة ، على اصالة اللفظ والبناء الموروث للقصيدة العربية ٠

فى بلاد العرب من الآثار»ثم كتابه المخطوط «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه «يقول ابن خميس : (ولكن المسألة ليست مسألة بحث وكتابة ومقارنة وتحقيق فحسب ، ولكنها مع ذلك تحتاج الى عوامل وأسباب ، قل أن تتوفر فى شخص من الأشخاص لهذا أخذت الغيرة علما من أعلام الجزيرة ـ فى الأدب والتاريخ والرواية ، والبحث ـ هو العلامة (محمد بن عبدالله) الخالدى النجدى ، فتصدى لهذه المهمة بهمة وثابة وعزم لا يعرف الكلل والملل ، فألف كتابه «صحيح الأخبار» عما فى بلاد العرب من الآثار «فكان أول كتاب من نوعه يركن اليه الباحث ويطمئن اليه المحقق ، وهو وان نحا فيه غير منحى أهل المعاجم فى الترتيب والتبويب ، ولم يقصد به استقصاء جميع الأمكنة ، وأبراز كل ما ورد فى كتب الأوائل من معاهد ، وآثار للعرب فى شعرهم ونثرهم ، بل عمد الى بعض ما فى شعر مشاهير شعراء الجاهلية من ذكر الأمكنة ، وتحدث عن الأطلال والدمن ، فهو وان نحا هذا المنحى واقتصر على هذا المقدار فلقد أبدع أيما أبداع ، وسد ثغرة كانت هواء بالأمس ،ووضع أسا متينا لمن أراد البناء والاشادة) ٠

وعن كتاب «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» قال مثنيا ، ومبينا أهميته لدى الباحثين ، وأن بمثله يجلى اللبس فى أسماء الأماكن والبقاع ، ذلك اللبس الذى كثيرا ما وقع فيه الباحثون ، المتقدمون منهم والمتأخرون :

فبعد أن أنتهى المؤلف من كتابه «صحيح الأخبار» وجد أنه لا يزال هناك مكان شاغر وفتق واسع يحتاج الى رتق ، فهبك أدركت أن جبلا من الجبال يقع فى مكان ما من جزيرة العرب ، وهناك جبل آخر يحمل هذا الاسم ، ولكنه يبعد عن الأول مسافات طوالا ، وربما يوجد ثالث أو رابع الخ ٠٠٠ ، وربما يكون هذا الاسم يطلق على ماء ، والآخر يطلق على واد ، والثالث يطلق على روض ٠٠ الخ ، وأنت كباحث

تريد أن تقف على حقيقته وتشخصه بعينه ، فكيف تعثر عليه وتعلم أن الشاعر قصد هذا الجبل نفسه أو هذا الماء عينه ، أو ذلك الكثيب ذاته أو هبك لا تعلم أن هناك اسما فى جزيرة العرب يطلق على غير هـــذا المحل ، بعد أن وقع عليه نظرك لأول وهلة فى «صحيح الأخبار» أو غيره ثم عدت تحكم أن الشاعر أو الخطيب أو ٠٠٠ الخ ، قصد هذا المكــان بعينه بينما هو يقصد المكان الآخر ، الذى دون فى نفس مرجعك الدى رجعت اليه ، ولكنك لم تهتد اليه ، فكيف تكون النتيجة حينذاك انهــا أيضــــا مشكلــــة ٠

ولكن لم يفتأ خريت الجزيرة (ابن بليهد) يبحث وينقب، حتى حلها بكتابه الجديد «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» وهذا الكتاب يعتبر فتحا جديدا فى عالم التأليف ، ومفتاحا لأبواب طالما استغلقـــت على الباحثين زمنـــا طويـــلا) (١) ٠

ونود أن نقول هنا : أن من قرأ مؤلفات ابن بليهد ، واطلع علـــى مجهودات السابقين ف هذا الميدان ، لا يملك الا أن يسلم لابن خميس بما ذكر ، بل وأكثر من ذلـــــك ٠

وعن كتاب «صحيح الأخبار» أيضا قال ابن خميس فى رسالة منه الى : (وعلى وجه العموم فخير مؤلفاته وأقربها الى الجودة ، وأكثرها نفعا ، هو الكتاب الأول ــ «صحيح الأخبار» ، فلولا ما فيه من هنـــات هينات ، لا يسلم منها مؤلف لكان «درة الغواص»،ولكن جل من لاعيب فيه

---

(١) مقدمة كتاب «ما تقارب سماعـــه وتباينت أمكنته وبقاعه» ص ١٠ ــ ١٢ ٠

جـ ـ رأى عبد القدوس الأنصـــــــــــارى : (١)

وفى حديث للشيخ عبد القدوس الأنصارى عن ابن بليهد ، واهمال الباحثين لترجمته ، قال معقبا على كتاب «الحركة الأدبية» لبكرى شيخ أمين (كما ورد اسم ابن بليهد ضمن أدباء المملكة السعودية المعاصرين فى كتاب «الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية» لبكرى شيـــخ آمين فى عشرة مواضع ، ولكنه ورد عابرا غير مشبع للباحث المستطلع للترجمة الكاملة لهذا الشاعر ، الناثر المؤرخ الجوالة فى أفاق بــــلاد الجزيرة ، ليحقق بالمشاهدة مواقعها ، وليطبق أماكنها المشاهدة على ما ورد فى الشعر العربى القديم ، وهو فى الحقيقة فتح علمى كان ابـــــن بليهد من السابقين فى ميـــــــــــــدانه) (٢) ٠

د ـ رأى الدكتور بكرى شيخ أمين :

فى حديث الدكتور بكرى شيخ أمين عن ابن بليهد ومؤلفاته عرض كتابه «صحيح الأخبار» عرضا سريعا ، ليخلص منه الى أخذه بعـــــدم التفريق بين المعنى اللغوى للكلم واسم المواضع ، وارتجاله بعضـــــــــس المعلومات دون مصادر،وأنه كان يأخذ الاسم مصحفا ، ثم يحاول أيضاح الموقع على أساس التصحيف ، وأنه أوضح الأماكن الموجودة فى شعـــر

---

(١) عبد القدوس الأنصارى : ولـــــد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤ هـ ، وبها درس وأخذ عن الشيخ محمد الطيـــــب الأنصارى ، كما التحق بمدرسة العلـــــوم الشرعية بها ٠
وحين تخرج فيها عين موظفا بامارة المدينة ، وبها تقلب فى عدد من الوظائف ، ثم مدرسا للادب بمدرسة العلـــوم الشرعية بها ، ثم رأس تحرير جريـدة «ام القرى» ثم نقل موظفا بديـــــوان النائب العام بمكة المكرمة ، وبه تقلب فـــى عدد من الوظائف ، حتى تفـــــرغ لأعماله الخاصة ، فأنشأ مجلة المنهل سنـــــة ١٣٥٥ هـ ٠
من مؤلفاته : آثار المدينة ، وتاريخ مدينة جده وكتب أخرى ٠ منها «الانصاريات» ديوان شعر ٠

(٢) الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر ٠ عبد القدوس الأنصارى ص ٩٠ ٠

أمرىء القيس وزهير والنابغة ، واكتفى بما جاء في معلقات الشعـراء الآخرين ،وأنه فى حديثه ذلك اكتفى بدراسة أسماء الأماكن دون شرح المعانى ، وأنه يعرض للاحاديث المنحولة ، والأخبار الملفقة فيكتفـى بايرادها دون تمحيصها ، وأنه فى تحقيقه «صفة جزيرة العـرب» للهمدانى لم يصنع كصنيع الجاسر فى التحقيق ويعنى بذلك أنه لـم يتقص نسخ الكتاب ومقابلتها ، كما صنع الجاسر فى كتاب «بـلاد العرب» للحسن بن عبدالله الأصفهانى ،ثم اعتراضه على منهجه فـى تقسيم الكتاب حيث فصل التحقيق عن صلب الكتاب ، وأنه لم يترجم للاعلام الواردة أسماؤهم ، كما لم يشر الى المصادر التى اعتمد عليها وأنه اكتفى كسائر المحققين فى جزيرة العرب بالتاريخ الهجرى ، ثـم ايراده لبعضـ الخرافـات ٠ (١)

ونحن وان كنا قد أعطينا هذا الأمر حقه ، فى حديثنا فى الفصول الأربعة السابقة ، الا أنا نود أن نضيف هنـا :

أ ـ أنه من المعلوم فى كتب اللغة أن اللفظ قد يكون وصفا ، ثم يتحول الى علم بالاستعمال ـ الا ترى الى كلمة «رياض» جمع (روضة) ، وهى المكان المعشب المخصب،كيف تحولتالى علم علىمدينة«الرياض»مثلا؟٠

ب ـ وأن حديثه عن نسبة أمرىء القيس الى اليمن لم يكن ارتجالا ، فالذين تحدثوا عن قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، ناقشوا هـذه المسألة فيما ناقشوا من أمور ، وليس حديث طه حسين ـ عن الشعـر الجاهلى ،والذين ردوا عليه مثل : الخضر حسين ، وحسين الخضرى ومحمد عرفه ، وعبد الحميد المسلوت ، وغيرهم ـ عنا ببعيد ٠

---

(١) أنظر الحركة الأدبية ص ٥٩٣ ٠

جـ ـ وحين ذكر أنه يأخذ الاسم مصحفا ، فيوضحه على تصحيفه دون تصحيح ، فقد قرأت كتاب «صحيح الاخبار» أكثر من مرة ، فلم ألاحظ ما ذكره ، ثم أنه لم يذكر هو مثالا على ذلك · والله أعلم ·

د ـ وفى وقوفه عند معلقات بعض الشعراء دون بقية أشعارهم ، ألمع هو فى مقدمة كتابه «صحيح الأخبار» (١) أن هدفه هو المعلقات وما ورد فيها ، فما تحدث عنه من أشعار بعض أرباب المعلقات ، انما هو فى حكم الاستطراد ، ومثل ذلك يقال فى اغفاله لشرح المعانى ، وتحقيق الأخبار والروايات التاريخية المختلفة ·

هـ ـ أما أنه لم يورد تراجم للاعلام الواردة أسماؤهم ، وأنه لم يضع شيئا للمصادر والمراجع ، وأنه اعتمد على التاريخ الهجرى دون الميلادى فأمور يأخذ بها حقيقة ، وقد أخذناه بها وبغيرها فى الفصول الأربعة السالفة فى هذا الكتاب غير أن الأخذ بالتاريخ الهجرى دون الميلادى أقل خطأ عندى من الأخذ بالميلادى دون الهجرى ، وهذا كثير عند المتأخرين ، ومنهم بكرى الشيخ أمين ·

على أن الدكتور بكرى يتراجع قليلا ، فيثنى على ابن بليهد بما يستحقه فى قوله : (الخلاصة ، نعد عمل ابن بليهد علميا من حيث تأليفه فى مواطن الجزيرة ولا جدال فى أن التحقيق العملى ، ودراسة الأماكن على الطبيعة أقوم وأجدى للبحث العلمى من الدراسة النظرية وقد وضع لبنة فى صرح الدراسات ، رغم بعض الهنات التى وقع فيها ويبقى كتابه «صحيح الأخبار» مصدرا لمن يريد الوقوف على حقيقة الديارات العربية ، ولا سيما فى الجاهلية وصدر الاسلام) (٢) ·

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ٥٠

(٢) أنظر الحركة الأدبية ص ٥٩٥

هـ ـ رأى خالد الفرج :

وخالد الفرج ـ رحمه الله ـ من الشعراء المجيدين ، والباحثين المعاصرين لابن بليهد ، كتب نقدا لبعض ما ورد فى الجزأين الأولين من كتاب «صحيح الأخبار» فى مجلة «الحج» جاء فيه :

لم يكتب عن جزيرة العرب أحد من ابنائها الا الهمدانى ، صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» وقد انقضت على وفاته ألف سنة كتب فيها الكثيرون عن «جزيرة العرب» ومواضعها ومياهها وجبالها ، ولكن هذا الكثير لا يشفى غله ، ولا يهدى الباحث الى سبيل قويم لأن مؤلفى تلك الكتب ليسوا من أبناء الجزيرة ،ولا يعرفون عنها الا تلك الروايات المعتادة المتناقضة ، اللهم الا ما تخطه أقلام بعض السائحين ، الذين يمرون بالبلاد على عجل فهم كحاطب ليل ، بله كونهم غرباء عن البلاد فلا تخلو كتاباتهم من الخلط والخبط .

والآن أمامنا سفر نفيس ناطق بالجهود العظيمة والدأب والتنقيب التى بذلها مؤلف عاش فى قلب الجزيرة وجاس خلالها سنين طويلة، فخبرها خبرة الدليل الخريت ، ووعى أخبارها وعى المنقب ، الذى يسمع القول فيمحصه ويثبته بعد أن يقتله درسا وفحصا ، وهذا الكتاب هو «صحيح الأخبار» عما فى بلاد العرب من الآثار) (١) .

ثم أورد نقدا لشىء مما ورد فى الكتاب ، يدور كله حول تخطئة المؤلف فى تحديد بعض الأماكن ، فرد عليه ابن بليهد فى الصحف المحلية ثم أثبت رده فى آخر الجزء الثالث من «صحيح الأخبار» .

---

(١) مجلة الحج : جمادى الثانية سنة ١٣٧١ هـ ص ٤٦ .

تلك نبذة عن بعض آراء الباحثين ، فى مؤلفات هذا الرجل الـذى أعطى الأماكن والبقاع فى جزيرة العرب ، من جهده ووقته الكثيـــر بسخاء ، ثم قدم تلك الجهود ثمرة ناضجة ، في مؤلفاته الثلاثـة ، واذا كان بعض هؤلاء الباحثين ، قد أجحف حينا لأسباب قائمة فى نفسه ، فان عمل ابن بليهد هو الذى يدفع عن نفسه بنفسه .

وما أرخص البحث العلمى حين يقوده الهوى، وتمتطيه ميول النفس ونزعاتها ، وما أشقى الناقد حين يعيب الآخرين بمثل ما يصنع هو .

يا ايها الرجل المعلم غيـــره
هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟



الفصل السادس

نثر ابن بليهد

يعد ابن بليهد أول من فتح باب التأليف فى العلوم العربية فى جزيرة العرب فى عصرنا الحديث ، وأول من درس الأماكن والبقاع الواردة فى الشعر العربى القديم ، وهذا ميدان لم يسبقه فيه أحد كما أسلفنا فى حديثنا عن كتابيه «صحيح الأخبار» و «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» •

ثم هو فى الطليعة من أدبائنا الذين تناولوا بأقلامهم ميدان الأدب وكان أبناء هذه البلاد ـ أعنى جزيرة العرب ـ من قبل ذلك يقصرون مؤلفاتهم على الميادين الدينية ، وشىء من التاريخ أو النحو والصرف على قلة فى هذا الأخير حتى جاء صاحبنا وطبقته ، ففتحوا للادب والتأليف أبوابا كانت من قبل موصدة ، وكان اسهام ابن بليهد فى هذا اسهاما جيدا فى الكم والكيف معا •

صحيح أن العناية بالمضمون كانت عنده أكثر من العناية بالشكل غير أن كلا من الميدانين كان له من جهده نصيب ، ويمكننا أن نقسم النثر عند ابن بليهد الى قسمين : علمى ، وأدبى •

والنثر الأدبى قسمان : مقالات وخطب ورسائل ، حكايات •

وسنتحدث عن كل قسم على حدة ملتزمين ـ ما وسعنا الأمر ـ الايجاز معتمدين فى ذلك على مؤلفاته الأربعة ، مستخلصين منها ما يساعدنا فى بحثنا •

اولا : ● النثـر العلمـــى ● :

أمامنا من مؤلفات ابن بليهد فى هذا الميدان ثلاثــة ، كلهـــا ذات موضوع واحد وأسلوب واحد ، وهى «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار» و «تحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى» و «ما تقـــارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» وهو مخطوط .

فموضوع الكتب الثلاثة هو : الأماكن والبقاع فى جزيرة العرب ،

وأسلوبها : سهل يسير ، لا يجد فيه القارىء أى عناء ، بل أن ذلك الأسلوب يدنو من السهولة أحيانا الى حد الابتذال .

وقد وصف ذلك الأسلوب عبدالله بن خميس فى تقديمه لكتـــاب صاحبنا المخطوط (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) ـ فقال على أنك ستجد وأنت تقرأ هذا الكتاب فى أسلوب المؤلف هبوطا كبيرا عن مستوى الأساليب العصرية ، وسهولة ربما تكون مجاوزة للحـــد المقبول ، وهنات ربما تخدش الفصحى ، ولكن ذلك لا يحط من قيمـــة أثـــر جبـــار ، وعمل عظيـــم) (١)

على أن هذه الهنات التى أشار ابن خميس اليها، انما كانت فيما رواه ابن بليهد عن العامة ، من قصص وطرف وأخبار ، وهذا مذهب مـــال اليه بعض الأدباء وبخاصة فى الطرف والملح ، كما هو رأى شيـــخ الأدباء الجاحظ ، فى أن رواية الطرفة والنادرة يجب الا نغير أسلوبها ولغتها وان كانت ملحونة لأن التصرف فى لغتها وأسلوبها كثيرا مـــا يفقدها خاصيتها ، ولكى نتبين أسلوب الرجل ولغته فى مؤلفاتـــه نعرضـــــ لنمـــاذج منهـــا :

---

(١) مقدمة ما تقارب سماعه ص ١٤ .

في كتابه « ما تقارب سماعه» قال : ـ

«القراره» قرية على طريق حائل من «القصيم» ، وهى بين القـــرى التابعة «للقصيم» والقرى التابعة لحائل ، وهذه هى التى يقول فيهـا صويلح بن سرحان من الشعر النبطـــى :

يلوهق وش بعد أهلك من القراره
والجمل يضلع برجله من يمينـــا
وان بدالى قاره فى ســـد قـــاره
والخفى بيدين سلسات القرينـــا

« القاره» هى الواقعة بين بلد (شقراء) ، وبلد (القرائن) ، وهى التى يقول فيها ابن حمل العدوى صاحب «أشى» :

متى أمــر على الشقراء معتسفا
خل النقا بمروح لحمها زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلهـــا
من الثنايا التى لم أقلها ثرم

« والشقراء» المذكورة فى هذا الشعر هى «القارة» المذكورة سابقـــا (وشقراء) بدون ألف ولام هى المدينة المشهورة عاصمة «الوشم» .

«القويرة» : تقع فى (وادى المسمى) الواقع بين بلد القرائن ، وبلدة «أثينة» وتضاف هذه «القويرة» الى (المسمى) ، فيقال : (قويرة المسمى ويوجد قويره قريب بلد «مراه» تضاف اليها ، فيقال : «قويره مــراه» وفى الناس مـ ن يسميها (المعيزيله) ومنه قول شاعر من شعراء النبط :

يافاطرى لا تعدين المعيزيلـــه
اليـن تاطين دار الصاحب الغالــى

يفرح له القلب مثل اليوم والليلة
كيسودنى ادله كما أنه ضايق بالى

وفى بعض أسفارنا تغنينا بهذه القصيدة ومعنا بعض الأعراب ، فقالوا لنا : أين المعيزيلة ؟ قلنا لهم : هى قويرة مراه ، قالوا : أنتم ضايعين يا حضر ، المعيزيلة الكثيب المنعزل من فينقذة ، فقلنا لهم : قويرة مراه ماهو اسمها ؟ فقالوا : هو هذا الأسم : فقلنا لهم : أما البقاع وما يتعلق بها فأنتم أعـــرف منا بهـــا ٠

«القور» هى قور أثيثية وهى التى سميت أثيثية بها ، لأنهم وصفوها علىأثا فى القدر فقالوا كأنها أثافى قدر ، فحذفوا الفاء فقيل لهـا : أثيثية ولا تعرف فى أشعار العرب واخبارها ومعاجمها الا بالفاء«انظر معجـــم ياقـــوت ١ : ١١١» ٠

«قيران» منهل ماء من مناهل الجنوب تشترك بمائه قبائل الدواســـر وقحطان ، والمسافة الواقعة بين القوارة ، «وقيران» لا تقـــل عـــن عشريــــن مرحلــــة (١)

هذا هو الأسلوب الذى كتب به ابن بليهد آخر مؤلفاته ، وتلك هى اللغة التى استخدمها فى آخر كتبه وهو يدافع المرض والكبر ، أى أنه فى وضع نفسى وجسمانى لايساعدانه على التأنق فى الألفـــــاظ والأساليب ، ومع هذا فانا لانرى فيه ذلك الضعف والابتذال والوهن الذى ذكره ابن خميس ، الا على نحو ما أشرنا اليه سلفا ٠

---

(١) ما تقارب سماعه ص ٨١، ٨٢ ٠

أما اسلوبه فى كتابيه «صحيح الأخبار» ، «وتحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى» فهو أرقى لغة وأسلوبا من أسلوبه فى كتابه «ما تقارب سماعه» الا أنه يروى حينا عن العامة بلسانهم ٠

على انه قد كتب «صحيح الأخبار» فى فترتين متباينتين ، فلقد كتب الجزأين : الأول والثانى قبل مرضه ، أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب «صحيح الأخبار» وكتاب «تحقيق صفة جزيرة العرب» ، فقد كتبها فى مصر وهو فى فترة النقاهة والاستجمام بعد شفائه من مرضه وسنورد نموذجا مما ورد فى الجزء الأول من كتاب «صحيح الأخبار» ٠

قال فى معرض حديثه عن الأماكن الواردة فى معلقة طرفة عند قوله :

كأن حدوج المالكية غدوة
خلا يا سفين بالنواصف من دد

النواصف ودد : كلها واقعة فى البحر الشرقى ، لأن طرفه حين قال :

خلايا سفين بالنواصف من دد أتبعه بقوله :

عدولية أو من سفين أبن يامن ٠

وامرؤ القيس لما وصف الظعائن وقال :

فشبتهم فى الآل كما تكمشوا
حدائق دوم أو سفينا مقيرا

من المكرعات من سفين أبن يامن
دوين الصفا اللائى يلين المشقرا

والصفا والمشقر فى هجر بغير خلاف ، وطرفة ذكر سفين ابن يامن ، ودد : اسم لواد يصب فى البحر الشرقى والنواصف : هى نواصف هذا

الوادى ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، واما صاحب «معجم البلدان» فانه قال على ذكره:هو موضع واستدل بقول طرفة فى معلقته ومنهم من قال : أنه واد من أودية عمان يصب فى البحر ، والنواصف التى ذكرها طرفة هى نواصف دد ، وقد ورد لها ذكر فى أشعار كثيرة• قال ود بن منظور الأسدى :

ألا حى ربعا بالنواصف أو رسما
خلا دمية الأرواح تطمسه طسما (١)

وقد درس ذكر الناس للنواصف ولدد ، وظنى أن أحدا لا يعرفهما اليوم بهذين الاسمين ، وقد أطلت البحث عن دد وموضعه ، فقال لى بعض أهل الأدب : أنا أظن أن «ددا» هى المدينة الواقعة فى عمان التى يقال لها اليوم «دبى» وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باء فرجعت الى كتب المعاجم للاستقصاء عن «دد» وعن (دبى) فوجدت دبى هذا الاسم من عهد الجاهلية ، فقد كان يقال له فى الزمن القديم «دبا» واتل أيها القارىء هذه العبارة التى أوردها ياقوت ، فى معجمه عن الأصمعى ، حتى يزول عنك الشك وتعلم أن «ددا» اسم قديم جاهلى ودبى أيضا اسم قديم جاهلى (٢) ثم أورد عبارة ياقوت •

هذا هو أسلوبه : وضوح ويسر ودقة ، فى تحرى الصدق ، وحرص على ايصال المعنى الى ذهن القارىء خالصا من الشوائب واللبس •

ثم أنه لم يتبع أسلوب السجع والمحسنات البديعية ، الذى توحى به عناوين كتبه ، وهو الأسلوب الذى سلكه علماء عصره ، أمثال الشيخ

---

(١) وقع فى معجم البلدان «نطمسه طمسا» بتقديم الميم على السين وهو تحريف ، وتقول «طمس الطريق» «وطسم» بمعنى واحد ، معناهما درس ، وانظر شواهد ذلك ، اللسان (ط•س•م)
(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٦٣ ، ١٦٤ •

سليمان بن سحمان ، فى جميع كتبه التى منها : الضياء الشارق والأسنة الحداد وغيرها ، والشيخ ابراهيم ابن عيسى فى كتابه «تاريخ بعض الحوادث فى نجد» .

ومن ناحية أخرى لم يرق أسلوب ابن بليهد الى أسلوب بعض المعاصرين الآخرين له أمثال : الشيخ حمد الجاسر فى كتبه ، التى منها «مدينة الرياض» ، والشيخ احمد عبد الغفور عطار فى كتبه التى منها «الصحاح ومدارس المعجمات العربية» .

وانما سلك ابن بليهد طريقا وسطا ، فلغته واضحة مفهومة ، وأسلوبه سهل يسير : لا تعسف فيه ، و لاتكلف ، ولا تعقيد ، ولا التواء كل غرضه أن يدنى لقارئه ما يقدمه من معلومات ، وقد يستخدم فى ايضاحها التشبيه ، وهو نوع من التعريف بالرسم كقوله :

(ثم تلتفت على شمالك ، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها خضرة كروم ، أصولها شارعة فى الماء) (١) .

وفى وصفه للجبال والهضاب ونحوها يذكر لونها وطولها ومتدادها وكثيرا ما شبهها بما يشبهها من الأشياء كوصفه رأسى جبل بالرمحين المنصوبين والهضبتين الصغيرتين بالشهدين ، وليس يخفى ما لتلك الأساليب من فضل فى التقريب للقارىء بل أنه أحيانا يعطى بوصفه ما تعطيه المصورة فى يدى المصور الماهر ، واذا وصف الطريق فكأنه يرسم خريطة جغرافية ، ترى فيها ما تمر به من : أودية وجبال ، وحزون ورمال ، وسهول وتلال ، مما تطؤه الطريق،أو تتركه يمينا أو شمالا(٢)

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٤٤ .
(٢) المرجع السابق ١ : ١١٣،١١٩، ١٣٧، ١٣٨ ، و٢ : ٨٦ ، ١٥١ ، من ١٣٧ الى ١٧٩ ، و٣ : ٥٠ ، ٩٧، ١٥٢ ، ٥ : ١٢٩ .

ثانيا : ● النثـــر الأدبـــى ● :

والنثر الأدبى عند ابن بليهد ينقسم ـ كما قلنا منذ قليل ـ الـــى قسمــــــين :

مقالات وخطب ورسائـــل ، حكايات ·

أ ـ المقالات والخطب والرسائـــل :

ولكى نتبين جهد الرجل فى هذا علينا أن نعلم : أن جزيرة العرب ظلت ردحا من الزمن ، تعيش على ما خلفته عصور الانحطاط مـــن : أساليب أجلى سماتها الركاكة فى العبارة،والضعف فى اللغة ، والهزال فى الخيال ، واختفاء الصورة الأدبية ، وتخلخل التركيب الى أن جـاء مطلع هذا القرن ، فصدرت فى الحجاز الصحف والمجلات كالقبلـــة والاصلاح ، وشمس الحقيقة ، والحجاز ·

غير أن أثر تلك الصحف فى الميادين الأدبية كان ضئيلا جدا ، لأن اهتماماتها انصبت على الخبر ، وشئون السياسة ، وبخاصة ما يخـدم اتجاهات منشئيهـــا ·

ثم ان نجدا ـ وهى منشأ ابن بليهد كما عرفنا ـ قد ظلت محرومة من الصحف والمجلات والمطابع والمكتبات العامة ، حتى سنة (١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م) ·

ثم تتابعت الصحف والمجلات بالحجاز ،كما تتابع انشاء المدارس فيها ، وذلك لأن صلات الحجاز بالعالم الخارجى كانت أقوى ، لوجود الأماكن المقدسة التى يؤمها المسلمون من كل بقاع الارض ·

ومن : مكة ، والمدينة ، وجده ، انطلق نور الثقافة الجديدة الى سائر أنحاء جزيرة العرب ، وصار الناس يؤمون هذه المدن والبقـاع

للدراسة والتثقيف كما يؤمونها للحج ، وكان فيمن أمها من نجد صاحبنا ابن بليهد ، وأول زيارة له كانت حين حج سنة (١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م) ، غير أنه لم يستطع أن يتأثر تأثرا كبيرا بما عمرت به المكتبات ، من مؤلفات المعاصرين من العرب ، تلك التى تأتى الى الحجاز من مصر والشام ، ثم ما كانت تدفقه أقلام الحجازيين ، الا بقدر يتجلى فى تلك المقدمات ، التى كتبها لمؤلفاته ، وبخاصة تلك التى كتبها لديوانه «ابتسامات الأيام» (١)

ان هذا الأسلوب الرائع ، الذى كتب به المقدمة لدليل قاطع على أن ابن بليهد لو اتجه لهذا النوع من الكتابة لأجاد فيه ، وهذا ما نعنيه فى نفينا عنه التأثر بالمعاصرين من الأدباء ، فان موضوعات الأدب الحديث التى شاعت فى نتاج المعاصرين له منهم لم تجد طريقها الى قلم ابن بليهد فلم يكتب فى : السياسة والاجتماع ، والنقد الأدبى وما الى ذلك من موضوعات .

لكنه فى دراسته للاماكن الواردة فى أشعار العرب ، قدم لنا أسلوبا لا يقل عن أسلوب معاصريه ، ممن تشبه موضوعاتهم موضوعه الى ما صدر به مؤلفات من مقدمات يتجلى فيها أسلوب العالم الأديب ، ذلك الأسلوب الذى يسميه بعضهم : العلمى المتأدب ، أى أنه أسلوب التقى فيه العلم بالأدب ، وأى العلوم أقرب الى الأدب وأقوى وشيجة به من موضوع صاحبنا ؟ .

واذا كانت الدعوى انما تقوى بالبرهان والبينة ، فانا نورد هنا حديثه عن : «الدخول وحومل» الواردتين فى قول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

---

(١) انظر هذا فى الصفحة التالية .

قال في حديثه عن هذين المكانين : ونبادر قبل أن نتحدث عن هذه الأماكن ، فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه المواضع في اليمامة قال ياقوت في معجمه ـ توضح ، والمقراة قريتان من قرى اليمامة ، وتبعهم حسن السندوبي في شرحه لهذه القصيدة ، وذكر أن جميع هذه المواضع في «اليمامة» ٠

ولم أر أحدا من أهل الأخبار ذكرها في موضعها اليوم ، الا عبارة واحدة وردت في «معجم البلدان» أثناء ذكر الدخول ٠ قال:ان الدخول بئر ، ثم عزز هذا القول بقوله : حكى نصر أن الدخول موضع في ديار بني بكر بن كلاب ٠

سقط اللوى : السقط لغة : يطلق على طرف كل كثيب ، أما الذى عناه أمرؤ القيس في قصيدته ، فهو سناف يقال له اليوم شرف ، واسمه في الجاهلية شراف ، كأنه كثيب من الابارق والرمال طرفه من جهة الغرب قريب حومل ، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول ، والدخول وحومل باقيان بهذا الاسم الى يومنا هذا ـ أما الدخول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالي الهضب ، المعروف بين وادى الدواسر ، ووادى رنيه ، وذلك الماء تحت يد ابن نوير الشيباني اليوم وفي شعر حذيفة بن أنس الهذلي :

فلو اسمع القوم الصراخ لقوربت
مصارعهم بين الدخول وعرعرا

وعرعر : ماء ببطن الهضب بينه وبين الدخول مرحلتان للابل ، يسمى اليوم «عراعر» ٠

أما حومل : فهو جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية ، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول والمقراة : واد ينصب الى جهة الجنوب

بين الهضب والسوادة ، وقد حرف اليوم الى «القمرا » فهذا الـوادى المذكور يسمى اليوم «القمرا» فى ألسن جميع أهل (نجد) ، وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة)(١) ، فأنت تراه يبدأ الحديث بالاشارةالى اقوال السابقين ويروى أطرافا منها ، لينتقل بعد ذلك الى تحديـــد الأمكنة فى نظام وترتيب ، ووصف فيه دقة ووضوح واحاطة ، لايدع فى ذهن القارىء أدنى لبـــس •

ثم هو يسوق ذلك فى عبارات : متماسكة التأليف ، واضحة المقاصد لا يتعثر الفكر بها بتقديم أو تأخير ، أو تعقيد أو غموض وابهام •

ويؤدى ذلك كله بألفاظ مألوفه معروفة ، لا غرابه فيها ولا تكلف ولا سقوط أو ابتذال•وانكان الأسلوب فيه قائما علىالحقيقةلاالخيال

ان اعجابنا بأسلوب ابن بليهد الأدبى ، الذى تتجلى فيه الرزانة ، وتفوح منه البلاغة اذا قصد هذا وقيد به قلمه ــان اعجابنا به وتقديرنا له يزيد اذا عرفنا أن ذلك النوع من الكتابة ، كان فى «نجد» والكثير من أنحاء جزيرة العرب ما عدا «الحجاز» كان بدعا •

ولنقرأ معه قوله فى مقدمة الديوان : (فقد كنت ممن أحالتهـــم عوامل التكوين وخصائص البيئة ، الى ما خلفته النوادى الشعبية مـــن نتاج ، فقد كانت البلاد اذ ذاك فى معزل عن العلم والعالم ، ولكـــن البيئة العربية السخية التى أنجبت عباقرة الشعراء فى القرون الغابرة ، ابت الا أن تظل كما كانت منتجة على اختلاف فى طابع ذلك الانتـــاج «فقد كانت مجالس السمر تكتظ بالمتساجلين» فخلفت لنا انتاجـــا لا يستهان به ، وكنت فى مستهل الحياة اختلف الى تلك النـــوادى ،

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٦ ، ١٧

واستوحى ما يطيب لى فيها من جيد الشعر ، وأتعمق فى دراسته ، حتى اجدت صناعة الشعر الشعبى ، واصبحت أحد المتساجلين) (١) ٠

لقد أبدع الكاتب هنا حين أرشدنا بهذا الأسلوب اللبق البليغ ،الى ما يشعر به داخل نفسه من مراره شديدة ، حيث ان الأقدار لم تمكنه فى شبابه من أن ينهل من الثقافة العربية الأصيلة ، ولم تتح له المرشد الذى يهديه الى ذلك السبيل ، الذى يقوم لسانه ، ويثقف بيانه وينمى ملكته ، وانما أرشده قضاؤه الى ما خلفته الأندية الشعبية ٠

وعلى هذا النحو من الأسلوب يمضى صاحبنا فى كثير مما كتب ، وأقول الكثير لأن فى بعض كتابته تلتقى الفصحى والعامية ، على نحو لو كان فيه ابن بليهد من كتاب هذه الأيام لما عابه ذلك ، اذ اللحن فى كتابات أبناء العصر بات مألوفا ، لا يحول دونهم ومؤلفاتهم ودون قوائم الأدب والأدباء ، حتى ولو ضمت مؤلفاتهم الى فساد اللغة فساد الهدف والموضوع ٠

على أن نصيب العامية منه ضئيل جدا ـ يجيىء فى صورة حكاية لطرفة أو نادرة أو رواية نصية لما سمع ٠

ولشيخ الأدباء أبى عثمان عمر بن بحر الجاحظ فى راوية الطرف والملح والنوادر رأى يسوغ الكثير مما وقع فيه ابن بليهد ، وقد أسلفنا الاشارة اليه فى الحديث عن الأسلوب العلمى ٠

ثم أن أسلوب ابن بليهد فى نثره يجرى مجريين مختلفين تمام الاختلاف فبينما نجده فى «مقدمة الديوان» وفيما ورد فى كتبه الثلاثة ، يستعمل أسلوبا سهلا يسيرا ، خاليا من تكلف المحسنات البديعية

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٥ ٠

واعتساف الألفاظ ، نراه فيما يقدم به لبعض قصائده من رسائل وخطب ومقدمات طويلة ، يسلك سبيلا مغايرا جدا للسبيل الذى يسلكه فى «مقدمة ديوانه» وما ورد فى كتبه الثلاثة .

فالصنعة والتعمل وحشد السجعات والمحسنات البديعية واعتساف الألفاظ اللغوية ، كل ذلك تراه واضحا جليا فى تلك الرسائل والخطب والمقدمات .

ونظرة تاريخية الى ما خلفه هذا الرجل كفيلة بابعاد الحيرة واطالة التفكير فى ذلك التغاير .

لقد ذكر فى آخر مقدمته لديوانه أنه لن يغير شيئا مما دون ، وأنه سيقدمه كما هو ايمانا بما قال عماد الدين الأصفهانى : (انه لا يكتب انسان كتابا فى يوم الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل) (١) .

وقصائده ذوات المقدمات كان آخرها قبل طبع الديوان بما ينيف على خمسة عشر عاما ، ومادة كتاب «صحيح الأخبار» دون بعضها قبل طبع الديوان بقليل وبعض دون بعده بقليل .

وفى الزمن نفسه دون تحقيقه لصفة جزيرة العرب ، وبعد ذلك بعامين أملى كتابه (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) .
أما مقدمة الديوان ، فكتبها حين طبعه عام (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م).
وهذا يدلنا فى الواقع على ثلاثة أمور .

الأمر الأول : أن ملكات هذا الرجل كانت ذات قابلية سريعة للتطور والارتقاء .

---

(١) الديوان ص ٨ .

الأمر الثانى : أنه يقوم دليلا على صحة ما نسب اليه من شعر نظمه بعد طبع الديوان ٠

الأمر الثالث : أنه قد عدل عن أسلوب السجع واصطناع المحسنات حين قرأ لأدباء مصر واطلع على ما يفيد نبذهم لأدب التكلف والصنعة والمحسنات ٠

ويؤيد ذلك ويقويه ما وصلنى من أوراق بخط يده ، فلقد آمدنى أبنه عبدالله فيما أمدنى به بنص لمقدمة كتبها ابن بليهد ، لكتابه «صحيح الأخبار» ، ثم عدل عن بعضها وهو الجزء الأول ، أى التمهيد واستعاض عنه بسواه ما هو فى الكتاب المطبوع ٠

والجزء المحذوف فى المقدمة ، مشحون بالسجعات الى حد يجعلك ترى فى لغتها وأسلوبها نموذجا صادقا لتلك الخطب ، التى دونت فى عصور : التكلف ، والضعف ، والانحطاط ، مثل خطب : الخضرى ، وابن بناته ، والنحاس وأمثالهم ، ولكى ترى ذلك عيانا وتحكم عليه مشاهدة نقدم قطعة من صدر تلك الخطبة :

(الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وأودع فيه من عجائب حكمته وبدائع صنعته ، ما تقصر عن ادراكه العقول ، وتكل عنه الافهام والأذهان ، وجعل بنى آدم على احوال شتى باختلاف طبائعها والوجدان ، وقدر المقادير ، وعلم ما يكون وما قد كان ، وجعل لكل شىء سببا ، ولكل واقع آنا ، وأنزل القرآن العظيم على نبيه بأفصح لسان وأوضح بيان ٠ أحمده على ما منحه من لطيف المعرفة والاحسان واشكره على ما أولاه من جزيل الفضل والأمتنان ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها النجاة والأمان وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى من عدنان ـ صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعهم باحسان ، وسلم تسليما كثيرا ٠

أما بعد ، فانه لا يخفى على كل أديب ، ولا تتوارى فهم المعانى عن الأريب ، أن اللغة العربية هى أشرف اللغات ، وأقربها للحق والثبات، وأجمعها لما تشتت من الكلمات ، وأسلسها فى اللفظ عند ذوى العنايات وأبعدها عن التكلف وأقربها لوصول الغايات ، ألا وهى اللسان العربى المبين ، ولا غروى أن أهلها هم العرب ، الذين جرت الأقلام باذكارهم ، وحدت الركبان بأخبارهم ، وكانت لهم السوابق فى الأوائل واللواحق فى الأواخر ، نطقت بذلك الأشعار ، وتواترت به الأخبار ، ونقلـــه الصغار والكبار ، حديثا وقديما ، فاذا قال السائل : من العرب : وأين مساكنهم وما جرى لهم وعليهم ؟ ، فقل : نعم ، هم العرب من عدنـــان وقحطان ، اختار الله منهم أشرف بنى ، أنزل عليه أشرف كتاب ، مــن أشرف قبيله ، أشرف الناس نسبا ، وأفضلهم حسبا ، وأكرمهم سببا ، وأوضحهم بيانا • أنزل عليه قوله : (وما أرسلنا مـــن رســـول الا بلســـان قومــه) (١) •

أما قوم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهم أهل جزيرة العـــرب الذين بها يسكنون ، ولها يستوطنون ــ وبها يتجولون ولها يألفون ــ وبها يفخرون ــ ولمياهها وجبالها ومآثرها وشعابها فىأشعارهم يذكرون على ما فيها من ضيق العيش وقشفه وضنك المعيشة والخشونة ، وفيها أسواقهم التى بها يجتمعون ، وفيها يتعارفون ــ ويتذاكرون ــ «كعكاظ و «مجنـــة» وذى المجـــاز» (٢) •

فهو : كما ترى : جزأها الى فقر مسجوعة ، بدأها بحمدالله الذى خلق الانسان وأودع فيه من أسرار قدرته وبديع حكمته ما يقصر عن فهمه العقل ، ومن ذلك أنه علمه البيان وهداه بارادته وقضائه الى ما

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤ •
(٢) أوراق مخطوطة •

هو مقدر له فاختلفت بذلك طباع الناس وعاداتهم وأحوالهم ، لأنـــه تبارك وتعالى قد قدر كل شيء بحكمته وسيره بارادته ، وجعل لكـــل شيء سببا ولكل عمل زمنا ، أو ليس هو المنزل للكتاب العزيز علـــى رســولــه الكريـــم ؟ •

ثم حمد الله على نعمه وشكره على فضله ، ليخلص من ذلك الـــى الشهادتين ، شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فالصلاة عليه وعلى أله وأصحابه والتابعين له باحسان ، وهذا أسلوب ما زال شائعا لدى خطباء المساجد ، قد يرفع عنه الاقتداء الاستهجان •

ثم استأنف الكلام بعد «أما بعد» مذكرا بأن اللغة العربية أشـرف اللغات وأصلبها ، أمام زعازع التغير وأقدرها على البقاء ، وأنهـــا جامعة سلسة بعيدة عن التكلف مقربة للغاية ، فهي اللسان العربـــي المبين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز (١) ، وأهلها هم العرب الذين سجل التاريخ أمجادهم ، وكان لهم السبق فى الأولين والآخرين ، وذلك أمر مسلم به لدى الصغير والكبير وسجله التاريخ ، كما تضمنه الشعر ولا أدل على ذلك من بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيـــهم، واختيارهم لنشر رسالته وحمل لوائها فى العالمين •

ومضى يثنى على العرب وما اتصفوا به من خلال ، وعلى جزيرتهم وحبهم لها وتعلقهم بها وترديدهم لبقاعها وأمكنتها فى أشعارهم ، وظل ينسج على هذا المنوال حتى أفضى الى رسم صنيعه فى مؤلفه ، وهـــى مقدمة ليس فيها جديد على ما هو موجود فى مقدمة المطبوع ، اللهـم الا ذلك الأسلوب المتكلف المسجوع ، الذى أحسه هو قبل طبع الكتـــاب فعـــدل عنـــه •

---

(١) سورة النحل آية ١٠٣ • وسورة الشعراء آية ١٩٥ •

على أن تلك الخطب والرسائل تدل على أنه كان ذا ثقافة لغوية واسعة ، لنأخذ الأمثلة الآتية من مقدماته :

١) فى عام ١٣٤٨ هـ كتب هذه الرسالة مقدمة لاحدى قصائده ، التى بعث بها الى الأمير فيصل بن عبد العزيز :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فأنتم سيوف العرب الحداد والغطارفة الأمجاد أمنتم الحاضر والباد ، بكم الحق أستقام ، بتأمين البلد الحرام، ونالت بكم العرب الفخار ، بالوفاء بالذمة وحماية الجار ، كما سلف لكم بذى قار ، وقد يفتخر بذلك مرار ، قال أبو تمام فى خالد بن يزيد الشيبانى ·

أولادك بنو الأفضال لولا فعالهم
درجن فلم يوجد لمكرمة عقب

لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد
وحيد من الأيام ليس له صحب

به علمت صهب الأعاجم أنه
به أعربت عن ذات أنفسها العرب

هو المشهد الفرد الذى ما نجابه
لكسرى بن كسرى لاسنام ولا صلب

فنحن وأنت لله الحمد والمنة كما قال لقيط الايادى :

قوموا جميعا على أمشاط أرجلكم
واستشعروا الصبر لاستشعروا الجزعا

وقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع لأمر الحرب مضطلعا

فذاك أنت بعثت الجنود الى الجنود ، حتى تخالفت الحدود ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) (١)

فهو يثنى على آل سعود بالشجاعة والمجد ، وبما حققوه من أمـــن واستقرار فى شتى أنحاء البلاد ، وخص البيت الحرام لمنزلته الكبرى فى النفوس ، ثم أن الممدوح كان نائب أبيه على الحجاز اذ ذاك ، كما يمدحهم بالوفاء وحماية الجار،وأنهم فى ذلك انما يتبعون سيرة آبائهم الأولـــــين .

ويؤكد الولاء للامير فيصل ، لمنزلته ولحكمته وشجاعته وحســـن تدبيره فى تنظيمه للجيوش ، ويستشهد فى كل مناسبة بما هو أصلح لهـــا من الشـــعر .

٢) وهذه خطبة ألقاها سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م فى مناسبة عيـــد جلوس الملك عبد العزيز قال فيهـــا :

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فانى بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن أخوانى : أهل الطائف ، وأهل نجد ، والحجـــاز المقرين لكم بالبسالة ، والمجد والحزم والجد ، أقدم عظيم التهانى بين يديكم ، رافعا لسموكم مزيد الحفاوة والتبريك بهذا اليوم الســعيد ، بجلوس صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، المتـــمسروره بمطلعكم الكريم ، أعاده الله عليكم وعلى كافة الناطقين بالضاد بالمسرة وأبقاه فى جبهة الدهر غرة آميـــن) (٢) .

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٢٣،٢٢٤ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٢٨ .

وفى هذا النص يعيد بعضا مما أورده من صفات أثبتها لممدوحه فى النص السالف ، فهو يمدحه بالبسالة والحزم ، والجد والمجد ، وكلها صفات مرت بلفظها ، أو معناها بالنص السالف ، ويقدم التهنئة بعد ذلك بأسلوب ليس فيه ما يستوجب الوقوف عنده ·

٣) وكتب لاحدى قصائده هذه المقدمة : (وقلت أيضا فى هذه السنة أعنى سنة ١٣٣٩ هـ في الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل وقد بعث البعوث الى «حائل» ، وعقد اللوى حلو الشمائل ، وتكلم فى نصر الاسلام كل قائل) (١) ·

هذه نصوص أربعة أجلى سماتها : السجع ، والجناس ، والتضمين، والأقتباس وذلك كان أسلوب ابن بليهد فيما بين عامى (١٣٣٩ هـ ــ ١٣٦٠ هـ : ١٩٢٠ ــ ١٩٤١) تقريبا

أما ما كتبه قبيل وحين طبعه لمؤلفاته ، فيختلف عن ذلك كثيرا ، وانك لتعجب كل العجب حين تقرأ له مقدمة الديوان ، ومقدمات أجزاء «صحيح الأخبار» وما أشبهها من استطرادات كثيرة فى مؤلفاته الثلاثة فتجدها خاليةمن تلك العيوب ، التى تلمسها فيما قدم به لبعض قصائده من خطب ورسائل ومقدمات ، ثم تلك الخطبة التى كتبها لكتابه «صحيح الأخبار » ثم عدل عنها ، وذلك ما أوضحناه سلفا ·

ولنقرأ له على سبيل المثال قوله فى مقدمة الجزء الرابع من «صحيح الأخبار» لنجد شاهد ما قلناه واضحا جليا قال : (وأنا كثير التجول فى بلاد العرب من مدة طويلة لا تقل عن أربعين سنة أصعد فى الجبال ، وأنحدر فى الوهاد ، وأتسلل الى الكهوف أحتمى بهامن حماره

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢ ·

القيظ وضبارة الشتاء ، أو أهبط على المياه ، أو أنزل بالمواضع التى نزلها قبلى شعراء وملوك وأمراء ، وطالت صحبتى لهذه الأماكن التى حفل بذكرها الشعر الجاهلى وشعر صدر الاسلام ، كما طالت صحبتى للصحراء وكثر ترددى على المدن والقرى ، والأماكن التى عفا رسمها وزال أثرها وكنت أرى غروب الشمس فى الصحراء ، التى لا ترى فيها جبلا أو شجرا أو أثرا للحياة ، كما كنت أشهد فيها تنفس الصبح وأملا رئتى بالصبا ، كما أن هذه الصحراء تنكرت لى كثيرا وعبست فى وجهى ، وكادت تلتهمنى رمالها كما التهمت كثيرين غيرى ، ولكن الله سلم) (١) .

أسلوب هادىء رزين فى طواعية وانقياد ، لا تصم الآذان جلبة التصنع فى ألفاظه ، ولا يعكر صفاءه ضجيج المحسنات ، ولا يشوبه الاسفاف أو الابتذال ، الألفاظ فيه على قدر المعانى ، لم يلجأ فيه حتى الى التشبيه والاستعارات الا قليلا (كتنفس الصبح) و (تلتهمنى الصحراء) ، وما خلا ذلك تصوير لواقع الحياة ،التى كان يحياها أبناء الصحراء منذ ما ينيف على أربعين عاما .

ومع هذا البعد عن أساليب وعبارات التأنق والتنميق فى الكلام ، جاءت أساليبه على هذا النحو المشرق الوضىء الموصل الى المقصود بلا عنت وعناء ، تلوح فى أعطافه ملامح الفطرة ، ويجمله جلال الصحراء وجمالها فى بساطة لا تنحط الى درك السذاجة ، ولكنها منزهة عن التعمل والتكلف والاصطناع .

وقد يقول قائل : ان هذه مقدمات واستطردات ، وليست مقالات ادبية ، وبمثل هذا أقول : لكنها ليست عملا علميا ولو انفصلت من موضعها ، لعدت مقالات أو شيئا من هذا القبيل،فهى فى باب الأدبأدخل

---

(١) مقدمة صحيح الأخبار ٤ : ٢ ، ٣ .

وأكثر ما يتجلى فيه الأسلوب الأدبى ، وتتبين فيه قدرة الأديب ، وتتضح من خلاله الملكات ، ميدان الوصف حيث يطيب للاديب المتمكن أن يتلاعب بالأساليب والألفاظ •

وكل كتابات صاحبنا فى كتبه وصف ، ألا أنه فى جملته وصف علمى ، اما الوصف الأدبى فنصيبه أقل ، غير أنه يعطينا صورة حسنة لأسلوب ابن بليهد فى هذا الميدان •

ولنأخذ على سبيل المثال وصفه لبلاد «نجد» وهو من المقدمة المخطوطة :

(ان «نجد» هى أحسن البقاع وأطيبها ماء ، وأشرحها فضاء ، لها مزية فوق كل البقاع ، وأجزم أنه لا منازع لقولى فى ذلك ،فهى أشرف الأراضى وأهلها أشرف الناس ، منها تستخرج المعادن، وفيها يطمئن كل ساكن ، فما أحسنها اذا كثرت فيها الأمطار ، وتخالفت فى أوديتها وسهولها ، الأزهار ، واخضرت فى جوانب جبالها وهضابها الأشجار ، تقر فيها عين كل ناظر ، ويطرب فيها كل باد وحاضر ، المشى فيها رياضة ، والتجول فيها فكرة ، وهواؤها طرى ، وشرابها مرىء فهى فوق ما يصف واصفوها) (١) •

انه فى وصفه هذا يثنى على ماء «نجد» وهوائها ، وطبيعتها وأهلها وينفى جازما المثيل لها ، وأن احدا لا يمكن أن يخالفه فى ذلك ، اذأن «نجد» هى أشرف البلاد ، وأهلها أشرف الناس، ثم يعزز ذلك باستخراج المعادن منها وانتشار الأمن فيها ، الى ما يكسوها من جمال وجلال حين تغسل أديمها السيول ، فتلبسها حلل الربيع الضافية تجر ذيولها الجبال

---

(١) انظر أوراق مخطوطة •

والهضاب ، وتلتحف بوافرها السهول والوديان فيرتاح لها كل مرتـاد متفكـــرا أو مستروحـــا ٠

ب ـ ● الحكايـــات ● :

عندما يعمد الاديب الى تصوير حالة من حالات : التاريخ أو الادب أو الاخلاق أو الاجتماع أو نحو هذا تصويرا ، ينزع فيه عن ميولـــه واتجاهاته ومرئياته ، وبأسلوب أدبى فنى ،فانه لابد أن يفرغ ذلك فى أحد القوالب الأدبية : قد يكون مقالا ، وقد يكون قصيدة ،وقد يكون قصة فهو على أى حال عمل أدبى تضمن تجربة أدبية، لا بد أن يكون صاحبها قد استهدف فيها غرضا من الأغراض ، وهذا بدوره يختلف باختـلاف اتجاهات الكاتبين وميـــولهـم ٠

وعندما يقوم العمل الأدبى على أسس من الحديث ، واعطـــاء الاشخاص دورا فى تكوينه ، والأسلوب السردى ورعاية الظرف الزمانى والمكانى بطريقه خاصة ، فذلك هو القصة فى هذا العصر ٠

وطبعى أن تجمل الطابع الفكرى الخاص لكاتبها ، وأسلوبه فـــى معالجة الأحداث وتفسيرها واستنطاقها ، والاتجاه الى مواطن الشعور فى الانسان وأخلاقه وطباعه ، وتحليلهما تحليلا يغمس الشخصية فى العمل أو يولده منها ، وهذا الأخير هو أساس الفروق بين القصة ، فى عصرنا والقصة فى القرون الماضيـــة (١) ٠

لكن متى نشأت القصص ، والحكايات ، ولماذا ؟

---

(١) آنظر ص ١٥ من تاريخ القصـــة والنقد فى الأدب العربى السباعى بيومى ـ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٦ م

(نشأ الانسان ميالا بطبعه الى حكاية ما يقع له ، وما حكايـــات الجدات والأمهات والعجائز ببعيده عن مداركنا ، فقد كن يحكين لنـــا ونحن أطفال صغار للتسلية أو للتنويم أو للالهاء أو للتربية ، وكانت الواحدة منهن ينفد معينها ، ولكن أزاء الحاح الصغار تبدأ تتزيـــــد وتخترع ، وتلوك لسانها بما حلا لها أن تقوله) (١) ٠

فالحكايات اذن وجدت مذ وجد الانسان ، فسارت معه فى تاريخه الطويل ، وكأنما هى جزء من حياته ، أو هى كذلك حقيقة، ثم تراكمت الحكايات ، أصولا واضافات، حتى أصبحت تكون جزءا هاما من التراث الفكرى ، وكان للعرب كسائر الأمم: حكاياتهم وأساطيرهم ، عاشت معهم أزمنة وأزمنة ، حتى تلقفها الرواة والمدونون فى صدر الاسلام أيـــام بنى أميـــة وما بعدهـــا ٠

(وعلى هذا نتصور أن العرب كانت لهم حكايات ومجالس قص ، وأخبار كان الاخباريون يتناقلونها حتى تجمعت فى عدة كتب) (٢) ٠

وحينما نتحدث عن الحكايات عند ابن بليهد ، لا نطمع فى أن نجد لديه فنا قصصيا بالمفهوم الفنى للقصة فى هذا العصر ، لأسباب أهمها:
أ ـ أن القصة بمفاهيمها وأصولها الحديثة طارئة ، على الأدب العربى وان كنا نرى ان لها جذورا فى الأدب العربى القديم متمثلة فى تغريبة بنى هلال ، وقصة عنترة وما شابهها ، والأصول التى بنيت عليها ٠
ب ـ ثم أن البيئة التى نشأ فيها ابن بليهد لم تعرف هذا الفن الأدبى ، وقليل جدا من المثقفين فى زمانه من كان يميل الى قراءة القصة الحديثة فضـــلا عن كتابتهـــا ٠

---

(١) قضايا النقد الأدبى الحديـــث ٠ دكتور محمد السعدى فرهـــود ص ١٥٢ مطبعة زهران بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ١٩٦٨ م ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ٠

جـ ـ أضف الى ذلك أن اتجاه صاحبنا ونوع ثقافته لم يكن يسمح بمثل هذا ، من هنا جاءت الحكايات فى مؤلفاته على نمط ما نراه فى بعض من قصص العـــرب القديمة ٠

صحيح أن تلك الحكايات ذات بداية ، ونهاية ، وقد تتوافر فيهـــا العقدة كما يعقبها الحل ، لكنها على نحو لا يسمح فنيا بالحاقهـــا بالقصـــة الحديثـة ٠

ويمكننا أن نقسم الحكايات عنده الى قسمين : حكاية ، وروايـــة تاريخية ، وكلها منتزعة من البيئة وأحداثها، ومصورة للاوضاع القائمة فى مجتمعها ، ومتضمنة لكثير من العادات والتقاليد والعبر ٠

(١) فأماالرواية التاريخيـــة :

فأنها كثيرا ما تتناول أحداثا تاريخية قامت على أديم بلاده ، فيها القديـــم ، وفيها ما عاصره الكاتـــب ٠

ثم أنها ليست رواية تاريخية بالمفهوم الأدبى ، وانما هى ســـرد للاحداث على نحو فيه نوع منالتماسك ودقة الملاحظة والتتبع لجزئيات الأحداث ودقائقها،الأمرالذى يجعلك تقرؤه وكأنك تتابع عملاقصصيا

ولما كانت مثل هذه الأحاديث ألصق بالتاريخ ، فانا نكتفى هنـــا بالاحالة الى بعضها فى صفحات كتاب «صحيح الأخبار» (١) ،وهى فى جملتها سرد أو أقتضاب لأحداث تاريخية ، جاءت عنده فى صـــورة استطرادات فى حديثه عن الأماكن والبقاع الذى هو موضوع الكتاب ٠

---

(١) انظر صحيح الأخبار ـ الطبعـــة اثانية (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) = ١ : ٤٤ ، ٤٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ و ٢ : ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ و ٣ : ٢٣٤ ـ ٢٣٦ و ٤ : ٩٤ ـ ٩٦ ١١٥ ـ ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ و ٥ : ٢١٢ ـ ٢١٣ ٠

٢) الحكايـــــات :

وتشغل الحكايات جزءا هاما من مؤلفات ابن بليهد ، وتكـــــون الخرافات والأساطير جانبا ضئيلا منهـــا .

وقبل أن نأخذ بأطراف الحديث عن الحكايات ، يحسن بنا أن نفرق بين الحكاية والخرافة والأسطورة ليزيد ذلك هدفنا وضوحا وتبيننا .

الخرافة والأسطورة بمعنى واحد ، وهى مالا أصل له فى التاريخ خلا ما قام فى أذهان الحكماء او الكهنة والعرافين وأمثالهم ممن قاموا بنسج مثل هذه الخرافات ، فالخرافات والأساطير هى الأباطيـــل أو الأحاديث التى لانظام لها ، أو أحاديث تشبه الباطل أولا أصل لها .

واذا كانت الخرافة والأسطورة بمعنى واحد ، وهى أنها الحكايات التى ليس لها أصل فى العادة ، وان جاز عقلا أن تكون ذات أصل ألا أنها لم تقم على أساس من الحدث الواقع ، أو الممكن الوقوع عادة لكنها تنسج من الخيال لأغراض اجتماعية ، واصلاحية يستهدفها الحكمـــاء والمصلحون بمثل هذه الأساليب ، ومثل ذلك معهود فى جميع أجناســـ البشر خاصة القديم ، اذ هو لجهله وعدم تقدمه الحضارى ، المرتـــع الخصب لمثل هذا النوع من الكلام (١) .

فمن الطبعى أن يكون للعرب وبخاصة فى جاهليتهم من ذلك نصيب

---

(١) انظر الكتب الآتية ـ لسان العـــرب طبعه مصوره عن طبعه بولاق ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة .
النقد الأدبى الحديث : محمد غنيمى هلال ـ مطبعة الشعب ١٩٦٤ م .
الحكاية والخرافة : فريد ريش فون ـ ترجمة دكتوره نبيلة ابراهيم ـ دار الهنا للطباعة .
عصر الأساطير : توماس بلفيتشـــ ترجمة رشدى السيسى ـ مطابع البـــلاغ شارع منظور القاهرة ســنة ١٩٦٦م ـ محمود تيمور .

ومن شواهد ذلك عندهم حكاية الأرنب والثعلب والضب ، وذلـــك حين اختصمت الأرنب والثعلب على تمرة وجدتهافاتفقا علىان يحكما الضب بينهما لكن الضب يخشى أن هو خرج للحكم أن يأكله الثعلب ، فأصدر الحكم وهو فى حجره الذى دعاهما الى الدخول فيه ، لعلمـــه انهما لن يستطيعا ذلـــك لضيقـــه •

وهدف هذه الحكاية أمور منهـــا :

أولا : أن الحكم يجب أن يقصد فى بيته ليكون اكثر حرية وأبعد عن نفوذ الآخرين ، وذلك ما يجعل الحكم أقرب الى الصواب •

ثانيا : أن الانسان يجب ألا ينخدع بكلمات الثناء فقد تكون فخـــا منصوبا للاضرار به أو القضاء عليه (١) :

أما الحكاية : فانها أعم من الخرافة والأسطورة ، لدلالتها على ماله أصل من حدث أو عادة أو تقليد وما لا أصل له من ذلك ، فالحكاية اذن أشمل من الخرافة والأسطورة أو قل ان بينهما عموما وخصوصا ، وذلك لأن كل أسطورة وخرافة حكاية ، وليست كل حكاية خرافة وأسطورة •

اسلوب الحكايات عند ابن بليهد :

وأسلوب ابن بليهد فى حكاياته أسلوب عربى أصيل ، ونهج مألوف عند العرب ، وهو يبالغ فى نسبة حكاياته هذه الى الحقيقة ، فيضـــع بعضها تحت عنوان مذكرات ، ويورد بعضهاالآخر فى صورة استطرادات تاريخية عند ذكر الأماكن والبقـــاع •

---

(١) «خلاصتها» أن الأرنب وجدت تمرة فاختطفها منها الثعلب ، وجرت بينهمـــا خصومه انتهت بالاتفاق على تحكيم الضب ، فذهبا اليه ووقفا بباب جحره ثـم نادياه ، يا أبا الحسل ، قال سميعا دعوتما ، قالا اخرج فاحكم بيننا ، قال : فى بيته يؤتى الحكم ، قالت الأرنب وجدت تمره ، قال الضب حلوة فكليها ، قالت فاختطفها منى الثعلب ، قـــال : لنفسه بغى الخير ، قالت : فلطمته ، قـــال بحقك اخذت ، قالت : فلطمنى ، قالحر انتصر ، قالت : فاقض بيننا قال : قـد قضيت •

ثم انه يرويها تارة على لسان غيره ، وأخرى يكون هو الشخصية الأولى بالنظر فى الأسلوب ، وترتيب الأحداث ، وطريقة الربط بينها ثم كيف بدأت وانتهـــت ، •

ولتبين ذلك واضحا لابد من أن نتناول بعضها بالدراسة والتحليل وسنختار حكاية واحدة مما ورد فى أخر الجزء الخامس من كتابـــه «صحيح الأخبار» باسم مذكــرات •

نصـــن الحكايـــة : (١)

يقول ابن بليهد : (حدثنى برجس بن عيده فى حديث بينه وبيــن رجل أخر قال : خرجت يوما من الأيام فبت فى شرقه(٢)،فلما أصبحت وخرجت قاصدا أهلى وهم قاطنون على منهل مكينة ، وجميع مياه السر نازلتها بنو عبدالله بن غطفان ، وأقسام من عتيبه وكلهم جيران لبعض فما شعرت الا برجل قادم من بلد البرود ، وعلى ذراعى قطعة قماش ، وعلى رأسه جراب ملان من القهوة ، فكلما خرجت من طريق خـــرج أمامى اليه ، وقد رأيت علامات الشر فيه ، فقلت له : أيها الرجل مـــا تريد منى ؟ قال : أريد أن أخذك الا أن وضعت القماش الذى معـــك وتفسخ ثوبك وتضع عصاك وتترك الجميع ، فقلت له : من حـــين ولدتنى أمى لم يطمع فى أحد ، وهو معه شعاب وقديمى محتزم بـــها ، وقلت له : أنا من عتيبه قال : واللعنة عليكم ، فوضع جراب القهوة الذى على رأسه وقصدنى ومشعابه (٣) بيده ، وليس معى سوى غصن من

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٦ ـ ٢٧٩ •
(٢) شرقة : قصر يملكه رجل يقال له : مشوح ، وهى من قرى السر المشهورة •
(٣) مشعاب : تستعمله الأعراب يقال له : محجان ، وقد ذكره الشاعر محمد بـــن عثيمين فى قصيدته المشهورة حـــين قال :
تركته وحده يمشى وفى يده : بعد المهند عكاز ومحجـــان •

الخيزران ، فضربته به فانكسر ، وتماسكنا بالأيدى وأنا أكبر منه قامة ، وهو رجل قصير القامة ، فاذا رفعته عن الأرض قصدى أحدفه فى الارض ، فاذا وردت رجلاه ثبتت،فلما أعيتنى الحيلة ذكرت قديميته (١) وقد نسيها ونسيتها ، فذكرنى بها نصابها لما لمس بطنى ، فأدخلت يدى وجذبتها وطعنته بها فى تربيته على حد الكتف ، فحسست بدمه على يدى ، ثم أرتخت يداه ، وسقط على الأرض وأخذت جراب القهوة واحتزمت بقديمية ، فقصدت منهل عسيلة ، وبها قبيلة الثبتان ، وقصدت منزل رؤسائهم الرباعين ، واذا أمامى بيت كبير وبه ناس جلوس ، فسألت عن هذا البيت لمن هو ، فقالوا هذا بيت مصلط بن ربيعان ، فقصدت ناديهم فرأيت شيخا وقد أسن ، فسلمت عليه وأومأ بيده الى جهة من المجلس أن أجلس بها ، فجلست وأمر صاحب القهوة أن يديرها على الرجال ، فخلصت الدلة قبل أن يصلنى منها فنجال واحد ، فقلت لخادمة الذى موكل بالقهوة وتصليحها : ارم المبرد (٢) فرماه فملاته من القهوة التى معى فى الجراب ، الذى يملكه قبل ساعة رجل غيرى ، فما شعرت الا برجل من قومنا الدعاجين ، يقول : سلام عليك بابرجس ، فعزمنى واستأذن صاحب البيت الذى أنابه ، فذهبت معه وأثر الدم فى يدى وعلى حزامى وفى جراب القهوة ، فذهبت مع الذى عزمنى وهو الجوير الدعجانى ، فتغديت عنده ومضيت الى أهلى ، وأقمت عندهم شهرا ونصف وأنا لا أشك أن صاحبى قد مات ٠

وكانت قبيلة الحمران الذين يرأسهم ابن جاسر قد فقدوا رجلا منهم ، خرج فى سفر فى اليوم الذى واجهت فيه صاحب الجراب ، فبعد مضى شهر ونصف بحثت قبيلته عنه ، فذكر لهم أن رجلا جاء فى بيت

---

(١) قديمى : سلاح يشبه السكين ولكنه معقوف وله حدان ٠
(٢) المبرد : هو الذى توضع فيه القهوة قبل حمسها ٠ ويكون من خشب أو خوص ٠

مصلط بن ربيعان ، فما زال الثبتان يسألون عن الرجل الذى رأوه فى بيت مصلط بن ربيعان ، حتى اهتدوا الى الطريقة التى يعرفوننى بها فقيل لهم : ان جاركم الجوير عزمه وذهب به الى بيته ، فسأل الجوير : من الدعجانى الذى عزمته ؟ فقال هو برجس بن عيده ، فقال الحمران قبيلة المفقود ـ ان صاحبنا لا نشك أن الذى قتله هو ابن عيده فعزموا على أخذ الثأر به ، وكان أبن عدل الحنتوش خالا لابن عيده ، فدبت فى جسده حمية المصاهرة ، وركب من حينه حصانا أسود ، وقصدنا ونحن قاطنون على منهل مكينة ، فما شعرنا الا بصياحه وهو على ظهر جواده ، وهو ينادى ويقول : ادخلوا على يا آل عيده أقرع عنكم الحمران ، حتى يثبت الخبر اما تقرون لهم برجلهم او تنفونهم ، فدخلوا عليه خمستنا وهم بنو عمنا ، فلما ركب على جواده قال لهم : لا تعملون أى عمل حتى يأتيكم منى خبر ، فلما رجع الى قبيلة الحمران جاءهم وقد ذهب من الليل ثلثه وهو على ظهر جواده ، فنادى بأعلى صوته فقال : ترانى (١) اقرعكم يال حمران عن قبيلة ال عيده ، حتى يثبت رجالكم المفقود الذى اتهمتوا برجس بن عيده أنه قاتله ، فقبلوا ورضوا بما يحكم به مصلط بن ربيعان ، فأخذ ابن عدل منهم وعدا فى يوم معلوم ، وجاء ابن عدل راجعا علينا ليخبرنا عن قبولهم بما يحكم به مصلط بن ربيعان ، فلما قرب اليوم الذى فيه وعد حضورهم وحضورنا ، قال لى بنو عمى : لا تذهب معنا لانك متهم بقتل صاحبهم ، فقلت لهم : لابد من حضورى لأدافع عن نفسى ، فركبنا من منهل مكينة وقصدنا عسيلة ورئيسنا غازى بن عيده ، فلما انخنا ركابنا عند مصلط بن ربيعان وجدنا قبيلة الرجل المفقود ، وقد أحضروا الشهود الذين رأوا أثر الدم فى يدى وعلى قميصى والجراب الذى كان معى ، فقال لهم مصلط : لا يتكلم أحد منكم ، حتى نضيفكم فما شعرنا قبل أن نشرب القهوة الا

---

(١) ترانى : انى ، اقرعكم : أمنعكم .

بثلاث ركائب عليها خمسة رجال ، فأناخوا ركائبهم عند بيت الرئيس مصلط بن ربيعان ، وعلى ركائبهم الهلال وهذا هو وسم بني عبدالله بن غطفان ، فجلس بجواري رجل منهم وكنت مغرما بشرب الدخان وأنا ملتثم بعمامتي ، فلما عزمت على الشرب وولعت العظم قال الرجل الذي جنبي : لا تخليني بلا دخان فلما أبعدت لثامي عن وجهي قال الرجل الذي جنبي لما عرفني : أنت الذي بغيت قتلي نهار وافقتك عند شرقه ، قلت له : أخبرني بما حصل بيني وبينك في ذلك الحين فأخبرني بجميع ما حصل قلت له : وهل باقي للطعنة أثر فقال : الى الآن لم تبرأ ، فقلت له : أن قبيلة من عتيبه اتهموني برجل مفقود منهم فأخذته بيده وتقدمت به الى مصلط بن ربيعان، الذي رضيت القبيلتان بحكمه ، فقلت له : أيها الأمير قد أظهر الله النور بقضيتي وهذا الرجل يقص عليك ما حصل بيني وبينه ، فالتفت مصلط بن ربيعان الى العبيدلي الذي طعنته وأخذت جرابه ، فقال له بعد ما سرد عليه الخبر هل باق من طعنته أثر ؟ قال : نعم ، فخلع قميصه وأرى مصلطا مضرب الطعنة ، واذا باق منها أثر فندب احد رجاله وقال : اصعد على هذا المرتفع وقال: ارفع صوتك بالبياض(١) على برجس بن عيده، وازهم(٢) الحمران قبيلة الرجل المفقود وآتني بكبارهم ، فلما حضروا قال لهم : هذا الرجل الذي جاءنا برجس بن عبده ودمه عليه وخذوا الكلام من رأسه ، فلما أخبرهم بما حصل بينه وبين ابن عيده قنعوا ، وقال لهم مصلط :

انظروا الطعنة في ظهره لم تبرأ ، فلما رأوها قال ابن جاسر وهو رئيسهم : أنت في وجهي ، وأمان الله لن يأتيك ما تكرهه) •

---

(١) البياض : البرآءة •
(٢) ازهم : ادع •

فالحكاية كما تراها تروى قصة صراع كان بين برجس وأحد رجال البادية ، وكان هذا الأعرابى قد طمع فى أن يسلب برجسا ثوبه ومـا معه ، فلما دار الصراع بينهما تغلب برجس بعد لاى عليه ، فسلبـه بضاعته وسلاحه وخلاه فى مكانه جريحا ، وعند مرور برجس باحدى القبائل ، لمحوا الدم على ثوبه وسلاحـه •

ومر شهر ونصف شهر ، واتهم برجس بقتل رجل من احدى القبائل كان فقد فى ذلك اليوم الذى رؤى فيه أثر الدم على ثياب برجس وسلاحه

ويعقد مجلس شيوخ القبيلة لمقاضاة برجس والحكم له أو عليه ، ويكاد يصدر الحكم عليه بالقتل،لولا حدوث المفاجأة مصادفة بحضور ذلك الرجل الذى طعنه برجس وجلوسه بجانبه ، دون أن يعرف كل منهما صاحبه ، وكان برجس ملثما ، وحين اراد اشعال سيجارته نزع اللثام فالتفت اليه جاره يطلبه بعضا من التبغ وعندها تعارفا ، فأخذ برجس بيد الرجل وقدمه الى شيخ القبيلة كشاهد على براءته من دم القتيل فلما استخبره شيخ القبيلة الخبر قص عليه ما جرى بينه وبين برجس طلب منه الدليل وهو الجرح الذى تركه سلاح برجس ، فكشف عن كتفه وأراه الجرح الذى لم يلتئم،بعد فحكم الشيخ ببراءة برجس من دم القتيل

فهذه الحكاية كما تراها تدور حول حدثين هما :

آ ـ ما جرى بين برجس وصاحبه العبدلى •

ب ـ اتهام برجس بدم الحمرانى وقد التحما على نحو بديع جعل الثانى كأنما هو نتيجة للاول أو ملابسة اقتضاها •

ثم ان الحكاية ذات بدايه هى الصراع الذى جرى بين برجس والعبدلى ،وعقدة تتمثل فى اتهام برجس بدم الحمرانى،وحل أو نهاية تتمثل فى حضور العبدلى وشهادته •

ثم أن الشخصية الأولى فيها ظلت حيه لم يطغ عليها حتى النهاية ، ثم هى مرتبطة بالزمان والمكان ، وتتخللها شخصيات كثيرة ، ثـــم أن لغتها قريبة مفهومة الى حد مـــا •

ومع ذلك لا نستطيع أن ندعى أنها قصه حديثة ، تنطبق عليهـــا ضوابط وشروط القصة كما يفهمها النقاد المحدثون ، وذلك لفقدانها جوانب فنية تتعلق بطريقة الحبكة وأسلوب سياق الكلام •

ثم أن ايراد بعض الألفاظ المستعملة فى بعض المواقف ، من الأمور غير المقبولة لدى النقد الحديث ، ولكنها بعد هذا وذاك شاهدة بمـــا للرجل من قدرة فنية وملكة قصصية ، لو اتيحت لها ثقافة قصصيـــة ومرانة وموالاة جادة لأنجبت كثيرا من الأعمال الناجحة •

ثم انها ـ وهى على ما هى عليه ـ تعطى كثيرا من سمات المجتمع وتقاليده وأخلاقه وطباعه ، ونوع النظم والمعاملات المتبعة فيه فهـــى منتزعة منه ، تصوره وتمثلـــه •

ومما يلحظه القارىء أيضا اختفاء دور المرأة فى تلك الحكايات ، اللهم الا فى بعض الزوايا الجانبية القليلة ، التى قد تخلو منها بعض الحكايات خلوا كاملا كالحكاية التى قدمنـــا •

وهذه من الأمور التى أقتضاها مجتمعه وفرضتها بيئته الدينـيـــة المحافظة ، التى تحرم الاختلاط وترى المرأة عورة ، يحفظ الرجـــال سيرتها ، وكرامتها ، الى حد جعلهم يعتبرون التصريح بأسمها عيبا •

ثم أن طابع التاليف فيها قائم على السرد وتتابع الأحداث والخواطر دون عناية بالربط الفنى بين جزئياتها ، ومن ذلك أيضا عدم التحليل والتمهل ، لدى المواقف المثيرة وعدم افساح المجال لتصارع العواطف

والمشاعر في النفس ، خاصة في مثل موقف برجس بن عيده عندما أتهم بالقتل وقدم للمحاكمة، فظهر فجأة من بيده دليل نجاته، ثم موقف العبدلي حين وجد خصمه ، الذى طعنه وسلبه ما معه ، وهما موقفان جديـران بالوقوف أمامها واطلاق العنان لصراع المشاعر المضطربة والمضطرمة فـــى آن واحـــــد ٠

وجميع ما أورده من القصص والحكايات معدود في أدب الفروسية والبطولات ، وتشبه في أسلوبها وطريقة سردها الى حد كبير حكايات تغريبة بني هلال ، فكلها تدور حول أحداث بطولية ، جلها فردية ، ثم انها تطعم بالأشعار النبطية ، والكلمات المتداولة في بيتها في مثـل تلـــك المواقـــف ٠

على أن تلك القصص لا يربط بعضها ببعض الا رواية الراوى ،أو دوران بعضها على أيدى أبطال من قبيلة واحدة ، وقد تدور أحـداث القصة حول أفعال مجموعتين من قبيلتين متصارعتين ، كما قد تدور بعضها حول أحداث يكون بطلها شخص أو شخصان ٠

والمؤلف تارة يروى هذه القصص عن راو ، كصنيعه في المذكـرة الأولى حيث روى القصة فيها عن برجس بن عيده ، وقد يقوم هو بدور الراوى كصنيعه في المذكرة الثانية والثالثة ٠ (١)

ونود أن نشير هنا الى أمرين :

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٢ ، ٨٠ ، ٣٠

أولهما : أننا نميل الى أن لأحداث هذه الحكايات أصولا ، في الحقيقة والواقع ، لقربها مما كان يحدث فى تلك البيئة التى كانت الى البداوة أقرب ، ثم أن الحياة القبلية هى التى تحكم الأوضاع فى ذلك الزمان الذى ما كان يختلف عن حياة العرب الأولى الا بقليل من السمات • (١)

ثانيا : ان المؤلف يقوم بتفسير ما يغلب على الذهن خفاؤه ، وذلك فى هامش الكتاب ،

---

(١) انظر حديثنا عن الحياة الاجتماعية ـ الفصل الثالث من الباب الأول •



الفصل السابع

الشعر العامي أو النبطي

لماذا نتحدث عن الشعر النبطي ؟

تقدم لنا أن ابن بليهد كان من شعراء العامية البارزين من قبل أن ينظم الفصيح واستمر اصطحابه للعامى الى جانب الفصيح ، فنظم فى كليهما حسب المناسبات والمقام ٠

وحين طبع ديوانه وضع له ملحقا ، هو مختارات من الشعر العامى أولها : من شعره (١) ، والثانى مختارات من شعر سته من مشاهير شعراء العامية بنجد (٢) ٠

وفى مؤلفاته الثلاثة «صحيح الأخبار»و«تحقيق صفة جزيرة العرب و «ما تقارب سماعه» ــ نلمس اهتمامه بالشعر العامى ، واستشهاده به فى ثنايا أحاديثه ٠

ومن هنا بات لزاما علينا أن نتحدث عن هذا الفن ، لا لاعجابنا به ولا لتأييدنا له ، فانى قد أبنت فى أكثر من مناسبة فى بلادى ، أنه يجب الحد من غلو المغالين فى تأييد ودراسة الشعر العامى وأن عنايتنا يجب الا تتجاوز النظر فيه ، على أنه أثر من آثار فترة من تاريخ أمتنا، ضعف فيها لسانها الفصيح وسيطر اللحن على أدبه وفنونه ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٩ ــ ٣١٢ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٣١٣ ــ ٣٥٣ ٠

ان العناية يجب أن تنصب على استنقاذ لساننا وأدبنا من تلك الهوة ، التي تردى فيها أيام عصور الظلام التى ذهبت ٠

وفي اعتنائنا بالشعر العامي ودراسته ، ايجاد عامل مضاد لما نسعى اليه من اعادة سلطان الفصحى على اللسان العربى، لا لكونه لسان تراث الآباء والأجداد وحسب ، بل لكونه لسان الكتاب العزيز والسنة المطهرة

وعلى الرغم من وجود هذه الأسباب لا نستطيع اغفال الحديث عن هذا الفن ، لأسباب أخرى مقنعة وان لم تكن أقوى ، كقبول بعض الباحثين لهذا الفن واقبالهم على بحثه ، ثم تضمين صاحبنا ديوانه ومؤلفاته شيئا منه على أنى سأختزل الحديث الا فيما تدعو الحاجة الى وقفة عنده، من أمر الشعر النبطى : العامى فى جزء عزيز من بلاد العرب هو : قلب جزيرتهم ٠

● تسميته بالنبطى ●

جرى الناس فى جزيرة العرب ، وبوادى الشام والعراق ، على اطلاق كلمة «الشعر النبطى» على الشعر العامى ، فأما كلمة عامى فواضحة الدلالة ، اذ هى نسبة الى العامة أى سواد الناس ، والشعر العامى يقابل الفصيح من الكلام ٠

وأما كلمة نبطى فان فى نسبتها شيئا من الخلاف ، ولذا سنورد هنا ما يوضح أصلها ويكشف الأمر فى نسبتها ٠

قال تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم(١)

---

(١) سورة النساء ٠ آية ٨٣ ٠

وجاء فى الحديث : «من غدا من بيته ينبط علما فرشت له الملائكة أجنحتها»وجاء فى حديث آخر«ورجل ارتبط فرسا ليستنبطها أى يطلب نسلهـــــــــا» •

وقال كعب بن سعد الغنوى :

قريب ثراه ما ينال عـــــدوه
له نبط عند الهوان قطـوب

وقال ذو الرمـــــة

وقد لاح للسارى الذى كمل السرى
على أخريات الليل فتق مشـــهر
كمثل الحصان الأنبط البطن قائما
تمايل عنه الجل فاللون أشـــقر

أستشهد بذلك وبغيره ابن منظور فى لسان العرب (١)،وأوضح أن معنى : نبط واستنبط خرج واستخرج ، ومنه نبط الماء اذا خرج من الأرض ، واستنبطه : واستخرجه ، واستنبط الفقيه المسألة : استخرج مفهومها •

والنبط والأنباط : قوم كانوا يقطنون شمالى الجزيرة فى باديـة العراق والشام،وقيل أنهم سموا بذلك لعملهم فى الزراعة واستخراجهم الماء من الأرض ، وذكر صاحب اللسان أن النبط والنبطة بياض تحت أبط الفرســـــــس (٢) •

---

(١) لسان العرب ٩ : ٢٨٧ ـ ٢٨٩ •طبعة مصورة عن طبعة بولاق ـ المؤسســة المصرية العامة للتاليف والأنبـــاءوالنشر •
(٢) المرجع السابق •

وانما الذى يعنينا هنا نسبة الشعر العامى فى جزيرة العرب اليهم كما هو أحد الرأيين فى تسمية هذا الشعر (بالنبطى) ، قال الشـــيخ عبدالله بن خميس : واليهم ينسب الشعر النبطى (١) ٠

وقال ابن بليهد حين عرض لذلك (وهؤلاء أعنى أهل الأشعـــار النبطية ـ عرب على فطرتهم ، حذوا فى كلامهم حذو قوم من أهـــل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب فى بواديهم ، وأصل مساكنهم الأباطح التى بين «العراقين» «العراق» العربى و (العراق العجمــى) وقد كانوا معروفين باسم النبيط ، منذ العصر الجاهلى الى اليوم) ٠

ثم أردف قائلا : (ثم أختلط هؤلاء بالعرب فى بواديهم بحكم الفرار من الحرب ، وزارهم فى بلادهم عرب من خلص العرب ، فانتقل الـــى هؤلاء شىء عن لسانهم وطريقتهم ، فى التحدث عما فى أنفسهم مـــن خوالج ، فكان من أثر ذلك أن انتقل الى كثير من العرب فى نجد وغير نجد من بلاد العرب أسلوبهم فى الشعر فقالوا على مثاله) (٢) ٠

ويرى بعض الباحثين أنه سمى النبطى ، لأنه كان ينظم ابتـــداء وارتجالا ، لعدم تقيده بالفصحى أى أنه يخرج من صاحبه ، كما ينبط الماء من الأرض «أى يخرج» ويحلو للكثيرين فى عصرنا أن يسمـــوا الفنون العامية «بالشعبية» ، فيقولون : القصص الشعبى ، والشعـــر الشعبى ، والأدب الشعبى ، نسبة الى الشعب ويعنون بالشعبى هنـــا : العامى ، ومقتضى هذا اخراج الأدب الفصيح من ميدان الدلالة هنا ، وكأن كتاب الفصيح وقراءه ليسوا من الشعب ٠

---

(١) الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ٠ للشيخ عبدالله بن خميس ص ٣٧ مطابـــع الرياض ٠ سنة ١٣٧٨ ٠

(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١٨٩ ٠

ورأيي أن يسمى هذا النوع من الكلام بالعامي ، فنقول : الشعر العامي ، والأدب العامي ، والقصص العامي وهكذا ، ولابن خميس حديث آخر عن هذا الشعر قال فيه :

(ان هذا الشعر هو ما يسمى بالشعر النبطي ، وبعضهم يسميه الشعر الشعبي ، وبعضهم يسميه الملحون سمي شعرا نبطيا ، لأنه ربما تأثر بلغة الأنباط ، واللغة المدخولة والمزيج من اللغة العربية وغيرها لأن الأنباط ليسوا عربا ولهم ألوان شعبية ، وألحان، وأصوات موسيقية يطربون بها الناس ، ويستجلبون نوالهم على نحو ما يفعل «النور» و و «الصلب» و «الغجر» الآن •

وقيل : انه من النبطة وهى السمة والعلامة، فكأن صورته التي جاء عليها بمنزلة السمة ، التي تميزه من غيره وسمي شعبيا ، لأن أكثر من يعنى به سواد الشعب وعامتهم ، والناس ينسبون الى الشعب كل ما كان كذلك ، فيقال : حى شعبى ، ومقهى شعبى هكذا ، ويسمى ملحونا لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى) (١) •

● نشأة الشعر العامي ●

لم أقرأ عن علماء اللغة ورواتها ، منذ شاعت الرواية فيهم ، أن أحدا منهم روى شعرا يشبه هذا الشعر العامى •

فالشعر العامى : لم يكن له وجود على الأقل فى القرن الثانى والأول الهجرى وما قبلها ، ولا يستدل فى هذا بما ورد فى تغريبة بنى هلال وما

---

(١) الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح • بقلم عبدالله بن محمد بن خميس بحث مقدم للمؤتمر الأول للادباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز بتاريخ ١ـ٣ـ١٣٩٤ هـ ص ٤ •

شاكلها من القصص ، اذ من المعلوم أنها وضعت أو أضيفت ومددت فى عصور متأخرة من أيام العباسيين ٠

وعندما ننظر فيما سمى بالفنون السبعة أيام العباسيين ، وهى : «الدوبيت ـ القوما ـ كان وكان ـ والمواليا والسلسلة ـ والزجل ـ والموشح» نجدمنها ما هو عامى ، وما هو خليط من العامى والفصيح ، وما ينظم تاره بهذا وأخرى بذاك ، وهذا لا يحدد لنا أيضا بداية الشعر العامى ، ولكن يدل على أنه أو شىء يشبهه كان موجودا منذ أخريات القرن الثالث ٠

ولقد وجد الشعر العامى فى كل اقليم من الأقاليم العربية وان اختلفت التسمية ، فهو فى المغرب مثلا يسمى : الحورانى ، وفى جزيرة العرب يسمى : بالنبطى ، ويسمى فى مصر : بالزجل وهكذا ٠

وأظن أنه وجد تدريجا بحسب الظروف والأحوال : الفكرية ، والثقافية فى كل اقليم ، ولذا فَمن الصعب جدا تحديد مولده ، ففى بعض البلاد العربية كالجزيرة مثلا ، نشأ فى عصور استحكمت فيها الظلمات ، واكتنف الجهل تاريخ البلاد ، وأقدم ما يروى منه منسوبا الى قائليه لا يتجاوز القرن العاشر الهجرى ، يقول خالد الفرج :

(أما أقدم ما وصل الينا من الشعر النبطى ، لغير بنى هلال فهو يرجع الى القرنين العاشر والحادى عشر كشعر راشد الخلاوى ، وأبى حمزه العامر من أهل الأحساء ، وقطن بن قطن من أهل عمان ، ورميزان ، وجير بن سيار من أهل نجد) (١) ٠

---

(١) مقدمة ديوان النبط ـ
خالد الفرج ص (ى) ٠

ولقد تكاثر شعراء هذا الفن في قلب الجزيرة العربية ، وكـــان ازدهاره في القرون الأخيره ، حتى كانت تعقد له ندوات كل أسبوع ، وتمتلىء به مجالس السمر والمؤانسة ،لكنه أخذ في الانطواء والانزواء في الأيام الأخيرة وأن عني به بعض الدارســين وأذاعـه بعضــ الناشرين وتجار الكتـب •

أسلوبه وخصائصـــه :

ان أسلوب الشعر العامي، يشبه الى حد كبير جدا ،أسلوب القصيدة العربية قديما ، فهو يبدأ بالنسيب ولا يستحسنونه الا في الأغراض ، التي استحسنه فيها شعراء العرب : كالمدح والاعتذار والاستنجـــاد والحماسة ونحوها ، ومن النسيب ينتقل الشاعر الى غرضه مستخدما حسن التخلص ، كما كان العربي يصنع وتتخلل الحكـم والأمثـــال القصائد ، كما أن لكل بيت استقلاله غالبا ، وقد يخالف هذا بعضهـم فيطرح النسيب شأن بعض الشعراء أيام العباسيين •

وللشعر العامي أوزانه وقوافيه ، بل انه يغالي في القافية فيأتي بالشعر مصرعا ، ويلتزم الشاعر كلتا القافيتين في جميع القصيدة ، لكن لابد من اختلاف قافية الشطر الأول عن قافية الشطر الثانــــي بالحروف أو الحركات أو بهما معـــا •

أما أوزانه فيقول ابن خميس : (انه قد عد منها في ديوان ابراهيم بن جعيثن : وهو من فحولهم : عشرين وزنا ، ويجزم أنها تتجاوز هذا العدد بكثير ، وأنه يشبه الزجل الذى قيل فيه من لم يعرف منه سوى ألف وزن فليس بزجال) (١) •
ثم أنه لا يتقيد بالاعراب •

---

(١) الأدب الشعبي في جزيرة العرب ص٦٠ ـ ٦٣

والكثير من المثقفين فى هذا العصر ، لا يحسنون قراءة هذا الشعر العامى ولا يتذوقونه ، وقد لا يتذوقه الا من كان فى بيئته لارتباطه ارتباطا وثيقا باللغة العامية ، وعامية أهل «الشام» تختلف عن عامية أهل «العراق» وعامية (الجزيرة) تختلف عن عامية «مصر» وهكذا .

والعجيب فى ذلك الشعر أنك تقرأ الكثير منه وعلى الأخص شعر الفحول ، فيذهلك ما ترى فيه من : بديع الاستعارة ، وجميل التشبيه وصادق المثل ، وبليغ الحكمة ، والموعظة .

وكثيرا ما تلتقى معانيه ، ومعانى الشعر العربى القديم ، ولا بدع فى ذلك فان البيئة ، التى نشأ فيها نفس البيئة التى نشأ فيها الشعر العربى القديم .

وابن بليهد يتحدث عن هذا فى كتابه «صحيح الأخبار» فيقول : (واذ قد عرفت أن طريقة الحياة عند النبط هى طريقة الحياة عند العرب ، فلا عجب أن تجد توافقا عظيما فى المعانى ، التى يذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ولا عجب أن تجد هؤلاء النبيط يلتزمون الأوزان فى حدائهم وأشعارهم ، كما يلتزمها العرب وان اختلفت الأوزان بعض الاختلاف فليس فى ذلك عجب ، وكما اختلفت ألفاظهم ، وعباراتهم ولهجاتهم فان أوزانهم تختلف ، وقدتتفق ألفاظهم بعض الاتفاق ، وقد تتفق أوزانهم بعض الاتفاق) (١) .

واذا كان الميل الى كل ما هو جديد ، والحرص على مخالفة الأصول الثابتة المتعارف عليها ، قد جذب بعض المثقفين الى التجديد فى أوزان الشعر العربى الفصيح وقوافيه ، حتى اعتبروا ما هو أبعد شىء عن مفهوم الشعر شعرا ، فجاءوا بالشعر الحر والمنثور .

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ١٨٩ .

فأن شعراء العامية ظلوا محافظين على أصول شعرهم وضوابطه ، وقد فسر هذا عبدالله بن خميس بأنهم كانوا بعيدين عن الميادين الفكرية المعاصرة فقال :(ان ناظمى الشعر النبطى هم ليسوا من الطبقة المثقفة المستنيرةحتى يتأثروا عن طريق القراءة والسماع ـ بكل جديد ويبرز ذلك فيما ينظمونه ، بل هم طائفة من سواد الناس امتازت بدقة الاحساس وشىء من الذكاء والتجربة الاجتماعية) (١) ٠

وعندى أن هذا غير صحيح ، فأنا أعرف كثيرا منهم أطلع على الحركات التجديدية فى الشعر العربى ، لكن اعتزازهم بأصالة شعرهم منعهم من مخالفة أصوله وضوابطه ٠

بين العامى والفصيح :

ربما بدا هذا العنوان غريبا فى أول وهله ، ولكنا عندما نتأمل الشعر العامى نجد ان فيه الكثير مما يلتقى بالفصيح ، ولكنه التقاء من احدى زاويتين : الأولى الوزن واللغة ، والثانية المعنى ٠

الوزن واللغة : فأما الوزن واللغة ، فمن ذلك قول محسن الهزانى من قصيدة تبلغ ثمانين بيتا ، يخاطب بها خليله منها مما يصلح شاهدا لنا أكثر من بيت ، نورد منها أبياتا غير متوالية تقرؤها بالفصيح فيستقيم لك اللفظ والوزن (٢) والمعنى وتقرؤها بالعامية فلا يتغير منها سوى الحركات ، التى لا تستبين الا عند قراءتها بالعامية،وهذه هى

غنى النفس معروف بترك المطامع
وليس لمن لا يجمع الله جامع

---

(١) الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ص٨٤ ٠
(٢) هو بحر الطويل ٠

ولا عز الا فى لقا كل متعـــــب

بسمر القناء المرهفات القواطع

* * *

فهل تدفع البلوى وهل تمنـع القضا ؟

فما للذى يآتى من الله دافــع

* * *

عشية مالى حيله غيــــر أننـــى

على شاطىء الجرعى أمام الخراوع

* * *

بها هام قلبى واستمالت صبابتى

وغصن الرجا منى له اليأس هازع

* * *

خليلى قم لى فى دجى الليل بعدمــا

جفا النوم عينى والبرايا هواجع (١)

والهزانى من الفحول المعدودين فى الشعر العامى بنجد ٠

ومن ذلك أيضا قول بركات الشريف وهو من فحول الشعر النبطي بالحجاز من قصيدة مطلعها العامى :

عفا الله عن عين للاغضا محاربــه

وجسم دنيف وزايد الهم شاعبه

اما ما يقرأ منها فصيحا وعاميا فمنه قوله :

اذا نبحتنا عن قريب كلابـــه

ودبت من البغضا علينا عقاربـــه

نحيناه بكوار المطايا ويممـــت

بنا صوت حزم صارخــات ثعالبه

---

(١) ابتسامات الأيام ـ ابن بليـــهد ـ قسم المختارات ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤ ٠

بيوم من الجوزاء يستوقد الحصـــا
تلوذ باعضاد المطايا جخادبه (١)

وأمثلة ذلك كثيرة ذكر نماذج منها الشيخ عبدالله بن خميس (٢) ولو أننا حاولنا تقريب صورة الشكل العامى للقارىء ، لما استطعنا أن نؤدى ذلك على الوجه الأكمل ، لاختلاف الحركات فى العامية أختلافا كبيرا عما عرفناه فى الفصيح ، ثم انهم ـ لا يستخدمون شكلا فنقبس منه لكون حركاتها مسموعة لا مكتوبـــة ٠

المعنـــــى :

وأما المعنى فأكثر من سابقيه : الوزن واللفظ بكثير ، فقلما نجد قصيدة عامية ، لا تشتمل على معنى طرقه الشعراء العرب قديما ، بل وربما يذهب بك الظن ببعضهم ، أنه سرق هذا المعنى أو ذاك من قدماء الشعراء ، لكن يحجزك عن ذلك أن الرجل عامى ، ولعل أصلح تفسير لذلك هو أن هؤلاء الشعراء العاميين قبسوا معانيهم من البيئة التـــى قبس منها أولئك ، فهو من قبيل توارد الخواطر ، ووقع الحافر علـــى الحافر » على حد تعبيرهـــم ٠

واذا كان هذا قد حصل لمن يفترض فيهم الاطلاع، على قول السابقين وسلم به لهم كثير من الناقدين ، فان هؤلاء العوام أولى بأن يسلم لهم به اذن ، لانهم أناس على فطرتهم ينظمون الشعر على سجيتهم ٠

ومما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه أن معانيهم بدوية كالفاظهم ، وأن صورة البيئة واضحة فيما ينظمون ٠ ولقد تحدث عن هذا الموضوع ابن

(١) الأدب الشعبى فى جزيرة العـــرب ص ١٧٧ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ ـ ١٨٠ ٠

بليهد فى كتابه «صحيح الأخبار» (١) ، بحديث قابل فيه بين المعانى عند أرباب الفصيح وأرباب العامى ، وكان يقارن بين قولى كل شاعرين وقد يفاضل بينهما ،ولكن ذلك كله فى كلمات عابرة يختمها بتعقيب مقتضب مثل قوله :

(فتجد فى هذه الشواهد بيتا نبطيا وبيتا عربيا ومعناهما واحد ، وصاحب البيت النبطى لا يعرف الأشعار العربية ولا يسمعها ، وأبتكر المعنى من قريحته ، كما أن الشاعر الأول ابتكر معناه من قريحته) ، وهذه مثل مما التقى فيه شاعر النبط وشاعر الفصيح فى المعنى .

١) قال أعشى قيس صاحب «منفوحة» :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن فى الليل فى حافاتها زجل

وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

فى صحصح كنه قفا الترس مقلوب
طرب به الجنى على فقده الذيب

٢) وقال عمر بن أذينة :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه
ولو جلست أتانى لا يعنينى

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٨٩ ـ ٢١٠

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

اذا نواك الرزق جا من تواليـــك

لو ما لقيته يافتى الجود يلقاك

٣) وقالت ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبى سفيان رضى اللـــــه عنـــــه :

لبيت تخفق الأرواح فيـــــه

أحب الى من قصـــر منيــف

وشبيه ذلك قول شلشا البقمية وهى من بلد الدوادمى :

لو أهنيك بالهنى يبو مرداســـــ

ما ولعوك مدرهمــين المطيــه

القلب كنه يشعرونه بالمســـــواس

من طين حضر حجر وبه عليه

فهذه مثل ثلاثة لما التقى فيه شاعر عامى متأخر بشاعر فصيح متقدم ترى فيها المعانى وقد تطابقت وتماثلت ، حتى ليخيل لقارىء المتأخـــر أنه نسج احتذاء بالتقدم ، وقد أسلفنا استبعادنا لذلك ، لأســـــباب ذكرناها سلفا ، ولكى نزيد الأمر جلاء نعود الى هذه المثل لنلم بمعانيها

أولا :

حين نعيد قراءة بيت الأعشى ، نجد أنه يشبه المكان فى أقفـــاره وخلوه من الساكن بظهر الترس ، ويزيد فيقول : ان الجن فى تلـــــك الأرض ، حينما يجن الليل ، تكثر حركتهم وأصواتهم .

ونقرأ بيت بن لعبون فنجده يأتى بهذا المعنى ويزيد عليه ، فهـــو يشبه القفر بظهر الترس ، كما شبهها الأعشى ، ويذكر أن الجـــن

يظهرون بها وتسمع أصواتهم لكنه يزيد عن الأعشى بأن جعل ظهر الترس مقلوبا ، وهذا فيه زيادة ايضاح للصورة ، وبأن جعل الجنى يغنى طربا واستبشارا لأنه فقد الذئب ، فالفرق بين الصورتين واضح أذ الأعشى انما يقول لك : ان للجن أصواتا• أما ابن لعبون فيبعد أكثر ويقول : ان الجنى يغنى ، وهذا يعنى أن الأرض أكثر ايحاشا وبعداعن الأنيس ، فى بيت ابن لعبون أكثر منها فى بيت الاعشى ، لأن الذئب لا يبعد عن مناطق الماء كثيرا •

ومما هو متوارث عند العامة : أن الجنى أذا رآه الذئب لم يستطع الهرب أو التحول ، الأمر الذى يجعله لقمة سائغة فى فم الذئب •

ثانيا :

أما عمر بن أذينة ، فانه يقول فى بيتيه : ان الرزق الذى كتبه الله للانسان آتيه لا محاله ، سعى اليه أم لم يسع ، أما غير المكتوب من الرزق ، فان تطلبه يعيى •

أما بركات الشريف فيقول : ان الرزق أت لا محاله ، ما دام أنه مكتوب لك ، نفس المعنى الذى أراده ابن أذينة مع اختصار فى اللفظ•

ثالثا :

وتنفر ميسون من القصور وسكناها ، ويشتد بها الحنين الى بيوت الشعر فى البادية فتأتى بهذا البيت ، الذى تؤثر فيه بيت الشعر الذى تخفق الأرواح فيه من كل ناحية على القصر المنيف ، على ما فيه من وسائل الراحة والنعيم ، أما شلشا فانها وان لم تذكر بيت الشعر ،الا أنها عبرت عن نفس المعنى ، فى عمق ودقة احساس ، وقدرة على اظهار الألم ، والحسرة ، من احتواء جدران الطين لها ، ولوعة واشتياق والى حيث كان أهلها وذووها فى أحضان الصحراء ومضارب البادية •

شعر ابن بليهد العامــي :

نشأ ابن بليهد في بيئة ـ على عاميتها في اللسان والأدب ـ عريقة في سماتها الاجتماعية تمت بأسباب قوية الى عادات وتقاليد ، ضربت جذورها في القدم الى أيام الجاهلية ، لذا لم يكن غريبا أن تقام فيها الندوات الشعرية المشبهة لما كان يحدث في أسواق العرب كعكاظ في الجاهلية ، والمربد في الاسلام ، فكان شعراء العامية المعاصرون لابن بليهد ، يقيمون الليالي الطوال حول النار في الشتاء ، وتحت أضواء القمر في الصيف يتطارحون الشعر على طريقة النقائض أو علـــى طريقة الألغــــاز .

شهد ابن بليهد تلك الأندية صغيرا فتشبع روحها ، ولم يلبث أن نازل فحول ذلك الميدان وهو في الثانية عشرة من العمر ، وكان يرفع على الأكتاف ليدلى بدلوه ويلقى ما عنده .

يقول في مقدمة ديوانه : (وكنت في مستهل الحياة اختلف الــى تلك النوادى ، وأستوحى ما يطيب لى فيها من جيد الشعر ، وأتعمق في دراسته ، حتى أجدت صناعة الشعر الشعبى ، وأصبحت أحدالمتساجلين وقد بلغ بى الأمر أن أساجل الشاعر المرحوم (السكران) وكان شاعرا فحلا . أذكر أن رجلا يقال له : عبدالله بن سالم كان يحملنى على كتفه حتى ألقى ما عندىفي ذلك المحفل ثم يضعنى ، وهكذا) (١) . ولم يكن الحاضرون ليرفعوه على اكتافهم لو لم يجدوا فيه الاستعداد ويلمسوا في شعره الفحولة ، وخاصة أن ذلك المجتمع كان أفراده لا يقبلـــــون المجاملات ولا يرحمون في أحكامهم الشعرية صغيرا أو كبيرا .

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٥٠

واستمر ابن بليهد فى طريق الشعر العامى نظما وحفظا لعيـــون شعر الفحول أمثال : محمد بن لعبون ، ومحسن الهزانى وعبدالله بـــن سبيل ، ومحمد القاضى وأمثالهم ، ولم ينظم فى الفصيح حسب مـــا وصلنا الا فى عام (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨م) أن حين بلغ السابعـــــة والعشرين من العمر ، ثم استمر فى نظم الشعر العامى الى جانب الشعر الفصيح ، حتى أخريات حياته • غير أنه لم يقدم للمطبعة حين طبع الديوان الا قليلا جدا من الشعر العامى ، مما يدل على أنه كان يعتز بالفصيح أكثر •

واشتمل ديوانه مما نظم فى العامية على خمس عشرة قصيدة ، فى موضوعات وأغراض شتى فيها : المدح ، والوصف والغزل ، والاستنجاد والعتب ، والوداع والتذكر والتهنئة وأقدم (١) قصيدة فيها نظمت فى عام (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩م) • أى أنه نظمها وهو فى السابعة عشرة من عمره يقول فى مطلعهـــا :

يا ركب تدرون عن ذيبان ومناحى
هم دون كبشان ولا من وراجاله
معهم وليف لبيب صافى صاحـــى
أقفيت واقفا وكلن راح فى حاله (٢)

ولنا اليها عوده لما فيها من عاطفة مشبوبة وروح ـ على الرغم مـــــن الصغـــــر ـ شاعــــــرة •

أما ما لم ينشر من شعره العامى ، فلم أعثر منه الا على قصيدتين وثلاث مقطوعات احدى القصيدتين فى العتب على الأمير فيصل بن عبد

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣١٢ •

(٢) (ذيبان ، مناحى) • علمان علـــى شخصين ـ يسأل الركب عن منزل ذيبـــان ومناحى أهم ساكنون دون كبشان أم من ورائه (الجال) الجانب وهو يسأل عـــن منزلهم ، لأن معهم الفه اللبيب الصافى الصاحى ، فهو يريد أن يعرف مكانه بعد أن أدبر كل منهما عن الآخر ، ليذهب كل واحد فى حاله •

العزيز ـ الملك السابق ـ حين لم يعر اهتماما تهديد خادمه لابن بليهد وقال الأمير موجها الخطاب لابن بليهد: لا يهمك ، فلما سافر فيصل وقع ما كان يحذره ابن بليهد ، فكتب تلك القصيدة التى مطلعها :

أشوف الأيام تقدح مثل قدحات المشاهيب
وقت تغير ولا درى ويش حده وانقلابه

ولنا حديث عنها فى موضع آخر ان شاء الله • والذى رواها لى مانــع أبــو العــــلا •

أما الثانية فقد أمدنى بها ابنه عبدالله ، وتبلغ ثلاثة عشر بيتا وهى غزلية ، أما المقطوعات الثلاث فاحداها من ثمانية ، والثانية ستــة ، والثالثة خمسة ، فاثنتان غزليتان أيضا ، والثالثة أخوانية ، وليس بها جميعا ما يدل على زمن نظمها سوى الأخيرة الاخوانيه ، فان نصها يدل على أن ابن بليهد نظمها بعد عودته من «مصر» ، كما اكد لى ذلك أيضا ابن أخيه عثمان ، الذى أعطانى نص المقطوعة بخط الشاعر (١) •

خصائص شعره العامـــى :

كنا أسلفنا القول بأن شعر ابن بليهد العامى ، أجود فى ميدانه من شعره الفصيح ، ولم نوضح الأمر بالدلائل والبراهين ، ولذا آثرنا أن نأتى بشىء من الايضاح هنا ، متجنبين الاطالة والتفصيل لما قدمناه فى صدر هذا الحديث من أسباب :

أن الشعر العامى كالفصيح فيه الجيد والردىء ، فيه ما يسمو فــى أسلوبه ولغته الى أعلى المراتب ، ومنه ما يسف حتى يبلغ حد السماجه•

---

(١) اثبتنا لها صورة فوتوغرافية فىصدرالبحث كنموذج لخطه رحمه الله •

ونحن اذا قرأنا شعر صاحبنا العامى ، وجدناه يسمو فيه حتى يوشك أن يبذ الفحول ، لأنه يأتى فيه بأسلوب سهل قريب ، ولكنه بعيد المنال فهو السهل الممتنع ــ كما يقولون ــ يسير فيه هادئا مطمئنا ، لا تلمس فيه اعتسافا ولا تحس ابتذالا ، ينتقى ألفاظه بلا اغراب ، ويختـــار أسلوبه ويهذبه ، ويعطيك المعنى فى أجلى صوره المشرقة ، يستوى فى ذلك ما قاله فى أول حياته وآخرها ، وذلك خلاف شعره الفصيح ٠

ولم يضع ابن بليهد تاريخا ، لنظم القصائد العامية سوى قصيدتين غزليتين ، وذلك خلاف صنيعه فى شعره الفصيح ، ألا أننى حاولـــــت الاهتداء الى تاريخ عدد من القصائد،من خلال الأحداث التى نظمتفيها

وهذان نموذجان أحدهما نظم فى عام (١٣٢٧ هـ ــ ١٩٠٩ م) ، أى وهو فى السابعة عشرة من عمره ، والثانى نظم قبل وفاته بما ينيــف على لعشر سنين ٠

على أن هناك ــ كما اسلفنا ــ خمسة أبيات نظمها بعد عودته مـــن «مصر» لكنا آثرنا تقديم النص السابق له لأمور منها :

اشتماله على الوصف والتهنئة والمديح ٠

ومنها :طوله وانبساطه،ثم اشتماله على شيء من العادات والتقاليد فى عصره ، وكل ذلك لا تحققه لنا الأبيات الخمسة المشار اليها ٠

١) النموذج الأول :قصيده غزلية هى أقدم ما وصل لنا من شعره العامى المطبوع وغير المطبـــوع (١) ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣١١ ــ ٣١٢ ٠

يا عدوين الجمال المواضيــــح
الى ينوصون الحياكل ماطاح

شدو على الى يبعدن المصابيــــح
واخلو فنجنابك قبل فلاج الاصباح

يا عد لارنت عليك المــــراويح
ولا سفاك من الحيا بــــارق لاح

ياعد ياما فيك من سكنة الريــح
يوم اندرج مظهور شيخه ومصباح

ياتل قلبى تل خطو الشراشيــــح
المال ذار وحس راعى الدبش صاح

شعو شميشيله على الكنس الفيــح
خذت من الصالح بها حيل ولقاح

على رسوم دقيقات المذابيــــح
تدل أثارها بغدوه ومــــــرواح

ومصححه ما عاد تحتاج تصحيـــــح
رسم جديد ما تعفيه الأربـــاح

قل للحمام يطوح الصوت تطويـــح
يحيى القلوب المستميته الى نــاح

وبين الذى يصرف بزين التمازيح
حيثك عليم عن سجاياه ياصــاح

لقض لجدولة وتل المطاويـــــح
على نهود كنها حمـــل تفــاح

ودى أني أخذ من هو طيب الريـــح
مزة ثمانة قبل قطـاف الارواح
دار خلت عقب الوجيه المفاليـــح
اجعنك ما فيها تجلاد ومـــــراح

الأفكار والمعاني والصور والأخيله والألفاظ والاساليب :

أ) (العد) البئر الغزير الماء الثابت ـ (الجمال المواضيح) البيضـــس ـ (ينوصون) يزورون • (شدوا) تحملوا ـ (الى يعدن) الابل التى تبعد الظاعنين ـ (مصابيح) : اما أن تكون جمع المصبوح أى صبيح الوجه ومليحه والمقصود هنا حبيبته ، أو جمع مصباح ويكون المقصود هنـــا مصابيح البلدة التي تختفي شيئا فشيئا عن راكبى الابل النازحـــة ، وجعل الابعاد هنا للمصابيح كرها لذكر بعاد الأحبة ، ويورد هـــذا الأخير أن الرحيل كان في الليل ، بدليل ما ورد فى الشطر الثانى من البيت الذى يفيد رحيلهم عن الناحية قبل انبثاق الفجر •

(الارنت عليك المراويح) أى نضب ماؤك • (لارنت) لا على صوت ساقيتها ، او هو نفى لانسكاب المطر اذآن من مدلولات(المراويح)عندهم السحاب الذى ينشأ فى المساء وكثيرا ما يكون فى الصيف ، أما (شيخه) فاسم حبيبته ، وأما (مصباح) فلعله أبوها ـ (تل القلب) جذبـــه ـ (الشراشيح) نوع من السير السريع (الدبش) لماشية من ابل وخيــل وبقر وحمير (شعو شميشيل) ساروا مسرعين متفرقين (الكنس) الابل المشبهة للظباء ـ(الفيح) الجملية النشطة ـ (دقيقة الذابيح) أى أعلـــى الرقبة وهى صفة محمودة فى الابل عندهم ـ(التمازيج)المزاح ـ(لقض) اذا قض ـأى نقضى (المجدول) ضفائر الشعر (ودى) أود (مزه ثمانة) أى تقبيل ثغره ـ (الثمان) الأسنان الأمامية ويعبر بها عــن الفـــم ـ (الوجيه المفاليح) الوجوه المفلحة أى الكريمة سماحة وجمالا (اجعنك) أقول لك فى لوعه ـ (تجلاد) حركة •

(ب) يخاطب الشاعر العد ، الذى رحل عنه الحبيب حين ارتحل الحى طالبا المرعى ، فى مساقط المطر ومنابت الشجر والعشب ، ولا بد أن حبيبة الشاعر هنا بدوية ، لأن البدو هم الذين يحلون ويرتحلون ، وكثيرا ما تخطفت البدويات قلوب شباب الحضر ، ولعل السبب فى ذلك حسنهن الطبيعى غير المموه ، والذى وصفه أبو الطيب المتنبى بقوله :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفى البداوة حسن غير مجلوب

ويوجه الخطاب لنفسه متحدثا عن رحيلهم ، الذى تركه ملوعا بعد ذهاب الحبيب ، فيخبر أنهم رحلوا قبل الفجر على الأبل ، التى تبعد براكبها أى تسرع به الى حيث يقصد ، ولذا فهو يدعو على العد بنضوب مائه اذ لم تعد فيه حلاوة بعد رحيلهم فهو ليس جديرا بأن يسقيه المطر ، بل أن العد أمسى خاويا حتى كأنما الريح لا تسير فيه ٠

لقد ألمه فراقهم ، حتى كأنما جذب قلبه جذبا حين اندفعت الماشية فى المسير انقيادا لصوت راعيها،ويعود ليصف رحيلهم الذى خلفه وحيدا فيقضى فى وصفه ووصف الرواحل ثلاثة أبيات يخلص منها الى مخاطبة صاحبه أو نفسه ، طالبا من الحمام أن يساعده على النواح ٠

ثم يتساءل عن حبيبه الذى يصفه بطول الضفائر وبروز النهدين ، ذلك الحبيب الذى يود أن ينال منه ولو قبلة قبل الموت ٠

ويشده مسكنهم القديم (العد) فيعود ليتحدث عنه فى أخر بيت ، وأنه خلا من جمال وجوههم فلم يعد فيه حركه وحياة ٠

(ج) وفى التعبير عن جمال الوجوه (المفاليح) شمول لمعان كثيرة عندهم اذ يقصدون بها التعبير عن الجمال وعن حسن الطالع وعن السماحة

ونحوها ، فهى عندهم من الكلمات ذات الدلالات العميقة الشاملة لكثير من جميل الصفات وجليلهـــا ٠

وفى توجيه الخطاب الى العد ما فيه من ابداء اللوعة والحســـرة ، لكأنما لم يجد من يخاطبه سوى العد ، أو أنه لاقامة الحبيب به أمسى بمثابة الحبيب ، لولا أنه عاد ليدعو عليه بعد ذلك ٠

ويقع البيت الثانى موقع الجواب على التساؤل الوارد فى البيــت السابق ،حيث أفاد ارتحالهم على الابل التى شدوا عليها رحالهم،والتى وصفها بأنها تبعد المصابيح وتشتد به اللوعة ، فيكره العد الذى يذكره بهم ، فيدعو عليه بنضوب الماء ، حتى لا تجد فيه الابل ما تشرب ، كرها أن ينزله غيرهم ويطمث آثارهم ، وفى الدعاء بعدم السقــيا خـــلاف للمعهود فى الأدب العربى ، من دعاء الشاعر بالسقيا لأطلال دار الأحبة ومنازلهم ، لا الدعاء عليها ٠

وفى التعبير عن خلو معاهد الأحباب ومنازلهم بسكنة الريح ، جمال يجلوه نفى الحياة عنه بسكون الريح فيه ٠

أما التعبير عن شدة الوجد والالتياع (بتل القلب) أى جذبه، ثم اتباع ذلك التعبير بوصف ارتحال الأصحاب ، فان فى ذلك صورة باكية أليمة توحى بما اشتمل على قلب الشاعر من حزن ، وألم ، والتياع ٠

وفى الاطالة فى وصف رواحلهم ما يوحى بحب استصحابهم، ولو عن طريق وصف تلك الرواحل وسيرها وآثار اخفافها ونحو ذلك ٠

ثم فى الاستعانة بنوح الحمام ما يوحى بأن الشاعر قد بلغ به الحزن وبلغه ، حتى لم يعد قادرا على القيام بذلك وحده ٠

أما حذف المفعول للفعل «يصرف» فان فيه دلالة على شمول صرفه اياه عن كل احد بل عن كل شيء ٠

أما البيت الحادى عشر ، فانه يرسم لك صورة محبوبته فيه ، انها طويلة الضفائر ترخيها على صدرها ، فتستر نهديها المشبهين للتفاحتين

وفى البيت الثانى عشر يخبر بأمنيته ، وهى أن يحظى من محبوبته بقبلة قبل أن يمـــوت ٠

٢ ـ النموذج الثانـــى : (١)

تهنئـــة ووصـــف :

يا شيخ جامع ناقلين المكاتيـــب
علمن يباريه السعد يوم جانى

يبشر بنجلك يا حصان الأطاليـــب
الله يفكه من تعوس الزمانـــى

متباشرين به جميع الأصاحيـــب
وتباشروا به كل قاص ودانـــى

من ماكر من نايفات الشواذيـب
فى دمخ ولا فى طويل حلبانـــى

حرار تذبح صيدها بالمخاليـــب
والكل منها نادر صيرمانـــى

عساه مثلك عارفن المواجيـــب
خير ونطاح لكـــل المعانـــى

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٠٤ـ٣٠٦

أو مثل أخوه الى مرده على الطيب
حيثه عريب من عـراب المجانى

يا شيخ لو نشرف منيف المراقيـــب
الى يورينا الغبا والبيانـــى

الخيل لزت مار ما نعلم الغيـــب
لعل عشرى ما تعـود بثمانـى

زمل من اللى كنهن اليعاسيـــب
قب البطون مقلمات الاذانـــى

خيل تقص شعير ليه الى يا جيب
طغت من الصنعة وزين المكانى

والقت والراحة وعذب المشاريـــب
مهى بمثل الضائـع الهيملانـى

على تمام يابس فى الاداعيـــب
من بين غول وليم وعر يفجانى

ياهل السبايا حضروها بترتيـــب
كلن يمس المعرقة بالبلطانـى

والطيب الى سابقه تدرك الطيب
قله يحضر حبلهـا والعنانـــى

ويسبق الى جن السبايا جناديـــب
لو سبقتين مثل سبقه حصانـى

الى يكف الخيل منها ولا ليـــب
ذكره وهو فى الميد ثالث وثانى

مبروك ياغوج بعيد عن العيـــب

أنا على الى قد لفظ به لسانى

ان كان جا سابق فهو للمعازيـــب

وان كان جا قاصر فلا ينبوانى

بيعه على اللى ينقلون الرواكب

أهل الحصن وأهل البغول البدانى

المعانى والصور والألفاظ :

أ) لم تكن كلمة (الشيخ) تطلق عندنا سابقا الا على أحد رجلين العالم، والرجل العظيم صاحب الأمر والنهى فى قومه أو بلاده . والشاعر هنا يخاطب بها الأمير فيصل أيام أن كان نائبا لأبيه عبد العزيـز علـــى الحجاز ـ (حصان الأطاليب) الذى يحقق المطلوب ـ (تعوس) الأحداث المؤلمة ـ (صيرمان) قتال ـ (عساه) لعله ـ (عريب) أصيل ـ نايفات السر لقوب) ما علا من رؤس الجبال أو الأبراج العالية ، التى تبنى فى المرتفعات للاستطلاع ـ (لزيت) أى دخلت السباق ـ (مار) لكن ـ (زمل خائف ـ (قب البطون) ممتلئة (مقلمة الاذان) قصيرة الآذان ـ (الـى يا جيب) اذا جيء به ـ (القت) البرسيم ـ (الهيملانى) السائـــــم (جناديب) جنادب وهو جمع جندب الطائر المعروف ـ (غوج) الصعب الذى لا ينقاد الا للماهر ـ (المعاذيب) الذين ـ يؤون الأضيـــاف ويقربونهم ـ (الرواكب) الركاب .

ب) ذكر ابن بليهد أن لهذه القصيدة مناسبتين :

الأولى : مولد الأمير محمد بن فيصل بن عبد العزيز (الملك السابق ـرحمه اللـــه .

والثاني : ارسال الخيل الى المرعى فى حين أن حصانه قد أرسل مع بعض الخيول الى ميدان السبق ·

فيقول مخاطبا الأمير فيصل : يا شيخ أتانى مع الذين ينقلـــون الرسائل خبر حين وصلنى كان السعد يباريه ، لان فيه البشارة ينجلك، الذى أدعو له أن يحفظه الله ، من صروف الزمان ، لأنه فرحة للجميـــع ولذا فهو يدعو له أيضا ، بأن يكون مثله فى الشجاعة والكرم ومعرفة الأصلح ، او مثل أخيه الذى مآله الطيب لأنه من سلالة الأخيار ·

ثم ينتقل الى الحديث عن الخيل ، فيقول لممدوحه متمنيا ومستخدما ــ لو ــ فى التمنى ــ ليت أنا نعلو رؤوس الجبال التى ترى المخفــى ، والظاهر ، فلقد دخلت الخيل السباق ولا أدرى ما مصير حصانى لعله لم يخسر ، فأنا خائف من جياد الخيل القوية ، التى تأكل شمير وادى ليه اذا أحضر حتى طغت من صحتها ونظافة وخصب مكانها ، فأكلـهـــا البرسيم وشرابها عذب ثم هى فى راحة ، فليست كالهمل الضائـــع التى تعيش بنبت الثمام اليابس فى المرتفعات الواقعة بين غول وليم ·

ثم ينادى أهل الخيل الأصيلة ، ليحضروها فى نظام ويشدوا وقاية سروجها بالبطان الملفوف على بطنها والفاضل منهم من تسبق فرسه ، وعليه أن يحضر عنانها وحبالها ، ويسبق اذا جاءت الخيل مسرعـــة ولو سبقتين مثلما سبق حصان الشاعر ، وكأنه يتحدى أهل الخيل بأن يسبقوا بخيلهم حصانه الذى تفاءل له بالبعد عن الهزيمة ، وأنه ثابت على ما لفظ به لسانه وما يعيد قوله فى البيتين الأخيرين ، وهو أنـــه يقدم حصانه الى الأمير فيصل بن عبد العزيز ان جاء سابقا ، وأما اذا تأخر فى السباق فلن يتوانى فى بيعه على أولئك الذين يستعملـــون الخيل والحمير فى حمل الركاب وجر العربات ·

ج) أما الصور فيها فعربية قديمة ، خذ مثلا استعارته الصقور الحرة لمدوحه فى البيت الخامس ،أو تشبيهه الخيل المضمرة باليعاسيب وهى ذكور النحل ، على أن روائع الصور وجميلها أقل هنا من النص السابق ولكنها هنا وهناك صور عربية أصيلة تصور بيئته التى نشأ فيها وما فيها من مألوفات ٠

مجتلى خصائص شعره العامى :

تتجلى هذه الخصائص في روعة التشبيه وجماله،وحسن الاستعارة وجلالها ، وانتزاع صورة مباشرة من البيئة ، حتى يريك من خـــلال قصائده صور مجتمعة ، ذلك المجتمع الذى التقت فيه حياة الحضـــر ، وحياة البدو ، وسار فيه الجمل بجانب السيارة ، وجرى الجواد فى ظلال الطائـــــر ٠

ثم كتاباته البديعة التى تذكرنا بكتابات العرب في شعرهم القديم فأدواته فى صوره البيانية كلها من أدواتهم التى هى : السيل ، والمطر والسحاب ، والجبل ، والوادى ، والصقر ، والسيف ، والحصـــان ، والصيد ، والجمل ونحوها ، فهو يشبه ممدوحه بالصقر الجيد الحـر تارة كقولـــه :

حنا ظهرنا مع ولد طير حـــوران
على الشرابع ليلة السبت ممسين (١)

وبالجبل آخـرى فيقـــول :

كنه زين عيسان عالى الشخانيب
لا صرت له ظل عن الشر حجاب (٢)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٩١ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٨٢ ٠

ويشبه فضله بالسحاب الهتان بقوله :

لولا أن فضلك مثل هتان المـــزان
ماراح أبو عزوز راضي وممنــون(١)

ويشبه السيارات في سرعة سيرها بالصقور الأصيلة فيقول :

قفوا على مطراق ذر بين اليمان
على فروت كنهن الشياهـــــين (٢)

ويشبه دم الصيد في مخالب الصقور بالحناء فيقول :

ينزل ويذبح صدته قبل ناتيـــــه
تشوف مخلابه من الدم حنـــــاه(٣)

ويستعير لمدوحه الصقر الأصيل فيقـــول :

يا ما ركبت بضف عطب المضاريب
أشبع ونا مالي جناح ومخـــلاب(٤)

كما يستعير له الحصان السباق فيقول :

أمانت بالحلبه بعيد من العيـــب
سابق ولك بالحرب حظ ومضراب(٥)

«أما الاستعارات التمثيلية» فانه يأتي فيها بما يحسده عليه أرباب هذا الفن ، كقوله مشبها حال العافين ، وقد رحل عنهم الأمير فيصـل

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٩١ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٨٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٨١ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

ففقدوا المنح والأعطيات، بحال قوم مقيمين على ماءفغار فيبست البرك ومساربها ، وحين أرادوا طلب الماء من البئر وجدوه مظلما فهابوه •

باكر تروح وييبسن المغاريـــــب
والبير مظلم والغراريف هبـاب

يا كيف ننحا عن جميع المشاريـــب
وحنا منول ملتوين بالأسباب (١)

ويثنى على ممدوحه بأنه يمنح نجائب الابل ، لكن يكنى عن الابـــل بطول العنق تارة ، وأخرى بطول الرسن أى المقود ، فيقول :

لو أهنى «داورد» «وم» المشاعيـــب
ان مرها معطى طويلات الأقـارب (٢)
يا شيخ يا معطى طويلات الأرسان
مع مثلها والناس ما عاد يعطـون (٣)

ويكنى عن كرم ممدوحه تارة بأتعاب الخيل والابل ، وأخرى بجفـاف قرب الماء كبيرها وصغيرها ، فيقـــول :

الله يسلم متعب الخيل والعيس
أغناك من ضرب الدواهم والكياس (٤)

أخاف يزمى كشب بينك وبينـــى
وييبس لنا عقبك روايا وصملان (٥)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٨١ •
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٨٠ •
(٣) المرجع السابق ص ٢٨٦ •
(٤) المرجع السابق ص ٢٨٩ •
(٥) المرجع السابق ص ٣٠٠ •

ومن خصائص شعره هذا أنه وصف فيه الى جانب الحصان والناقة ـ السيارة ـ لكن نرى وصفه لها منتزعا من البيئة نفسها ، شأنه فى التشبيهات والاستعارات والكنايات السالفة ، فيشبهها بالصقر المنقض على فريسته ، ويشبه انقضاضه بالشهاب الهاوى من السماء رجمت به الشياطين وتلك صور أملتها بيئة مجتمعه ، فهو دائما فى مرافقة الأمير فيصل ، وفيصل كثير الخروج الى القنص ، وأهم أدواته الصقر ، وهو يعيش فى الصحراء ، ويرى فى الليل الشهب تتساقط من السماء ، ثم هو مسلم يقرأ قول الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) (١) .

ومن هنا نجد وصفه للسيارة يأتى على نحو ما فى هذه الأبيات :

فى ساعتين خلف العرف وقطان
وبالزيت ما نفد ولا نصف جالون

يوم انصرم كنه على حزم هكران
حرن فوز له الرزق مضمون

طلع وهو فى رأس مذروب كبشان
تكفكفت منه الجناحين ومتون

دواء كما نجم رمى به على جان
وعادات ضربة مخلبه تعطب الكون (٢)

ثم هو كما تراه فى الصورة الأخيرة من هذا الوصف ، دقيق الملاحظة ، يتقصى جوانب الصورة ، لكى تبدو أكثر وضوحا وأتم فى أداء المقصود .

---

(١) سورة الملك آية : ٥ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٨٧ .

وهناك ظاهرة خص بها شعره العامى دون الفصيح ، وهى مداعبة بعض الأخوان بما يشبه الهجاء ، وأخص أصحابه بهذا سلطان الجبر الرشيد ، المنافس له على منادمة الأمير فيصل ، فمن قوله بعدما ودع الأمير فيصل فى أحد أسفـــــاره :

صار العوض عن ترثه الجود سلطان
ما من قصور مار بغى السلاطين (١)

ويتندر بصاحبه سلطان ، وأنه اكثر منه طمعا فى الهبات مع أنه أغنى منه ، فيقول من قصيدة فى توديع الأمير فيصل ، وقد عزم على السفر من الحجاز الى الرياض :

أنا بكيت بدمع مثل الغشيـــــن
ثمن بكا حامى الونيات سلطـــان

يبكى بكاذيب كلى الفرقتيـــــن
بجلودها ثم أصبح الذيب جيعان

أى الذى يستعمل الموترينـــــــــى
وأى الذى يقسه بداورد حرقـــان(٢)

أغراض شعره العامــــى :

أولا :

مدحــــه العامــــى :

أما مدحه العامى ، فقد جاء فى مدح ثلاثة : الملكين فيصل ، وخالد والأمير عبدالله الفيصل،وفى قصائد سبع فيها من التشبيه والاستعارات

---

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٩١ .   (٣) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وسائر الصور البيانية ، ما يفتقر الى مثلها الكثير من شعره الفصيح ذلك لأنه ينظم على سجيته ، وطبعه لا يتكلف ولا يتصنع ولا يسير خلف التقليد والمحاكاة ، وأنما يصدر فيه عن ذوق شاعرى وطبيعه بدوية ، ثم أنك تلمس فيه صدق العاطفة والشعور الوفى للاحباب والاعتراف بالجميل ، كل ذلك تفيض به روح هاج ، وأزكى من احساساتها فراق الاخوان ، أو تذكرهم أو المرور على ديارهم بعد ارتحالهم عنها، وكانت نعماؤهم ابان اقامتهم عليه ، وارفة الأفياء مخضرة الجناب ، فها هو ذا يمر على بيت الأمير خالد فى مكة وقد رحل عنه الـى الرياضـ ، فتهتاجه ذكرى أولى الفضل ، ولكن لا يحس شيئا مما شعر به يبـدو عند صاحبه سلطان الجبر ، فتسيل مشاعره بمثل قوله :

سلطان لا يشغلك درهم ودينــار
مثل اشتغال مجمعين الدنانيــر

أشوفها صدتك عن ذكر الأخبــار
احرص على ذكر الأميرين بالخير

مثل أمس يوم الربع مرو على دار
(١) خالد وقالوا جعلها لهمسافير

ما قلت شى كن باذنيك مسمــار
ساكت وفى قلبك حوادث وتدبير

حواسك كثرت وكثرن الأفكــار
طاريك ما تبقيش فى جمه البير

لياك تزمل جمها سيح وانهــار
كبر دلاك وشف طريق المصاديــر

(١) هو جلالة الملك خالد بن عبد العزيزملك المملكة العربية السعودية •

ومنها :

اذا خلصت اذكر هل الجود ولكـــار
فيصل وابو بندر (١) صبى المخاسير

لطامه العايل وحشامــه الجـــار
عيال الملوك مكرمين الخطاطيــر

قفوا ومرو كشب والخال وابقـــار
ومثلثه واجله وكبشـــان والنيــر

لعل يسقى دربهم عذب الأمطـــار
تنثر عزاليه المزون المزابيــر(٢)

ويطلب العون من الأمير فيصل لابن عمه ، الذى حبسه الافلاس بالكويت فيجود فيصل بما يفك أزمة ابن عمه ، فينظم · شاعرنا قصيدة علـــى لسان المنعم عليه يمدح فيها فيصلا ، لكنه لا ينسى مدح نفسه فيها بمثل ما يفتخر به المفتخرون من كرم وصفات حميدة ، فلعله بذلك يريـــد الافتخار أو المبالغة فى نسبتها · حين نظمها لابن عمه ، وسواء أراد هذا أو ذاك فلا جناح عليه ، وهى قصيدة طويلة وسنورد صدرها آخر هذا الفصل حين نوازن بينه وبين صدر قصيدة ابن لعبون ·

ثانيا :

غزله العامـــى :

فى آخر الشعر العامى بالديوان نجد قصيدتين عاميتين·
أولاهما : نظمها وهو فى السابعة عشرة من العمر ، والأخرى : وهو

---

(١) هو الملك خالد بن عبد العزيز ·
(٢) ابتسامات الأيام ٢٩٣،٢٩٤ ·

فى العشرين من عمره ، وتبلغ أبيات الأولى ثلاثة عشر بيتاً ، وتبلغ الأخرى ستة أبيات ، ولنأخذ هنا القصيدة الثانية :

يا ركب تدر ونعن ذيبان ومناحى
هم دون كبشان ولا من وراجاله
معهم وليف لبيب صافى صاحى
أقفيت واقفا وكلن راح فى حاله
عليه جسمى مريض ناحل ماحى
ولا تماريت رسم الولف فى حاله
والله فلا سبح عقب غزيل الضاحى
خص الى شفت مرباعه ومدهاله
أبيت ساهر الى فلاج الأصباحى
حمل الهوا يحتمل للجرح من شاله
قالو لى الناس راح وقلت ما راحى
هذا ابن فاضل يعلمنى بمنزاله (١)

اننا نحس العاطفة الصادقة ، التى الهبها الوجد وأضرم نيرانها نزوح الأحباب وتعبيرا صادقا موفقا عن تلك المشاعر والاحساسات ، وألفاظا ومعانى انتزعت من بيئة بدوية صرفة ، أوليس الحبيب بدويا ، اذن ليس بالغريب أن نجد الارتحال والمرباع والركب وما شابه ذلك من الألفاظ تسيطر على جو القصيدة ·

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣١٢ ·

ثم نجد ما هو اجمل من ذلك وأبدع ، فى القصيدة التى اسلفنا ايرادها ، في حديثنا عن أسلوب شعره العامى ، وألفاظه وخصائصه ، تلك القصيدة التى بدأها بقوله :

يا عدوين هل الجمال المواضيح
الى ينوصون الحيا كل ما طاح

وقد ذكرنا عنها هناك ما يحسن الرجوع اليه ، عند ارادة أخذ صورة أجلى وأوضح عن الغزل العامى عند ابن بليهد ، والقصيدتان : من الحيوية والقوة ، والأصالة فى الأداء والتعبير وصدق العاطفة والتصوير ، معدودتان فى أجود الشعر العامى ٠

أغراض أخرى :

واذا كان المدح قد سيطر على أكثر شعره العامى ، كما سيطر على اكثر شعره الفصيح ، واذا كان قد خص الغزل العامى بقصيدتين ، فان أغراضا أخرى تتخلل شعره ، كالوصف ، والتهنئة ، والعتب ، والوداع ونحو ذلك ٠

فأما الوصف والتهنئة فقد خصهما بقصيدة كاملة هنأ فيها الأمير فيصل ، ووصف فيها حصانه وقد سبقت فى الحديث عن خصائص شعره

وأما باقى الأغراض فانها مبثوثة فى ثنايا قصائده ، مثل قوله مخاطبا صديقه سلطان الجبر ، حين رآه مترددا فى مخاطبة فيصل بن عبد العزيز فى حاجة له :

سلطان لا تكثر عليك الهواجيس
ان كان لك لازم افحاكه من الراسى

خل العلوم الدنفسه والبسابيسى
تراحلات العلم يبنى على ساســى (١)

أما العتب فله فيه قصيدة جيدة جدا ، رواها لى الأمير مانع أبــو العلا مع خبرهـــــا ٠

يقول الأمير مانع (كان للفيصل بن عبد العزيز نائب الملك على الحجاز خادم اسمه عبدالله السميرى ، وكان ينفس على ابن بليهـــد ويخاف منه ، وفى يوم اشتد الجدل بين الاثنين ، فقال السميرى : لا لاضربنك بمسماريخرج قيحه قبل دمه ،فخاف ابن بليهد من هذاالتهديد وشكاه الى الأمير فيصل فقال له : دعه ولا يهمك) ٠

وحين سافر الأمير فيصل الى الخارج ، أناب أخاه منصور بن عبد العزيز منابه،فاغتنم «السميرى» الفرصة ووشى بابن بليهد وجماعة آخرين ظلما لدى الأمير منصور فأبعدهم عن «مكة» فبعث ابن بليهدالى الأمير فيصل بهذه القصيدة فلما عاد انتصف لابن بليهد ورده الى مكانه وزجر «السميرى» زجرا شديدا ٠

وهذه هى القصيـــدة :

أشوف الأيام تقدح مثل قدحات المشاهيب
رقت تغير ولا درى ويش حده وانقلابه

السيل ما ينطح ما دام وديانه محانيب
يأخذ أسبوعين نوه ما بعد فتق سحابه

أمسيت أحاسب عزيز الروح وضحت
ما بها عيب من كان له مطلب عندى يجى يأخذ حسابه :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٨٩ ٠

أنا معلمك من قدام تبعيد وتقريب
وصياح الأعلى يصيح من الخطر والانقلابه

. . . .

لو تنشده عن جميع الى مضاويش التسابيب
أعطاك مثل التغفيل عنه ما كنه درابه
الناس تعمر مراكزها وهو يسعى بتخريب
لو هو يهمه عمار الكون ما دور خرابه
أبيك تعصب عضودى لين يبرن الأصاويب
صواب ما هيب تبريه النشية والكتابة
مالى بمسلوته ما تزين الأرنب عن الذيب
أزبن طوال الركون التى تزينى هضابه
لونى بربعه (وبار العيش) ردوا لى المغاليب
فكو قصير البيوت الى تلوذبها الحرابه

وهذه القصيدة كما تراها فى الذروة من الشعر **العامي** : لفظا ، وأسلوبا ومعنى .

(أشوف) أرى ـ (المشاهيب) جذوات الحطب المشتعلة بالنار (محانيب)شديده الانحدار يندفع فيها السيل بقوة ـ (النو) نجمه أو زمنه ـ (فتق) أى تخللته الفتوق التى تسمح للشمس بالتسرب من خلالها (وضحت) اتضحت وبانت (تنشده) تسأله (والتسابيب) الأسباب ـ (التغفيل) التغافل ـ (تعصب) تشد ـ .

(الأصاويب) جمع أصابه (والصواب) الاصابة أى الجرح ـ (النشية) عجينه من مواد كثيرة تغلى على النار ، ثم توضع على الجرح لمعالجته (الكتابة) الرقيه التى تكتب حول الجرح للاستشفاء بها

(مسلوتة) الهضبة الطويلة الملساء (تزبن) تأوى ـ (أزبـــن) آوى (ربعه) ركن أو ناحية (وبار العيش) هو رجل من احدى القبائـــل العربية المتأخرة ، قتل أحد أبناء عمومته جارته فقتل ـ فيها من أبناء قبيلة القاتل ـ اثنى عشر رجلا (المغاليب) ما أغتصب من مـــال وممتلكات (اللـــى) الذى ٠

يعجب الشاعر مما يشاهده من الأيام ، من قسوة وتقلبات ، تترك المرء متحيرا لا يدرى الى أين ستنتهى ، ثم يضرب المثل لارادة القـوى بالسيل المنحدر من مرتفع فى واد كبير ، لا يقوى أحد على رده ٠

ويعود الى نفسه ويحاسبها ، ثم يصدر عن ذلك بحكم هو أن ليس لأحد عنده حق ، فمن كان له حق فليأت ويطالبه بـــه ٠

ثم يوجه الخطاب الى فيصل بن عبد العزيز ويقول له : انى قـد اخبرتك بالأمر قبل حلوله خوفا من وقوعه ، وها هو قد وقع ، ويمدح فيصل بعراقة نسبه ، وأنه هو الحاكم فكيف يسكت عن صنيع خادمه ؟ وهو لم يقصد هنا أنه سكت فعلا ،وانما هو أسلوب من أساليب الاستثارة والاستنهاض ، على هذا الشخص الذى لم يقدر العواقب فيما صنع ، حتى لو أنه سأله عن أسباب ذلك لتجاهل ـ اى اصطنع الغفلة ـ اذ لا سبب معقول عنده ، ولكنه جاهل لا يعرف مصلحته ولا مصلحة مركزه ، الذى وضع فى خدمتـــه ٠

ثم يعود لاستنهاض الأمير وطلب انصافه من الظلم ، الذى حل به من الخادم ثم يمدح الأمير فيصل فيقول : أنى لم ألجأ الى غيرك ، فأنـت أولى من يلجأ اليه (بعد الله) لأنك كالجبل الشامخ ، وغيرك كالهضاب الملساء ، التى لا تجد الأرنب بها ملجأ عندما يهجمها الذئب ٠ ثم يزيد اغراء الأمير فيصل بالانتقام له فيقول :

انى لو كنت فى حى (وبار العيش) لردوا لى حقى ، وهـذا اسلوب من الاستنهاض ، يشبه أسلوب الشاعر القديم الذى قال :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلـى
بنو اللقيطة من ذهل ابـن شيبانا

والقصيدة مملوءة بالصور والأخيلة ، لا تكاد تجد بيتاالاوهومشرق بنصيبه منها ، ألا ترى الى تشبيه الأيام فيما تنذر به بقدح المشاهيب أى جدوات الحطب الكبيرة المشتعلة ، ثم استعارة التقلب لتغير الأيام ثم استعارته السيل المندفع بقوة لارادة القوى ، ثم تشبيه نفسه فـى أخبار فيصل بن عبد العزيز بالامر قبل حلوله ، بالأعلى من المتغالبيـن يصيح خوفا من أن ينقلب عليه المغلوب ، فيصير الأسفل أعلى ، ثـم يكنى عن رد الحق والوقوف الى جانب المظلوم «بشد العضود» كما يكنى عن اهانته بالجروح العميقة،التى لا ينفع فيها الدواء والرقيه، وكنايته عن الممدوح فيصل بن عبد العزيز بالجبل القوى الشامخ ، كما يكنـى عن غيره بالهضاب الملساء ، التى لا تجد الأرنب بها ملجأ ٠

وكل ألفاظ القصيدة قوية متينة ، عميقة فى دلالاتها ، جاءت كل كلمة فيها بحيث لا يغنى سواها عنها فى مكانها ، وكلها موحية بالهول والقوة كألفاظ البيتين الأولين (تقدح ـ المشاهيب ـ السيل ـ الوديان المحانيـب) ونحـوهـا ٠

واما بالعظمة والجلال كألفاظ البيت الخامس والتاسع (حاكم ـ رؤس الأعاريب طوال الركون) ونحوها ٠واما بعزة النفس وابائها واندفاعها فى طلب حقها ، كالبيت : الثالث، والرابع ، والسادس ، والثامـن ، والعاشـر وهكـذا ٠

فالقصيدة هنا من أروع الشعر النبطي وأجله ، أستوى فى ذلـــك لفظها وأسلوبها وصورها وأخيلتها ، ولابن بليهد بعض الأشعـــار العامية الجيدة التى لم تنشر (١) ٠

مختــــاراتــه :

لم أجد لابن بليهد مختارات فى الشعر الفصيح ، اللهم الا أن يكون شرحه للاماكن الموجودة فى المعلقات دليلا على اختياره لها ، وان لـم يدونها أو يشر اليها بما يفيد ذلـــك ٠

أما ما دونه من المختارات ، فهى نماذج من الشعر العامى ختم بها ديوانه (٢) ممهدا لها بمقدمة أشار فيها الى حديثه عن الشعر العامى فى مقدمة ديوانه وفى كتابه «صحيح الأخبار» ثم أومأ الـــى أن مختاراته ستكون لفحول شعراء العامية فى «نجد» لأنها ـ أى نجد ـ منبع الشعر ، ومنها كان أرباب المعلقات واستثنى منهم أمرأ القيس لانه يمانى

وأنا لا أرى داعيا لهذا الاستثناء ، فامرؤ القيس وآباؤه الأدنـــون نشئوا فى نجد فهم نجديـــون ٠

---

(١) منها القصيدة التى يخاطب بها قوماراحلين الى الكويت ومطلعها :
لو هنيك جيف خير القبيلــه فضل من احسانك تشيل الرسالة
وقصيدتان غزليتان مطلع الأولى :
قال من هيضة مبداه فى راسى قنه طلعت الشمس عدا نايفات الزرايب
وقال مطلع الثانية :
يانسيم الزوارى خبرى عن منيره خبرى عن منيره يا نسيم الزوارى
وفى مؤلفاته أبيات مبعثرة هنا وهناكمنها فى «صحيح الأخبــار» ١ : ١٧٩ ، ٣ : ٢١١ ، ٥ : ١٤ ، ٦٥ ، ٣٠٢ ٠ وفى(ما تقارب سماعه) ص ٨٢ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣١٣ ـ ٣٥٣٠

وحين ذكر أسماء من اختار لهم عدهم خمسة : حميدان الشويعر ، ومحسن الهزاني ، ومحمد بن لعبون ، ومحمد القاضي ، وعبدالله بن سبيل ، ولكنه اتى في آخر المختارات بسادس اختار له قصيدة ، وهو تركي بن حميد .

حميدان الشويعر (٢) :

أورد كثيرا من حكمه ثم قرنه بشاعرين الأول : شاعر الحكمة الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، وقد شبهه به في الاكثار من الحكم ، والثاني أحمد بن علي بن مقرب ، وقد شبهه به في التحميس والاستثارة ، وأن كلا منهما (يحمل السته على قتال الستين) ثم خلص من ذلك الى ايراد القصيدة المختارة ، وهي الاعتذارية التي نظمها في عبدالله بن معمر أمير «العينية» اذ ذاك ، وكان حميدان الشويعر قد هجا ابن معمر فأهدر دمه .

وكان حميدان هذا من الهجائين الذين تعمل أبياتهم عمل السيوف لكن ابن بليهد لم يشر الى هذا ، بل اكتفى بذكر محاسنه وأنه صاحب حكمة ، ولم يكن من الذين ينزعون في شعرهم الى الغزل والمجون ، ومطلع اعتذاريته التي أوردها :

بني دهرن كثرة وشاه مناجسه

تصاوير مالا صار بالزور طامسه

---

(٢) ابتسامات الأيام ص ٣١٧ ـ ٣٢٠ .

محسن عثمان الهـزانى (١) :

محسن الهزاني ــ ابن ربيعة زمانه وأحوصه ــحين ذكره ابن بليهد قال : أن شعره من (المربوعات) أى الرباعيات ، كما ذكر أنه غـزل وشبهه بالفرزدق وأورد بيتـه :

هما دلتانى من ثمانين قامـة
كما انقض باز أكتم الريش كاسره

والواقـع :

أ ــ أن للهزانى الكثير من الشعر ذى البيت الواحد ، وليس جميع شعره رباعيات ومنه ألفيته التى مطلعهمـا : ــ

ألف وليف الروح قبل أمس زرناه
غرو يسلى عن جميـع المعانـى

ومن ذلك القصيدة التى بناها على القاف ومنها :

مبسم هياله فى الظلام اشتعـال
بين البروق وبين مبسم هيا فـرق

وفيها الأبيات التى أوردها ابن بليهد فيما اختار :

ب ــ ثم أنه ــ كما أسلفت ــ أشبه بعمر بن أبى ربيعة منه بالفرزدق ٠

أما القصيدة التى اختارها ابن بليهد من شعر الهزانى ، فهـى العينية المشتملة على أبيات صالحة لأن تقرأ بالفصيح والعامى فـلا يتغير فيها شيء ، وقد أوردنا منها مثلا فى صدر حديثنا عن الشعـر العامى ، وهى قصيدة فيها : النسيب ، والحكمة ، والفخر ، والتضرع ، والوصف ، وأغراض أخرى اشتبك بعضها فى بعض ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢١ ــ ٣٢٧ ٠

محمد بن لعبـــون : (١) :

وقد وصفه ابن بليهد : بالاجادة ، والاحكام ، وحسن الأسلوب ، ورقة الألفاظ ، واشراق الديباجة ، وأن ديباجة شعره أشبه بديباجـة شعر عمر بن أبى ربيعة كما وصفه بأنه مبتكر واستدل بمثل قوله :

يارکب ما جيتو بيوسف ليعقـــــوب
قبل الفجر ينضاح والليل غربيب

مقدار ما يفرغ من الكأس مشروب
تريضو ياركب منتو بأجانيـــب

كما وصفه بالسبق فى كثير من الصور البيانية ، واستدل على ذلـــك بمثـــل قولــــــه :

كن طية ثوبهـــا فـــوق الــــرداف
الهوا والماى من فوق الغـــريف

وذكر أنه مكثر وأن له من الشعر ما ملا مجلدات ، وان فرائد أمثالــه وخرائد حكمه قد ملات أسماع الناس ، وما زالوا يرددونها ويتمثلون بها ، ثم أورد قصيــــدتــــه :

هل الدار ياعواد الا منــــــازل
سباريت ياعواد خفيت رسومهـــا

والواقع أن هذا الشاعر ، يذكرك حين تقرأ له بفحول شعــــــراء العرب السابقين أمثال جرير ، وعمر بن أبى ربيعة ، وطرفة بن العبد وأمثالهم ، فأينما يممت فى شعره وجدت اللفظ الجزل، والمعنى الفخم

(١ ابتسامات الأيام ص ٣٢٨ ـ ٣٣٢ ٠

والتركيب المحكم ، والأسلوب الرائع الواضح ، والديباجة المشرقة ، والبحر المنتقى ، والقافية الممتازة الطيعة ، ثم أن صوره كلها تجعلك تعيش فى البيئة نفسها، تلك البيئة التى لم تختلف عن الجاهلية الافيما فرض الاسلام فى محيط العقيدة ، والعبادة ، والعادات ، والتقاليد ، والمعاملات ، ولا أعلم شاعرا عاميا أرتقى الى المرتبة التى تربع عليها ابن لعبون ٠

محمد بن عبدالله القاضى (١) :

أما حديثه عن القاضى ، فلم يزد أن وصفه بأنه صاحب حكم وأمثال وأورد له فى ذلك نماذج ، كما ذكر أنه شاعر غزل ٠

والواقع أن القاضى من شعراء الوصف المجيدين يأتيك أحيانا بالقصيدة ، كأنها حكاية متماسكة الأجزاء ، خذ مثلا : وصفة للقهوة وصانعها وآنيتها ، وما يخلط بها ثم لونها وهى تسكب من (الدلة) وعاء القهوة فى فنجانها :

قم يا رفيقى سو خمس على ساق
بالك تصير بحمسة البن مطفوق

اليا انقلب لونه وبشت بالعراق
ريحه على جمر الغضى يفضح السوق

حطة بنجر يسمعه كل مشتاق
راعى الهوا يطرب الى طق بخفوق

كبه بدله مولع كنها ساق
شاميه مربوبة تقل عزنوق

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣٣ ـ ٣٣٨ ٠

فنجال كيف خالطه خمسة ارنـــاق
هيل ومسمار بالأسباب مسحـوق
الى انطلق من ثعبته تقل شبـــراق
أو دم قلب لنصرم منه معلـــــوق

ووصف القهوة ميدان تسابق فيه كثير من شعراء العامية ، أما حكمه فكثيرة شأنه شأن فحول شعراء عصره الذين شاعت في شعرهم الحكم ومنها

حاذر وخلان الرخى عدهم قـــوم
خلان من دامت نعيمه ودامـــى
لا يفتخر من جاد جده وخالـــــه
هى بالهمم لا بالرمم مثل ما قال

عبدالله بن سبيل (١) :

أما حديثه عن ابن سبيل ، فينم عن اعجاب بلغ به حد تفضيله على جميع فحول شعراء العامية ، كما روى حكاية ضرب خادم بن رشيد له ومن مظاهر اعجابه به اختياره لخمس من قصائده ، ولم يكن يختـــار لسابقيه الا قصيدة واحدة ، والحق أنه شاعر مجيد ، ولكن لا يرقى الى مرتبة ابن لعبون ، وان كان له من الحكم الجيدة مثلما للفحول الآخرين لكنه يمتاز بالرقة فى ألفاظه وأساليبه والاستقصاء فى معانيه كقوله:

هاب الرفيق اللى عرض لى جنابه
بالطيب وحسبته من الطيب منتوب
يوم انتبهت الى الزمان متشابـــه
صارت مواعيده مواعيد عرقـوب

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣٩ ـ ٣٤٩ ٠

أما ما يشدك اليه اكثر فدقة التصوير لعواطفه ومشاعره ، وأنه أصبح منها فى حال تشبه راكب خشبه فى عباب البحر ، تتقاذفه الأمــواج وتلعب بـــه الريـــــاح :

كنى بغبات البحر راكب لـــوح
تصفق بى أمواج زعوج هواهـــا

تركى بن حميد (١) :

وقد مهد للحديث عنه بقوله : (لما انتهينا من ذكر الشعراء الخمسة وكلهم من سكان القرى من أهل «نجد» ، عزمنا على ايراد قصيدة لشاعر من سكان أخبئة الشعر فى الباديـــة) ٠

وابن حميد من أمراء البادية وفرسانها المشهورين ، ذكر ابن بليهد أن له شعرا كثيرا ، والقارىء لشعره يستطيع أن يعرف الكثير مـــن صفاته ، وأول ما يدلك شعره عليه من صفاته ، الشجاعة ، والرياسة وأنه رجل حرب وكرم ، خذ مثلا هذه الأبيات المتفرقة من القصيـــدة ، التى اختارها ابـــن بليهـــد :

والى ركبت معالجــــات المضاريس
يبرد على كبدى لهيب السمومـى

بالليل اصالى حاميات المحاميســ
والصبح أصالى كل قبا قحومـى

من لا يدوس الرأى من قبل ماديس
عليه داسوه العيـــال القرومـى

---

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٠ ـ ٣٥٢ ٠

ومن لا يقلط شذره السيف والكيس
يصبح عليه من الليالى ثلومـــى

وابن بليهد فى حديثه عن هؤلاء ، لا يتجاوز ذكر البلد والعصر اللذين عاش فيهما الشاعر ، وقد يذكر الوفاة وشيئا من أخبار تنقلات الشاعر ولكنه قليل كصنيعه مع ابن لعبون ، ثم يذكر نماذج من البيت والبيتين وأكثر ، ولكنه لا يطيل ليخلص الى القصيدة المختارة •

واختياره فيما أرى جيد موفق ، يدل على ميل الى الحكم والصفات النبيلة : كالشجاعة ، والكرم ونحو ذلك •

أما أعجابه بالشعر العامى وخلاصة رأيه فيه ، فقد كفانا أمر تلمسه بما ذكره فى مقدمة ديوانه حيث قال :

(الواقع أن الشعر النبطى له خصائص فنية ، لا يليق بأهل الفكر أن يجهلوها ، فانهم باهماله يهملون مصدرا خصبا من مصادر الثقافة ، ومن المؤلم حقا أن بعض المثقفين يترفعون عن النزول من أبراجهم العالية الى حيث تكون طبقات الشعب ، ليتلقوا عنهم شيئا من انتاجهم ومحصولهم الأدبى ، ولو ترك الحكم فى قيمتها الى معايير الشعر الصحيحة ، لما وصمت : بالقحولة ، والجفاف ، والسطحية ولما كان نصيبها الاهمال ، لأنها جديرة بأن تبرز فى معارض الأدب الحديث كأمتع لون من ألوانه ، تتضافر فيه عناصر الجودة : من معنى مخترع ، وخيال مجنح وعاطفة ملتهبة ، ونظرات بعيدة فى الحياة •

فمما لا شك فيه أن فى ذلك اللون من الانتاج الشعبى ، نبعا أديبا صافيا ، لو اتخذ منه مادة للدراسة لظهر : أنه أدب بعيد الغور ، صادق كل الصدق فى تصويره للحياة ، جديرة بأن يطعم الأدب بلون طريف

فيه جدة وانطلاق ، وتحرر ، وفيه توهج واشعاع • أقول ذلك لأنـي فحصته فحصادقيقا،وتمرست فيه،بل وتخرجت من تلكالمدرسةالشعبية

نظرة أخرى الى مختارات ابن بليهـد :

وحين نعود لمختارات ابن بليهد من جديد ، نجد أنها تمثل الذروة فى شعر شعراء العامية ، ولذا أعدنا النظر فيها ، لنتبين من خلالهاذوق ابن بليهد وميوله وجوانب اهتماماته ، ولماذا صادفت هذه القصائد هوى فى نفسه ، أهو اختيار مبنى على أصول وضعها الشاعر لما يختار ، أم أنه جاء هكذا مصادفة أو اعتباطا ، ثم هل تركت لها فى شعره أثرا ؟، وسنولىوجهتنا فى هذه النظرة الى النصوص الطويلة ، التى عمد الى اختيـــارهـا •

أما ما ورد من نتف أبيات فى المقدمات التى قدم بها شعراء المختارات فانها شواهد من شعرهم ليست مختارات ، ومما يدل على ذلك قوله وهو يقدم قصيــدة الهزانــى :

(وله قصائد كثيرة تحتوى على معان مختلفة ، وقد أخذنا منها قصيدته العينية ، وهى من الشعر على البحر الطويل) (١) •

وقوله عندتقديمهقصيدةابن لعبون: (وهذىقصيدته المشهورة التى على البحر الطويل من العربى وهى نبطية،وتوفى هذا الشاعر فىربيع الآخر فى بلد الكويت من الطاعون ، الذى حل بأهل العراق يقال لـه : الجارف حل به فى سنة ١٢٤٧ هـ • وهذا الشاعر توفى وهو شاب قبل والده حمد بن لعبون ، وما أحببنا الاطالة أذ أن قصائده تملا المجلدات لو المنا بذكرهـا) (٢)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢٢ •
(٢) المرجع السابق ص ٣٣١ •

وقوله عند تقديم قصيدة ابن حميد : (وله قصائد أخر جميلة ، وقد اخترنا منها هذه القصيدة) (١) ، ثم ما قاله فى تقديمه لقصائد ابن سبيل : (وقد عزمنا على ايراد قسم من أشعاره وهى هذه) (٢) ٠

أولا : إن مختارات ابن بليهد تدور حول الأغراض الآتية :

أ) الاعتذار : وفيه اختار قصيدة واحدة ، هى اعتذارية حميدان الشويعر التى اعتذر فيها لعبد الله بن معمر ، الذى أهدر دمه حين بلغه هجاء الشاعر له ، فلما سمع منه هذه القصيدة بعد أن أحتال الشاعر حتى مثل بين يدى الأمير فألقاها عفا عنه ٠

ب) الشوق الى الديار والحنين اليها ، وفيه اختار قصيدة محمد بن لعبون ، التى نظمها وهو فى الكويت ، فضمنها : وصف الديار ، والمنازل والأطلال ، الى وصف الناقة والقفار ، والطريق الموصلة الى بلدته «بسدير» وهى «حرمه» ٠

ج) الغزل : وفيه اختار أربع قصائد لابن سبيل ٠

د) الدعاء والتضرع : وفيه اختار قصيدة لابن سبيل أيضا ٠

هـ) الفخر والحساسة : وفيه اختار قصيدة واحدة لأحد أمراء البادية وهو تركى بن حميد ٠

و) وفى الحكمة والمثل والوصف أختار قصيدة القاضى ٠

ز) أما قصيدة الهزانى فانها شكول من الأغراض فيها : الحكمة ، والبكاء على الديار ، ووصف السحاب والمطر ، والتضرع ، والفخر

على أن الحكمة تمثل الجزء الأكبر فى جميع هذه المختارات ، حتى أنك لو انتزعتها منها لما بقى منها الا القليل ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٥ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٤٢ ٠

ثانيا :

وجميع هذه المختارات لفحول مشهورين من شعراء العامية ، جل أبياتها تدور على ألسنة العامة والخاصة تمثلا وتغنيا ، ثم هي في الذروة من شعر هؤلاء الفحول ، ولا أستبعد أن تكون من محفوظات ابن بليهد ، الذى أكب منذ الصغر على أشعار هؤلاء حفظا ودراسة ومحاكاة .

ثالثا :

ثم اننا نجد ما يقرب أن يكون أثرا لبعض تلك المختارات ، في شعر ابن بليهد ، فان قصيدته التي نظمها على لسان ابن عمه ، حين حبسه الافلاس فى الكويت ، بدأت بمقدمة تشبه فى أسلوب نظمها مقدمة قصيدة ابن لعبون .

بين ابن بليهد وابن لعبون : (١)

لكى ندنى صورة تأثر ابن بليهد بمختاراته هذه نعقد مقارنة سريعة بينة وبين ابن لعبون : فى مقدمتى قصيدتيهما .

يقول ابن لعبون :

١ ـ هل الدار ياعواد الا منازل
سباريت ياعواد خفيت رسومها

---

(١) هو محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجى الوايلى ـ ولد «بجرمه» من اقليم «سدير» وبها نشأ ، ثم نزح الى «الكويت والعراق» وكان يتردد بين المدن الثلاث ـ «الكويت والزبير والبصرة» الى أن مات سنة ١٢٤٧ هـ ـ ١٨٣١ م من الطاعون ، الذى حل بتلك النواحى فى ذلك العام ، وقد مات شابا ، وله اشعار كثيرة فى غاية الجودة والمتانة والرصانة ، لا تقرأ له الا وتحس روح الشعر الجاهلى وشعر صدر الاسلام ماثلا امامك ، اسلوبا ، ووزنا ولغه وقالبا ، ولا أدل على هذا من هذا الجزء من احدى قصائده التى اورد شطرا منها ابن بليهد فى مختاراته لشعراء العامية .

٢ ـ يلوح السنا فيها كما لاح زرقه
على خدمى من بقاى وشومهـــــا

٣ ـ مرابيع من قبل هذا وزينـــــب
وهند وليلى فى مجارى رسومهـا

٤ ـ عفتها البوادى والغوادى وعلمها
هبوب رياح طال فيها لمومها

٥ ـ وغنت بها عقب البلابيل بالضحى
روم وعبيد والصرانيج بومهـــا

٦ـ وناقول ياعواد عنها تقللـــــو
خلو رزايا الدار للى يسومهـــا

٧ ـ تروم البقاء منها وترجو لمثلهـا
وهذا غراب البين فيها يرومهـــا

٨ ـ تبصر خليلى هل ترى من ظغائــن
تقازت على حد الشفا من حزومها

٩ ـ تنحت على الحزم اليمانى وقوضت
على شاطىء الجرعى تقوت عزومها

١٠ ـ كما السفن ياعواد فى لجة النيا
ضحى قوضت هبت عليها يمومها

١١ ـ لابد من فـــى مقاديــم حيهــم
على مثل بيت الحرب ولبه يزومها

١٢ ـ تنحرو مطلع سهيل وعارضـو
مهامه قد طالت عليهم حزومهـــا

١٣ ـ الايانديبى فوق منبوذة القرا
تشوف المرو مثل البرد من نسومها

١٤ ـ جزى مادعانا الشوق بالسير والسرا
خضر مناسمها و بيض لغومها

١٥ ـ أول موارى دارهم لك جلاله
حشى لله وتالى الدار زومها

١٦ ـ اذا جيت فى وادى سدير فخلها
تذب العفا ما فوقها الا وسومها

١٧ ـ قضت لازمى فى قطعها البيد بالدجى
وتبى البر والمرعى و نبغى لزومها

١٨ ـ فى روضة فى مقدم الوسم صابها
سيل وعله بالعقارب غيومها

١٩ ـ لين اشتبك من نبتها كل ناعم
تلقى الجوازى رتع فى هشومها(١)

ويقول ابن بليهد :

١ ـ يراكب من فوق خمس مسطر
بنات من يسبق على كل غاره

٢ ـ مهن بغضات ولهن بفطر
حمر خذن من لون أبوهن صفارة

٣ ـ مشتاهن الدهنى الى استفحل القر
من عرقها الادنى الى أقصى زبارة

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

٤ ـ ومرباعها الصمان الى طاب واخضر
لزان ضمرانه وزهـــر مــــراره

٥ ـ وتصيف بالنشاش ودعو بالنصر
ومال من كبشان الى اقصى سماره

٦ ـ ترعى فياض كل يومن تمطــر
وتتيه في وادى تباهل عشــــاره

٧ ـ هذى هى اللى للوازم تحضر
لشافها الطراش يقطع خيــــاره

٨ ـ سيروا عليهن بينة الفجر الأحمر
ومع طلعته البيضا تعــــدن واره

٩ ـ باكر وعقبه ثم فى ناس وديــــر
اهل سدير أهل النخل والحضاره

١٠ ـ لشك خلوها مع الدرب الايسر
العك والعارض وضلعه يســــاره

١١ ـ ومرو ولد عمي تراها تيســــر
تلقون فنجال كثيرن بهـــــاره

١٢ ـ قصره يناديكم على الطعسى الاحمر
بادى لريمان القراين جــــداره

١٣ ـ تلقون عنده عقب فنجال أشقــــر
حيل يقلطها صبى الخســـــاره

١٤ ـ والصبح من هاك البساتين تنشر
مع السهل ويجنبون الوعـــــاره

١٥ ـ عطن مساس البيد بر ورابر
الى اختفى قاره بدار أس قــاره

١٦ ـ ذبن غروب الشمس مع خشم الاصفر
اصفر عفيف وحنين الخضـــاره

١٧ ـ يشدن لريم بالدعيكة مذيــــر
من كف تفــــاق قعد لــــه وذاره

١٨ ـ يمشو من حادية خفان وعشر
قد ركده فوق العضــيدة مــــراره

١٩ ـ ويردن عد ياردة كل من مــــر
مران جعل المزن يسقى حــــراره

٢٠ ـ صبحيه اربع عند النسوم الاسمر
وخذن مع هكا المسيل انحــــداره

٢١ ـ والساعة أربع وصلن القصر الاعفر
قصر الأمير الى تجينا خباره (١)

أ ـ نظم ابن لعبون قصيدته هو فى «الكويت» يتشوق الى بلدتــــه «حرمة» ونظم ابن بليهد قصيدته فى مدح فيصل بن عبد العزيز ، على لسان ابن عمه الذى حبسه الافلاس في «الكويت» •

ب ـ وأنت ترى أن كلا الشاعرين وصف فى مقدمة قصيدته الابــل ، غير أن ابن لعبون وصفها فى خمسة أبيات هى من ١٣ الى ١٧ ـ أما ابن بليهد فوصفها فى ثمانية أبيات هى من ١ الى ٧ ، والبيت ١٧

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ •

جـ ـ ثم أن كلا منهما وصف طريقه الى مقصده ، غير أن ابن بليهد وصف وصفا محددا واضحا فى الأبيات :٨، ٩، ١٠ ثم ١٤، ١٥، ١٦ ثم ١٨ ، ١٩، ٢٠ ، ٢١ .

أما ابن لعبون فقد وصف الطريق وصفا مجملا ، جاء متداخلا مع وصف الظعائن ووصف الناقة .

د ـ وكلاهما وصف الروض ، فوصفه ابن لعبون فى بيتين هما ١٨، ١٩ كما وصفه ابن بليهد فى بيتين هما ٤ ، ٦ .

هـ ـ وانفرد ابن لعبون بوصف الديار الدوارس ، والربوع الروامس ، وتشبيهها والبكاء عليها ، كما انفرد بوصف الأظعان ، واكرام ناقته التى حملته ـ أو يتمنى أن تحمله ـ الى دار الأحباب ، كما انفرد بجميل الصور البيانية البديعة ، فهو يشبه بقايا السواد فى منازل الأحبة بالزرقة ، التى خلفها الوشم فى خد الحسناء .

يلوح السنا فيها كما لاح زرقة
على خد مى من بقاى وشومها

والعامة تطلق السنا على السواد وللناقوس من لهب النار ، سواء أكان فى ظهر القدر ، أو فى القوة من لهب المصباح أو غيرهما .

كما يشبه الأظعان وهى تسير فى الصحراء ،والسراب يلفها من كل ناحية بالسفن وقد احتواها البحر فى الضحى ، وأخذت الرياح تدفعها الى هدفها ، وهو تشبيه تمثيلى رائع كما تراه فى قوله :

تنحت على الحزم اليمانى وقوضت
على شاطىء الجرعى تقوت عزومها

كما السفن ياعواد فى لجة النيـــــا
ضحى قوضت هبت عليها يمومهـــا

ويشبه المرو ـ وهو نوع من الحصى ـ عند انتثاره من تحت أخفـاف ناقته المسرعة فى السير ، بالبرد النازل من السحاب فتنثره الرياح .

ألا يا نديبى فوق منبوزة القـرا
تشوف المرو مثل البرد من نسومها

ويستعير ميته الجمال والخيل «الرزايا» ، لبقايا الدار التى يبكيها بعد أن رحل أهلهـــا منهـــــا .

وناقول ياعواد عنها تقللـــــو
خلو رزايا الدار للى يسومها

كما يكنى عن مواصلة ناقته للسير واسراعها فيه بتناثر الزبد حـــول فمهـــــا «لغومها» كقولـــــه :

جزى ما دعانا الشوق بالسير والسرا
خضر مناسمها وبيض لغومها

كما يمتاز : باشراق الديباجة ، وحلاوة العبارة ، وكثرة الماء ، وجودة التعبير ، ودقة التصوير ، وانتقاء الألفاظ ، وحسن التاليف وجودته وشواهد ذلك كله فى هذا الجزء ، الذى اوردناه من قصيدته .

واذا شئت مثالا على ذلك من غير ما أوردنا ، فخذ قوله مكنيا عن نفسه بيعقوب ، وعن حبيبه بيوسف :
ياركب ماجيتو بيوسف ليعقـــــوب
قبل الفجر ينضاح والليل غربيب

مقدار ما يفرغ من الكاس مشروب

تريضو ياركب منتو باجانيـــب

أو اقرأ قوله فى دار مى ، التى كثر ذكر اسمها فى شعره ، وفى البيت الثانى تشبيه لبقايا آثار الأحبة فى البيداء ، بالخبز الذى طفا علـــى وجه الادام ، وهو تشبيه يشبه فى بساطته وسذاجته ، تصوير ابـــن الرومى للخبز فى كف الخباز ، من حيث الملاحظة وجمال التصوير :

يا منازل من فى هاك الحـــزوم

يمه الفيحا وشرق عن سنـــام

يستبين بها الخبير بها رســـوم

طافحات مثل خبز فى يـــدام

ثم ان فى تصويره للروض ، وقد اختلفت أشجاره ، وتشابكت أعشابه وتنوعت أزهاره ، فصار مرتعا للظباء ، صورة لا ترى مثلها عند ابـــن بليهد حين وصف الروض ، فهو يقول فى ذلك :

فى روضة فى مقدم الوسم صابهـا

سيل وعله بالعقارب غيومها

لين اشتبك من نبتها كل ناعـــم

تلقى الجوازى رتع فى هشومها

أما ابن بليهد ، فقد انفرد بأن فخر بنفسه فى الأبيات ١١ ، ١٢، ١٣ وبأن فصل فى الطريق الذى سلك فيه مطيته ، التى سارت من الكويت لتضع رحلها فى قصر فيصل بن عبد العزيز «بمكة المكرمة» .

أما الصور البيانية عنده ، فانها لا ترقى الى صور ابن لعبون ، لامن حيث الكم ولا الكيف ، فانه ، لم يأت من ذلك الا بصورتين .

احداهما ــ كناية عن الكرم «بصبى الخسارة» أى الخادم الذى ينحر الذبائح للضيوف ، ويقدمها لهم بأمر من سيده •

وثانيتهما : تشبيهه فى البيت ١٧ لناقته بالغزالة ، التى ذعرت من الصياد ومطاردته لها ببندقيه ، ومن باب أولى القول : بأنه فى مرتبة أدنى من ابن لعبون ، من حيث التصوير ، وانتقاء الألفاظ ، وطريقة نظمها ونحو ذلك ، مما امتاز به ابن لعبون •

ولو تتبعنا أثر رجال مختارات ابن بليهد ،فى شعره العامى لوجدناه ظاهرا ، تنضح به جميع قصائده . لكن آثرنا الاكتفاء بما أوردناه من أثر ابن لعبون ، فى احدى مطولات ابن بليهد •

رابعا :

وتدل هذه المختارات على أن ابن بليهد كان ذا ذوق رفيع ، اذ لا تكاد تعثر فى تلك المختارات على قصيدةلاتحظى بالمركز الأول فىنظم أصحابها وأمثالهم من شعراء العامية •

ثم ان تلك المقطعات من الأبيات ، التى أوردها فى أحاديثه عن رجال المختارات ، ليس فيها الا ما هو منتظم فى جيد الشعر العامى وحسنه •

ثم انها تدل على أن ابن بليهد كان يجنح فى الشعر الى ما يتسم بالجودة ، وتكثر فيه الحكمة والموعظة حتى ما كان منه غزليا ، وما هو دليل على صاحبه وأخلاقه وميوله •

فتتبع هذه المختارات يوحى بأن أسس الاختيار عنده قائمة على : الجودة ، الاشتمال على الحكمة ، الصدق فى المشاعر والتصوير ، وذلك كله متوفر فى هذه المختارات •

الباب الثالث

• عرض عام لشعره وأغراضه •

الفصل الأول : عرض عام لشعره

الفصل الثانى : أغراض شعره



الفصل الأول

• عرض عام لشعره •

وقع لى من شعر ابن بليهد : قصائد عثرت عليها فى «مصر» قصيدتان أمدنى بهما الشاعر الكبير احمد ابراهيم الغزاوى • قصائد نشرها فى صحيفة أم القرى ، ولم يتضمنها الديوان • قصيدته فى عين نجم •

الديوان «ابتسامات الأيام» • قصائد عامية أمدتنى بها أسرته والأمير مانع أبو العلا • (١)

(١) قضى ابن بليهد فى مصر ما ينيف على ثلاث سنين قضاها فى العلاج والاستجمام وطبع بعض مؤلفاته التى كان أول ما طبع منها الديوان فى عام (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م) ، وقد تضمن مما نظمه فى مصر أثناء علاجه أربع قصائد •

من هنا قام فى ذهنى شك فى أن تلك القصائد لم تكن هى كل ما نظم فى مصر • أولا : لأن هذه القصائد نظمت وهو تحت العلاج أو بعده بقليل وثانيا : أنه ظل فى مصر بعد طبع الديوان ما يربو على سنتين ونصف •

وليس من المرتاح اليه ، ألا ينظم شاعر مثل ابن بليهد فى هذه الفترة الطويلة شيئا •

---

(١) سبق الحديث عنها فى الفصل السابع من الباب الثانى •

من هنا عزمت على البحث عن كل من له صلة به ، الـــى أن قادنى السؤال الى رجل (١)أتحفنى بجملة من قصائد ابن بليهد ، بلغ مجموعها سبع قصائد ، فيها ثلاث طويلة ، وثنتان مقطوعتان

وأغراض هذه القصائد متنوعة :

فمنها فى الوصف قصيدته الحلوانية ، التى وصف فيهـــــا حدائق حلوان ومياهها والقطار الموصل اليها ٠

ومنها مقطوعة فى الهجاء ٠

وقصيدة ومقطوعة فى التذكر والحنين ٠

وقصيدة مطولة عارض فيها عليا بن الجهم فى رصافيته ٠

وأخرى طويله فى ذكرى المولد النبوى الشريف ٠

وقصيدة نونية اشتملت على حديث عن مصر ونجد (٢) ٠

(٢) وفى لقائى بالشاعر الكبير احمد ابراهيـم الغزاوى أمدنـــى بقصيدتين من أجمل ما نظم ابن بليهد ٠

احداهما : فى وصف الذئب وليلة قضاها معه ابن بليهد فى الصحـــراء ٠

والثانية : فى رثاء الملك عبد العزيز صدرت ببيتين بدأ ينظم عليهما ، ثم لم تعجبه قافيتهما : كما ذكر : فعدل عنهما (٣) ٠

---

(١) هو الشيخ عبد العزيز حسين أحمدمرى ٠
(٢) سيرد الحديث عن هذه القصائد فىمواضعها من البحث مستقبلا ٠
(٣) سترد شواهد منها فى البحث مستقبلا

(٣) وكان ابن بليهد ينشر شعره الذى ينظمه فى المناسبات فى صحيفة أم القرى وحين عزم على جمع الديوان فاته كثير مما نشر ، كما حدثنى بذلك ابن أخيه سعود بن عبد الرحمن آل بليهد ، ومنـــه قصيدته فى توديع الأمير فيصل بن عبد العزيز ، حين سافر الى اوربا عام (١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٨) م ٠

وفى تتبعى لصحف المملكة عثرت على خمس قصائد ، لـــم يضمنها ابن بليهد الديوان ، ومنها قصيدته فى توديع الأميـــر فيصل ، أما الاربع الباقية فاحداها فى رثاء الأمام عبد الرحمن الفيصل والد الملك عبد العزيز ، الذى توفـــــى (١٣٤٧ هـ ١٩٢٨م)، والباقى فى مناسبات أخرى لم يعينها ابن بليهد فى الصحيفة ، لكن مضمونها يدل على أن وراءها أحداث ٠ (١)

(٤) وفى كتابه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعـــه» (٢) المخطوط وردت له قصيدة فى عين نجم ، التى ذهب اليها عـــام (١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م) للاستحمام بمياهها المعدنية ٠

(٥) الديوان «ابتسامات الأيام» وسيأتى عرضه ان شاء الله ٠

هذا هو ما عثرنا عليه مما لم يحوه الديوان من شعره ٠

وقبل أن نأخذ بعرض الديوان ، نومىء الى أول قصيدة واخـــر قصيدة قالها فيما عثرنا عليـــــه ٠

---

(١) نشرت فى الاعـــوام (١٣٤٥ هـ١٩٢٦م) ، (١٣٤٨ هـ ــ ١٩٢٩ ، ١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠ م) ٠

(٢) ما تقارب سماعه ص ٣٢ ٠

أ ـ أول قصيدة قالهـــــا :

ان أقدم ما بأيدينا من شعره كان فى عام (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م) وهو فى السابعة والعشرين من عمره اذ كان مولده عام (١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٢ م) ، وليس من المعقول أن تذهب أيام الصبا والشباب دون أن يقول ـ شاعر مجيد مثل ابن بليهد ـ فيها شعرا ، ثم أنه كان ينـــازل فحول شعراء العامية ـ وهو فى الثانية عشرة من عمره ـ كما ذكر فى مقدمــــــــة ديوانه •

ونعود فنقول : ان كلمة الشيخ (احمد بن عيسى) التى صفع بها وجهه أمام عمه (حسب ابن اخيك نظم الخرز) كانت هى كل السبب •

على أن انتصار جيش الملك عبد العزيز فى موقعة «تربة» قد أخرج الشاعر من صمته ، وأنطقه بأولى محاولاته ، فى الشعر العربى الفصيح وهى القصيدة التى مطلعهـــا :

تغير رسم الدار أصبح خاليـــــا

فليس بها حى يجيب المناديا (١)

هذا هو مطلع قصيدته فى ذلك الحدث ، الذى هز وأيقظ مشاعـــــره واحساساته ، التى جمدتها كلمة الشيخ ابن عيسى ، فاستثارها انتصار جيش الاخوان على جيش الشريف ، فانتعش ابن بليهد بعد نظمه لهذه القصــــــيدة •

ولما كان الشيخ (٢) أحمد بن عيسى (رحمه الله)قدتوفى،فقدذهب (ابن بليهد) بالقصيدة الى تلميذ الشيخ (أحمد) وابن عمه الشيخ

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ •

(٢) هو الشيخ احمد بن عيسى

ابراهيم بن عيسى (رحمه الله) فأعجب بها ومدحها فى رسالة منه الى ابن بليهد (١) ٠

أما الشعر العامى ، فقد كان من فحوله،كان ينظم فيه وينازل فحوله وهو فى الثانية عشرة من عمره ، غير أننا لم نعثر من شعره ذلك على شيء ، الا ما ذكره هو فى مقدمة ديوانه ، وهو من شعر الألغاز المسمى عند عامة أهل «نجد» بالغطو (٢) ٠

يقول فيها :

وش لون عود توكلنا على الله شايلن عود
ما هو من والديه وشاله الله لا يثيبه
العود الاسفل له أربع قائمات كلهن سود
وما يقف الا على ساق فريد يرتكى به (٣)

ثم القصيدتين العاميتين المثبتتين فى الديوان ص ٣١٠،ص ٣١١ وهما غزليتان ، نظم الأولى منهما وهو فى السابعة عشرة من عمره ، كما نظم الثانية وهو فى العشرين من عمره ٠

ب ــ آخر قصيدة قالها :

أما آخر قصيدة نظمها فالذى وصل الى خبره قصيدتان أولاهما : التى نظمها فى عين نجم ، وهى مثبتة فى كتابه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» (٤) وهو مخطوط وقد نظم هذه القصيدة فى عام (١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٤ م) ومطلعها :

---

(١) انظر ص ٦٣٣ وما بعدها من هذاالبحث ٠
(٢) سمى بالغطو لكونه مستور المعنىكالمغطى الذى لا يستبين الا بعد كشف الغطاء ٠
(٣) ابتسامات الأيام ص ٦ ٠
(٤) ابتسامات الأيام ص ٣٢ ٠

تحممت فى نجم وقد طلع النجـــم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم

وثانيتهما نظمها فى بيروت بلبنان عام (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م)٠ قبيل وفاته ـ رحمه الله ـ وما حصلت منها الا على خبرها ، من أولاد الشاعر الذين يقولون : أنها ضاعت ٠

وهناك قصيدة عامية وصلتنى بخطه نظمها بعد رجوعه من مصر يخاطب فيها أحد شعراء العامية «لويحان» ٠

يا طير يلى بالهدى يكسر الحوم
انقل كتاب اللوح واحفظ وصاته

هذا خبر ما وصلنا من شعره ، الذى وصفه العارفون به بالكثـــرة والوفرة ، فحسبنا ما بأيدينا منه ولنصرف النظر عن المفقود ، فالحكم انما يكون على الموجود ٠ وفيه كفاية للدارس ٠

الديـــوان :

اسم الديوان ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام (أى الملك عبد العزيز) طبع بمطبعة السنة المحمدية بشارع غيط النوبى بالقاهـــرة (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م) وعدد صفحاته ستون وثلاثمائة صفحة مـن القطـــع الكبيـــر ٠

المقدمـــــة :

قدم ابن بليهد للديوان بنبذة ، أثنى فيها ثناء جيدا على الشعـــر العامى ، وأشار الى بروزه فى هذا الميدان ومجاراته لفحوله على الرغم من صغر سنه، ثم أنحى باللوم على أولئك الذين ينتقصون الشعر العامى من

المفكرين ، واتهمهم بالتسامى فى أبراجهم العالية عن الميادين التى برز فيها الشعر العامى ، واتهمهم بالجهل بخصائصه التى لو حكمت فيهـــا معايير الشعر الصحيحة ، لشهدت له بما فيه من قيم ويعنى بالمعاييـــر الصحيحة هنا ما يشتمل عليه الشعر العامى من مظاهر جماليـــــة ، وما يثيره من عواطف واحساسات ٠

أما الفصاحة فى اللغة والأسلوب فغير واردة هنا ، والا لكان مخطئا فى قوله هذا ، لكنه انما يعنى الشعر العامى ومعاييره المعروفة لـــدى أصحابه ، ولذا فهو يثنى عليه ثناء المعجب به ، الذى يضعة فى صـف الأدب العربى الحديث،من حيث أشباعه للنزعات الشعورية والاحساسية فى النفس البشريـــــة ٠

ثم أشار الى نجاحه فيه ، ذلك النجاح الذى دفعه الى ميدان أجـــل وأعظم ، وهو ميدان الشعر الفصيح مومئا الى أولى محاولاته فيه ، ثم ذكر أنه سيقسم الديوان الى فصول ، كل فصل من الفصول الثلاثـــــة الأولى مضافا الى واحد من الملوك الثلاثة : الملك عبد العزيز ، وابنيه سعود وفيصل ، واشرك عبدالله الفيصل مع أبيه ٠

أما الفصل الرابع فمراث ، والفصل الخامس قصائد متفرقة ويلى هذه الفصول كلها جزء خاص بالشعر النبطى ٠

ولما كان شعره الا قليلا منه فى المدح ، فانه قد اعتذر عن ذلك بقوله (أن هذا الديوان الماع (١) لما جرى من أحداث وظروف ، وأحـــــوال اجتماعية وسياسية ، ودينية فى حياة هؤلاء الأبطال الثلاثة ثم ذكر أنه لن يبدل فيه شيئا اقتداء بقول العماد الأصفهانى : (انى رأيت أنـــه

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٨ ٠

لا يكتب انسان كتابا فى يوم الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هـذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ـ وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر) .

الفصل الأول : (١)

فى مدح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ـ رحمه الله .

مهد ابن بليهد لهذا الفصل بكلمة مقتضبة عن الملك عبد العزيز ، وهى عبارة عن اشارات الى فراسات المتفرسين فيه ، وتشتمل على أحاديث مقتضبة عن حياته ، لا تعطى ولو صورة تقريبية عنها (٢) .

بدا بعدها بايراد القصائد التى نظمها فى مدح الملك عبد العزيز أولها القصيدة التى نظمها فى وقعة تربه عام (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م) وآخرها قصيدة فى مناسبة قدوم الملك عبد العزيز وابنه سعود رحمهما الله ـ من «الخبر» فى شرقى المملكة الى «مكة» فى غربيها عام (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م) ، وعدد قصائد هذا الفصل (٣٢ قصيدة) نظمت فى (٢٨ عاما) .

الفصل الثانى من الديوان : (٣)

فى مدح ولى العهد (الملك الأسبق) سعود بن عبد العزيز ـ رحمه الله

بدأ هذا الفصل بنبذة عن مولد ، الملك سعود ، ثم ذكر شيئا من صفاته وأعماله ، وكيف أنه نشأ على يد أبيه نشأة المحاربين الصالحين

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ ـ ١٢٧ .
(١) ابتسامات الأيام ص ٩ ـ ١٤ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٢٨ ـ ١٣١

كما أشار الى خدمته للعلم والفكر ، وأشار الى مصادفة مولده لمقتل أمير الرياض من قبل آل رشيد ، مما يعد فألا حسنا للدولة السعودية ورد نجابته ونبل خلاله الى التقاء اليمنية والعدنانية في نسبه ، وهى مقدمة حسنة مقتضبة ، استشهد فيها بأبيات للشاعر محمد بن عثيمين أشار فيها الى ولاية العهد قبل عقدها بثلاث عشرة سنة ٠

بعدها بدأ فى ايراد القصائد المضافة الى الأمير سعود وعددها (١١ قصيدة) منها ثلاث مناسباتها قدومه من ثلاثة أسفار ، وقد نظمت أولى القصائد عام (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م)، وآخرها عام(١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م) ، أى فى (١) ٢٠ عاما ٠

الفصل الثالث : (١)

فى مدح ـ سمو النائب العام ـ فيصل بن عبد العزيز (الملك السابق ـ رحمه الله ـ وابنه عبدالله ٠

مهد ابن بليهد لهذا الفصل أولا : بنبذة عن حياة ـ نائب الملك بالحجاز ـ الأمير فيصل بن عبد العزيز ووزير الخارجية ، أشار فيها الى مولده ونشأته فى بيت جده لأمه الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ال ألشيخ بعد وفاة أمه وهو صغير ، كما قرن مولده بمقتل خصم أبيه اللدود عبد العزيز بن رشيد ، ثم أشار الى بعض الأعمال التى أسندها أبوه اليه ولم يستوعبها ، مما يحمل على الاقتناع بأنه كتب هذه المقدمه قبل طبع الديوان بزمن طويل ، لأنها لم تتضمن الكثير من الأحداث والرحلات ، التى قام بها فيصل بن عبد العزيز ، والتى أشار

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ـ ١٧١ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٧٢ ـ ٢١٠ ٠

ابن بليهد نفسه الى بعضها فى كتابه «صحيح الأخبار» عند ذكر أسباب تأليفه لذلك الكتاب) (١) ٠

ومما يؤكد هذا الظن قول ابن بليهد ، فى حديثه عن الأمير عبدالله الفيصل وعند كتابة هذه الكلمات أسند اليه حضرة صاحب الجلالة الملك وزارة الداخلية ووزارة الصحة » (٢)

ووزارة الداخلية والصحة قد اسندتا الى الأمير عبدالله قبل طبع الديوان بسنين ٠

ثم أورد فى صفحة واحدة حديثا عن الأمير عبدالله الفيصل ، وما يقال فى حديثه عن الأب يقال فى حديثه عن الابن من اغفال جزء كبير من حياته ، التى عاصرها ابن بليهد وعاشها صديقا ورفيقا للامير عبدالله ، وهى الفترة الأهم فى حياة الأمير واستطرد فنقل بعد هذا فصلا خاصا بأمراء مكة من كتاب «مرآة الحرمين» لابراهيم رفعت باشا وقد شغل فى الديوان ثلاثين صفحة ، فاذا أضفنا اليه عشر صفحات سبقتها عن حياة الأمير فيصل وابنه عبدالله ، فان مقدمة الفصل الثالث تكون حينئذ (٣٩ صفحة) بعدها أورد ابن بليهد القصائد المضافة الى الأمير فيصل وابنه عبدالله وهى (١١ قصيدة) نظمت أولاها عام (١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م) ٠ وآخرها فى عام (١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م) (اى فى ٢٥ عاما)(٣)٠

فصل الرثاء : (٤)

وفيه سبع قصائد رثى فيها علماء وأصدقاء وزوجته الثانيه ٠

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ١ ٠ (٢) ابتسامات الأيام ص ١٨٠ ٠
(٣) ابتسامات الأيام ص ٢١١ ـ ٢٤٢ ٠ (٤) المرجع السابق ص ٢٤٣ ـ ٢٦٤ ٠

قصائد متفرقـــة : (١)

القصيدة الأولى : نظمها بمناسبة اقامة السد الذى فى أعلى «مكة» عام (١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٤ م) ٠

القصيدة الثانية : قالها عام (١٣٥٧ هـ ـ ١٩٢٨ م) ٠ فى خلاف جرى بين مدير مالية مكة محمد سرور الصبان ، ومدير مالية «الظفير» خليل عبد الجبار حول حق مالي للشاعر ٠

القصيدة الثالثة : نظمها بعنوان «فرحة الشفاء» ولم يذكر لها تاريخا الا أنها كانت بعد شفائه من مرضه الذى وفد على مصر لمعالجته فى ٢٢ من ربيع الأول (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م) ٠

القصيدة الرابعة : لم يذكر لها تاريخا أيضا ولكنها كانت وهو فى مصر بين عامى (١٣٧٠ هـ ، ١٩٥٠ م ـ ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م) قدم لها بمقدمة وصف فيها مرضا كان فى كتفه الأيسر، غير الشلل الذى كان فى الأيمن ، وحكايته مع ذلك الألم ، وذكر أن الممرضتين القائمتين على علاجه بالكهرباء ، طلبتا منه أن يذكرهما فى شعره ، فقال فيهما هـــذه القصيـــــدة :

القصيـــدة الخامسة :

نظمها على لسان عساف بن حسين المنصور فى الممرضتين نفسيهما وكان العساف هذا يعالج هو أيضا تحت اشرافهما ، ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٣ ـ ٢٧٨ ٠

القصيـــدة السادسة :

وهى آخر قصيدة فى الديوان من الشعر الفصيح لم يذكر لها تاريخا وهى بعنوان «شكر وثناء» قالها بعد شفائه من المرض ، وقد مدح فيها مصر واثنى على الدكتور عمر اسعد الطبيب الذى أشرف على علاجه ثم ختم الشعر الفصيح باعتذار لأولئك الاخوان الذين قد يسوؤهم مافى شعره ، وعذره فى ذلك أنها قيلت فى ظروف كانت أقسى بكثير مما يحس فى بعض أبيات شعـــره •

وبذلك يكون الشعر الفصيح قد انتهى فى ديوانـــه •

الجزء الثانى من الديوان : نماذج من الشعر النبطى •

هذا الجزء مهد له ابن بليهد بمقدمة أشار فيها الى أن الشعـــــــر النبطى ، لا يلتزم اللغة العربية الفصحى ، وانمـــا يلتـــزم الأوزان والقوافى المتعارف عليها عند أهل هذه الصنعة ، ثم قسم المختارات الى قسمـــين :

أ ــ مختارات من شعره فى المدح ، والوصف ، والعتب ، والغزل والشكر وهى (١٦ قصيـــدة) (١)

ب ــ مختارات من الشعر العامى ، لبعض مشاهير شعراء العامية بنجد وهم حميدان الشويعر ، ومحسن الهزانى ، ومحمد بن لعبـون ، ومحمد القاضى ، وعبدالله بن سهيل وتركى بن حميد •

وتنتهى هذه المختارات فى ص ٣٥٣ ، وبها ينتهى الديوان ، أما الصفحات العشر المتبقية ففهارس •

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٩ ــ ٣١٢

ملاحظـــــات عامــــة :

١) تبدو عناية ابن بليهد بالشعر العامى واضحة جلية ، فى مقدمـــة الديوان وفى آخره،فهو أولا شغل حديثه عنه اكثر من نصف المقدمة ثم أنه وضع قسما فى آخر الديوان (١) ضمنه مختارات من هــذا الشعر العامى من شعره ومن شعر الآخرين ، ثم أن الحماس يظهر عنده أكثر وهو يتحدث عن الشعر العامى فى المقدمة بينما عبر فى مروره على ذكر الشعر الفصيح سريعا ٠

٢) فى الاعتذارين أو التعليلين (٢) اللذين قدمهما ابن بليهد ، تحس أنه يشعر بحرج فيما قدم من شعر ، وقد يكون الدافع له فى الأول ما شهده عند بعض الناقدين فى «مصر» ، من اتجاه الى نبذ شعر المـــدح والمناسبـــــات ٠

٣) قدم القصائد بمقدمات ذكر فيها تاريخها،وسبب نظمها وموضوعها على أنه فى القليل النادر أهمل تاريخ النظم ، وقد يصحب تلك المقدمة كتاب أو خطبة (٣) ، على أن أسلوب تلك المقدمات فيــه بعض التكلف والمبالغــــة (٤) ٠

٤) جاءت قصائد ديوان ابن بليهد الا أربعا منها وليدة الأحـــــــداث السياسية ، والتغيرات والأوضاع الاجتماعية ، أما تلك القصائد الأربع ، فهى التى نظمها فى مصر وأشرنا اليها سلفا ٠

٥) وهناك من شعر ابن بليهد الكثير الذى لم ينشر ، وقد أسلفنا فـــى صدر هذا الفصل ايماءه اليه ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٩ ـ ٣٥٣٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٨ ، ٢٧٨ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٤٩ ، ٢٢٨ ٠
(٤) سبق ايضاح ذلك فى الفصل السادس من الباب الثانى ، الخاص بنشر ابن بليهد ٠



الفصل الثاني

أغراض شعره

وضع ابن بليهد شعره فى الديوان تحت ثلاثة أغراض ، أو ان شئت فقل قسمه الى ثلاثة أقسام : هى المدح فى الفصول الثلاثة ·

الأول : فى مدح الملك عبد العزيز ·

والثانى : فى مدح ولى العهد الأمير سعود بن عبد العزيز ·

والثالث : فى مدح نائب الملك على الحجاز الأمير فيصل بن عبد العزيز وابنه عبدالله (١) ·

والغرض الثانى : الرثاء ، وفيه (سبع قصائد) (٢) ·

وأما القسم الأخير من ديوانه ، فجعله تحت عنوان (قصائد فى موضوعات متفرقة) وفيه (ست قصائد) (٣) ، فيها الاجتماعى كقصيدته بمناسبة السد الذى أقيم فى مكة(٤)، وفيها الغزل كقصيدتيه فى الممرضتين (٥) ·

وما عدا ذلك من الأغراض مبثوث فى ثنايا شعره خلا الوصف ،فقد عثرت له على بعض قصائد منها وصفه للذئب ، والقطار ، وحدائق

---

(١) ابتسامات الأيام من ص ١٠ ـ ٢٤٢ ·
(٢) ابتسامات الأيام من ص ٢٤٣ ـ ٢٦٢ ·
(٣) المرجع السابق من ص ٢٦٣ ـ ٢٨٠ ·
(٤) المرجع السابق ص ٢٦٣ ·
(٥) المرجع السابق ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ ·

حلوان ، وعين نجم ، أو الهجاء الذى وجدت له فيه مقطوعة ، ثم الشعر الدينى ، الذى وجدت له فيه قصيدة فى مدح الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكل هذا الأخير مما لم يحوه الديوان، وسيأتى الحديث عنه وعن سواه من شعره المطبوع وغير المطبوع ـ ان شاء الله ـ فيما يأتى من بحوث .

غير أن المتتبع لشعره يجد أغراضا تتخلل قصائده ، وبعضها يستبد بالقصيدة الا أبياتا قلائل هى نصيب عنوانها منها .

من ذلك على سبيل المثال القصيدة التى نظمها فى عام (١٣٤١هـ (١) ١٩٢٢ م) عندما سجنه «قائم مقام» (٢) المدينة المنورة الشريف شحاذ بأمر من الحسين بن على «شريف مكة» بتهمة التعاون مع ابن سعود وتهريب السلاح لـه .

فان هذه القصيدة تشتمل على حكم ومثل، وجلها فى هجاء الشريف ووصف حال ابن بليهد عندما سجن ، ومع هذا وضعها تحت عنوان «مدح الملك عبد العزيز» .

وللقصيدة نظائر فى الديوان سنشير اليها فى موضعها ان شاء الله .

وقبل أن نأخذ بأطراف الحديث عن اغراض الشعر عنده ، نلمع الى ما قاله السابقون فى هـذا .

للمتقدمين من نقاد العرب فى أغراض الشعر أقوال كثيرة ، فبعضهم يعدها عشرة كابن رشيق (٣) ، الذى درس كل واحد منها فى بـاب

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٢ .
(٢) حاكم ، أو أمير ، او محافظ .
(٣) راجع الجزء الثانى من «العمدة» لابن رشيق .

مستقل ، وهذه الأغراض هى : النسيب ، والمديح ، والافتخار ، والرثاء والاقتضاء ، والاستنجاز والعقاب والوعيد ، والهجاء ، والاعتذار .

كما ذكر ابن رشيق فى العمدة أن فيهم من عده فنا واحدا ، هو الوصف وجعل كل أغراض الشعر مندرجة فيه ، فالمدح وصف للممدوح وخلاله وسجاياه،والهجاء كذلك ، كما أن الغزل وصف للحبيب والمحبوب على حد سواء ، اذ هو وصف للمحبوب ومحاسنه ، أو وصف لحال المحب فى اشتياقه والتياعه وتعلقه بمحبوبه (١) وهكذا فكل غرض من أغراض الشعر ، وصف لما نظم فيه ، وفيهم من جعله بين هذا وذاك ففصل نوع تفصيل ، فصاحب «ثمرات الأوراق» يعدها أربعة وهى : الفخر والمديح ، والهجاء ، والنسيب (٢) .

كما جعلها أبو هلال العسكرى ستة هى : المدح ، والهجاء ، والوصف والنسيب ، والمراثى ، والفخر (٣)،وأقوال أخرى كثيرة بعضهم يعدها خمسة (٤)،وبعضهم عدها سبعة (٥) ، واخر عدها اثنين (٦) وهكذا

وفى «أسس النقد الأدبى»(٧)تحدث الدكتور أحمدبدوىعن ثلاثة عشر غرضا من أغراض الشعر وهى :

الغزل ، والمدح والفخر ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ، والاعتذار والوصف ، والحماسة ، والحكمة ، والقصص ، والفكاهة ، والألغاز .

---

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى ٢ :٢٢٦ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ م .
(٢) ثمرات الأوراق ص ٤٥ لابن حجةالحموى المطبعة الخيرية .
(٣).الصناعتين ص ١٢٧ لأبى هلالالعسكرى مطبعة محمد صبيح .
(٤) العمدة لابن رشيق ١ : ٧٧ .
(٥) قواعد الشعر ص ٢٨ لأبى العباسثعلب مطبعة الحلبى سنة ١٩٤٨ م ص ١٢٤
(٦) العمده لابن رشيق ١ : ٧٨ .
(٧) أسس النقد الأدبى ـ للدكتور احمدبدوى ـ مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م ص ١٢٤ ـ ٢٧٠ .

وفى الأدب الغربى يقسمون أغراض الشعر الى أربعة : غنائى ، وملحمى ، وتعليمى ، وتمثيلى (١) ، وعليه جرى بعض المتأخرين من العـــــرب .

وعن تقسيم الشعر الى ثلاثة أقسام : قصصى ، وغنائى ، وتمثيلى قال الأستاذ احمد الشايب : (ومهما يكن من قيمة هذا الشعر العربى ومكانته البيانية الرائعة ، فقد انحصر فى هذه الدائرة (يعنى دائرة الشعر الغنائى) وفى داخلها قسمه نقاد العرب الى أقسامه المشهـــورة واكثروا من الكلام حولها وحول الأسس القائمة عليها ، ويمكـــن رد جميع ما قالوه الى أصليـــن :

الأول أن التقسيم قائم على أساس العاطفة الفردية : فالرغبـــة : توجد المدح والرهبة الاعتذار ، والحب يثمر النسيب والبغض ينشىء الهجاء ، والاعجاب يدعو الوصف والاطراء وهكذا .

الثانى : أن هذا الاساس نفسه اختلف فى اعتباره الى وجهيـــن : أحدهما أن يذكروا الانفعالات أو العواطف من ناحية الشاعر نفسه ، وما ينشأ عنها من فنون كقولهم : قواعد الشعر أربعة : الرغبة ، وتنتج المدح والشكر ، والرهبة وتنتج الاعتذار والاستعطاف ، والطرب وينتج الشوق ورقة النسيب ، والغضب وينتج الهجاء ، والتوعد والعتا ب.

وثانيهما : أن يعكسوا الوضع فيذكروا الفنون نفسها ملاحظـــين ما تثير من عواطف فى نفوس السامعين ، كقولهم : الشعر نسيـــب ، ومدح،وهجاء ، وفخر ووصف الى نحو ذلك) (٢) .

---

(١) انظر النقد الأدبى لأحمد أمين ١ :٧٦ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر .
(٢) اصول النقد الأدبى ص ٣١٠ ـ٣١١احمد الشايب مكتبه النهضة المصرية .

وفى تعليق استاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود على تقسيم أغراض الشعر عند أبى هلال العسكرى (١) الى ستة قال : ـ

(وأغراض الشعر ـ على ما يذكر أبو هلال بعد ـ كثيرة ، وانما كثر استعمال ستة منها وهى : المدح ، والهجاء ، والوصف ، والنسيب والرثاء ، والفخر ، ولكل غرض من هذه الأغراض معان هى به أليق ، وعلى الشاعر أن يعتمد هذه المعانى ويحفظها ، ويطرح ما خالفها ، ليصيب شاكلة الصواب) (٢) ٠

والحق أننا لو جزأنا أغراض الشعر ، على هذا النحو لطال بنا الوقوف أمامها ، اذ أن الشعر ما هو الا تصوير للحياة ، فى ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها ، أو ذلك كله معا ، وأغراض الانسان فى تصوير الحياة شتى ، فحسبنا ما ألفت الاقلام فيه الحديث ٠

المديح :

المديح فن الثناء والاكبار والاحترام ، والمدح من الفنون العريقة فى الأدب العربى ، وهو كذلك كان لدى الأمم الأخرى قديمها وحديثها فقد عرفه شعراء المصريين واليونان والهنود والرومان وغيرهم ٠

ولقد كان شعر المديح منذ بدأ وحتى عصرنا هذا ، يسعى دائما وأبدا فى ظل مبدأ أو اتجاه : دينى ، أو سياسى ، أو أخلاقى حسبما تمليه نفسية الشاعر ومصلحته ، وحسبما تفرض عليه بيئته ومجتمعه فهو فى أيام الجاهلية يسير وراء العصبية القبلية ، وفى صدر الاسلام يستظل براية الدين ، فيمجده ويمدح رجاله ، ويعلن فضائلهم وخلالهم الحميدة المستمدة من ينبوعة السماوى ٠

---

(١) الصناعتين ص ٩٦ بتحقيق البجاوى وابى الفضل ـ دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ م ٠

(٢) نصوص نقديه ص ١٦٧ محمد السعدى فرهود دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٥ م ٠

ثم هو فى عهد بنى أمية شعر الأحزاب والطوائف ، هذا خارجى وذاك هاشمى وآخر يمنى وغيره أموى وهكذا ٠

وظل شعر المديح عند العرب مرتبطا بالمذهب والدين ، وسائر فى مواكب الزعماء والسادة والأمجاد ٠

فالشاعر يتغنى بفضائل ، ممدوحه ،وينتقى له من الصفات والخلال افضلها وأسماها ، فينميها اليه ويجعلها علما عليه ، ويرصد الأحداث والمناسبات ، فيسجلها فى صورة لقطات ، تشبه لقطات المصورة ، تشير لك على الطريق ، ولكنها لا تسير معك فيه ، واذا كان شعر المديح قد خدم رغبات الشاعر ونزعاته فى حياته ، فانه قد خدم ممدوحيه وخلدهم على نحو ما أشار اليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ حين سأل أبناء هرم بن سنان عما قال زهير فى أبيهم ، فأجابوه بأن أباهم كان يجزل له العطاء ، فرد عليهم عمر ــ رضى الله عنه ــ بقوله : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم ٠ يعنى بذلك أن زهيرا قد خلد ذكرهم فى التاريخ ٠

وقد شاب التكسب والاستجداء جو شعر المديح، حتى عابه الناقدون وغالى بعضهم فى هذا الحكم ، فأطلقوه على شعر المديح أجمع ٠

ولعلهم نظروا الى ما نظم من ذلك أيام عصور الانحطاط ، فانطبعت فى أذهانهم صورة الشعر فى تلك العصور ، ومنها استمدوا حكمهم هذا

على أن الشعراء لم يقصروا مدحهم على الزعماء والسادة ، بل مدوا مظلته على ما هو أبعد من ذلك ، بكثير فمدحوا : العلم ، والعلماء والديار ، والأمصار ، كما نظم كثير منهم القصائد الطوال ،فى مدح البارى تبارك وتعالى ، ومدح المصطفى ــ عليه الصلاة والسلام ــ

ويرفع الأمير شكيب أرسلان شعراء المديح،الى مرتبةدعاة الاصلاح والمصلحين ويرى أن عملهم انما هو خدمة للامة ومصالحها التى يمثلها الحاكم ، أو المفروض فيه أن يكون ممثلا لها (فالشاعر الذى يتصل بملك من الملوك ، أو أمير من الأمراء ، سواء فى شرق أو غرب ،لم يكن يجد من الغضاضة فى شىء التغنى فى مدح سيده ، حتى لو لم يكن أهلا لكل ذلك الاطراء ، لأن مثل هذه الطبقة من الشعراء والأدباء يذهبون الى أن الكلام انما هو للمقام لا للمقيم ، وأن المقام هو رمز الأمة وعنوان الملة ، ثم شاءت الأقدار فى أخريات الزمان أن يدخل الضعف على الدول الاسلامية بأجمعها، وأن تغلظ شوكة الأجانب الغربيين بين أيديها ومن خلفها ، وان تحيط بكثير منها وتأخذ على أيدى ملوك الاسلام ، فلا تبقى لهم سوى الرسوم والألقاب ، ويتغلغل نفوذ الأجانب فى هذه الحكومات المغلوبة على أمرها : فتصير الأمة التى فى مثل هذا الموقع وقد أخذ الأجانب بخناقها تتطلع الى أميرها الأصلى) (١) وتعزز من مقامه وتضاعف من اجلاله بناء على أنه هو رمز استقلالها الوحيد فالمبالغة فى اجلال هذا لرمز انما هى المبالغة فى حفظ الاستقلال نفسه) (٢) .

واشتمال فن المديح على كثير من القيم الانسانية والصور الأدبية أمر لا ينكره الا مغالط يريد أن يجعل من ذلك سلما لهوى فى نفسه .

فأين مكان روائع : البحترى ، والمتنبى ، وشوقى ، وأمثالهم ، فى القديم والحديث عند من ينبذ شعر المديح ؟ .

---

(١) هكذا ورد فى النص من كتاب«شوقى او صداقة أربعين سنة» للامير شكيب ارسلان .

(٢) شوقى أو صداقة أربعين سنة . بقلم أمير البيان الامير شكيب ارسلان ، مطبعة عيسى الحلبى بمصر (١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م) . ص ٢٤ ، ٢٥ .

أهداف مدحـــــــه :

ان الدارس لشعر المديح عند ابن بليهد ، قد يعتريه شيءمن الملال عند أول نظرة ، بل قد يشعر بميل الى الاعراض والعزوف عن قراءته والعدول عن دراسته ، لأنه ينسج على منوال واحد رتيب ، ويدور فى اطار فردى لا يلائم الفكر الجماعى ، الذى ينادى به رجال هذا العصر الذين يفهمون شعر المديح على أنه مظهر من مظاهر الفرديـــة ، وان الأدب يجب أن يكون ذا رسالة جماعية ، أى أن يضع منفعة الجماعةفوق منفعـــــة الفـــرد •

على أن شعر المديح ليس كله من مظاهر فردية ، بل أن القليـــــل النادر منه ما يكون كذلك الى أن المادح اذا لم يمدح لمكرمة أسداهـــا الممدوح الى مجتمعه كصنيع هرم بن سنان، والحارثبن عوف وأمثالهما فلا بد أنه ذاكر فى مدحه من الصفات والأخلاق والعادات المحببة ، ما يغرى به الممدوح وبالتالى القراء ، وهذه دعوة الى التزام الحســـن من الاخلاق والعــــادات •

أما أولئك الذين مدحوا لأعمال جليلة قدمها الممدوح لمجتمعه ، فمن الجرم التجنى على شعرهم بوصمه بأنه أدب تكسب واستجداء،صحيـح أن كثيرا من أولئك ، كان دافعهم الأول : التكسب لا خدمة المجتمع • غير أننا عندما ننظر فى شعره ، لا تعنينا نيته بقدر ما يعنينا ما اشتمل عليه ذلك الشعر ، وما دفع اليه من نبيل الفعل والقول •

ثم أن ذلك النوع من الشعر أكثر تصويرا للمجتمعات من غيـــره ، لانسياقه دائما وراء المواقف والأحداث ، فهو سجل لعصره ، وصـــورة صادقة لبيئته ومجتمعه ، ومرآة لحياة الأمة الفكرية •

وشعراء المدح اثنان : شاعر ذاب فى شخصية ممدوحه وأخضعتـه المناسبة ، أو استبد به غرضه الشخصي فجاء شعره فرديا وقتيا مربوطا بالزمن والحاجة ، ينقضى بانقضائهما ، وهذا النوع موجود لكنه قليل .

ومثاله قول أبى الفرج الأصفهانى :

فداؤك نفســـى هـذا الشتـــاء
علينا بسلطانه قد هجـــم

ولم يبق مـــن نشــبى درهـــم
ولا من ثيابى الا رمـــم

يؤثر فيها نسيم الريـــــاح
وتخرقها خافيات الوهـــم

فأنت العماد ونحن العفـــــاة
وأنت الرئيس ونحن الخدم

فهى ــ كما نراها ــ أبيات استجداء ولا شىء بعد هذا ، ولكنها مع ذلك تعطينا صورة صادقة لنفسية صاحبها وصفاته حتى هندامه .

والشاعر الآخر شاعر انفعل بالمناسبة : وأعجب بالممدوح ، لكن لم يستعبده الانفعال والاعجاب ، بل استطاع أن يخضع المناسبة لما يصبو اليه ، من أهداف سامية جعل الممدوح قطبا تدور حوله ، ومنطلقا تنزع عنـــه ، وهو الأكثـــر .

وعلى الجملة ، فشعر المديح مصدر من مصادر الاثراء الأدبـــى ، شاع فى جميع الأمم يدعمه المسئولون وأولو الجاه ، ويجله المفكرون والمثقفـــون ويحترمونـــه .

(والذى نعتقده أن شعر المديح من أفضل المقاييس ، لقياس حال الأمة والشاعر والأدب فى وقت واحد ، فيخطىء من يظن أن الأمم المترقية لا تمدح اولا تقبل المدح من شعرائها ، اذ المديح جائز فى كل أمة ومن كل شاعر ، فلا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيد ، فى مدح عظيم يعجب به ويؤمن بمناقبه ، ولا ضير على الأدب أن يشمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة، التى يعرفها الغربيون أو الشرقيون وانما الخلاف فى نوع المديح لافى موضوعه على اطلاقه .

فمديح الأمم المتعلمة غير مديح الأمم الجاهلة ، والشاعر الذى يملك أمره يتبع فى مدحه أسلوبا غير الذى يتبعه شاعر مغلوب على أمره ، ومكانة الأديب فى الأمة تظهر أتم الظهور من أساليب الشعراء فى هاتين الحالتين ، فلن يقال : ان للادب مكانا فى الامة ، والشاعر مضطر فيها الى اذلال عقله وتسخير كرامته ، فى مديح لا تسيغه العقول ولا يليق بالرجل الحر المريد لما يقول ، ولن يقال : أن الأمة متعلمة والمبالغات الشعرية فيها تؤخذ مآخذ الجد والوقار ، وهى أقرب الى الهزل ، والهجاء المستور ،أو لن يقال : أن الأمة حرة تشعر بوجودها وأنت تقرأ مدائح شعرائها فلا ترى فيها ذكرا لغير الرؤساء ، ولا ترى فى الصفات التى يمدحون بها صفة ترجع الى الأمة وتعتمد على تقديرها أو تستفاد من خدمتها والعمل بمشيئتها) (١)

وعندما يلقى الدارس نظرة عابرة أو متفحصة على شعر شعراء هذه البلاد ، التى نشأ وعاش فيها ابن بليهد ، لابد أن يخرج بنتيجة واضحة ، وهى أن شعراءها ـ منذ قام الامام محمد بن عبد الوهاب بدعوته فى منتصف القرن الثانى عشر ، الى ما قبل أيامنا هذه بربع

---

(١) كتاب شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ص ١٨،١٩ عباس محمود العقاد كتاب الهلال ـ دار الهلال يناير سنة ١٩٧٢ م .

قرن تقريبا ـ كلهم قد وقفوا شعرهم فى سبيل الدين ، يعلنون أصوله ومناهجه ، ويدفعون عنه أعداءه بتفنيد آرائهم حينا والهجوم عليهم حينا آخر ، وتزييف ما يلقون به فى طريقه من شبه وأباطيل ، ثم مدح أولى الشأن الذابين عن حياضه المدافعين عن حماه ، فكان الشعراء لا يذمون الا فى الله ولا يمدحون الا فى الله •

ولذا كان شعرهم يدور حول قاعدتين : فهو أما شعر تعليمى يدور حول مسائل الدين شرحا وتفصيلا ، واما للدعاة والزعماء ، الذين وقفوا السنتهم وسيوفهم فى سبيل الاسلام والمسلمين •

ومن هؤلاء الشعراء : احمد بن مشرف ، وعبد العزيز بن طوق وعبد اللطيف بن عبد الرحمن ، وسليمان بن سحمان ، ومحمد بن عثيمين ، وابراهيم الأسكوبى وأحمد ابراهيم الغزاوى ، ومحمد سرور الصبان ، وفؤاد شاكر •

فلم يكن غريبا على شاعرنا ـ ابن بليهد ـ أن يتخذ من الدين واعزازه والذب عنه والذود عن حياضه غرضا لشعره ، يدبج فيه القصائد الطوال ، يضيفها تارة الى هذا وأخرى الى ذاك حسبما يقضى به المقام وتفرضه المناسبة ، ولا أدل على ذلك من أنك تجد فى كثير من القصائد ،أن نصيب الممدوح المنسوبة اليه منها قليل ، قد ينخفض حتى يصير أبياتا معدودة ، ذلك أن الحديث عن الدين وتنفيذ أحكامه ، والأمن والاستقرار ووصف الجيوش ، والمعارك التى خاضتها فى سبيل ترسيخ الدين واقرار الأمن ونحو ذلك ، هو ما يسيطر على جو القصيدة

وقد يقال : ان اضافة ذلك الى الممدوح ، وجعله سببا فيه انما هو المدح نفسه •

وهذا صحيح ، غير أن الفرق فى أسلوب التعليل المفهوم من أسنوب الشاعر ، ذلك التعليل الذى يوحى ـ عند ابن بليهد ـ دائما بأنه مـــا مدح هؤلاء الملوك الثلاثة ـ رحمهم الله ـ الا لكونهم أقاموا دولــــة الاسلام ، وحموا حمى الدين، وثبتوا أركان الأمن والاستقرار فى البلاد

وذلك ما سنشهد شواهده من شعره ، عند تقسيمنا لأهداف مدحه فى هذا الموضـــــوع ٠

والمتأمل شعر ابن بليهد ، لابد أن يخرج بنتائج ان لم تضع الرجل فى عداد المصلحين ، فلا أقل من أن تشهد له بالصدق فى التعبير عــن مشاعره تجاه دينه وأمته ومجتمعه ، فلقد وقفه على مدح المغفور لهــم الملوك الثلاثة : عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وابنيه سعـــود وفيصل ، وكان مديح الشاعر لهم لابد أن يرتبط بحدث من ورائـــه مصلحة عامة عظمت أو صغرت ، وانه لم يمد يد الاستجداء فى شعره الا نادرا لم يقل فيه كما قال الشاعر :

أجزنى أذا أنشدت شعرا فاننـــى
أنا الطائر المحكى والآخر الصدى

ولذا نجد أنه عندما هدأت الأحداث ، واستقرت الأحوال ، واستتـــب الأمن فى المملكة ، على يد هؤلاء الأبطال الثلاثة ، صمت ذلك اللسان المقوال ، لأنه كالحسام انما يجرد اذا شمرت الحرب عن ساقها ، فــاذا ألقت أوزارها وضرب السلام بأطنابه فى البلاد ٠ استقر فى غمـــده هادئـــا مطمئنـــا ٠

لقد هجر ابن بليهد المديح من عام (١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م) ٠ حتى آخر حياته،على الرغم منأن صلاته بآلسعودظلت تقوىالى أنوافته المنية

عام (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م) ، ويكفى أن نذكر كدليل على استمرار هذه الصلة بينه وبين ممدوحيه : أن الشاعر كان يسافر للعلاج فـــى مصر ولبنان على نفقتهم ، وأن الأمير فيصل ـ رحمه الله ـ كان يسهم فى طبع كتبه ، الى جانب اسهامه فى علاجه ، وأنه كان يستصحبه فـــى سيارته الخاصــــة للنزهــــة .

حدثنى مانع أبو العلا : أن الملك ـ رحمه الله ـ قال مرة لابن بليهد مشفقا عليه : (لو بقيت فى بيتك وأنا آتى اليك ، ثم التفت الملـــك اليه ، فلمح التأثر على وجهه ، فعرف أنه يؤثر صحبته فظل يستصحبه حتـــــى مـــــات) .

وعند عرضنا لمدح ابن بليهد نجد أنه قد اتخذ من محاسن الســـير ومكارم الأخلاق ـ مثل : النزاهة ، والحلم ، وكظم الغيظ ، والشجاعة والاقدام ، والحزم ، والصبر على المكاره ، والايمان بالله ، والتوكل عليه ، والسعى لاعزاز دينه وتنفيذ أحكام كتابه وسنة نبيه ، ونشـــر ألوية الأمن والسلام ، ورد المظالم واعطاء كل ذى حق حقه ـ منزعـــا ومنطلقـــــا وهدفـــا .

فهو يعنى بالفضائل النفسية ، التى جعلها المتقدمون أسا للمـــدح الجيد ، ومنطلقا له وهى : العفة ،والعقل ،والعدل ، والشجاعة ونحوها

وينأى عما يليق بأوصاف الجسم : كالحسن ، والبهاء ، والزينة ، مما عابه المتقدمون على المادحين ، كقول أبى هلال العسكرى :

(من عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التى تختص بالنفس من العقل والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، الى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن ، والبهاء والزينـــــة .

كما قال ابن قيس الرقيات فى عبد الملك بن مروان ٠

يأتلق التاج فوق مفرقـــــه

على جبين كأنه الذهـــب

فغضب عبد الملك ، وقال قد قلت فى مصعب :

انما مصعب شهاب من اللــــــه

ـه تجلت عن وجهه الظلمـــاء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم ، وأعطيتنى من المدح مالا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج في جبينى ، الذى هو كالذهب فى النضارة (١)

(أفاد أبو هلال أنه انما يكون بالفضائل التى تختص بالنفس ، ولا يكون بأوصاف الجسم ، ولهذا وجب على المادح أن يمدح : بالعقـــل ، والعفة ، والعدل والشجاعة ، وهى فضائل النفس ، ولا يعدل عنها الى ما يليق بأوصاف الجسم من : الحسن ، والبهاء ، والزينة ٠

وهذه الوجهة هى وجهة «قدامة بن جعفر» ، فى المديح ، اذ قال فى كتابه «الشعر» : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لامن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك انما هى : العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا ،وبما سواها مخطئا ، والمثل فى هذا قول زهير بن أبى سلمى فى حصن بن بدر الفزارى :

أخى ثقه ، لا يهلك الخمر مالـــه

ولكنه قد يهلك المال نائلـــه

تراه ــ اذا ما جئته ــ متهلـــلا

كأنك تعطيه الذى أنت سائله

---

(١) الصناعتين ص ٧٣ طبعة الاستانهسنة ١٣١٩ هـ تصحيح وتعليق محمـــــد أمين الخانجـــى

فمن مثل حصن فى الحروب ومثلــه
لانكار ضيم أو لأمر يحاولـــــه

فوصفه فى البيت الأول بالوفاء والعفة،لقلةامعانهفى اللذات،وانه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لاهلاكه ماله فى النوال ، وانحرافه بهــذا عن اللذات وذلك هو العقل ، وفى البيت الثانى زاد فى وصف السخاء بأنه يهش ، ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله وهذا منالعدل ، وفــــى البيت الثالث وصف ممدوحه من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفـــى فضائل النفس البشرية • وكثير من المثل التى نصبها أبو هلال تطبيقا لوجهته هذه من أمثلة قدامة) (١) •

وعلى نحو من هذا يمكننا أن نقسم أهداف المديح عند ابن بليهـــد على النحو التالى : الدين والعدل • العفة والكرم • العقل • الشجاعة كرم الأصـــــل والنجـــــار •

● الديـــن والعـــدل ● :

أ) الأمن والاستقرار فالأمن والاستقرار مطمح عظيم يهفو اليه كـــل انسان ، وبخاصة أولئك الذين عاشوا زمنا محرومين منه ، ولـــذا فحصوله نعمه كبرى يستحق من تمت على يده أن يمدح ويذكر به •

لذا نجد أن ابن بليهد يقول بعد فتح الأحساء مادحا الملك عبـــد العزيز ، ومثنيا عليه بما نال «الأحساء» بلاد الخليج من أمن واستقرار بعد أن تغلب جيشه عليها ، وكانت من قبل عهده فى خوف واضطراب فلما شملتها دولته شاع الأمن لا فى البلدان وحدها ، بل فى البرارى والقفار ، التى أمنت السبل بها بعد أن كانت مخوفة •

---

(١) نصوص نقديه صـــ ١٦٧ ــ ١٦٩طبعة دار الطباعة المحمدية سنة (١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م) •

ويعبر فى تصوير هذا الأمن ، الذى نعمت به البلاد بقولـــه : ان الأغنام ، كبارها وصغارها ، صارت تسير فى الخلاء لا تخاف مـــن الذئب ، لأن قوة السلطان تحجزه عن الاعتداء عليها ·

وقد يفهم ذلك على أنه استعارة شبه فيها ضعاف المسافرين بالأغنام وقطاع الطرق بالذئاب وهذا أولى ·

ثم يحمد الله على ما أولاه من نعمة على يد هذا القائد ، الـــذى هنأت البلاد فى ظله واستقرت فطاب بها العيش ·

أمنت أرض الحساء والخط وأنخفضت
لك الرقاب وأنت الفاتك البطل

وساكن البر وحدان به أمـــن
ولا تضيق على سلاكه السبـــل

تمشى هناك بنات المعز آمنـــة
من السباع ولا يستوحش الحمـل

الحمد لله قام الأمر وانبسطت (١)
كل الديار وطاب الشرب والاكل (٢)

والممدوح لم ينشر الأمن فى المدن والقرى وحسب ، بل نشره بيـــن البدو وهم الذين يصعب انقيادهم،لما جبلوا عليه منذ القدم ، فانقيادهم للامر وشيوع الأمن فيهم ، وهم الذين فيهم ومنهم اللصوص قطـــاع الطرق «غالبا» دليل على أن هذا الرجل جدير بأن تلقى له المقاليد ·

---

(١) انبسطت : اى امتد بها أهلها ·
(٢) ابتسامات الأيام ص ٦٣ ·

لقد كان البدو ورعاة الماشية ، لا يأمنون على ماشيتهم، فيحصرونها ترعى فى مناطق معينة ، أما وقد آمنت البلاد ، فإنهم يتركونها تسير كيفما شاءت ، وتتبع المرعى أينما وجد .

وأصبح البدو فى أمن وفى سعه

يمشون فيما تشاء الشاه والجمل

اذا أحلت من الأوطان ما طلبت

فلا تسائل أنى تسرح الابل

بالله ثم بأهل الأمر آمنة

بأى دار سقاها الصيب الهمل (١)

ولا يفتا الشاعر يكرر هذا المعنى فى قصائده ، حتى يجعلك تعتقد أن ذلك هو المقصد الوحيد لأبناء هذه البلاد ، ولعل ما شاع قبل أيام الملك عبد العزيز فى البلاد ، من ظلم واستبداد ونهب وسلب ، حتى فى حدود الحرم الشريف ، جعل شاعرنا يهتم به ، ثم أن تحقيق الأمن فى الأرض المقدسة ، مطلب دينى فوق أنه يتيح لأولى الأمر ثقة العالم الاسلامى فيهم ، وقد كان ، فلقد أمن الوافدون الى البيت الحرام على نفوسهم وأموالهم واطمأنوا فى أدائهم لشعائر الاسلام ، لأن البلاد صارت فى حمايه رجل مؤمن قوى حازم ركز كل اهتماماته فى حماية الأماكن المقدسة وخدمة قصادها ، وفى ذلك يقول صاحبنا :

فطوقها رب العباد بأمنه

ولله فوق الصانعين صنائع

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٦٤ .

يراقبها عبد العزيز فأنـــــــــه
لمن يرتميها بالعــداوة رادع

به أمن البيت الحرام ومن أتـــى
اليه أمينا لم ترعه الروائــع

ويسكن هذا الثغر من كل حــادث
كما سكنت عن جانبية الزعــازع

سل الناس تنبيك الرواة بما تــرى
اذا اجتمعت فى الموسمين المجامع

نشأ فى الحجاز نشأة مقرنيـــــــة
تحررها للناشئين المطابـــع (١)

ب) اعزاز الدين ونصرته : أما اعزاز الدين ونصرته ، وانهاض أمــر الاسلام من كبوته ، وما يستتبع ذلك من محو معالم الشرك ،واعلاء كلمة التوحيد ، وافراد الله ــ تبارك وتعالى ــ بالعبادة والتقرب اليـــــه بالمحافظة على كتابه ، وسنة رسولـــــه فذاك الهـــــدف الأسمى الذى سعى اليه المصلحون ، مـــن أبنـــاء الاســـلام فى كل زمان ومكان ، وهو السبيل الذى وقف المخلصون جهودهم عليـــه والدعوة التى قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب ، وتبناها الأميـــر محمد بن سعود جد الملك عبد العزيز كانت دعوة دينية صرفة هدفهــا العمل على تخليص الاسلام من الشوائب ، وابرازه صافيا فى عزة واباء كشأنه أيام السلف الصالح ، واذا كان الملك عبد العزيز قد سار على هذا الطريق ، الذى سلكه أجداده من قبله ، فانه جدير بأن يمدح بذلك

---

(١) إبتسامات الأيام ص ٩٩ ٠

لذا نجد شاعرنا فى الأبيات الآتية ، يصور بعضا من جهود الملك عبد العزيز فى ذلك ، فيقول : انه ما قاتل الا ليرفع ما وهى من أمر الدين ، ولذا ترى النصر من الله يسير فى ركابه ، وهل أدل على ذلك من أن عدد جيشه كان فى موقعة «تربة» ثلث جيش عدوه ومع ذلك انتصر ؟ ، فنعم الجيش جيش عبد العزيز فما فتوحهم الا عز للدين وهدم للشرك ، والفساد ، الذى ولى وظهر الحق بانتصار جيوش الملك عبد العزيز ، وما ذاك الا ثمرة لجهاد هذا الرجل ، الذى دأب على نصر الدين بأبطال رباهم ، ونشأهم على الانقياد لأوامر الدين ، وبذل النفس والنفيس فى سبيله ، حتى أقام الله به معالم الدين بعد أن زالت الدواهى المعضلات عن الاسلام والمسلمين :

فصبحهم والله من كان قصده
ليرفع فى الاسلام ما كان واهيا

فاخواننا ثلث ولكن فعالهم
كأفعال حذار الأسود الضواريا

لعمرى لنعم الحى فى كل معرك
اذا اشتبكت بيض الضبا والعواليا

فولى دخان الكفر والحق ظاهر
على أهل بيت فى ربيعة عاليا

بسعى أمام قام للدين ناصرا
يجاهد بالأبطال من كان عاصيا

امام به للدين قامت معالم
يذود الأمور المعضلات الدواهيا (١)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ ــ ١٧ .

وأعزاز دين الله ونصرته فضلا عن كونه واجب كل مسلم ، فهو طريق الى الخير والبركة ونيل المجد والشرف ، ولذا فابن بليهد يحمـــــل المسافرين رسالة الشكر والثناء للملك عبد العزيز ، لأنه نصب سلاحه فى وجه الأعداء الذين نكبوا سبيل الدين ، المستقيم ، ولذا فلا عجب أن علا به الدين واشرق به وجه الاسلام ، فهو جدير بأن يهنأ بذلك ، كما أنه جدير بأن يرفعه الى أعلى المراتب والمنازل وما عزه الا عز لأمته ، وما عز أمته الا كسب وغنم له وللعالمين أجمع حيث يرفع الظلم ويخذل الظالمـــــــــون :

تحمل هداك الله منى رسالـــــة
الى الملك السامى رفيع المناقـب
امام أقام المشرفية والقنـــــا
يقاتل عن نهج الهدى كل ناكـب
امام به الدين الحنيفى قد عـــــلا
وأشرق منه النور فى كل جانـب
هنيئا لك العز المؤثل قد سمـــــا
يبلغك العلياء فوق الكواكــــب
ففيه لنا عز ومجد ورفعـــــة
به نكسب العلياء عند التخاطــب
وأن به للعالمين مكارمـــــــا
بانصاف مطلوب وخذلان طالب (١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٩ ٠

والثبات على هذا الدين والتمسك به ـ التزاما لنهج المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ أمر يستحق أن يمدح به من لزمة :

فان امام المسلمين خليفة
فما حاد عن نهج السبيل ولاعدا

يجدد من نهج الهدى كل دارس
وتابع ميمون النقيبة أحمدا (١)

وشاعرنا لا ينسى التأكيد على مسائل الدين والأمن والاستقرار ، حتى وهو يرثي الملك عبد العزيز بعد وفاته ، فان كل شيء قد بكى الفقيد ، فلقد بكته الكعبة المشرفة وقصادها حتى أعداء الاسلام بكوه كما بكته المساجد والمآذن ، ومجالس العلم ومدارسه ومسالك الأرض ، التى أمن فيها السالكين بحكمه القويم ، الذى قام على أسس متينة : من حكم الشريعة السمحة ، وتعاليمها المستمدة من الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ، فلا غرابة أن بكاه القرآن الذى كان يحفظه عن ظهر قلب ويتهجد به آناء الليل ويتلوه أطراف النهار :

بكته فى الحرم المكى كعبته
وقاصدوها ، بكى حتى أعاديها

بيوت ربى بكت وكل مئذنة
وكل روضة علم عز ناديها

وكل درب على حافاتها غرست
يمينه الأمن فاكتظت بساريها

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٩ .

والشرع يحميه حام في مرابعـــــه
حمى الحدود حدود الله يمضيهـا

كتاب ربك يبكي فيه حافظـــــــه
عن ظهر قلب وتبكي الآى تاليهـا

وتندب العرب فيه قائدا لمعـــــت
أفكاره كشموس في نواديهـا

والمسلمون بأرض الله كلهـــــــم
يبكون خادم بيت الله واليها (١)

جـ) ويبلغ التحمس للملك عبد العزيز وما اتسم به من صفات وأخلاق نبيلة مبلغة عند شاعرنا، فتتسرب اليه مبالغات بعض الأقدمين ، فيجعل حب الملك عبد العزيز من حب الرسول ، فمن كان في قلبه حبة مـن حب الرسول ، فانه يجب الا ينطوى على حقد على الملك عبد العزيـز بل عليه أن يحبه ، وذلك لأنه حمى الشريعة ونصرها وأرسى قواعدها بسيفه ورمحه ، حتى أمنت البلاد وحتى آن لمن عاش في ذل وخوف قبل عهده أن يعيش آمنا مستقرا ، في ظلال حكمه الذى قضى على الافساد والمفسدين ، فآن لنا أن نحمد الله على هذا الأمن والعدل ، الذى ظلـل البلاد عامرها ومقفرها ، باديها وحاضرها ، وانما المبالغة في البيت الأول من هذه الأبيــــات :

من كان في قلبه مثقال خردلـــــة
من حب احمد لا يطوى علـى دخل
يحب عبد العزيز ابن الكرام بمـــا
حامى على الدين من فتك ومنخلل

(١) ابتسامات الأيام ص ٥٣ ٠

حامى على السنة الغرا وجددهـــا
أرسى قواعدها بالبيض والأســل

وأيها المرتدى بالذل من حجـــج
نم فى جوار الامام العادل البطــل

نم فى جوار امام فى مهنـــده
مضارب تبعد الاعضا من القــلل

الحمد لله كل الأرض قاطبـــة
أمن وعدل بلا جور ولا ميـــل

يا نازلين بأرض لا أنيس بهـــا
دعوا سوائمكم ترعىِ مع الهمل (١)

د) وقدسية الكعبة والبيت الحرام ، وكون هذا المكان مقصد المسلمين أجمع يؤمونه من كل حدب وصوب ، ليؤدوا فريضة الله ، وليتنقلــوا بين المشاعر ، يؤدون ما أوجب الله عليهم على أتم وجه ، كل ذلـــك يتطلب أمنا يحفظ النفس والمال ، وحرية تمكن من أداء الواجب،وذلك ما لم يكن موفورا قبل‌عهدالملك عبد العزيز كما تصور ذلك قصيدة أمير الشعراء احمد شوقى (ضجيج الحجيج) التى يقول فيها :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الأمــم

فلما شاع الأمن فى ربوع البيت الحرام ، واطمأن قصاده وهم يؤدون مناسكهم ،رفع ابن بليهد عقيرته متغنيا بذلك الأمن ، الذى لبست بــه أم القرى ثوبـــا جديدا :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٠٥ .

وكانت به أم القرى مطمئنــــــة
بأمن وأهلوها سجود وركـــــع

كأن عليها حلة عبقريــــــــة
تناط بأركان أم صبح وترفـــع

وأصبح باديها مقيما بنعمـــــة
وأمنها والسيف بالسيف يقرع (١)

هـ) ويتعدى الثناء على الممدوح بنصره الدين الى أبائه ، وأجـداده ، وكأن الشاعر بذلك يريد أن يقول : ان النصرة للدين التقى فيهـــا المكتسب والموروث ، فآباؤه وقفوا سيوفهم وجهودهم على الدين وذلك كان شأن الممدوح أيضا فهو يخاطبه قائلا : (يابن الأماجد الأفاضـــل الذين قاموا بالدين كما أمر الله ، على ألسن النبيين والرسل فهـــم يذودون عن الشريعة بسيوفهم ورماحهم ، التى يحملها كل رحب الذراع المتأهب للحادثات لا يهابها مهما عظمت ، لأن فى ذلك ما ينشدونه من استقرار وأمن، يستوجب منا الحمد والشكر لله المدبر لجميع الأمور ٠

يابن الأولى وابن أمجاد غطارفـــة
القائمين بما جاءت به الرســـل

الذائدين عن السمحاء كـــل أذى
حماؤها السيف والعسالة الزبـــل

بكف كل فتى رحب الـــذراع اذا
ما نابها نائب أو حادث جلـــل

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ ٠

مشى لها جحفل فى يوم ملحمـــه

الا تشال بها الهامات والقلـــل

حتى استقرت جميع الأرض واتسعت

بساكنيها بها الأرازق والسبـــل

الحمد لله حمدا لانفاد لـــــه

هذا الأمان الذى يضرب به المثل (١)

و) الصدق والعدل : والصدق والعدل خصلتان حميدتان ، لا يقـوم الأمر الا بهما والملك عبد العزيز قد نشأ على هاتين الخصلتين ، ولذا لزم ذلك فى سيرته الحميدة التى ورثها من سلفه الصالح ، الى مـــا اكتسبه منخبرةبالحياة وأهلها ٠

لأن نشأتـــك الأولـــى مؤسسة

فى دوحة المجد لا فى اللهو واللعـــب

وسرت سيرتك الحسنى وقمت بها

بالصدق والعدل لا بالزور والكذب (٢)

واذا كان الممدوح قدنشىء تنشئة صالحة ،فان الأسباب القوية تمده من عند الله ويربطه بها حبل وثيـــق ٠

مكارم نشأت فيها سجيتـــــه

ولا يرى غير ادراك العـــلا طمعـــا

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٦٩ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٩٢ ٠

يمده سبب من ربه ولـــــــه

حبل من الله فى الحبل الذى تبعا (١)

العفـــــة والكـــــرم :

آ) أن أبرز معرض تتجلى فيه العفة والتسامى عن الرذائل والنقائص ، انما يكون حين تبرز المغريات وتكشف عن فتنتها الحجاب ، فالثبات فى وجه المغريات والتصدى للفتن وصدها ، والمحافظة على المعتقد الطاهر والموروثات النبيلة ، حال يستحق بها صاحبها المدح والثناء ٠

ولذا فان سعود بن عبد العزيز ولى العهد حين عاد من أوروبا ، فلم يظهر عليه أنه تأثر بما فى الغرب من عادات وأخلاق ، ولم تفتنهحياتها الصاخبة ، التى لا يحدها دين ولا تقيدها عادات وتقاليد فأنه جدير بأن يمدح بمثل قول ابن بليهد فى قصيدته التى نظمها بمناسبة عودة سعود مـــــن أوروبـــــا ٠

أتيتنا ياولى العهد من أمـــــم

شتى بها عرف الناقوس والبيع

أقمت دينك فيها غير مكتـــــرث

لما تفرقت الأديان والشيـــــع

وكل أس أذا سدت مخارجــــــه

فأنت فيه رحيب الصدر متسع (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٠ ٠
(٢) ابتسامات الأيلم ص ١٦٦ ٠

والتقاء العفة والتقى خير ما يمدح به ، والملك عبد العزيز قد جمع الأمرين معا ، على نحو لا يستطيع أحد أن يروم ما وصل اليه من خصال المجد ٠

قريب من التقوى بعيد عن الخنى
نهى النفس عن فعل الردى والمعائب
فيارائما فى المجد نيل خصاله
رويدك أقصر عن أمان كواذب (١)

ومن هنا فهو خير من ركب المطايا ، لأنه اوفى الناس حين تختلف الذمام وقد عرف فى الناس بذلك :

مليك خير من ركب المطايا
وأوفى حين تختلف الذمام
بنو الأملاك تعرفه جميعا
ولا تنسى محامده الأنام (٢)

ب) واذا ذكر الكف المعطاء فلانها تجود على الفقراء والمحتاجين ، وطرق الخير والصلاح والاصلاح أيا كانت ، وابن بليهد ، قد اتخذ من الدعوة الى مثل هذه الأعمال ، والاشادة بها ، ودفع الممدوحين الى سبيلها ، موضوعا لشعره ، ونحن لم نقل هذا اعتباطا ، ونعتسف اليه الطريق اعتسافا، وانما أقمنا حكمنا على الحقائق المستمدة من شعره ونقرأ أى قصيدة فنجده يكرر الحديث عن هذه المعانى والصفات ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٧ ٠

بألفاظ وأساليب مختلفة وان تقاربت ، ومن أجمع قصائده لتلك الصفات قصيدة في مدح الملك عبد العزيز عندما بعث البعوث الى حائل (١) ٠

وسنعرض هنا نماذج من ذلك توضح كثيرا من جوانب الكرم والجود ، التي وصف بها ابن بليهد ممدوحيه ، يصف ابن بليهد الملك عبدالعزيز بالكرم،وأنه بعطائه السخي يزيل الفقر عن المحتاجين ، وأن عطاءه لا يحصر ،ثم هو لا يدخر المال حين يقوم على جمعه الآخرون ولا يعرف أنه بخل بشيء اطلاقا سوى سيفه وحصانه ورمحه ، او الابل التي يعدها لجيوشه التي تجوب الأرض يمينا وشمالا ٠

وهذا استثناء وان كان المقصود منه مدح الممدوح بالشجاعة ، والتأهب للنازلات ، الا أنه ينقص في واقع الأمر من شأن المديح فالاستثناء هنا نقص من المعنى من حيث أراد الشاعر الزيادة :

قد تبذل المال سحا ما تضن به
مدا تزيل به عن مقتر قترا

كف سفوح اذا عدت محامده
وما أنال من الانفاق ما حصرا

اذا يقوم لجمع المال ذاخره
جادت أنامله بالبذل ما ذخرا

الا حساما وذيالا وسابحة
ومرقلات تطوف البر والمدرا (٢)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢ ـ ٣٨ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٣١ ٠

وفى قصيدة أخرى يمدح الملك عبد العزيز بأنه ينحر الابل للضيوف فى أيام الرخاء، كما ينحرها فى أيام الشدة دون أن يعير أهتماما لما قد يناله من جراء ذلك الانفاق ، وحين يجتمع الناس حول فنائه ويتكاثرون حتى ترهب الناظر كثرتهم ، فانه يجود على جميع أولئك بكف تعودت الانفاق ، حتى أن رمال (عالج) على كثرتها لو تحولت مالا لبددته تلك الكف ، التى لم تتعود أن تدخر عن سبيل الجود مدخرا ، وهذا خلاف المعنى الذى أشار اليه فى القطعة السابقة ، أى أنه استثنى أدوات الحرب هناك بينما أفاد هنا ، أنه لا يدخر شيئا بل أنه يعطى الابل مئات ولو كانت نفيسة ،فما عطاؤه للارامل الا كالغيث للارض،وفى خصوص الأرامل بالذكر ما يفيد أن الممدوح انما يعطى لأنه كريم ، لا لانه يرجو من وراء ذلك العطاء منفعه والا ما كان غيثا للارامل :

والناحر الكوم فى خصب وفى جدب
ولو يحل على أسقابها الضرر

اذا تواترت الوفاد واجتمعت
بالجانبين كأن الناس قد حشروا

أسدى اليهم بكف لو قبض به
كثبان عالج لم يبق لها صور

له يمين بسطها الله ما انقبضت
فللذخائر لا تبقى ولا تذر

الواهب المائة الأبكار ما أختلفت
بالناظرين لها ألوانها عفر

غيث الأرامل بالمعروف باكرهـــا
كما يباكر دار المجدب المطــر (١)

ويصور كرم الممدوح بأسلوب آخر يقول فيه : أن الجود قد ما تـوانقضى زمانه ولم يعد يجيب المنادين ، حتى دعاه الملك عبد العزيز فنهضـــس مبتسما ولباه مسرعا وهو يقول : أضافتنى اليك شمائلك وسجايـــاك الكريمة ، وهذا أسلوب فيه تشخيص للكرم وابرازه فى صورة الكائن الحى ، الذى يجرى له ما يجرى للانسان:من موت ، وحياه،وفرح وتكلم:

أرى الجود ميتا قد تصرم عهـــــده
ينادى وقال الجود لا أتكلـــم

فلما دعاه ابن الكرام أجابـــــه
وقام على أقدامه يتبســــم

وقال أضافتنى اليك شمائـــــل
لأن سجاياك العلى والتكــرم (٢)

ثم ينتقل الى الحديث عن المنعم عليهم وسؤالهم عن الملك عبد العزيــز وأعطياته ، لانهم لا يملكون الا أن يثنوا بما هو أهل له ، ولو أنهم سكنوا لأثنى الطريق بذلـــك :

وقلت لركب جاذعين لقيتهـــــم
سنستحدث الأخبار منا ومنكم

قفوا خبرونا عن أخ المجد والندى
اذا تستطيعوا للكلام تكلموا

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣ و٣٤، .
(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهلــــه
ولو سكتوا أثنى الطريق المقوم (١)

ثم يصف ذلك الكرم ، الذى لو نال الأموال التى تعب الجامعون فى جمعها لبدد شملها فى سبيل الحق والمحتاجين من المسلمين ، تنصب من كفــــه كالديم الهامية ، فيرفع اليها المعدمون أكفهم ، لعلمهم بانجادها لهم ، أو ليس وعشيرته الحاملين للديات والمغارم، اذا أثقلت أعناق الآخرين؟

فلو نلت مالا خلفته خلائـــــف
فذاك لأنصار الشريعة مغنـــــم

يفرقه كف به خلق النــــــدى
فلم يبق دينار ولم يبق درهـــــم

سفوح بغادى ديمة مقرنيـــــــة
يمد اليها الكف مثر ومعـــــــدم

فذلك حمال الديات عن الـــورى
اذا أثقل الأعناق فى الغرم مغــرم (٢)

العقـــــــل :

والحاكم العاقل : هو ذلك الذى يستطيع أن ينتزع الأحقاد مـــــن النفوس ، ويدفن الضغائن فيجمع الشمل ، ويوحد الكلمة ، ويزيـــل شبح الخوف والقلق وعدم الأمن ، وذلك مما يستتبعه اعزاز الديـــن ونصرته وتقوم عليه الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٨٠ ،
(٢) ابتسامات الأيام ص ٨٠ ٠

أرى العداوة ماتت وهى صاغـــــرة
ومات من موتها الثارات والذحل

وصاحب الوتر يمشى عند واتـــــره
كما مشى الذئب والجديان والحمل (١)

ويمدحه بما عرف به من فكر ثاقب ، ورأى سديد ، وعقل مدبر يضع الأمـــــور فى مواضعهـــــا :

لكن أبوهم بنى صلحا قواعـــــده
على الوفا وضعت خال من الكذب

يستنتج الرأى من افكـــاره دررا
تبقى خلاصتها أغلى من الذهـــب

اوحى اليهم به حتى اذا انقلبــوا
عن حسن منقلب فى خير منقلب

أمسى الحجاز مضيئا عند مقدمهم
جذلان يرفل فى أثوابه القشب (٢)

والقائد العاقل الحكيم ، هو ذلك الذى يكتم خبر وجهته ، كما كـــان المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يفعل ، فاذا كانت له وجهة ورى بأخرى ، وابن بليهد يثنى على الملك عبد العزيز بذلك فيقول :

فلا سواه اذا شدت ركائبــــــه
الى العدو مليك يكتم الخبـــــرا

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٩ ، ١٧٠ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٥٩ ٠

يزجى سريته عينا لرايتـــــه
يصطاد قائدها الاعيان والنـذرا (١)

والنجاح فى سياسة الأمور وتدبيرها ، انما هو صفة العاقل ، ولذلك فان ابن بليهد يثنى على الملك عبد العزيز بسياسته الحكيمة ، التـــى جمعت الكلمة فى بلاد كانت شديدة التنافر :

قاد الجميع الى الحسنى وعمهـــم
بنعمتين وبعض الناس ما شعروا

ساس الرعية من بصرى الى عدن
فلا تراءى بها الجرات والعور(٢)

والحلم من صفات العاقل ، واغترار الخصم به جهل وخطل ، وللخوف من نتائج اغترار الأعداء بحلم الملك عبد العزيز يحذره ابن بليهد فيقول

فلا يغرنهم حلم عرفت بـــــه
فلا تقيل بها عثرات من عثـــرا

لا ينكر الناس فضلا منك عمهـــم
الا كما تنكر السيارة القمرا (٣)

الشجاعـــــة :

واذا كانت الصفات التى أسلفنا الاشارة اليها ، قد شحنت بها جل قصائد ابن بليهد ، فان أحاديث الشجاعة لم تخل منها قصيدة واحـدة

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٩ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٢ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٣١ ٠

من قصائده ، ولم يقصر الحديث فيها على شجاعة الممدوحين وحدهم بل كان يتحدث عن شجاعة الجيوش التى كانوا يقودونها ٠

ففى قصيدته التى مدح بها فيصل بن عبد العزيز ، يوم أن قاد الجيش الى عسير ، وصف شجاعة ذلك الجيش واندفاعه الى الحرب واقتحامه لميادينها غير هياب ولا فرق ، حتى أوقع بالأعداء من الهزائم ما كان يشبه الهزات الأرضية ، التى تلقى الأوعال من رؤوس الجبال :

ثم يعطي صورة أخرى للجيش فى اندفاعه ، فيشبهه بالسيل المنحدر من الوادى العظيم ، يقذف الأشجار الضخمة عن طريقه يمينا وشمالا ٠

أبادهم رجفة كادت زلازلها
في الأرض تلقى من الأطواد أو عالا

على يدى فيصل تفصيل أمرهم
كساهم من لباس الذل سربالا

أتاهم بجنود فى جوانبها
ضمت سلاحا ورايات وابطالا

ساروا سراعا الى ادراك ثأرهم
والحرب قد أشعلت فى الأرض اشعالا

اذا أتوا مثل سيل الواد ملتطما
ينفى على جلهتيه الطلح والضالا

ما أصدر البيض من هام العدا أبدا
الا وقد أخذت علا وأنهالا (١)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٢ ٠

ويستمر في وصف الجيش عدة وعتادا ، ليخلص من ذلك الـــى الحديث عن شجاعة القائد الممدوح بعراقة نسبه ، وأنه كان الى شجاعته ماهرا في اصطفاء جنود جيشه ، وتخيرهم من الأبطال الممتازين الذين يستطيعون السير معه فيما يقطع من المفازات الموحشة والمهامه المترامية دون أن يصيبه كلال ولا ملال ، ودون أن يجنح للراحة والنوم :

قل قم ترقب لها تحدى ململـــة
جيشا وخيلا وتحنانا وتصهـــالا

يقودها بطل من بيت مملكـــة
أزكى ربيعة اعماما وأخـــوالا

ويصطفى من بنى الأخيار كل فتــى
ويصطفى كل زاكى الأصل مفضالا

ويقطع الأرض لو أضحى القريس اذا
بها ولو لمعت غيطانهـــا آلا (١)

لا يطعم البرد (٢) من اجفانه أبـدا
الا يسامر نجما كلمـــا مـــالا

ويجتنى الصبح من عقبى جريرتـــه
مذله ورآى جرمـــا وانكـــالا

ويمدح الملك عبد العزيز ذاكرا شجاعته وبسالته ، لكنه يشرك جيشه جيشه معه على نحو ما صنع في المثال السابق فيقول أنه يقود الجيشــ الذى يوجهه في سبيل الله هنا وهناك يلف فيه السرايا بالسرايـــا ،

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٣ .
(٢) البرد هو النوم قال الله تعالــى :(لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) سـورة النبــأ الآيه ٢٤ .

فلنعم الجندهم ، ولنعم الخيل خيلهم ، تمضى الى المعركة كجلامد هوت من أعالى الجبال ، عليها رجال لا يعرفون الفـــرار والانهـــزام ، فاعجاز خيلهم على الرماح حرام ، واذا كان الطعن ففى النحور وتلك صفة الشجعان الذين يطيرون لليوم العبوس مسرعين مستبشرين لأن سعيهم فى رضا البارى ـ تبارك وتعالى ـ ٠

لكنه يخص الملك عبد العزيز بالأبيات الأخيرة فيصفه بأنه حامـى الحقيقة باسل جواد كريم ، لم يملك الملوك ألا أن يسلموا له بالرياسة والســـيادة ٠

يجر خميس الزحف شرقا ومغربـــا
بأى مكان فى رضا الله يعمـــل

يلف السرايا بالسرايا وقومـــه
على خير حال فى رضا الله أبسل

لعمرى لنعم الجند فى كل معـــرك
أعدوا لأيام القتال وأجملـــوا

على كل قباء اذا يفخروا بهـــا
نماها من الأنساب جد ومخـــول

منعمة يجبى لها كل ناعـــم
تعلل من صاف الضريب وتنهـــل

جياد اذا حل الجلاد كأنهـــا
جلامد طود من ذرا النيق تنـــزل

فلا لمست أكفالها أسل القنـــى
محرمة أعجازهـــا وتحلـــل

على الطعن لبات السبايا لأنهـــا
يطبق أيديها من الدم مقتـــــل

اذا ذكر اليوم العبوس رأيتهـــــم
سراعا ويمضى جحفل ثم جحفــل

يريدون وجه الله لا شيء غيـــره
ومنزلة يرضى بها المتنـــــزل

يقودهم حامى الحقيقة باســـــل
شجاع ولا باب الندى منه مقفـــل

أمام أطاع الله واستسلمت لـــــه
ملوك حواها من ذرى العز معقل (١)

كرم الأصـــل والنجـــار :

ويتحدث الشاعر عن : كرم الأصل والنجار ، وعراقة الحسب والنسب ونزاهة المنشأ والمنبت ، كهوامش وحواش لما يدعو اليه ، وحوافـــز ووسائل استماله لمن يدفعه بشعره الى تحقيق الغاية ، التي أراد هو من مدحــــــه ٠

فمن ذلك قوله فى مدح الملك عبد العزيز :

ليث تفرع فى عدنان منســــبه
عالى الفروع اذا بعض الورى قعــدوا

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٢ ٠

أزكى ربيعة ان عدت مكارمـــــه
للسائلين ففى أنواعها عبـــــر (١)

ويبالغ فى مدحه فيجعل ربيعة تسمو به ، فى مثل قوله :

عبد العزيز الذى تسمو بطلعتـــــه
عليا ربيعه فى الأبكار والأصل (٢)

ويمدح سعود بن عبد العزيز ، فيقول : ان بطون قحطان لو علمت أنك من عدنان لرفضت الانتماء الى القحطانية ، وانتمت الى العدنانية ٠

فلو علم الشيخان أد ويعـــــــرب
بأنك من عدنان ما سمحت أد (٣)

وقديما عيب ذلك على بعض الشعراء ، اذ الأصل فى مثل هذا عنـــد العرب أن يفخر بالآباء أولا ، ثم الأبناء ولا يرد هذا بقول القائل :

وكم أب قد علا بابن ذرا شـــرف
كما علا برسول الله عدنـــــان

فان ذلك قليل على أى حال ٠

وقد يتراجع حينا عن مثل هذه المبالغات ، فيقول : أنه لولا رســول الله ، لفخرت ربيعة مضر لانتماء آل سعود الى ربيعة ٠

وان قيل يأتى من ربيعة سيـــــد
منيف على رضوى فأنت المســـود

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٠٥ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٦٤ ٠

فلولا رسول الله فى كل محفـــــل
هو الفخر فى الدنيا وفى الحشر سيد

لأضحت مضر تعتليها ربيعـــــة
بآل سعود والعلامات تشهـــــــد

بما جاورت من رتبة المجد فيهـــم
وكان لهم فى برج كيوان معقـد (١)

غير أنه ينسب آل سعود حينا الى ربيعة ، وحينا الى شيبان كقوله وهو يصف ممدوحه بالكـــــرم :

ضيفا لأروع من شيبان سدتـــــه
ينتابها عصب من بعدها عصـب (٢)

● السياسة والهجاء فى شعره ●

السياســـــة :

لم يشهد قلب جزيرة العرب وبخاصة «نجد» أى نوع من أنـــواع النفوذ الاستعمارى ولم تشهد تلك الأرض من المعارك السياسية مثلمـا شهده كثير من أجزاء الوطن العربى الكبير «كمصر والشام» ، ذلك أن قلب جزيرة العرب قبل كشف النفط ، واتجاه العالم الاستعمارى الـى استغلال الثروات الطبيعية ، والصناعية فى البلاد المستعمرة لم يكـن فيها مطمع للمستعمرين ، وساعد ذلك أن الجزيرة كانت من الفقر بحيث لا يرجى فيها نفع ، ثم أن العصبية القبيلية فيها ، لم تكن لترضـــى

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٢٠ ٠

بالنفوذ الاستعمارى ، ولم يكن الاستعمار يتوخى النفع فيها ، مقابل ما يبذله من أجل السيطرة عليها ·

وحين لم يجد ابن بليهد استعمارا ، أو قوى اجنبية يصارعها ، على أديم بلاده في جزيرة العرب ، لم يكلف نفسه الحديث عن قضايا الوطن العربى الأكبر ، الذى كانت جل أجزائه تصارع الاستعمار اذ ذاك : فتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والشام كانت تصارع الفرنسيين ·

و «مصر والعراق ، والسودان ، والاردن ، وعدن» كانت تدافع الانجليز ومن قبل ذلك كانت «تركيا» فى الشام والعراق وسواحل الخليج العربى» ·

فلم يتحدث عن شيء من ذلك اللهم الا قضية «فلسطين» التى ذكرها فى احدى قصائده التى لم يحوها الديوان ، وهى التى ودع فيها الأمير فيصل بن عبد العزيز حين سافرالىاوروبا سنة(١٣٥٧هـ ١٩٣٨(١)

فلقد شغل الحديث عن «فلسطين» أكثر من نصفها ،غير أنه كان حديثا يشبه العرض التاريخى لحكم العرب فى «فلسطين» حاول فيه : أن يثبت قدم العرب هناك واسبقيتهم فى تعمير «فلسطين» ، كما حاول نفى أى حق لليهود فيها ·

فبعد ستة عشر بيتا ودع فيها فيصل بن عبد العزيز وابنه عبدالله بدأ الحديث عن «فلسطين» ذاكرا أن ذلك السفر كان دعوة من القبلة الأولى وما يليها ، بعد أن أشتد بها الحزن ، وآلمها البكاء ندبا لما ضاع من مجدها ، الذى امتلات به كتب السير والتاريخ ، ولقد ادعى اليهود ملكيتها وأنها دار أبائهم لكن هذا زور وبهتان وكذب على التاريخ ·

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ٧٣٦ جـ ٣(٣٠ ذو القعدة ١٣٥٧ هـ ـ ٢٠ يناير ١٩٣٨م) ·

فأهل «فلسطين» ـ فى حقيقة الأمر منذ أبعد الأزمنة ـ هم العمالقة والكنعانيون ثم الحميريون ، وهؤلاء من العرب النازحين من الجزيرة ·
وبقيت قضاعة تحكم فلسطين وما يليها من بلاد «الشام» ، حيث كانت حضارتهم وحيث استقرت حكوماتهم ودولهم ·

ففلسطين من قبل وجود اليهودية والمسيحية فيها ، كانت عربية وكذا من بعدهم حيث كان الغساسنة وأمراؤهم الى أن ظهر الاسلام ، فظلل حكمه العادل ـ فيما ظلل ـ تلك البلاد ، التى لبست حلل الاسلام ، ومن دلك الزمان لم تتغير حالها الا لتستقيم ، ولم يتبدل أمرها الا ليعود أجمل وأقوى ·

ومن هنا لم يكن غريبا أن يلبى العرب دعوة «المسجد الأقصى» حين دعاهم ، فلقد لباها قبلهم أجدادهم من يمنيين ومضريين ·

وما كان هذا النداء ، وما كانت تلبية ذلك النداء ، الا لأن «فلسطين» دار مملكة للعرب من سالف الأزمنة ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهى تتقلب فى حكم عربى تنتقل فيه من قبيل منهم الى قبيل أخر ، فليس لليهود فيها شبر ولا موضع قدم ، فسلام على تلك العصور الزاهية ، التى ظللت بحكمها العربى «فلسطين» ، التى عندما ندبت العرب لكشف محنتها ، كانت «نجد والحجاز» فى مقدمة الملبين المؤيدين بالقول والعمل ، ووراء اشارة زعيمهم ورائد نهضتهم ·

دعتهم القبلة الأولى بأجمعها
وربعها بين معمور ومندثر

تبكى بدمعة محزون يرق لها
بنو ربيعة والأمجاد من مضر

ومن بقى من بنى الأذواء تندبــه
أهل الجياد وأهل البيض والسمر

تذكرت سيرا تبقى محاسنهــــا
تاجا على كتب التاريخ والســير

قالت يهود نشت فيها أوائلهــا
وتلك أبناؤنا باقون فى المــدد

ما نسمع الزور والمين الصراح ومــا
قالت يهود كقول الكاذب الأشــر

أما بنوها فعملاق وأسرتـــه
وآل كنعان أهل المجد والظفــر

وبعدهم حمير سادت بنوه علــى
كل القبائل من تيما الى البحــر

أضحت قضاعة فى تلك البلاد وفــى
مشارف الشام لم ترحل ولم تســر

تبنى القصور وتحميها وتمنعهــا
بالسيف من حادثات السهل والوعر

قبل ابن مريم فيها الملك متســق
بين الأعارب فى البادين والحضر

وبعده وطدت غســان مملكــة
باق لها عزة فى جبهة الدهــر

تسلسل الملك دهرا خالدا ومضــى
فى آل جفنه أهل المجد والفخــر

حتى أتى الله بالاسلام وافتتحـــــت
تلك البلاد بوقت المرتضى عمــر

ومدباعا طويلا فى جوانبهـــــا
وسار فيها بوقت ناعم نضـــــر

دين صحيح حنيفى يقام بهــــا
شعاره الحق محفوظ من الكـدر

من ذلك الوقت ما سارت ظعينتهـــم
بين المهامه والانجاد والغـــور

أوطان ما خضعت الا لأولهـــم
على ممر ليالى الدهر والشهـــر

وان دعا المسجد الأقصى غطارفـــة
فأنت وأبناءهم تمشى على الأثر

يدعو بزيد وعمرو والأميــــن
أبا عبيدة المرتضى للمأزق الخطر

وخالدا خلد التاريخ سيرتــــه
والقائد اليمنى فى منهج النعـــر

وما فلسطين الا دار مملكـــــة
للعرب من سابق الدنيا الى الحشر

تغلبت حقبا فى كف مالكهـــا
ان كان منتزرا أو غير منتزر (١)

---

(١) منتزرا أو غير منتزر : نـزارى أوغير نزارى ٠

ما لليهود بها شبر تحـــل بـــه
أهدى السلام على الماضى من العصـــر

فما كبار الزند من نجد وما قصرت
من الحجاز حبال الورد والصـــدر

ترى أشارة مأمول تراقبـــــــه
فكم جلا عقبات العسر باليســـر

فابن بليهد اذن لم يساهم فى القضايا العربية العامة بغير هذه القصيدة ولم يجد نفوذا أجنبيا فى بلاده يدافعه .

صحيح أن الشريف فى الحجاز كان يلقى دعما من بريطانيا ، كالذى كان يلقاه ابن رشيد من الدولة العثمانية ، غير أن بريطانيا كانـــت حذرة ، فقصرت دعمها على المال والسلاح ، الذى كان منه عشر طائرات حربية منحتها الشريف ، بينما لم يكن لدى ابن سعود طائرة واحدة .

وأما تركيا فقد تجاوزت المال والسلاح ، الى الامداد بالرجال الذين كان جلهم من العراقيين ، لكن رجالها لم يستطيعوا الثبات ، لأن سندهم كان ضعيفا ، ثم ان جيش ابن سعود فتك بالكثيرين منهم ، حتى آلم ذلك شاعر العراق «معروف الرصافى» الذى رأى أبناء وطنه يقتلون فـــى حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل ، فهجا الدولة العثمانية وابن رشيد الذى أمدته بالجيش ، والجيش الذى يحاربه ابن رشيد .

من هنا كان شعر ابن بليهد السياسى مقصورا على ما كان بين ابن سعود وأعدائه المباشرين ، مثل قوله عندما ، اتفق الشريف مع ابـــن رشيد ، وابن صباح على حرب ابن سعود ، فاستنهض الشاعر الجيش السعودى بقصيدة ، كان جلها فى مدح الملك عبد العزيز ، عالج فـــى

أبيات منها ذلك الخلاف الذى كان بين هؤلاء الرؤساء الثلاثة وأتباعهم على نحو فضل فيه الملك عبد العزيز وجيشه على غيرهم ، لأنهم اتبعوا نهج الرسول فيما دعا اليه ، وأن غيرهم قد ضلوا ونهجو سبيل البدع والجهل ، ولذا فهو يحذرهم من هذا المسلك ، الذى اشبهوا فيه الضالين من قبل عهد المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ٠

ففى الناس من للصالحات موفق
يطيع لما قال الرسول ويقبل

وفيهم أناس أثبتوا كل بدعة
فكم جاهل فيها يقول ويفعل

فيا أهل بطن الواد مامنكم الذى
سلوك على نهج الهدى يتحمل

أرى الناس فى بحر العمى قبل أحمد
أطاعوا لمن يغوى الأنام ويضلل(١)

ثم يلتفت الى الملك عبد العزيز فى آخر القصيدة ، ليقول له بلسان الجيش : اننا متوكلون على الله فى كل حال ، فقد الجيش متوكلا على الله الذى لا يلجأ الا اليه ولا يسأل سواه ، وشمر الى الحرب بعزمك الذى عرفت به أنت وأجدادك ، وأبشر بالنصر عند التحام الجيوش ، لأن جيشك مكتمل العدة والعتاد ، فهو منصور لأنه ملتزم نهج المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ٠

ففى كل حال أن ألم ملمة
فانا على رب السما نتوكل

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١ ٠

توكل على الله الذى ليس غيـــره
لنا ملجأ نلجو اليـــه ونســأل
فشمر بعزم مقرنى وهمـــــــة
تضمنها نحو السماكين منـــزل
فقدها وأبشر بالحروب بفرحـــــة
اذا التحمت عظماؤها تتسهل (١)

الهجـــاء :

الهجاء فن عربى قديم ، عرف فى الشعر العربى من أقدم عصوره ، وكان يختلط بالشعر القبلى ، الذى يشيد بأمجاد القبيلة ومناقبهـا ، ويرفع من شأنها ، ويحط من شأن أعدائها فيهجوهم ، ويعدد مثالبهـــم ونقائصـــهم .

ثم كان يختلط بعد الاسلام بشعر الأحزاب والطوائف ، ثم بالشعر السياســـى (٢) .

وعلى أنه كان كثيرا ما استقل كغرض قائم بذاته ، ولذا وضع له علماء العربية أصولا يلتزم بها ويسير وفق منهجها ، وجعلوا الخروج عليها خطأ ، ودليل عدم خبره فى هذا الميدان ، وهذه الأصول هى الضد للاصول ، التى وضعوها للمد ح .

يقول أبو هلال العسكرى : (والهجاء أيضا اذا لم يكن يسلب الصفات المستحسنة التى تختصها النفس ، ويثبت الصفات المستهجنة التـــــى تختصها أيضا لم يكن مختـــارا .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤ .
(٢) فى رأيى أن شعر شعراء القبائـــل والأحزاب ما هو الا شعر سياسى ، يضيق حينا ويتسع حسب أوضاع المجتمع النابت فيه .

والاختيار أن ينسب المهجو : الى اللؤم ، والبخل ، والشره وما أشبه ذلـــــــك ٠

وليس بالمختار فى الهجاء أن ينسبه : الي قبح الوجه ، وصغر الحجم وضئولة الجسم ، يدل على ذلك قول القائل :

فقلت لها :ليس الشحوب على الفتى
بعار ولا خير الرجال سمينها) (١)

(وكذلك عند قدامه يجب أن يكون بسلب الفضائل التى تختصـــس بالنفس ، وبأثبات أضدادها من الصفات المستهجنة ، فيسلب الشاعر عن المهجو : العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، وينسبه الى ما يقابلها من مثل : الجهل والحمق ، ومثل : الشره والدنس ، ومثل:الظلم والبخل ومثل : الضعف والخور ٠

ومثلما وجب ألا يتجه المديح الى ما يليق بأوصاف الجسم : مــــــن الحسن ، والبهاء والزينة ، وجب ألا يتجه الهجاء الى : قبح الوجه ، أو صغر الحجم ، أو ضآلة الجسم ، أو قلة العدد ٠

واستدل أبو هلال على وجهته هذه بأمثلة من الشعراء ، نفـوا أن يكون الشحوب عارا ، والسمن خيرا ، وقلة العدد منقصة) (٢) ٠

ولقد التزم ابن بليهد هذه الأصول والقواعد فى شعره ، فلم يهج بالقبح ولا بالقصر ولا بغيرها من الصفات الحسية والخلقية ، وانمـا نزع فى هجائه الى الصفات الخلقية والمعانى النفسية ، فكان يهجـــو

(١) الصناعتين ص ١٠٤ أبو هـــلال العسكرى مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٥٢ م
(٢) نصوص نقديه ص ١٧١ ، ١٧٢ د٠محمد السعدى فرهود مطبعة دار الطباعـــة المحمدية سنة ١٩٧٥ م ٠

بالطغيان ، والبغى والغواية ، والرضا بفعل السفهاء والأشـــرار ، واسلام الأنصار للمهالك دون مبالاة سوى أن ينجو بنفسه ، كما يعير بالهزيمة مشيرا فى ذلك الى القادة بأسمائهم زيادة فى الاهانة والتحقير

فان اجتماع الحي يوما يسرنـــى
كما سرنى قتل الطغاة البواغيـا

غوى غاو أغوى من الترك عصبـــة
على شر حال واستذل البواديـا

محا الله من كانت بريحان داره
اذا كان أفعـــال الخبيثين راضيا

فلما التقى الجمعان صاح لقومـــه
وأسلمهم للموت اذ كان دانيـــا

فما همه لما حوى الموت قومـــه
فلست ترى منهم على الأرض باقيا

فما همه الا لانجاء نفســـه
تغشى متون الصافنات النواجيـا

فمن مبلغ فخرى أن نظامـــه
تزعزعه هوج الرياح الذواريـــا

ففازوا بقوم باشة الكفر فيهـــم
ومقدمهم شحاذ فيهم وضاريا (١)

ويعير بالغدر ونكث العهد، ويجعل ذلك سببا فى هلاك الغادرين الناكثين

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ ، ١٦ .

أعرابهم غدروا غدرا يحيط بهـــم
من بعدما نكثوا لربهم عهــدا (١)

كما يعير بالفساد والتمرد ،واللؤم والتكبر وانه سبيل الهلاك والضياع كما أن اللؤم من صفات الجاحدين للمعروف :

فوالله ما يرميك بالشر والقـــــلا
من الناس الا فاسد متمــــرد

تردى رداء الكبر يحسب أنـــــه
رشيد وفى حالاته كيف يرشد

اذ قال انى قد نجوت فقل لـــــــه
رويدا فان اليوم يتبعه غـد

وبالكبر خلى رب غسان ملكـــــه
وأمسى عن الاسلام ينأى ويبعـد

فلا يحمد المعروف الا أولو النهى
وأما لئيم الناس للفضل يجحد (٢)

كما يهجو بفراغ العقول الذى يتسبب ، فى تسربل المتصف به بسربال الـــــذل :

تبا لأهل العقول الفارغات وقـــد
غشاهم من لباس الذل سربـــال (٣)

ويعير القادة باجابة دعوة السفهاء فيقول :

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦ ·
(٢) ابتسامات الايام ص ٦٩ ·
(٣) ابتسامات الأيام ص ٨٢ ·

علم الله أن فيكم رجـــــالا
ان دعاهم سفيه قوم أجابـــوا (١)

ويعير بقرع الطبل والتصفيق والزمر ، وأن ذلك خـــلاف لنهـــج المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ ، وأن عملهم لم يبن على أسس ، وأنهم يخونون الجار ويبيحون حرمتـــه ٠

لا تحسبوا قصبات السبق في مضر
الى المكارم لولا صاحب الغـــار

لكن سلكتم طريقا غير سنتـــــه
لعبا بطبل وتصفيق ومزمـــــار

بنيتموا عملا كانت قواعـــــده
على شفا جرف من تحته هـــار

لا يأمن الجار منكم عند غفلتـــــه
وقد أبيحت لديكم حرمة الجار (٢)

ويقـــــــول :

أتاه من الاخوان علم فســـــره
على كسر أصحاب الخنا والمزامر (٣)

على أن ابن بليهد لم يكن يتجه في هجائه اتجاها فرديا ، أعني أنه انما كان يوجه سهام كلماته الى الجماعات ، ولم يكن يشير الى الأفراد الا

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١١٧ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٣٣ ٠

قليلا ، والجماعات التى كان يهجوها هم أعداء الملك عبد العزيز ، ثـم أنه لم يعنون بالهجاء قصيدة واحدة ، وانما جاء الهجاء ممتزجا بشعره السياسى فى ظل عنوان المديح ، أى أن هذه الأغراض الثلاثة قـــد تشابكت وتلاحمت فى قصائده ، يغلب أحدها تارة ويضعف أخرى ولم ينفرد واحد منها عن الآخرين خلا المديح الذى انفرد بقصائد قليلة (١) ولم يكن يجنح الى الهجاء الشخصى ، الا فى تلك الاشارات الخاطفةالى أعداء الملك عبد العزيز ، كقوله فى هجاء حامد بن رفادة :

فحامد وبنوه تحـــت رايتهـــم
ينوشهم كل ذى نــاب ومنقـــار

أشقى بليا والمرايا ملفقـــة
ومن تجمع من بـدو وحضـــار

فى موقف وقف الموت الذعاف بـــه
هناك أقضى لباناتى وأوطـــار

فما سباع تريم من ترائبهـــم
ولا النسور التى فيها بضمـــار

من كل ذى لمة لمت ضفائرهـــا
على التراب دماء فيضها جـــار

لم يبق من ابل البغى التى لقحـــت
بالأردنية من عين وآثـــار (٢)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ١١٦ .

فهو يعير ابن رفادة وبنيه بهزيمتهم ، وأن جثثهم باتت طعاما للسباع والنسور ، وهذا المعنى كثير فى شعره،لا يكاد يذكر الحرب الا ويصحبه هذا المعنى ،ثم يعيره بخطل التدبير وخطأ التقدير ، وأنه بذلك جر الشقاء على تلك القبائل التى قادها ، لمعركة فيها هلاكها لوقوف الموت فيها ماثلا فى سيوف ورماح جيش الملك عبد العزيز ، التى تركتهم طعاما للسباع والنسور ، التى سمنت وامتلات أجسامها من أكل لحومهم

وفى البيت الخامس يرسم لك صور شعورهم المضفرة ، وقد لم ما تشعت منها الدم بعد سقوطها ، ثم يؤكد فناء الجيش فى صورة بيانية معبرة ، حيث يستعير لها الابل التى أهلكها أن لقحت بآراء الزعيم المقيم فى الأردن ٠

ثم يلتفت الى الشريف الذى جهز جيش ابن رفادة ، وسيره من عمان بشرقى الأردن الى قتال جيش الملك عبد العزيز ، فيعيره بعدم الشهامة وأنه جبن عن ميدان الحرب خوفا من أن يشهد ذلك المصير البشع الذى شهده من قبل ، فآثر القعود فى الأردن حفاظا على نفسه ٠

يا باعث الجيش من عمان ترسله
ان كنت شهما ففارق دمنة الدار

حتى ترى النكبات السابقات لكم
تعاد فيكم بايراد وأصدار (١)

وأبن بليهد فى ترفعه عن الهجاء الشخصى وتنزيه شعره منه ، انما يصدر فى ذلك عن قيم وأخلاق فرضها عليه منشؤه ووضعه واقتداؤه٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٦ ٠

فقد نشأ فى مجتمع ينفر كل النفور من الهجاء الشخصى، والمهاترات الفردية ترفعا وتدينا ٠

ثم هو نديم الملوك والأمراء ، ومجالسهم لا يليق بها الا نزيه كلام ٠

وقدوته فى نظم الشعر وأستاذه فيه الشاعر الكبير محمد بن عثيمين الذى قال حين سئل عن سر خلو شعره من الهجاء :

(الحمد لله ٠٠٠ أنى لم أهج أحدا قط مهما بلغ فى من الاساءة ، وهل تظن أنى تركت الهجاء عجزا ؟ ، كلا : ان الشعر آلة وأداة يصرفها الشاعر كيف يشاء فى فنون الشعر وأغراضه ، وهل من العسير على من يستطيع أن يقول : عافاك الله ، أن يقول : أخذاك الله فى الوقت نفسه ؟) (١)

غير أن أبن بليهد لم يلتزم نهج أستاذه التزاما كاملا ، ذلك أن أبن عثيمين قد نكب طريق الهجاء الشخصى والعام ٠

أما ابن بليهد فقليل من قصيد المدح عنده خلا من الهجاء ، كما أنه فى بعض منها قارف شيئا من الهجاء الشخصى (٢) ، على نحو ما أسلفنا فى هجائه لابن رفادة ٠

ومثله قوله فى هجاء الشريف حسين :

اذا مدت الأيدى الى الجهل والهوى

فباع حسين فى الضلالة أطول

(١) مقدمة ديوان ابن عثيمين ـ العقد الثمين ص ١٦ ٠
(٢) ستأتى نقيضته التى هجا فيها «على امام» فى الموازنات ٠

تفكر فى الأقطار طرا فــــلا رأى
له ملجأ ينأى اليه ويرحـــل (١)

غير أن ذلك النوع من الهجاء ليس شخصيا ، بالمفهوم الكامــــل ، اذ أن هجاءه للشريف او ابن رشيد أو غيرهما لم يقصد فيه الشخص ذاتــه ، وانما الهدف من ذلك الكتلة التى يمثلها والاتجاه السياسى الذى يسعى له ويدعو اليـــــه ٠

وحين سجن فى المدينة المنورة عام ١٣٤١ هـ ٠ بأمر من «شريف مكة» لم يزد فى هجاء شخص ساجنه على قوله :

حتى أتى الأمر من تلقى رئيســهم
وأثبتونى برأى الشارب الثمل (٢)

فلو كان ميالا الى مثل ذلك ، لكان له من عرض الشريف فريسة ، خاصة وقد ناله شخصيا من السجن والايذاء ، ماقد يعتبره مسوغا وعاذرا فــى الهجـــــاء ٠

الرثـــــاء :

يقع الرثاء فى المرتبة الثانية بعد المديح عند ابن بليهد ، ولكنــــه لا يشكل جزءا كبيرا فى شعره ولا يشغل مساحة هامة فى ديوانه ، فعدد قصائده فى الرثاء تسع ، منها فى الديوان (٣) سبع قصائد رثى فيها زوجته ، وأربعة من العلماء : هم عبدالله بن عبد اللطيف آل الشـــيخ رثاه بقصيدتين ، وابراهيم بن عبد اللطيف ، وعبدالله الســـيارى ، والرابع ابن عمه عبدالله بن سليمان البليهد ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٧٢ ٠
(٣) ابتسامات الأيام ص ٢٤٣ ـ ٢٦٣ ٠

كما رثى صديقين : أولهما الأمير خالد بن محمد آل سعـــود ، وثانيهما : ابراهيم بن على بن مهنا .

أما القصيدتان الثامنة والتاسعة : ففى رثاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وأبيه ، الأولى نشرت فى صحيفة أم القـــرى ، والثانية أمدنى بها الشاعر أحمد ابراهيم الغزاوى .

وقبل القاء الأضواء على الرثاء عند ابن بليهد نومىء فى كلمـــات الى هـــذا الفـــن :

من المعلوم أن الرثاء غرض أصيل فى الأدب العربى ، وهو قديم فى الانسانية قدم المشاعر والاحساسات للابانة عما تطفح به حيال فقـــد الأقـــارب والمحبيـــن .

ولذا تفننت الانسانية فى صوغ مشاعرها واحساساتها حيال مصابها وكان للعرب فى ذلك القدح المعلى ، والسهم النافذ على أنه يندرج فى الأدب العربى تحت اسم الرثاء،الى أن قسمه الدارسون الى ثلاثة أقسام الندب . التأبين . العزاء .

أما الندب فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت ، ومن ذلك بكاء من ينزل من نفس الشاعر منزلة الأهل والأحباب ، كرثاء الشيعة ورثاء المواطن ونحو ذلـــــك .

أما التأبين فبكاء الأعلام من العلماء والسادة وأولى الشأن ، وهو هنا أشبه بالثناء والمديح ، لأن فيه ذكرا للمناقب ، والصفات ، والخلال والسمات الي ما يتضمنه من لوعة وحرقة وحسرة ، ولولا هذا لكان فى باب المديـــــح .

وأما العزاء فمرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، اذ ينفذ الشاعر فيه الى الحديث عن حقيقة الموت والحياة ، وقد ينتهى به الى معان فلسفية عميقة ، تجوب الوجود والعدم ، والقضاء والقدر ، ونحو ذلك ممـــا تثيره أحداث الفناء والوجود فى نفس الشاعر (١) •

ولم يفرق العرب فى مراثيهم بين : الندب ، والتأبين ، والعزاء بل كانت عندهم خليطا من هذا وذاك •

غير أن أقل الأمور الثلاثة نصيبا فيها هو العزاء ، حتى نزل القرآن الكريم فعمق العقلية العربية ، ووسع ميدان التفكير فيها ، فارتفـــع نصيب العزاء الذى ظل ينمو بنمو العقلية العربية •

غير أن المرثية العربية ظلت تجمع الندب والتأبين والعزاء معا ، وقد ينفرد أحدها الا أن ذلك قليل ، والسر فى هذا أننا معشر العرب قوم ركب فى طباعهم منذ خلقوا ، العاطفة الانسانية، المشحونة بالشفقة والرحمة ، والشعور الشديد بآلام الآخرين ومتاعبهم ، وسرعة التعاطف مع مشاعرهم واحساساتهم ، كان ذلك أيام الجاهلية ، فجاء الاســـلام ليعمق هذا الشعور بتعميق معنى الأخوة ، وربط الاحسان بالجزاء فى الآخرة ، الى ما يناله المحسن فى الدنيا نفسيا وماديا من جزاء ، وزاد دلك تعميقا ارتقاء العقلية العربية ، لتطور الفكر العربى نفسه ، ثـــم اتصاله بالأمم الأخرى وامتزاجه بهـــا •

وننظر فى شعر الرثاء عند شاعرنا ، فنجده لا يختلف عما عرفناه لدى شعراء العصر المملوكى ، وأخريات العصر العباسى •

---

(١) انظر الرثاء ص ٦،٥ الدكتـــورشوقى ضيف (اصدار دار المعارف سنـــة ١٩٥٥ م •

ولنأخذ على سبيل المثال مرثيته لزوجته «ساره» التى تزوجها كما يقال عن حب ، ثم فقدها وهى تضع جنينها الأول ، أى قبل أن تهدأ نار حبه فماذا قال فى رثائهـــا :

تصرمت الأواصر والرمـــــام
من الدنيا وهل يغنى الكـلام

فما بعد الذى لولا لقـــــاه
لما سارت بنا الابل الكـــرام

ولا أمت برحلتنـــا بـــــلادا
قديما حسب ساكنها غـــرام

كأنى والـذى حجــت قريـــش
له بين المشاعر واستقامــوا
سليم ما ينام الليل طـــــرا
وكل الناس قد هجعوا وناموا

كأن الرزء علق فى فـــــؤادى
قطاة حين أفلتها القطـــام

يقول الركب ان الموت حـــــق
فمن خلفت أدركه الحمـــام

فما للظاعن المفقود فيهـــــا
مبيت فى البلاد ولا مقـــام

ففى بطن الثرى قد أودعـــــوه
الى من لا يراء ولا يضـــام
سيفتح من جنان الخلد بابــــا
ونورا ينجلى عنه الظـــلام

عسى قبر أقام به وحيـــــدا
يغاث وكلما انسكب الغمــام

عليه العفو ينصب انصبابـــــا
من الرحمن ما بقيت شمــام

ويسقى باردا عذبـــا زلالا
بكاس كلها ذهب وجــــام

ومخضر الجنان بجانبيــــــه
وللازهار ضوء وابتســــام

ويملا قبرها مسكا وروحـــــا
تنفس فى جوانبه الختــــام

هنيئا للقبــور وساكنيهـــــا
بما أهدى لها الشهر الحـرام

فعند الله احســان ولطـــــف
نفوس المؤمنين لها احتــرام

فان كان الذى فى المهد طفـــــل
بأيدى الحاملين لــه بغـــام

لعل الله يكـــلاه بعطـــــف
وعين فى البريـــة لا تنــام

فأما أمها من حــور طيبـــــى
حياء أو بهاء أو قـــــوام

وأما دهرها نصـــف صــــلاة
ونصف فى هواجرها صيــام

صحبنا أنسهم دهرا طويـــــــــلا
ولكن آن منـــه الانصـــرام

أبنت الأكرمين أبوك هـــــــود
وجدك خالد وأبوه ســـام

فما منهم على البيداء بـــــاق
ولا فى بطنها منهم عظـــام

ولكـــن ليس ينسينيك شـــىء
ولو نسيت مصائبها الأنـام

فمن شطب الى اكتاف تيمــــا
مصيبات أواخرها عظـــام

رعاك الله بعدى من فقيـــــــد
عزيز لا يباع ولا يســـام

ولكن المنون لها سهـــــــام
أصابتها مع الغدر السهـــام

بأمر الله ما هبت ريــــــاح
وما غنت على الفنن الحمـام

وفى حل مدى الأيام منــــــى
فما للجرح بعدكم التـــآم

بنفس ما يطيب لها شـــــراب
على شحط المزار ولا طعـام

فما لى بعد رحلتكم مـــــــراد
بتلك الدار يذكر أو مـــرام

فألقيت الحقائب عن ركابـــــى
على الشعرا وساكنها السلام (١)

هذه هى المرثية وهى كما نراها ملتزمة للموضوع ، فهو فى الأبيـــات الثلاثة الأولى يخبر بموتها فى حسرة وحرقة ، وألم ، وأن كل صلة له بالحياة بعدها قد انصرمت ، فلم تسير به الابل وقد فقد الذى من أجله كان يسيـــــر ؟ .

ثم يخبر فى الأبيات من ٤ ـ٦ عن حاله حين أعلم بالفجيعة ،فيقسم أنه بات كالسليم الذى لدغته الحية ، فهو محروم من النوم على ما هو فيه من الآم وأوجاع ، وان المصيبة تضرب كبده كضرب القطاة بجناحها وهذا معنى قديم ومنه قول الشاعر القديـــم :

كأن قطاة علقت بجناحهـــــا
على كبدى من شدة الخفقان

ثم يتحدث فى ثلاثة أبيات عن الخبر وكيف وصل ويفصل فيه ، وكأنه يريد أن يستوضح أمرا أو يجلو شكا فى ذلك .

أخذ بعد ذلك يدعو لها أن يفتح عليها باب الخلد فى قبرها ،ليمتلىء ضياء ونورا ، كما دعا لقبرها بالسقيا من رحمة الله ، وأن تسقـــى عذبا باردا بكئوس الذهب والجام ، وأن يتحول قبرها الى روضة من رياض الجنة ، تبتسم الأزهار فيه مضيئة ، وأن يمتلىء بالمســـــك والرياحين الطيبة ، وذلك فى ستة أبيات .

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٥٤ .

ثم هنأ الموتى فى قبورهم بوفود زوجته عليهم ، ثم عطف بعد ذلك على طفلها الذى ماتت وهى تضعه ، فيرجو من الله أن يكلاه بعين رعايته ويهيىء له من الناس عينا تسهر للعناية به ٠

يعود بعد ذلك الى الحديث عن زوجته الفقيدة ، فيتصورها من حور الجنة فى حيائها وبهائها وقوامها ، ويذكر عملها فى الدنيا ، وأنها كثيرة الصيام كثيرة الصلاة ، ويخبر فى لوعة وتحسر أنه قد صحبها ، ولكن اين تلك الصحبة ؟! لقد حال الموت دونها ، ويحاول أن يعزى نفسه ، بأن الأجداد هود وسام وغيرهما سلكوا طريق الموت الذىسلكته الفقيدة ، ولكنه لا ينسى مصيبته فيها ولو نسى الناس جميعا مصائبهم٠

وكانت العادة فى مجتمعه أن يدعو الحى للميت ، وأن يحله مما قد يكون له عليه من حق وبخاصة الأقربين ، ولهذا أحلها حلا يدوم ما دامت الأيام ، ثم يخبر أن الجرح الذى تركته فى قلبه لن يلتئم مدى الدهر وأن الشراب والطعام لن يطيبا له بعدها ، ولذا لم يعد له مرام بالشعرا ولا بساكنها ، فانه قد ألقى رحلة بعيدا عنها ، فهو يلقى السلام عليها وساكنها ٠

على أنه لم يثبت على هذا فقد ذهب الى الشعرا وتزوج بأخت زوجته ، ولعله بذلك كان ينشد ما ألفه فى فقيدته ، فى التى هى أقرب الناس الى الاتصاف بصفاتها أختها ٠

ويخيل لك من أبياته أن عاطفته جمدت أمام مصابه ، وأنه يعتسف الطريق الى التعبير عنها أعتسافا ، والواقع أن العواطف قد تجمد ٠ اذا قدحت المصيبة ، وتشل الاحساسات والمشاعر ، فيعجز اللسان عن الابانة وتموت الكلمات على الشفاه ،

ولولا أن ما حواه ديوان ابن بليهد من الرثاء كله ، يسير على هذا النمط لقلت عنه ذلـــــك .

ان شعر الرثاء في ديوانه كله ، لا يرقى الى مستوى الحديث ، ولا يعبر عن عظم المصيبة ، ففى أولى مرثيتيه للشيخ عبدالله بن عبــد اللطيف (١) ، نرى نصيب الرثاء فيها أبياتا معدودة ، فقد بدأها بذكر الديار الدوارس،والأطلال الروامس وهذا مذهب غير مقبول فىالرثاء ثم أخذ فى سرد الكثير من خلاله وصفاته ، حتى اذا أوفى على نهايــة القصيدة ختمها بمدح أبناء المرثى ، ثم الصلاة على النبى .

أما نصيب الرثاء فأبيات تتخلل القصيدة ، لا تتجاوز عدد أصابع اليدين على الرغم من أن القصيدة بلغت (٦٤) بيتا، على أنه قد رثى الشيخ بقصيدة أخرى مخمسة (٢) بلغت (٢١) مقطعا وتكاد تكون أجود مافى الباب وأكثر القصائد التزاما بالموضوع (٣) ، ثم ان فيها تــــرى العاطفة مشبوبة أكثر ، حتى من مرثيته لزوجته ، ومثل ذلك يقال فى مرثيته للامام عبد الرحمن بن (٤) فيصل حيث لم تختلف أسلوبــا وتصويــــرا عما حواه الديــــوان .

خذ مثلا قوله فــى مطلعــها :

أقلوا بالملامة أو أطيلــــــوا
فما يغنى البكاء ولا العويــل
فما يغنى البكاء بسفـــح حجر
اذا حان التفرق والرحيــل

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٤٣ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٤٧ .
(٣) انظر القصائد المحللة فى الفصــل الثانى من الباب الرابع .
(٤) صحيفة أم القرى العدد ١٩٩ جماداول سنة ١٣٤٧ هـ .

فما يغنى البكاء اذا بكينـــــا

وما يغنى القريض وما نقول

ألا ترى كيف كرر المعنى فأعاد وأبدى فى هذه الأبيات الثلاثـــة دون جديـــد ؟ •

على أنك حين تقرأ له مرثيته فى الملك عبد العزيز، التىلم يتضمنها الديوان أيضا ، فانك تجد نفسك عند قراءتها مشدودا الى براعة ابن بليهد فيها ، فقد بلغ الذروة فيها احساسا وشعورا وابداعا وتصويرا ، حتى يخيل لك وأنت تقرؤها أنها سلت من فم البارودىأو حافظابراهيم فلعل ذلك راجع الى ما طرأ على ثقافة الشيخ ،من تغير وتبـــدل نحو الارتقاء والاجادة ، بعد سفره الى «مصر» واطلاعه على دواويـن الشعراء المعاصرين ، الى ما اكسبته رحلته من اتساع مداركه وتنوع ثقافته ، نتيجة أطلاعه على كتب الأدب والنقد الحديث ومخالطتـــه المثقفين ، وذلك ما نلمس أثره فى جميع مصرياته •

على أن جودة الأسلوب والتصوير والعمق ، فى ابراز المشاعـــر والاحساسات عنده ، قد بلغت الذروة فى هذه المرتبة ، التى يبدؤهـا بتساؤل عما دهى المنية ، فأصبح ليس يكفيهاما تلقيه الأحداث والحروب فى فمها ، حتى تتخطف أعلام البلاد على الرغم من حب الناس لهـــم وتعلقهم بهـــم •

ثم يصور المنية وقد هجمت الملك عبد العزيز ، فى صورة حيوان ضخم شرس طويل اليدين ، جثا على فريسته ، ولف ذراعيه من حولها

تيها وتفاخرا أن تمكن من القضاء على هذا الفارس ، الذى دان لـه الزمـــان :

ما للمنية أمسى ليس يكفيهـــا
ما ألقت الحرب والأحداث فى فيها

حتى تخطف أعلام البلاد علـــى
رغم النفوس التى ظلت تفديهـــا

أرى المنايا بضخم من كلاكلهـــا
ومستطيل عنيف من أياديهـــا

جثت وعضت على قطب الزمان وقد
لفت ذراعين منها حوله تيهـــا

ان حطمت صارما دان الزمـــان له
وخافه فى الدنى القاصى ودانيها (١)

● الغـــــزل ●

كان ابن بليهد وليد عصر ، يرى فيه علماؤه أن الشعر عبث لا يليق بالعالم ، وأنه مضيعة للوقت ، وأولى للعالم أن يرتفع عنه وأن ينزه لسانه عن الخوض فيه لنهى القرآن والسنة المطهرة عنه ، ثم ان الكثير ممن امتهنوا سبيله كانوا من المتطرفين ، ولو كان فيه خير لما نزه الله تبارك وتعالى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه ونفاه عنه بقوله تبارك وتعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) (٢)

وبيئة هذه نظرة علمائها الى الشعر ، لا ينتظر منها أى تقدم ، فى الحياة الأدبية أو انتاج لأى عمل أدبى مجد ، واذا كانت هذه نظرتهـم

---

(١) أوراق مخطوطة ٠
(٢) سورة يس الآيه ٦٩ ٠

الى الشعر بعامة ، فاننا لا ننتظر منهم أن يجيزوا لاقلامهم أن تتنـــاول الغـــــزل أيا كـــــان •

ولقد أسلفنا فى صدر بحثنا هذا ، أنهم قصروا شعرهم على ميدان الدعوة وما يتصل به ، من مدح زعمائهم ورثاء من انتقل منهم الـــــى رحمـــــة اللـــــه •

ولقد تتبعت تتبع أستقصاء كل ما قالوه لأظفر بشيء من الغـــزل المستقل ، فما ظفرت من ذلك بشيء اللهم الا ما نظم صاحبنا مما سنشير اليـــــه مستقبـــــلا •

وهذا الغرض الأصيل فى الأدب العربى ، كان حريا بأن يجد ولـــو زاوية صغيرة فى ألسنة شعرائهـــم •

ومن هنا يتضح لنا أن ابن بليهد ، فى غزله أتى بجديد على بيئته وان كان قليلا من ناحية،ومن ناحية أخرى من نظمه فى أخريات أيامه•

ويمكننا أن نقسم الغزل عند ابن بليهد الى قسمين : نسيب • غزل أى تشبيـــــب •

أما النسيب : فمسلك سلكه شعراء العرب فى مقدمات قصائدهـم ، حتى ما كان منها ينشد بين يدى المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام كصنع كعب بن زهير ـ رضى الله عنه ـ فى مطلع قصيدته : بانت سعاد ••• وكصنيع حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فى قوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريـــدة
تسقى الضجيع ببارد بســام

على أن ابن بليهد لم يكن في هذا من المكثرين ، اذ كان في جل بمقدمات قصائده يتحاشى هذا ، وكان في أغلبها يبكي الدمن والأطلال دون أن يشير الى ساكنيها،من الأخلاء والأحباب على الرغم من شيوع النسيب في مقدمات شعر معاصريه ، كالشاعر الكبير محمد بن عبدالله بن عثيمين صاحب النفس الطويل فيه وفي قصائده عامة .
يقول ابن عثيمين في مطلع احدى قصائده ، التي بلغ النسيب فيها ٢٠ بيتا :

ضمان على أن الغرام طويل
اذا شحطت دار وبان خليل

أقول لنفسي حين جد بها الأسى
نهيتك عن ذا والفريق حلول

فأما وقد جازوا الغميم ولعلعا
وحالت حزون دونهم وسهول

فبرد جوى قلب أطيل عليله
بفيض دموع في الجفون تجول(١)

والشيخ سليمان بن سحمان في مثل نسيبة الآتي :

أهاجك أم أشجاك رسم المعاهد
معاهد أنس بالحسان الخرائد

الى أن قال :

برهرهة كالشمس في يوم صحوها
منعمة تسبي نهى كل ماجد

---

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين - دار المعارف بمصر من ص ٣٧١ الى ص ٣٧٤ .

فلو كلمت شيخا بطاعة ربــــه
مديبا عليها جاهدا غير حائد

لا صبح مفتونا بها ومولعـــــا
وخال رشادا أن تفى بالمواعد (١)

وكأحمد بن مشرف وأمثالهم : ٠

فلعل شاعرنا ــ رحمه الله ــ كان يتحاشى مثل ذلك فى قصائـــد يلقيها بين يدى الملوك والأمراء ، الذين هم بجانب زعامتهم السياسية من زعمــــاء الديـــن ٠

لكن كيف يتحاشى ابن بليهد هذا ، وقد سبقه عليه ابن مشرف وابن سحمان وابن عثيمين ، وهم جميعا من العلماء الى جانب أنهم كانــوا يلقون تلك القصائد ، بين يدى أولئك الزعماء أو أمثالهم من أبائهــم أو غيرهـــم ٠

وفوق ذلك كله أنشد شعراء الرسول ــ صلى الله عليه وسلـــم ، النسيب بين يديه ، فهل يعد ذلك ضعفا فى شخصية صاحبنا ، وعـــدم ثقة بمركزه أمام الممدوح؟أو أنه ايغال فى المجاملة ومبالغة فى التدين؟

هذا وذاك كلاهما محتمل وان كان شك لا أرتاح اليه ، لكن مثلــه يقوم فى النفس حيال هذه الظاهرة فى شعر شاعرنا ٠

ومما يسترعى انتباه الباحث أن عناية الرجل بالنسيب ، انما كانت فى أول عهده بالشعر من ذلك مطالع قصائده الثلاث (٢) ٠

---

(١) عقود الجواهر المنضدة الحســان ــالشيخ سليمان بن سحمان ــالمطبعة المصطفوية ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ٠

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٥ ، ١٣٦،٤٨

والتي يقـــول في أولهـا :

تغير رسم الدار أصبح خاليـــا
فليس بها حي يجيـــب المناديـا

عفى رسمها من وابل المزن رائــح
وآخر معهاد من المزن غاديـا

فلم يبق الا موقد النار حولـــه
رواكد أمثال الحمام بواقيـا

أسائلها عن أهلها أين يممـــوا ؟
وهل يسألن من لا يجيب سؤاليا ؟

منازل حى طالما حل سوحهـــا
أوانس آتراب حسان غوانيهـا

تداولها ذارى الرياح واقفـــرت
على طول مرات السنين الخواليـا

خليلى عوجا يسلو القلب ساعـــة
بتذكار من يهوى اذا كان نائبـا

فان اجتماع الحى يوما يسرنـــى
كما سرنى قتل الطغات البواغيا (١)

الغزل : أى التشبيب ، كان الشعر العامى الذى أولع به ابن بليهد يطفح بالغزل ولم يعرف شاعر من شعراء العامية كبيرا أو صغيرا ، مقل أو مكثر ، مشهور أو مغمور ، الا له فى شعر الغزل سهم قل أو كثر ،ولم

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ ٠

يكن ذلك بالخافى على ابن بليهد ، كما لم يخف عليه ما للشعر العربى فى هذا من رصيد لم يوجد له مثيل فى شعر شعراء الشعوب الأخرى ٠

وحين تنظر فى شعر صاحبنا ، نجد أن نصيبه من ذلك قليل ، فكل ما وجدناه منه قصيدتان ومطلع قصيدة قالها ، وهو شيخ على رأس الستين لسان حاله يردد مع الشاعر القديم :

وماذا يبتغى الشعراء منى
وقد جاوزت حد الأربعين

أو قول ابن بليهد نفسه فى احدى غزلياته :

وما أنا الا فى هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى

أما ما قبل الستين من عمره ، فكل ما عثرنا عليه قصيدتان بالعامية اوردهما فى آخر شعره العامى بالديوان (١) ، فهل يعنى هذا أنه لم ينظم فى الغزل سوى هذا ؟أو أنه نظم ولكنه لم ينشر لسبب أو آخر٠

هذا وذاك محتمل غير أن ما يضعف ثانى الاحتمالين ، نشره لبعض من غزلياته العامية والفصيحة ٠ على أن ما رواه ذوو الشاعر من أن الكثير من شعره غاب عن يده ساعة اعداد الديوان للطبع ، ولم يعرفوا عنه بعد وفاته شيئا ، يمكن أن يدفع الضعف عن الاحتمال الثانى ٠ والله أعلم ٠

ومادمنا لم نصل من الغزل عنده الا الى ما ذكرنا ، فسنعرض للحديث عنه فى هذه المجالة ٠

---

(١) انظر غزله العامى فى الفصل السابع من الباب الثانى ٠

في عام ١٣٧٠ هـ ٠ وقد أوفى على الستين من العمر ، نظم قصيدتين غزليتين في ممرضتين كانتا تشرفان على علاجه هو وصديقه العساف ، وذكر أن سبب نظم هاتين القصيدتين طلبهما ذلك منه ومن صاحبه العساف ، الذى كلفه أن ينظم له لأنه لا يجيد نظم الشعر ٠

يقول ابن بليهد في الأولى :

رأيت غزالا في الضحى كامل الوصف
كوتني بنار في فؤادى وفي كتفي

فأما التى بالكتف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللطف

تفاءلت من كفي سعاد سعادة
وفائزة فوزا فطلعتها تشفي

خليلي هل تأسو المراض خريدة
بقامتها الهيفاء سهم من الحتف

لعمرى ما دائي سوى نظراتها
وبلسمي الشافي لديها وما أخفي

وقد عالجوا نصفي بكف رقيقه
وبالسحر من عينيهما أهلكوا نصفي

اذا طفقت كلتاهما في علاجها
رأيت المنايا من أمامي ومن خلفي

وما أنا الا في هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفي (١)

(١) ابتسامات الايام ص ٢٧٢ ٠

وغزله هنا تقليدى يعنى بالحسيات أكثر من المعنويات ، كما هو شأن الغزل عند العرب قديما تغلب فيه الحسيات على ما هو أجدر ، وهو المعنويات وهو ما يجب أن يكون عليه الغزل من تصوير لرقة المشاعر والاحساسات وحسن العشرة ونحو ذلك ٠

ومن الخطأ أن يقال عن عزلة : أنه مصطنع متكلف استنادا الى كبر سنة (١) ، فما أكثر القلوب التى تنيف على الستين وهى محتفظة بشبابها ، وأقرب مثال من أولئك من الشعراء شاعر العروبة والاسلام احمد محرم ـ رحمه الله ـ وقصته مع حبيبته «رفقة» معروفة(٢) فكيف نستبعد هذا عن صاحبنا ؟ ، على أنك ترى أثر التكلف والتصنع فى القصيدة الثانية دون الأولى ، ولا ريب فقد نظمها على لسان صاحبه وفيها يقول :

اذا دعوناك فأهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهربا خبر؟

أما محمد قد زالت شكيته
وليس فى كتفه مما شكا أثر

قال احترز من غزال كلما طلعت
فليس فى عودها طول ولا قصر (٣)

---

(١) اشار الى قول عبد العزيز سليمان فاضل فى بحثه (الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد) ص ١٦ حيث قال : (فلم يكن نابعا عن عاطفة صادقة ، لأنه فى أخريات حياته يعانى من مرض خطير) ٠

(٢) انظر شاعر العروبة والاسلام احمد محرم ٠ تاليف ابراهيم الجيوشى مطبعة السعادة الطبعة الأولى من ص ٨٨ الى ص ٩٥ ٠

(٣) ابتسامات الايام ص ٢٧٤ ٠

تصيب الشيخوخة البدن ، فتتمدد الكدنة ، ويبيض الشعر ، ويتقوس الظهر ، لكن القلب عند الكثير يظل شابا ينبض بكل معانى الحيوية والنشاط ، يظل الفكر حيا نشطا ، وتظل العاطفة مشبوبة وتبقى المشاعر والاحساسات ملتهبة متأججة ، لا تكاد تتاح لهافرص التعبير عما يعتلج داخلها ، حتى تتدفق كالنهر فى قوة وصفاء ·

ذلك شأن قلب شاعرنا ، الذى يحمل معانى الشباب والحيوية داخله حتى اختاره الله ، ذلك القلب الذى أملى عليه مثل قوله :

عيون المهابين الجزيرة والنهر
اعدن لقلبى سالف العهد والذكر

ولقد ذكر لى ابن اخيه أنه نظم قصيدة فى لبنان جيدة ، وأنهم لم ينشروها لما كان فيها من غزل ، وحين طلبتها ادعوا ضياعها والله أعلم·

وفى تهميشات أستاذنا الدكتور محمدالسعدىفرهودعلىمسودةهذا قال :

« أنه يرى أن الصناعة فيها مطلوبة للمجاملة لا للمغازلة» ·

وهذا جائز أيضا ، وان كنت أرتاح الى ضده لما أحسه وأنا أقرأ أبياته ، من ظلال تلوح وراء الكلمات والعبارات يكاد ينطق بانبثاقة عن حب صادق مكين ·

الوصف :

هو الكشف والاظهار ، وليست هذه الدلالة اللغوية المجردة هى مقصدنا هنا ، بل الوصف الأدبى الذى يتناول كل ما يراه الأديب ، ويحسه من مدركات حسية أو معنوية ، معتمدا على الخيال وصدق

التعبير ، وأداته فى ذلك اللغة ، وهذه الأداة هى جوهر الفرق بين الرسام والأديب .

وانما ينشأ هذا الوصف نتيجة العاطفة المنبعثة من الأعجاب والاكبار بما يراه أو يحسه الأديب فيلونه بما تمليه عليه احساساته ومشاعره وميوله ، وبقدر ما يكون التأثير يكون التصوير .

غير أن العمل الأدبى الوصفى ، لابد أن يحمل فى ثنايا عباراته وتصويراته انعكاسات ذلك على نفس الأديب ، التى تودع فيه ما امتازت به خصائص وسمات وطباع وعادات .

(ولما كان هذا الفن واسعا يتناول كل شىء ، كان أسلوبا متنوعا كثيرا،فوصف الحسيات غير وصف المعنويات ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة ، ولغة الأصوات المدوية تغاير لغة الألوان الزاهية ، وفوق ذلك لا يخلو من الوصف ، فهو فى الحرب حماسة ، وفى الجمال نسيب ، وفى الفضائل مديح ، وفى الحزن رثاء ، وهكذا تجد الشعر الا أقله راجعا الى باب الوصف ، يختلف أسلوب الوصف اذا باختلاف ما يوصف فهو جزل قوى فى وصف الحروب وأصوات الطبيعة وحوادثها المفزعة ، ولين سلس فى وصف العواطف الرقيقة ، حبا ، وعتبا واعتذارا ، ولهوا ، وطربا ، ورائع جذاب فى وصف البروق اللامعة والكواكب النيرة ، والأزهار النضرة ، والأنغام الحلوة ، والجمال كيف كان) (١)

والوصف مجال الخيال الشعرى دون ريب ، والشاعر الوصاف مصور يعنى بتناسب الظلال وتناسق الألوان ، حتى يكفل لفنه الجمال والسمو .

---

(١) الأسلوب ـ احمد الشايب ص ٩٠ ، ٩١ مطبعة النهضة المصرية .

(والشاعر الوصاف ظلاله والوانه الخيال الشمرى ، فان توافر له أنطق معانيه بالروعة، التي يأخذ جمالها القلوب وتغلغل الاحساسات)(١)

فأجود الوصف ما يستوعب أكثر معانى الموصوف ، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك) (٢) وذلك ما نرتضيه فى الوصف وأساليبه وطرق تنـــاوله ·

وحينما نتحدث عن الوصف فى الشعر كغرض مستقل ، فاننا نعنى ذلك النوع من القصائد ، التى استهدفته غرضا ، ولم يأتها عرضـــا ، ومثل هذا النوع من القصائد انما كثر فى العصر الحديث ·

صحيح أنه وجد فى أيام العباسيين فى المشرق ، ولدى الأندلسيين بالمغرب وصحيح أن جذورا له نبتت فيما قبل ذلك مثل قصيدة الحطيئة التى وصف بها الأعرابى الفقير ، الذى فكر فى ذبح ابنه عندما لم يجد زادا لضيفه، ومثلها قصيدة النابغة فى الحية غير أن هذا نادر وذاك قليل

ثم أن القصيدة العربية كانت تتشابك فيها الأعراض وتتداخـــل ، وكان الوصف فى الأغلب يشغل فيها جزءا كبيرا ، وان لم يكن الغرض المقصـــــــود ·

من هنا نجد أن الذين عمدوا من المعاصرين الى تقليد الأقدمين ، كانوا ينهجون فى قصائدهم ذلك المنهج ·

ولقد سار صاحبنا ابن بليهد على هذا النهج ، فهو فى مدحه ــ مثلا قد يصف الأطلال والدمن ، أو الناقة أو المفازة ، أو الجيش أو المعركة، أو الممدوح وسجاياه وخلاله من : كرم ، وشجاعة ، وحزم ونحو ذلك ،

(١) حافظ ابراهيم ــ ماله وما عليه ــ دكتور محمد كامل جمعه ــ مكتبة القاهـــرة الحديثه سنة ١٩٥٩م ·

(٢) الصناعتين ــ لأبى هلال العسكــرى ص ١٢٨ مطبعة عيسى الحلبى سنة (١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م) ·

وقد يأتي بوصف ذلك كله أو بعضه في قصيدة واحدة . وقد يحـــاول التفصيل في وصفه ، لكنه لا يعطيك الصورة الكافية لما يصف .

ومن ذلك وصفه لحادث هجوم الزيديين الثلاثة على الملك عبـــد العزيز ، وهو يطوف بالكعبة المشرفة ، وكانوا قد كمنوا له في حجـــر اسماعيل داخل المطاف ومعهم خناجرهم ، فلما فجئوه دفع ابنه سعـــود نفسه ، ليحول بينهم وبين أبيه فأصابوه اصابة بالغة الا أن الله أنجـاه منها ، فأمسك الطائفون بالزيديين وقتلوهم .

وفي وصف هذا الحادث وما جرى فيه قال ابن بليهد :

اليوم تفترق الركبان بالخبـــر
عن حادث الأمس بين الحجر والحجر

على تقى وفي أرض مقدســـة
في جيرة الله محفوظ من الخطر

فأبطل الله كيد الكائدين ، وقـــف
أمام زمزم وأنظر مقتل النفـــر

قاموا من الحجر والرب العزيز يرى
عبد العزيز بيوم الحمد والشكـــر

يستغفر الله في اليوم العظيم وفـــي
أرض تصان عن الأدناســ والضرر

أموه تلمع في الأيدى خناجرهـــم
في رابع الشوط هذى أكبر العبـــر

زيدية عقدت بالغدر حيلتهـــم
عن معتمد فاجر أو فاســـق أشـــر

فعبرت عن ولى العهد همتـــــــه
كأنه الليث عند الـورد والصـــدر

من دون حرز بنى الاسلام كلهـم
يجيرة الله عند المأزق الخطــــــــر

أما الزيود فسيف الله أهلكهـــم
كذلك الغدر لم يبـــق ولم يـــذر

ثلاثة قتلوا قتل الكلاب فمـــــا
نالوا سوى العار فى الدنيا وفى الأخر

فتم باقى طواف الحج يتبعـــــه
سعود قد شملوا بالعز والظفـــر

فبعد ذاك وذا ساروا وغرتـــــه
كأنها خلقت من غرة القمـر (١)

فهو يبدأ قصيدته بالاشارةالىأن خبر اعتداءالزيدية علىالملك عبد العزيز خبر مهم ستنقله الركبان ويرويه الناس بعضهم عن بعض لأنه اعتداء وقع ، أولا : داخل البيت الحرام وفى ظلال الكعبة المشرفة بين حجر اسماعيل والحجر الأسود وثانيا : أنه اعتداء على تقى قام لله فى بيت قال البارى تبارك وتعالى فيـــــه :

(ومن دخله كان آمنا) (٢)،ثم يصف مصرعهموأن ذلك كان أمام زمزم

وقد تعجل هذه الصورة فى وصفه قبل أن يتم وصف الحادث ، فلعله أراد أن يبعث الاطمئنان فى النفس ، ولو أنه أجل الحديث عن مصرعهم

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٢) سورة آل عمران الآيه ٩٧ .

الى أن يفرغ من وصف حادث الاعتداء ، لكان ترتيبا منطقيا ، ومقبولا أكثر من الوجهة الفنية ، ولكنها خواطر الشاعر لا تخضع الا لنظامهافى تواردها وتواترها على لسان الشاعـــر •

ولقد عاد فى البيت الرابع ليستأنف وصف الحادث ، وأنه وقع فى أرض مقدسة ، وأنهم كانوا قد كمنوا له فى الحجر ، حتى اذا فرغ من تقبيله الحجر الأسود وأستأنف الشوط الرابع من طوافه خرجوا اليه من مكمنهم ، وخناجرهم تلمع فى أيديهم لانفاذ ما أمروا به من أمامهـم الزيدى ، لكن الله أبطل كيدهم ، فلم ينالوا اربا ، ولم تصل خناجرهم الى الملك عبد العزيز لان الله حافظه ،ثم أن ابنه وولى عهده سعود ، الذى كان يطوف بجانبه هجمهم كالأسد ، لصدهم أو تلقى طعناتهمفداء لأبيه وحين فرغ من ذلك عاد الى وصف الزيدية ومقتلهم ،وان ذلك لم يعق الملك عبد العزيز وابنه سعود عن اتمام الطواف ، والواقع أن هنا مغالطة للواقع ولولا أنه ساقه مساق الخبر لما آثرنا التنبيه عليه ، وان كنا لا نمنع الشاعر من المبالغات ، لكن ليس الى حد الكذب ، ولا يشفع له فى ذلك قول الأصمعى : «أعذب الشعر أكذبه» (١)

صحيح أن الملك عبد العزيز قد أتم طوافه ، أما ولى العهد سعود فان الاصابة كانت بالغة ، ولولا عناية الله ثم المبادرة بالعلاج لما نجا •

واذا كان قد تناول الوصف فى ثنايا قصائده هنا وهناك ، فانه قد نظم فى الوصف قصيدتيـن :

احداهما : فى وصف الذئب وساعات قضاها واياه ومطلعها :

وذئب جسور الخطو غير مجـرب
لفعلى ولم تمسسه بعد قناتى

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبـــه دارالمعارف بمصر سنة ١٩٦٦ م •

وقد غرة منى سكوتى واننـــــى
من البرد قد لفت على عباتى (١)

والقصيدة الأخرى وصف فيها حلوان «بمصر» وحدائقها والقطار الموصل اليها ، وهو فى هذه القصيدة يدنو كثيرا من اتجاهات الشعراء العصريين أمثال أبى القاسم الشابى من شعراء الطبيعة فى آخــــــر حلوانيته هذه حيث يقـــول :

دع عنك هذا وسل النفس ما بقيت
بما به بات قلب المرء مفتونا

ياروضة ضاحك الصبح الجميل بها
وردا حلاه الصبا غضا ونسرينا

والياسمين على هاماته رقصـــــت
غيد الفراشات أفواجـــا تغنينـــا

وترشف الطل من ثغر الزهور جوى
من أعين الليل أضناه تشاكينـــا

ما أدمع الليل الا أدمع ذرفـــــــت
من أعين هاجها فقد المحبينـــــــا

لا ابعد الله اياما بها كســـرت
روحى الجمود لتحياها رياحينا(٢)

---

(١) أوراق مخطوطه ، وانظر فيها الفصل الثانى من الباب الرابع حيث الموازنة بينــه وبين الفـــرزدق .
(٢) أوراق مخطوطة .

وهذه صورة كأنها ظلال،لصورة طبيعية لشاعر معاصر هو : أبو القاسم الشابـــــى (١) ٠

أما تونيه ابن زيدون (٢) ، فكل ما فى القصيدة منها هو الاقتباس فى بيتين من القصيدة:الثانى مما ورد ، والثانى مما سيأتى ، ثـــم البحـــر والقافية ٠

ولست أعنى انها صورة أو تقليد لهذه أو تلك أو هما معا ، وانما أعنى أنها صورة جديدة جمعت الكثير من محاسن الصورتين وليست تقليدا ، وانما هى صورة من صور التأثر والتأثير أو الاحتذاء فـــى الصورة لا التعبير ، ولكى نثبت ما قلنا وندلل عليه نقول :

أن الثلاثة الأبيات الأخيرة تدنو كثيرا من الصورة ، التى رسمـــها خيال الشابى فى أبياته الثلاثة ، لكنه دنو لا يصل الى حد التقليـد أو المحاكاة ، بل ربما كان الأولى حمله على توارد الخواطر ، وانمـــا ـ يحجزنا عن الجزم بذلك أنه ليس لابن بليهد من الصور ما يشبهها الأمر الذى قد يفتح طريقا لاحتمال المعارضة ، لكن أحدا لا يستطيع أن ينكر ما فى صورة ابن بليهد من جمال ورقة وعذوبة ، الى ما فيها من تصوير لما يعتمل فى نفسه وهو المريض الغريب ٠

---

(١) أبو القاسم الشابى شاعر تونســـى(١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م الـــى ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م) وأبياته المشار اليها هى :

واترك دموع الفجر فى أوراقها   حتى ترشفها عروس النـــــور
فلربما كانت أنينا صاعــــدا   فى الليل من متوجع مقهـــور
ذرفته أجفان الصباح مدامعــا   الاقه فى دوحة وزهـــــور

(٢) هو أبو الوليد ابن زيدون شاعـــرالاندلس المشهور من (٣٩٤ هـ الى ٤٦٣ هـ ومن ١٠٠٣ الى ١٠٧٠م) ، ونونيته الشهيرة هى التى مطلعها :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينــا

وحلوانية ابن بليهد هذه تتكون من قسمين : أولهما : فى وصف القطار ، وثانيهما : فى وصف حلوان وحدائقه وعيونه تلك الحدائق والعيون التى كانت مرتادامنذالقدم للملوكوغيرهم متنزهين ومستشفين

ولقد وصف القطار من قبل ابن بليهد كثيرون منهم معروف الرصافى ، ونحن لا نستطيع أن نضع ابن بليهد فى صف الرصافى وأمثاله فى جميع شعره لكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن فى وصفه للقطار من الدقة والجمال وتقصى جزئيات الصورة ، ما يجعل أبياته فى صف أبيات الرصافى ان لم تفقها لينا وطواعية فى اللفظ والتعبير ، الى ما تضمنه من ذكر رفقاء السفر وما يشبه أن يكون وصفا للحالة النفسية التى كان عليها الشاعر ٠

فهو فى هذا الوصف ذكر بداية الطريق (باب اللوق) ونهايته (حلوان) وذكر أن رفاقه فى ذلك السفر أصحاب لا تمل صحبتهم لأن أخلاقهم كالصبا العليل ، ثم وصف القطار فذكر صوته الأجش ، الذى يطلقه عندما يهم بالمسير الذى يبعدهم عن القاهرة ، ولكنه يدنيهم الى الى حلوان ، وأنه طوع يمين سائقه ان شاء أرسله كالريح ، وان شاء شده فوقف كالجبل الراسى ، على أنه حين يسير يصدر أصوات كالرعود ولا ينسى أن يذكر الأجراس التى أقيمت على المزالق لتنبيه المارة ، فهو وصف فيه دقة ملاحظة وجمال فى التصوير وحلاوة فى التعبير ومناسبة فى التشبيه والاستعارة :

بالأمس فوق ظهور القاطرات الى
حلوان سرنا وكان السعد حادينا

فى رفقة من صحاب لا تملهم
أخلاقهم مثل أكناف الصبا لينا

وقد تركنا بويب اللوق فى صخـــب
من صوت قاطرة قامت تحيينـــــا

بصوتها الجش ان همت بمرتحـــل
حتى رمتنا بعيدا وهى تدنينا

ان هاجها سائق خفت لرغبتـــــه
أو شدها وقفت كالطود فى سـينا

كأنما الريح فى مجرى أعنتهـــــا
والصوت رعد يعنينا ويضنينـــــا

وبالمزالق أجراس لها نغـــــم
قامت على الدرب تحذيرا لما شينا (١)

ويصف الطائرة ولكنه لا يبلغ فى وصفه لها مبلغ وصف الشيخ محمـــد بن عبد المطلب ، لكن وصفه لا يخلو من دقة وجمال وان لم يبعد عـــن الحقيقة المجردة كثيرا فهو يقـــول :

فيا صاحبى رحلى دعانى وأنجدا
اذا كنتما لا ترضيـــان هلاكـى
بذات زمام فى يمين مـــــدرب
سبوح كأن ليست بذات حـــراك
يطوف بها الآفاق كالطير سابحــــا
ويركب متن السحب قرب سمــاك
ويطوى بنا الأميال ليس بخائـــف
فسيرى وبالتوفيق ربى حمـــاك

---

(١) أوراق مخطوطه .

ولا تعجلى أن فوق دار محمـــــد
سبحت ففيها لو عقلت هداك (١)

فهو يدعو رفيقى سفره الى تعجيل السفر لبلاده ، وتثنية الخطاب أسلوب معروف فى الشعر العربى ومنه قول مالك بن الريب :

فيا صاحبى رحلى دنا الموت فأنزلا
برابية انى مقيم لياليـــــا

ومنـــه قول أمرىء القيســـس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـــزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومـــل

ويريد أن يكون السفر على طائرة ، ليكون ذلك أسرع فى الوصـــول ، ويشبه الطائرة بالناقة السبوح السباقة ، ويصف قائدها بالخبـــــــرة والدربة ، ولكنه يلاحظ أن الطائرة ليست كالمطية عند سرعة السيــــر فتلك تنخفض وترتفع أما الطائرة فانها تطير وكأنها ثابتة لا تتحرك ، بينما هى تخفق فى الأفلاك،وتسبح فوق متون السحاب تطوى المسافات طيـــــــا .

ويسبقه شوقه الى البلاد المقدسة ، فيطلب من الطائرة أن تطمئـــن فى سيرها عندما تكون فوق تلك الديار ، التى فيها البيت الحرام والكعبة الشريفة ، ومنها انبعث الهدى وبعث المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام .

وحين يصف الناقه نراه يأتى فى ذلك بوصف الخبير بحركاتهـــــا وسكناتها العليم بأوصافها وسماتها ، ولا عجب فى ذلك فقد صحبهـــا

---

(١) أوراق مخطوطه .

منذ الصغر الى أن دخلت السيارة حياته قبل وفاته بسنين ، ولذا لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من وصف الناقة ٠

وهذا ليس بعجيب ، فالناقة هى سفينة الصحراء ـ كما يقولون ـ ، يقضى بها العربى أوطاره ، ويطوى على ظهرها أسفاره ، يرتاح لها وترتاح له كخليلين صفيين ، لذا نجد وصف الناقة لدى شعراء العرب يشغل حيزا من شعرهم ليس بقليل ، الا ترى مثلا الى طرفة بن العبد كيف شغل وصف الناقة عنده ثلاثين بيتا من معلقته ؟ ٠

ومن قول ابن بليهد فى ذلك :

أعملت شملا له امضت ترائبها
فى دهرها حقبا ما نالها الجمل

عيرانة طالما طاب الربيع لها
اذا استوى بالنبات الحزن والسهل

عيدية عرف الوبال منسبها
وهى التى بأبيها يضرب المثل

ان ضمها مهمه يخشى الهلاك به
قفر جوانبه أو مجهل غفل

يقول عند اختبار العيس راكبها
هذى تفوز ما تشكو به الابل

ضحى تجوز من الدهنا بلا جزع
منها وباعد عنها الأين والكلل (١)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٦١ ٠

فهو يصف ناقته بأنها شملا لة أى سريعة ، وأنه قد مضى عليها سنين لم تلقح ، وهذا يعنى أنها قوية لم يرهقها الحمل ورضع الفصيل ، ويؤكد دلك بوصفها العيرانة أى الصلبة التى تشبه حمار الوحش فى صلابته ويزيد فى وصفها بالقوة أنها منعمة ترعى الربيع ، لا يصدها عنه استعمالها فى حمل الأحمال أو نحوها مما تستعمل فيه الابل ، وهى عيدية أى نجيبة نسبة الى الفحل عيد ، أو بنى عيد الحى الذى تنسب اليه الابل النجائب ، ولا أدل على ذلك من أن الوبال : أى الذى يعرف الابل من شم بولها : لا تخفى عليه نجابتها ، وهل أدل على ذلك من أنها تنجو بصاحبها فى المفازات المقفرة المخيفة ، التى انطمست معالمها، ولذا فهو يرتاح لها ، لأنها لا تشكو الاين وطول المسير كالابل غير النجائب .

وكوصفة للناقة يأتى وصفه للاطلال ، فهو فيه لم يبعد عما عرفناه لدى الأقدمين ، من الوقوف بها والبكاء حولها بعد ما عفت آثارها وانطمست معالمها : من تعاقب السنين ، وتغير الأحوال ، وتشتت الساكنين ، حتى أقوت الا من الأشجار التى نبتت حتى فى مضارب البيوت ، فخلت من الأنيس الا ما كان من بقر الوحش والظباء ، تكاثرت فيها وأطمأنت ، حتى تخالفت اطلاؤها أى ارتاح بعضها الى بعض ، وسكنت مقربة اعناق بعضها الى اعناق بعض ، لأن تلك الديار أصبحت قفرا ترتاح الى سكناها الطيور ، كما ارتاحت الظباء وبقر الوحش ، التى لم يخفها الا وقوفه على ذلك الربع متفكرا متذكرا ، لا يسمع الا الصدى ولا يرى الا غراب البين بعد ما فقد الأنيس ، وغاب الأثر وانطمست المعالم ، وتحولت مرابع الأحباء الى مراع بعد أن كانت آنسة بالأحباء والأخلاء .

الدار قفر عفاها البين والغير

ريب المنون وشتت شملها القدر

أقوت مراقيها لم يبق بعدهـــم
لدى المنازل الا النجم والشجـــر

ألقى الرحال لديها البين وارتحلت
عنها الجميع وعنها الأنس مبتكر

لما وقفت بها والعيس خوفهـــا
بعد التنائف والادلاج والسفـــر

أفزعت منها وحوش وهى ساكنـــة
لما تشاهد منها السمع والبصـــر

فى مهمه قذف يخشى الهلاك بـــه
قفر تبيض على أرجائه الحمـــر

بقى الصداء بها من بعد ساكنهـــا
غاب الأنيس وعنها غابت الأثـــر

الا الغراب غراب البين أسألـــه
هل فى اللوى من أناس ، انهم غبروا

أضحت منازلهم قفرا وغيرهـــا
ودق الرواعد والروحات والبكـــر

لما تهادت بها الآرام وائتلفـــت
اطلاؤهن وثور الوحش والبقـــر (١)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢ .

الحكمـــــة والموعظـــة :

اذا قد وجدنا لابن بليهد فى الوصف قصيدتين ومقطوعات فى أثناء قصائد المدح ـ كما هو شأن السياسة والهجاء ـ فان هناك من الأغراض ما أتى فى مزق أبيات هنا وهناك كالحكمة مثلا ٠

واذا كانت الحكمة هى خلاصة الخبرة والتجارب الانسانية ، يقدمها الأفراد ـ الموهوبون من خلال ادراكهم الفنى ، ومعرفتهم الشخصية فى صورة من الصور الكلامية ، قد تكون شعرا وقد تكون قصة وقد تكون غير ذلك ، فان صاحبنا كان من أولئك الأشخاص ، الذين عركتهم الحياة وعركوها،ودفعتهم أحداثها فدافعوها بالصبروالتجلد تارة وبالدأبفى العمل والكفاح تارة أخرى ، على نحو ما نقرؤه فى أعماله ومؤلفاته ٠

وكان طبعيا أن يصوغ تجاربه وخبراته فى الحياة فى بعض شعره كقوله لمن يتهيب غشيان الأمور العظيمة : بأن عليه أن يقدم عليها لأن ما ينتظره من خطوب الزمان أعظم ، فعليه أن يتعود مجابهتها ، وان لم يصنع ذلك عاش ذليلا ، والكريم لا يقيم على الذل ، ففى الزمـــان والمكان متسع لرغبات الكـــــرام ٠

ويضرب المثل فى الصبر والاحتمال بما اجتازهمن صعابوما احتمله من متاعب،وكأنه يقول لمن ينصحه اصنع كصنيعى،مفتخراذلك وممتدحا

ولا تترك الخطب العظيم لعظمـــــه
فان الذى باقى من الدهر أعظم

اذا حملت أرض تراب مذلــــــة
فليس عليها للكريـــــم مخيـــم

ولا تحسبن الدهر ضاقت ضلوعه
بحمل الليالى والتى تتجشم
وكم غمزة فى جانب لم أقل لها
ألمى وجنبى قبلها متألم (١)

وأمثلة ذلك كثيرة مبثوثة فى شعره ، تروى خبراته وتصوغ آراءه ، فى الحياة والناس، كقوله لمن يطلب المعالى بأن عليه أن يسعى لها ، فهكذا علمت التجارب وهكذا فرضت سنة الحياة :

قد بلغتنا الأمانى وهى صادقة
ان الرحيل لادراك العلا سبب
أزج المطى الى الترحال مبتكرا
ما مسها فى السرى سوط ولا عقب (٢)

وينصح ممدوحه بشكر الله ـ تبارك وتعالى ـ فى كل حالة ، لأن الشكر أمارة التسديد والتوفيق،والممدوح كان مسددا موفقا، فى جميع أحواله

ثم يذكره بأمر الأخرة انقيادا لقول المصطفى ـعليهالصلاة والسلام (أكثروا من ذكر هادم اللذات) (٣) الحديث وأن عليه أن يعمل خيرا ويأتى حسنا ، ليكون ذلك مؤنسة فى قبره ٠

ويذكره بأن الموت أمر محتوم على البشر ، فقد مات أولو القوة والبأس والمجد والسلطان من قبلنا ، كما مات أشرف الخلق محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٩ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٢٠
(٣) انظر الجامع الصغير للسيوطى ١ :٥٤ ، والترغيب والترهيب للمنذرى طبعة أولى ٦ : ٦١ رقم الحديث ٤٧٨٩ ٠

فكن شاكرا لله فى كل حالـــــة
وقد كنت فيما تقتضيه مســـددا

ولابد من يوم لك القبر مضجـــــع
يجاورك الاحسان والخير والهدى

فقد غالت الأيام سكان مـــأرب
ولا خلفت فيها مليكا ممجـــدا

ولا تركت طرا بغمدان مقـــولا
ولا أبقت الدنيا مليكا مخلـــدا

تمر الليالى بين يوم وليلـــة
وقد أدرك الموت النبى محمدا (١)

الشعر الاجتماعـــــى :

يرى كثير من الباحثين المتأخرين أن الشعر الاجتماعى قد جد فـــى هذا العصر ، ويرى بعضهم أن شوقى ممن ساهم فى ايجادة ، ونحـن لا نكتب فى تاريخ الشعر الاجتماعى ، متى نشأ وكيف تطور ؟ ، ولكننا نود أن نذكر بأن هذا النوع من الشعر ، الذى يستهدف الأخلاق والنظم الاجتماعية ونحوها ، كان له نصيبه من اهتمامات الشاعر الفيلسـوف أبى العـــلاء المعـــرى . (٢)

ولقد كان لشاعرنا ابن بليهد نصيب من المساهمة فى هذا الميدان الذى يقوم فيه الشاعر مقام المصلح الاجتماعى ، أو المرشد الى سبـــل التصحيح للاوضاع الاجتماعية وتسديد مسارها ، ثناء على حسنهـــا

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٥٥ .
(٢) من (٣٦٣ هـ ـ ٤٤٩ هـ ، ٩٧٣ م ـ ١٠٥٧ م) .

ونقدا لمعوجها وتنفيرا منه ، لكن شعره فى ذلك جاء فى الأغلب أبياتا متناثرة هنا وهناك .

فمستوطنات البادية المستحدثة وانشاء المدارس وبث العلم هنا وهناك ، ثم الأمن والاستقرار والرخاء وتبديد الأحقاد والاضغان ، كل ذلك كان له من شعره نصيب ، ولكنه لم يستهدفه غرضا ، اللهم الا تلك القصيدة التى نظمها فى مناسبة السد ، الذى أقيم أعلى «مكة» ليحجز عنها السيول ، التى طالما هددت الكعبة المشرفة فأعجب ابن بليهد بهذا العمل ، الذى يأمر بمثله الدين الحنيف ، ولكنه يبدأ الحديث عنه فى صورة المستفهم ، وهو استفهام أريد به التعظيم لهذا العمل الجليل الذى حجز السيول عن أكرم بقعة وأقدسها ، وفى ذلك الاستفهام أيضا ما فيه من تعظيم ومدح للقائم بهذا العمل والامر به (وهو الملك عبد العزيز) ، ولذا فهو يثنى عليه بالتوفيق فى العمل والرشد فى الرأى ، فلقد تعب الناس من مداهمة السيول ، التى كانت تتجمع من الأودية ثم تندفع قوية مزبدة فى الوادى الذى كان يشق «مكة المكرمة» ويمر من جانب الحرم الشريف ، فيلحق أضرارا ويزعج النفوس،ولذافان الآمر بحجزه والمباشر له يستحقون الثناء عليهم بعملهم هذا :

من المقيم بأمر الواحد الأحد
معالم العدل فى الأغوار والنجد

موفق الرأى فى كل الأمور وفى
نهج من الرشد لم ينقص ولم يزد

لما رأى السيل من روس الجبال ومن
أصقاع مكة من عال ومن وهد

يسير مضطرب الأطراف أوله
ان كان محتشدا أو غير محتشد

اذا انتحى عند تعف المنحنى ولـــه
غوارب شابها التيار بالزبـــد
يمده كل واد مترع لجـــب
فيه الركام من التنوم والخضــد

رأى البلاد ومن فيها على قلـــق
اذا تتابع صوب المدجن الرعـــد
قال المليك الذى عمت فضائلـــه
طوائف الناس من باد ومن بلـــد

لنجله شمروا واستعصموا بـــذرا
رب العباد ورب الجزر والمـــدد
فكل أمر له مدت أزمتـــه
ينقاد هونا الى التوفيق والرشد(١)

وحين زار «مصر» وبهره ما رآه فيها : من تطور ثقافى ، ورقى فكرى ، أثنى عليها وعلى أهلها بذلـــك :

والعلم القى بوادى النيل أرحلـــه
حتى تسنم فيه أرفع الســـور

قد أدركوا من فنون الطب أكثرهـــا
وهذبوها بلا غمط ولا أشـــر (٢)

ثم عطف على أبناء وطنه يحثهم على العلم ، ويمنيهم بفوائده ويثنـى على قادة الفكر ورجال التعليم : وبخاصة الشيخ محمد بن مانع مديـر المعـــارف فقـــال :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٦٣ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٧٠ .

انظر معارفنا للعلم قد بلغـــــت
أسنى المراتب بالروحات والبكــر

هذا ابن مانع أحياها بهمتــــــه
علما وعد لها تعديل مقتـــــدر

فقل لكل الشباب الجاهليـــن اذا
تعلموا العلم للدنيا وللاخـــــر

العلم خير ونور يستضاء بــــه
فهل ترى لكم عـــذر لمعتــــذر

هذا أمامكم يسدى فواضلـــــه
لكم وتبقى له فى جبهـــة الدهــر

وفى المدارس أحيا كل منقبـــــة
غرى تسجل فى التاريخ والسير (١)

ويسوؤه ما يشاهد فى «مصر» من بعض مظاهر الفساد،الذى جره عليها المستعمرون وبعض المفسدين من أبنائها ، كشرب الخمر وتبذل بعض النسوة ، فيعالج مثل هذه المشاكل بالتعريض بها وذمها أولا ، ثـــم بتصوير ما يئول اليه أرباب تلك المفاسد من حال ومآل لا يحسدون عليه ويدعو بعدم البركة على أولئك الذين يشجعون الفساد ويدفعـــــون الجاهلين فى سبيله ، ويخشى أن يظن ظان أنه يعنى أهل مصر اجمع فيقول : ان مصر بلد جمعت الخير والشر ، فاذا كانت تضم الملاهـــى والمراقص فانها تحوى الأزهر الشريف ، واذا كان فيها مفسدون ، فان فيها من المصلحين أكثر ، واذا كان للشر دعامته ، فان للخير دعامتــه

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧١ .

والمبشرين به ، واذا كانت أماكن اللهو والشرب عامرة ، فان بيوت الله مملوءة بالعابديـــن الصالحـــين :

دار قضيت بها صبوات مهتبـــل
ولذة ما بها دن ودنـــــــــان

ولا قمار ولا تلويح راقصـــــة
شبه العرايا وفى تلعابها جـــان

ولا بنات الليالى الحمر أرخص مـــا
عزت به فاسد الاخلاق مجـــان

غدا على الشرف الموءود تبصرهـا
وليس يرحمها فى النوح انســان

تنوح نوح الثكالى ليس ينفعهـــا
نوح وأخدانها كانوا وقد بانــوا

حال كريه بوادى النيل أشهـــده
لا بارك الله فى من للخنا عانــوا

دار النقائض مصر فهى جامعـــة
خير وشر وكفران وايمـــــان

والكل يدعو الى ما يشتهى ولـــه
فيما ينادى به قــول وبرهـــان

الفسق فيها جهارا لا جناح علـــى
من رامه ومكان الذكر مــلان (١)

---

(١) أوراق مخطوطه .

ثم ينحي باللوم على أبناء «مصر»، ويلومهم على سكوتهم عما تفشى في بلادهم ، وقد أنعم الله عليهم بالأزهر الشريف ، فيقول بعد جملة من الأبيـــــات :

العلم ألقى بوادى النيل أرحلـــه
فما لأبنائه للغي قـــد لا نـــوا
هانوا وهانت عليهم أربع شرفـــت
بأزهر صحنه للعلم صيـوان (١)

الشعـــــر الدينـــى :

قلما تعثر على قصيدة لابن بليهد لا يذكر فيها شيئا عن مسائل الدين أولا يختمها بالصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه الطاهرين ـ وقد يفتتح بعض قصائده بحمد الله والثناء عليه ، لكنـــه لم يفرد للشعر الديني سوى قصيدة واحدة ، قالها وهو في «مصـــر» في مناسبة عيد المولد النبوى الشريف ، وكان يهم بالسفر الى بلاده ، فبدأها بتوديع «مصر» وأهلها ، وهو مطلع يدل علي وفاء وحب ، ثـم عطف على ذكر بلاده فمدحها وأهلها ليخلص من ذلك الي غرضه الذى بـــــداه بقولـــــه :

وفيهمو طلعت شمس الهدى وبهـم
هدى الأنام وفيهم سيد الأمم (٢)

ويفسر بعض الظواهر التى صحبت مولد المصطفى ـ عليه الصـــــلاة والسلام ـ تفسيرا ما قرأت مثله لرجال الدين والمفسرين ، ولا للشعراء الذين تناولوا ذلك على كثرتهم فيقول :

---

(١) أوراق مخطوطه .
(٢) أوراق مخطوطه .

والنار فى أرض كسرى جن موقدهـــا
خبت وكان لظاها شر مضطـــرم

واهتز من فرح أودى بشرفتـــه
ايوان كسرى فضج الغارم الأثـم

ما هزه الذعر كلا بل به رقصت
آمال فارس تحدى بالهوى النهـم

الى الخلاص من الطاغي وصولتـه
أتى الطبيب ـ جراح الأمس فالتأمى (١)

آلا ترى معى أن هذا التعليل الحسن ، الذى يصور الايوان يرقص طربا بمولد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى تساقطت بعض من شرفاته أنه أجمل من اظهاره الايوان فى حالة ذعـــر ؟ •

أما آخر القصيدة فأشبه بسرد مقتضب ، لبعض الأحداث فى حيـاة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ •

الفخـــر والحماســة :

أما شعر الفخر والحماسة،فان شأنه فى شعره شأنه فى أشعار العرب الأقدمين ، يختلط فيها عادة بأغراض الشعر الأخرى ، وبخاصة المـدح والهجاء ، وقد يستبد بموضوع القصيدة أجمع •

غير أنه فى شعر ابن بليهد كان مزقا فى قصائده ، ولم يعمد الى افراده بقصيدة • ولا نريد أن نتتبع شعره ، وانما سنكتفي بتقديـم أمثله مـن ذلـك •

---

(١) أوراق مخطوطه •

في احدى قصائده في مدح الأمير فيصل بن عبد العزيز ، يقول بعـــد مدح الأميـــــر وذم بعد المنشقيـــن :

لا تحقرن شرارا في رمادتـــــه
اذا أحاط على أكتافه الحطـــب
لقد أقام أبو العباس دولتـــــه
أرست قواعدها الهندية القضب

أضحى أبو جعفر المنصور متبعـــا
طريق من قبله واستذلل الصعب
وقال قولا أبو تمام مطلعـــــه
السيف ينشيء مالا تنشيء الكتب

فان باب العلا نقع له قتـــــم
أو القنى والضبى والنبع والغرب
بين الكتائب ان سارت لها رهـــج
بالصافنات التي في خلقها قبـب

تدك هام الأعادي في سنابكهــــا
سيان ان بعدوا دارا وان قربـوا
أن كنت تأمرنا فالخيــــل مسرجة
لأن طاعتكم في أمركم تجـــــب

انهض تجد صبرا في كل معركـــة
كأنهم من حياض الموت قد شربـوا
ضع المهند في عيلان وارمهـــم
بحجفل في دجا الظلما له لجب (١)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٢٢ ٠

فهو يمهد للانتقال من ذم الأعداء ومدح الأمير ، الى الفخر بهـــــذه الأبيات التى صدرها حكمه تحذر من احتقار هين الأمور ، لانه كثيرا ما كان بابا لشر عظيـــم ٠

ثم يضـع أمام الممدوح مثلا فى الحزم والصـرامة يحتذى :

هو أولا : عمل بنى العباس الذين مارست دولتهم الا على أسنة الرماح وحدود السيـــوف ، ٠

وثانيا قول أبى تمام : ان السيوف تحقق مالا تحققه الكتب والخطب

أما باب المعالى فانه عنده خليط من السيوف والرماح والخيل ونقع سنابكها والفرسان الذين يدفعون تلك الجيوش القوية ، لتجعل مـــن رؤوس الأعادى مواطىء لسنابك خيلهـــا ٠

واذا كان ذلك شأن هذا الجيش فى قوته وجمعه ، فانه جديـــر أن يفخر به ابن بليهد ، وكيف لا وقد أسرجت الجياد وانتضيت السيــوف الحداد استعدادا وتهيئـــا ٠

ومن أحسن ما قرأت له فى ذلك ، قوله فى احدى مصرياته وهو فخر بشجاعته وبيانه ؛ اختلط بالغزل على نحو بديع ٠

سهام الجفون الناعسات غرسنها
نوافذ فى الأحشاء من بعد ما صـــدرى

فتكن به وهو العصى على القنـــا
وكان به صبر على البيض والسمـــر

صدور العوالى فى أديمى تحطمت
فما بال الحاظ الحســان له تهرى

أديمى مجن فى الحروب فليتـــــه
وقى القلب ما ألقت به ربةالخدر

ولى صارمان من حسام ومقـــــول
فعولان بالفساق م البدو والحضر

اذا صلت صال الموت فى حد صارمى
وان قلت فالقول البليغ بما أطـــــرى

ولى قلم سحر البيان لعابـــــه
شباة يراعى ان تسل بلسم الفكر

كفانى بيانى عن حصيلة آخـــر
تناولها السراق فى البيت والشطر (١)

انه يفخر بقوته وصلابة جسمه وشجاعته ، وأن الرماح تتكسر فى أديمه المشبه للمجن فى صلابته وقوته ومتانته ، وأن صدره كان عصيا على الرماح ، أى أنه كان صبورا فى الحرب كبير الاحتمال فيها لا يتزعزع ولا يتضعضع غير أن سهام الجفون النواعس مزقت ذلك الأديم القوى ، واخترقت الصدر الصلب لتنفذ الى القلب وتستقر به ، لذا فهو يتمنى لو أن ذلك الأديم القوى استطاع أن يحجب عن قلبه سهام الألحاظ وهذا أقوى من قول بشـــار بن بـــرد :

خففى ياعبد عنى واعلمـــــى
ان يا عبد من لحـــــم ودم

أن فى بردى جسما ناحـــــلا
لو توكأت عليه لانهـــــدم

---

(١) أوراق مخطوطه .

فلان يكون الجسم قويا ثم تنفذ منه سهام جفون الغانيات فتهده ، أقوى وأوضح وأدق في الدلالة على تمكن الحب من القلب ، من أن يكون الجسم ضعيفا هزيلا ينحطم لو أتكأ عليه الحبيب ·

ثم يفخر بلسانه وسيفه وأنهما فى الفعل سواء ، وأن فتكهما بالباغيين من البدو والحضر عميق وشديد ،وأن الموت يصول بصولة سيفه اذا صال به وأن قوله أبلغ قول ، وأن لقلمه فعل السحر والدواء وهو فى هذا قد جعل سيفه وبيانه على حد سواء، كلاهما عظيم الفعل شديد الفتك بالغ الأثر ، وليس كهذا قول حسان ـ رضى الله عنه ـ :

لسانى وسيفى صارمان كلاهما
ويبلغ مالا يبلغ السيف مقولى

فان فيه تفضيل بيان اللسان على فتك السيف ·

تلك جولة جسنا فيها جنبات شعره ، وطفنا عبرها على جميع أغراضه ، أطلنا الوقوف مع بعضها واجتزأناه مع آخر ، انقيادا لاهتمامات الشاعر نفسه ، وخضوعا لما ورد فى شعره ·

والآن وقد فرغنا من الحديث عن أغراض شعر ابن بليهد ، نقول بكل ارتياح واطمئنان : ان ابن بليهد جال فى جميع أغراض الشعر العربى القديم ، وان جاءت قصائده معنونة بالمديح ·

غير أن اتجاه قصائده الى غير المديح انما جاء بعد سفره الى «مصر» ، حيث نظم من الوصف والغزل والاجتماع والهجاء ونحو ذلك ·

أما ما كان من شعره قبل سفره الى «مصر» ، فان قصائده لم تخل من المديح قل أو كثر ، خلا قصيدته التى فى وصف الذئب ، أو قصائد الرثاء التى هى الى باب المدح والثناء أقرب ·

على انا قد أوضحنا فى هذا الفصل أن قصائده فى مدح آل سعود ، كانت خليطا من الوصف والاجتماع ، والهجاء وشعر السياسة ، والحكمة والنصح والارشاد وما الى ذلك من الأغراض التى كانت تتشابـــك وتتداخل فى شعره شأنه شأن شعر أولئك الذين اتجه ابن بليهد فـــى شعره الى محاكاتهم والنسج على منوالهم ٠

وقد فصلنا الأمر فى هذا ، ما وسعنا التفصيل ، وأملنا أن نكـون وفقنا للحق وهدينا طريق الصواب ٠ وما التوفيق الا بالله ٠

فهرس موضوعات المجلد الاول

الموضـــوع | الصـــفحة

الموضـــوع	الصـــفحة

الموضوع	الصفحة



صواب الخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠	٣	وفيصل)	وفيصل ،
٣١	٦	أجزل	أجزل
٣١	٧	الفطفط	الغطغط
٣٦	٩	وانتبه وجب	وانتبه وأجب
٤٩	١	العزيزيه	العزيزية
٥٤	٢	لتوقى	لشوقى
٥٥	١٧	وبما	وربما
٥٦	١٠	نتعاورها	تتعاورها
٦١	٧	مدحه ومنحه	مدحة ومنحة
٦٩	٤	مولفيها	مؤلفيها
٧٢	٢٣	بدء	بدأ
١٠٠	٥	النجارة	التجارة
١٠٣	٢١	لاخر	الآخر
١٠٤	٩	الرابع الهجرى	الرابع عشر الهجرى
١٠٨	١	١) وفى	٦) وفى
١١١	١٢	١٥٩٧م	١٩٥٧ م
١١٥	١٩	سويلم	سالم
١٣٦	١٧	سوالى	سؤالى
١٤٠	٧	مهمة	مهمه
١٤٢	٢٣	(١) البكرى	(٢) البكرى
١٤٧	٥	وجود رقم ٢	الغاؤه
١٤٧	٦	قرية	قرينه
١٥٠	١١	مصلتينا (١)	مصلتينا (٢)
١٥١	٣	حلزة اذ	حلزة !



صواب الخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٧	٨	التميمين	التمميين
١٦٨	١٨	فكمننا	فكمنا
١٦٩	١٨	كتابه	فى كتابه
١٨٢	٢	ينجد	بنجد
١٨٥	٢٦	من صفحة ٦ ـ ٣١ طبعة ديدا	من صفحة ٦ ـ ٣١ طبعة دار
١٩٠	٦	المحق	المحقق
١٩٤	٥	ما ؟	ما ناصيت
١٩٥	٨	مكان	مكانة
٢٠٠	٦	آسوا	أسوأ
٢٠١	١	وعرام	وعزام
٢٣١	١٤	ف هذا	فى هذا
٢٣٩	١٨	«آثينة»	« أثيثه »
٢٦٠	٢١	اثانية	الثانية
٢٦٢	٤	حجره	جحره
٢٩٩	١٠	الاقارب	الارقاب
٣٠٥	٤	هل الجمال	الجمال
٣٠٦	٧	السميرى : لا	السميرى :
٣١٩	١٥	والحساسة	والحماسة
٣٤٢	١٨	سهيل	سبيل
٣٥٤	٣	وتزييف	ودحض
٣٦٨	٤	الارازق	الأرزاق
٣٧٨	٦	ململة	ململمة
٣٧٨	١٨	تكرار جيشه	حذف واحده

صواب الخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٨٨	٣	ونهجو	ونهجوا
٣٩٠	١٤	صسفر	صفر
٣٩٥	٨	تشعت	تشعث
٤٠٦	١٥	المرتبة	المرثية
٤١١	١١	غوانيها	غوانيا
٤١٦	٨	به خصائص	به من خصائص
٤١٧	١٣	الاعراض	الأغراض
٤٢٣	١٦	أصوات	أصواتا
٤٤٠	١٩	أن	أننى


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد

وآثاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الأدب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الثاني


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد

وآثاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الأدب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الثاني

الطبعة الاولى
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م
مطابع اليمامة - الرياض - تلفون ٦٦٣٢٣

الباب الرابع

● موازنـــات وتحليـــل ●

الفصل الأول : موازنـــات

الفصل الثاني : تحليل بعض النصوص الشعرية لابن بليهد

الفصل الاول

(موازنات)

فى هذا الفصل نقدم جملة من الموازنات بين صاحبنا ، وبعض الشعراء الذين عاصروه والتقى بهم فى كثير من فنونهم الشعرية ، ومناهجهم الأدبية مثل : محمد بن عثيمين ، واحمد ابراهيم الغزاوى ، وسليمان الشبل وغيرهم ، أو السابقين الذين عارضهم وحاكاهم على نحو مما صنعه فى معارضته لرصافية على بن الجهم ، ووصف الفرزدق للذئب ونحو ذلك ٠

ولما كانت دراسة المعارضات فنا نقديا أصيلا له خطره فى تقويم العمل الادبى ، وعملا ترتاح له نفوس الناقدين وتجد فيه معرضا شيقا للقدارات الفنية واللغوية والتصويرية ، ومعينا على فهم الأدب وتبين قدراته وطاقته لانزاله المنزلة التى تليق به بين الشعراء ٠ أقول لما كانت المعارضات كذلك اثرنا ان نقدم بين يدى هذا الموضوع فذلكة مقتضبة ، عن الناقد ومهمته فى مثل هذا العمل ٠

الحديث عن المعارضات حديث عن أعمال شاعرين فأكثر ، تناولوا موضوعا متماثلا أو متشابها مما يجر الى وزن عمل كل منهم وتقويمه وقياس الأعمال بعضها ببعض ، لينظر أيها أجود لفظا وأصدق تعبيرا وأقوى تماسكا وأغزر معنى ، وأصدق عاطفة ٠

وطبعي ان يفضي هذا الى الحديث عمن يقوم بهذا العمل وكيف يكون عمله فيه ، ونعنى بذلك ان البحث يفرض علينا ان نضع بين يديه حديثا عن الناقد ـ من هو وعلى أى حال يكون من استعداد علمي ونفسي؟

منذ أقدم العصور والناس مولعون بالمفاضلة بين الادباء حينا وبين أعمالهم حينا آخر ، فأما الأول فلا مجال له فى البحوث الأدبية ، وأما الثانى فهو لباب المفاضلة وأساس الموازنة ، من أجله تكون ، وحوله تدور ، وتاريخ الأدب العربى ملىء بذلك .

ولكن هل كانت تلكم الموازنات كلها على حق أم أنها كانت تخضع للاهواء أم أن فيها من هذا وذاك ؟

لقد تعرض النقد الأدبى لجميع هذه الأساليب ، لكن العلماء أبطلوا ماكان باطلا ، فلم يقبلوا النقد المبنى على السياسة أو الحزبية أو النحلية كما لم يقبلوا ماقام على الاهواء الشخصية والميول الخاصة ، اما عن العادة واما عن الاتجاه العلمى .

ان من يرشح نفسه للحكم فى أى ميدان من ميادين الأدب ، يجب إن يتجرد فى حكمه من كل أهوائه وميوله ، وأن ينظر فى نوع الكلام الذى بين يديه، شأنه فى ذلك شأن الصراف الماهر ، الذى يفحص النقود ليتبين الزائف منها من النزيه .

ودراسة المعارضات يمكن اعتبارها نوعا من النقد، كما يمكن اعتبارها نوعا من الوصف، اذ أن الدارس كما ينقد النصين وصاحبيهما ، كذلك يصف ما امتاز به كل واحد منهما وصفا يجب أن يكون دقيقا متقصيا .

فعلينا أن نحاول الوصول الى أعماق نفس الشاعر وان نحيط بشىء مما يحيط به فنعرف جيله وبيئته ونوع ثقافة عصره لكى نصل من ذلك الى حكم صائب فيما نتناوله من أثر للشاعر ليكلا نظلمه ولا نظلم أنفسنا

باعطاء حكم غير صحيح ، اذ أن من الخطأ أن نطالب الشاعر بأن يرى الأشياء كما نراها نحن ، وأن يأتى منها بما نريد ، وقد يكون بيننا وبينه مئات السنين ، علينا اذا أن نعلم أنه يعيش فى جيل غير جيلنا وعقلية غير عقليتنا وثقافة غير ثقافتنا ، وكل هذه أمور لابد من أخذها بعين الاعتبار ٠

وقد يتناول المعنى الواحد أكثر من شاعر فتتباين عندهم طرق التعبير ، وتتفاوت مراتب الخيال ، وتمتاز طريقة الأداء ، فللبدوى من ذلك ما ليس للحضرى ، وللمعدم ماليس للثرى ، وللصعلوك ما ليس للملك ، كل يعبر بطريقته ويصور ما ألف ، ويصف ما عرف ، ولكن الجمال موجود هنا وهناك يأخذ منه كل بحسب قدرته الفنية وتصوراته الشخصية ، وما تؤهله له ثقافته وبيئته ، وعلى النقد أن يزن نص كل واحد بما يلائمه ، فلا يحمل نصا مالا يحتمل ولا يطلب من شاعر فوق ما يطيق ، ألم تر الى حديث الحبيب كيف تناوله الشعراءقديماوحديثا كلهم يصف فتنته وجماله ، وكلهم يظهر تعلقه به واشتياقه اليه ٠

يقول الأعرابى :

وحديثها كالقطر يسمعه

راعى سنين تتابعت جدبا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا

ويقول من فرح هيا ربا

ويقول ذو الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق

رخيم الحواشى لاهراء ولانزر

ويقول بشار :

وكأن رجع حديثهـــــــــــا
قطع الرياض كسين زهـــر!

ويقول شوقى :

حديثها السحر الا أنه نغـــــــم
جرت على فم داوود فغناهـــا

انظر الى الاعرابى كيف يسمع حديث محبوبته ، انه يسمع فيـــه صوت حبات المطر تتقاطر من السحاب على أرض مجدبة ، فيقع مـــن أذن الراعى الذى أقلقه مصير ما شيته موقعا لا أعذب ولا أجمل منـه فيصغى اليه تلهفا واشفاقا ، فتسرع الدعوات الى لسانه .

وأنظر الى ذى الرمة كيف يرى حديثها رخيم الحواشى ، ناعـــم الأطراف ، كالرداء الناعم ، وما أجمل ما حشد فى هذا البيت من جميل الصفات ، وانك لتعجب كيف تأتى له هذا مع محافظته على سلامة المعنى والمبنى ، ولكنها الاصالة فى الملكة واللغة ، وذلك ما أمكنـــه من أن يصف بشرتها ثم كلامها ، ثم يقيد ذلك الكلام بكونه وسط لاهـــراء ، فيسد عليهطريق الحديث أو يفتح باب السأم أو الابتذال، ولاهوبالنزر فيحرمه لذة الاستماع أو يثير فى نفسه الشكوك .

ثم انظر الى بشار كيف يصف حديثها فيراه روضا أخضر نبـت وتفتحت ازاهره ، ولمع النوار فى أعاليها كاللالىء أو كثغور الأحبة يتهادى فيه النسيم العليل ، يبعث النشوة وينفض السأم والمـــلال ، ويمسح الكآبة ..

أما شوقى فيشبه حديثها بالسحر ، ثم تشده الحقيقة فيعترف بأنه نغم ، ولكنه جرى على فم داود فغنـــــاه .

وجوه أربعه لشيء واحد هو حديث الحبيب ، وهذه الوجوه مـــع تباينها واختلاف طرق التعبير فيها هي فى غاية الروعة والجمال ،ولكن لا نستطيع تفضيل شوقى لأنه شبه الحديث بالسحر ، الذى يملك على المرء حسه وعقله ، كما لا نستطيع ان نفضل بشارا، لانه جعله روضا معشبا ناضرا ، ولا ذا الرمة لانه ألمسك حديثها ناعما طـــريا ، ولا الأعرابى لأنه سكبه فى أذنيك فى نغمات حبات المطر ،التى هـــزت مشاعر الراعي وبعثت فيه الأمل قويا بعد أن كان يائسا قانطا ، وان كنت تلمس الطبع والبساطة واليسر والسهولة لدى الاعرابـــى وذى الرمة ، والصنعة أو المعاناة لدى بشار وشوقى .

وصوت المطر فى أذن الراعى لا يعاد له أى صوت مهما عذب ، وما يتركه فى نفسهمن أثر لا يمكن أن يتركه أى منظر مهما جمل ، بينما لا يحس الحضرى فى صوت المطر ذلك الجمال بقدر ما يحسه فى النغم الجميل والمنظـــر البديـــع .

فالفروق الجانبية أو التى يجب أن تكون جانبية لدى الناقـــد ، كالفروق الزمنية والبيئية يجب أن يكون مكانها فى النقد والموازنـــة متأخرا وأن يكون دورها ثانويا .

أما ما يجب أن يلاحظ بل أن تكون له الصدارة فيما يراعيه الناقد فهو طريقة التصور وادراك ما يتصور ، ثم كيفية ابراز نتيجة ذلكفى عمل أدبىَ شعرا كان أو نثـــــرا .

وأهم ما يتطلبه عمل الناقد هنا ، أنه لابد من أن ينسى نفسه وأن يذوب فى الشخصية التى يريد دراسة نصها ، أو الموازنة بينه وبيـــن نص آخـــر لشخصية أخـــرى .

وما الموازنة فى حقيقة أمرها الا نقد ، فالتجرد من الذات والاهواء والميول ، والاقبال على النص أو الشخصية المدروسة دون التأثر بأى مؤثر أمر لابد من التأكيد عليه ، فاذا لم يستطع الناقد أن يكون كذلك فان نقده يكون حينئذ لا قيمة له ، بل قد يكون عدمه خيرا من وجوده اذا يعتبر فى مثل هذا الحال عامل تضليل وافساد ، وما كان النقد الا سبيل اصلاح وتوجيه وارشاد الى الطريق الأمثل ٠

ودراسة حياة الشاعر ، وما يحيط به من ظروف وأحوال ، ومعرفة البيئة التى نشأ فيها ، والمبادىء التى تشبع بها ونوع الثقافة التى تثقف بها ، وما يتبع ذلك من أحوال : سياسية ، وتاريخية ، ودينية ونحوها أمور لابد للناقد من دراستها بكل دقة وعناية ، حتى يصبح وكأنه يعيش حياته ويعاصر أقوامه ومعاصريه ليتم له بعد ذلك تمثل نفسيته وتقمص شخصيته ، والحكم عليه حكما الا يكن صوابا كله فأغلبه ، اذ الكمال فى مثل هذا متعذر لان دقائق حياة الشخص كثيرا ما ضاع أكثرها أو شوه أو خالطه الكذب والتزييف ٠

ثم ان من يتصدى لحكم أدبى على نص ما موازنا أو مقوما ، لابد له من أن يكون على جانب كبير : من نفاذ البصيرة ، وبعد النظرة ، وسعة الادراك ، والقدرة على استنطاق النصوص ، بما توحى به كلماتها وعباراتها مما وراء الهيكل اللفظى من مشاعر واحساسات ، وتصورات وتخيلات ، انما يصل الى ادراكها رب الملكه النقدية ، وصاحب الذوق السليم ٠

وهذا يعنى أن الملكة النقدية شىء ، والثقافة النقدية شىء آخر ، فرب عالم ألم بعلوم البلاغة والنقد ، وحذق فنون اللغة والأدب ، لا يقوى على أن يكون ناقدا ناجحا ، ورب ملكة عطلها من القراءة والتثقيف فقيدها عن أن تصل الى الهدف المنشود ٠

وهذا يعنى أن صاحب الذوق لابد له من القراءة والدربة ، أعنى أنه لابد من أن يتسلح بعلوم اللغة ، ويتزود بكثير القـــــراءة ، والا انطبق عليه قول القائـــــل :

كساع الى الهيجا بغير ســـلاح

وانما تتباين الملكات ، وتتناوح الاذواق ، وينكشف ما بينها مـن اتساع الشقه وبعد المسافة ، حين تكون الصورة الجمالية فى النصـــس الادبى مشحونة بطاقات هائلة ، من المشاعر والاحساسات ، مشبـــعة بالعواطف المشبوبة ، المضطرمة ، وهنا تتجلى الملكة الفذة كالمصـــباح الوهاج فى طبقات الظلام ، وقد تطلب منى مثالا على ذلك ، فخذ مثـــلا قول شوقى :

ولد الهدى فالكائنات ضيـــــاء

وفم الزمان تبسم وثنـــاء

أنه صور لك فرحة الكون وابتهاجه بمولد المصطفى ، عليه أفضـــل الصلاة والسلام ـ واستقبال ذلك المولد بفرحة واستبشار ، حتى لكأنما الكون فم ملؤه الابتسام ، ولسان لهج بالمدح والثناء فى ذلك اليوم ، الذى استحالت الكائنات فيه ضياء واشراقا ٠

وحين تصل الملكة ويبلغ الادراك الى حد اكتناه مجاهل البيـــان ، واستنطاق اشارات ورموز الجمال ، واماطة اللثام عن المستور ، فانـــه يجىء بعد ذلك دور الصياغة والتنظيم ، وفيه يلزم الناقد أن يكـــون واضحا محددا فى لغته وعبارته ، يضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب ويقد عبارته على قدر معانيه فلا يكون اللفظ ولا التركيب قاصــــرا ولا فضفاضا ، وقديما أفسد ذلك أحكام الناقدين ٠

وخلاصة القـــول :

ان من يريد أن يزن كلام غيره ، ويعطى حكما صائبا فيه ، فلابد من أن يلم بشخصية صاحب النص ، وما يحيط بها فى حياتها من ظروف وأحوال وملابسات ، متتبعا فى ذلك الدقيق والجليل كالصحة والمرض والغنى والفقر ، والمركز الاجتماعى أو غيره ، وما الى ذلك مما لابد منه لجلاء الصورة ، وكشف المستور من حسان المعانى وجيد الأفكار •

واذا كان الناقد موازنا بين نصين أو اكثر ، فلا بد له حينئذ مـن أن يذكر فى وضوح واستقصاء كل ما اشترك فيه الشاعران ، ومـــا انفرد به كل واحد مرجعا المسببات الى أسبابها ، ثم يوازن بين مـــا اشتركا فيه ، ما انفرد به كل واحد ، ثم يعطى بعد ذلك رأيه مطمئنا الى ما يقول •

وهذا أمر قد يراه البعض يسيرا ، ولكنه غير يسير الا على مـــن يسره الله عليه ، بأن رزقه الأمانة العملية والقدرة على انكار الذات ، وقول الحق للحق وحده ، ولم يركب سبيل الاجحاف فى الحكم وقانـــا الله شر ذلـــــــك (١) •

---

(١) انظر فى الموضوع كتاب النقـــد الادبى تاريخه ومنهجه ـ د• محمـــد عبد عبد الرحمن شعيب ـ دار التأليـفسنة ١٩٦٨ م من ص ٣٠١ الـــى ٣٥٨ • وكتابات المـــوازنة بين الشعراءزكى مبارك •

(الموازنة الاولى)

بين ابن بليهد وعلى بن الجهم (١)

لابن بليهد قصيدة رائية نظمها وهو فى «مصر»، شابهت فى كثير من معانيها والفاظها رائية على بن الجهم ، واكاد اجزم بأن ابن بليهد

---

(١) هو ابو الحسن على بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشى ، ولد عام (١٨٨ هـ - ٨٠٣ م) ، وتوفى (٢٤٩ هـ - ٨٦٣ م) نزح أجداده الى خراسان وعاشوا بها وانتقل أبوه الى بغداد ولا يعلم أولد له على فى فارس أم فى بغداد .

بدأ على بن الجهم نظم الشعر وهو صغير ، وكان يتمتع بطبع عربى أصيل صرفه عن الثقافة اليونانية الى الثقافة العربية ، كما عزف عن مذهب المعتزلة والمتكلمين ، وأقبل على مذهب السلف وأهل السنة ، ولذا كان يجلس كثيرا الى الامام أحمد بن حنبل ، أما فى ميدان الشعر والثقافة العربية ، فقد كان يختلف الى قبة الشعراء بجامع بغداد ، وكانت أشبه بمنتدى لهم ، وكانت له رحلات كثيرة الى فارس والشام ومصر وتونس ، وقد ولى مظالم حلوان ، وقد هجا محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير الواثق هجاء مقزعا على الرغم من جبروت ابن الزيات

وكان يعلق امالا جساما على المتوكل لاتفاقهما فى المنزع والمشرب ، وقد كثرت أسفاره وأخباره فى عصره .

وأول قصيدة نظمها فيه ، كانت أول قصيدة ألقيت بين يديه عند ولاية الخلافة ، غمز فيها المعتزلة رغم وجود ابن أبى داود كبير القضاة وزعيم المعتزلة فأطرق انكارا ، وقد قربه المتوكل وجعله من جلسائه وأقرب خاصته وافضى اليه بأسراره ، وظل على ذلك سبع سنين حتى تكالب عليه ندماء المتوكل وجلساؤه ، الذين كان يترفع على بن الجهم عنهم ، وما زالوا حتى أوغروا صدر المتوكل عليه فأمر بسجنه وكان يبعث له بالقصائد يستشفع فيها ، لكن كان الأشرار له بالمرصاد وما زالوا بالمتوكل حتى قيده فى سجنه ، وفى ذلك يقول .

فلا تجزعى اما رأيت قيوده فان خلاخيل الرجال قيودها

وقد صادر أمواله ونفاه الى خراسان وأمر واليه طاهر بن عبد الله بن طاهر بصلبه وسجنه ، الى أن أطلق عام (٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م) فعاد بعد عام الى بغداد .

ولكن لم تعدله أيامه الأولى ، وكانت نظرته للحياة والناس قد ساءت ، فعاشر الخلعاء والماجنين حتى توفى المتوكل ، فأنسته فجيعته فيه ما ألحقه به من أيذاء ، فرثاه بأعظم قصيدة قيلت فى رثائه ، ثم مل الحياة والناس فخرج مع الغازين لقتال الروم حيث قتل هناك رحمه الله . =

قد حاكاة فيها وعارضه وان لم ينص على ذلك ، ويؤيد قولنا هذا ما سنورده انشاء الله من مقابلة وموازنه بين القصيدتين .

ويشترك ابن بليهد مع على بن الجهم فى أمور :

أ) فكلاهما مدح الحكّام وقصر مدحه عليهم ، فعلى بن الجهم مدح الخلفاء العباسيين ، وبخاصة المتوكل ولم يمدح سواهم من أرباب الجاه والسلطان ، وكذلك فعل ابن بليهد ، فانه لم يمدح أحدا سوى ملوك آل سعود : الملك عبد العزيز وابنائه سعود وفيصل وخالد ، أو عبدالله الفيصل الذى كان يشركه مع أبيه حينا .

ب) وكلاهما سجن ظلما وعدوانا ، فعلى بن الجهم سجنه المتوكل حين أفسده عليه ندماؤه ظلما وعدوانا ، وابن بليهد سجنه الشريف بالمدينة حين وشى به متهما بتهريب السلاح لابن سعود .

جـ) وكلاهما كان نديما مقدما عند حاكم زمانه ، فعلى بن الجهم كان نديما مقربا عندالمتوكل ، وابن بليهد كان نديما مقدما لدى الأمير فيصل .

د) وكلاهما كان وجيها من بيت علم وحسب ونسب .

هـ) وكلاهما نبغ فى الشعر مبكرا ، وان كان نبوغ ابن بليهد المبكر انما كان فى الشعر العامى ، ولكنه نبوغ مبكر فى الشعر على أى حال.

= شهد بعلمه الكثيرون أمثال الصولى وابن خلكان وابن شاكر وغيرهم ، وهو عندهم معدود من العلماءوالرواه ورجال الحديث والسنة ، كما روى ذلك صاحب طبقات الحنابلة .

أما شعره فانه بعيد عن التصنع والتكلف خال من المحسنات البديعية شأن الشعراء المطبوعين ، يجرى شعرهم سهلا لينا فى جزالة واصالة وفخامة ، كما كان حسن التشبيهات حلو الاستعارات حتى عده ابن المعتز أفضل الشعراء ، وأثنى على شعره كثيرون كابن رشيق صاحب العمدة . نظم فى جل أغراض الشعر المعهوده اذ ذاك .

مقدمة ديوان على بن الجهم ـ تحقيق خليل مردم بك طبعة لجنة التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية (١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م) .

و)وكما رثى ابن بليهد صديقه ابراهيم على مهنا ، والأمير خالد بن محمد آل سعود رثى على بن الجهم صديقه أبا تمام ٠

من هنا لم يكن بعيدا أن يتعشق ابن بليهد نهج على بن الجهم ، وينسج على منوال قصيدته احدى خرائد شعره ، وسنقصر الموازنة بين الرجلين على قصيدتيهما الرائيتين معتمدين فى ذلك :

أ) النص الذى وردنا عن قصيدة ابن بليهد وعدد أبياته ٤٢ بيتا ٠

ب) وفى قصيدة على بن الجهم سنعتمد على ما ورد فى ديوانه ، الذى جمعه وحققه وقدم له بترجمة ضافية خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية سابقا (١) ٠

ذلك أنه فيما علمنا لم يجمع أحد بعدة ما تفرق من أبيات القصيدة التى نحن بصددها اكثر مما جمع خليل مردم بك الذى أوردها فى ثلاثة مواضع من الديوان (٢) ٠

وقد اجتهد فى ترتيب الصورة الأولى لها ، ثم وردته زيادات فرتبها فى صورتها الثانية ، ثم حصل على أكمل صورة لها عن كتاب «جمهرة الاسلام» (٣) فأخرجها فى آخر الديوان ، فخدم بذلك الأدب ولو أنه وقع فى التكرار ، اذ اوردها ثلاث مرات ، عدد أبيات الأولى ٤٣ بيتا، والثانية ٥٦ بيتا ، والثالثة ٦٢ بيتا ٠

وفيما يلى نقدم النصين ثم الموازنة بينهما ٠

القصيدة الرصافية لعلى بن الجهم ٠ (٤)

---

(١) ديوان ابن الجهم ــ الطبعة الثانية (١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م) لجنة التراث العربى بيروت ــ لبنان ٠

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٤١ ، ص٢١٩ ، ٢٥٢ ٠

(٣) دار الكتب المصرية رقم ٩٢٢٣ أدب مخطوط ٠

(٤) سنثبت للفائده : الهوامش التى وضعها على بعض أبيات القصيدة ــ خليل مردم وذلك بنصها أو معناها : انظر ديوان على بن الجهم ص ٢٥٢ ٠

١ ـ عيون المها بين الرصافة والجسـر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

٢ ـ أعدن لى الشوق القديم ولم أكن
سلوت ولكن زدن جمرا على جمـر

٣ ـ سلمن وأسلمن القلوب كأنمـا
تشك بأطراف المثقفة السـمر

٤ ـ وقلن لنا نحن الأهلة انمـا
نضىء لمن يسرى الينا ولا نقـرى

٥ ـ فلا بذل الا ما تزود ناظـر
ولا وصل الا بالخيال الذى يسـرى

٦ ـ أحين أزلن القلب عن مستقره
والهبن مابين الجوانح والصـدر

٧ ـ صددن صدود الشارب الخمر عندما
روى نفسه عن شربها خيفة السكـر

٨ ـ ألا قبل أن يبدو المشيب بدأننى
بيأس مبين او جنحن الى غـدر

٩ ـ فان حلن أو انكرن عهدا عهدنه
فغير بديع للغـوانى ولا نكـر

١٠ ـ ولكنه أودى الشباب وانمـا
تصاد المها بين الشبيبة والوفـر

١١ ـ كفى بالهوى غيا وبالشيب زاجرا
لو أن الهوى مما ينهنه بالزجـر

١٢ ـ أما ومشيب راعهن لربمـا
عمرن نياما بين سحر الى نحـر

١٣ ـ وبتنا على رغم الحسود كأننا
خليطان من ماء الغمامة والخمر

١٤ ـ خليلى ما أحلى الهوى وأمره
وأعلمنى بالحلو منه وبالمر

١٥ ـ بما بيننا من حرمة هل رأيتما
أرق من الشكوى وأقسى من الهجر

١٦ ـ وأفضح من عين المحب لسره
ولاسيما ان اطلقت عبرة تجرى

١٧ ـ وما أنس لا أنسى ظلوم وقولها
لجارتها ما أولع الحب بالحر

١٨ ـ فقالت لها الأخرى فما لصديقنا
معنى وهل فى قتله لك من عذر

١٩ ـ عديه لعل الوصل يحييه واعلمى
بأن أسير الحب فى أوثق الاسر

٢٠ ـ فقالت اداری الناس عنه وقلما
يطيب الهوى الا لمنتهك الستر

٢١ ـ وأيقنتنا أن قد سمعت فقالتا
من الطارق السارى الينا ولا ندرى

٢٢ ـ فقلت فتى ان شئتما ستر الهوى
والا فخلاع الأعنة والعذر

٢٣ ـ على أنه يشكو ظلوم وبخلها
عليه بتسليم البشاشة والبشر

٢٤ ـ فقالت هجينا قلت قد كان بعض ما
ذكرت لعل الشر يدفع بالشر

٢٥ ـ فقالت كأنا بالقوافى سوائـــرا
يردن بنا مصرا ويصدرن عن مصر

٢٦ ـ فقلت أسأت الظن بى لست شاعرا
وان كان أحيانا يجيش به صـدرى

٢٧ ـ صلى واسألى من شئت يخبرك أننى
على كل حال نعم مستودع السـر

٢٨ ـ وما الشعر مما أستظل بظلـه
ولا زادنى قدرا ولا حط من قـدرى

٢٩ ـ وما أنا ممن سير الشعر ذكره
ولكن اشعارى يسير بها ذكـرى

٣٠ ـ وللشعر أتباع كثير ولم أكن
له تابعا فى حال عسر ولا يسـر

٣١ ـ ولا كل من قاد الجياد يسوسها
ولا كل من أجرى يقال له مجـرى

٣٢ ـ ولكن احسان الخليفة جعفـر
دعانى الى ماقلت فيه من الشعـر

٣٣ ـ فسار مسير الشمس فى كل بلدة
وهب هبوب الريح فى البر والبحـر

٣٤ ـ ولو جل عن شكر الصنيعة منعم
لجل أمير المؤمنين عن الشـكر

٣٥ ـ فتى تسعد الأبصار فى حسن وجهه
كما تسعد الايدى بنائله الغمـر

٣٦ ـ به سلم الاسلام من كل ملحـد
وحل بأهل الزيغ قاصمة الظهـر

٣٧ ـ امام هدى جلى عن الدين بعدما
تعادت على أشياعه شيع الكفـــــــر

٣٨ ـ وفرق شمل المال جود يمينــــه
عن أنه أبقى له أجمل الذكـــــــر

٣٩ ـ اذا ما أجال الرأى ادرك فكـــره
غرائب لم تخطر ببال ولا فكـــــر

٤٠ ـ ولا يجمع الاموال الا لبذلهـــا
كما لا يساق الهدى الا الى النحـــر

٤١ ـ وما غاية المثنى عليه لو أنه
زهير والاعشى وامرؤ القيس من حجر

٤٢ ـ أليس اذا ما قاس بالشمس وجهه
وبالبدر قلناخاف(١)للشمس والبدر

٤٣ ـ وان قال ان البحر والقطر أشبها
نداه فقد أثنى على البحر والقطـر

٤٤ ـ ولو قرنت بالبحر سبعة أبحر
لما أدركت جدوى أنامله العشـــــر

٤٥ ـ وان ذكر المجد القديم فانمـــا
يقص علينا ما تنزل فى الزبـــــر

٤٦ ـ فان كان أمسى جعفر متوكلا
على الله فى سر الامور وفى الجهر

٤٧ ـ لقد شكر الله الخليفة جعفــرا
وأعطاه مما لا يبيد على الدهـــــر

---

(١) كذا وانظر رواية هذا البيت فـىص ١٤٧ ، ص ٢٢٢ من الديوان (حيــث الرواية فيهما مختلفة) ٠

٤٨ ـ وولى عهود المسلمين ثلاثـــة
يحيون بالتأييد (١) والعز والنصر

٤٩ ـ أغير كتاب الله تبغون شاهــدا
لكم يابنى العباس والمجد والفخـــر

٥٠ ـ كفاكم بأن الله فوض أمـــره
اليكم واوحى ان أطيعوا أولى الامر

٥١ ـ ولم يسأل الناس النبى محمد
سوى ود ذى القربى القريبة من أجر (٢)

٥٢ ـ ولم يقبل الايمان الا بحبكم (٣)
وهل يقبل الله الصلاة بلا طهـــر

٥٣ ـ ومن كان مجهول المكان فانـما
منازلكم بين الحجون الى الحجـــر

٥٤ ـ وما زال بيت الله بين بيوتكم
تذبون عنه بالمهندة البتـــر

٥٥ ـ أبو نضلة عمرو العلى وهو هاشم
أبوكم وهل فى الناس أشرف من عمـــرو

٥٦ ـ وساقى الحجيج شيبة الحمد بعـده
أبو الحارث المبقى لكـــم غاية الفخـــر

٥٧ ـ ســـقيتم وأطعمتم ومازال فضلكم
على غيركم فضـــل الوفاء على الغـــدر

---

(١) هم المؤيد والمعتز والمنتصر أبنـاءالمتوكل وولاة عهده .
(٢) لم يرد هذا البيت فى هذه الرواية وانما اقتبسه المحقق من الرواية الثانية
(٣) فى الاصل (ولا تقبل الايمان الابحكمكم) وقد اختار المحقق ما ورد فـــى الروايتين الأولى والثانية .

٥٨ ـ وجوه بني العباس للملك زينة
كما زينة الأفلاك بالأنجم الزهر

٥٩ ـ ولا يستهل الملك الا بأهله
وهل ترجع الأيام الا الى الشهر

٦٠ ـ وما ظهر الاسلام الا وجاركم
بني هاشم بين المجرة والنسر

٦١ ـ فحيوا بني العباس فيها تحية
تسير على الأيام طيبة النشر

٦٢ ـ اذا أنشدت زادت وليك غبطة
وكانت لأهل الزيغ قاصمة الظهر

عيون المها لابن بلهيد (١) :

١ ـ عيون المها بين الجزيرة والنهر
جلبن لقلبي سالف العهد والذكر

٢ ـ فجددن فيه الجرح بعد التآمه
وأيقظن أحلام الصبا والهوى العذري

٣ ـ دعاني الهوى من أهل نجد وصحبتي
بمصر على قلبي تفيض من السحر

٤ ـ بما أنشط الأمالي في نفس مجهد
من الهم والآلام والنأى والكبر

٥ ـ تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر)

٦ ـ وأي مرام للغواني وقد غدا
على لمتي والذقن كالملح في شعري

---

(١) اوراق مخطوطة .

٧ ـ رويدا ظبـــاء النيل ما أنا خاطب
ولا أنا صـــياد وتعـــلمن من أمـــري

٨ ـ لقــد هزني رغم المشـيب ورغم ما
أعاني من الأوجـاع في الكتف والظهـــر

٩ ـ ســـهام الجفون الناعسات غرسـنها
نوافذ فى الاحشاء من بعـــــد ما صــدرى

١٠ ـ فتــكن به وهو العصى على القنـــا
وكان به صـــبر على البيض والســـمر

١١ ـ صـــدور العوالي في أديمي تحطمت
فمـــا بال ألحـــاظ الحســـان له تهـــرى

١٢ ـ أديمي مجن في الحـــروب فليتـــه
وفى القلـــب ما ألقت به ربـــه الخـــدر

١٣ ـ ولي صـارمان من حســام ومقــول
فعـــولان بالفســـاق ما لبــدو والحضـــر

١٤ ـ اذا صلت صال الموت من حد صارمي
وان قلت فالقـــول البـليغ بما أطـــرى

١٥ ـ ولي قلم سحر البيـــــان لعـــابه
شـــباة يراعى أن تســـل بلسم الفكـــر

١٦ ـ كفاني بياني عن حصـــيله آخـــر
تناولهـــا السراق في البيت والشـــطر

١٧ ـ وقد يعجب البيت الأنيق مثقفـــا
فيجريه فيمـــا يرتضـيه من الشـــعر

١٨ ـ ولـــكنه لا يـــدعى أنـــه لـــه
ولـــكن يحد القــول بالقوس كي يدري

١٩ ـ مريد سبيل الحق أني مضمن
وأني عفيف فى جلائى وفى السر

٢٠ ـ وأفعال آبائي قلائد دهرهم
وللمرء ما تجري به ألسن الدهر

٢١ ـ ويارب شخص قام يوم كريهة
ومكرمة كالألف في حازب الأمر

٢٢ ـ وألفان قد لا يدركوا شأو واحد
فليس لهم ما حاز من رفعة القدر

٢٣ ـ يعيش الفتى دهرا ليترك بعده
أحاديث فاحذر أن تكون من الشر

٢٤ ـ وان رضاء الله خير وسيلة
لأن يشمل العبد بفيض من الستر

٢٥ ـ فيارب لطفا منك في كل حالة
ويارب عطفا منك يا كاشف الضر

٢٦ ـ ويا صاحب النعما على الكون كله
ويا موجد بالأرزاق في البر والبحر

٢٧ ـ ويا مالك الملك الذي عز جانبا
ارادته تمضي وقدرته تجري

٢٨ ـ الهي هبني منك ما أنت أهله
فقد ناء ظهري بالذنوب وبالوزر

٢٩ ـ ويارب لم الشمل بعد انشعابه
فقد طال تحناني الى البر والبر

٣٠ ـ مقيم على كره بدار طعامها
كريم ولكن ليس كالبر والتمر

٣١ ـ وليس لأصناف الطعام تشوقي
ولكن شيئا يجلب الشيء للذكر

٣٢ ـ حنيني الى داري وأهلي وجيرتي
الى مهرة تاهت دلالا على المهر

٣٣ ـ أحن اليها والنوى يدفع النوى
وبينى و بين الالف مستوحش القبر

٣٤ ـ أرى حبها يستوقف القلب كلما
الى غيرها مالت به أعين الغر

٣٥ ـ فياصاحبي رحلي دعاني فانني
لغير الذي تطرون في يومكم أطرى

٣٦ ـ دعاني وكفا عن ملامي وأبعدا
قلو صيكما عنى ولا تنفخا جمرى

٣٧ ـ ولا تدفعاني في طريق قلوته
وما كنت من عشاقه سالف الأمر

٣٨ ـ دعاني وكفا عن ملامي وأجملا
ولا تفضحا شيبي على آخر العمر

٣٩ ـ قطعت صلاتى بالغوانى ودربها
ويشهد ربى ما جنحت الى العهر

٤٠ ـ ولكن عذارى الشعر تغري قصائدي
وما جر حاكى الكفر شعرا الى الكفر

٤١ ـ فعفوك يارب العباد فما لنا
سواك على الحالين في العسر واليسر

٤٢ ـ وصل اله العالمين مسلما
على المصطفى المختار مالعلع القسرى

« الموازنة بين القصيدتين »

غرض القصيدتين :

نقرأ قصيدة علي بن الجهم ، فنمر فيها بثلاثين بيتا في الغزل ، يتخللها ذكر المشيب والفخر بالشعر ، ثم تختم القصيدة ب ٣٢ بيتا في المدح ، أى أن النسيب فيها نصفها ، ومع هذا جاءت تحت عنوان « مدح المتوكل » ٠

ونقرأ قصيدة ابن بلهيد ، فنرى شكولا من الخطرات تنتظم أبيات القصيدة ، فمن غزل الى حديث عن الكبر والضعف والمرض الى حديث عن الشيب فالفخر ، فأحاديث عن الشعر ونظده وعن الحكمة ، ثم ابتهال ودعاء فنزوح بالخطرات الى نجد ، ثم عطف على رفاق السفر ، فعودة الى الابتهال ثم الصلاة على النبي ــ عليه الصلاة والسلام ٠

والعنوان الذي وضعه صاحبها هو أول كلمتين فيها « عيون المها » ولغلبة الغزل فيها فانه يمكن اعتبارها غزلية ٠

ما اشتركت فيه القصيدتان :

أ ــ تلتقى القصيدتان في البحر وحرف الروى ، فكلتاهما من بحر الطويل ، وكلتاهما حرف الروى فيها الراء المكسورة ، أما في الطول فان ابن الجهم أطول نفسا من ابن بلهيد ، اذ تبلغ قصيدته ٦٢ بيتا بينما تبلغ قصيدة ابن بلهيد ٤٢ بيتا ٠

ب ــ وكلتاهما بدأت بذكر « عيون المها » يقول ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

ويقول ابن بلهيد :

عيون المها بين الجزيرة والنهر
جلبن لقلبى سالف العهد والذكر

ج ـ ويشكل الغزل جزءا كبيرا من كلتا القصيدتين ، أي أننا حين ننحى المدح من قصيدة ابن الجهم وعدده ٣٢ بيتا ، فان نصفها المتبقى جميعه غزل •

كما أننا اذا نحينا من قصيدة ابن بلهيد ، الحديث عن نظم الشعر والحكمة والدعاء والابتهال وهو ١٨ بيتا ، فان الجزء المتبقى منها وهو ٢٤ بيتا داخل في باب الغزل •

ولكى يتضح لك التقاء صور الغزل عندهما ، أنظر الى الأبيات من ١ ـ ٧ ثم البيت ١٣ عند ابن الجهم ، وقارنها بأبيات ابن بلهيد من ١ ـ ٥ ومن ٩ ـ ١٢ وسترى أن المعاني متقاربة الى حد كبير •

خذ مثلا البيتين الأولين لابن الجهم ، وقابلهما بالبيتين الأولين لابن بلهيد ، تجد أن المعانى هى هى كلاهما سحرته العيون وأعادته الى سالف الود ، وان كان المعنى عند ابن الجهم في الشطر الأخير من البيت الثاني ، أقوى دلالة على ما يستعر في القلب ، من حب جديد أيقظ حبا قديما ، فزاد ذلك في لب الشاعر جمرا على جمر •

أما ابن بلهيد فلقد اكتفى بالقول : ان ذلك الهوى الجديد أيقظ أحلام الصبا والهوى العذري في قلبه ، وأنه جدد الجرح فيه بعد التآمه ••

ويتحدث ابن الجهم في البيت الثالث عن أثر الحب الجديد على قلبه ، وأنهن أسلمنه لآلام كأنما يشك فيها بأسنة الرماح ، ويتناول هذا المعنى ابن بلهيد في الأبيات الأربعة من ٩ ـ ١٢ فيبسط القول فيه ، ولكنه لايعدو ما عبر عنه ابن الجهم فى بيت واحد ، فأنت ترى ان ابن بلهيد على بسطه الحديث في أربعة أبيات ، لم يأت بفضل معنى يفوق به ما أوجزه ابن الجهم فى بيت واحد ، على الرغم من التعبير بـ (كأن) التشبيهية عند ابن الجهم ، واستعمال أسلوب الاستعارة عند ابن بليهد ، ونحن نعلم أن للاستعارة من عمق الدلالة ماليس للتشبيه ، أو المفروض فيها أن تكون كذلك لما في أسلوبها من مبالغة في اتحاد المشبه مع المشبه به في الصفة المقصودة •

د ـ والشيب من الامور التى تقذى عيون الغانيات ، واذا كان كل من الشاعرين قد نظم قصيدته بعد ما وخط المشيب رأسه وجلله ، فان من الطبيعى أن يتحـــدث في ألم وحسرة عن ذلك ، أنظر الى الأبيات من ٨ ـ ١٢ عند ابن الجهم ، وقارنها بأبيات ابن بلهيد من ٦ ـ ٨ تجد أن ابن الجهم يبدأ حديثه (بألا) المفيدة للتمنى والتوجـــد ويتبعه (بكفى) ، وكأنه يريد أن يزجر قلبه وهواه اذ كيف يطمع في صحبة الغانيات وقد أودى الشباب وانما تصاد الغوانى فيه •

أما ابن بلهيد فانه يستفهم في حسرة ولوعة ، عما تطلبه الغواني وقد تحول شعر رأسه ولحيته الى بياض يشبه الملح ، ولذا فهو يزجرهن على الرغم مما تركن فى قلبه من كلوم ،لكن تشبيه الشيب بالملح تشبيه سمج، فليته قال مثل ما قال المعري :

خبرينـــى مـــاذا كرهت الشـــــيـ
ب فلا عـــلم لى بذنب المشـــــيب

أضـــياء النهـــار أم وضـــح اللـــؤ
لـــؤ أم كونـــه كثغـــر الحبيب

أو كما قال علي بن الجهم في احدى قصائده الاخرى :

فلم أر مثـــل الشـــيب لاح كأنه
ثنـــــايا حبيب زارنا مبتســـما

فلما تراءته العيـــــون توســـمت
بديهـــة أمـــر تذعر المتوســـما

ويتجلى صدق العاطفة وجودة التصوير في أبيات ابن الجهم ، بينما ينحسر ذلك انحسارا واضحا عن بعض أبيات ابن بلهيد وصوره •

هـ ـ أما الحكمة فان على بن الجهم يأتي بها مشربة بالغزل والحب ، ولا تشكل سوى ومضات في أربعة أبيـــات متفرقة هي : ١٤ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣١ •

أما ابن بلهيد فانه يأتي بالحكمة في أربعة أبيات أيضا من ٢١ـ٢٤ ، في صورة أكثر استقلالا من الحكمة عند ابن الجهم ، على أنك تحس فيها روح ابن دريد واضحة جلية ، كقوله في مقصورته المشهورة :

والنـــــاس ألف منهم كواحـــــد
وواحـــــد كالألف ان أمرعنـــــا

وقولــــه

وانمـــــا المـــرء حـــديث بعـــده
فكن حديثـــا حســـنا لمن وعـــا

فابن الجهم يقول في أبيات حكمته أن كل حلو تشوب حلاوته مرارة ، واذا كان في الهوى حلاوة ومرارة فانه أعلم الناس بحلوه ومره ، ولكنه لا يطيب الا لمنتهك الستر خالع عذار الحياء ٠

واذا كان قد عرض ببخل حبيبته بالســـلام والبشر فاعتبرت ذلك هجاء ، فانه لا يجد حرجا في التسليم لها بذلك ، لأن الشر قد يدفع بالشر ، على أن الناس ليسوا سواء ، فما كل من ركب الجياد فارس ، وما كل من دفعها الى الجري قادر على الثبات في اجرائها ، وكأنه بذلك يحذر من خداع المظاهر ٠

أما ابن بليهد فانه يقول : أن الرجال ليسوا سواء ، فقـــد يغني الواحد عن الألف ، وقد لا يسد الألفان مسد واحد ٠

ويقول : أن خير ما يتركه الانسان بعد وفاته الذكر الحسن ، كما ينصح بتلمس رضاء الله التماسا للستر في الدنيا والآخرة ، والمقصود بالستر هنا : التسديد والتوفيق في العمل الصالح ٠

وتهتاج المشـــاعر والاحساسات ذكريات الماضي ، لدى كل من الشاعرين فيتحدثان عنها ، لـــكن ابن الجهم يأتي بهـــا في الأبيـــات من ١٧ ــ ٢٤ على صورة حوار بينه وبين حبيبته ، على نحـــو ما كان يصنعه عمر بن أبي ربيعة ٠

فهو يقـول : انه لا يستطيع نسيان ذلك الحـوار ، الذي قام بين حبيبته التي تعجب من تمكن الهوى منه ، وصديقتها التي تلومها على امعانها في تعذيبه ولا عذر لها في ذلك ، ولذا فهي تغريها بالعطف عليه ولو بالوعد الذي ينشطه ويحييه ولكن حبيبته تتعلل ـ في تحسر ـ بأنها تداري حبها وتستره ، ولو أنها تعلم أن الهوى لا يطيب الا لمن يهتك الستر ولا يقيم وزنا لما قد يقال عنهما .

وتشعر الصديقتان بالشاعر وأنه سمع حديثهما ، فتسألان من القادم دون علمنا ؟ فيجيبهما بأنه هو وأنه مذعن لما تريـدانه مـن الحالتين : افشاء الهوى أو ستره ، فحبها قد ملك عليه أمره ، فهـو منقاد لما تمليه رغبة الحبيب ، ولكنه لا يملك الا أن يشكو ظلوما وبخلها عليه ، حتى بالتسليم واظهار البشاشة والمسرة ، واذا كانت تعتبر لومه ذما وتعريضا ، فانه يوافقها على ذلك التماسا لدفع ما أصابه من حبها وصدودها .

أما ابن بليهد فان ذكرياته فى الابيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ تعود به الى زوجته ، التي مضى على وفاتها ما يقرب من عشرين عاما ، ومع هـذا فمازال حبها يستوقف قلبه كلما استمالته أعين الغيد .

ز ـ وفخر الشاعر بشعره كفخره بحسامه وصفاته الحميدة ، وهذا أمر مألوف لدى كثير من الشعراء ، ولقد فخر ابن الجهم في أبياته من ٢٥ ـ ٣٢ ، كما فخر ابن بليهد في أبياته من ٩ ـ ٢٠ ، غير أن فخر ابن الجهم كان بحسبه وشعره ، الا أنك تلمس في أبيـاته أنه يضـع الشعر في المرتبة الثانية بعد الحسب ، ثم أن أسلوبه فيه أسلوب المستقل عن متابعة السابقين في الفخر ، فهو ان كان مجيدا في شـعره الا أن الشعر لم يزده ولم ينقصه ، ثم هو لا يطلب بالشعر جـاها ولا مالا ، وانما اخلاق المتوكل هى التى دفعته الى نظم الشعر ، وتلك نغمة تحسها في الكثير من شعره ، كقوله في غير القصيدة التي نحن بصـددها يمدح المتوكل ويفخر بشعره ، الذي صانه عن أن يمتهن في مجـالات المدح والذم فلم يسمح به الا للسادة النبلاء أمثال المتوكل :

وقصيـــــدة غـــراء بفـ
نـى الدهر قبل فنائهـــا

تبقـى عـلى الأيـام نصـ
ـب صـباحها ومسـائها

لم تسـتمح أيدي الرجـا
ل بمدحهـا وهجائهـا

بـاتت تصـان فـآن أن
تهـدى الى أكفـائها

خص الخليفـة جعفـر بـ
ـن « محمـد » بثنائهـا (١)

أما فخره بشعره في رصافيته ، فان أبياته امتداد للحوار الذي كان بينه وبين حبيبته وصاحبتها ٠

لقد أثنت حبيبته على شعره وشبهته بالسـاريات تنقلهم من مصر الى مصر ، لكنه فى أسلوب المترفع المظهر للتواضع ، ينفى اجادته للشعر وان جاش به صدره حينا ، ولكنه لا يستظل بظله ولا يحتمي بحماه ، ولم يكن الشعر بالذي يرفعه أو يضعه ، بل ان قدره ومنزلته العالية هى التى سيرت شعره وجعلته تابعا له ، ليس كغيره من الذين يتبعون الشعر ، ولولا احسان الخليفة لما قال الشعر مادحا ، ولو كان قوله هذا في شعره من غيره لعد هجاء لشعره ٠

أما ابن بليهد فانه يفخر : بشجاعته ، وحسامه ، وقلمه ، وبيانه ، وأمانته ، في شعره ، كما يفخر بآبائه ، الا أنه لا يطيل الوقوف عند الشعر ، فيشير الى شيء من أسلوبه في نظمه ، وأنه اذا أعجبـه البيت ضمنه ولكنه يدل على ذلك ، كما صنع في أول القصيدة عندما أخـذ بيت المجنون ٠

---

(١) ديوان على ابن الجهم ص ٣٨ ٠

تداويت من ليـــلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شـــارب الخمر بالخمر

وتتداخل صورة الفخر عنده في أولها بالغزل ٠

ونرى أن ابن بليهد ،على الرغم من ترسمه لنهج السابقين، فى فخرهم، الا أن ملامح شخصيته واضحة ، فهو لا يستطيع الاستقلال الكـــامل عن التقليد ، كما هو شأن ابن الجهم ، كما لم يذب ذوبانا كاملا في التقليد ، بل ترك ملامح شخصيته وبصمات شاعريته واضحة على أبياته ٠

الخلاصـــة :

١) ان كثيرا من المعـــاني لدى علي بن الجهم ، تأتي أقوى دلالة على ما صنعه الحب الجديد في النفس ، كما أنها تأتي مباشرة في أول الحديث ، بينما تأتي متأخرة عند ابن بليهد ، أنظر البيت/ ٢ عند ابن الجهم ، كما أنظر البيت /٢ عند ابن بليهد والبيت/ ٩ ٠

٢) واذا كان ابن بليهد ، قد فصـــل الحديث عما صنعته العيـــون بالقلب ، في أربع أبيات من ٩ ـ ١٢ ، فان ابن الجهم قد عبر عن ذلك تعبيرا قويا كافيا في بيت واحد رقم/٣ ٠

٣) وقد يخون علي بن الجهم التوفيق في التشبيه ، وان كان يســتر ذلك بحلاوة لفظه وجمال نسجه وقوته ، فلقد شبه الحسان بالأهلة في البيت/ ٤ ، والمألوف تشبيههن بالبدور ، أو الشموس أما الأهلة فانما يشبه بها حاجب الحسناء ، ومثل هذا وقع فيه ابن بليهد حين شبه الشيب بالملح ٠

٤) واذا كان كل من الشاعرين ، قد تحدث عن ذلك الحب الذي زاره وقت المشيب ، فان ابن بليهد انما يتحدث عنه حديثا عاديا لا يدل على تمكن ذلك الحب من نفسه ، أما ابن الجهم فانه يصور لنا ذلك في حرارة وألم ، وتحسر يبدؤه باســـتفهام كله توجع وتفجع ، ويختمه بالتمني ، والتوجـــد ، كما تراه في الأبيات الثـــلاثة ٦ ، ٧ ، ٨ ٠

٥) وغزل ابن بليهد غزل هادىء لا يدل على تجربة شعورية عنيفة ، وليس فيه حرارة المحب الملوع ، أما علي بن الجهم فان غزله غزل من عاش التجربة واكتوى بنارها ، كما توحي به أبياته خاصة ذلك الحوار الذي أداره بينه وبين حبيبته وصاحبتها ٠

٦) واذا كانت العادة وما تمليه طبيعة الانثى ، أن الطلب انما يكون من الرجل ، والتعزز والتمنع من المرأة ، وهذا ماجرى عليه غزل ابن الجهم ، فان ابن بليهد قد خالف هذا باثباته بما يوحي أنه هو المتمنع ، فكيف وهو الشيخ الكبير ؟ ٠

رويدا ظباء النيل ما أنا خاطـب
ولا أنا صـياد وتعـلمن من أمـري

٧) واذا كانت الصـورة الأدبية من تشبيهات واسـتعارات ، لدى ابن بليهد أقرب الى البداوة ، تأتي قوية صلبة تعتريها الخشونة حينا ، كما هو واضح في ذكر : الخـدر ، والمجن ، والمهرة ، والرحل ، والقلوص ، فانها عند ابن الجهم تأتي ناعمة باسمة في جـلال وجمـال ، أنظـر الى الصـورتين الجميلتين في البيتين ، ٧ ، ٩ ٠

٨) وتقرأ قصيدة ابن الجهم من أولها الى آخرها ، فلا تحس فيها بيتا أخذ من غيره أو معنى استعير من آخر ٠ بينما نجد ذلك في أكثر من بيت عند ابن بليهد ، فلقد أخذ بيت المجنون رقم ٥ كما أخذ في حكمه معاني أبيات ابن دريد كمـا أسلفنا ثم أخذه لقـول حسان ـ رضي الله عنـه ٠

لساني وسـيفي صارمان كلاهمـا
ويبـلغ ما لا يبـلغ السيف مقولي

فقـد أخذه في قوله :

ولي صارمان من حسام ومقول ٠٠٠٠٠٠٠ البيت ٠

٩) وتأتى قصيدة ابن الجهم ، فى حبكها ونسجها على وتيرة واحدة لا تخلخل فيها ، بينما تأتى قصيدة ابن بليهد، فى ارتفاع وانخفاض، تقوى كما فى الابيات الاولى ، وفى أول أبيات الفخر حتى تصل الذروة ، ثم تهبط حتى تصل الى درجة النظم ، كالابيات التى تحدث فيها عن شعره وكيف نظمه ..

١٠) أما الوحدة الشعورية وهي ما يطلب هنا فانها متحققة في كلتا القصيدتين ، وأما الوحدة العضوية فانها فيما أفهم ، انما تطلب في العمل التمثيلي والمسرحي ، أما الشعر الغنائي فيكفي أن تتحقق فيه وحدة الشعور وتداعي الأفكار .

ومع هذا فان قصيدة علي بن الجهم تمتاز على قصيدة ابن بليهد ، بأن فيها شيئا من التماسك العضوي ، فكل بيت آخذ بحجز صاحبه لا يصلح الا به ولا يوائمه سواه ، وبخاصة النصف الأول من القصيدة وهو موضوع الموازنة ، أما نصفها الثاني وهو المديح فان ذلك الارتباط بين الأبيات وبعضها فيه ضعف .

١١) واذا كان لنا أن نحكم عاملي الصحة والسن ، فانا نغتفر بموجبها لابن بليهد ماقصر فيه دون ابن الجهم، فلقد نظم ابن الجهم قصيدته وهو على أشده وفي كامل صحته وقبل أن ترهقه السنون ، أما ابن بليهد ، فقد نظم قصيدته وهو شيخ جاوز الستين يصارع المرض .

(الموازنة الثانية)

« بين ابن بليهد والفرزدق » (١)

لابن بليهد قصيدة في وصف الذئب تشبه الحكاية ، اذ سرد فيها قصته مع الذئب ، وما جرى بينهما ليلة التقيا في الخلاء .

وللفرزدق أبيات في مقدمة احدى قصائده يصف فيها حكايته مع الذئب .

ولم يكن وصف الذئب في حد ذاته بالداعي الى الموازنة بين الشاعرين في وصف ذلك ، فالعرب قد أكثروا من وصف الذئب وان لم يطيلوا فيه ، وكانوا يعرضون لوصفه حين تدعو له المناسبة وما أكثرها في حياتهم .

---

(١) الفرزدق هو : أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، يعد من سادة تميم وأشرفها ، عظيم الأثر في اللغة كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، وهو من شعراء الطبقة الأولى الأولى في الاسلام ، ويرجع بعض الباحثين قوة شعره ومتانة لفظه وشدة أسر كلامه ، الى اتقانه حفظ القران الكريم .

وهو أحد الواحد والثمانين من الشعراء الذين وقفوا في وجه جرير وهاجوه فلم يثبت منهم له سوى الفرزدق والأخطل ، وأخبار نقائضه مع جرير أشهر من أن تذكر .

لم يكن ينشد الشعر أمام خلفاء بني أمية الا قاعدا ، فلما أراده سليمان بن عبد الملك على الوقوف ، ثارت ثائرة من حضر من بني تميم فأذن له بالجلوس .

وكان عزيزا في قومه يحمي من يلوذ بقبر أبيه ، وكان يكنى ببنته (مكين) كما لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وعظمه ، وقيل لأثر على وجهه من الجدري وقيل انه زير نساء ، وبه فسق خلو شعره من الغزل .

توفي ببادية البصرة عام (١١٠هـ ـ ٧٢٨م) عن عمر يناهز المائة .
وديوانه مطبوع .

وانما الذي دعانا الى هذه الموازنة ، أن ابن بليهد أشار الى وصف الفرزدق في آخر قصيدته •

ومن هنا قام الظن في أنه حاكاه في هذه القصيدة ، التي نوازن بينها وبين أبيات الفرزدق •

والتقاء الشاعرين في هذا أمر ليس بالغريب على أمثالهما : فكلاهما تقلب في أحضان الصحراء وجاس خلالها ، وعاشا عيشة متقاربة ، وجمعتهما ظروف متشابهة فكان طبعيا أن يلتقيا فى مثل هذا المعنى •

نص قصيدة ابن بليهد ومطلع قصيدة الفرزدق •

ولقد سبقت كل واحدة من القصيدتين حكاية لمناسبتها ، مما يقوى الظن بمحاكاة ابن بليهد للفرزدق ، فأما قصيدة ابن بليهد ، فقد قدم لها هو بمقدمة فصل فيها السبب وأجمل فيها معاني القصيدة بقوله :

(بت ليلة في بيداء مقفرة ، فأقبل على الذئب وقد أشعلت ناري وطرحت صيدي بجانبها ، وقمت أصلي ، وناقتي معقولة أمامي ، وبعد فراغي من الصلاة ، لاحظت أن الذئب قد هم بي ، فألقيت اليه بعض اللحم ، ثم خشيت ان هو ذاقه ألا يتركني ، وتلك عادة معروفة لدى الذئاب ، فسحبت اللحمة ، فكأني قد استثرته فأخذ يبدى من الحركات ما يسبق انقضاضه في العادة ، فخاتلته وقتلته ، ثم أسرعت في انضاج شوائي وحملته بين يدي لآكل منه على ظهر ناقتي ، ثم أسرعت اليها فأطلقت عقالها وهربت من المكان ، لأن الذئا بحين تشم رائحة دم صاحبها ستسرع للانتقام ، وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة) •

١ ــ وذئب جسور الخطو غير مجرب
لفعلي ولم تمسسه بعد قناتي (١)

٢ ــ وقد غره مني سكوتي وأنني
من البرد قد لفت على عباتي

---

(١) أوراق مخطوطه •

٣ ـ فأقبل كالمختـــال يمشي مجرجرا
أتاه المنى فى مقفر الفـــلاوات

٤ ـ يحـرك فـك نابه نصل فاتك
ويرمي من العينين جمـــر غضـــاة

٥ ـ فلي نظرة منها وأخرى لناقتي
أمامي وقد أوثقتهـــا بحبـــاتي

٦ ـ وقد قمت للرحمن ربي مصـــليا
فأمهلني حتى قضـــيت صـــلاتي

٧ ـ هو الله لم يمكنـــه مني بســـجدة
وناري من خـلفي أشـــد حمـــاتي

٨ ـ بقدرته حتى قضيت عبـــادتي
وأدنيت مني صـــارمي وعصـــاتي

٩ ـ وقلت له يـــا ذئب اني وناقتـــي
عليـــك حـــرام فأقنعن بهبـــاتي

١٠ ـ سأطعم من صيدي وأعطيك بعضه
وان أنت لم تشبع رميت فتـــاتي

١١ ـ اليـــك فان أغرتك في شراسة
بطبعـــك لم تقنع بغير حيـــاتي

١٢ ـ فدونك ان ماشئت ضـــربة صارم
له من سيوف الهند خير شـــباتي

١٣ ـ تمطى وأرخى فـكه في تثـــائب
ليخدعني أو أن تلين حصـــاتي

١٤ ـ علمت بأن الحرب بيني وبينه
على كف شيطان دعاني ، هـــات

١٥ ـ فقلت على رسلي لألحظ فرصة
يـــكون بها الحظ الســـعيد مواتي

١٦ ـ فخاتلته حتـــى أتت ففجأتــه
بهجمـــة فتـــاك كجمـــع كمـــات

١٧ ـ وأعملت فيه السيفوالرمحوالعصا
ولـــولا الاذى أكرمتـــه كعفاتي

١٨ ـ وما هبته مثل الفرزدق اذ دعـــا
الى صحبـــة مجـــلوبة بهبـــات

أما قصيدة الفرزدق ، فقد سبقت في ديوانه بمجمل لسبب القصيدة ربما رويت عن الشاعر وربما كانت من صنع الراوي ، والبحث في هذا لا يعنينا بقدر ما يعنينا أن هذه المقدمة مثبتة في الديوان ·

تقول الرواية : (خرج الفرزدق فى نفر من الكوفة يريد يزيـــد ابن المهلب ، فلما عرسوا من اخر الليل عند القريين ، وعلى بعير لهم مسلوخة كان اجتزرها ، ثم أعجله المسير فسار بهـــا ، فجاء الذئب فحركها ، وهي مربوطة على بعيره ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق ، فأبصر الذئب بنهشها ، فقطع رجل الشاه فرمى بها الى الذئب فأخذها وتنحى ، ثم عاد فقطع يد الشاة فرمى بها اليـــه ، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان وأنشد يقول :

١ ـ وأطلس (١) عسال وما كان صاحبـــا
دعـــوت بنـــاري موهنـــا فأتاني

٢ ـ فلمـــا دنا قلت : ادن دونـــك انني
وايـــاك فـــي زادي لمشـــتركان

٣ ـ فبت أســـوي الزاد بيني وبينـــه
على ضـــوء نار مـــرة ، ودخـــان

٤ ـ فقـــلت له لمـــا تكشر ضـــاحكا
وقائم ســيفي من يـــدي بمـــكان

(١) الاطلس الأغبر ـ والغبرة لون بينالبياض والسواد ·

٥ ـ تعش فان واثقتني لا تخـــونني
نـــكن مثـــل من يا ذئب يصطحبان

٦ ـ وأنت امرؤ ، يا ذئب ، والغـدر كنتما
أخيين ، كانا أرضـــعا بلبـــــان

٧ ـ ولو غـيرنا نبهت تلتمس القـرى
أتاك بســـــهم أو شباة ســنان

٨ ـ وكل رفيقي كل رحل وان همـــا
تعاطى القنـــا قدما همـــــا أخوان

٩ ـ فهل يرجعن الله نفسا تشعبـــــت
عـــلى أثر الغـــادين كل مـكان (١)

ما اشتركت فيه القصيدتان :

١ ـ وأول لقاء بين الشاعرين تم فى الموضوع والبحر ، فكلتاهما من بحر الطويل ، وكلاهما وصف الذئب وحكايته معـــــه ، الا أن ابن بليهد قصر قصيدته على ذلك ، أما الفرزدق فجاء وصفه للذئب مقدمة للفخر وأمشاجا من المعانى اخرى ٠

٢ ـ وكلاهما في المطلع دخل في الموضوع مباشرة ، وكلاهما بدأ المطلع بالواو المسماه (بواو رب) ، الا أن الفرزدق بدأ بلون الذئب ، ثم ذكرمشيته وقوته،أما ابن بليهد فذكر اسمه ،ثم مشيتهالجسور٠

٣ ـ وكلاهما وصـــف مشي الذئب في كلمة ، فقد وصـــفه الفرزدق بالسرعة والاضطراب في مشيته « بعسال » من البيت الأول ٠
كما وصفه ابن بليهد « بجسور الخطو » فوصفه : بالقـــوة ، والجرأة في السير في البيت الأول ٠

---

(١) ديوان الفــرزدق ٢ : ٣٢٩ ـ دارصادر ـ بيروت (١٣٨٠ هـ ١٩٦٠) ٠

٤ ـ وكلاهما خاطب الذئب في صورة تشخيصية ، جعلا فيهـا الذئب وكأنه انسان يفهم الخطاب ويعيه ، وهذا أسلوب في شعر العرب كثير ، بلغ استحسانهم له أن تجاوزوا فيه الحيوان الى الجمـاد ، فكما خاطبوا الذئب ، والحصـان ، والكلب ، والجمـل خاطبوا كذلك : الرمح ، والسيف ، والجبل والوادى ، وأطلال الاحـباب ونحـو ذلك ٠

غير أنك تحس خـوف الفرزدق من الذئب ، في مبـادرته الى اطعامه ، ودعوته الى ناره واستصحابه في الأبيات ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ٠

أما ابن بليهد فانه لم يبين فى ابياته خوفه من الذئب ، وانما بادر الى صده عما أراد ، وأيئسه من أن يطمع فيما بين يديه ، فلم يعطه شيئا ولم يدعه الى صحبته ، وانما وعده بفضل طعامه ، فان هو لم يرض بذلك أطعمه سيفه ورمحه ، أنظر الابيات من ٩ـ١٢٠

٥ ـ وكلاهما وصف تهيؤ الذئب للانقضاض وشهوته للافتراس ، من خلال وصف حركاته المنبئة بذلك ٠

غير أن الفرزدق وصـف ذلك في كلمتين هما : « دنا ، تكشر » في البيتين ٢ ، ٤ ٠

أما ابن بليهد فقد وصف حركاته في بيتين هما ٤ ، ١٣ ٠ وصف فيها فكه وأنيابه ونظراته وتمطيه ٠

ـ واذا كان الفرزدق قد خاف الذئب فاستعد له ، بأن خاطبه ويده على قائم سيفه البيت/٤ ، فان ابن بليهد قد أبان عن تأهبه له واستعداده لمنازلتـه ، بتقريب سـيفه وعصـاه وتحين الفرص المناسبة ، ذلك في البيتين ٨ ، ١٥ ٠

٧ ـ وكلاهما ذكر شيئا من خـلال الذئب وخصاله ، فقد وصـفه الفرزدق : بالغدر ، وأنه كأنما أرضـع واياه بلبن واحـد ، وذلك في البيت/٦ ٠

أما ابن بليهد فوصفه في البيت ١٣ بالمخادعة والمخاتلة ، وأنه في تمطيه وتثاؤبه يتظـاهر بالفتور ، أو الغفـلة وهو ائما يتـأهب للانقضـاض ٠

(ما امتاز به كل واحد منهما)

الفرزدق :

أ ـ وصف الفرزدق لون الذئب بأنه أطلس (وأطلس عسال) أي بياضه قد أشرب بالسواد حتى جاء أغبر اللون ، وبلونه تشبه العرب الوجه الكالح والأديم الكالح ، بينما ضرب ابن بليهد صُفحا عن ذلك ، ولعله قد ألف لون الذئب فلم يعد يثير الانتباه فيه .

ب ـ وتمتاز أبيات الفرزدق بالقوة والمتانة ، وفيها ما هو من شواهد القائلين بأن شعر الفرزدق قد حفظ ثلث اللغة ، كفصله بين الموصول وصلته بالمنادى وحرف النداء فى قوله :

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان .

على أن في بعض أبياته اختلافا في الرواية ، لم نشأ التفصيل فيها (كأسوى الزاد) فقد رويت (أقد الزاد) وقوله :(فان واثقتني) وقد رويت (عاهدتنى) وقوله : (كانا أرضعا) فقد رويت (كأن قد أرضعا) .

جـ ـ وغني عن القول : أن لغة الفرزدق وأسلوبه معرقان في الأصالة والفصاحة ، ولم لا وقد وصف شعره بحفظه ثلث لغة العرب ؟ .

د ـ وتبدو خلال العرب وسجاياهم ـ التي من أبرزها إكرام الضيف ـ في أبيات الفرزدق ، حين دعا الذئب الى مشاركته في طعامه ، فكأنه بذلك يريد أن يفخر بكرمه ، وأنه يتجاوز الانسان الى الحيوان .

ابن بليهد :

أ ـ وأول ما نلحظه فى قصيدة ابن بليهد ، انه فصل ـ الى حد ما ـ بعض أوصاف الذئب ، فقد ذكر منها تسع صفات هى : جسارة خطوه ، وأنه يمشي كمشية المختال ، وأن صوته يجرجر في جوفه ، وأنه يحرك فكه يمينا وشمالا ، وأن نابه كالنصل ، وأن نظراته تشبه جمر الغضاة ، وأنه يقسمها بين ابن بليهد وناقته ، وأنه

شرس الطباع وأنه يتمطى كالمستيقظ من النوم ، ويرخي فكه كمن يتثاءب غدرا منه واحتيالا ، تسع صفات ذكرها ابن بليهد في أبيات ستة هي من ١ ـ ٥ ، البيت ١٣ بينما لم يذكر الفرزدق من صفات الذئب الا أربعا .

ثم ان الصورة التي أعطاها ابن بليهد للذئب ، تجعلك تتمثل شخصه أمامك في حركاته وسكناته ، بينما لم يعطنا وصف الفرزدق سوى اللون ، وحركته في المشي ، وتكشيره ، وغدره ، وقد يشفع له في هذا أن أبياته كانت مقدمة لقصيدة ولم يكن وصف الذئب هدفا له ، وذلك خلاف ابن بليهد الذي قصر قصيدته على الذئب وحاله معه .

وقد يقال : ان غرض الفرزدق الأصلي هو وصف الذئب ، اذ هو السبب الذي دعاه الى نظم القصيدة ، وأن ما بعده امتداد أو استطراد ، وحينئذ يكون الحكم لابن بليهد بالسبق في التفصيل والتصوير ، ويكون قول الفرزدق دون ما فصله ابن بليهد .

ب ـ ولم تكن لغة ابن بليهد ، كما لم يكن أسلوبه بأقل مستوى مما كان عليه ذلك لدى الفرزدق ، وهذا أمر طبعى اذا نحن أخذنا فى الاعتبار ترسم ابن بليهد لخطا السابقين ومحاكاتهم ، والنسج على منوالهم ، وهذا ما جعل شعره يدنو كثيرا من أساليب أولئك الفحول السابقين ، لولا ما وقع فيه من اللحن حين الحق التاء بالعصا في البيت ٨ ، وليست هذه من ضرورات القافية المغتفرة ، وهو لحن قديم ، روي عن الفراء أنه قال : « أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي » (١) .

ثم أنه أخطأ في المثل حيث قال : (تلين حصاتي) والمعروف في ذلك (تلين قناتي) ثم حذفه لهمزة (عباتي) ثم بعد مرجع الضمير في قوله (بقدرته) فان مرجعه لفظ الجلالة في البيت الثالث قبله ، والابيات ٦ ، ٧ ، ٨ وهذه انأمكن قبولها على

---

(١) أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ـ ٢ : ٧٩٢ ـ سعيد الخورى اللبنانى ـ مطبعة مرسيلى اليسوعية ـ بيروت ١٨٨٩

نحو من التفسير المقبول كالضرورة مثلا ، الا أنه لو سلم منها لكان أجود وأجمل •

جـ ـ وابن بليهد أطول نفسا في وصف الذئب من الفرزدق ، اذ تبلغ أبيات قصيدته « ١٨ » بيتا ، بينما أبيات الفرزدق « ٨ » أبيات •

د ـ كما أن ابن بليهد الى جانب وصفه للذئب ، وصف حاله عند مجيئه اليه على نحو لا نجده في أبيات الفرزدق •

صور بيانية :

أ ـ اذا كان الفرزدق قد استعار الضحك لتكشير الذئب ، على نحو تدنو فيه الاستعارة من التشبيه ، حتى فقدت الصورة كثيرا من جمالها ، فان ابن بليهد قد أبدع فيما أتى به من الاستعارات خذ مثلا قوله :

علمت بأن الحرب بيني وبينه
على كف شيطان دعاني ، هات

انه يستعير الحرب لما بينه وبين الذئب ، من عداء وصراع مترقب ، اذ الحرب انما تكون بين بني الانسان •

ثم أنظر قوله : (على كف شيطان دعاني) : ألا ترى معي أنه تصوير رائع للحال القائم بينه وبين ذلك الوحش بأبدع ما تكون أساليب البيان ، ثم أنظر استعارته ـ التثاؤب ـ لفتح الذئب فمه ثم استعارة الغضاة لما يتراءى للناظر الى عين الذئب من لون يتقادح كالشرار أو يتلظى كالجمر •

ب ـ واذا كان الفرزدق ـ قد أحسن حين شبه الذئب والغدر . في اقترانهما بأخوين أرضعا بلبن واحد ، فان ابن بليهد لم يقصر حين شبه ناب الذئب بنصل فاتك ، كما شبهه في مشيته بالمختال ، ومهما يكن من أمر فان الناظر في النصين لابد من أن يلحظ

الاجمال في المعاني والمرور العابر على الصور لدى الفرزدق ، بينما يجد شيئا من التفصيل والتأني عند ابن بليهد .

ومرد ذلك الى أن الفرزدق لم يستهدف وصـــف الذئب غرضا ، وانما أخذه مقدمة لقصيدته ، بينما كان وصف الذئب عند ابن بليهد هو الغرض المقصـــود .

ثم أن ابن بليهد كان محتذيا للفرزدق وناظرا لمعانيه عند نظمه قصيدته ، وهذا يوجب على المحتذي أن يتوخى التفصيل والزيادة على ما أتى به المحتذى .

من هنا جاءت اجادة ابن بليهد في كثير من الصور والمعاني التي أسلفنا عرضـــها .

(الموازنة الثالثة)

« بين ابن بليهد وابن عثيمين » (١)

من الشعراء الذين تتلمذ عليهم ابن بليهد وأعجب بهم الشيخ محمد بن عثيمين ، بل نستطيع أن نقول : ان ابن عثيمين الشاعر الوحيد الذي استشهد ابن بليهد بشعره في أكثر من موضع في كتبه وديوانه ، وكان يصفه بالشاعر الكبير ، وتنم كلماته عنه على قلتها عن اعجاب به وتقدير له ٠

---

(١) ينتمي الشيخ محمد بن عثيمين الى قبيلة الدواسر ، احدى قبائل نجد الواسعة الانتشار ، وقد ولد عام (١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م) بقرية السلمية ، من اقليم الخرج بنجد ونشأ بها يتيما عند أخواله ، حيث تعلم القراءة والكتابة ، على الطريقة المعروفة اذ ذاك ، ثم أخذ فى طلب العلم على بعض العلماء فى عصره ، وفى طليعتهم الشيخ عبدالله بن محمد الخرجى قاضى السلمية ، وممن اخذ عنهم علامة نجد ٠٠ الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - وكان اذ ذاك بقطر ، ومنهم الشيخ حمد بن عتيق بالافلاج بنجد ، وأحمد الجبانى بعمان ٠

وكان عهد الشاعر عهد فتن ، فلم يستقر به المقام اول حياته ، فطاف الكثير من البلدان داخل الجزيرة ، طالبا للعلم والمال والأمان ، واتصل فى أثناء تطوافه بكثير من العلماء والأمراء ، مثل الشيخ قاسم بن ثانى حاكم قطر وابنه على ، وقد حظى عندهم بمرتبة النديم الخاص ، لما اشتهر به من علم وأدب وقرض للشعر ، خاصة بالعامية ٠

ثم اشتغل بتجارة اللؤلؤ ، فتنقل لذلك بين قطر والبحرين ، وربطته بالشيخ عيسى بن على أمير البحرين وابنه محمد صلات متينة ، فقرباه وأكرماه ووجد منهما خير معين ، حينما اشتدت به الضائقة المالية ، وفيهما قال أقدم شعره الفصيح ٠

وحينما فتح الملك عبد العزيز الاحساء عام (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م) وفد عليه الشاعر ومدحه ، فأجزل له العطاء ثم ان الشاعر أعجب بما أضفاه الله من ظلال الأمن الوارف على البلاد على يد الملك عبد العزيز ، فعزم على الاستقرار بنجد ، واتخذ من موطن آبائه وأجداده «حوطة بنى تميم» مقرا تنطلق منه قصائده فى الملك وابنه سعود ، فيجزلان له فى الهبات والعطايا الى أن تقدمت به السن ، فترك قول الشعر قبيل وفاته بثمانى سنوات ، وانقطع للعبادة الى أن توفى - رحمه الله - عام (١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م) عن ثلاثة وتسعين عاما ، تاركا وراءه ذكرا محمودا وسيرة عطره ، وجيلا أيقظ فيه روح الأدب وشعرا مبعثرا جمع بعد وفاته ، بأكثر من عشرين عاما ، وشعر ابن عثيمين شعر جمع بين طلاوة الجديد ، وجلال القديم ٠ =

ويلتقي الشاعران في كثير من الامور : فكلاهما من نجد ، وكلاهما نشأ يتيما ، وكلاهما اشتغل بالتجارة وجاس من أجلها خلال جزيرة العرب ، غير أن تجوال ابن عثيمين كان في شرق جزيرة العـــــرب ، أما ابن بليهـــد فقــد جاس خـــلال جزيرة العرب شرقا وغربا وجنـوبا وشـمالا ٠

وكلاهما قصر مدحـــه على الملوك والامراء ، ونادمهم ٠ غير أن ابن بليهد لم يمدح سوى ملوك آل سعود ، أما ابن عثيمين فالى جانب مدحه لهم مدح أمراء آل ثاني حكام قطر وآل خليفة حكام البحرين ٠

وكلاهمـــا كان مقلدا في شعره للأقدمين ، كمـــا أن كليهما نظم بالفصيح والعامي ٠ غير أن ميدان الغرض كان لدى ابن بليهـــد أرحب ، فقــد نوع فيـــه أكثر من ابن عثيمين الذي قصر شـــعره ـ أو بعبارة أصح ـ الموجود من شعره ـ على المدح والتهنئة والرثاء ٠

والتقاؤهما في كثير من المعاني والألفاظ كثير جدا ، وســنوازن بينهما في قصيدتين من شعرهما ٠

نص القصـــيدتين :

قصيدة ابن بليهـــد : (١)

١ ـ دعتك طيبة فانهض وانتبــه ، وأجب
سر وأجنب الخيل خلف الانيق النجب

٢ ـ شـــمر بعزمك وأجذبهـــا ململمـة
خضر الكتـــائب اذ تغني عن الـكتب

٣ ـ واجعل مدادك من هام العدى علقـــا
بالمشرفيــة والهنـــدية القضـــــب

٤ ـ لقد ظفرت بأوصـــاد الديار كمـــا
أجـــزت واديهـــا بالجفـــل اللجب

= واغراض شعره تدور حول : والمدوالتهنئة ، والرثاء ، خلا قصيدة واحـــدة نظمها فيمن عاب كتب الشيـخ ابنسحمـــان ٠

وفي كتابنا ـ «الأدب الحديـثفي نجد » حديث عن شعره فيه نوع مـــن التفصيل من ص ٣٢ ـ ٥٠ ٠

وانظر ابن عثيمين رائد الشعـــرالحديث في نجد رسالة دكتوراه اعدها عبـد العزيز ابراهيم الفريج (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) ٠

(١) ابتسامات الأيام ص ٩٠ ٠

٥ ـ والناكبـون عن السمحاء قد رغبـوا
في شر منقـلب عن خـير منقـلب
٦ ـ لا ترحم الأشـأم المنحوس طائره
لقـد تـآزر واسـتردى من العـطب
٧ ـ واصـفح وأمن شـعوب العرب كلهم
تبقى شـقاوتهم في ذلك الشـعب
٨ ـ اتبـع بسـيفك ما جاء الكتـاب به
ولا تسـل عن بنى حمـالة الحطب
٩ ـ واسـلك سبيل رسول الله قد سلكت
به الخـلائف أهل الصـدق والأدب
١٠ ـ وانصر شريعة خير المرسلين وقد
يقيم ناصرهـا في أشرف الرتـب
١١ ـ يزول عنها الأذى جهرا اذا ضـحكت
بيض الصـوارم بـين البيض واليلب
١٢ ـ ان شئت فاندب ذوى الهيجاء قد نفرت
لأمـرك العـرب من صـنعا الى حـلب
١٣ ـ جيشـا وخيلا وأبطـالا غطارفة
هم الذخـيرة للهيجـاء والنـوب
١٤ ـ وأشدد بحزبك حزب المسـلمين وقم
بفعـلك المرتضى في نهج خير نبـى
١٥ ـ واذكر معارك أيام أقمت بهـا
سـوقا وأضرمت نار الحـرب باللهب
١٦ ـ أوقدتها جثث الأعدا اذا اضـطرمت
قصـدا الى الله لا قصـدا الى السـلب
١٧ ـ اذا تأملت ما سددت من خـلل
شـكرت سـعيا وما أدركت من أرب

١٨ ـ وتطمئن بك الأوطان ان فزعت
من صوت منتدب في قلب مرتعب

١٩ ـ ذكرى مشاهدكم في كل ناحية
تنسى معارك بين العجم والعرب

٢٠ ـ وقد تحمل من أم القرى عصب
ساروا بهمتك العليا الى عصب

٢١ ـ غدا بهم شد قميات اذا بعثت
تحدى لأمركم بالسوط والعقب

٢٢ ـ لا تتخذ غير أطراف القنا خدنا
فوقها غير وقع الحبر والخطب

٢٣ ـ ان شئت فأذن لها في أي ناحية
لأنها عرضة الطلاب للطلب

٢٤ ـ فكم أخذت مقاليد الامور بها
على القبائل في الخالي من الحقب

٢٥ ـ فالآن فزت بأمر الله واعتدلت
فقر عينا بما أملته وطب

٢٦ ـ نفسا فقد طلعت شمس الهدى وبدت
على الحجاز بأمر الله لن تغب

٢٧ ـ ملأت سبلهم أمنا ومذنبهم
عفوا وقد سلموا من خطة الغضب

٢٨ ـ وان طيتك الكبرى معلقة
في أحمر النقع لا في أحمر الذهب

٢٩ ـ ان تدعنا للوغى لبيك قاطبة
نمشي اليه ولو حبوا على الركب

٣٠ ـ لا يدرك المجد الا من تبلغه
هواجس النفس بين السبعة الشهب

٣١ ـ وأنت أثبت من ثهلان منفردا
في خطة الحرب أو في المسلك الصعب

٣٢ ـ لأن نشأتك الاولى مؤسسة
في دوحة المجد لا في اللهو واللعب

٣٣ ـ وسرت سيرتك الحسنى وقمت بها
بالصدق والعدل لا بالزور والكذب

٣٤ ـ فان قليت فاما حاسد لعبت
به البطالة والبغضا بلا سبب

٣٥ ـ أو مارج أشر في قلبه مرض
كدمنة الجرب لا تخلو من الجرب

٣٦ ـ كأنه : لم يفق من غيه : حجر
لم يبصر الحق أو من جامد الخشب

٣٧ ـ لقد بلغت من العليا أرومتها
بالمجد والفضل والانصاف والنسب

٣٨ ـ فظلت كالبدر لا تخفى مطالعه
ان كنت محتجبا أو غير محتجب

٣٩ ـ مهلا بنى العرب هذا غير متهم
يذود كل أذى عن حوزة العرب

٤٠ ـ عبد العزيز بنى العلا لكم
وثبت البيت بالأعماد والطنب

٤١ ـ يدافع النكبات الكدر دونكم
وكان كالغيث لا كالبارح الترب

٤٢ ـ لم نعصه أبدا فينا وطاعته
حق ومن لم يطعه اليوم لم يصب

٤٣ ـ ان يرضها فغدا نشدد ركائبنا
يحدو بها كل شهم فاتك حرب

٤٤ ـ شـــد الركائب مزجاة الى حـــرم
فيـــه النبي وفيه أفضـــل الصـــحب

٤٥ ـ بعد الصـــلاة لرب العـــالمين بـــه
ســـلم على المصـــطفى بالمنطق العذب

٤٦ ـ واسئل الهـك لا تسأل سواه فمـــا
يغنى عن الخالق المخـــلوق في الطلب

٤٧ ـ ثم الصـــلاة على الهـــادى وشيعته
ما هل ودق على الزيزا من الســـحب

٤٨ ـ والآل والصحب ما ناح الحمام وما
تمزق الريح في العـــالى من الكثب

قصيدة ابن عثيمين : (١)

١ ـ العز والمجـــد في الهندية القضب
لا في الرســـائل والتنميق للخـطب

٢ ـ تقضى المواضى فيمضى حكمها أمما
ان خالج الشـــك رأى الحاذق الأرب

٣ـ وليس ينى العـــلا الا ندى ووعى
هما المعـــارج للأســـنى من الـــرتب

٤ ـ ومشمعل أخـــو عزم يشـــيعه
قـــلب صروم اذا مـــا هـــم لم يهب

٥ ـ لله طـــلاب أوتار أعـــد لهـــا
ســـيرا حثيثا بعـــزم غـــير مؤتشـــب

٦ ـ ذاك الامـــام الـــذى كادت عزائمـــه
تســـمو به فوق هـــام النسر والقطب

---

(١) العقد الثمين من شعر محمد بـــن عثيمين دار المعارف بمصر ص ٢٩ ٠

٧ ـ عبد العزيز الذي ذلت لسطوته
شوسى الجبابر من عجم ومن عرب
٨ ـ ليث الليوث أخو الهيجاء مسعرها
السيد المنجب ابن السادة النجب
٩ ـ قوم هم زينة الدنيا وبهجتها
وهم لها عمد ممدودة الطنب
١٠ ـ لكن شمس ملوك الأرض قاطبة
عبد العزيز بلا مين ولا كذب
١١ ـ قاد المقانب يكسو الجو عثيرها
سماء مرتكم من نقع مرتكب
١٢ ـ حتى اذا وردت ماء الصراة وقد
صارت لواحق أقراب من السغب
١٣ ـ قال النزال لنا في الحرب شنشنة
نمشى اليها ولو جثيا على الركب
١٤ ـ فسار من نفسه في جحفل حرد
وسار من جيشه في عسكر لجب
١٥ ـ حتى تسور حيطانا وأبنية
لولا القضاء لما أدركن بالسبب
١٦ ـ لكنها عزمة من فاتك بطل
حمى بها حوزة الاسلام والحسب
١٧ ـ فبيت القوم صرعى خمر نومهم
واخرين سكارى يابنة العنب
١٨ ـ في ليلة شاب قبل الصبح مفرقها
لو كان تعقل لم تملك من الرعب
١٩ ـ القيتها فى هزيع الليل فامتخضت
قبل الصباح فألقت بيضة الحقب

٢٠ ـ كانوا يعدونها نحسا مذممة
والله قدرها فراجة الكرب

٢١ ـ صب الاله عليهم سوط منتقم
من كف محتسب لله مرتقب

٢٢ ـ في أول الليل في لهو وفي لعب
وآخر الليل في ويل وفي حرب

٢٣ ـ الله أكبر هذا الفتح قد فتحت
به من الله أبواب بلا حجب

٢٤ ـ فتح تؤرج هذا الكون نفحته
ويلبس الارض زى المازج الطرب

٢٥ ـ فتح به أضحت الأحساء طاهرة
من رجسها وهي فيما مر كالجنب

٢٦ ـ شكرا بنى هجر للمقرنى فقد
من قبله كنتم في هوة العطب

٢٧ ـ قد كنتم قبله نهبا بمضيعة
ما بين مفترس منكم ومستلب

٢٨ ـ روم تحكم فيكم رأى ذى سفه
أحكام معتقد التثليث والصلب

٢٩ ـ وللأعاريب في أموالكم عبث
يمرونكم مرى ذات الصنو فى الحلب

٣٠ ـ وقبلكم جن نجد واستطير به
فماذه بشفار البيض واليلب

٣١ ـ شوارد قيدتها صدق عزمته
فظلن يرفسن بعد الوخد والخبب

٣٢ ـ ملك يئود الرواسى حمل همته
لو كان يمكن أرقته الى الشهب

٣٣ ـ ويركب الخطب لا يدرى نواجذه
تفتر عن ظفـــر في ذاك أو شـــجب

٣٤ ـ اذا الملوك استلانوا الفرش واتكئوا
على الأرائـــك بين الخـــرد العـــرب

٣٥ ـ ففي المواضى وفي السمر اللدان وفي ال
جرد الجياد له شغل عن الطـــــرب

٣٦ ـ يا أيها الملك الميمون طائـــرة
اســـمع هديت مقـــال الناصح الحدب

٣٧ ـ اجعل مشـــيرك في أمر تحاوله
مهـــذب الـــرأى ذا عـــلم وذا أدب

٣٨ ـ وقدم الشرع ثم الســيف انهما
قوام ذا الخـــلق في بدء وفي عقـــب

٣٩ ـ هما الدواء لأقـــوام اذا صـــعرت
خدودهم واســـتحقوا صـــولة الغضب

٤٠ ـ واستعمل العفو عمن لا نصير له
الا الاله فذاك العـــــز فاحتسـَـــب

٤١ ـ واعقـــد مع الله عزما للجهاد فقد
أوتيت نصرا عـــزيزا فاســـتقم وثب

٤٢ ـ وأكرم العلماء العاملين وكـــن
بهم رحيما تجـــده خير منقـــلب

٤٣ ـ واحذر أناسا أصاروا العلم مدرجة
لمـــا يرجـــون من جاه ومن نشـــب

٤٤ ـ هـــذا وفي علمك المكنون جوهرة
ما كان يغنيـــك عن تذكير محتســـب

٤٥ ـ وخذ شـــوارد أبيـــات مثقفـــة
كأنهـــا درر فصـــلن بالـــذهب

٤٦ ـ زهت بمدحك حتى قال سامعها
الله أكبر كل الحسن في العرب
٤٧ ـ ثم الصلاة وتسليم الاله على
من خصه الله بالأسنى من الكتب
٤٨ ـ المصطفى من اروم طاب عنصرها
محمد الطاهر بن الطاهر النسب
٤٩ ـ والأل والصحب ما ناحت مطوقة
وما حدا الرعد بالهامي من السحب

(الموازنة بين النصين)

في عام (١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م) . مدح ابن عثيمين الملك عبد العزيز بأولى قصائده فيه ، وذلك بعد ما تم له فتح الأحساء .

وفي عام (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م) . مدح ابن بليهد الملك عبد العزيز باحدى قصائده ، وذلك حين أعلنت المدينة المنورة استسلامها له .

ولقد حاكى ابن عثيمين في قصيدته آبا تمام ، في مدح المعتصم حين فتح عمورية ومطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

والمثل يقول : « السارق من السارق كالوارث من أبيه » .

ولقد حاكى ابن بليهد ابن عثيمين في قصيدة حاكى فيها أبا تمام ، فجاءت قصيدة ابن بليهد كحلة استعيرات من مستعير لها لبسها صاحبنا مهلهلة النسيج .

ولو أنه رجع الى المصدر الأول ، أو جانب المحاكاة لوجد طريق الاجادة أرحب ٠

(ما اشتركت فيه القصيدتان)

١ ــ وأول ما يقابلنا من ذلك :

اطراح الشاعرين للمقدمات وأخذهما في الغرض مباشرة ، وهما وان كانا يكثران من المقدمات في قصائدهما ، الا أن لهما الكثير من القصائد المشبهة لهاتين من حيث اطراح المطالع ٠

ثم التقاؤهما في الوزن وحرف الروى ، اذ كلتاهما من بحر البسيط وحرف الروى الباء المكسورة ٠

٢ ــ يقول ابن عثيمين في البيتين ١ ، ٢ أن السيف والرمح هما اللذان يفصلان الخطاب فى الحرب ، حين يخالج الشك رأى الحاذق الأريب ٠

ويأخذ هذا المعنى ابن بليهد ، فيمدده في خمسة أبيات هى : ٢ ، ٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ينصح فيها ممدوحه بأن يشمر عن ساعد عزيمته ، ويدفع في سبيل هدفه بالجيوش المشبهة للبحر في كثرتها المنجزة بقوتها مالا تستطيع الكتب انجازه ، فصفحات النصر انما يكون مدادها دماء هام الأعداء ، وأقلامها السيوف والرماح التي هي نعم الصاحب ، ولأنها تنجز ما لا تنجزه الكتب والخطب ، وهي ــ أي الجيوش ــ برجالها وعتادها متأهبة لتلبية الطلب ، اذا ما أراد الممدوح ذلك ، وانما تؤخذ المقاليد بها ٠

فأنت ترى أن ابن عثيمين قد أوجز المعنى في بيتين دون أن يعتريهما الخلل ، وذلك هو نفس المعني الذي سبقهما عليه أبو تمام في بيتيه السالفي الذكر ، وأتى به ابن بليهد مفصلا في خمسة أبيات ، لا ترى فيها فضل زيادة على ما أتى به أبو تمام وابن عثيمين ٠

٣ ـ ويمدح ابن عثيمين الملك عبد العزيز في الأبيـات من ٦ ـ ١٠ فينضدد له من الصفات والخلال ما عهدناه لدى مادحى الزعماء والقادة في القديم ، فيصفه بمضاء العزيمة والقوة ، حتى انقادت له رقاب الجبابرة من العرب والعجم ، لأنه ليث الليوث وقرين الحرب وبطلها ، ولأنه سـيد ونجيب من سادة النجب ، ولأنه وأجداده زينة الحياة الدنيا ومجلى سرورها ، وهم فيها كالعمد من البيت ، ثم يثنى عليه بأنه أفضل الملوك ، لكن ابن عثيمين حين يبالغ يحجز مبالغتـه كعادته في الكثير من شـعره ب (كاد) وما شابهها ، وهو في هذا يشبه شاعر الحكمة الجاهلي زهير بن أبى سلمى في استعمال مثل هذا ـ أما ابن بليهد ، فانه يثني على الملك عبد العزيز فى الابيات ٣٢،٣٣،٤٠،٤١ بمنشئه الطيب النابـذ للهو واللعب تعلقا والتزاما بالخلال التى نشىء عليها ، لذا فهـو يحرص على التزام السيرة الحسنة في صدق واخلاص ، ثم يلتفت الى الشعب وهو يمدح الملك ، فيذكره بأن عبد العزيز هو الذي بنى له بيت المجد ، وأنه يدافع عنه النكبات ، ثم هو له بمنزلـة الغيث للأرض ٠

٤ ـ ويمد الشاعران بساط مدحهما على جيش الممدوح ، فيصـور ابن عثيمين فى الابيات من ١١ ـ ١٥ نقع سنابك الخيل بالسحاب، ويقول : ان الخيل والابل من طول المسير ضمرت واشتد طلبهـا للطعام والشراب ، لكن قائد الجيش يلح على المسير ولو حبوا على الركب ، وفي ذلك ما فيه من التعبير عن قوة العزيمة والاصرار على بلوغ المراد ، ولذا فانه في نفسه جيش يسير مع جيشه اللجب ، وبهما بلغ المرام ٠

أما ابن بليهد فلم يبلغ في ثنائه على الجيش مبلغ صاحبه وانما أتى بذلك مزقا في أبياته كالبيت / ١٣ ٠

٥ ـ ومدح الممدوح يجر عادة الى التعريض بأعدائه وذمهم ، ومثل ذلك صنع الشاعران ، فذمهم ابن عثيمين في الأبيات ١٧،٢٢،٣٩ بالسكر وبالنوم ، وبأنهم أهل لعب ولهو ، وأهل طغيان وجبروت ٠

أما ابن بليهد فقد وصفهم في بيتيه ٥ ، ٦ بالضلال والتنكب عن طريق الشرع وبالشؤم والنحس ، فأنت ترى أن النظرة الى الدين عندهم تتدخل حتى في الهجاء والسياسة .

٦ ـ ويثنى الشاعران على الممدوح بانتصاراته العظيمة ، غير آن ابن عثيمين في بيته ٣١ يأتى بها في صورة بيانية رائعة ، يرى فيها الممالك والأقاليم وكأنها شوارد قيدها الممدوح ، وهي احدى الصور البدوية الكثيرة في شعره .

أما ابن بليهد ، فيأتى بها في صورة الخبر ، الذى لا تكلف فيه ولا تعمل الا أنه خال من الصورة الجمالية ، التي رسم مثلها لنا ابن عثيمين في بيته المشار اليه سلفا .

يقول ابن بليهد موجها الخطاب للملك عبد العزيز : لقد ظفرت بأودية البلاد (وأوصادها) أي المنازل التي بنيت في الجبال ، ويريد بذلك آنه ظفر بالبلاد أجمع ، وأن وسيلته في ذلك كان جيشه اللجب ، المشبه للبحر في كثرته واندفاعه .

٧ ـ وعلو الهمة وبعد المطمح ، وركوب الصعب والذلول في سبيل الوصول الى ذلك ، من الامور التي يمدح بها السادة والقادة ، غير أن شاعرينا عبرا عن ذلك ببعض الوسائل الموصلة الى الغايات ، التى يطمح لها ارباب الهمم العالية .

فيقول ابن عثيمين في البيت ٣٥ : أن في السيوف والرماح والخيل المضمرة ، شغلا للممدوح عن اللهو والطرب .

ويقول ابن بليهد في البيت ٢٨ أن نية الممدوح وعزيمته ، معلقة في حمرة الدماء التي تريقها سيوفه من هام الأعداء ، لا في حمرة الذهب ، والنقع ، هو الغبار المنعقد على رؤوس الأبطال من وقع سنابك خيلهم ، فلعله أراد أن الغبار قد شرب من دم الأعداء قبل ارتفاعه ، فصار كالسحابة الحمراء فوق رؤوس المقاتلين ، وفي أحمر الذهب تعبيرا مجازيا عن المال ومتاع الحياة .

٨ ـ وبلوغ المعالي هدف أولي الهمم العالية والنفوس الكبيرة ، وأدوات ذلك كثيرة ويضيف ابن عثيمين في البيتين ٣ ، ٤ منها الى الممدوح الكرم والشجاعة والقلب ، الذي كالسيف في صرامته ومضائه ٠

أما ابن بليهد فانه فى البيت ٣٧ يضيف الى الممدوح منها المجـــد والفضل والانصاف والنســـب ٠

وليس يخاف ما بين الصورتين من بون شاسع : ان ابن عثيمـــين يصفه بما يناسب القائد والزعيم ، أما ابن بليهد فلو نقلت بيته الى مدح قاض أو ٠ وال ٠ لاى من الامور لناسبه ذلك ، وهذا مأخـــذ لا يستهــــان به ٠

٩ ـ وكلا الشاعرين يرى أن حرب الملك عبد العزيز ، كانت فرجا من الله أزال الأذى وفرج الكرب ٠

يقول ابن عثيمين في البيت ٢٠ : أن الأعداء كانوا يعـــدون حربه نحسا مذممة ، ولكن الله قدرها تفريجا للكرب ٠

ويقول ابن بليهد في البيت ١١ : أن الأذى يزول عن الشريعة والأمة حين تلمع السيوف ، بين البيض والدروع تحت ظلام القتام كالثغور المبتسمة ٠

وهذا المعنى سبق اليه أبو تمام ، وهو منظور فيه عمـوما الى الآية الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (١) ٠

والصورتان كما تراهما تجريان من حيث الجودة فى حلبـــة واحدة ، وقد نجنح الى تفضيل ابن بليهد في هذا ، لما أضفاه على عبارته من جمال الاستعارة وبديع الجناس ٠

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦ ٠

وهذا المعنى جاء به شوقي في قوله :

الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

١٠ـ أما التهنئة فقد فاق فيها ابن بليهد صاحبه ٠

صحيح أن ابن عثيمين قد ذكر الفتح والانتصارات في الأبيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ذكر أنه فتح من الله تفتحت له أبواب السماء ، وأن شذاه يملأه الأفق وأنه زينة للأرض لما يضفيه على ساكنيها من أمن واستقرار ، وازالة للفساد وتطهير البلاد ، ولكنه لم يشر الى التهنئة الا في بيته ٤١ ، الذي نصح فيه الممدوح بأن يعقد العزم على الجهاد بعد ان آتاه الله من النصر ما يتمناه ٠٠

وهو في أبياته الثلاثة ناظر الى قول أبي تمام الذي منه :

فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القشب

أما ابن بليهد فقد ذكر التهنئة صراحة في بيتيه ٢٥ ، ٢٦ ، فقال مخاطبا الممدوح : لقد فزت الآن بما أملت فاعتدلت لك الأمور بأمر الله ، فطب نفسا اذ طلعت شمس الهدى ، التى لن تغيب عن الحجاز ان شاء الله ٠

١١ـ وقلما يمدح ممدوح دون أن تذكر همته وعزائمه ، من هنا نجد أن كلا الشاعرين أثنى عليه بهمته العالية ، التي تسمو به الى أعلى المنازل على نحو من المبالغة المعهودة فى الادب العربى ٠

غير أن ابن عثيمين في البيت ٣٢ قال مستخدما (لو) ـ على نحو مما أشرنا اليه سلفا من أنه في مثل هذه المبالغات شديد الاحتراس : ان همة الملك أعظم من أن تصمد لها الجبال ، وانها لو كان بمقدورها لأسكنته بين الشهب ٠

أما ابن بليهد فانه يقول في البيتين ٣٠ ، ٣١ : أنه لا يدرك المجد الا من له من الهمم مثل هممك ، التى تنزل صاحبها الشهب ، وأنك في ثبات هممك وعزائمك حيال المسالك الصعبة ، حربا كانت أو غيرها تشبه الجبال الراسيات ·

١٢ـ أما الحث على العفو والصفح ، فان كثيرا من الشعراء وبخاصة أيام ابن بليهد وابن عثيمين قلما تخلو منه قصائدهم ، بل كان تقديم النصح في مثل هذه الامور ، التي يفترض في القائد أن يتحلى بها كالعدل والبذل والحزم ونحو ذلك لازمة من لوازم شعرهم ·

وان كان ابن عثيمين قد طلب العفو لمن لا نصير له احتسابا عند الله في البيت ٤٠ ، فان ابن بليهد لم يكتف بذلك ، بل طلب الصفح لجميع الناس في البيت ٧ ·

واذا كان ابن عثيمين قد فاق ابن بليهد ، في جزالة اللفظ وشدة الأسر وحسن التأليف ، فان ابن بليهد قد فاقه في رحابة الصدر وطلب شمول العفو ، على أنه لم يبعد كثيرا في لفظه وأسلوبه وتأليفه عن مستوى ذلك عند ابن عثيمين ·

١٣ـ واستشعار الأمن بعد الزعازع والقلاقل نعمة كبرى ، يستحق من تمت على يده أن يمدح ويثنى بها عليه كما تستوجب الشكر ممن ظللتهم ·

واذا كانت البلاد قبل عهد الملك عبد العزيز تعيش من الفوضى والاضطراب والظلم والاضطهاد ، في حال الحياة فيها جحيم لا يطاق ، فان ما تم على يد هذا الملك من أمن واستقرار ، حري بأن يقول فيه ابن عثيمين في الأبيات ٢٦ ـ ٣٠ مخاطبا أهل الأحساء ·

لقد كنتم قبل عهد الملك عبد العزيز تعيشون في هوة من العطب استنقذكم منها ، فعليكم أن تقدموا الشكر على ذلك ، فقد أمنكم ونشر في ربوعكم الاستقرار ، بعد أن كنتم فرائس تتناهبها أهواء الأعداء

الروميين ، الذين حكموا فيكم آراء طوائف المسيحيين ، ثم الأعراب الذين اتخذوكم كالحلوبة يمرون ثديها متى شاءوا وكيف أرادوا ، فعهده نعمة حظيت بها نجد من قبلكم ، ثم مد الله أفياءها على الاحساء ٠

ويأخذ هذا المعنى ابن بليهد ، فيجمله في بيتيه ١٨ ، ٢٧ ، فيقول : أن الأوطان قد اطمأنت بك بعد أن حل بها الفزع من عبث العابثين ، فجئت لتملأ سبلها بالأمن وتشمل المذنب بالعفو ٠

فأنت ترى أن ابن بليهد على الرغم من ايجازه المعنى فى بيتين، ذكر عفو الممدوح عن المذنب الى جانب ما شاع على يده من أمن واستقرار ، بينما لم يرد للعفو ذكر أبيات ابن عثيمين الخمسة ٠

ما امتاز به كل واحد منهما :

وكما اشتركا فى كثير من المعانى انفرد كل واحد منهما بأمور ، صحيح أن ابن بليهد في معانيه كان كثير الالتقاء بمعاني ابن عثيمين ، شأن كل متعاصرين ، غير أن الذي يعنينا هنا ماتشتمل عليه القصيدتان اللتان هما موضع الموازنة ٠

وينفرد ابن عثيمين بأمور أهمها :

١ ــ متانة النسج ، وقوة الحبك والاداء ، والتحام المعانى والتراكيب، ثم متانة اللغة وتماسك الاسلوب واتساقه في نمط واحد ، من أول القصيدة ، حتى آخرها بحيث لا يفضل بيت بيتا ، كما هو شأن الكثير من شعره رحمه الله ٠

٢ ــ ولابن عثيمين ومضات وصفية لبعض المواقف رائعة ، منها وصفه لليلة الحرب في البيتين ١٨ ، ١٩ حيث استعار الناصية السوداء الشعر لليلة الحرب ، التي أضاءت السيوف ظلمتها قبل طلوع الفجر ، فكانت كالناصية التي لمع الشيب في مفرقها ، وأنها من هول ما شهدته ، لو كانت تعقل لما ملكت على نفسها آمرها ، ثم استعارة الناقة التي تلقح فتمخض فتلد للحرب ، ثم استعارة البيضة لما أنتجته ٠

٣ ــ ولمكانة رجال العلم فى الامة وخطرهم فى التوجيه، فان ابن عثيمين في الأبيات ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ يلفت نظر الممدوح الى أن في العلماء الصالح المخلص ، وأن فيهم من اتخذ العلم سلما لأهوائه وأغراضه ، وأن على الممدوح أن يفرق بين هذين النوعين ، على أن في علمه ما يغنيه عن نصيحة الناصح ٠

٤ ــ وابن عثيمين في بيتيه ٤٥ ، ٤٦ لم ينس نفسه وشعره ، فلقد فخر بأن شعره شوارد أبيات قد ثقفت ، حتى جاءت عقدا من الدر المفصل بالذهب ، وما ذاك الا لانها زهت بمدح الممدوح ، حتى كبر سامعها اعجابا بها ٠

٥ ــ وحين يعمد ابن عثيمين الى الصورة البيانية ، يجلوها لك رائعة بديعة شأنها لدى المطبوعين من الشعراء المتمكنين من اللغة وأسبابها ٠

(أ) فهو حين يشبه يقدم لنا مثل تشبيهه فى البيت ١٤ نفس الملك عبد العزيز بالجحفل العظيم ، وفي ذلك التشبيه ما فيه من اكبار نفس ذلك القائد ، حتى أبصر فيها الشاعر جيشا كبيرا ، يسير في ذلك الجيش الكبير من الأنصار والأعوان ٠

(ب) ويشبه في البيت ٣٩ الشرع والسيف في نزعهما للشر ، وقضائهما عليه ، بالدواء الذي يكافح به المرض ٠

على أن هذا البيت قد اشتمل أيضا على استعارة لطيفة في شطره الثاني ، حيث استعار المرض للصعر وهو التجبر والكبر ٠

(جـ) وفي البيت ٤٥ يشبه أبياته بالشوارد التي قيدها بنظمه ٠

(د) ويستعير في البيت /٢ الحكام أو القضاة للسيوف ، فيجعلها تقضى فيمضى حكمها أنفذ من رأى الحاذق الأرب حين يساوره الشك ٠

(هـ) وقد سبقت الاشارة الى بعض استعاراته سلفا ، كالبيت رقم ١٨ حيث شبه ليلة الحرب بالناصية السوداء التى أشابتها الحرب ، وفي البيت ٢٤ حيث شبه أثر الفتح بشذى الزهور وشبه الارض فى فرحها بهوتزينها بالمازح الطرب .

(و) وقد يجمع التشبيه والاستعارة معا في بيت واحد ، كاستعارته في البيت ٢٥ المرأة الجنب للأحساء في الشطر الأول ، ثم تشبيهها بها في الشطر الثاني ، ومن ذلك أيضا البيت ٣٩ السابق في فقرة (ب) .

أما ابن بليهد :

١ ـ فهو وان اشتملت قصيدته على بعض شوارد الأبيات ، فانه في جملتها لا يرقى الى مستوى صاحبه ، ذلك لأن لغته وان كان يحمد فيها القرب ، وفي أساليبه الدنو والوضوح ، الا أنه يصل في ذلك الى حد الابتذال أحيانا ، كقوله : (فانهض وانتبه وجب) وقوله : (ان كنت محتجبا أو غير محتجب) ونحو ذلك مما هو كثير فيما نظم أول عهده بالشعر ، وهو في ذلك يدنو كثيرا من أسلوب أبى تمام في بعض شعره .

٢ ـ ولدى ابن بليهد من المعانى ما لم يطرقه صاحبه في قصيدته .

(أ) فتفسير كره الأعداء ، على نحو يجعلهم فيه من الضالين المتنكبين لسواء السبيل ، معنى انفرد به ابن بليهد فى أبياته ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، فانه يقول موجها الخطاب الى الملك عبد العزيز : ان قلاك وأبغضك أحد من الناس ، فانما هم : اما حاسد دفعه الحقد والبغضاء الى كرهك ، واما فاسق كذاب امتلأ قلبه بالشر ، وما أولئك الا كدمنة الابل الجرباء تعدى ما حل بها من الابل ، أو كالجماد الذى لا يفقه ولذا لم يفيقوا من غيهم .

(ب) ومثل ذلك وجوب طاعة الممدوح والانقياد لأوامره ، الذي مهد له بأبيات نلمس في أولها روح ابن عثيمين في بيته ٢٦ ، ولكنها غير صريحة اذ يقول في الأبيات من ٣٩ ـ ٤٣ : تمهلوا يا بني العرب فالملك عبد العزيز ليس بموضع اتهام ، لأنه انما قام لذود الأذى عن حوزة العرب ، حتى أسس ملكا ثابت العمد والأوتاد ، فما هو الا كالغيث في نفع العباد والبلاد ، ولذا فان طاعته حق، من حاد عنها حاد عن الصواب ، ونحن لم نعصه أبدا ، فمتى ارتضى طريقا من طرق الجهاد سرنا اليه مسرعين ، في جيش فيه كل شهم باسل فاتك •

٣ ـ أما الصور البيانية ، فان ابن بليهد يمتاز فيها بعنايته بالتشبيه والاكثار منه ودقة التصوير فيه وفي الاستعارة ، فأبياته في ذلك تعد عنده من الشوارد فانظر من ذلك :

(أ) هذه الصورة في البيت ٣ ، التى صور فيها السيوف والرماح أقلاما ، ودماء هام الأعداء مدادا والملك عبد العزيز يكتب بذلك صفحات نصره •

(ب) وفي البيت ١١ يصور لك لمعان السيوف حين اصطكاكها بالبيض والدروع ، فتلمع تحت قتام النقع كثغر يبتسم •

(جـ) وفي البيتين ١٥ ، ١٦ يجلو لك الحرب الضروس ، في صورتين بيانيتين هما في غاية الروعة والجمال ، فهى في الأولى سوق تباع بها الأرواح وتشترى ، وكأنه في ذلك ناظر الى بيت عنتره العبسي القائل :

حصاني كان دلال المنايا

فخاض غمارها وشرى وباع

وفى الثانية نار اضطرم لهيبها وما وقودها الا جثث الاعداء

(د) وفي البيت ٢٢ يقيم لك الرماح مقام الأخلاء والأخـــدان ، ويقول للملك عبد العزيز : أن أطراف القنا خير خدن ٠

(هـ) وفي البيت ٣٥ يصور أعداء الملك عبد العزيز ، في صـــورة دمن الابل الجرباء ومعاطنها ، لاشتمالهم من الحقد والشر على ما يتعدى ضرره الى غيرهم ممن يخالطهم ، كدمن ومعاطن الجرب من الابل تعدى ما يحل بها من الماشية ٠

أما ختام القصيدتين ، فالصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتلك سنة جريا عليهـــــا في الكثير من شعرهما شـــأن الكثيرين من أهل عصرهما ٠

(الموازنة الرابعة)

« بين ابن بليهد والغزاوي » (١)

من الشعراء المعاصرين لابن بليهد الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي ، الذي ربطته بابن بليهد صداقة كان فيها كل واحد منهما موضع اعجاب الآخر ، كما ذكر شاعرنا ابراهيم الغزاوي نفسه ، ولقد روى لي كثيرا مما كان يدور بينهما من أحاديث حول الادب وسائر شئون الحياة ، وكان ذلك حين يجمعهما مجلس الأمير فيصل ابن عبد العزيز نائب الملك عبد العزيز في الحجاز اذ ذاك ، أو مجلس الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد ، رئيس القضاة بمكه ، وهو ابن عم صاحبنا وغيرهما من المجالس .

وكان كل واحد منهما يدلي برأيه فيما يقول الآخر من شعر ، متناولا في نقده اللفظ والاسلوب ونحو ذلك .

حدثني ابراهيم الغزوي قال : (كنا في مجلس الملك فيصل وجر الكلام الى قصيدتي ، التي نظمتها بمناسبة عودة الجيش السعودي من فلسطين التي مطلعها :

---

(١) احمد بن ابراهيم الغزاوى شاعر يعد فى الطليعة من أدباء المملكة وشعرائها ، مدح الأشراف ثم توفر على مدح ملوك آل سعود .
ولد بمكة عام (١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م) . وتلقى العلوم بالمدارس الأهلية بها : (المدرسة الصولتية - المدرسة الخيرية - الفلاح) ودرس على كثير من علماء الحرمين ، ثم ولى كثيرا من المناصب فى عهد الملك حسين بن على ، منها الكتابة فى وزارة الأوقاف (١٣٣٤هـ - ١٩١٥ م) الى غرة محرم (١٣٣٥ هـ ١٩١٦ م) ، ورئاسة ديوان رئيس القضاة ، وسكرتارية مجلس الشورى .
وفى عهد الحكومة السعودية ولى كثيرا من الاعمال ، فرأس ديوان رئيس القضاة وصار معاونا لمدير الطبع والنشر ، ثم سكرتيرا لمجلس الشورى ، ثم عضوا فيه ثم نائبا ثانيا لرئيس مجلس الشورى ، ثم نائبا للرئيس ، ولا يزال بهذا المنصب الى الان .
وفى عام (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م) حاز لقب شاعر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، كما رأس بعض الصحف كالاصلاح وأم القرى ، ونال كثيرا من الأوسمة والرتب منها وزير مفوض فى الدولة السعودية .
ويعد من الشعراء التقليديين ، وله شعر كثير جزل جله مديح ، وأكثره منشور فى الصحف والمجلات .

يا موكب الفخر تهناك الأكاليل

مضفرات و بشراك التهاليل

وألقيتها في حفل أقيم بهذه المناسبة في جدة ، فاعترض الشيخ المرحوم ابن بليهد على بعض أبيات فيها ، منها البيت :

ان الخلود حفاظ والخنى هوس

عاش البواسل وليفن التنابيل

فقد قال ابن بليهد فى هذا أن التنابيل فى اللغة هم القصار، ولنا عودة الى هذا ان شاء الله .

ومما التقى فيه الرجلان رثاؤهما للشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد (١) ، ولالتقاء الشاعرين في كثير من الصفات والمناسبات ، ولما بينهما من رابطة ، ومعاصرة آثرنا آن نوازن بينهما في مرثيتيهما لهذا العالم الجليل .

---

(١) هو الشيخ عبدالله بن سليمان بن سعود بن بليهد ، أحد علماء نجد المشهورين ولد ببلدة القرعاء بالقصيم (١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٧ م) وبها نشأ ودرس في مدارسها ، ثم أخذ العلم عن علماء القصيم ، ثم ولي كثيرا من الأعمال : كالوعظ والارشاد ، والتدريس والقضاء ، ثم مرض فسافر الى الهند للعلاج ، وبها درس على كثير من علماء المسلمين هناك ثم عاد الى نجد حيث ولي قضاء بلاد شمر التى قصبتها حائل ، ثم عينه الملك عبد العزيز رئيسا للقضاة بمكة (١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م) ، وكان مندوب الملك فى المؤتمر الاسلامى ، الذى عقد بمكة المكرمة (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م) ، وكان له فيه جهد كبير ، وبعد عامين أعيد الى قضاء جبل شمر ، حيث ظل هناك رئيسا للقضاة الى أن توفاه الله بمدينة الطائف بالحجاز (١٣٥٩ هـ ـ ١٨٤٠ م) .

ومن مؤلفاته «جامع المناسك في أحكام المناسك ، و الرسالة اللطيفة فى الرد على مدعى الخلافة) .

(نص القصـــيدتين)

قصيدة ابن بليـــهد : (١)

١ ـ ما بال عينك منها الدمع ينهمر
كأنه جـدول أو مدجـن مطـر

٢ ـ يرقى ويبعثه الخطب الثقيل وفى
جـوانب الخـد من تأثيره أثـر

٣ ـ جاء البريد وفي أقصى حقـائبه
من بعد ما ألقيت أثقـاله خبـر

٤ ـ تذوب منه قلوب الناس أجمعها
مما أناخ بهـا لو أنهـا حجـر

٥ ـ اهتز نجد ودار المسجدين وقـد
شـكا من الحزن فيه البـدو والحضر

٦ ـ لو كان فوق جبال العرض تحمله
لأصـبحت فوق ظهر الأرض تنتشر

٧ ـ موت الفقيد الذي تبقى مآثره
من كل منقبـة تزهى بها الصـور

٨ ـ في صدره بحر عـذب المـذاق اذا
شربت من مائـه في مائـه درر

٩ ـ أخنى به قدر وافى منيتـــه
حتمـا ومن عاش محتوم له القـدر

١٠ ـ مهذب طاهر الأخـلاق متـكل
على الذى سبحت فى عـدله البشـر

---

(١) ديوان (ابتسامات الايام) ص ٢٦١ مطبعة السنة المحمدية .

١١ ـ فما ذكرت قليلا من صـــنائعه
ألا بكيت وطـــال الليـــل والسـهر

١٢ ـ من ظن أنك فرد في الزمان فلا
يـــدرى بشيء ولا من ذا الذى قبـروا

١٣ ـ بدر حملت على أيدى الرجال ولا
أدرى بأى مكان يغــوب القمـــــر

١٤ ـ عند ابن عم رسول الله فى جدث
والورد في جنة الفردوس والصـــدر

١٥ ـ في ذمة الله يا عبد الاله فمـــا
بقى من الدهـــر الا الهـم والكدر

١٦ ـ كأن حائل لم تشرق جوانبهـا
بنـــور علمـــك والقراء تبتـــكر

١٧ ـ تغدو الى حلق طوبى لحاضرها
فيها الأحـــاديث والآيـات والســـور

١٨ ـ ولا أقمت بأرجاء القصـيم ولا
بثثت فيـــه التي تبـــقى وتدخــر

١٩ ـ عقيدة السلف الاخيار منهجهـم
من بعدهم سلكته الســادة الغـــرر

٢٠ ـ وان ترد الامـــور المشكلات له
له بهـــا نظـــرات بعدها نظـــر

٢١ ـ وان تكـلم ينقـاد الكلام لـــه
مـــا في قريحتـــــه عي ولا خـــور

٢٢ ـ أبوه عم أبى لـــكن مصيبتنا
من العظـــام التى شدت لهـــا الازر

٢٣ ـ نبكـى بدمعـــة محزون ألم به
طول الســقام فهـــل برء فينتظر

٢٤ ـ فما لنا غير ثوب الصبر نلبسه
والصبر للنـــاس محمود اذا صبروا

٢٥ ـ فمن رزته ســـهام الموت في أحد
اذا لـبــه برســـول الله معتبـــــر

٢٦ ـ قد مات سيد تيم عن خلافتـــه
بعد الرســـول ومات المرتضى عمــر

٢٧ ـ فا ن بكت مضر المسلمون لهــم
تعيش ما بقيت في حزنهـــا مضر

٢٨ ـ فكل حي وان مد البقـــاء له
الى الحيـــاة فقد يخنى به الكبـــر

٢٩ ـ فما تعرج عن حي منيتـــــه
اذا انقضى الاجـــل المحتوم والعمـــر

٣٠ ـ فكل باق يرى فيما مضى عبرا
والدهر فيـــه لأرباب النهـــى عبـــر

٣١ ـ مازال من دولة عن ظل مملكة
ألا يحـــل عـــلى آثـــارها أخــــر

٣٢ ـ ما فات شيء من الدنيا وزهرتها
ألا تضـــمنه التـــاريخ والســـير

٣٣ ـ ثم الصلاة على الهـادى وشيعته
والطـــاهرين الأولى ما أورق الشجر

قصيدة أحمد بن ابراهيم الغزاوى : (١)

١ ـ في مثلك الصبر عند الله يحتسب
والعـــلم يفقد والاشجان تصطخـــب

---

(١) مشاهير علماء نجد تأليف عبـــدالرحمن بن عبد اللطيف دار اليمامة صـــ ٢٢٩ .

٢ ـ يا ويح كل فؤاد أنت موقظه
أمسى بفقدك في أعماقه يثب

٣ ـ ويا رزيئة هذا النعى في ملا
كأنما الدمع من آماقه عبب

٤ ـ تنهل عبراته حزنا على جدث
فيه السماحة والأخلاق والأدب

٥ ـ ما للجفون أراها فيك دامية
كأنما هى بالاحشاء تنسكب

٦ ـ هيهات أودى الردى في غير ما لجب
بمشمخر من الأطواد ينتشب

٧ ـ حبر من الصفوة الاولى علقت به
فما فتئت أعاني فيه ما يجب

٨ ـ هوى به الموت فى لجى غمرته
فأين لا أين ذاك المدرة الذرب

٩ ـ في ذمة الله ما ألقى به ، وله
من رحمة الله ما نرجو ونرتقب

١٠ ـ ما كان الا جنانا ثابتا ويدا
تشد أزر الهدى والوعد مقترب

١١ ـ تبلو الشريعة فيه حاذقا فطنا
من الذين لهم في شملها دأب

١٢ ـ يجيش كالموج أو كالبحر منطقه
ولا تباريه في آفاقه السحب

١٣ ـ تلبه في ضحى الاسلام ألوية
خفاقة وهي في غاراتها خطب

١٤ ـ وفى سويدائه التوحيد مدرعـــا
حسن اليقين غير (؟) أنه لهـــب (١)

١٥ ـ اذا انبرى في مجال من مواقفه
حسبت سحبان تجثو حـــوله الركب

١٦ ـ عجبت للحد هل في اللحد متسع
حتى انزوى فيه رضـــوى فهـــو محتجب

١٧ ـ لشـــد ما ضاقت الدنيا به أبدا
فكيف واراه شـــبر وهـــو منقـــلب

١٨ ـ مالى وللندب فيمن خطبـــه جلل
ومن عليـــه حـــدود الله تنتحب

١٩ ـ لا نملك اليوم الا زفرة ورضا
بمـــا قضى الله فيـــه ثم نحتســـب

٢٠ ـ وما قضى من له في ربه أمـــل
ولا قضى من له في دينـــه نصـــب

٢١ ـ فان ذكراه في الأعمـــال باقية
والموت حق ومـــا من دونـــه هـــرب

٢٢ ـ فضاعف الله أجر المؤمنين بـــه
في جنـــة الخلد وليعظم به الســـبب

٢٣ ـ وعوض الدين عنـــه خير ما طلعت
عليه شـــمس الضحى أو غارت الحتب

---

(١) هكذا ورد فى المصدر السابق ولوانه قال : يقينه حسن لكنه لهب ـ لاستقام له الوزن ٠

(ما اشتركت فيه القصيدتان)

١ ـ تلتقى القصيدتان في أمور عامة أهمها : البحر فكلتاهما من بحر البسيط ، وفي الغرض وهو الرثاء ، وفي التعبير عن الشعور بالألم والحزن في فقد الفقيد .

٢ ـ عموم المصيبة ، فلقد ذكر الشاعران كلاهما ان المصيبة فى الرجل كانت على المسلمين عامة فالغزاوى يقول في الأبيات ٢ ، ٣ ، ٤ أن القلوب التى أيقظتها بعلمك تعليما او وعظا وارشادا تثب في الصدور من هول ما أصابها بفقدك ، الذى عمت حسرته الملأ ففاضت الدموع من العيون كالبحر المتدفق على جدثك الذى حوى السماحة والأخلاق الكريمة والأدب .

أما ابن بليهد فانه يقول في الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ أن قلوب الناس جميعا قد ذابت من هول المصاب ، وأنها لا تستطيع أن تصمد أمامه حتى ولو كانت كالحجر ، وذلك لأنه مصاب عظيم هز البلاد والعباد جميعا ، حتى أنه من عظمه لو وقع على الجبال الصلبة لهدها .

٣ ـ وكلاهما وصفه بالخلق الفاضل والصفات الحميدة .

فأما الغزاوى فقد وصفه بالسماحة والخلق والأدب في الشطر الثاني من البيت الرابع .

وأما ابن بليهد فقد وصفه في البيتين ١٠ ، ١١ بأنه مهذب طاهر الأخلاق قوى الاتكال على الله ، وأنه صاحب أخلاق فاضلة كثيرة ، لا يذكر القليل منها الا ويقض الحزن مضجعه ، ويسلب الكرى من أجفانه .

٤ ـ وكلاهما شبهه بالعظيم من المخلوقات :

فالغزاوى في « بيتيه ٦ ، ١٦ » شبهه بالجبل العالي ، ثم تساءل كيف يحوى هذا اللحد الصغير جبلا عظيما كرضوى ؟ .

أما ابن بليهد ، فقد شبهه في « البيت ١٣ » بالبدر الذى غرب في اللحد ، ولذا فهو في حيرة من أمر غروب هذا البدر ، وكان العهد بالبدر أن يغرب في الأفق ، فهل اختل نظام الكون ، فصار اللحد له مغربا ؟.

٥ ـ والتعزى عند حلول المصيبة أمر مألوف في الرثاء وقد سلكه كلا الشاعرين .

واذا كان الغزاوى قد تعزى في هذا المصاب ـ بثلاثة أبيات هى : ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، فاحتسبه عند الله أجرا وثوابا ، لأنه لا يملك رد قضاء الله ، وانما تقف قدرته عند الحسرة والزفرة والتسليم بالقضاء والاحتساب ، اذ قدم الفقيد على ربه مشبعة روحه بالأمل ، راجية قبول ما قدمته من عمل .

فان ابن بليهد قد تعزى في « سبعة أبيات هى من ٢٤ الى ٣٠ » بدأها بالتسليم للقضاء والقدر ، وأنه لم يعد هناك من سبيل سوى التحلي بالصبر الذى وعد المسلم بالاثابة عليه ، وكيف يجزع الانسان وله من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ـ أسوة . فلو كان أحد من الخلق جديرا بالخلود لكان له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ولو كانت القوة تمنع الموت لمنعته عن عمر ـ رضى الله عنه ـ وعن سيد تيم وغيرهما من السابقين واللاحقين ، لكن الموت قضاء محتوم ، وطريق لابد أن يسلكه كل حي حين انقضاء الأجل ، وتلك عبرة يعتبر بها العارفون ، وليس بخاف ما في أبيات ابن بليهد ، من بسط جعله يقدم العظة والعبرة وسبيل التعزي بما أصاب السالفين ، الى جانب اظهار الحسرة ووجوب التحلي بالصبر والاحتساب ، بينما قصر الغزاوي أبياته على الاحتساب والركون الى الصبر الجميل .

٦ ـ وكلاهما ذكر علمه وما يمتاز به من فطنة وفكر وحذق .

غير أن الغزاوي ذكر ذلك في « البيت ١١ » حيث قال : ان الشريعة خبرته حاذقا فطنا ، داب فى حياته على خدمتها ولم شملها .

أما ابن بليهد فقد بسط ذلك في « خمسة أبيات من ١٦ ــ ٢٠ » ذكر مجالسه واقبال الدارسين عليها ، لأنهم يجدون فيها تفسير آى القرآن الكريم وشرح أحاديث السنة المطهرة ، وأن الفقيد قد بث بوعظه وارشاده في القصيم روحا طيبة ، أشبعت بالدعوة الى الصلاح والرشاد والاستقامة على النهج القويم ، المستمد من عقيدة السلف الصالح ومن نهج نهجهم، وأنه حين ترد له المشكـــــلات لا يصدر فيها عن رأى مرتجل ، وانما يعيد النظر مرة بعد مرة حتى يتجلى له وجه الصواب ٠

٧ ــ وكلاهما ذكره بالفصاحة غير أن الغزاوى بسط ذلك في « أربعة أبيات من ١٢ ــ ١٥ » أعطى فيها صورة واضحة لفصاحة وبلاغة الفقيد ، فمنطقه يجيش كالبحر فلا تستطيع السحب مجاراته ، ولذا فأنت ترى خطبه وكأنها جيوش من حوله ، تندفع في سبيل الاسلام قوية نفاذة ، تحدوها عقيدته الصافية ويقينه المتمكن ، فتراه وكأن خطيب الجـــاهلية « سحبان » أمامك في فصـــاحته وبلاغتـــــــه ٠

أما ابن بليهد فانه أوجز ذلك في بيت واحد « رقم ٢١ » حيث وصفه بعدم العي والخور ، وأن الكلام قد أسلس له القياد ، وأنت ترى أن هذا الايجاز عند ابن بليهد كان على حساب اغفال الكثير من المعاني ، التي بسطها الغزاوى في أبياته الأربعة ، التي دلت على معان شتى أبانت عن قدرته الخطابية لفظا ومعنى وأسلوبا ٠

٨ ــ وكلاهما ذكر أنه سيبقى له لسان ذكر ، وأن مآثره حية لا تموت ٠

فالغزاوي في البيت ٢١ يقول : أن أعماله الخالدة ستظل حية تذكر به وان مـــات ٠

أما ابن بليهد فأنه يقول فى البيت ٧ : ان موت الفقيد لم يمت مآثره التي ستظل حية تزدان بها صور المكارم ، والأعمال الجليلة التى قدمها في حيـــاته ٠

فالمعنى واحد وان اختلفت الصورة الادبية لدى الشاعرين ، اذ أنها عند ابن بليهد تبدو أكثر جمالا ، لما حلاها به من تزين صور المكارم والأعمال بمناقب الفقيد ٠

٩ ـ وتشترك القصيدتان فى الوحدة الشعورية ، وتدفق العواطف والمشاعر حيال هذا المصاب ، ومنبع تلك العواطف والمشاعر أمران :

أولهما : العلاقة الشخصية التي ربطت كلا الشاعرين بالفقيد ، فهو ابن عم ابن بليهد وشيخه،وكانت لهمعه صحبة ، اما الغزاوى فكان زميله في العمل وأمين سره في ديوان القضاء ، الذي كان يرأسه الفقيد ٠

١٠ـ وكلاهما يتساءل تجاه الحدث المفجع تساؤل التحسر والتفجع ، غير أن الغزاوى يرى « في البيت ٥ » الأجفان دامية ، كأنما جرت الأحشاء منها دموعا ٠

أما ابن بليهد فانه يرى « في البيتين ١ ، ٢ » الدموع وقد انهمرت من العيون كأنما هى جدول جرى ، أو مطر منهمر وانها قد تركت على الخدود من جريانها أثرا ٠

فالمعنى متفق وان اختلفت الصورة الأدبية لدى الشاعرين ، اذ هي عند الغزاوي أكثر جمالا واشراقة ديباجة وحسن تأليف على الرغم من ايجازها ٠

وعند ابن بليهد جاءت أقل جمالا وأضعف عبارة ، الى ما تضمنته من نظر الى بيت ذي الرمة :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب

(مزايا كل من الشاعرين)

١ ـ يجيء مطلع الغزاوي على نحو يشعر بالغرض لأول وهله ، ويفيد بعظم الخطب وفداحته ، في فيض من المشاعر والاحساسات المؤمنة ، التى تلوذ بالبارى وتلجأ اليه فيما يحل بها ٠
أما مطلع ابن بليهد ، فتحس فيه ارتخاء المشاعر والاحساسات، الى ما فيه من لجوء الى النظر لمطلع ذى الرمة السالف ذكره ٠

ثم أن الغزاوي وجه الخطاب الى الفقيد مما يؤكد حبه له وتعلقه به ، وآنه يأبى الا أن يستصحب خطابه ولو بعد فقده تعـللا وتعزيـا ٠

أما ابن بليهد ، فانه يخاطب نفسه شاكيا ومتألما ، مما أصابه من ألم وحزن بموت الفقيد ، لكن أمورا وردت في هـذا المطلع أضعفت منه كالنظر الى مطلع ذى الرمة السالف ، وكعطف المدجن المطر على الجدول ، فان صورة الدمع المشبه للجدول المتصل في جريانه ، أقوى من صورة المطر المتقاطر في حبات متفرقة ٠

٢ ـ ويجيء ابن بليهد في قصيدته أطول نفسا من الغزاوى ، اذ تبلغ قصيدة ابن بليهد (٣٣ بيتا) ، بينما تبلغ قصـيدة الغزاوي (٢٣ بيتـا) ٠

على أن اطالة ابن بليهد ليس فيها فضـل معنى ، اللهم الا في التعزى بذكر مصارع الاولين ـ وأن الموت طريق سلكه ويسلكه كل كائن حي ، كبر أو صغر طال به العمر أو قصر ـ أو التفصيل في بعض المعاني كأخلاق الفقيد وعلمه ، وما تركته وفاته من أثر بالغ على الناس جميعا ٠

٣ ـ واذا كان كل منهما أشعر بأن المصيبة في الفقيد عمت النـاس جميعا ، فان ابن بليهد يمتاز في تفصيله « في الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ » وأنه شمل البدو والحضر ، حتى اهتزت له بلاد نجد والحرمين : المكي ، والمدني ٠

أما الغزاوي فانه مع ايجازه كان أكثر شمولا ، اذ جعل حدود الله تبكي الفقيد ، وتنتحب عليه « في البيت ١٨ » أي أنه جاوز المحسوسات الى المعنويات في ادراك عظم المصيبة ٠

٤ ـ واذا كان الغزاوي قد ختم قصيدته بهذا الدعاء الغامض ، الذي لم يبن من المقصود فيه ، وان كان قد يفهم منه أنه يقف موقف المحتسب الصابر ، الذي يسلم بالقضاء ويرجو العوض ٠

فان ابن بليهد أتى مثل ذلك أيضا في « البيت ١٢ » فان المقصود هنا غير واضح ، أتلاميذه الذين أخذوا عنه العلم الذي يؤهلهم لأن يخلفوه ، أم أن المقصود التعزى بأنه انسان يصيبه ما يصيب الآخرين ، أم أن المقصود أن الميت ليس فردا ، وكذب من قال ذلك بل هو أمة ؟ ٠

٥ ـ وتأتى الصور الادبية عند الغزاوى عنيفة حينا وهادئة اخـــر ، تسير في نسق طبعي مقبول حينا ومبالغ فيه حينا ٠

(أ) ألا ترى هذه الصورة في البيت ٢ التي صورت قلوب تلاميذ الفقيد ومحبيه ، الذين انتفعوا بارشاده وتوجيهه ، كيف أن قلوبهم صارت تخفق في عنف كأنما هي تثب ، حتى خالها الشاعر تثب حقيقة ثم أنظر ذوبان الاحشاء من هــــول المصاب ، حتى جرت دموعا في البيت الخامس ٠

(ب) ثم ألا ترى هذه الصورة « في البيت ١٤ » كيف أراد فيها أن يصور يقينه ضياء ، فألجأته القافية الى التعبير باللهب عن الضياء ، وقد يفهم المقصود في (لهب) أنه يعني حماسته للدين ، وحيئذ يستقيم له أمره ٠

أما الصورة الادبية عند ابن بليهد ، فانها في بعض أبياته مهزوزة ، مبالغ فيها الى حد يفضى بها حينا الى السماجة ٠

(أ) ألا ترى الى قوله « في البيت ٢ » كيف جعل الدمع يرقى ، ثم ثم يجرى على الخد تاركا أثرا عليــه ، ثم أنظر كيف ألجأته القافية الى هذا التعبير الساذج ، الذي لا معنى له في البيت الثـــامن ٠

(ب) على أن له من الصور ما هو في غاية الروعة والجمال ، ألا ترى هذا التساؤل « في البيت ١٣ » عن موضـــع غروب القمر ، اذ أن غروب القمر في الأفق ، والممدوح قمر فكيف يغرب في

الارض ؟ انها صورة ينسيك جلالها وجمالها مافيهـــــا من مبالغة ، حتى تكاد تجزم بأن المحمول قمر حقيقى •

(جـ) ثم أنظر « في البيت ٧ » كيف جعل صور المكارم والأفعـــال الحميدة ، تزهى بمناقب الممدوح ومآثره ، و «في البيت ١٦» أنظر كيف جعل (حائل) مشرقة بعلمه ، والدارسون يقبلون عليه لينهلوا من معينه •

(الموازنة الخامسة)

« بين ابن بليهد وسليمان البطاح » (١)

من الشعراء الذين عاصروا ابن بليهد ، سليمان البطاح .

ويشترك مع ابن بليهد فى : الاتجاه الى القديم ومحاكاته ولذا كان شاعرا تقليديا ، وفي العناية بالمناسبات ، فجميع ما قرأته من شعره يدور حول مناسبات قامت في مجتمعه .

ومن المناسبات التي التقى فيها مع ابن بليهد ، الاحتفال بتولية ـ الملك الأسبق ـ سعود بن عبد العزيز عهد المملكة (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م) .

قصيدة ابن بليهد : (٢)

١ ـ أبسط يمينا نشت في الجود والكرم
لبيعة عقدت في الحل والحرم

٢ ـ ولاية العهد ما انقادت أزمتها
الا اليك وقد جاءتك من أمم

---

(١) سليمان البطاح ، ولد بالرس من مدن القصيم ، وبها نشأ ودرس ، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودى بمكة ،وحين تخرج فيه عمل فى جملة من أعمال الحكومة منها : مدير مالية الجوف ،، ثم بمديرية الشئون بمكة ، ثم عمل مديرا للمستودع العام بمكة .
له ولوع بكتب الثقافة والأدبوالتاريخ ، وله شعر نشر شيئا منه فى بعض الصحف المحلية ، كصوت الحجازوام القرى ، والذى قرأته من شعره تقليدى تمثله هذه القصيدة .
وقد ترجم له حسن محمد محمودالشنقيطى ، فى كتابه ، «النهضة الأدبية بنجد مطبعة مصطفى الحلبى بمصر عام(١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م) .
وأورد نماذج من شعره .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٤٩ .

٣ ـ فقـلت للناس أن الأمر متسق
وقد احيط بعهد غير منفصـم

٤ ـ لا تحسـبوا أنها غوغا يدبرها
جـلف من البدو أو علج من العجم

٥ ـ هـذى يقـوم بهـا شهم أسنته
من حـين نشـأته ممزوجـة بدم

٦ ـ تفرعت من بنى عبد العـزيز ذرا
بحبوحة المجـد من بأس ومن كرم

٧ ـ أيا يابن أفضل موجود بطلعتـه
في عصرنا والذى من سالف الأمـم

٨ ـ جئنا نهنيـك في يوم به طلعت
شمس السـعود على الأنجـاد والتهم

٩ ـ الله سربلكم بالملك مصـلحة
للعـالمين بحفـظ الدين والذمـم

١٠ ـ فمن ربا بلد الزيتـون دان لـكم
الى عمـان ومن شـار الى نقـم

١١ ـ مهـامه ملئت ناسا تيسير بهـا
بدوا وحضرا وأما الأسـد في الأجم

١٢ ـ حلت بحجر وأما سقف غابتهـا
حـدر دينية أو صـارم خـذم

١٣ ـ وقد تباشرت الدنيـا بطلعتهم
وأهلهـا مثـل فرح الأرض بالديم

١٤ ـ في كل دار لهم مجـد ومكرمة
لا تحسـبوا أنني عن ذكرهن بعـم

١٥ ـ فان مدحت ففخـر لا أعـاب بـه
كأول المـدح في غسـان أو لخـم

١٦ ـ أبناء ذروة هذا الملك قد فرعوا
سنامه بسنان غير متهم

١٧ ـ قاموا على نور حق يستضاء به
كطالع البدر يجلو غيهب الظلم

١٨ ـ أعراقكم يا بنى عبد العزيز الى
عبد العزيز ومن أجداده القدم

١٩ ـ هذا سعود بدا بالسعد طالعه
كالبدر في الأفق أو كالشامخ العلم

٢٠ ـ أتت له زمر من كل ناحية
تحدى اليه بنات الانيق الرسم

٢١ ـ أكرم بها بيعة تمت لصاحبها
تدوم في حلل الأسرار والنعم

٢٢ ـ هذا اليقين الذي كنا نؤمله
أنظر ترى لمحا في أول الكلم

٢٣ ـ ثم الصلاة على الهادي وشيعته
ما غرد الطير في الأجزاع من أضم

قصيدة سليمان البطاح : (١)

١ ـ على فنن الزيتون شدو الحمائم
بذكرى ولي العهد شمس المكارم

٢ ـ ويبدو ضياء البشر من كل منفذ
يشع ودادا يزدهى في المباسم

٣ ـ فمرحى به من محفل صار آنسا (٢)
بآل سعود الغر من كل حازم

٤ ـ ومرحى بني الضاد الكرام فانه
أتاكم ولي العهد معلى الدعائم

---

(١) النهضة الأدبية بنجد ـ حسن محمدالشنقيطى ـ مصطفى الحلبى .
(٢) وهكذا ورد فى النص ـ والصواب(آنسا) .

٥ ـ سعود ولي العهـد شهم غضنفر
مجندل أبطال العدا فى الملاحـــم

٦ ـ وأيامه يومــان بؤس وذو ندى
وبينهما حــدا لمنع التصــادم (١)

٧ ـ كبحر أجــاج لا يرام مــذاقه
وآخـــر عـــذب صــالح للتنــادم

٨ ـ اذا دارت الحرب الضروس وأمطرت
لظى سعيرا مثل صوب القمــائم (٢)

٩ ـ يسير اليهـــا لا يخــاف من الردى
ويرميهـــم بالمرهفـــات القواصـم

١٠ ـ ولا بدع أن نال الشـــجاعة يافعا
فأفعـــالكم مشـــهورة في القـــدائم

١١ ـ نهضت وحيدا والسيوف شواخص
تهـــال وأطراف القنـــا في تزاحم

١٢ ـ وخضت غمار الحرب والجــو مسرج
ببرق سيوف واصطفاق لهـــــــاذم

١٣ ـ فمازلت فى كر وفر مع العــدا
وتغليف هام واعتـــلاء العظـــائم

١٤ ـ تركتهم صرعى على الأرض خشــعا
وأشـــلاؤهم موطـــوءة بالمناســم

١٥ ـ عليهــا الوحوش الساغبات عواكف
وكل بغـــاث والنســور القشـــاعم

١٦ ـ أحييكم آل الســعود ببيعـــة
يفوح شذاها فى العصور القـــوادم

---

(١) هكذا ورد فى النص . (حـــدا)وصحته حذف الألف .
(٢) هكذا ورد فى النص . فى استقامته(لظاها) بدلا من لظى .

١٧ ـ تجـلت ولاء وأزدهت بمـــودة
وفضت عبـيرا كامنـــا في الكمــائم

١٨ ـ فلا زلتـــم آل ســـعود وملككم
لصــــون حمى الاســلام من كل غاشم

عرض مجمل لموضوع القصــيدتين :

لقد بدأ ابن بليهد قصيدته باسناد الخطاب الى ولي العهــد ، ثم أشار الى انقياد ولاية العهد له ، التفت بعد ذلك الى الناس وذكرهم ، بأن ولاية العهد أمر معقود على أسس مرسومة ومدروسة من لدن حكيم : ليس بجلف من البدو ولا علج من العجم ، ثم مدح ولي العهد وهنأه ، ثم أثنى على ملك آل سعود بأنه حفظ للدين والعهود ، ووصفه في أبيات انتقل منها الى مدح آل سعود ، ثم عاد من جديد الى مدح ولي العهــد وولايته ، وختم القصيدة بالصلاة على المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك كله في أسلوب سهل ميسر ، وهو مدح تقليدي عناصره : الشجاعة وكرم الأحساب ، والســـهر على حمـــاية الدين ، وتبلغ أبيـــات قصــيدته (٢٣ بيتـــا) ٠

أما سليمان البطاح فبدأ قصيدته بالثنــاء على ذكرى ولي العهــد ووصف الحفل ، ثم وجه الخطاب الى العرب مبشرا لهم بولي العهــد ، الذي ساق في مدحه (١٠ أبيات) ثم حيا آل سعود مهنئا وداعيا ببقاء ملكهم حفظا للاسلام ، وعدد أبيات قصيدته (١٨ بيتا) ، ومدحه مدح تقليدي عناصره : الكرم والشجاعة ٠

أما أسلوبه ، فسهل ميسر الا أنه تشوبه بعض الأخطــاء اللغوية والعروضية ، على ما سنوضحه ان شاء الله ٠

ما اشتركت فيــه القصــيدتان :

الى جانب التقاء القصيدتين في : الموضوع ، وحرف الروى ، وهو الميم المكسورة ، اشتركتا فيمـــا يلي :

١ ـ أخذ كل من الشاعرين في الغرض مباشرة دون مقدمات ، فابن بليهد يدعو في بيته الأول ولي العهد ، بأن يمد يده التي نشأت في الجود والكرم ، لأخذ البيعة من الناس ، تلك البيعة التي عقدت في كافة البلاد المشار اليها بالحل والحرم .

ويخبر البطاح فى بيته الاول ، بأن الحمائم تشدو بذكر ولى العهد على فنن الزيتون .

٢ ـ وكلاهما التفت الى الناس فى خطابه ، غير أن التفاتة البطاح فى بيته / ٤ ، لا تعني شيئا سوى الاخبار باتيان ولي العهد معليا دعائم الملك .

أما ابن بليهد فانه في بيتيه ٣ ، ٤ ينبههم الى أن هذا الأمر ـ الذي هو ولاية العهد ـ قد عقد على أسس مدروسة وأسلوب مرسوم ، بني على أساس من الحكمة والتدبير الحسن ، فما هو بتدبير مرتجل من جلف من الأعراب أو علج من العجم .

٣ ـ أما ولاية العهد التي هي موضوع القصيدتين ، فان نصيبها اذا قيس بالمدح ـ الآتي ذكره ـ قليل ، فلقد ذكرها ابن بليهد ٦ أبيات من ١ ـ ٤ ، ٢١ ، ٢٢ ذكر فيها عقدها وكيف عقدت ، وأنها أتت الى ولي العهد منقادة وأنها أمر كان متوقعا من قبل ، كما ورد في شعره وشعر ابن عثيمين قبل ذلك بسنين ، وذلك ما يعنيه بقوله : (أنظر ترى لمحا في أول الكلم) .

فأما قوله المشار اليه فبيت من قصيدة نظمها قبل ولاية العهد بأربع سنين وهو :

فلما رأى ذا والداك وسلما
لك الأمر في نجد فلست بحائد (١)

وأما بيت ابن عثيمين ، فمن قصيدة نظمها في الملك عبد العزيز ، قبل ولاية العهد باثنى عشر عاما يقول فيه :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٤٨ البيت ٢٥ .

وأشدد عرى الدين والدنيا بمنتخب
من عنصر السادة الغر الميامين (١)

وقد أشار اليه ابن بليهد أيضا في قصيدة أخرى نظمها عام (١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م) بقوله :

رأيت بعام الأربعين اشارة
بها عرفت فيك الولاية والعهد (٢)

أما البطاح فتحدث عنها ، في أربعة أبيات هي ٢ ، ٣ ، ١٦ ، ١٧ وصف في اثنين منها الحفل ، وأن ضياء البشر يبدو في كل ناحية مشعا بالوداد ومشرقا على الشفاه اذ كان آنسا بآل سعود ، ووصف ولاية العهد وهنأ بها آل سعود في البيتين الآخرين ، فحياهم بالبيعة التى فاح أريجها فى سالف العصر ، وهاهى تتجلى ولاء وتزدهى مودة بعد أن فض عبيرها من كمائمه ٠

٤ ـ وطبعي أن يمدح الشاعران ولي العهد ويثنيا عليه في مثل هذا المقام ، وذلك ما ورد في القصيدتين ، فقد أثنى عليه ابن بليهد « في أبياته ٥ ـ ٧ ، ١٩ ، ٢٠ » بأنه شهم مزجت أسنته ـ منذ نشأته بالدم ، وفي هذا كناية عن الشجاعة ، وأنه واخوته قد تفرعت فيهم ذرا المجد من شجاعة وكرم ، وأنه ابن أفضل موجود في حاضر الأيام وغابرها ، وهذا نوع من المبالغة عهدناه لدى المادحين في القديم والحديث ، وأنه كالبدر في علو همته ، وكالجبل فى ثباته ، يقصده العفاة من كل ناحية يحدون ركابهم ٠

أما البطاح فقد مدحه « في عشرة أبيات من ٦ ـ ١٥ » فذكر أن أيامه ، يوم بؤس على الأعداء ، ويوم كرم وجود وأن بينهما حد ـ لعله أراد من حلمه وعقله ـ يمنع تصادمها ، فهو فى الاولى كالبحر الأجاج ، وفي الثانية كالنهر العذب وأنه شجاع ، اذا دارت

(١) ديوان العقد الثمين من شعر ابن عثيمين ص ١٧٧ البيت ٣٣ دار المعارف بمصر ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٦٣ البيت ١٦ ٠

رحى الحرب ابتدرها بروح الشجاع الفاتك الذي لا يهاب معترك المنون ، وليس ذلك بالغريب فآباؤه وأجداده ذوو بأس وشجاعة وكرم ، ولذا فهو يتلقى الجيوش غير ملتفت الى الأعوان ، يمزق شمل سيوفهم ورماحهم بسيف كالبرق في لمعانه ، ومايزال في كر وفر مع الاعداء ، حتى نثرهم أشلاء تدوسهم الخيل بسنابكها ، وتعكف عليهم السباع والنسور تقتات من لحومهم .

فصورة الشجاعة عند البطاح أقوى وأظهر منها عند ابن بليهد، غير أن صورة الكرم وعلو الهمة والثبات ، كانت أجلى عند ابن بليهد ، بل أن البطاح لم يشر الى علو الهمة وا لى الثبات كاشارة ابن بليهد لهما .

٥ ـ ولم ينس الشاعران الدين ، وأن حمايته وانفاذ أحكامه ، التبعة الأولى التي تلقى على أولياء الأمور .

فابن بليهد يقول « في البيت ٩ » ان الله انما سربلهم بالملك ، ليكون مصلحة للعالمين تحفظ دينهم وذممهم .

ويدعو البطاح « في البيت ١٨ » بأن يبقى ملك آل سعود ، صونا للاسلام وحفظا له من طغيان الطغاة .

٦ ـ أما الصور البيانية ، فا نلكل منهما نصيبه وان تباين ذلك النصيب .

فان البطاح وان أحسن نوع احسان في تشبيهه ولي العهد بالبحر « في البيت ٧ » وتصويره آثار الحرب باللظى والحرب بالسحاب الممطر « في البيت ٨ » ونحو ذلك مما ورد في أبياته ، الا أنه لم يستطع اللحاق بابن بليهد ، في تشبيهاته وصوره البيانية ـ خذ مثلا استعارته الفرس للخلافة والرمز لها بالزمام ، « في البيت ٢ » أو كنايته عن الشجاعة بمزج النشأة بالدم (فى البيت ٥) أو تشبيهه للفرحة بولاية العهد بالشمس « في البيت ٨ » أو استعارته السرابيل للملك « في البيت ٩ »

أو استعارته الأسود لآل سعود « في البيت ١١ » أو تشبيهه السيوف والرماح بالسقف المقام عليهم « في البيت ١٢ » أو تشبيهه ولي العهد بالبدر والجبل « في البيت ١٨ » •

(ما انفرد به كل واحد منهما)

أولا :

لقد انفرد ابن بليهد بأمور خمسة :

١ ــ ذلك المطلع الذى أشعر بالغرض صراحة، على نحو يمكن أن نقول عنه انه جمع فيه معانى القصيدة ، وما بعده ماهو الا تفصيل ، فلقد ذكر فى مطلعه السالف الذكر الجود والكرم ، وأن ولايه العهد قد عقدت للامير فى جميع أنحاء البلاد ، ولذا فانه يخاطبه (بابسط يمينا) البيت •

٢ ــ ومنها أنه مدح آل سعود (فى الابيات ١١ ، ١٨) بعد ان خص ولى العهد من بينهم بجملة أبيات ، لكنه يرى أن مدحه لهم ماهو الا فخر بهم •

كصنيع حسان ــ رضى الله عنه ــ وأمثاله ، حين مدحوا الغساسنة والمناذرة ، فأسلوب ابن بليهد فى مدحه آل سعود ان دل على شىء ، فانما يدل على أن الرجل كان فيه يصدر عن صدق عاطفة واقتناع فهو يصف ملكهم بشيوع الأمن فيه ، حتى انتشر الناس يسيرون بلا خوف بعد آن كانت السبل من قبل ذلك غير آمنة ، ويصف آل سعود بأنهم أسد حلت فى غابها «حجر» (مدينة الرياض) وأن تلك الغاب سقفها السيوف والرماح ، وهذا الملك الذى أقاموه لم يكن على كره من الشعب ، بل لقد تباشر الناس به كتباشرهم بالغيث لان الديار جميعا تنطق بمكارمهم ، والشاعر ليس بالغافل عن تلك المكارم ، ولذا فهو يرى أن مدحه لهم فخر بهم ، تماما كما كان شعراء العرب السابقون يفخرون بالغساسنة والمناذرة ، اذ كانوا يرون فى مملكتيهم الجاثمتين على حدود الفرس والروم فخرا للعرب •

وآل سعود فى استعادتهم ملك ابائهم وأجدادهم ، ليسوا بمتهمين لأنهم ساروا على نهج أسلافهم فى خدمة الدين وحمايته .

٣) ومن ذلك حديثه عن الملك « فى البيتين ١٠،١١» ورسمه لبعض حدوده وانتشار الناس فيه .

٤) ومنها أنه (فى البيت ٨) لم ينس تهنئة ولى العهد ، فى هذا اليوم الذى أشرقت فيه شمس السعود على كل مكان .

٥) وأجل ما يحمد له اذا قسناه بصاحبه هذا ، خلو قصيدته من اللحن ومن العيوب العروضية ، ثم من الشطوح فى الالفاظ الى ماهو خارج البيئة ، وذلك كله ما وقع فيه صاحبه البطاح .

ثانيا :

أما البطاح فكل ما انفرد به هذه الأخطاء التى منها :

١) فى البيت ٣ انكسار ، جاء من وضع (أنسا) موضع (آنس) فلعله خطأ مطبعى ، والله أعلم .

٢) ومثله ، مافى البيت ٨ من انكسار أيضا ، وصوابه أن يلحق ضمير الحرب بـ (لظى) لتكون (لظاها) .

٣) «وفى البيت ٦» جاءت العبارة هكذا ، (وبينهما حدا) وصوابها (حد) .

٤) ومنه جمع قديم على قدائم ، (فى البيت ١٠) ، فان جمعه قدماء وقدامى (١) .

---

(١) لسان العرب ١٥ : ٣٦٤ .

٥) استعمال كلمة «قوادم» فى العصور الخالية ، فى قوله من البيت ١٦ (يفوح شذاها فى العصور القوادم) يعنى البيعة ، والقوادم (انما تطلق على مقدمة ريش الطائر ، وتأتى جمعا لقـــادم الانسان أى رأسه قال فى اللسان (١) والقوادم أربع ريشات فى مقدم الجناح الواحدة قادمة ، وقيل : قوادم الطير مقاديم ريشـه وهى عشرة فى كل جناح • وقادم الانسان رأسه والجمع القوادم

٦) ومنه استعمال كلمة (فضت عبيرا كامنا فى الكمائم) البيت ١٧ بمعنى «نثت ونشرت» وهى انما تستعمل فى فض الخاتم ، وما كسر من الشيء قال فى اللسان (٢) : وفضضت الخاتم عن الكتاب أى كسرته وفى حديث ذى الكفل «انه لا يحل لك أن تفضـــض الخاتم هو كناية عن الوطء» وفض الخاتم والختم اذا كســـره وفتحه ، وفضاض الشيء ما تفرق منه عند كسرك اياه وانفض الشيء انكســـر •

٧) ومن ذلك استعماله كلمة «منفذ» بمعنى «وجهة أو ناحية» وهى وان كانت صحيحة لغة الا أنها ليست بذات قابلية فى الاسلـوب الشعـــــرى ،

٨) وفى مطلع قصيدته ذكر الزيتون فى قوله : «على فنن الزيتون شدو الحمائم » البيت ١ ، وهذا خروج على مقتضيات البيئـــة ، فالمكان الذى كان فيه الحفل وهو مكة المكرمة ليس به زيتون ، وليس بمنشأ الشاعر كذلك وهو نجد منابت زيتون ، ولا عبرة بقرنهم الحمام بغصن الزيتون فى العصر الحديث ، فذلك انما

---

(١) لسان العرب ١٥ : ٣٦٨ •
(٢) المرجع السابق ٩ : ٧١ ، ٧٢ •

كان وحى أحداث سياسية ، قامت على أرض بلاد الزيتون «فلسطين» وانما اقترن ذكر الحمام عند العرب بالبان والنخيل ٠

٩) ومن أساليبه ما هو أدخل فى باب الأساليب العلمية ، لا الشعرية كقوله : «وبينهما حدا لمنع التصادم» البيت ٦ فانه يريد بذلك أن فى عقل الممدوح وفكره ما يحجز بين بأسه على الاعداء وفضله على الاحباء ، غير أن كلمتى (حد ومنع) هنا قلبت الأسلوب الشعرى الى أسلوب علمى ولا يحتج بورود مثل هذا فى بيت أبى تمام (فى حده الحد بين الجد واللعب) فالفرق بين الصورتين واضح ٠

(الموازنة السادسة)

ـ بين قصيدتين لابن بليهد ـ

نظم ابن بليهد ـ مما حواه الديوان ـ على لسان غيره قصيدتين :
احداهما : بالعامية على لسان ابن عمه ، وليس لنا الان شأن بها ·
والثانية : على لسان صديقه حسين منصور العساف ·

وله قصيدة أخرى نظمها فى زمن نظمه القصيدة التى نحلها العساف، والقصيدتان غزليتان اتفقتا فى الموضوع والزمن ، ثم ان قائلهما واحد والمقول فيه واحد ، وهما الممرضتان المشرفتان على علاج الشاعر وصاحبه ··

ومع اتفاقهما فى ذلك كله تجد البون شاسعا بين القصيدتين ، فى اللغة والاسلوب والجو الشعورى والعاطفى ، وذلك هو جوهر مايهم الناقد ويعنيه ، وحوله تدور الموازنة ، وبقدر الاجادة فيه يكون التفضيل والتقديم ··

ولاتفاقهما وافتراقهما فيما مر اثرنا الموازنة بينهما ، لما فى ذلك من تجليه لفن الشاعر وقدراته وتبين نصيبه من الصنعه والطبع ، وهذا من شأنه أن يجعل الحكم الذى نصدره على الشاعر آخر الأمر ، أكثر دقة ووضوحا وأدنى الى الصواب ··

القصيدة الاولى : (١)

١ ـ رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى

٢ ـ فأما التى بالكتف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللطف

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٢ ·

٣ ـ تفاءلت من كفى سعاد سعـــادة
وفائزة فوزا فطلعتها تشفـــــــــى
٤ ـ خليلى هل تأسو المراض خريدة ؟
بقامتها الهيفاء سهم من الحتـــــف
٥ ـ لعمرى مادائى سوى نظراتهـــا
وبلسمى الشافى لديها وما أخفـــى
٦ ـ وقد عالجوا نصفى بكف رفيقـــه
وبالسحر من عينيهما أهلكوا نصــفى
٧ ـ اذا طفقت كلتاهما فى علاجها
رأيت المنايا من أمامى ومن خلفـــى
٨ ـ وما أنا الا فى هواهم متيـــم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى

القصيدة الثانية : (١)

١ ـ اذا دعوناك فاهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهربا خبـــر
٢ ـ آما محمد قد زالت شكيتـــه
وليس فى كتـــــفه مماشكا أثـــــــر
٣ ـ قال احترز من غزال كلما طلعت
فليس في عودها طول ولا قصــــــر
٤ ـ اذا رأيت الثنايا الغر باسمـــة
هناك من بينهــــــن الموت ينتظـــــر
٥ ـ فى ركبتيك ترى للكهربا أثـــرا
يطير للقلب مـــن جرائه شـــــــرر
٦ ـ أما سعاد فرجلى من سعادتهـــا
تبرا فان برئت أسبابها عمـــــــر

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٤ .

٧ ـ والفوز يبدو على الاخرى اذا طلعت
باسمها وبهـــن البرء يفتكـــر

٨ ـ من كف أهيف ضامى القد معتدل
كأنه عود بان ناعـــم خضـــر

٩ ـ ثنتان فيها لنا برء ومنفعـــة
عند العلاج وفى عينيهما حـــور

١٠ ـ هذا هو السحر من هاروت عارهما
حتى ترتب منه الموت والخطـــر

(عرض عام للقصيدتين)

أولا :

القصيدة الاولى :

فى عام (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م) حضر ابن بليهد الى «مصـــر» للعلاج فوكل أمر علاجه بالكهرباء الى ممرضتين اسم الاولى سعـــاد والثانية فائزة ، ولأمر مانظم فيهما قصيدة غزلية ، وهـــى وأختها اسبق ماعثرنا عليه من شعر الغزل الفصيح لدى صاحبنا •

وفى حديثنا عن أغراض الشعر ذكرنا فى الغزل مايحسن الرجوع اليه لمن يريد أن يتبين منزلة هذا الفن عنده ومنزلته منه (١) •

وانك لتحس فى القصيدة نبضات قلب امتلأ بالحب وشحـــن بالعواطف والاحساسات ، تلوح له الحسان المشبهات للارام ، فيخفق للحسن خفقان الطائر الذبيح ، واذا كان هذا الحسن مما يتفاءل بـه فى شفاء أمراض الاجسام ، فان فيه مهاما تصمى القلوب وترهـــق الأرواح ، أفليس عجيبا أن يكون مصدر الداء هو مصدر الدواء•؟ ،

---

(١) انظر الفصل الثانى من البـــابالثالث ، حيث الحديث عن الأغراض •

انهن يعالجن جسمه بكف رفيقه ولكنهن يتلفن قلبه بسحر العيون ، وهو شيخ كبير لم يعد قادرا على احتمال سهام الجفون .

ثانيا :

القصيدة الثانية :

كانت الممرضتان القائمتان على علاج ابن بليهد ، تقومان على علاج أحد أصدقائه وهو حسين منصور العساف ، ويقول ابن بليهد : انهما طلبتا من العساف أن ينظم فيهما قصيدة مثلما فعل هو ، فجاءه العساف يطلب منه أن يتولى عنه ذلك ، لانه لايحسن نظم الشعر ، فلبى طلبه بهذه القصيدة ، التى يخاطب فيها القمر المستعار ، ويستحثه على بذل الجهد فى علاج صاحبه ، الذى نظمت القصيدة على لسانه ليصيبه من البرء مثلما أصاب محمدا ، ولكنه يحذر صاحبه من أن ترديه حسنة القوام قاتله الضحايا بالابتسام ، لانه ان كان فى علاجهما برء ومنفعة ، فان فى عينيهما حورا يردى ، وماذاك الا السحر اعارهما اياه هاروت ، فتركب منه الخطر والموت ..

ما اشتركت فيه القصيدتان :

١ ـ سبق أن قلنا أن القصيدتين اشتركتا : فى الغرض والموضوع، وان الزمن واحد ، كما أن القائل واحد .

٢ ـ ثم أن كلتيهما ترى الجمال فى مظاهره الحسية (كالقامة الهيفاء)و (سحر العيون) و (الوجه المشبه للقمر) و (الثنايا الغر) و (جمال المبسم) و (القد الضامى) و (حور العينين) وهكذا، وذلك شأن اكثر الاقدمين الذين ينتمى الى نهجهم شاعرنا .

٣ ـ وكلتاهما تعبر عن خليط من الشعور بالامل فى الشفاء تفاؤلا بتيك الحسناوين ونشوه الائتناس بهما ، وذلك حين مباشرتهما للعلاج ، كما فى البيت الثالث من القصيدة الاولى ٦، ٧ من الثانية .

ما أمتازت به كل واحدة منهما :

١ ـ جاء مطلع القصيدة الأولى جامعا للمعانى التى تدور عليـــها أبياتها ، ففيه أنبأ برأيه فى تلك الحسناء المشبهة للغزال : فى خفتها ، ورشاقتها ، وطول عنقها ، وحور عينيها ، اذ تلك الصفات هى ماتشبه فيه الحسناء بالغزال ، وفيه اخبار بكمال أوصافها ، وفيه اشعار بأنها قد كوته بنارين : نار (الكهرباء) التى تكوى كتفه ، ونار الفتنـــة التى تكوى الفؤاد ..

فأنظر كيف تسنى له جمع هذه المعانى أجمع فى بيـــت واحد ، على نحو من الجلال والجمال .

وليس بخاف مافى مطلع الثانية من تكلف وقصور ، الى ماتضمنه الشطر الثانى من تكلف فى اللغة وهزال فى التعبير .

٢ ـ وفى كلمتى (الملاحة واللطف) من البيت الثانى فى القصيدة الأولى ، من الدلالة على فتنة الجسم والروح ما لم تحو مثله القصيدة الثانية ، الى ماتضمنه البيت من تفصيل جميل ، لماورد فى الشـــطر الثانى من المطلع .

٣ ـ والتفاؤل باسمى المرضتين الحســـناوين ـ سعاد وفائزة ـ معنى طرقه الشاعر فى كلتا القصيدتين ، غير أن الأولى جمعت ذلك المعنى فى بيت واحد هو ـ ٣ ، على نحو من الابداع وتلاحم المعنـــى وتآلف الكلمات فى ايجاز وابداع .

بينما نجده يفصل هذا المعنى فى أربعة أبيات من القصيدة الثانية، من البيت ٦ ـ ٩ ليس فيها فضل معنى ، على ماتضمنه البيت الثالـث من القصيدة الأولى ، بل انك لتحس الهزال فى المعنى والتكلف فـــى اللفظ والأسلوب فى أبيات الثانية ، ثم اضافة الشفاء والبرد ـ بعد الله ـ الى الطبيب عمر لا المرضتين ، وذلك خلاف مافى بيت الاولى .

٤ ـ ثم دونك هذا التساؤل عن البرء المترقب من ذات قوام تحمل فيه سهم الهلاك ، ثم اتباعه بتفصيل له فى ثلاثة أبيات بعده ، على نحو لاتعثر مثله ـ لو تعملت ـ فى القصيدة الثانية ، لقد عالجتا نصفه بالكف الرفيق ، لكنهما أتلفتا النصف الثاني بسحر العيون ، انه يقسم بأن داءه من النظرات ، ولايخفى أن شفاءه عندهما ، فليس عجيبا أن يرى المنايا من أمامه ومن خلفه عندما تتعاورانه بالعلاج .

٥ ـ ثم انظر هذا الاستعطاف العجيب (فى البيت ٨) أنه يتحسس موضع الضعف فيه فيستعطفهما به ..

٦ ـ ثم نعود الى القصيدتين فنقرؤهما من جديد ، لنتلمس أيهما أدنى الى تحقيق العاطفة والشعور ، وأيهما أقرب الى الوحدة العضوية :

فنجد أن أبيات الأولى تجىء وكأنما هى لآلىء ضمها نظام على نحو ، لو وضعت احداها مكان الأخرى لاختل حسن العقد لعدم اغنائها عنها ، فكل بيت فيها مكمل لما قبله متطلب لما بعده ، خذ مثلا البيت الثانى انه تفصيل ضرورى لما قبله ومثير لتساؤل يجيب عليه ما بعده، وهكذا كل بيت منها آخذ بحجز صاحبه ، ومثل ذلك يقال فى وحدة الموضوع والعاطفه والشعور ، فجميع أبياتها تدور حول المرضتين وعملهما وأثرهما وتأثيرهما ..

.بينما تأتى الثانية وكأنما أبياتها حبات من الخرز تناثرت فى التراب ، لا تجمع شتاتها وحدة ولا يؤلف أجزاءها موضوع ولا عاطفة ولا شعور .

أى رابط بين الاول والثانى ، وأى شىء يشد الثالث الى الثانى؟ وهكذا .

ثم انها الى جانب حديثها عن المرضتين اللتين هما الموضوع ، نجد أن أسماء أخرى تقتحم ميدانها كمحمد وعمر وهكذا ..

٧ ـ أما فى الألفاظ ، فيكفى أن نلقى ولو نظرة سريعة على حرف الروى فى كلتيهما فهو :

فى الأولى (الفاء) وهو فى القوافى صعب المراس ، ليس (كالراء) التى سميت حمار الشعراء ٠

أما الثانية فعلى الرغم من أنها ليست عصية، لم تكن من الحسن والكمال بحيث تلحق بالأولى ، وهذا كاف جدا فى التدليل على براعة الشاعر ، من حيث اللغة فى الأولى دون الثانية ، ثم انك تحس الدقة والحسن فى اختيار الكلمات الواردة فى البيت الرابع من القصيدة الأولى (وأهيف) وردت فى البيت ٨ من القصيدة الثانية ، واللفظان مدلولهما واحد ، وان كان الأول جاء فى صيغة التأنيث ، وجاء الثانى فى صيغة التذكير ، لكن هل وقع الثانى فى النفس كالأول ؟ وهل له من الرنين فى السمع مثلما للاول ؟ تلك هى المهارة فى وضع الكلمة موضعها الملائم لها ، وذلك هو الانقياد لما يمليه الذوق السليم ويقتضيه الطبع القويم ٠

وخلاصة القول :

أن مابين القصيدتين : هو مابين الطبع والتصنع ، والسجِيَّة والتكلف ، والطواعيه والافتعال ، وصدق المحب ونفاق المجاملة وشتان بين الحالين ٠

سر تفوق الأولى على الثانية ، أو سر جمال الأولى :

كل عمل يمكن أن يؤدى طواعية أو الزاما ، فيأتى على وجه الا يكن حسنا فمقبولا ٠٠٠٠ الا الأعمال الأدبية ، فانها ما لم تأت طواعية نابعة من ذات الأديب نفسه ، ملبية لميوله هو مستجيبة لرغبات مشاعره واحساساته ، فان سبيل الاجادة فيها الا يكن مستحيلا فعسير، لان الأديب انما ينحت من عقله ويمتح من وجدانه ، والعقل قد يستجيب للالزام ، لكن الوجدان لاينقاد الا للانفعال ، اذ أن الادب

ليس موضوعا وحسب ، وانما هو : موضوع ، ولغة ، وأسلوب لايشرق أديمه بصور الجمال والجلال ، وتزدان جنباته بروائع الابداع ، الا اذا التقى فيه العقل بالعاطفه والحقيقة بالخيال ، وكان ثمرة تجربة ومعاناه أنبتها صدق وايمان ..

ذلك هو فرق ما بين الأولى والثانية ، وذلك هو سر تقدم الأولى وامتيازها واتيأنها على هذا النحو : من اشراق الديباجة ، وحلاوة التعبير ، وكثرة الماء .. ، وذلك فرق ما بين : والمصنوع والمطبوع ، والعصى النافر المستكره ، .. والسهل المنقاد العذب المنساغ .

لقد انفعل ابن بليهد فى الأولى بالموقف ، فاستجاب له فى طواعية واسلاس .، ونحن لايعنينا كيف انفعل ولم ؟. ،. وانما الذى يعنينا هو حصيلة هذا الانفعال ، الذى قدم لنا القصيدة الأولى : فى عذوبة لفظ ، وحلاوة تعبير ، وائتلاف بين الكلمات والجمل والأبيات ، ورقة تداعب أوتار المشاعر والاحساسات ، كما يداعب النسيم العليل ميلان الأغصان ..

أما الثانية فانها تتعثر فى ثياب التصنع ، وتشوه سمات التكلف منها الأديم ، كأن الشاعر فى اخراجه البيت يقتلع جذع شجرة من طين ، لأنه لم ينزع فيها عن ايمان ويقين .،. وانما هو كأجير ألزم بالعمل وأكره عليه ، فهو يؤديه كيفما أتفق ، لأنه مفروض عليه ، ولابد له من أن يفعله .

وفى تباين أسلوب هاتين القصيدتين ، على الرغم من أنهما نظمتا :في وقت واحد،ومكانواحد، وبلسان واخد ، وفى غرض واحد ـ ما يدلنا على أمور أو بعبارة أخرى يؤكد ماقلناه ونقوله فى بحثنا هذا من أنه كان ذا ملكة أصيلة قابلة للتطور والارتقاء واستجابة للتأثر والانفعال ثم تأكيد صحة مانسب اليه من شعر له لم يحوه الديوان .

(الموازنة السابعة)

بين ابن بليهد ومحمد سليمان الشبل (١)

نظم ابن بليهد وهو فى مصر قصيدة ميمية ، ضمنها حديثا عن الديار المقدسة وشوقه لها ، وعن المولد النبوى والخوارق التى صحبته، وطرفا من سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولسليمان الشبل ـ أحد الشعراء المعاصرين ـ قصيدة فى المولد النبوى الشريف •

ويغلب على الظن أن ابن بليهد فى قصيدته ، لم يعمد الى محاكاة البردة أو سواها ، من معارضات الشعراء الكثيرة لها ، فليس فى قصيدته ما يشعر بشىء من ذلك ، سوى بيت واحد أخذه من نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقى ، على ما سنشير اليه ان شاء الله •

من هنا لم نشأ الموازنة بينه وبين أحد من أولئك ، وآثرنا الموازنة بينه وبين أحد معاصريه من أبناء بلده ، وهو محمد الشبل الذى اشترك معه فى الغرض •

ولشرف هذا الموضوع ، وارتياح النفس والقلم اليه ، الى ماله من منزلة كبرى فى أدبنا العربى لهذا وذاك ، آثرنا تحلية بحثنا هذا بنبذة بين يدى هذه الموازنة ، من المدائح النبوية وأشهر قصيدة وأسبقها فيه، مع الاخذ بحجز القلم فيها عن التفصيل •

---

(١) محمد سليمان الشبل ولد (١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م) • ببلدة عنيزه ودرس بمدرستها الابتدائية ، ثم التحق بالمعهد السعودى بمكة المكرمة ، حتى تخرج فيه ليلتحق بعد ذلك بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، وبعد تخرجه فيها اشتغل بالتدريس بالمدرسة الرحمانية المتوسطة بمكة ، ثم عين مديرا لها وله شعر جيد كان فيه يطيل النظر الى مشكلات الاسلام والمسلمين •
ترجم له حسن محمد الشنقيطى فى كتابه « النهضة الأدبية بنجد» •

ان أول ما مدح به النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قصيدة الأعشى التى مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وبت كما بات السليم مسهدا

ثم نظم الشعراء فى حياته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كثيرا من القصائد ، التى جرت على ألسن شعراء الاسلام ، كحسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ ثم تتابع الشعراء فى الاسلام على الثناء والمدح ، لأهل البيت بعامة وللرسول بخاصة كما رثوه بعد وفاته ·

ولابد لنا من أن نفرق بين المدح والرثاء ، فالمدح مايقال فى الحياة، أما الرثاء فانه مايقال عادة بعد الوفاة ، واذا امتد زمن الرثاء فانه لايتجاوز شهورا ، أما أن يمتد قرونا من الزمان فذلك مالم يؤلف ·

لقد نظم الفرزدق فى مدح أهل البيت وكذلك الكميت ومهيار وغيرهم كثير ، لكن النظم فى مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثناء عليه ، وخصه بالقصائد الطوال تقربا الى الله وتعبدا واشباعا للجانب الروحى ، انما شاع فى العصر المملوكى حين نظم فى ذلك صفى الدين الحلى ، والبوصيرى وأمثالهما وحين تابعهما على ذلك شعراء العربية والاسلام الى يومنا هذا ·

(والمدائح النبوية من فنون الشعر التى أذاعها التصوف ، فهى لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع ، لانها لاتصدر الا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص ·

وأكثر المدائح النبوية قبل وبعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومايقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، ولكنه فى الرسول يسمى مدحا كأنهم لحظوا أن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ موصول الحياة ، وانهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء ، وقد يمكن القول بأن الثناء على الميت لايسمى رثاء الا اذا قيل فى أعقاب الموت ، ولذلك نراهم يقولون :

(قال حسان يرثى النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ليفرقوا بين حالين من الثناء ، ماكان فى حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وماكان بعد موت الرسول ، بخلاف مايقع من شاعر ولد بعد وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان ثناءه عليه مديح لارثاء ، لانه لا موجب للتفرقة بين حال وحال ، ولأن الرثاء يقصد به اعلان التحزن والتفجع عليه ، حين لايراد بالمدائح النبوية الا التقرب الى الله ، بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول) (١) ٠

وتعد البردة للبوصيرى من أطول المدائح النبوية ، وهى أشهر مامدح به المصطفى من الشعر ، نسجت حولها حكايات وقامت على جوانبها خرافات ، وتقرب بها المنشّدون ، واستشفع بها واستشفى كثيرون ، من هنا كانت شهرتها ، ومن هذا أقبل عليها الشعراء حفظا ومعارضة ٠
ويروى عن البوصيرى أنه نظمها فى أثناء مرضه بالفالج (الشلل النصفى) فرأى فى المنام أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألقى عليه بردته ، فلما أستيقظ من النوم وجد جسمه قد شفى وقام يمشى ٠

وقد علق الدكتور زكى مبارك ، فى كتابه (المدائح النبوية) على هذا بقوله :

(وهذه القطعة دلالة على عقلية البوصيرى ، فهو رجل فيه طيبة وسذاجة كأكثر الصوفية ، فايس من المعقول أن يبرأ مريض من مرضه لآية يتلوها أو قصيدة ينشدها ، كما برىء البوصيرى بقصيدته ، ٠٠٠ وهذا النوع من الغفلة قديم ، فقد كان البوصيرى كرر عبارة (ص) خمس مرات فى هذه الفترة الصغيرة ، وتكرار الصلاة على النبى (ص) كلما ذكر اسمه من وساوس المتأخرين) (٢) ٠

---

(١)المدائح النبوية لزكى مبارك ص ١٤، ١٥ طبعة دار الشعب ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٩٧ ، ١٩٨ ٠

وفي هذا التعليق للدكتور زكى مبارك ، نظرات ، من ذلك قوله : ان تكرار الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من وساوس المتأخرين ٠

ونحن نعلم أن الله تبارك وتعالى قد قال فى كتابه العزيز : (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (١) ٠

وقد ورد عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى ذلك أحاديث كثيرة، منها قوله من حديث : (رغم أنف أمرىء ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين فقلت آمين) ٠ الحديث ، ومنه قوله : (ألا أخبركم بأبخل البخلاء من اذا ذكرت عنده لم يصل على) ومنه قوله : (من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا) وقوله : (صلوا على فان صلاتكم تبلغنى أين كنتم) أو كما قال (٢) ٠

ثم ان فى كلام الدكتور زكى مبارك مايفوح بعدم الايمان بجدوى الأدعية ونحن نؤمن بأن الرقية علاج كما ورد عن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولانستبعد أن يكون من فضائل مدح المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثناء عليه وما يتبعه من ذكر الله وأسمائه وصفاته ماهو سبب فى الشفاء ودفع الضرر ٠

وأما استبعاده البرء والشفاء بتلاوة آى القرآن الكريم أو شىء منها فأمر يتنافى مع ما ورد فى القرآن الكريم : (وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) (٣) ٠
ثم ماورد عن المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أحاديث فى هذا نؤمن بها قولا وعملا ٠

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ ٠
(٢) انظر الأحاديث فى كتاب الذكر والدعاء فى اكثار الصلاة على النبى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى الجزء الثالث ٠
(٣) سورة الاسراء الآية : ٨٢ ٠

على أنا مع اعجابنا بالبردة وثنائنا عليها ، لانقر ماورد فيها من المبالغات التي لم يرضها السلف الصالح ، ولكنها كلام بشر ، وكلام البشر فيه الخطأ والصواب ، ونحن والبوصيرى وزكي مبارك ، وكل ماكان وماهو كائن بين يدى الله ، والله غفور رحيم .

وتعد البردة أول مانظم من المدائح النبوية ، التي تستهدف ذكر صفات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشمائله ، ودحض أقاويل أعدائه ، وبيان فضله على النبيين والرسل وسائر الخلق أجمعين .

ولم يسبق البوصيرى على هذا أحد ، ذلك أن المدائح قبل البوصيرى طابعها هو طابع المديح العربي ، مع ذكر شيء من صفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ على نحو بعيد جدا عن منحى صاحب البردة ومن سار على نهجه بعده .

ومن هنا كثرت معارضات الشعراء للبردة ، وكان من اعجاب الشعراء بخاصة والمسلمين بعامة بهذا اللون من الشعر ، أن أصبحت هذى المدائح معدودة فى عداد الأدعية والأوراد ، يرددها كثير من المسلمين فى المناسبات الاسلامية ، كالهجرة النبوية ومولد المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ونحو ذلك .

وقد تتابع الشعراء على محاكاة البردة والنسج على منوالها ، حتى بلغ من تزاحمهم عليها أن أصبح حصرهم عسيرا (١) .

أما المدائح النبوية التي لم تلتزم بحر البردة وقافيتها ، فانها تكون جانبا كبيرا من الشعر العربى ، ترتاح النفس لدراسته ، ويطيب للقلم الانطلاق فيه ، لو كان ذلك موضوع الحديث .

---

(١) احصيت فى بحث لى بعنوان« المعارضات فى الأدب العربى » مخطوط ما ينيف على مائة معارضة للبرده وماأظنني حصرت الا القليل .

(نص القصـــــيدتين)

قصـــيدة ابن بليهـــد : (١)

دنـــا الرحيـــل فـــودع جيره الهرم ... وأترك زمام دموع العين أن تهـــم
ودع فتوديع اخوان الصفا صـــفة ... ما حاد عنها أولو الأخلاق والشيـــم
يا جيرة النيـــل أمالى بصحبتكم ... خطت على القلب مثل الخط بالقلم

لو أنصفتنى الليالى ما تركت ربا ... وادى الكنانة ·مهد السحر بالقلـــم
يامصر فيك تعود الشيخ صبـــوته ... عهد الشباب وأيام الصـــبا النهم
لكن بنجـــد لنا دار مكللــــــة ... بالمجد هاماتها خفاقـــة العلـــم

ودعت مصر وفي صدرى لها نزل ... وللصحاب وداد غيـــــر ذى برم
دع عنـــك مصر فأنت اليوم مرتحل ... لموطن فيه تلقى جيرة الحــــــرم
هناك حيث ديار العـــز عامـــرة ... بالفضل والنبل في الاخلاقوالكرم

من العبـــادة أنضاء تخالهمـــــو ... ظلا وفى الحرب أسد الغاب والأجم
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهـــم ... طاروا اليه على علاكة اللجـــــم
دم العروبة فى أنقى منابعـــــــه ... فيهم وفيهم سجاياها من القـــدم

وفيهمو طلعت شمس الهدى وبهم ... هدى الأنام ومنهم ســـيد الأمـــم
محمد خير خلـــق الله كلهمـــــو ... وطاهر الكف والأردان والشيـــم
جاء الوجود يتيما فى لفافتـــــه ... سر النجاة لكل العرب والعجـــم

واستقبل الكون ميلاد الكريم بمـــا ... أضفى عليه اله الكون من كـــرم
النور أشرق ملء الأفق ساطعـــة ... من السماوات حتى خافض الرغم
والنار في أرض كسرى جن موقدها ... خبت وكان لظاهـــا شر مضطرم

واهتز من فرح أودى بشرفتـــــه ... ايوان كسرى فضج الغارم الأثـــم
ماهزه الذعر كلا بل به رقصـــت ... أمال فارس تحدى بالهوى النهـــم
الى الخلاص من الطاغى وصولته ... أتى الطبيب ـ جراح الأمس فالتأمى

---

(١) أوراق مخطوطـــة ٠

خوارق لست أحصيتها فقد كثرت في ساعة جاء فيها سيد الأمم
عاش اليتيم وعين الله تكلؤه ولم يضر قط بالاملاق واليتم
وعاش كالانبياء السابقين فلم يشرب مداما ولم يسجد لدى صنم

وعاش في عفة من كل ناحية ما ضر ان كان من سواقة الغنم
ولم يضراه لدى أشراف أمته أن كان فيهم زمانا راعى الغنم
ولقبوه أمين القوم صادقهم وبات كالبدر فيهم أو ذرا العلم

خديجة ربة العقل الكبير رأت بعين رأى حصيف نافذ السهم
أن الرسول الرفيق المصطفى له كف اذا تاجرت سحب من الديم
تقدمت نحوه الحسناء خاطبة ولم تكن عادة النسوان فى الأمم

لم يلهه المال والأهلون عن طلب للرشد فى الغار بالتفكير في الظلم
حتى اذا جاءه جبريل أرعبه هول الفجاءة والاجلال للكلم
فجاء والرعب يجرى فى مفاصله خديج هاتى دثارى وأضغطى قدمى

فطمأنته بأن الله مكرمه وكيف لا وهو فيهم حافظ الذمم
كانت له أول الأتباع قاطبة قول ابن نوفل يغرى كل مؤتمم
لما اطمأن الى درب النجاة أتى اليه أمر بانذار لذى الرحم

وظل يصعد فى درب الرسالة لا يثنيه خوف ولا ماصيغ من تهم
لما تكاثر أصحاب الرسول قضى قاضى الطغاة بتعذيب لمعتصم
بالله بان له درب الهدى فعدا اليه عدو جياد للسباق ظمى

وشاح عن وجهة الضلال مبتعدا عن الخنا وعن التسبيح للصنم
حتى اذا أذن المولى بهجرتهم خفوا ولاذوا بأقوام من العجم
وظل باقيهم فى عين ظالمهم مثل القذا والسفا فى الحلق والحمم

فى الصدر تغلى بها غليا مراجلهم لايملكون سوى التعذيب للخدم
حتى اذا أجمع القوم الطغاة على قتل الرسول ـ وعين الله لم تنم
مشى وصاحبه الأوفى يحفهما روح من الله لا الاثار للغنم

الى المدينة حيث المصطفين من ال أنصار أهل الوفى والجود والكرم
هناك أذن للرحمن فامتلأت أسماع يثرب من قدسية النغم

وشمر الدين عن زند الجهـــــاد ... فلم يبق سوى السيف للعاصين للكلم
وأيد الله جند المصطفى فمشـــت ... كتائب بالهدى خفاقـــة العلـــم
يحـدوه نصر الى نصر ويصحبـه ... من المهيمن عز باذخ العظـــم

ياجيرة البيت لا ريعت مرابعـــه ... شـوقى لكم عـارم ياجيرة الحرم
أبكى فتبكى الأمانى فى مساربهـا ... والعين تهريق دمعا غير محتشـم
وصل ربى على الهادى وشيعتـــه ... ما أومض البرق فى محلولك الظلم

قصيدة محمد الشبل (١) :

مولـد النـور والهـدى والسلام ... وربيـع المنى وفجـر الوئـــام
شـــع فى مهجـتى فحـرك ما بى ... من حنين الى الهـدى وهيـــام
موكب من ربا الحجـــاز تهـادى ... بيـن زاه من الجـلال وسـامى

كوثر من منابـع الوحى يجـرى ... سلسبيلا أثرت فيـه غــــرامى
ايـه يامولد الرســـول تجلـــت ... فيـك ذكـرى بطولـه الاسـلام
قـد أطلـت علـى بنيه فهاجـت ... أنفـس قد ســمت لنيـل المرام

ذكرتهم بمجدهـــم فاشرأبـــوا ... نحـو آت من العــلا بســـام
وحدتهم الى النهـوض فهبـــوا ... من منام أتعـــس به من منـــام
أتراهـــم لوحيهـا قد أصـــاخوا ... أتراهم تقدمـــوا للامـــام

أتراهـــم تكاتفـوا واستعـدوا ... ليـردوا مواكـــب الاســـلام
ايه يا سـيد بك اللـــه حـلى ... هذه الأرض بالسنا والســـلام
أنـت للكـون سـيد وامـــام ... مشعل ســاطع لمحو الظـــلام

حـلل الدين فوق رأســك تاج ... صـاغه الله من شـــذا الالهـام
يا نبى الهدى لذكراك تهفـــو ... نفس صـــب متيـــم مستهـــام
هـــذه البيـد من أنار دجاهـا ... فتلاشى كشارد الأوهـــــام

---

(١) النهضة الأدبية بنجد ـ حسن محمد الشنقيطى ـ مطبعة مصطفى الحلبـــى ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

مسرحا للضلال والجهل كانت	فغدت منبعا لهدى الأنام
أنجبت كل مدره عبقرى	أنجبت كل فيصل مقدام
يا ربيع الزمان منك تسامت	ذكريات الميلاد والاسلام
هذه نفحة من النور حلت	بضميرى فصغتها فى نظامى
بصلاة على البشير صداها	فى لسانى ومهجتى وعظامى

عرض عام للقصيدتين :

قصيدة ابن بليهد : تبلغ قصيدة ابن بليهد (٥٣ بيتا) بدأها بمطلع رقيق يودع فيه مصر واخوان الصفا بها ، فى عبارات كلها حب ووفاء وألم من الفراق ، فهو يبكى ـ فى الأبيات الخمسة الأولى والبيت السابع ـ على فراق مصر حين دنا الرحيل ، ويريد أن يترك الذمام للدمع يجرى على فراق الأحباب والأصحاب ، فذاك أقل ما يفعل صاحب الشيم والأخلاق النبيلة عند توديع اخوان الصفا ، وكيف لا وقد خطت محبتهم على قلبه كالخط بالقلم ! حتى تمنى لو أن الليالى أنصفته فلم يترك مهد الفكر (مصر) ثم انها بلاد أنشطت أماله وبعثت فيه أحلام الصبا وحيوية الشباب بعدما نبذها من الأعوام ماينيف علي الستين ، لكنه يودع مصر وهو يصون حبها ووداد أهلها فى صدره .

ثم يعطف (فى الأبيات ٦،٨ـ١٣) على وطنه نجد والحجاز ، فيبين عن شوقه وحنينه وحبه وتقديره لتلك البلاد المقدسة وأهلها ، وأن ذلك الحب هو الذى يخفف عليه ألم فراق مصر ، أو ليست نجد مهده ومنشأه ؟ فهو ان ترك مصر وأهلها فله من وطنه وأهله ما يعوضه أو ماهو أولى بحبه ، ولذا فهو يثنى على أهله ويمدحهم بالعبادة والكرم والشجاعة ، والعمل على نشر الاسلام ، وانهم أنضاء عبادة ، لكنهم فى الهيجاء كالأسود الضارية ، ثم انهم أصل العرب وفيهم تجرى أنقى دماء العروبة ، ثم ان تلك الأرض كانت المهد الأول للاسلام ومهبط الوحى ، ومن أهلها كان المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وبعد هذه المقدمة التي بلغت (١٣ بيتا) أخذ في الحديث عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وطهارة كفه وأردانه وشيمه ، وانه كان سر نجاة البشرية مما هي فيه من فساد ، ثم أفضى الى ذكر المولد النبوي ، وبعض ماصحبه من خوارق ، وفسر تساقط شرفات ايوان كسرى تفسيرا لطيفا يأتي ذكره ان شاء الله .

تم ذكر شيئا من نشأته عليه الصلاة والسلام ، وأن يتمه لم يضره ، لأن الله ــ جل جلاله ــ كان يرعاه فلم يشرب خمرا ، ولم يسجد لصنم وكان يعيش في عفة ، يكسب قوته من عمله ، وأن قومه قد شهدوا له بالأمانة والصدق ، ثم عرج على زواجه من خديجة ــ رضي الله عنها ــ ليخلص من ذلك الى : الحديث عن بدء الوحي ، فتبليغ الرسالة ، فموقف قومه منه ومن دعوته ، ثم هجرة بعض الصحابة ــ رضوان الله عنهم ــ الى الحبشة ، ولم ينس الاشارة الى ما اشتعل في صدور المشركين من غيظ وحقد ، وما دفعهم اليه من تعذيب أصحاب النبي ، وبخاصة من كانوا تحت أيديهم من الخدم والعبيد ، ثم دلف الى الحديث عن هجرة النبي الى المدينة المنورة ، وماتبع الهجرة من اشتداد شوكة المسلمين ومد لواء الاسلام ، في ظلال الانتصارات المتتابعة لجيوش التوحيد ، ثم ختم القصيدة ببيتين وجه الحديث فيهما الى جيران الحرم الشريف ، وقد شحنت هذه الخاتمة بعاطفة مشبوبة الى تلك الربوع وأهلها ، وأنه كلما تذكر جيران الحرم بكى فبكت معه أمانيه في مساربها ، وأسبلت عيونه الدموع بلا احتشام ، أما مسك الختام فالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام .

قصيدة محمد الشبل :

أما محمد الشبل فقد أخذ في الغرض مباشرة ، فذكر المولد النبوي وما تركه في نفسه من أثر بالغ ، ثم خلص منه الى ذكر الوحي وما أوحي الى النبي من منهج قويم ، شبهه بالكوثر في العذوبة والصفاء ثم عاد الى ذكر المولد النبوي ، ليخاطب من خلاله المسلمين ، ويتساءل هل أخذوا منه العظة والعبرة في حياتهم التي طال بهم فيها الخمول ؟

ثم مدح النبى فى أبيات ذكر فيها أن الله زين الأرض بالسلام والسناء على يده ، لانه السيد الامام والمشعل المبدد للظلام ، وان ذكراه لتهفو لها النفوس وتهيم ، لانها ذكرى مولد من خلص العالم من الشرور والفساد •

ما اشتركت فيه القصيدتان :

الى جانب التقاء القصيدتين فى الغرض ، وهو ذكر مولد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى حرف الروى وهو (الميم) رغم اختلاف حركتها اشتركتا فى أمور أربعة هى :

١ ـ ذكرى مولد النبى الذى هو الغرض المقصود ، وكان المفروض أن يفيضا فيه وفيما يؤخذ منه من عبر وعظات وذلك فيما أعرف هو المقصود من مثل هذا ، غير أنه لم ينل منهما ما يستحق وان اختلفا فى ذلك •

أ ـ فابن بليهد لم يذكر المولد الا فى بيت واحد ـ هو رقم ١٦ ـ أخبر فيه أن الكون قد استقبل مولد النبى بما أضفى عليه من كرم •

ب ـ أما الشبل فكان عنده أحظى من صاحبه ، سواء فى ذلك ما يتصل بوصف حال الأمة الاسلامية وما بعثه المولد النبوى الشريف فيهم ـ وذلك ما سيأتى ذكره فيما امتاز به عن صاحبه ـ أو ما يتصل بذكرى المولد نفسه اذ قال (فى الأبيات ١،٢،٥،١٤،١٨) ان مولد المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذى هو مولد النور والهدى والسلام والوئام وربيع المنى ـ قد أشرق فى مهجته فأثار ما فى نفسه من أشواق ، فهو آية تجلت فيها ذكر البطولات ومجد الاسلام ، ولذا فان النفوس المؤمنة تهفو اليه دائما وأبدا ، أو ليس هو ربيع الزمان فيه تتجلى الذكريات الاسلامية الجليلة ؟

٢ ـ وكلاهما مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر طرفا من صفاته وخلاله ، وان اختلفت نظرة كل منهما الى تلك الصفات والسجايا •

١ ـ فابن بليهد يصفه (فى الأبيات ١٤،١٥) بأنه خير خلق الله ، وأنهطاهر الكف والأردان والشيم ، وأن الله جاء به نجاة للعالم ممـا هو فيــه من شرور ٠

ب ـ أما الشبل فانه فى الابيات ١١،١٢،١٣ ـ يصفه بأنه مصــدر ضياء الكون ومنطلق السلام فيه ، وانه سيد الكون وامامه وان الــه قد حلاه بتاج من شذا الالهام ، أى : الوحى ٠

٣ ـ واذا كانا قد اتفقا على ذكر الوحى ، فانهما قـــد اختلفا فى كيفية تناوله والحديث عنه ٠

أ ـ فالشبل فى البيتين ٣،٤ قد تحدث عن الوحى أى الموحى به وانه كالكوثر ، وانه قد تهادى من ربا الحجاز فى جلال وسمو ٠

ب ـ أما ابن بليهد فقد تحدث فى (الابيات ٣٢،٣٥) عن حــاله صلى الله عليه وسلم ـ عند بدء الوحى ، وانه قد رعب عند أول لقاء بينه وبين جبريل ـ عليه السلام ـ فجاء الى خديجة مرعوبا ينادى : (دثرونى دثرونى) لكنها طمأنته بكلماتها الطيبة ، التى سرت عنـه ما أستولى عليه من رعب وفزع ، وأعادت على سمعه ماعرف به من جميل الصفات وسامى الخلال ، ثم أخذته الى ابن عمها ورقة بن نوفل فلما طمأنه بأن ما أتاه هو الناموس الذى ينزل على الانبياء ، كانت خديجة ـ رضى الله عنها ـ أول التابعين له المؤمنين برسالته ٠

وعندى أن الاثنين لم يوفقا الى الهدف المنشود ، وكان يجمل بهما أن يتحدثا عن الوحى ونزوله واستقبال الارض له وأثره فى الانسانية الى مايصحب ذلك من وصف حال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ٠
٤ ـ وآخر ما التقيا فيه ختام القصيدة بالصلاة على النبى ـ صـلى الله عليه وسلم ٠

ما أمتاز به كل كل واحد منهما :

وقد انفرد كل واحد منهما بأمور تميزه من صاحبه ، من ذلك :

١ ـ ان ابن بليهد قد مهد للغرض بمقدمة بلغت (١٣ بيتا) ، بينما أخذ الشبل فى الغرض مباشرة ، وكلا الامرين جائز لوروده فى الشعر العربى ، الا أن بعض المتأخرين يؤثرون الاخذ بالغرض دون مقدمات •

٢ ـ وكلاهما وصف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا أن وصف ابن بليهد له ، انما هو فى جملته أوصاف جلها يمكن أن يوصف بها كل كريم فى أخلاقه وسيرته ، كوصفه بطهارة الكف والأردان والشيم

أما الشبل فان وصفه بأن الله حلى به الارض ، وانه سيد الكون ، وان حلل الدين فوق رأسه تاج من شذا الوحى ، ومثل هذه انما تكون للنبى •

٣ ـ كما امتاز الشبل بأن فصل أثر المولد فى المسلمين وانشاط امالهم وهممهم ، ومثل هذا لم يطرقه ابن بليهد فى هذه القصيدة •

ويقول الشبل (فى الابيات ٦ـ١٠) ان ذكرى المولد آية أطلت على المسلمين فاستثارت أنفسهم الطامحة الى نيل المراد ، اذ ذكرتهم بسالف مجدهم فاستشرفوا لمستقبل مشرق كالماضى ، بعد أن أيقظتهم من نوم طال مكثهم فيه ، لكن هل عملوا على استعادة مجدهم السالف ، وبناء مستقبل باسم يكون منطلقه التعاون والتكاتف ؟

٤ ـ ومما امتاز به الشبل أيضا ، الاشارة الى تغيير الاسلام لحياة العرب ، فحول بلادهم الى منبع للهدى والاسلام والسلام ، بعد أن كانت مسرحا للضلال والظلام والفساد ، فهو ، فى الابيات ١٥ ، ١٦، ١٧ ، يتساءل عمن جلا الظلام عن البلاد ، واستنقذ منه العباد بعد أن كانت مسرحا لظلام الضلال والجهل ، فأمست به ينبوع الهدى وضياء

الحق والسلام ، وأنجبت من أبطال الاسلام وقادة العرب من لا تزال تضرب بهم الامثال ·

وهو وان لم يجب على ذلك الاستفهام التقريرى ، الا ان الموضوع نفسه يجيب عليه ·

٥ ــ ثم ان ابن بليهد فى حديثه عن المولد أشار (فى الابيات من ١٧ ــ ٢٢) الى الخوارق ، التى صحبته فذكر شيئا منها : كاشراق الدنيا بيوم مولده ، وخمود نار المجوس الذى أثار الذعر فى نفوس سدنتها، ثم فسر تساقط شرفات ايوان كسرى ، تفسيرا لم يأت بمثله ــ فيما أعلم ــ المتحدثون عن الخوارق ، التى صحبت المولد الشريف بأن جعل الايوان يهتز فرحا ، وجعل آمال فارس ترقص بالايوان استبشارا بقدوم المخلص من الظلم والجور والفساد ، حتى تساقطت من ذلك الرقص الشرفات ·

وهذا معنى أخذه من قول أحد شعراء مصر مادحا ومعللا لزلزال أصاب مصر فى عهد الممدوح ·

مازلزلت مصر من كيد يراد بها
وانما رقصت من عدلكم طربا

٦ ــ ثم انه (فى الابيات من ٢٢ ــ ٣١) تحدث عن نشأة النبى وخلاله وأعماله ، فذكر أنه نشأ محوطا بعناية الله ورعايته ، فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرا ، وانه لصدقه وأمانته لقب بالصادق الامين ، وانه رعى الغنم وما الى ذلك مما سرد فى أبياته ، كموقف خديجة ــ رضى الله عنها ــ منه عليه الصلاة والسلام ، ومتاجرته فى مالها وتزوجه بها وما الى ذلك مما ورد فى أبياته ·

٧ ــ ومما يلحق بذلك حديثه (فى الابيات من ٣٢ــ٣٧) عن بدء الرسالة ، وأن الوحى مانزل عليه الا بعد فترة كان فيها يخلو لنفسه ويتأمل واقع أمته ، حتى اطمأن الى أن ماهم عليه ليس بطريق

الخلاص ، لكنه حين فاجأه جبريل ـ عليه السلام ـ ذعر ، فجـــاء الى خديجة ـ رضى الله عنها ـ وقد ملكه الرعب ينادى (دثرونى دثرونى) لكنها طمأنته بأن الله لن يخزيه أبدا ، لانه صاحب الاخلاق والصفات الحميدة فى قومه ، وزادت فى تهدئة روعه أن ذهبت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى طمأنه أيضا بأن أخبره بأن ذلك هو الناموس الذى ينزل على الانبياء والرسل ، حتى اذا ما اطمأن نزل عليه الوحى مـن جديد بالأمر بانذار عشيرته الأقربين •

وهكذا يسير ابن بليهد فى سرد لبعض من أحداث سيرة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وموقف قريش منه ومن أصحابه ، فهجرته وصاحبه أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ على نحو أشرنا اليه فى صـدر هـــذه الموازنـــــة •

٨ ـ وختم هذه القصيدة باشارة الى بدء الجهاد بالسيف ، الى جانب الكلمة وانتشار الاسلام بعد الهجرة ، فى موجات من الانتصـــارات المتتابعة مدت أفياءها الوارفة على الكثير من أنحاء المعمورة فوالـــى أصحابه والتابعون لهم دفع تلك الانتصارات ، حتى ظللت المعمـورة الا قليـــــلا •

وهذه أمور كلهالم يتطرق اليها الشبل ، على الرغم مما توحى به من عظمات ، وما تمدنا به من دروس خالدات •

٩ ـ ثم انك تجد النفس ترتاح لقصيدة ابن بليهد ، وتنساب خلف الصور والأخيلة والكلمات الهادئة المطمئنة ، تترشف منها رحيـــــق الايمان ، وتتروح فى أفيائها الجلال والجمال ، ثم تتلمس أبعـــاد الأحداث فى صور من البيان باهرة النسج رائعة التأليف •

ولو أخذنا فى الحسبان مقدمة القصيدة ـ وهى «١٣ بيتـــا» ـ والخاتمة ـ وهى ٣ أبيات ـ لرأينا البلاغة والابداع فى التعبير فى أجلى صوره ، لكنا قصرنا الموازنة على ما كان منها فى الغرضـــــ المشـــــترك بينهمـــا •

أما قصيدة الشبل فهى على ما فيها من جمال فى الصيغة ، تحس أن الكلمات فيها تعتسف اعتسافا ، وتكره على مكانها ، عد الى المطلع والبيت الذى بعده واقرأهما ، ثم انظر هل فيهما ما يحرك وجدانك ويهتاج عواطفك ومشاعرك على الرغم من احتوائها على صور من البيان (كربيع المنى) و (شع فى مهجتى) ونحو ذلك ، ثم انظر الى قوله : (من حنين الى الهدى) والحنين انما يكون لبعيد والهدى والرشاد من المسلم قريب اذا أراد ووفقه الله ، اللهم الا أن تكون نزعة صوفية أراد (بالهدى) فيها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا مالا أعرفه فى مثل بيئة الشاعر ، ثم انظر الى ذلك الغرام «فى البيت ٤ » الذى يكره على المقام على كوثر منابع الوحى .

١٠ ـ ومما يؤاخذ به ابن بليهد اقتباسه بيت شوقى :

هناك أذن للرحمن فامتلات
أسماع مكة من قدسية النغم

وهو أحد أبيات نهج البردة لم يغير فيه ، سوى المكان .

ومنه أقتباسه قول قريط بن أنيف :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافات ووحدانا

فانه لم يغير فيه سوى الكلمتين الأخيرتين اللتين أبد لهما «فى البيت ١١ » (بعلى علاكة اللجم) .

ثم ان فى الكثير من أبياته وأخص تلك التى عرض فيها سيرة النبى ـ صلى الله غليه وسلم ـ ما يشبه السرد التاريخى الأمر الذى يلحق بتلك الأبيات بما نسميه الشعر التعليمى ، أو النظم التاريخى ولا يغفر له ذلك وقوع بعض المادحين فى مثله .

ثم انه اعاد فى البيت ١٦ ما أورد فى شطر قبله ، على نحو لم يأت بجديد ولم يدع اليه داع .

(الموازنة الثامنة)

ـ بين ابن بليهد وصديقه على امام عطيه ـ

فى شعر ابن بليهد الذى لم ينشر ، عثرت على مقطوعتين همـا من قبيل النقائض :

أولاهما : لأحد أصدقاء ابن بليهد فى مصر ، وهو على امـــام عطية (١) ٠

والثانية : لابن بليهد ردا على صديقه ٠
وحكاية هاتين النقيضتين رواها ابن بليهد نفسه فى نبـــذة قبلهما حيث قال :

---

(١) لم يذكر ابن بليهد اسم صديقه هذافيما عثرت عليه ، ولقد اجتهدت فى تلمس اسماء أصدقائه بمصر ، فذكر لىابن أخيه سعود بن عبد الرحمن أن فيهـم شاعرا لم يذكره ، الا أن فى أسمهكلمة امام ، وروى لى من أبياته ثلاثة فـى هجاء أحد علماء مصر وهى :

الى الله أشكو لحية وعمامـــة	ظلمـت بهن الخلق يا شيخ حامـد
فاحداهما طالت لما ليس ينبغـــى	وأخراهما لفت لما ليس يحمـــد
أفى كل عام حجة وفضيحـــة	تروح وتغدو لا لفضل تمجـــد

فاجتهدت فى البحث ، حتى وصلتالى أنه الشاعر على امام عطية مــن (١٣٢١ هـ ـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٠٣م ـ ١٩٦٤ م) درس بمدرسة العقاديـن ، التى فصل منها عام (١٣٣٨ هـ ـ١٩١٩م) بسبب نشاطه الثورى فالتحـــق بالمدارس الليلية وظل يواصــــلدراسته ، حتى حصل على شهادة المعلميـــن العليا ، بدأت صلته بالصحافة وهوفى الحادية والعشرين من عمره ، واتسـع ميدان عمله فيها حتى أسهم بكتاباتهفى خمس عشرة صحيفة ومجلة ، وتقلـب فى وظائف كثيرة بالدولة ، كـــانآخرها مفتش عام بوزارة التربية والتعليم ، وندب لتصنيف وفهرسة كثير مــنالمكتبات فى العالم العربى ، وكان أمينا لدار الكتب قبل نقله الى وزارة التربيةوالتعليم ، وكان شاعرا فكها ٠

من مؤلفاته ومترجماته : ترجمةالتصنيف العشرى (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م)، وكتاب الطهى الحديث وكتـــاب(الصهيونية العالمية «ارض الميعاد ») ٠
وبلغنى من أمرآته انه كان ينوىكتابة كتاب عن الرياض والديار المقدســة ومناسك الحج ٠

(قال لى صديق عزيز : ما رأيك فى أن يجرب كل واحد منا سيفه فى الاخر ، يعنى : أن نتهاجى ، قلت له : أنا لا أحب المهاترات الشخصية ولو كانت مزاجا ، فقد يجر المزاح أنجس العداء ، فقال لى : نجعله عاما تهجو قومى وأهجو قومك ، قلت له : شريطة أن تبدأ أنت عسى أن تستثير شيطان شعرى ، فهو فى هذه الناحية كثير الخمول ، وكان قصدى أن يبدأ بالسوء أولا) (١) .

(نص المقطوعتين)

مقطوعة على امام عطيه :

١ ــ فى طبعك الغلظة الحمقاء والصلف
وفيك مالا تبين الخاء والالف

٢ ــ غذاك قومك من أهل الحجاز بها
من كل أهوج فى أخلاقه جلف

٣ ــ قوم طعامهمو لحم الجمال وخذ
غير اليرابيع والأضباب ما ألفوا

٤ ــ فى أرضكم رقصت حمالة الحطب
أرض بقر الشتاء والصيف تلتحف

٥ ــ وقد نمتهم الى الكذاب جدتهم
سجاح فاسمع ألا يكفيك ما أصف؟

٦ ــ ياراعى الشاء يزجيها ويدفعها
الى المراعى وفى أعطانها يقف

٧ ــ كفى ، فما الفخر الا فى مآثرنا
يكفى أبو الهول والاهرام والتحف

---

(١) أوراق مخطوطة .

مقطوعة ابن بليهد :

١ ـ من لؤم أخلاقكم ياصاحبى تكف
وفيكم فقد الاخلاص والشـــرف

٢ ـ ولست ياصاحبى أهوى مهاترة
لكن دعوت الى ما منه تغتـــــرف

٣ ـ بضاعة انتمو أهل لها • ولنا
عنها عزوف وللاخلاق مانصـــف

٤ ـ عيرت بالضب واليربوع أنهما
لاكالفسيخ فهل سدت لكـــم أنف

٥ ـ حلو الطعام لديكم مابه نتـــن
مثل الفسيخ ومش الجبن والقرف

٦ ـ لولا الحيا قلت مايزرى بجدكم
لكن لسانى عن الفحشاء منصرف

٧ ـ ان فاخر الناس بالاباء فخركـــم
بانكم للعبيد الاشـــــقيا خلف

٨ ـ نحن الالى بعث الهادى بساحتنا
وفيكمو ولكم فرعون يعتســـف

٩ ـ يابن الحرافيش أى الناس قومكم
بأى فضل يباهى فيكم الســـلف

١٠ ـ عبد ونخاسه أو صانع خزف
أو صانع بوظة يشقى بها الخزف

لمحة عن المناقضة :

النقائض جمع نقيضة ، مأخوذة فى الأصل من نقض البنــــاء اذا هدمه ، والحبل اذا حله ، وضده الابرام يكون للبناء والحبل والعهد ،

وناقضه فى الشىء مناقضة ونقاضا : خالفه ، والمناقضة فى القول : أن يتكلم بما يناقض معناه ..

والمناقضه فى الشعر أن ينقض الشاعر الاخر ماقاله الاول ، حتى يجىء بغير ماقال ، والاسم النقيضة ويجمع على نقائض ، ولذلك قالوا نقائض جرير والفرزدق .

وهى حسب الاصطلاح الأدبى : أن يتجه شاعر الى اخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا ، ليعمد الاخر الى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا أو نحو ذلك ، ملتزما البحر والقافية ، والروى الذى أختاره الاول .

معنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع ، فخرا ، أو هجاء ، أو سياسة أو رثاء ،أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة ، اذ كان الموضوع هو مجال المناقضة ومادتها .

ولابد من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقى الذى يجمع بين النقيضتين ، ويجذب اليه الشاعر الثانى بعد أن يختاره الاول ، ولابد فى الجملة من وحدة الروى وحركته ؛

ولم يخرج عن هذا النظام فى النقائض بين جرير والفرزدق ، غير قصيدتين احداهما للفرزدق والاخرى لجرير اختلفت فيها حركة الروى فقط (١) .

والاصل فى المعانى المقابلة والاختلاف لان الشاعر الثانى همه أن يفسد على الاول معانيه فيردها عليه ان كانت هجاء ، ويزيد عليها

---

(١) مطلع الفرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

مطلع جرير :

لمن الديار كأنها لم تحلل ... بين الكناسى وبين طلح الأعزل

النقائض بين جرير والفرزدق ص١٨٢ ، ٢١١ طبع فى مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٩٠٧ م .

مما يعرفه أو يخترعه ، وان كانت فخرا كذبه فيها أو فسرها لصالحه هو أو وضع بازائها مفاخر لنفسه وقومه .

والنقائض فن شعري أصيل عند العرب تمتد جـذوره الى أيام الجاهلية حيث عدوا من ذلك ما جرى بين امرىء القيس وعلقمة الفحل حين تحاكما الى أم جندب زوجة امرىء القيس .

كما عدوا من ذلك ما كان بين سلمة بن الحارث وأبى حنش لما قتل أبو حنش ، شرحبيل أخا سلمة يوم الكلاب الأول .

ثم تطورت النقائض وأتسع ميدانها وسما هدفها في صدر الاسلام حين أشتد الصراع بين المسلمين والمشركين وكان الشعر من أسلحـة الفريقين فى ذلك .

على أن النقائض لم تبلغ أوجها ولم يستحكم أمرها ولم تأخـذ شكلها الفنى الكامل الا فى أيام بنى أميه اذ كانت فيما قبل ذلك تقوم على أساس من نقض المعانى ، ولم يتجه أرباب النقائض فيما قبل ذلك الى الشكل الفنى .

من هنا نجد ان قوافي النقائض فى الجاهلية تختلف كما يختلف حرف الروى والبحر أحياناً ، فلما جاء عهد بنى أمية التزموا فيمـا التزموا ذلك كله .

وكان من أسباب شيوعها واستشراء امرها فى أيام بنى أميـة أشتداد الصراع بين الاحزاب المختلفة التى يصدر بعضـها عن منزع عقائدى كالهاشميين والخوارج وبعضها فى منزع قبلى كاليمنيـة والمصرية ، وأشهر ما أثر من النقائض ماكان بين جرير والفـرزدق والاخطل الذين سموا بها اخر الامر الى أن جعلوها مدرسة فنية (١) .

ولئن كانت نار النقائض قد خبت وتقلص ظلها لاسـباب ليس هذا مجال الحديث عنها وصارت لا ترى الا فى صور متقطعة كالذى كان

---

(١) أنظر فيما مر من النقائض(تاريخ النقائض فى الشعر العربى) لاحمد الشايب ط مكتبه النهضة سنة ١٩٦٦ م .

بين العرب والشعوبيين ، الا أنا نجد أنها ظلت حية حتى عصرنا هذا • وفى كتب ابن سحمان وأمثاله صور حية لذلك •

ومن بديع نقائض هذا العصر ماكان بين أمير الشعراء احمد شوقى وولى الدين يكن فقد رثى شوقى الخليفة العثمانى عبد الحميد بقصيدة جيدة ان دلت على شيء فانما تدل على وفاء أمير الشعراء ،فرد عليه ولى الدين يكن بقصيدة حانقه على الخلافه الاسلامية هازئة بشوقى ، ساخرة بمن أثنى عليه شوقى ورثاه (١) •

نقيضتا ابن بليهد وعلى امام :

ومنهج ابن بليهد وصاحبه فى هاتين المقطوعتين ـ كما فسره ابن بليهد فى الكلمة التى أسلفنا ـ هو ما آلت اليه النقائض بين جرير والفرزدق ـ من اتخاذهما ذلك فنا أدبيا تتجلى فيه المقدرة الفنية ، والتنافس فى ميدان المعانى والالفاظ والاساليب •

١ ـ فعلى امام ، افتتح مقطوعته البالغة سبعة أبيات ، بوصف ابن بليهد : بالغلظة ، والحمق ، والصلف ، وأن فيه من الاخلاق مايأنف الانسان منه ، حتى يقول عند ملاحظة شيء منها متأففا : (اخ) وهى فيما أعرف تعبير عامى ، يدل به على الاستكراه والاستقباح ، وأن تلك الصفات انما نمت فى ابن بليهد من قومه بالحجاز ، والمصريون يطلقون الحجاز ويعنون الاراضى السعودية ••

وبهذا بدأ فى هجاء قوم ابن بليهد فوصفهم بالهوج والجلافة ، وعيرهم بأكل لحم الجمل والضب واليربوع ، وأنهم لم يألفوا سوى هذه الأطعمة (٢) •

---

(١) مطلع شوقى :

سل « يلدزا » ذات القصور ... هل جاءها نبأ البدور

مطلع ولى الدين يكن :

هاجتك خالية القصور ... وشجتك آفله البدور

(٢) أما لحم الجمال فمأكول هنا وهناك وأما أنهم لم يألفوا غير هذا فهى مبالغات الشعراء •

ثم عاد الى الأصول الأولى ، فعيره بحمالة الحطب زوجة أبى لهب وبمسيلمة الكذاب ، وسجاح كما عيره ببيئة بلاده ، وأنها قارية حارة فى الصيف باردة فى الشتـــــاء (١) .

ثم عيّره بأنه ما هو الا راعى غنم ، يمشى وراءها فى مراعيهـــــا ويقف بينها فى أعطانها ، وأنه ليس فى فعله ولا فى سير اسلافه مــا يفخر به ، وانما الفخر كل الفخر للمصريين ، ولو لم يكن من مفاخرهم الا ما يشير اليه وهو أبو الهول والاهرامات والتحف،التى فى المتاحف من تاريخ عريق مجيد للمصريين لكفى ، أو ليست تلك شواهد الحضارة والمدنية والقوة والتقدم العلمـــــى ؟

٢) أما ابن بليهد ، فقد بدأ مقطوعته بتوجيه الطعن فى على امــام وقومه معا وأنه يتصبب لؤما وذلك ما أخذه من قومه ، الذين فقـــــد فيهم الأخلاص والشرف ، ثم قال له انه يدخل هذا الميدان لارغبة فيه ولكن تلبية لدعوة صاحبه ، الذى الف هذا المجال الذى هو بضاعتـــــه وقومه ، بينما لابن بليهد وقومه عزوف عنها .

ثم عمد الى رد تعيير صاحبه له ولقومه ، بأكل الضب واليربوع ، بالقول بأنها أفضل من السمك المجفف ، ذى الرائحة المنتنة (الفسيخ) وتعجب من قبول المصريين أكله بقوله (هل سدت لكم أنف) ، وأكــل المش (الجبن المخزن) دون ان يصيبهم «القرف» والقرف كلمة يطلقها العامة فى مصر على حالة نفسية عضوية ، شبيهة بما يصاب به المــرء عند الغثيـــــان .

ويتعلل ابن بليهد بالحياء من أن يقول ما يزرى بقوم صاحبه ، فان لسانه يترفع عن الفحشـــــاء .

---

(١) تلك طبيعة الكثير من تلك البلادلا جميعها .

ويعود الى الأصول كما صنع صاحبه ، فيقول انه لامجال للمصريين أن يفخروا بالاحساب والأنساب ، ولو عقل صاحبه ما هجا أهـــــل الجزيرة بالانساب ، وفيهم بعث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ٠٠

أما المصريون فليسوا الا أبناء الفراعنة وقومه الذين كان فرعون يتعسف فى معاملتهم ، وما هم الا أسلاف الحرافيش ـ أى الخـــدم ـ والعبيد والنخاسين ، وصانعى الخمرة الرديئة وأوانيها الخزفية ٠

٣) فأنت ترى أن الشاعرين قد التقيا على المعانى ، ولم ينفرد أحد منهما بشيء سوى طبيعة البلاد ، التى عير بها على امام ابن بليهـــد فى البيت الرابع ، فلو عرف ابن بليهد جو بعض البلاد فى الصعيد ، أو عاش معنا صيف (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) وشتـــاء (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م) فى القاهرة لرد عليه قوله ، ومن جهة ابن بليهد انفــــرد بالاعتذار عن طرق هذا المجال ، وعزوفه وقومه عن الاسفاف فـــى الكلام ، وذلك فى البيتين الثانى والثالث من مقطوعته ٠

أما ما عدا ذلك فقد التقيا فيه على النحو الاتى :

أ ـ فكلاهما عمد الى الصاق الأخلاق الدنيئة بصاحبه وقومه ٠

فعلى امام فى بيتيه الأول والثانى ، وصف ابن بليهد بالغلظـــة والحمق ، وبالأخلاق التى يتأفف منها الانسان ، كما وصف قومـــه بالهوج والجلافـــــة ٠

أما ابن بليهد ، فانه فى مطلع مقطوعته وصف على امام وقومـه باللؤم فى الأخلاق ، وبفقدان الاخلاص والشرف ، وبالميل الـــــى اصطناع المهاترة والمشاتمـــة ٠

ب ـ وكلاهما عير صاحبه بما يراه مستكرها من صنوف الطعام ٠

فعلى امام عير ابن بليهد وقومه ، بأكل لحم الجمال والضب واليربوع فى البيت الثالث •

وابن بليهد عير على أمام وقومه فى البتين الرابع والخامس ـ بأكل الفسيخ والجبن المش ، وفضل على ذلك لحم الضب واليربوع •

ج ـ وكلاهما فخر بأصله وطعن فى أصل صاحبه •

فعلى امام يفخر بأنه من سلالة بناة الاهرام ، وأبى الهول ، وأرباب التحف ، وصانعى الحضارة في البيت الرابع ، ويطعن فى نسب ابن بليهد بأنه من سلالة : مسيلمة الكذاب ، وسجاح ، وحمالة الحطب زوجة أبى لهب فى البيتين الرابع والخامس •

وابن بليهد يفخر فى الشطر الأول من البيت الثامن ، بأنه من قوم بعث فيهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ •

ثم يطعن فى نسب صاحبه فى الأبيات السابع والثامن والتاسع ، بأنه من سلالة المماليك والفراعنة والحرافيش •

د ـ أما المهنة فقد عير كل منهما صاحبه بها :

فعلى امام فى البيت السادس يعير ابن بليهد بأنه من رعاة الغنم الذين لم يعرفوا سوى السير خلفها فى المراعى ، والوقوف معها فى الأعطان •

وابن بليهد فى البيت العاشر ، يعير صاحبه بالعبودية والنخاسة ، وصناعة الخمر الرديئة وأوانيها الخزفية •

٤) فأنت ترى أن المقطوعتين تجريان فى حلبة واحدة ، لا فرق فى ذلك بين اللفظ والأسلوب والصورة •

خذ مثلا هاتين الصورتين : أولاهما : لعلى امام فى قوله : (غذاك قومك من أهل الحجاز بها ••••••) حيث استعار الغذاء الردىء

لردىء الاخلاق وجعل قوم ابن بليهد يغذونه بردىء الأخلاق ، كمـــا يغذى الانسان بالطعـــام ٠

ثم خذ استعاره ابن بليهد فى قوله : (من لؤم أخلاقكم يا صاحبى تكف ٠٠) حيث استعار تصبب السقف الردىء الذى تكاثر عليه المطر لتكاثر ساقط الأخلاق فى صاحبه وقومه ، حتى لكأنما هى تتصبب من جسمـــــه ٠

وقد دفع تقارب المقطوعتين : فى اللفظ ، والأسلوب ، والصـــور أستاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود ، فى أحد مجالسى اليه الـــى القول بأنه يرجح بحاسته النقدية ، أن المقطوعتين كلتيهما لابن بليهد ولو كان الأمر غير ذلك ما سكت على امام مع قدرته ، كما توحى بذلك أبيـــاتـــه ٠

وقد يؤنسنا فى رد هذا الاحتمال ، ما نجده فى البيت السابع عند ابن بليهد من ضرورة ، حيث حذف همزة (الاشقياء) وذلك ما ألفناه فى شعره ، بينما لم نجد شيئا من ذلك فى مقطوعة على امام ، ثم انــه لا دليل على هذا أو ذاك سوى مامر ، والأصوليون من قواعدهم الثابتة :أن الأصل فى الشىء بقاؤه على أصله ما لم يرد دليل بخلاف الأصل ٠

وفى تلمسى لأخبار على امام وآثاره ، ذكر لى بعض زملائـــه ـ بدار الكتب ـ أنه لم ينشر شيئا من شعره ، ولم يكن يحتفظ بشىء من أصوله ، وانما كان يدلى به فى المناسبات الاخوانية ، على صـــورة فكاهة أو نادرة ، قد يحفظها الجالسون وقد تضيع فى مجلسها ، وعند سؤالى لأسرته اكدوا لى ذلك ، وأضافوا أن كثيرا من أوراقـــــه ومخطوطاته عبثت بها أيد غير مكترثة ـ فى الأسرة ـ وباعوا ذلـك وأشباهه للباعة المتجوليـــن ٠

كلمة لابد منهـــا :

ليعلم القارىء أن ابن بليهد فى هجائه هذا انما يصطنع غير مـــا يعتقد ، فلقد أثنى على المصريين ، وأشاد بصداقتهم ، وان محبتهـــم خطت على قلبه مثل الخط بالقلم (١)، كما أن أحاديثه المنظومـــــة والمنثورة عن مصر تدل على اعجابه بها وبأهلها فهذا انما كان حديث مزاح بين صديقين ، كما أوضحت ذلك المقدمة النثرية ٠

وظنى أن ما يقال فى هجاء ابن بليهد ، يقال فى هجاء صاحبـــه وبخاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار صلات على امام بعلماء الجزيرة (٢) وذلك ما أكدته لى زوجته مستشهدة بكلمات الثناء ، التى تضمنتهـــا عبارات بعضهم على مؤلفاتهم التى أهدوها لزوجها فى زياراتـــــه المتكررة للحجـــاز ٠

ويدعى ابن بليهد فى أبياته وفى مقدمته النثرية ، أنه ليس ميـــالا الى الهجاء ٠ والناظر فى شعره السياسى ، يرى كثيرا من الهجاء لاعداء الملك عبد العزيز ، على أنه يصف الهجاء الذى ينفر منه بالمهاتـــرات الشخصية ، فكأنه يريد أن يقول : ان هجاء اعداء الملك ان هو الاهجاء للجماعة ، التى ينتمون اليها أو تنتمى اليهم ، أو هو هجاء للمبادىء والأفكار التى منها منطلقهم ، ولو كان صادقا فى ذلك ما أورد أسماء بعض الأشخاص هناك مثل : حامد بن رفادة وأمثاله (٣) ٠

---

(١) انظر الموازنة بين ابن بليهـــــدوالشبل فى ذكرى «المولد النبوى » ٠
(١) مثل الشيخ محمد نصيف ، والشيخمحمد سعيد دفتر دار ، والشيخ علوى المالكى والشيخ جعفر الفقيه ، وعباســـكراره ، والشيخ ابو السمح ٠
(٢) انظر ابتسامات الأيام ص ١١٥ ٠

الفصل الثاني

« تحليل بعض النصوص الشعرية »

فى هذا الفصل سنعرض جملة من قصائد ابن بليهد ، تمثل جميع أطوار شعره تمثيلا كاملا مما نظمه بين عامى (١٣٣٩ هـ ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٢٠ م ـ ١٩٥٣ م) وانما دفعنا لذلك أمران :

أحدهما : أن من يريد استخلاص خصائص شعر شاعر ، لابد له من أن يعرض جملة من نصوص شعره ، كمادة تمكن من استخلاص الخصائص ٠

والآخر : أن شعر ابن بليهدلم يكن على وتيرة واحدةمن حيث الجودة والقوة ، او الضعف والرداءة ، بل كان يقوى كلما تقدمت به السن وازدادت خبرته وثقافته واطلاعه ٠

لذا حرصت على أن تمثل هذه القصائد المختارة للتحليل جميع أدوار شعره ، وسترى أن كل قصيدة منها أقوى عموما من سابقتها ٠

وهذا يدلنا على أن الرجل كان ذا ملكه قوية ، كنا نتمنى أن يتاح لها منذ الصغر المرانة والتثقيف ، اذن لكان لها شأن عظيم فى الشعر ٠

وحرصت كذلك على أن تمثل النصوص ـ التى اختارها ـ جميع الأغراض والموضوعات التى طرقها ففيها الرثاء كالأولى ، والمدح كالثالثة والخامسة ، وما هو وثيق الصلة بأحداث مرت بالشاعر وكانت

قوية اتصال بشئونه الخاصة ، وان جاءت تحت عنوان (المدح) من ذلك القصيدتان الثانية والرابعة ، ومنها ما هو شكر وثناء ، فهو أقرب الى الاخوانيات وهى القصيدة السادسة ، ومنه ما يصور نظرته تجاه مصر وآثارها وعاداتها وتقاليدها ومن ذلك القصيدة السابعة ·

أما العزل فقد اكتفينا فيه بالقصائد التى اوردناها فى الموازنات اذ لم نجد له فى شعره الفصيح سواها ·

(القصيدة الأولى) (١)

● رثاء الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ● (٢)

١ ــ سبحان من جعل الدنيا لأهليها
شهدا وقدرته فى الخلق يمضيــها
ان البرية فى تدبير واليهـــــا
اذا تكاملت الاجال يفنيهـــــــا
تخفى المصيبة والألحاظ تبديها

٢ ــ شمس الهدى أظلمت شأما وأيمانا
بعد الذى قد حباه الله عرفانــا
لما خلا الربع أياما وأحيانـــــا
تذرى العيون من العبرات هتانــا
مثل الجداول سحا من مآقيهـــــا

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٤٧ ·

(٢) الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن‌عبد الرحمن آل الشيخ من (١٢٦٥ ــ ١٣٣٩ ــ ١٨٤٨ ــ ١٩٢٠ م) ولد بالاحساءابان اقامة ابيه بها ، وبعد رحيل أبيه الــى الرياض أبقاه لدى أخواله حتـــى‌بلغ الرابعة عشرة حيث استدعاه الى الرياض فاقام بها حتى توفى ــ رحمه الله ــ، وقد قطعت هذه الاقامة رحلات الى الحجاز والافلاج وحائل وغيرها من بـــلادالجزيرة ·
كان أمام عصره وكبير علمائه ،وقدتتلمذ عليه كثيرون من مشاهير علمــــاء الجزيرة ، وله آثار جليلة أهمهـــارسائله التى تضمنتها « الدرر السنيـــة فى الأجوبة النجدية» ·
رثاه كل من له سبب بنظم الشعرمنهم ابن عثيمين وابن سحمان ·

٣ ـ اين الذى فتحت دعواته بابـــا
خيرا ومد الى الخيرات أسبابـــا
بدر سما ثم فى بطن الثرى غابا
وأزعج الحزن أبصارا وألبابـــا
كادت تميد من الغبرا رواسيها

٤ ـ دع البكاء فما بالأمس أبكانـــا
خطب يثير على المحزون أشجانـــا
موت الذى شاد فى الاسلام أركانا
تبقى مصيبته من بعد مابانـــا
ياخادم السنة الغـــرا ومحييهـــا

٥ ـ أين الكريم الذى للخير فعـــال
وفى المحافل للمعروف مقـــوال
عسى له منهم فى الفهم أمثـــال
ما دام للعيش فى الآفاق ارقـــال
اذا حداها قبيل الفجر حاديهـــا

٦ ـ شمس الهدى عمه بالفضل مولائى
وهو المعلم فى التوحيد والرائـــى
بما توضح بين الالف واليائـــى
ففى القريب بحمد الله والنائـــى
يبدى علوما رفيعات وتنبيهـــــا

٧ ـ حبر تفرع فى أعلى الهدى رتبـــا
وفى النباهة فاق العجم والعربـا
بالخير يعرف ما أملى وما كتبـــا
لعل خالقه يعطيه ما طلبـــــا
عفوا وجنة خلد خالدا فيهـــا

٨ ـ يا جدثا حل فيه الزهد والكـرم
آمين تلقى به اللذات والنعــم
لعل جانب قبر حله علـــم
يهمى عليه بهطال الرضا ديـــم
ما راح مزن وما رنت غواديهـــا

٩ ـ فلا يشاركه فى عصره أحـــد
يمده بالهدى من ربه مـــدد
له توضحت الآيات والسنـــد
ووطد العلم فيمن ضمه البلـــد
حتى أجاد بفعل الخير باديهـــا

١٠ ـ أضحى له فى بنى الاسلام آثـــار
فى ذهنه من غفير العلم تيـــار
وبالدليل له أمر وانكـــار
لعل من لعظيم الذنب غفـــار
يؤويه فى جنة تبقى لأهليهـــا

١١ ـ بالأمس ثار غرام المسلمين بـــه
أهل لما قيل عند القائلين بـــه
خيرا وعلم سفوح ما يضن بـــه
نال الثنى والنهى والفضل ليس به
الا خصال حميدات مناهيهـــا

١٢ ـ عبد الاله مضيئات رسائلـــــه

في الدين لا يسأم التذكار سائلـه

تسمو الى الرتبة العليا محافلــــه

ولا يضن بما نالت أناملـــــــــه

اذا نأى بضريب الخور راعيهـــــا

١٣ ـ تتلى رسائله في الناس اعلانـــا

ما قال في قوله زورا و بهتانــــا

حقا يبينه للناس تبيانـــــــــا

ومتقن كلما يرويه اتقانــــــا

الى الذى عن رسول الله راويها

١٤ ـ فاذهب حميدا أبا عبد المليك فما

يغنى الكلام لنا أن نخرج الكلما

بالمجد تتعب من يقرأ ومن نظمـــا

نلت الثناء والتقى والمجد والكرما

قرت بذا الناس دانيها وقاصيهـــا

١٥ ـ فكل دار بها اللذات تنتقـــــل

المستريح بها قد غره الأمـــــل

لا ينفع المرء الا ما حوى العمـــل

لابد من ساعة يأتى بهاالأجـــــل

تبقى سنين مقيمات لياليهـــــا

١٦ ـ دنيا تدوم بها الأطواد والقلل

يا عين ذوقى بها ما ذاقــت الاول

لكل قرن جديد يضرب المثـــــل

بالأولين وما قالوا وما عملـــوا

لم يحتمل للجنايا غير جانيهـــا

١٧ ـ انا نقول اذا من بعد ما انتقلا
لو يقبل الموت منا غيره بـــدلا
العفس والمال والأنعام والاهـــلا
والباسقات من الأتلاد والطلـــلا
طرا ومن سلك الصحرا ومن فيهـــا

١٨ ـ عسى الذى سمك الخضراء مولانا
يبقى لآخرهم عضدا وأعوانـــا
يجزون من فعل الاحسان احسانا
ندعو لهم بالبقا سرا واعلانـــا
اذا رأينا لأهل الشك تشبيهـــا

١٩ ـ عند التشاجر أتقاها وأسهلهـــا
حبر له فى جليلات العلوم لهـــا
حتى أقرت له عند الخطاب لهـــا
آباؤه جدد التوحيـــد أولهـــا
والله ثبت فى الاسلام تاليهـــا

٢٠ ـ لعل حكامهم فى الناس حكام
ما زال فى الأرض أطواد وآكـام
ما دام فى الدهر أيام وأعـــوام
تبقى ودنياهم أمـــن واسـلام
ولو تغيرت الدنيا بأهليهـــا

٢١ ـ ثم الصلاة على من فى الورى قامـــا
أبان للناس توحيدا وأحكامـــا
ثم السلام عليه كلما دامـــا
عام يجر على الاعجاز أعوامـــا
سبحان من بسط الدنيا لأهليهـــا

الجو العام للقصيدة :

فى عام (١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م) توفى الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، كبير العلماء فى عصره .

ومنزلة العالم فى نفوس المسلمين معروفة ، لا سيما اذا كان من العالمين العابدين العاملين ، ولقد كان الشيخ عبدالله من أولئك ، وعندما توفى شعر الناس هنالك بجسامة الخطب ، فليس بعجيب اذن أن يبادر الشعراء الى التعبير عن مشاعرهم بدموع قلوبهم ـ المراثى حتى أن صاحبنا نظم فى رثاء الشيخ عبدالله قصيدتين هذه ثانيتهما :

وكانت هذه القصيدة موضع عناية من أهل تلك الأيام ، حتى أنها جمعت مع بعض القصائد المختارة وطبعت فى مطبعة أم القرى فى مكة المكرمة ، وبلغ من اعجابهم بهذه المجموعة أن كانوا يضمونها عند التجليد الى أعز الكتب الأدبية لديهم أو أنفسها وجودا .

● عرض وتحليل ●

تتكون هذه المخمسة من «٢١» مقطعا ، قد ترتبط لفظيا بعضها ببعض ، قد لا يوجد هذا الارتباط لكن الغرض العام يجمعها ، وفيما يلى عرض لها مقطعا مقطعاً مع شيء من التحليل ، وأقول : شيئا من التحليل ، لطولها وتكرر المعانى فيها فى الغالب .

١ ـ بدأت القصيدة بهذا المطلع الذى سبح فيه الله ، الذى جعل الدنيا حلوة تغرى أهلها بالتشبث بها ، على أن الأمور جميعا خاضعة لارادة الله وقدرته وتدبيره (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (١) ويختمه ببيان ان المصيبة وان أخفاها التجلد ، فان العيون تنم عنها .

---

(١) سورة النحل آية ٦١ .

٢ ـ ويعبر عن فقد الفقيد بأن شمس العلم أظلمت بعد وفاته ، وانه لما خلا الربع منه بكته العيون بدموعها الثرارة التي تجرى كالجداول ، غير أن فيه ادعاء خلو الربع والزمان من أمثاله وهذه مبالغة يقع مثلها كثيرا فى المراثى .

٣ ـ ويمدح الفقيد بنسبته الى أبيه ، وظنى أنه يعنى جده الامام محمد بن عبد الوهاب على أنه ان كان يعنى أباه الأدنى عبد اللطيف المعروف بالأزهرى ـ فانه كذلك أهل لأن يمدح به لما له من منزلة علمية وأدبية ، ومن رياسة وسيادة ، فقد كان كبير العلماء من بعد أبيه ، ثم يعود الشاعر الى بكاء المرثى ، ويقول أنه كبدر السماء أشرق ثم غاب فأحدث غيابه رجة كادت تميد منها الجبال .

٤ ـ ويبكى الشاعر على محيى السنة مشيرا الى أن فقده ، كان خطبا جليلا تتجدد مصيبته بتجدد الأيام .

٥ ـ ويثنى على الفقيد ببعض الصفات ، فيصفه بالكرم فى فعله وقوله ، ثم يدعو بأن يبقى له فيهم أمثال مدى الأيام ، وكنى عن ذلك بدوام ارقال العيس ، التى يحدوها فى الفيافى حاديها ، أذ أنهما لاتصالها الوثيق بحياة الانسان اذ ذاك ، دليل استمرار الحركة والحياة وهذه صورة بدوية مثيلاتها فى شعره كثير .

لكن من هم هؤلاء الذين يدعو بأن يكون فيهم من مثله فى علمه وعمله ، أهم أولاده ، ام تلاميذه ، ام من ؟ ، لعله يقصد عارفى فضله فهو يطلب اليهم أن يجعلوه أمثولتهم وقدوتهم .

٦ ـ ويعود فيصفه بأنه شمس الهدى ، وان الله قد أسبغ عليه من أفضاله ، ما جعله علما فى قومه ، اماما لهم فى علمه وفضله ، ومعلما

أبان للدراسين مناهج الحق ومسالك الصواب ، فيما أحاط به من علوم وقد رمز لذلك بالالف والياء ٠

أما «الرائى» فى آخر البيت الأول من هذا المقطع ، فلعله يعنـــى بها المدرك بعين بصيرته ما خفى على بصائر الآخرين ٠

٧ ــ ويشير الى أن هذا الحبر قد سمت منزلته العلمية ، حتى فاق العرب والعجم وأن الخير فيما سطر من علم كتبه أو املاه ، ولذا فهـو يدعو له أن يعطيه الله ما يطلب منه وهو جنة الخلد ، كفاء ما قدم فى دنياه من علم ينتفع بـــه ٠

٨ ــ ويدعو الله بأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة ، كما وعد الصالحون ، يلقى بها من كرم الله كل ما يتمناه ، ثم يدعو لقبره بالسقيا وتلك عادة فى أساليب الرثاء عند العرب ، فهم لشدة حبهم للغيث لمـا يتوقف عليه من مصالح حياتهم ، يدعون به لديار الأحبة وقبور الموتى ومعلوم ما فى ذلك من أسلوب بيانى جميل ٠

٩ ــ وينفى وجود المثيل له فى عصره ، ويرجع ذلك الى الأسبـــاب التى تربطه بربه تلك الأسباب التى هيأت له فهم القرآن والسنة ، حتى ثبت أركان العلم بين الناس حتى البوادى التى جدت ــ بعد توجيهـــه وارشاده ــ فى سبيل الخير ، وهذه اشارة الى نشر التعليم ، ومـــد مظلته على سكان البادية ٠

١٠ ــ ويمدحه بأن آثارة العلمية ظاهرة على الناس ، وذلك لمـــا اشتهر به من وافر العلم والمعرفة المؤيدة بالدليل ، ثم يتجه بالدعاء الى الله الغافر للذنوب ليسكنه فسيح جناته ٠

١١ ــ ويتحدث عن فجيعة المسلمين فيه ، لكنه لا ينطلق فى هذا ، بل يلتفت الى مدحه بأنه أهل لما قيل فيه من ثناء عليه ، وبأنه جواد بعلمه

لا يضن به بالاضافة الى سائر خصاله الحميدة ، ولذا فانه أهل لما ناله من فضل وثناء عليـــه •

١٢ ـ وفى هذا المقطع يعيد ما قاله من ثناء عليه بالعلم ، لكنه يزيد فيه مدحه بالكرم حين تضيق ذات اليد ، لما يصيب البلاد من شدة وضيــق بسبب الجدب ، يدفع رعاة الابل الى الضن بلبنها •

١٣ ـ ويشيد برسائله ، وأنها منشورة الصفحات بين الناس ، يتلونها لما تضمنته من حق أبان سبله فيها ، بقول خال من الزور والبهتــان ، وأنه حافظ لما يروى : من أحاديث ، وأخبار ، ومسائل فى العلـــم وبخاصة المسند من الحديث •

١٤ ـ ويطلب له الحمد الأخروى كفاء ماقدم فى دنياه ، مما استحق عليه الثناء من الجميع ، فاذا كان قد ذهب حميدا فانه مهما قيل فيه من الكلام فانه غير مجد بعد فقده ، على أن الحديث عنه لو قصـــد الى اعطائه حقه ، لأرهق ذلك أرباب الأقلام من ناظمين وناثريــن ، وذلك لما عرف به المرثى من كرم أخلاق،وكرم يد عرفه به الناس وجميعا

١٥ر١٦ ـ ولما كان الموت من أسباب العظة ، ودواعى التأمل والتفكر فانه من الطبعى أن يكون للحكمة نصيبها فى كل مرثية ، بل أن الحكمة هى الغرض الوحيد ، الذى يقتحم ـ بدون استئذان ـ أى قصيدة فــى أى غرض ، وبخاصة عند العرب الأقدمين ، ومن نحا منحاهم مـــــن المتأخرين ، ولذا نجد ابن بليهد يسوق لنا جملة من الحكم والعظــات فى هذين المقطعيـــن •

فاللذات فى كل دار بهذه الحياة متغيرة ، ولذا فان من يركن اليهــا ويؤمل دوامها مغرور ، وليس ينفع المرء الا ما قدم من عمل صالـــح يبقى له فى أخراه ، فالأجل محتوم وانما الذى يبقى فى هذه الدنيا هى

الأيام والليالى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومثل الايـــام والليالى : الجبـــال ٠

لذا فان ماذاقه من فقد الفقيد ذاقه من قبله ، وبذلك يضرب المثل :

● يا عين ذوقى بها ما ذاقت الأول ●

١٧ ـ ويتمنى (بلو) الا يكون الموت لحق بالفقيد ليبقى فى دنياه ، كما يتمني لو قبل الموت بدلا من الفقيد ، وليس بالمهم أن يكون ذلك البديل : نفسا ، أو مالا ، أو أهلا ، او منازل ، او نخيلا ، وكأنه فـــى هذاالتفصيل يريد أن يقول : أن كل شيء فداء لهذا العالم لو قبل الفداء

١٨ ـ ويدعو لخلفه أن يجعل الله منهم عضدا للدين وأهله ، وأن يجعلهم أهلا لحمل رسالة الفقيد : ينافحون عن الدين كفعله ، ويردون بما يحققون شبه المشبهين ، ويدحضون شك الشاكين ٠

١٩ر٢٠ ـ ويثنى عليه بالتقى واللين عند التشاجر ، وذلك لحلمـــه ولما له من يد طولى فى العلم ، الذى به وبفضله وحلمه وعقله سلـم له المجادلون ، وليس هذا بالغريب ، فهو فرع دوحة نبتت فى العلـــم وكان على يد أئمتها تجديد ما اندرس من معالم الاسلام ، وبخاصـــة توحيد الله ، ذلك الذى ثبت الله فى فهمه ولهم وآخرهم ٠

ولذا فهو يدعو لهذه الدوحة المباركة بالتثبيت ، وأن يظل حكمهم وكلمتهم مسموعة مدى الدهر ، لا يتغير بتغير الحياة والناس ٠

٢١ ـ أما المقطع الحادى والعشرون وهو الأخير ، فانه يختم بـــه القصيدة بالصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما هى عادته فى شعـــره الا القليـــل ٠

● نظرات وتعليـــق ●

١ ـ تمثل هذه القصيدة فى أسلوبها ولغتها ، ذوق أهل زمانها وما يؤثرونه ، فى طريقة النظم من ألفاظ وأساليب ، ثم ان مظاهر الصنعة والتكلف بادية فيها على أكثر من صورة منها :

أ) هذا التخميس فى قافية القصيدة ، حيث يأتى ببيتين تختلف قافية كل مقطع منها عن قافية بقية المقاطع ، الا أنه يختم بشطر خامس ، ملتزم فيه طوال القصيدة : قافية واحدة ، ورويا واحدا ، وذلك وجـه من وجوه الصنعة فى مطلع عصر النهضة وما سبقه •

ب) ثم السهولة واليسر فى الألفاظ والأساليب الى حد الابتـذال ، وقد لا يعد ذلك مأخذا على أبناء ذلك العصر ، لضحالة ثقافتهم وميلهم الى اليسر والسهولة ، وقرب التناول ، فى جميع أسباب حياتهم •

٢ ـ وعلى الرغم من شيوع المحسنات البديعية فى عصر ابن بليهد ، نجد ميله اليها قليلا حتى فى تلك القصائد ، التى نظمها فى أول عهده بالشعر الفصيح كهذه القصيدة ، ونستطيع حصر ما أتاه من ذلك فـى هذه فى مثالين أو ثلاثة ، من ذلك قوله فى المقطع الأول «تخفى المصيبة والألحاظ تبديها» فان فى تخفى وتبدى طباقااقتضاهالمقام لفظا ومعنى فجاءت على نحو لا يغنى عنها سواها فيـــه •

ب) ومن ذلك ما ورد فى المقطع ١١ ، حيث جاءت كلمة (به) فى آخر كل شطر من الأشطر الأربعة وهو جناس تام كما ترى ، اختلف فيـــه المعنى واتفق اللفظ ، ومع وروده أربع مرات لا تشعر بثقل فيه ، ولا تلمس فيه أثر تكلف ولا اعتساف ، بل على العكس من ذلك أنك لـــو حاولت أن تضع بدل واحد منها غيره مكانه ، لم تستطع ذلك الا بتعمل وتمحـــــل •

جـ) ومن الجناس الناقص (بابا ، واسبابا) فى المقطع : ٣ ، ومنـــه (رسائل ، سائل) فى المقطع ١٢ ، وما يقال فى سابقه يقال فيـــه من اتيانه على السجية والطبع ، وذلك ما يحسه صاحب الذوق السليم ·

٢ ـ لدى نظم هذه القصيدة كان الشاعر حديث العهد ينظم الشعـر الفصيح ، اذ نظمها فى السنة الثانية من بدء محاولاته فى هذا الميدان ولذا نجده يقع فى ضرورات أربع ، ثلاث منها جائزة عند العروضيين وهى : حذف الهمزة فى «الغبرا» المقطع الثالث ، البكاء المقطع الرابع «الصحرا» المقطع السابع عشـــــر ·

أما الضرورة الرابعة فغير جائزة ، وهى زيادة الهمزة قبل يـــاء المتكلم فى (مولاى) فقد ، أوردها فى المقطع السادس (مولائى) ·

٤ ـ أما الصور البيانية عنده فى هذه القصيدة ، فانها تأتى بسيطة سهلة تشبيها كانت أو استعارة أو غيرها فليس فيها ما يخرج عـــن المألوف أوا لمبتذل خلا ثلاث صور :

الأولى : تشبيهه ـ فى المقطع ـ ١ ـ الدنيا فى ارتياح النـاســـس اليها ، وتلذذهم بها بالشهد فى حلاوته ·

والثانية : استعارته ـ فى المقطع ـ ٤ ـ التشييد لنشر العلم ·

والثالثة : استعارته ـ فى المقطع الأخير ـ الحيوان ، الذى يجـــر خلفه شيئا ، للعام الذى تتبعه الأعوام ·

وقد يكون فى الثانى والثالث من الجمال والعمق ماليس فى الأول لقربه وكثرة استعمال الناس له ، فكل الناس يقولون : الحياة حلوة ·

وما عدا هذه الصور الثلاث ، فكلها عنده من الشائع المبتذل ، انظر الى تشبيهه ـ فى المقطع ـ ٢ ـ الدمع الجارى بالجداول ، أو تشبيهه فى المقطع ـ ٣ ـ العالم بالبدر ، وقبره بمغيب القمر ، واستعارته فى المقطع ـ ٦ ـ الشمس للعالم ، وتشبيهه ـ فى المقطع ـ ١٠ ـ وافر العلم والمعرفة بالماء الثرار ٠

أما الكناية فانها تأتى عنده حينا على جانب من الحسن والجمال ، ككنايته ـ فى المقطع ـ ٥ ـ عن بقاء الأيام بدوام ارقال الابل ،التى يحدوها فى البيد حاديها ، لكونها فى اتصالها الوثيق بحياة الانسان اذ ذاك ، دليل استمرار الحركة والحياة ، وهذه صورة من الصور البدوية الرائعة ، التى ألفناها فى شعر ابن بليهد ومعاصريه من أهل بلده ٠

وحينا آخر يأتى بالكناية فى صورة يعلوها شىء من الغموض ككنايته ـ فى المقطع ـ ٦ ـ «بالألف والياء ـ فقد يبدو لك حينا أنه يكنى بذلك عن الحروف الهجائية ، التى هى مدخل التعلم ، وقد يبدو لك أنه يكنى بها عن آى القرآن الكريم ، فكلمة (اى) تبدأ بالألف وتنتهى بالياء ٠

(القصيدة الثانية)

● وهو في سجن المدينة المنورة ● (١)

نص القصيدة :

١ ـ يانفس عند اكتراب الأمر لا تسلى
يمضى عليك الذى قد خط فـى الأزل

٢ ـ ان قربونى الى دهماء مظلمـــة
فالدهر دولته تزكو على الـدول

٣ ـ توهم القوم منى عند رؤيتهـم
ومن توهم لا يخلو مـــن الزلـــل

٤ ـ لما أتى الرعب فى أرجاء أرضهم
قاموا جميعا كأن الرعـب من قبـل

٥ ـ حتى أتى الأمر من تلقى رئيسهم
وأثبتونى برأى الشارب الثمــل

٦ ـ من كنت أعرفه حقا ويعرفنـى
فالآن عنى لم يسأل ولـم يقـل

٧ ـ وان بثثت له عن حالتى خبـرا
يقول لا ناقتـى فيهـا ولا جمـل

٨ ـ لما رأى القوم صادتنى أكفهـم
رأى أن معرفتى تدنى من الأجـل

٩ ـ عن دار خير الورى ـ والله ـ لو برزوا
ولو أتوا برجال من بنى ثعـل

١٠ ـ الا أتتهم اذا من كل ناحيـة
تحدى اليهم عناق الخيل والابـل

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٢ .

١١ ـ ان شاء رب السما أضحت جما جمهم
بيض العواتق بين البيض والأسل

١٢ ـ كما أتت وستأتى مثل ما سلفت
أيام تربه من أيامنـــا الأولـــى

١٣ ـ ترقبوا لوحوش البر يحشرهــا
زلازل تقذف الأروى من الجبــل

١٤ ـ كتائب يملا الافاق عارضهــا
يقودها المرتضى فى القول والعمــل

١٥ ـ عبد العزيز أعز الله دولتــه
ما هبت الريح فى الغدوات والأصــل

١٦ ـ تدعوك طيبة الأطلال قائلــة
أزج القلائص عند الحادث الجلــل

١٧ ـ طهر بلادا رسول الله ساكنهــا
من المظالم والاشـــراك والخلــل

١٨ ـ والوافدون لبيت الله قد تركــوا
بين القبائل أجزاء على السبــل

١٩ ـ نادى مناد من الاعداء بينهم
من يحجز الذئب لا يخشى من الحمــل

٢٠ ـ نرجو من الله فى أيامنا فرجــا
لما تواتر أمر غيــر معتـــدل

٢١ ـ من ظالم ضيق الأوطان واحتنكت
بنا ، تآزر أهل المكــر والحيــل

٢٢ ـ فلا مقام لنا فى أرضنا أبـــدا
أما دهتهم أسود الفيل بالغيـــــل

٢٣ ـ أمامها بطل من بيت مملكـــة
بالجيش والخيل والعسالة الذبـــل

٢٤ ـ يسقيهمو شربة تبقى لشاربهـــا
تغنى عن الصاب لا تغنى عن العســل

٢٥ ـ على جوانبها كمة مضمـــرة
فى الحرب كم حملت من أقطم جـــدل

٢٦ ـ والله ما جذبت الا وقد بعثت
للماكرين ومن يطوى على دخـــل

٢٧ ـ وان تيمم حاديها الى بلـــد
لأمها زاجرات الويل والهبـــل

٢٨ ـ كم عصبة بطروا النعماء وامتلئوا
كبرا وقد أصبحوا من أسفل الســفل

٢٩ ـ يأتيهم عصب يقفوهم عصـــب
من كل ناحية تمشى على عجـــل

٣٠ ـ استحدث الركب عن أخبارهم خبرا
كى تبلغ النفس عنهم غاية الأمـــل

٣١ ـ نأت بى الدار والأوطان شاسعة
وحن رحلى الى حـــل ومرتحـــل

٣٢ ـ ان هب ريح الصبا من أرضكم فرحت
نفسى وذكركم نوع من الجـــذل

٣٣ ـ لقد هممت ونفسى قد أسكنها
من الامانى بالروحات فى العمـــــل

٣٤ ـ على قلاص تدنى كل نازحة
منْ المفاوز والغيطـــان والقلـــل

٣٥ ـ وكل مخترق يخشى الهلاك بــه
قفر جوانبه فى مجهل غفـــــــل

٣٦ ـ يممتها الجهة العليا وقد لعبت
بى المفاوز فوق الأينـــق الذلـــل

٣٧ ـ فحلفت قطنا وبان واعتسفت
دربا معالمه فى العثعـــث السهـــل

٣٨ ـ وأرقلت بى ركابى وهى قاصدة
الى فناء الامام الســيد البطـــل

٣٩ ـ الى فناء امام المسلمين لـــه
محلة عمرت فى الخصـب والمحـــل

٤٠ ـ ترى القلاص بروكا عند سدته
مأوى لحاف ومطـــاء ومنتعـــل

٤١ ـ كم جفنه ملئت تدنى جوانبها
للمعتفين وللنائى عن الأهـــل

٤٢ ـ عبد العزيز الذى أضحت فعائله
حقا على العدل ما شيبت من الجهل

٤٣ ـ منى سلام عليه كلما طلعـــت
شمس وما نأت الشعرى الى زحـــل

٤٤ ـ نال الخلافة لاجورا ولا بطرا
دانت له الناس من شيخ ومكتهـــل

٤٥ ـ ساس الرعية للاخرى وليس له
من المطالب الا فســـحة الأجـــل

٤٦ ـ له وأفعاله الحسنى شهدن له
بما توضح فى الآيات والنقـــل

٤٧ ـ أباح أرض العدا فأصبحوا عبرا
بفعله المرتضى والمنطق الجـــزل

٤٨ ـ ورب مستكبر أعيت شكيمته
عن مسلك الحق وانقادت الى الخطـل

٤٩ ـ كأنها فوق ظهر الأرض ما خلقت
يصطادها علة تشكو من العلـــل

٥٠ ـ بمرهفات اذا علت جوانبها
من الدما علقا فضلا عـــن النهـــل

٥١ ـ من لاذ فى ظلها فليرتق شـرفا
عال وتلبسه من أجمل الحلـــل

٥٢ ـ وأنتم القوم من قوم اذا ذكروا
هم الملوك ذوو التيجان والكلـــل

٥٣ ـ أمل بأبنائك الفعل الذى سبقت
به السعادة فـــى أبائـــك الأول

٥٤ ـ قد اصبحوا غرة فى الناس مشرقة
فى سورة المجد فى الآباء والخـــول

٥٥ ـ ولا أسائل فى اظهار مدحكم
لقد غرقت فلا أخشى من البلل

٥٦ ـ وأسأل الله رضوانا ومغفرة
من عفوه يوم كل الناس في وجل

٥٧ ـ ثم الصلاة على المبعوث ما صفقت
ريح على البر أو ريح على زجل

٥٨ ـ والال والصحب ما غنى الحمام على
دوح وما ناحت القمري في الطلل

جو النص ومناسبته :

فى عام (١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م) كان ابن بليهد في احدى رحلاته ذات الوجهين : ظاهرها التجارة ، وباطنها السياسة ، وقد انتهت به تلك الرحلة الى المدينة المنورة ، وكانت اذ ذاك تابعة للشريف ، وابن بليهد معروف بالوفاء والاخلاص ، لابن سعود ، فكان منطقيا أن يتهم ابن بليهد ببعض التهم ، كتسقط الأخبار ، وتهريب السلاح لصالح ابن سعود ، وأن يسجن ويبيت قتله بعد أن يقدم لمحاكمة صورية

ويضيق الشاعر ذرعا بسجن الشريف ، أو يضيق السجن به ، ويرى مصيره تتقاذفه أهواء الرجال وقد قبضته أيديهم ، ويتسلل الى نفسه القلق والفرق ، فيكتب عن ذلك قصيدة •

لذا نجد القصيدة تتضمن الى جانب حديثها عن مصابه هجاء للامر بسجنه ، كما تحوى مدحا للملك عبد العزيز وجيشه ، وتهديدا للشريف بما يلقاه على يد جيوش الملك عبد العزيز •

عرض وتحليـــل :

١ ـ فى ثمانية أبيات من مطلع قصيدته التى تبلغ أبياتها (٥٨) بيتا تحدث عن قضية سجنه وسببها كما يقول ، وعن الامر بسجنه ، ثـــم أصحابه الذين انكروا معرفته حين اتهم وسجن •

أ ـ وقد بدأ الحديث «فى البيتين ١، ٢» بمخاطبة نفسه وتسليتها ، بأنه لن يصيبها الا ما كتب الله له ، فلم الخوف ومم الضجر ما دام هذا هو القدر ؟ ثم ان الأيام دول ، فربما يجىء الغد بما لم يكن فى الحسبان وقد حصـــــل •

ب ـ وفى الأبيات من ٣ ـ ٥ يلتفت الى أولئك الذين أمروا بسجنـه ومحاكمته ، فيتدرج فى هجائهم ليصل فى آخر الأبيات الثلاثة الــى وصف رئيسهم بالعربدة والسكر ، ثم يصفهم أول الأمر بالتوهم فــى نظرتهم اليه وحكمهم عليه ، أو ما علموا أن المتوهم لا يخلو فى توهمه من الخطل والزلل ؟

ثم انهم لما أتاهم الرعب وغزا ديارهم ، صبوا غضبهم عليــه ، الأمر الذى أذهلهم حتى ظنوا أن مصدر الرعب جاءهم من قبله هــو ، لذا بادر رئيسهم (الثمل) بسجنه •

جـ ـ وفى الأبيات من ٦ ـ ٨ يعطف الحديث ، على أولئك الذين كانوا يدعون صداقته ، حتى اذا ما أبصروه وقد صادته حبال القوم ، تخلوا عنه وابتعدوا ، ونفضوا أيديهم منه ومن قضيته ، لأن فى معرفته ما قد يفتح باب التهم عليهـــم •

٢ ـ وفى الأبيات من «٩ ـ ١٢» يعرض باعدائه ، وأنهم جبنـــاء لا يستطيعون الخروج من ديارهم ، ولو خرجوا منها للقوا من قومه مثـل

ما لقوا يوم تربه ، حتى لو استنصروا برماة طيء ، ويشير بأيام تربة الى هزيمة جيش المرتزقة ، الذين كانوا مع الشريف فى صراعه مع ابن سعود ، وكان ذلك عام (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م) •

٣ـ وفى الأبيات من «١٢ ـ ١٩» يتجه الى الملك عبد العزيز ال سعود يستثيره ويغريه بغزو الحجاز وتطهير الحرمين الشريفين مما بهما من المظالم ويشير الى انه انما ينطق بلسان طيبة الأطلال ، وذلك اشارة الى احتواء المدينة : قبر المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخلفائه الراشدين ، وقبور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، ويؤكد ان تأمين البيت الحرام وسبله مسئولية الملك عبد العزيز ،ولكنه يمهد لهذا الاستنهاض بتهديد الأشراف بجيش الملك عبد العزيز الذى من عظمه ووفرته ـ تفر منه الوحوش فتلجأ الى العامر ، لأنه ملا البر فأرعبها فى زحفه •

وقد مزج الشاعر استنهاضه واستنجاده بالمدح ، ودار مدحه حول : الفروسية والشجاعة ، والبطولة وما يتبع ذلك ، من وصف جحافل الجيوش الجرارة المظفرة ، التى ما غزت الا كان النصر والتوفيق حليفها ، لانها ممدودة بسبب من ربها •

٤ ـ وفى الأبيات من «٣٠ ـ ٣٧» يعود الشاعر الى الحديث عن نفسه من خلال حنينه واشتياقه ، وأنه يتسقط الاخبار عن الملك عبد العزيز عسى أن يجد منها ما يطمئنه ويشيع الارتياح فى نفسه القلقة ، وسياق الكلام يقضى بأن المشوق هو الملك عبد العزيز ، وان كان حنين الرحل الى الحل والارتحال قد يشير الى غير ذلك •

وتمتلىء نفسه حنينا وتشوقا ، فيحس فى ريح الصبا القادمة من تلقاء نجد نشوة وارتياحا ، الى ما يثيره ذكر المشوق فى نفسه من فرح

ولكنه يسكن نفسه بالأماني في مستقبل العمل الجليل ، لكن ما الذى يهم به ؟ ، ربما كان الهرب ، وربما كان غير ذلك ، فهو لم يبن لنا عما هم به ، ثم يصف متفائلا رحلته الى نجد ، حيث تحدوبه نجائب الركاب الى الملك عبد العزيز ، وأنها في طريقها اليه تقطع بالشاعر من المفاوز والمهامه ما يخشى فيها سالكها الهلاك ، حتى جازتها وخلفت جبلى قطن وبان وأعتسفت الطريق المطموس المعالم بفعل الزوارى •

٥ ـ وفى الابيات (من ٣٨ ـ ٥٤) يخلص الى مدح الملك عبد العزيز وهنا تتجلى لباقة ابن بليهد ومهارته ، من تحرى مواطن الكلام واختياره المناسبات لما يريد قوله للممدوح ، ليقع موقعه الحسن المناسب ، حيث يسهل الوصول الى الغرض المقصود •

فركابه انما أرقلت به الى فناء ذلك الملك ، الذى جمع أسباب الرياسة والسيادة فهو كريم ، عمر فناؤه بالمعتفين فى أيام الشدة والرخاء ، لا فرق فيهم بين صغير وكبير ، كلهم ينالون من كرمه ،وقد استشهد على كرمه بتقريب الجفان للضيوف ، وهى صورة عربيةقديمة

ثم هو حاكم عادل لا يشوب أفعاله الجليلة جهل ، ولذا فهو يسلم عليه سلاما دائما مادامت الشمس والأفلاك فى مطالعها ، لأنه الحاكم الذى سلم من الجور والبطر •

ثم هو فى سياسته يتحرى ما يرضى الله وما يسلم به من عقابه فى الآخرة ، ولذا فهو يطلب له طول العمر ، لأن افعاله الجليلة ، شهدت له بأنه يسيرفيها حسب ما يمليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ثم هو شجاع فى فعله بليغ فى قوله ، وبذلك تغلب على الأعداء ولم يكن كالمستكبرين الذين جرهم جهلهم الى الهاوية ، ففى ظل سيوفه يلقى طلاب الشرف والمعالى المنزل الرحب •

ثم هو من قوم عرفوا بالرياسة والسيادة من قديم ، فلا بد أن يكون آبناؤه كأجدادهم وكيف لا ؟ وقد صارت لهم فى الناس أعلى المنازل ٠

أنظر الفرق بين مدحه فى الفقرة الثالثة والسابقة ومدحه فـــى هذه الفقرة الخامسة ٠

انه فى الثالثة لم يمدح الا بالشجاعة وما يلائمها من الجيوش القوية الجرارة ، والفرسان الابطال والسيوف والمعارك ، وما تخلفه من قتلى وما تأتى به من انتصارات ٠

أما الفقرة الخامسة فانه لايعطى الشجاعة والبطولة ، الا مثلما يعطى غيرها من المعانى والخلال الكريمة التى يمدح بها ، فانه يمدحه فيها : بالكرم والعدل ، وابتغاء وجه الله فيما يقول ويفعل ، ثم الشجاعـــة والفصاحة ، ثم كرم الحسب والنسب ٠

ولذا نراه يختار الكلمات الملائمة لمثل هذه المعانى ككثرة الضـيفان فى فنائه ، لافرق بين الشريف والطريف ، والجفـــــان : الـتى تدنى للضيفان والعدل وعدم الجهل ، والجور والبطر ، ثم التنويه بالملك وجلاله والمركز الاجتماعى لقوم الممدوح وبنيه ٠

على أن المدح فى الفقرة (٥) مرتبط ارتباطا عاما بالمدح فى الفقرة (٣) لكنه فى الفقرة (٣) متصل بالحادث الذى نظمت من أجله القصيدة اتصالا مباشرا وفى الفقرة (٥) متصل بالملك عبد العزيز ودولته ٠

٦ ــ ويختم قصيدته هذه بالتمدح ، بأنه فى مدحهم لايخشى أحدا ولا ينظر الى وجوه الناس ، ثم يطلب من الله العفو والغفران ، ثــم يصلىعلى المصطفى ــ عليه الصلاة والسلام ٠

نظـــرات وتعليـــق :

١ ـ واول مانلحظه فى هذه القصيدة أنها تمثل نقلة فنية نحسها عند صاحبنا ويتجلى ذلك فى :

أ) جريان القصيدة فى سياق طبعى ، لاتحس فيه تنافرا أو تداخلا أو تقديما وتأخيرا ، فهو يبدأ قصيدته بخطاب نفسه وتعزيتها ،ليخلص من ذلك الى الحديث عن سجنه ومن أمر به ، حتى اذا فرغ من ذلـــك عطف على اخلاء الرخاء المتنكرين فى الشدة،يأخذ بعد ذلك فى التعريض بأعدائه وتوعدهم وتحريض الملك عبد العزيز على قتالهم ، ليخلص من ذلك الى ذكر حنينه الى الديار ، ثم الى مدح الملك عبـــد العـزيز وأبنـــائه ٠

ب) ثم جودة السبك وقوة الحبك واشراق الديباجة وحسن اختيـــار الكلمات والعبارات ، على نحو يختلف كثيرا فى ذلك كله عما سبـــق من قصائد الديوان ٠

خذ مثلا الابيات الاولى من هذه القصيدة من ١ـ٨ وقارنها بهـــذه الابيات التسعة من مطلع القصيدة الثالثة فى الديوان (١) ٠

لــك الحمــد يا من للمحامــد مأهـــل
وشــكر جزيل والرضــا منك أجــزل

لك الحمــد يامنــان ياسامك الســـما
تضــمن أحكــام البــرايا ومنــزل

كتــابا أبان الحــق حــتى كــأنه
ســناء أضــاء الليــل والليــل أليل

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١ ٠

كتـابا أبان الحـق من كـل باطـل
يبلغـــه عبـد الى الناس مرسل

شـهدت بأن الله لارب غيـــره
قـــدير بأحكـام البـرية يعـــدل

وان ختـــام الانبيـاء محمـــد
لـه سـنة مثـل النهار تفصـــل

محبتـــه حق وأنى أحبـــه
محبة صـدق لاجفاء ولا غلـــو

ففى الناس من للصـالحات موفـق
يطيـع لما قال الرسـول ويقبـل

وفيهـم أناس أثبتـوا كـل بدعـــة
فكـم جاهل فيها يقول ويفعـل

ثم أنظر الى المطلعين تجد شاهد ما قلناه :

ان هذا المقطع الذى أوردناه من قصيدة نظمها عام (١٣٣٨هـ ـ١٩١٩م) ، أقرب الى أسلوب النظم منه الى أسلوب الشعر ، فهو يبدأه بحمد الله والثناء عليه وطلب الرضا منه ، ثم يكرر مدحه ويشير الى بديع صنعه أن سمك السماء بلا عمد ، ثـم مامن به على الانسانية أن فصل لهم الاحكام فىكتاب انزلهعلى عبده ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يتبع ذلـك بشهادة ، أن لا اله الا الله القادر العادل وأن محمدا عبـده ورسوله ، نطق بالسنة المطهرة فمحبته حق ، ولذا فهو يحبـه حبا لا جفاء فيه ولا مغالاة تجاوز به الحد ٠

ثم يقسم الناس الى قسمين : قسم وفق للصالحات واتباع المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآخرين : جنحوا الى البدع جهلا منهم ·

أسلوب كما تراه لايختلف عن نظم المتون العلمية وألفاظ لا أقول انها متباينة ، ولكنها شائعة على أى حال ، خالية من الايحاء الشعرى ، الى ما فيها من تكرار نفس الجمل ، كما تراه فى الابيات الاربعة الاولى منها ·

عد بعد هذا الى مطلع القصيدة التى نحن بصددها ، واقرأ (الابيات الثمانية الاولى ، ثم عد الى ما قلناه فى تحليلها وسترى أن الشاعر فيها أحسن الانسياب وراء العواطف والمشاعر وأجاد التصوير للمواقف والمشاهد ، وكان ماهرا فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام ليصل الى التعبير الصادق عن التجربة التى عاشها ·

ألا ترى ذلك الخطاب الموجه الى نفسه كيف دل على ما يعيشه من صراع نفسى بسبب سجنه ؟ ثم أنظر الى البيت الثالث كيف وضع فيه أعداءه موضع المتوهم الذى جره وهمه الى الزلل والخطل ؟ حتى رأوا فيه خطرا يهددهم ، ويشيع الذعر والرعب فى نفوسهم فسجنوه، وكيف تنكروا له عند الشدة وتنصلوا من معرفته ·

ثم عد الى الألفاظ وأنظر الى (اكتراب الامر) وماتدل عليه من شدة وضيق ثم الى ـ دهماء مظلمة ـ وما تصوره من بشاعة السجن ثم الى (توهم) و ـ الزلل ـ وماتشعران به من أخطاء فى التفكير والتصرف وهكذا ، كما ستراه مفصلا نوع تفصيل فى الفقرة التالية

٢ ـ والتصوير البيانى يأتى على نحو من الابداع جيد ، كتعبيره عن السجن بالدهماء المظلمة التى قربوه لها ، ثم هذه الصورة التى رسمها لهم وقد قاموا جميعا عند دخول الرعب دارهم ·· (لما أتى

الرعب فى أرجاء أرضهم .. قاموا جميعا) البيت ، اذ شبههم فى خوفهم ورعبهم منه بقوم جالسين فجأهم أمر مرعب فنهضوا من مجلسهم جميعا .

ثم الاستعارة الجميلة فى (صادتنى أكفهم) أى : سجنونى ، ثم ذلك التشبيه الضمنى الرائع فى قوله :

ولا أسائل فى اظهار مدحكم
لقد غرقت فلا أخشى من البلل

على أن فى هذا البيت نظرا الى قول الاخر :

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له
أياك أياك أن تبتل بالماء

وان شئت مزيدا فاقرأ الأبيات من ٣٤ ـ ٤١ وسترى الصور البدوية العربية القديمة واضحة جلية ، تنطق بها تلك الأبيات التى يصور فيها رحلته الى الممدوح ، ثم وصف كرم الممدوح وذكر شواهد من كثرة الضيفان ، وتنوعهم ، وتقديم الجفان ، وما الى ذلك من الصور العربية القديمة .

ومن بديع كناياته ، الكناية عن المدينة المنورة بـ (طيبة الاطلال) أى : المنازل ، والمقابر القديمة ، التى حوت خير البشر وأصحابه ، والتابعين رضوان الله عنهم اجمعين ، ثم الكناية عن شوقه بحنين رحله (وحن رحلى الى حل ومرتحل) ، ثم الكناية عن الكرم بكثرة مطايا الوافدين عند باب الممدوح (ترى القلاص بروكا عند سدته) وبكثرة الجفان المملوءة بالطعام للضيفان (كم جفنة ملئت تدنى جوانبها) .

٣ ـ واذا كانت تلك بعض مظاهر احسانه فى القول ، فان له بعض المساوىء التى تؤخذ عليه :

أ ـ كالتقديم والتأخير فى البيت التاسع ·

ب ـ ومن ذلك اتيان بعض الضرورات الشعرية ، كحذف الهمزة من السماء ـ العداء ـ الدماء فى الابيات (١١ ، ٤٧ ، ٥٠) وذلك كثير فى شعره ، وكتحريك الهاء فى (الأهل) فى البيت الحادى والاربعين ·· على أنها جميعا من الضرورات الجائزة لدى العروضيين ·

القصيدة الثالثـــة

في الترحيب بنائب الملك على الحجاز ومدحه

فتى السعد بــــاد والعيون تراقبه
ولاحت على أفق الحجاز كواكبــــه

يبارين من نال المكارم والعــــلا
وقــــد عرفت في العالمين مناقبه

صبا نجد هبــــى في الحجاز فانه
على أهله أمن وطابت مشــــاربه

لعمرى لقد نــــال الحجاز بفيصل
ومقدمه أنسا تتــــم مــــآربه

أقول لاصحابى وقد باين الكــــرى
مآقينا واللــــيل داج غياهبــــه

بدا الطالع الميمون مــــن ال فيصل
همام تسامت في نــزار مناســبه

نماه الى الاصل الاثيل الذى ســما
أبوه ومجــــد ثابتات جوانبه

على خيله نصر من الله لائــح
وفى كل أرض مرقــــلات ركائبه

بها يقطع الفج البعيد الــــى العدا
اذا اخروطت بالسالكين ســــباسبه

دها بملمات البلا كل مجــــرم
وكــل صديق جللته مواهبــــه

أقام منار الحق بعد اندراســــه
وتســعده ابنــــاؤه وكتائبــــه

لقد قطعوا للمجد كل مفـــــازة
من الارض أو فج تنـــادى ثعالبه

على فيصل من والـــديه ملامـــح
تناجيه شمر للعلا وتخاطبـــــه

زها بمحياه الحجـــاز وقد بـــدا
عليه ، وفاض البحر خضراغواربه

يســـر الادانى والاعادى يضرها
اذا قضيت اوطـــاره ومطالبـــه

زمان بـــه طاب الحجاز لاهلـــه
وعيشهم رغدا اذا دام صاحبه (١)

الجو العام للقصيدة ومناسبتها :

فى عام (١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م) عين الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ابنه فيصلا الملك السابق ـ رحمة الله عليه ـ نائبا له على الحجـــاز، فكان طبعيا أن يبادر الشاعر ابن بليهد ،الى تسجيل ذلك شعرا فى قصيدة جاءت على الرغم من قلة أبياتها جيدة، وان كان التقصير يعتريها من جانب اخر حيث لم تتحدث عن المناسبة صراحة ، وانما اكتفت بالحديث عن قدوم الامير من نجد الى الحجاز ، فهى صالحة لأى مناسبة قدوم للامير •

عرض وتحليـــــل :

أ) تقع القصيدة فى ستة عشر بيتا ، يبدأ كل بيت منها بحرف من اسم «فيصل بن عبد العزيز» وذلك مذهب مأثور فى النظم ، ويقـــول ابن بليهد ، أنه كان شائعا اذ ذاك عند الحجازيين •

ب) وتبدأ القصيدة فى «البيتين ١ ،٢» بوصف قدوم الأمير ، الذى تعلقت به الأنظار ترحيبا وتفاؤلا واعجابا به لما عرف عنه من حســـن

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٨ •

السجايا وكريم الطباع ، وفى البيتين «٣،٤» اشارة الى أنه سلالة أولئك الأبطال النجديين •

ومن المعلوم أنه قد التقى فى الممدوح نسب آل الشيخ وال سعود ، لذا فلا غرابة لدى الشاعر أن ينال الحجاز بمقدمة الأمن ، وبلوغ المآرب •

وفى هذه الأبيات الأربعة ، التى هى بمثابة المقدمة للقصيدة وصف للممدوح ، الذى يترقب أن يكون طلوعه على الحجاز طلوع الكواكب المضيئة ، بل أنه جعل الكواكب تسير فى ركابه ، وقد تفهم كلمة (كواكب) على أنها جمع كوكبة ، أى : الفرقة من الجيش ، وان طلوعها فى افق الحجاز يشبه طلوع الكواكب ، ولذا فانه يقول : (لاحت على أفق الحجاز) ثم ان وصوله وجيشه الى الحجاز ، يشبه ريح الصبا فى تهدئة الالام وانعاش الآمال ، وفى ذلك ما فيه من وجه مجازى كما سيأتى •

ج) وفى الأبيات «٥-٧» يلتفت الشاعر الى أصحابه ليبشرهم بمقدم الأمير ، بعد أن طال انتظارهم وينسبه الى آل فيصل نسبة الى فيصل ابن تركى ، مجدد دولة آل سعود ، ثم يمد الحديث عن أصله فينسبه الى نزار ، وأن أباه عبد العزيز وما عرفت به اسرته من مجدهما اللذان نمياه الى الاصل المؤثل •

على انه فى البيتين (٥،٦) يشير الى ان ولاية فيصل على الحجاز تبشر بعهد سياسى جديد ، يبدد ما ران على الحجاز فى عصوره السالفة من ظلم وظلام ، ليحل بذلك عهد كله : صلاح واصلاح ، وجمع للكلمة واشاعة للامن والاستقرار فى هذه الربوع المقدسة ، التى هى قبلة المسلمين . وملتقى أفئدتهم ، ومكان اجتماعهم حين اداء خامس أركان الاسلام (الحج) •

ومثل ذلك العمل انما يندب له أولو العزم من الرجال ، ولقد كان فيصل ــ رحمه الله ــ في الذروة من أولئك ،فلقد تم على يده كل ما بشر به ابن بليهد ، في كثير من قصائده التي نظمها في مدح هذا الرجل •

د ــ وفي الابيات من(٨،١٢) يمدح العهد الجديد ويباركه ويعلق بمدح الملك عبد العزيز ، فيصف خيله بأن النصر يلوح عليها ، وان جيوشه في كل مكان وفج تسير ، تتبع الاعداء لا يثنيها تباعد المسافات وتناوح المفازات ، لكنه ان كان عذابا للمذنبين فان هباته تجلل الاصدقاء •

ثم أثنى عليه باقامة شعائر الدين واحياء ما درس من معالمه ، يعينه في هذا ابناؤه وجيشه ، أولئك الذين لا يثنيهم عن المجد وطلبه صعاب الامور •

هـ ــ وفي الابيات (١٣ ــ ١٦) يعود الى الممدوح ، فيذكر ان ملامح والديه تدفعه الى العلا، وتغريه بها لانه أهل لذلك، ألا ترى الحجاز وقد ازدهى وازدان بطلعته ، حتى البحر زاد مده وجاشت أمواجه فرحة واستبشارا ، وذلك لأنه مصدر سرور الاصدقاء واتعاب الاعداء ، فلا غرابة ان عاش الحجاز في عهده من عيشه في رغد وأمن واستقرار ، ولعله بذلك يشير الى مبلغ نجاح الرجل فيما يتصدى له من مهمات يحطم فيها بعزيمته وشجاعته كل قوة تقف في وجهه ، حتى بلغ الحجاز عهدا زاهيا زاهرا بالاستقرار والرخاء •

وفي البيت الأول من هذا المقطع يؤكد ما ورد في فقرة (ب) من انه يشير الى التقاء نسب آل الشيخ وآل سعود فيه •

نظـــرات وتعليـــق :

١ ـ ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه القصيدة ، مع كونها مظنـــة التكلف والتصنع ، في الألفاظ والاساليب ، لتقيدها بمظهر من مظاهر الصنعة ، كان شائعا في عصر ابن بليهد ـ كما يقــول ـ وهو الالتزام بحرف من حروف اسم الممدوح في مطلع كـــل بيت، فانك لا ترى فيها الا لفظا سائغا ، واسلوبا سهلا ،وتركيبا طيعا ، ولا تفسير لذلك الا أحد أمرين أو كليهما ٠

أولهما القصر ، وثانيهما انفعال الشاعر بالموضوع ومصادفته هوى في نفسه ، وذلك ما أفسر به اختلاف بعض قصائده عـن بعض ، أعني مصادفة الموضوع هوى في النفس ، وذلك مـــا سأوضحه في خصائص شعره ان شاء الله ٠

٢ ـ وتكثر في شعر ابن بليهد : الضرورات ، والحذف ، والتقدير، وقلما نجد له قصيدة نظمت في السنوات العشر من بدء نظمـــه للفصيح ، الا وجدت فيها من ذلك أكثر من مثال سوى هـــذه القصـــــيدة ٠

٣ ـ ويحلو أحيانا لابن بليهد أن يكرر بعض الألفاظ ، ولقد وقع له في هذه القصيدة من ذلك أن كرر كلمة (الحجاز) في خمســـة أبيات هي (١،٣،٤،١٤،١٦) كما كرر كلمة ـ فيصل ـ ثلاث مرات في الابيات (٤،٦،١٣) وقد لا يعد ذلك مأخذا كبيـــرا، ولكنه موضع ملاحظة على أي حال على أن ذلك يمكن دفعـــه بأمـــــرين ٠

الاول : ان فيصل هو الممدوح ، فلا غرابة أن يتكرر اســـمه في القصـــيدة ٠

والثاني : أن للحجاز مكانته الجليلة في النفوس ، ترتـــاح له وتستحلي اعادته وتكراره ، فلا بدع ان تكرر اسمه في قصيدة يستقبل بها أمير الحجاز ونائب الملك عليه ٠

٤ ـ وهو فى مدحه هنا لم يجاوز فيه ما ألفناه ، من التركيز على معنويات الأمور : كيمن الطالع ، والشجاعة وكرم الحسب والنسب ، ونشر الحق والعدالة ، ونحو ذلك مما يجب أن يكون هدف المادحين .

٥ ـ وهو فى هذه القصيدة أقل عناية بالصور البيانية ، ومع ذلك ففيها من الجمال ما يفوق كثيرا مما فى قصائده ، التى نظمها قبلها وان شحنت بالصور البيانية الا ان تكلفها هنالك يضعف جمالها ، ولست بذلك أعنى أن الجمال منوط بصور البيان فقد يخلو الكلام : من المجاز ،والكناية ، والتشبيه ، ومع ذلك يأتى غاية الاجادة والابداع .

خذ مثلا (البيت ٩) من هذه القصيدة التى نحن بصددهاانه يقول فيه : ان الملك عبد العزيز فى طريقه الى العدا ، يقطع بخيله وابله الفج البعيد ، حين تطول مسالكه بالسالكين ،فيحسن اختيار الكلمات ، ويجيد التأليف . ويجود الأسلوب ، فيأتى الكلام على أحسن ما يكون : سبكا ، وحبكا ،ونظاما .

على أن قصيدته هذه لم تخل من الصور البيانية الجميلة .

خذ مثلا استعارته فى (البيت ٣) (الصبا) للمدوح ورفاقه من أهل نجد ، او استعارته فى (البيت ٥) (الليل الداجى) لعهد الحجاز قبل فيصل ، او استعارته فى (البيت ١) (الكواكب) لأفعال فيصل على أحد الوجهين السالفين فى التحليل ، ومثله (يبارين) فى البيت (٢) .

ثم انظر كنايته فى (البيت ١٢) عن خلو الأرض من الانيس بتنادى الثعالب على أن هذا البيت منظور فيه الى قول بركات الشريف .

نحيناه بكوار المطايا ويممت
بنا صوب حزم صارخات ثعالبه

(القصيدة الرابعة) (١)

● فى التحسر على فراق الامير فيصل (الملك السابق) ●

أرقت لبــــرق ســــاهر متــــألق
أراقبه كالمغــرم المتشـــــــوق

كأن سناه بيـــــن ظلـــم وضارج
مصابيح صنعا أو مصابيح جلـــق

فسرت لــه والركب بيـــن مغــرب
يؤم الى طيــــاته ومشـــــرق

فلما أجزن الواد من بطن نخلـــة
رأيت غراب البين بين التفــــرق

فقلت لأصحابى دعــــوه فانـــه
بما أخفت الايام غير مصـــــدق

فنكبن بى واد العقيق وســـــفحه
الى ارض رضوان فقلـــت لاينق

دعى كل شكوى تشتكين وجـاوزى
مهامه غطى الها كل ســردق

عليك من المجد الاثيـل فضـــائل
أصابتك من فضل الأمير الموفـــق

أصابتك مـــــن كف كأن بنانـــه
يخالط صـــوب العارض المتدفـــق

أو السفح من نهر الفرات ومـــائه
اذا كنت صاد أينما شـــئت فاستقى

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٣٢ .

علينا اليد البيضاء لـــه مســـــتمرة
تضيء كضوء الكهـــرباء المعلـــق

وما هى الا فى الكـــريم خـــلائق
نشت فى أثيل المجــــد غير التخلق

نماه اليها مـــــن ربيعة ماجـــد
كريم متى يدعى الى المجد يســبق

أبوه رقا واحتل فى ذروة العــــلا
اذا صعب المرقى على كـــل مرتق

فما نالها الا اذا اشتبك القنـــــى
بظهر كميت او على ظهر أبلـــق

يبيح حمى الدار التـــى ما أباحها
سواه ولا ضمت ركاب المصـــدق

له الراية الخضرا التى كل قاطنة
بأرض بكيل أو بأرض الخورنـق

يراقبها اما تـــروح بجحفـــــــل
عليه وأما تغتديه بفليـــــــق

كنشأته والناس بيـــن مكـــذب
اذا ذكرت أفعــــاله ومصـــدق

وما أنا الا فى الافاضل مغـــــرم
غرام جرير أو غرام الفرزدق

وما وجد آظار نأت عـــن ظئارها
وكانت سنين شملها لـــم يفرق

بأوجد منى كـــلما عسعس الدجى
أغرد تغريد الحمـــام المطـــوق

فيا سائلا عنا فـان قلوبنـــــا
جميـــع وأرواح الاحبة تلتقـــى

أصـــلى اله العالمين مسلمـــا
على طاهر الثوب النبى المصدق

الجو العام للقصيدة والغرض من نظمها :

كان الملك عبد العزيز قد عين ابن بلهيد على مالية الطائف عـــام (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م) ، وفى تقديم القصيدة التى نحن بصددهـــا يقول ابن بليهـــد :

انه فى ربيع الأول من عام (١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م) · قد انفصل من عمله هذا ، لكن الامير فيصل أجرى له جميع اللازم (١) ، وساعـــده بجميـــع الوســـائل ·

وارتحل الشاعر من الطائف الى بلده (الشعرا) فى عالية نجد وكان من جلساء الامير فيصل وندمائه ، لذا لم يكد يجد به السير حتى أحس بافتقاد تلك المجالس ، وحن الى تلك الأمسيات التى كان فيها موضـــع الحفاوة من الامير ، فأين هو منها الان ، وأين هى منه ؟ فهو يسكب فى هذه القصيدة مشاعره وانفعالاته واحساساته على نحو مانوضحه ·

عـــرض وتحلـــيل :

١ ـ من ١ ـ ٨ ان من المناظر المألوفة فى ليل الصحراء لمعان البرق ، ذلك الضوء الذى يرتاح له الساهر ، ويأنس به المسافر ، ويبعث فـــى نفوس ابناء الصحراء الأمل القوى فى الخصب والرخاء ، وقد يثيـــر شجونا ويهتاج مشاعر واحساسات ، اذا كان مصدر وموضة ديار الاحبة

---

(١) اللازم هنا يحتمل ان يدل على هبة وقتية ، كما يمكن ان يدل على اجراء راتب شهرى او سنوى ، وانما أجزنا هذا وذاك ، لامكان دلالة اللفظ عليها عندهـم ، ولجهلنا بما أمر به ، اذ لم يكن فى تلك الأيام سجلات وأنظمة لمثل هذا ·

ومنازل أخلاءالصفا،فانه حينئذ يكون جديرا بأن يرصدويراقب ، وحرى بأن ينفى الكرى ويجلب الارق ويثير القلق والاشتياق ، وقد يثير من الذكريات ما يشد اليه المشاعر والاحساسات ، والذكريات ليست كلها غراما وتشوقا ، وانما هى أبعد منذلك ، انها صدى الاحداث بمـــــا فيها . من خير وشر ،وبغض وحب ،وافتراق وائتلاف ٠

لذا فان البرق حينما لاح بعيدا باهتا ، ظل شاعرنا يراقبه وهويلمع بين (ظلم وضارج) كأنما يراقب مصابيح صنعاء أو دمشق الى ان سار أليه ، حتى اذا جاز من نخله قابله غراب البين ، لكنه لايعتقد فيه ما كان يعتقده جهال العرب ، لذا أمر أصحابه بأن يتركوه لانه لا يعلم مـــن أمر الغيب شـــيئا ٠

وقليلا ما أغفل العرب حق الابل فى الحديث ، لذا فان صاحبنا يوجه الخطاب الى أبله طالبا منهسا أن تجوز به القفار والمفاوز ، التـــــى يلمع سرابها الذى على وجهها ، وأنها لجديرة بذلك لما عليها من نعـم الامير وأفضاله ، فلتدع ما تشتكى منه من الاين والكلال ٠

وكأنى به يخاطب نفسه التى تشكو من فراق الأمير ، لكنه عبر عن هذه الشكوى من خلال الناقه ٠

فالشاعر هنا قد لزم النهج القديم من حيث التمهيد للغرض بمقدمه غير أنه لم يصف الدمن والاطلال ، ولم يقف على ديار الاحبـــــة مســــتعبرا ومســـتخبرا ٠

وانما جعل وجهة مشاعره واحساساته ، تجاه فراق الاميـــر ذى الافضال والانعام عليـــه ٠

على ان صوره فى جملتها بدوية يلوح فيها البرق، وتتراءى فيهـــا الصحراء المسربلة بالسراب بنجودها ووهادها ، وتتهادى فيها الناقـــة رفيقة السفر حاملة الاثقال ٠

فهو لم يبعد فيها عن نهج الاقدمين ، الا بقدر لا يســـــوغ بأى حال استثناءها منــــــه •

٢ ـ ومن ٩ ـ ١٣ يقصد الى تصوير كرم الممدوح ، فيشبه أنامل كفه في كثرة عطائها ووفرة نوالها ، تارة بصوب سحاب تدفقت المياه فى الاودية من انسبابه ، واخرى يشبهها بنهر الفرات غزارة وتدفقـــا ، وذلك لوفرة نعمه التى اثارها عليه مشهودة تضيء كضوء الكهرباء ••

ثم يثنى عليه بأن الكرم فيه طبع نشأ به لا تطبعا، وشتان ما بين الحـــــــــالين •

ويقصد الى تثبيت تلك الصفات اكثر ،فيحكم بأنه ورثها عن أبيه السباق الى مراتب المجد ، وهذا المقطع القصير هو نصيب بالممــــدوح مــــن القصـــــيدة •

٣ ـ ومن ١٤ ـ ١٩ ينتقل الى مدح أبى الأمير ، وتلك عادة عند ابن بليهد في جميع مدائحه يركز دائما على الملك عبد العزيز ، فلعله كان يلحظ الدور الذى قام به الملك فى توحيد أنحاء البلاد ، مبتدئـــا من ضعف كالعدم ومنتهيا الى ما انتهى اليه من ملك باذخ ،لذلك ترى الشاعر يركز فى مدحه الملك عبد العزيز ـ دائما ـ على الشجاعـــة والاستبسال فى اقتحام الصعاب ، وانه لم ينل ما نال الا بالحســــام والحصان السنان ، تلك التى كان يبيح بها ديار الاعداء فى ظل رايته الخضراء ، التى يسير فى ركابها الخير والصلاح ، لذا فانها محـــط الانظار وأفياؤها مرتاد الامان فى كل مكان لانها الراية التى هـــزت البلاد وأرعبت الاعداء ، فصار الجميع يترقبون مفاجأتها لهم ، مـــن جنوب الجزيرة والحبشة الى بلاد الشام والعراق ، خوفا من ان تفجأهـم بجحفل من الجيش الذى لم يألف سوى الانتصار •

٤ ـ ومن ٢٠ ـ ٢٤ يأتى دور اعترافه بجميل آل سعود عليه وحبه لهم ، ذلك الحب الذى ملك عليه أمره ، وجعله فى الحنين يفوق الابل التى نأت عن ظئارها ، بعد ان مضى عليها سنون لم يفرق شملها ،انه

أكثر منها وجدا وأشد منها لوعة ، لذا تراه اذا جن الليل يغرد من شوقه كتغريد الحمام ، على ان الاحبة وان تباعدت اجسامهم تلتقى — على المحبة والاخلاص والوفاء — أرواحهم •

نظـــرات وتعليق :

١ — من المسلم به أن الموسيقى الشعرية لها دورها الكبير فيجمال الشعر وجودته ، ولست أبالغ اذا قلت أن المصدر الاول فيجمال الشعر وقابليته ، انما هو التقاء الموسيقى الداخلية والخارجية على نحو من الحسن ، يكسب الشعر النغم الطرى والجرس الجميل ،كما يشيع في اعطافه أفياء المشاعر والاحساسات ، قد تكون هادئة ، أو مضطرمة وقد تكون باسمة أو متجهمة ، وقد تثقل النفس بأوزارالالام والاحزان وقد تشيع فيها الفرح والبشر والسرور ، وما ذلك كله الا بفعل الموسيقى داخلها وخارجها •

ولكل شعر نصيبه من ذلك قل أو كثر •

وما أغفلت الاشارة الى ذلك فيما مر من نصوص الا لاتيانه في صورة عادية لا تلفت النظر ولا تثير الاهتمام •

حتى اذا حللنا بساحة هذه القصيدة ، وجدنا الموسيقى فيها تفرض علينا نفسها وتلزمنا بهذه الوقفةفمشاعرالحبوالوفاء والولاء والاحساسات التى اهتاجها الفراق ، قد وفق الشاعر فى الباسها ثيابا معبرة من الالفاظ والتراكيب ، مجملة ببديع الصور التى ألقت أفياءها رفافة على المعانى والالفاظ ، ثم توج ذلك كله بهذا البحر الطيع المرن البحر الطويل . وهذه القافية العذبة الرقيقة (القاف)المكسورة •

عد الى البيت الأول على سبيل المثال ، وتلمس المعانى والمشاعر والاحساسات التى أراد الشاعر التعبير عنها حين اشتد شوقه الى الأمير ، وبلغت الوحشة من فراقه بنفس الشاعر مبلغها ، حتى جفاه الكرى كمن نج به شوق عارم لحب مكين •

ثم عد الى الألفاظ وأنظر كيف وفق الشاعر فى اختيارها، لتؤدى دورها فى ابراز مشاعره واحساساته ، فأنت ترى فى (أرقت) ما ليس فى (سهرت) اذ الاولى تدل على ذهاب النوم قسرا بينما لا تعطى الثانية الا معنى عدم النوم مجردا ،ثم انظر الى كلمة (ساهر)الموصوف بها البرق وكيف انها فى ايحائها بما فى نفس الشاعر أقدر من كلمة (دائم) وكأنه يريد أن يشرك البرق معه فيماهو فيه ·

ثم أنظر كلمة (متألق) وما تعطيه من معنى يجمع الضياء والارتفاع بينما لا تعطى مثله كلمة (لامع) ثم (أراقبه) وما توحى به من قلق فى نفس الشاعر ، لاتستطيع الابانة عنه كلمة (انظر اليه) او (أبصره) ثم كلمتى (المغرم والمتشوق) وما تدلان عليه من تمكن الحب وشدة الاشتياق على نحو لا تقوم به مثل (محب ومشتاق)·

ثم أنظر كيف زاوج بين هذه الكلمات وآخى ، حتى انتظمت فى نظام رائق بديع لا اعتساف فيه ، ولا اكراه ولا تقديم ولا تأخير أو نحو ذلك .مما قد يشوب التركيب او يكدر صفاء اديمه واشراق ديباجته ·

وعلى هذا النحو تسير أبيات هذه القصيدة ، يقد لكل معنى لفظه المناسب كل على نحو جعلها درة من درر شعره ·

٢ ـ ونعود الى الصور البيانية ، لنتبين شيئا من أبعادها فى اعطاء الصورة التى قصد اليها الشاعر ، وسنكتفى بصورتين او ثلاث·

أ ـ يلوح للشاعر من بين جبلين بريق بعيد فى البيت ٢ والبرق يثير فى نفس ابن الصحراء شكولا من التصورات والتخيلات ،ويهتاجه الى عزيز الذكريات ، فيعمد الى تشبيهه ، لكن بأى شىء يصور لمعان البرق بعيدا باهتا ، لقد تخيل الشاعر مصابيح صنعاء ومصابيح دمشق ـ وهما تبعدان عنه اكثر من الف ميل ـ فشبه ضوء البرق الباهت بها ·

ب ـ وفي البيت ١١ يريد أن يدلل على أثر نعم الأمير علـــيه، فيشبه اشراقها واضاءتها من حوله بضوء الكهرباء المعلق ، وهذه احدى صور المدنية الحاضره ، التى شهد الشاعر بدء غشيانهـا أفق بلاده •

ج ـ وفي البيتين (٢١،٢٢) يصور شوقه الى الآمير ، ووجده عليه بأروع ما يكون التصوير •

انه يقدم لك أولا صورة للابل التى أمضت سنين والشمل منهـــا جميع ثم افترقت ، لينتقل بك ثانيا الى الادعاء بأن وجده على الاميـــر أعظم من وجد تلك الابل ،ثم يضيف أنه اذا جن الليل لا يملك الا ان يرفع صوته بالغناء ، لكنه غناء حزين يشبه تغريد الحمام المشبه للنواخ

وانما يحس أبعاد تلك الصورة وعمقها فى التعبير ، مـــن عايش الابل وشاهد ما يصيبها اذا شتت شملها ، ولذا شبه طرفه بن العبـــد الشاعر الجاهلي صوت المغنيه في ترجيعه واهتزازاته بحنين الابل :

اذا رجعت فى صوتها خلت صوتها
تجاوب أظـــآر علـــى ربع ردى

٣ ـ هذه القصيدة على جانب من الجودة ، الا انها لم تخل مـــن بعض المآخذ التى لم يخل منها شعر شاعر فمن ذلك :

ا ـ التضمين عند الأقدمين عيب يؤاخذ به الشاعر ، علـــى ان المتأخرين يعدونه من حسنات الشعر ، لأنه يعطى الابيات مزيدا مـــن الترابط والتماسك عندهم ، ولما كان اتجاه ابن بليهد فى شعره اتجاها قديما ، فانا نؤاخذه بما عده المتقدمون مأخذا ، فالقول الذى فى(البيت ـ ٦ ـ (قلت لاينق) مقوله فى البيت الذى بعده ، ومثلـــه ما فـــى البيتيـــــن : ٢١ ، ٢٢ •

على أن مثل ذلك ورد فى شعر الاقدمين ،كقول الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبه
خضراء جاد عليها مسبل هطـــل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق

مؤزر بعميم النبـــــت مكتهـــل

يوما بأطيب منها نشـــر رائحـــة

ولا بأحسن منها اذ دنـــا الاصـــل

ب ـ أما حذف الهمزة للضرورة فقد جرت عنده هنا فى أربعـــــة مواضع ، فلقد حذف همزة (صنعاء) فى البيت ٢ وهمزة (بيضاء) فى البيت ١١ والالف مع همـــزتها فى (نشـــأت) فى البيت ١٢ وهمزه (خضراء) فى البيت ١٧ ٠

وقد ألمعنا فى غير هذا الموضع الى كثرة هذا عنده ، ومنه حذف ياء (وادى) فى البيتين : ٤،٦ ، ومثل هذا جائز فى الضرورات ٠

القصيدة الخامسة (١)

ـ فى مدح ولى العهد سعود بن عبد العزيز ـ
(الملك الاسبق)

١ ـ بمقدمك الميمون لاح لنا السعد
وفى رأيك المحمود قد عرف الرشـــد

٢ ـ وقابلك الثغر الحجازى باسمـا
من الانس جذلانا وقد هلك الحقـــد

٣ ـ فجئت بحمد الله تصحبك العلا
ففى نشرها مسك وفى طعمها شهـــد

٤ ـ يرافقك الاقبال ما هبت الصبا
وقارنك التوفيق ما زجـر الرعـــد

٥ ـ بك استبشر البيت الحرام وأهله
كما أهرقت بالامس أدمعها نجـــد

٦ ـ وقالت لك التوفيق وهى كئيبـــة
الى السفر المحمود قد صدق الوعـــد

٧ ـ فقلت لها صبرا اليك تيممت
بأجمعها الأشبال والأســـد الـــورد

٨ ـ هم الفتية الغر الذين وجوههـم
عناق فتستشفى بها الاعين الرمـــد

٩ـ كرام يمد الراغبون أكفهـــم
الى أبحر منهم لها باللهـــى مـــد

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٦٢ ٠

١٠ ــ رجوناك حتى أصبح الفعل صادقا
فما خسر الراجى ولا أصلد الزنــــد

١١ ــ لبست من المجد المؤثل حلـــــه
فما زلت فيها مثلما لبس البـــــرد

١٢ ــ ركبت على متن المكارم والعـــلا
فهن ركاب المجد ان ذكر المجـــــــد

١٣ ــ فسر يا ولى العهد سير موفـــق
على الحل والترحال يسعدك الجـــد

١٤ ــ بسفرتك اللاتى أحطت بعلمـــها
فلله ما يخفى ولله مايبدو

١٥ ــ فان شدت بنيانا على الحق والتقى
فذاك الأساس المستقيم لما بعـــــد

١٦ ــ رأيت بعام الأربعين اشـــــارة
بها عرفت فيك الولاية والعهـــــــد

١٧ ــ أبوك الذى ان ضاق أرض بحادث
ستنبيك عن ذاك الحفيظة والجد

١٨ ــ يقوم فلا ينبو عن الامر عزمــه
اذا ما نبا السيف الذى تطبــع الهنــد

١٩ ــ وحل محلا فى ربيعة شاهقــا
هو الكنف الممنوع والسند النهد

٢٠ ــ هناك مقيل الأمن ضاف ظلالـــــه
اذا نهضت من بين غاباتها الأســـــد

٢١ ـ فتى لا يرى ، بدا من البأس والندى
وسيف على الأعداء ليس لـه غمـــد

٢٢ـ رفيق اذا الاهواء جارت بأهلها
فمنهجه حق وسيرتـه قصـــد

٢٣ ـ لقد عرفته الناس بالحلم والتقى
كما عرفت بالحلم أحنفها سعـــد

٢٤ ـ فان قيل عقد المجد فى آل فيصل
فبالملك الميمون قد كمـل العقـــد

٢٥ ـ فيا أيها الشهم الذى ان تعرضت
مناقبه للناس يشكرها الضـــد

٢٦ ـ قد استوفت النعماء منذ تمامها
علينا فمنا الشكر لله والحمـــد

٢٧ ـ أقمت كتاب الله والسنة التـى
توالت على تأييـد صاحبهـا الأزد

٢٨ ـ فلو علم الشيخان أد ويعـــرب
بأنك من عدنان مـــا سمـــحت أد

٢٩ ـ ملكتم زمام الارض طوعا فأصبحت
لديكم فلم يبق عذار ولا خـــد

٣٠ ـ وإن أحد عادى حماها فانهـا
حرام حماها الواحد الأحد الفـــرد

٣١ ـ حرام علينا أن تهان ودونهـا
رقاق الظبى والمشرفى لها جنـــد

٣٢ ـ وهذا امام المسلمين يحيطهـــا
بأنظاره والوفد يتبعـــه الوفـــــد

٣٣ ـ وصل اله العالمين مسلمـــا
على المصطفى والال ما زجر الرعـــد

جو القصيدة العام ومناسبتها :

فى عام (١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤م) ٠ قدم ولى العهد (الملك الاسبق) سعود بن عبد العزيز من الرياض الى مكة حاجا ، وكان الشـــاعر كعادته يرصد المناسبات لتقديم مدائحه ، فما بالك بمثل هذه المناسبة الدينية ، التى تجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها على تباين السنتهم وألوانهم وجنسياتهم ، لكن المناسبة ألفت قلوبهم وجمعـــت أرواحهم ووحدت مشاعرهم ، فاستحقت ان تكون موضوع قصيدة ٠

ولقد صار عيد النحر كل عام ـ وهو أول أيام منى ـ يوم حفـــل يلتقى فيه جملة ، من رجال الفكر الاسلامى وحجاج بيت الله الحرام بالملك أو ولى عهده ، تلقى فيه الخطب والقصائد التى تعالج مشكلات العروبة والاسلام ، على نحو فيه : عرض وتذكير ، وتنبيه للافكـــار ولفت للانظـــار ، ٠

عرض وتحليـــــل :

١ ـ فى الابيات من (١ـ٦) تبدأ القصيدة باظهارالفرحة والاستبشار بمقدم ولى العهد ، تلك الفرحة التى عمت الحجاز وأهله ، فمقدمـــة الميمون يبشر بالسعادة ، ورآيه محمود لان فيه الرشاد ، وكيـــف: لا ؟ وقد كان به هلاك الأحقاد والقضاء عليها ، وتوطيد أسباب الاخـــوة والروابط العريقة ، التى تجمع أبناء تلك البلاد على هدى من كتـــاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا غرابة اذا أن استقبلـــه

الثغر الحجازى والبسمة تملؤه ، بعد أن شاع فيه الفرح والاستبشار بمقدم ولى العهد ، الذى تسير العلا فى موكبه الذى يبشر بالخير •

وما أجمل تصوير شاعرنا لماينتظره الحجاز وحجاج بيت الله الحرام من خير عم على يدى ولى العهد ، بنشر المسك وطعم الشهد •

ويزيد ذلك ايضاحا فى «البيت ٤» فيقول : ان الاقبال والتوفيق رفيقان للممدوح ، لا يتخلف عنهما ولا يتخليان عنه مدى الدهر ، فلا بدع أن استبشر البلد الحرام وأهله بمقدمه ، كما لم يكن غريبا أن تتألم نجد وتهريق دموعها حزنا على فراقه لكنها لا تملك الا ان تدعو له بالتوفيق فى سفره المحبب ، وهل يملى الحب سوى هذا ؟ •

والواقع أن هذه المقدمة فريدة فى بابها لأمرين :

اولهما : تنكيب الأساليب القديمة التى يقطع فيها الشاعر شطرا من قصيدته ، لا يتحدث فيه الا عن المنازل والديار والدمن والأطلال أو المطايا الموصلة الى الممدوح ، أو نحو ذلك ، مما لا جدوى وراءه سوى التمهيد للغرض المقصود •

والثانى : مافى هذه المقدمة من معان جليلة ، استهدفت اظهار ماتم فى ذلك العصر ، من أمن واستقرار وجمع للكلمة وتوحيد البلاد ، ثم ما يتم على يد رئيس الحج ـ الذى هو اما الملك أو ولى عهده ـ من خير وحسن رعاية لحجاج بيت الله الحرام • (١)

٢ ـ وفى الابيات من (٧ـ٩) يتجه الى نجد بالخطاب مصبرا لها على فراق ولى العهد ، لكن بأى شىء يصبرها ويسليها ؟ انه يعزيها بتيمم

---

(١) وذلك مادابت الدولة السعودية منذقيامها على توفيره فى أحسن الصور ، وما زلنا نشهد التقدم فى هذا الميدان كل عام •

الأسد والأشبال القوية اليها ، فمن هذه الاسود والاشبال ، ومن أين أتت ؟ لا أحد يدرى ، الا ان يكون المعنى فى بطن الشاعر ، كما يقولون على أنهم ذوو وجوه عناق تشفى العيون من الرمد وانهم كرام ، الى بحور الندى منهم يمد الراغبون أكفهم لتلقى من لها مدها ما تلقى ، وعلى أى حال فظنى أنه يقصد بالأسود والأشبال اخوان الممدوح وبنيه والله أعلم .

٢ ـ وفى الأبيات من « ١٠ـ١٦» يعود الى مخاطبة ولى العهد ، وانهم كانوا مقيمين على رجائه فما خاب فيه رجاؤهم وما كبا زنده .

ويعنى اننا حين رجوناك وأملنا وافر نائلك ، تحقق لنا ما املنا ورجونا ، فنحن كمن قدح زندا قوى الايراء سريع الاستعمال .

ثم أضفى على ممدوحه بعضا من الصفات ، التى ينميها المادحون عادة الى مدوحيهم من السادة النبلاء ، وأولى الشأن والرياسة فى الامة ، فولى العهدقد لبس من المجد حلة اشتملت عليه اشتمال البردعلى لابسه ، ثم اركبه متن المكارم والعلا لانها ركاب المجد ، ثم دعا له بالتوفيق فى حلة وترحاله وأن يصحبه فى سفرته الجد ، السفرة التى لم يحط أحد بعلمها سوى الممدوح،فكأنه يومىء الى نية كانت مستورة والله أعلم ، ولذا فهو يضيف الى الله ما خفى من أمر ولى العهد وما يبدو منه، لأنه يشيد أسسا للمستقبل ، أقيمت على ركائز من الدين والتقوى .

ويختم هذا المقطع من قصيدته بالاشارة الى قول الشاعر الكبير «محمد بن عثيمين » فى الممدوح بأنه الأصلح لولاية العهد (١) .

---

(١) وذلك كان فى قصيدة نظمها عام(١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م) ، فى مدح الملك عبد العزيز ص ١٧٧ من العقدالثمين منها :

اشدد عرا الدين والدنيا بمنتخب   من عنصر السادة الغر الميامين

٤ ـ وفى الأبيات من (١٧ـ٢٤) ينتقل من مدح ولى العهد الى مدح الملك ، بخطاب مباشره يوجهه الى ولى العهد ، يثنى فيه على أبيه بأن على يديه يكون انفراج الضيق ، الذى تحكمه الأحداث فيمزقه جده ، ويضيف الى الملك كثيرا من الصفات والخلال التى كثيرا ما أضافهـا المادحون الى السادة والزعماء ، كالعزم الذى يفوق فى مضائه : سيوف الهند ، وشرف الحسب والنسب ، والشجاعة والكرم ، فعزمه لا ينبـو وان نبا السيف ، ونسبه يمتد بجذوره القديمة الى ربيعة ، وفى ظل سيوفه وكرمه الأمن والرخاء ، لأنه شجاع كريم ، وأنه لا يجور به هواه عن طريق الحق والاستقامة حين تجور الأهواء بأهلها ، وذلك لأنه حكيم حليم عرف بذلك ، كما عرف به الاحنف بن قيس ، ثم انه جمع الى تلك الصفات الجليلة التقى ، وبه كمل عقد آل سعود •

٥ ـ وفى الأبيات من «٢٥ـ٢٧» يعود الى خطاب ولى العهد ، فيجعل مناقبة تتعرض للناس فلا يملك الضد الا أن يشكرها (والفضل مـا شهدت به الأعداء) ، ثم يثنى عليه بما عم البلاد والعباد من نعم تمت على يديه مما أوجب الشكر والحمد لله عليها ، لكن أجل ما يمدح بـه اقامة الحدود وحماية الشريعة ممثلة فى كتاب الله وسنة نبيه ، الذى نصره الله بالأنصار المنتمين الى الأزد فى نسبهم •

٦ ـ وفى الأبيات «من ٢٩ـ٣٣» يأتى دور الحديث عن البلد الحرام مكة المكرمة ـ التى هى من الأرض بمنزلة الزمام من الناقة ، وقد ظفر آل سعود بشرف خدمتها وسائر الديار المقدسة ، قبل نظم القصيـدة بعشرين عاما ، فمن عاداها فقد عادى الله لأنه ـ جل جلاله ـ هو الحامى لهما ، ونحن فى سبيل الله جنده نذود عنها بأرواحنا وسيوفنا من حول المليك المفدى الذى نذر نفسه لخدمتها ، فجند لذلك الأجناد حتى أمنت سلبها ، فجاءت لها الوفود يتبع بعضها بعضا •

نظرات وتعليـــق :

١ـ تعد هذه القصيدة من جيد ماحواه الديوان من شعر ابن بليهد، ويتجلى لك ذلك فى اتيانها على مستوى واحد : سواء فى ألفاظهـا ، وتركيبها ، أم صورها وأساليبها ، أم فى معانيها واخيلتها ، ثم خلوها من الضرورات ..

٢ـ ومدحه فيها نراه يعمد الى المعنويات : فممدوحه ميمون الطلعة، رشيد الرأى ، أما العلا فانها تسير فى موكبه طيبة العرف حلوة المذاق، وانه ليسعى اليه الاقبال ليقابله فى كل مكان ، ولذا فالتوفيق رفيقه فى حله وترحاله ، اما الاوطان فانها منه بين حالىفرح وحزن ، كئيبـــة ان رحل عنها ، فرحة مستبشرة ان قدم اليها (١) وهكذا ، أمـــــا أخوته اوذووه فانه يمزج فى مدحهم الحسى بالمعنوى فكما مدحهـــــم بالشجاعة والكرم ببياض الوجوه ، زاد أن العيـــون تستشفى بتلـك الوجـــوه (٢) .

ويعود الى الممدوح ليلبسه المجد حلة بعد ان أومأ الى تحقيق ما كان يرجوه منه الراجون ، ثم يركبه متن ركاب المجد وهى المكارم والعلا ، ولان أعماله الظاهرة والباطنةانما يقصد بجميعها وجه الله،فانالتوفيق يسير معـــــه أينما يمـــم (٣) .

ويعزز مدحه بنسبته الى ذلك الاب المستحق المدح والثناء ، لتفريجه الكرب بعزيمته وشجاعته ، ثم انه فى النسب سامى الفروع قوى الجذور ثم انه كريم على نفس (٤) .

---

(١) انظر المقطع «١» .
(٢) انظر المقطع «٢».
(٣) انظر المقطع «٣» .
(١) انظر المقطع «٤» .

واجل ما يمدح به الممدوح ، انه قام الحدود الشرعية ، وحمى الكتاب والسنة المطهرة وامضى حكمها ٠

وهذه السجايا والخلال خير مايمدح به ، خلا بياض الوجوه ووسامتها ، فانها غمزة فى جنب مدحه لكنها خفيفه على أى حال ٠

٣ ــ والصور البيانية فى هذه القصيدة تأتى فى طواعية وانقياد ، لاتشينها المبالغة الممقوته ، ولا يشوهها قصور أو اضطراب ٠

أ ــ فترى فى (البيت ٢٩) استعارته الناقة للارض ، وكيف انه كان فيها غاية الدقه فى الملاحظة والاختيار ، الامر الذى جعله يؤثر الناقه على الفرس ، لما فى الناقه من تنوع المصالح وتعدد المنافع : فهى كالارض تماما كلتاهما تحمل ، وكلتاهما تطعم وتسقى ، وكلتاهما تنتج وتكسو ، خلاف الفرس فانها محدودة المنافع ٠

ب ــ ثم انظر فى (البيت٩) كيف جاء الترشيح والتجريد فى استعارته (الابحر) لاكف الممدوحين ٠

ج ــ ثم انظر البيت ٢ كيف شبه الحجاز فى فرحته بقدوم ولى العهد واستئناسه به ، بالثغر المبتسم ٠٠

د ــ ويستعير فى البيت ٥ الحسناء التى تبكى حبيبها المسافر ، وتدعو له بالتوفيق (لنجد) عند مغادرة ولى العهد لها ٠ ٠

هـ ــ وفى(البيت ١١) يشبه المجد بالحلة الجميلة ، التى لبسها الممدوح فاشتملت عليه ، كاشتمال البرد ٠ وهكذا تسير صورة هادئة مشرقة ، وان كان جلها قديما مطروقا كتشبيهه الاثار الحميدة لرحلة الممدوح بطيب الرائحة وحلاوة الشهد ٠

لكن ابن بليهد ألبس تلك الصورة القديمة ، من جميل عبارته وحسن تأليفه ، ما أضاف الى جمالها جمالا لايخفى على الناظر فيه ٠

٤ ـ والقصيدة على ماهى عليه : من قوة السبك ، وجودة الحبك ، وجلال المعانى ، واشراق الصور ، لاتخلو من هنات ·

أ ـ فمن ذلك قوله : (وقد هلك الحقد) فى البيت ٢ انك لتحس القلق فىهذه العبارة ، وانها عاجزة عن ان تستقر فى مكـانها ، وقد يكون ماحمله على ذلك هو ان يحقق الطباق بين الانس والجذل ، وبين الحقد فانه يكون حينئذ مظهرا من مظاهر التصنع التكلف وذلك أمـر غير مقبول ، وربما كان فى ذلك يبحثعن قافية · .

ب ـ وفى (البيت ١٤) يقع ابن بليهد فى ثلاثة أخطاء ·

الاول : أنه وصف المفرد بصفة الجمع فى قوله : (بسفرتك اللاتى) والصحيح ان يقول : (التى) او يجعل المفرد جمعا ، فيقـول : (بسفراتك اللاتى) ، وهو اصح لغة وعروضا ، ولا غبار عليه فـى المعنى ··

الثانى : قوله (أحطت بعلمها) ، ولا معنى لها هنا الا علم الممـدوح بسفرته ،وهل يأتى انسان عاقل فعلا ، وهو لم يحط به علما؟ الا انيكون معنى (أحطت) سترت خبرها عن غيرك ، كما يستعملذلك العامة ،وفى هذا التفسير انشاط للمعنى ، واذا صح هذا التفسير ، فهل يصح ذلك لغة ؟ لا أعرف اطلاق الاحاطه على الستر والاخفاء ، اذ لم أجد شيئا من هذا القبيل فى اللسان وبعض المعاجم الاخرى ·

الثالث : قوله : (فلله ما يخفى ولله ما يبدو) فان فى هذا نقصافى المعنى وعدم اتضاح المقصود ، ويشعر هو بذلك فيشـرحه فى الهامش بقوله :

فلله مايخفى : الذى يضمره فى قلبه من صلاح للاسلام ـ يثيبه الله عليه ولله مايبدو : هى الاعمال الطيبة ، التى تظهر للناس فيشـكرونه عليها (١) ··

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٦٣ ·

(القصيدة السادسة) (١)

ـ شكر وثناء ـ

١ ـ الطب فى مصر حاز العز بالرتب
حتى استضاء كنور البدر فى العرب

٢ ـ انى قدمت من الارض الحرام وفى
جسمى نحول وقد أزرى من التعب

٣ ـ فجاءنى عمر الجراح منتدبا
للفحص بورك من شهم ومنتدب

٤ ـ تكفيك من عمر هذا خلائقه
من طيب شيم ومن لطف ومن أدب

٥ ـ فكر يشخص ما فى الجسم من مرض
ان كان ملتهبا أو غير ملتهب

٦ ـ فقرروا كل شىء عند حاجته
يجرى بلا نكد منى ولا طلب

٧ ـ فنلت من فضل ربى صحة ومشت
فى سائر الجسم بين اللحم والعصب

٨ ـ انظر الى حالتى يكفيك منظرها
أسبابها عمر بوركت من سبب

٩ ـ فما كبا زنده من حين قابلنى
زند تقابس منه النار باللهب

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٧٦ .

١٠ ـ ذاكى الجوارح ممنوح بأجمعها
عند العلاج بلا أين ولا نصـــــــب

١١ ـ وان نظرت اليه فى تدينـــه
ترى التقى علنا خال من العجـــــب

١٢ ـ وكل من آب مصحوبا بصحته
لله لا طلب الدينـــار والذهـــــب

١٣ ـ طابت نفوسهم من بعد رؤيته
ولم يعد فى نفوس القـــــوم من أرب

١٤ ـ الطيب من طيبه كانت عناصره
منها وهذا التقى فى ذلك النســـــب

١٥ ـ جا من بلاد أقام المسلمون بهـا
ومهجر المرتضى والاهل والصحب

١٦ ـ هذا ابن أسعد لو تدرى بمنزعه
يكفيه مفتخر من دار خير نبـــى

١٧ ـ الله يبقيه ذخرا للفقير كـما
غنيت به نغمات الشعر والخطـــب

١٨ ـ ماسبح الرعد فى أعجاز ساريه
وما انطوى من ليال الدهر فى الحقب

١٩ ـ يبقى بمصر ورب الناس يكلؤه
ينجيه من حادثات الدهر والنـــوب

٢٠ ـ يؤمه كل ذى شكوى بمنزلـه
كأنه القطب بين السبعه الشـــــهب

الجو العام للقصيدة ومناسبتها :

فى عام (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م)، حضر ابن بليهد الى القاهرة للعلاج من شلل نصفى ، ومن ألم فى كتفه الثانى ، وكان علاجه عند الدكتور عمر اسعد وهو طبيب من (المدينة المنورة) اتخذ القاهرة مستقرا ، وكتب الله لابن بليهد على يد هذا الطبيب ان يتماثل للشفاء، فنظم فى ذلك قصيدتين :

الاولى : بعنوان (فرحة الشفاء) أشار فيها الى مرضه وسفره وعلاجه وأثنى فيها على مصر ، وتمنى لبلاده ان تصل الى ماوصلت اليه مصر فى ميدان العلم ٠٠

والقصيدة الاخرى بعنوان (شكر وثناء) وهى التى نحن بصددها ، وهذه القصيدة اخر مافى ديوانه من الشعر الفصيح ٠

عرض وتحليل :

١ـ فى البيت (١) يبدو ان اعجاب ابن بليهد بما وصل اليه العلم فى مصر ، ظل يتزايد حتى دفعه ذلك الى الاشارة اليه فى معظم قصائده ، التى نظمها بعد الشفاء من المرض ، ولا غرابة فى ذلك ، فمصر قد سبقت بلاد الشرق الاوسط عامة فى ميدان العلم ، على ان شفاء الشاعر من مرضه كان له أبلغ الاثر فى نفسه ، ولذا نجده يقول : ان الطب فى مصر صار فى بلاد العرب هو والبدر سواء ، اذ بلغ فيها اعلى مراتبه ٠٠

وهذا المعنى أشار اليه فى قصيدة أخرى قبل هذه ، حيث قال : ان العلم ألقى بوادى النيل أرحله ، وان أبناء مصر حين نالوا مانالوه علم يكتفوا منه بذلك ، بل عملوا فيه بالتجديد والتهذيب ٠٠

العلم ألقى بوادى النيل أرحله

حتى تسنم فيه أرفع السور

قد أدركوا من فنون الطب اكثرها

وهذبوها بلا غلط ولا أشر (١)

٢ ـ وفى (البيت ٢) ينتقل دون توطئه وتمهيد ، الى الحديث عن مجيئه ومرضه ،ووصف ما اعترى جسمه من نحول وشحوب وضمور بسبب المرض ..

٣ـ وكانتقاله من البيت الاول الى الثانى ، كان انتقاله الى الثالث، ليصل الحديث بعضه ببعض حتى نهاية القصيدة ، فلقد استغرق القصيدة ماخلا البيتين الاولين ، فى مدح الجراح عمر أسعد ، وأثنى عليه بالتفانى فى المهنة والاخلاص فى العمل ، والاقبال عليه بكل جد ونشاط وحرص على الدقة والاستقصاء ، لكشف العله وأسبابها ، وتقدير العلاج اللازم ، وأصدق دليل على هذا القول هو ماشعر به الشاعر من نشاط وحيوية وصحة ..

والطبيب عمر أسعد ، مع اخلاصه فى مهنته وتفانيه فيها ، متدين يدفعه دينه الى مايدعو اليه الدين من فضيلة ، فهو فى اخلاصه لايفرق بين المرضى وان اختلفت الطبقات التى ينتمون اليها ، بل يعاملهم على حد سواء ، وذلك لعمرى غاية الاخلاص لهذه المهنة الانسانية ـ مهنة الطب ـ التى تفرض على متعاطيها ان يداوى جراح الناس جميعا، ويطب آلامهم ويضع علمه فى خدمتهم ، ويعمل على راحتهم دون تمييز بينهم .

(١) ابتسامات الايام ص ٢٧٠ .

ويمدح الشاعر الطبيب عمر أسعد بمنبته ، وهى (المدينة المنورة) ليجعل سر ماهو فيه من طيب الاخلاق والخلال راجعا الى انتمائه لموطن المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفى ذلك الفخر كل الفخر ، ثــم يسمو به في مدحه حتى يدعو له بأن يبقى ذخرا للفقير ، محتسبا عمله فى سبيل الله ،ولذلك فهو يدعو له بالبقاء والسلامة مدى الدهر مقصدا للمحتاجين والمرضى ...

ملاحظات وتعليق :

١ـ هذه القصيدة هى اخر مافى الديوان من الشعر الفصيح ، اى أنها نظمت بعد الكثير من القصائد الجيدة ، التى عرضنا للحديث عن بعضها ، ومع هذا تبدو أقل فى مستواها الفنى والجمالى من تلك القصائد التى سبقتها ، فأى نتيجة نخرج بها من هذا ؟ أو ليس الشفاء من المرض حدثا يوجب الفرح والابتهاج والانفعال الباعث على الاجادة ؟.

لعلنا حين نتلمس أسباب هذا الاختلاف نجده فى أحد أمرين :
احدهما : ان الشاعر كان فى دور النقاهة والاستجمام بعــــد مرض أجهده ، فليس عجيبا ان يترك ذلك أثره على فكره .

والاخر : ان الشاعر لم ينفعل بالموضوع ، وهذا قد يحسن استبعاده وذلك انه ان لم ينفعل بشفائه من المرض فبماذا ينفعل ؟ .

على ان اختلاف مستويات القصائد لدى الشعراء ، أمــــر وارد وان نظمت فى زمن واحد ..

٢ ـ ومن أجل مافى هذه القصيدة حسن الاستهلال ، فلقد بدأهـــا بالحديث عن العلم وازدهاره فى مصر ، حتى امتدت اثاره الى سائـــر البلاد العربية ، فهو ـ تماما ـ كالبدر ضوؤه هنا وهناك ، ثم يلمع الى

مجيئه من الديار المقدسة ، مجهدا من المرض ، لينتقل بعد هذين البيتين اللذين افتتح بهما قصيدته الى غرضه ، وهذه خاصية نجدها فى الكثير من شعر ابن بليهد ، اى انه كثير الاخذ بالغرض مباشـــــرة من أول القصيدة ..

٣ ـ وحين ننظر فى مدحه نجده كعادته يمدح بالمعنويات ، انه يمدح الطبيب (عمر أسعد) بالشهامة وكرم الاصل ، واللطف فى المعـــاملة ، وحسن الادب فى الخطاب ، وعمق التفكير والدقه فيه ، والحزم والنشاط والمهارة الطبية والدين والتقى والتسوية بين الناس فقيرهم وغنيهـم ، والاخلاص فى العمل ، ونسبته الى المدينة المنورة ، والكرم ، وانه لهذه الصفات مجتمعة مقصد المرضى والمستشفين ..

فانظر الى هذه الصفات جميعها هل ترى فيها مايعاب المدح به ؟ وهل فيها مالا يلائم الممدوح كطبيب ؟ وهل ترى فيها ما اكره على نسبته الى الممدوح ؟

كلا ، لقد أحسن ابن بليهد أيما احسان ، وان خانه التوفيق فـــى جوانب أخرى كما ستراه فى الفقرة الخامسة ..

٤ ـ والشاعر فى هذه القصيدة قليل الالتفات الى الصور البيانية ، وان لم تخل من بدائع تلك كاستعارته فى (البيت ٩) الزند للعزيمة والمبادرة فى الامور ، وتشبيهه العلم فى مصر بالبدر ..

٥ ـ وفى بعض أبيات القصيدة مايهبط الى مثل أسلوب العامـــة كالبيت الثامن .

وقديما وصفوا شعر أبى الطيب المتنبى ، بأنه كبساط الملوك فيه النوى والذهب كما لم تخل من الضروات مثل حذف الهمزة من (جاء) فى البيت الخامس عشر ..

(القصيدة السابعة) (١)

ـ فى مطلع الشمس ـ

١ ـ فى مطلع الشمس لى أهل وجيران
وأخوة فى سبيل الحق أعـــوان

٢ ـ ولى مرابع أنس قد نشأت بها
أيام غصن الصبا فى العمر فينان

٣ ـ دار قضيت بها صبوات مهتبل
للـــذه مابها دن ودنـــــان

٤ ـ ولاقمار ولا تلويح راقصة
شبه العرايا وفى تلعابها جـــان

٥ ـ ولابنات الليالى الحمر أرخص ما
عزت به فاسد الاخلاق مجـــــان

٦ ـ غدا على الشرف الموءود تبصرها
وليس يرحمها فى النوح انســان

٧ ـ تنوح نوح الثكالى ليس بنفعها
نوح وأخذ انها كانوا وقد بانوا

٨ ـ حال كريه بواد النيل أشهده
لابارك الله فيمن للخنا عانـــوا

٩ ـ دار النقائض مصر فهى جامعة
خير وشر وكفران وايمـــــان

---

(١) أوراق مخطوطه ٠

١٠ ـ الكل يدعو الى مايشتهى وله
فيما ينادى به قول و برهـــــان

١١ ـ والفسق فيها جهارا لاجناح على
من رامه ومكان الذكـــــر ملان

١٢ ـ وللحضارة فيها خير شاهدها
أهرامها وأبو الهول وتيجـــــان

١٣ ـ على فراعنة كانت لهم دول
أخنت عليهم عصور ثم ازمـــــان

١٤ ـ امون مادفعت عنه المنون قوى
جيش لقوته الانام قد دانـــــوا

١٥ ـ ولا دهاقنة التنجيم مانفعوا
ولا معابد فيها قام رهبـــــان

١٦ ـ الكل يسعى ليبقى ملكهم ومضى
لكن له فى ضفاف النيل عنـــوان

١٧ ـ ظلت حضارة وادى النيل فى كنف
الاسلام محفوظةوالقوم قد صانوا

١٨ ـ واتحفوها باثار مقدســـــة
ذكر وفكر وتعليم وبنيـــــان

١٩ ـ والعلم ألقى بوادى النيل أرحله
فما لابنائه للغى قد لانـــــوا

٢٠ ـ هانوا وهانت عليهم أربع شرفت
بأزهر صحنه للعلم صيـــــوان

٢١ـ دع عنك مصرا فما لى فى مرابعها
الا خليل حديث العهد عجــلان

٢٢ ـ يسعى الى حاجة يوما ليدركها
ان نالها خير ما يعروه نسيــان

٢٣ ـ دع عنك مصر فلى فى غيرها وطن
له على مواثيــق وايمــان

٢٤ ـ يانجد انى على العهد القديم كما
عهدتنى ثابت مادام ثهــلان

٢٥ ـ والله لو سكبت أرض الكنانة فى
يمناى در وياقوت ومرجــان

٢٦ ـ ولو نثرن على دربى جآذرهــا
ارواحهن فلن يعروه نســيان

٢٧ ـ قلبى الذى عمرت نجد جوانبه
بحبها وهوى الاوطان فتــان

٢٨ ـ يانجد أنت بلاد المجد مذعرفت
أسماؤه وهفت للمجد أوطــان

٢٩ ـ وأنت دار الالى عزت بعزهــم
بنو العروبة وانقادوا وما دانوا

٣٠ ـ ألا لهم بعد مادلت فعالهــم
على الفضائل اقدام واحســان

٣١ ـ يادار هيفاء ما أوفى على جسدى
يوم وجن الدجى والكون وسنان

٣٢ ـ الاذكرتك مزهوا ومفتخـرا
أشدو فيهريق دمع العين أحـزان

٣٣ ـ أمسيت نائى بدار شط زائرها
والناس فيها لحكم القرش قد دانوا

٣٤ ـ وجوههم كوجوه الصخر جامـدة
وان نضحت ببقشيش لها لانـوا

٣٥ ـ انى لمستعر الاشواق ماتركـت
به النوى غير ظل كان انســان

٣٦ ـ به وبات خيالا ليس يمسكـه
الا تعلل من شاقته أوطــان

٢٧ ـ ثاوبمصر يروض المستحيل بهـا
غدا يعود وللاسعاد عنــوان

٣٨ ـ صحبت فى مصر اخوانا سعدت بهم
دهرا وعاشرنى مالقوم ذئبــان

٣٩ ـ قوم بهم حافظ أبراهيم قد برمت
أخلاقه فمضى بالكره غـــرثان

٤٠ ـ يارب أدعوك دعوى الضارعين بأن
يحوطنى منك توفيق واحســان

٤١ ـ وهب لنا من مديد العمر أوسعه
ياراحم الخلق حنان ومنــان

٤٢ ـ لك الجميل من الاسماء أقدسها
سبوح قدوس والاسماء عنـوان

٤٣ ـ وصل ربى صلاة الصادقين على
من جازت الشهب فخرا فيه عدنان

٤٤ ـ محمد سيد الاكوان قاطبـة
مالاح بدر السنا وانهل هتـان

الجو العام للقصيدة ومناسبتها :

فى عام (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م) • كان ابن بليهد مقيما بمصـر بعد شفائه من مرضه ، الذى قدم من أجل علاجه الى مصر عام (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م) لما شفى بقى فى مصر لامرين : الاستجمام ، وطبـع مؤلفاته • •

وطبعى أن يحن الى بلاده وأهله ، لكن الحديث عن الدار والاهل والاحباب لم يكن وحده موضوع القصيدة ، بل كان للبلاد التى يقيم بها (مصر) النصيب الاكبر فى هذه القصيدة •

وحديثه عن هذين الوطنين ينم عن حب لهما واعجاب بهماوتقدير لأهلهما ، غير ان حديثه عن مصر ركز على أمرين : الاخلاق ، ثـم العلم والحضارة • •

وهو وان عرض لبعض الظواهر الخلقيه لبعض الناس فى هـذه البلاد . التى أنكر اهلها أنفسهم امرهاوعملوا ـ ومازالوا يعملون ـ على محاربتها ، فانه يتحدث حديث الداعى الى الاصلاح المشارك لابنـاء بمصر فى الاحساس ، بقبح هذه المظاهر ووجوب محاربتها ، ولا أدل على ذلك من ذكره لما عرفت به مصر من علم وحضارة ، ولذا فانـه يصفها (بدار النقائض) على ما نراه لدى عرض القصيدة •

عرض وتحليل :

١ ـ كان ابن بليهد كثير الحديث عن بلاده فى شعره ونثره ، ولم يكن ذلك بدعا ولا غريبا ، فحنين الشعراء الى أوطانهم ، وبخاصة البلاد التى ولدوا ونشأوا فيها ، كان يملك عليهم أمرهم فيملئون بذكرها أشعارهم ..

بلاد بها نيطت على تمائمى

وأول أرض مس جلدى ترابها

غير أن الحنين الى الوطن الاول عند ابن بليهد لم يظهر فى شعره، الذى احتواه الديوان على نحو يشبه فيه حديثه عن ذلك الوطن فى مصرياته ، وليس هذا بالغريب ، فمما لانزاع فيه ان النزوح يستثير هواجع الاشواق فتجيش المشاعر والاحساسات ، لذا ترى الحديث عن وطنه يشغل مساحة كبيرة من قصائده المصرية ، وان شاركته فى ذلك مصر التى أعجب بها على نحو ظاهر لا يحتاج الى تدليل .

وابن بليهد فى مطلع هذه القصيدة (١ ، ٢) يظهر شوقه : الى الاهل ، والجيران ، والوطن ، والاخوان ، على نحو يوحى بشوق عارم، وحنين الى الاهل والدار ، وماضى الذكريات .

١ـ وفى الابيات (من ٣ ـ ٧) يثنى على داره بنقائها وطهارتها، وخلوها من مظاهر الفسق والفجور ، التى جرها الاستعمار والسائرون فى موكبه على بعض البلاد العربية ، فهو ينفى عن داره وجود الخمر والقمار والملاهى ، كما ينفى عنها وجود العاهرات .

وفى هذا النفى كله تلمس التحسر والاشفاق على ضحايا التطرف الاخلاقى ، ويتضح لك ذلك فى وصفه للمآل الذى يترقب بنات الليل المرخصات لثمين الاغراض ..

٢ـ ومن (٨ ـ ١١) يزداد اشفاقه على مصر ، التي قويت روابطه بها بعد ان عاش فيها سنين ، فذاق حلاوة معاشرة الطيبين من أهلها ، لكنه من جانب اخر كره مايرى فيها من مظاهر الفسق والفساد، حتى دعا على اولئك الذين عملوا على اشاعته بعدم البركة، لانهم جروا على انفسهم وعلى بلادهم ومجتمعهم من الشر ما أقلق المصلحين والصالحين (١) ٠

ويخشى ان يظن قارىء شعره ، أنه لا يعرف ما لمصر من منزلة ومكانة مرموقة ، في الاخلاق والعلوم والحضارة ، فيشير الى ان مصر هى البلد الذى استطاع ان يتسع للنقائض : فهى تجمع الخير والشر ، والكفران والايمان ، وان لكل داعيته الذى يتفانى فى سبيل ما يدعو اليه ؛ ومن هنا رأى ان أماكن الشر فيها عامرة ، كأماكن الخير تماما ، فالملهى مكتظ بالفساق ، والمسجد عامر بالصالحين وهكذا ٠

٤ ـ ومن (١٢ ـ١٨) ينقله الحديث الى حضارة مصر الفرعونية فالاسلامية ، فيتحدث عن حضارة مصر القديمة متمثلة فى بعض مظاهرها كالاهرام وأبى الهول ، ثم يسوق حديثا عن الفراعنة وملكهم، وما كان لهم من عز وسلطان وجبروت ، يسوق ذلك الحديث للاعتبار بما أصابها ، على الرغم مما كان لهم من مكانة ونفوذ ٠

ثم يشير الى أن مابقى من تلك الحضارة ، ظل محفوظا حتى فى عصر الاسلام الذى أضاف اليها الكثير الجليل ، الذى لم يقتصر على الاثار العمرانية كالازهر ونحوه، بل كانت له اثار فى العلم والفكر أعظم بكثير فى جدواها من الاثار العمرانية ٠

---

(١) يلاحظ فى الايام الاخيرة أن جهوداجدت فى محاربة الفساد ، ونتمنى لها من قلوبنا التوفيق ٠

٥ ـ وفى (١٩ ـ ٢٠) يثنى على مصر بما وصلت اليه من ارتقاء فكرى وعلمى ، لكنه يلوم أبناءها الذين ركنوا الى مالا يرضى من الاخلاق والعادات ، وكان حريا بهم أن ينزهوا هذه البلاد ، التى عمرت بذلك الجامع الخالد (الازهر) الذى كان ومازال ينبوع الفكر، ومستقى العلوم ومنجب رواد الاصلاح فى كل زمان ٠٠

٦ ـ وفى (٢١ ـ ٢٢) يشده الحنين الى وطنه من جديد ، فينصرف اليه عن مصر ، لكنه يصور حال بعض الاصدقاء فى مصر وان كان عهد صداقته بهم حديثا ، ومن رأيه انهم انما صادقوا لحاجة لاتكاد تنقضى حتى تنطوى تلك الصداقه ٠

وكان حريا به ألا يطلق هذا الاطلاق ولا يعمم هذا التعميم ، فليس المصريون كلهم كذلك ، وليس الاصدقاء كذلك فى أى مكان ٠

٧ ـ ومن (٢٣ـ٣٢) يشده الحديث الى وطنه من جديد ، ذلك الوطن الذى له عليه من المواثيق والايمان مايفرض عليه الوفاء والولاء ، فهو يخاطبه مؤكدا ولاءه ووفاءه له ، ويقسم بأنه لو سكبت مصر فى يده ذهبا ونثرت حسانها ارواحها فى طريقه ، اغراء له ، فلن ينسى بلاده وأهله الذين عمر قلبه بحبهم ، وكيف لاوهى بلاد المجد منذ القديم وموطن السادة الامجاد الذين دان لهم الزمان وأهله، ثم انها دار الاحباب ورفاق الصبا ؟ ولذا فهى بلاد حرية بأن يفتخر بها ، كما أنها حرية كذلك بأن يبكى النازح عنها وجدا عليها وتشوقا ٠

٨ ـ وفى (٣٣ـ٣٤) يعود الى الحديث عن مصر وأهلها ، لكنه يجحف فى تعميمه أيضا ، لكن لم يكن ذلك عن كره مصر واهلها ، فأحاديثه التى تنضح بحبه لمصر وللمصريين كثيرة فى هذه القصيدة وغيرها ، لكن المصريين كغيرهم من الناس ليسوا جميعا من الفضلاء،

كما أنهم ليسوا جميعا من الانذال لكن الشاعر ينظر حينا من زاوية فيحكم من خلالها ويبصر النقيصة فيضخمها بكلمته الشاعرة ·

وعلينا ان نلحظ انه ربما لم يعاشر الا طائفة من الذين فرضت عليه ظروفه ان يعاشرهم ، شأنه في ذلك شأن السائحين هذه الايام ، وانهم يشدون قشورا من الحياة هناك لو انصرفوا عنها الى الوجه الاخر لوجدوا خيرا وفضلا وصلاحا ، غير أنا لاننسى أن شاعرنا أشاد في قصيدته هذه وفي غيرها بالمصريين الفضلاء ··

٩ ـ ومن (٣٥ ـ ٣٧) يشده وطنه من جديد الى الحديث عما يستعر داخله من أشواق أصابت جسمه بالنحول ، حتى بات كالظل شوقا ووجدا ، لكنه كان يسعي ليظفر بالصحة من ناحية ، وليخرج بعض اسفار علمه مطبوعه للناس من ناحية أخرى ·

وتكاد تلمس يأسا فيما كان يؤمله من برء كامل يعيده الى صحته ونشاطه ، لكن التفاؤل يغلبه فيبصر عنوان الاسعاد يلوح له في طريقه الى بلده ··

١٠ ـ وفي (٣٨ ـ ٣٩) يظل بين وطنه ومصر ، هذه تشده وتلك تجذبه ثم يقسم أصحابه من المصريين في أول هذا المقطع الى قسمين :

قسم : سعد بهم وسر ، واخرون : فيهم من الطباع ماجعله يصفهم بالذئاب ، ويحس بالحرج من غمزه لبعض المصريين فيعتذر عن ذلك ، بأن شاعر النيل ابن مصر حافظ ابراهيم قد نفر من تلك الخلال وعابها في المصريين · ويهمش على هذا البيت مشيرا الى قصيدة حافظ

ابراهيم التى ألقاها فى مدرسة البنات ببورسعيد عـــام (١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م) ومطلعها ..

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى
فى حب مصر كثيرة العشاق (١)

١١ ـ ويختم القصيدة بالتضرع الى الله ، بأن يحوطه بالتوفيق والاحسان وان يمد فى عمره ، ثم يصلى على النبى ـ عليه الصـــلاة والسلام ـ كما هى عادته فى جميع شعره ..

نظرات وتعليق :

١ ـ يتنازع الحديث فى هذه القصيدة موطنان : وطن الشاعـر الاصلى فى جزيرة العرب ، والوطن الذى يقيم فيه حال نظم القصيدة، وهى مصر ، يجذبه هذا ويشده ذاك ، لذا نجد الحديث عن الوطنين متداخلا ، لكن لايصعب الفصل بينهما ، بل أنك تستطيع ـ لو أردت ـ أن تنثر القصيدة وتركبها من جديد بعد ان تضم كل مجموعة مـــن الابيات الى مايجانسها ، وهذا يعنى ان الشاعر تركها حسب تواردها على لسانه حين النظم ، وتلك سمة من سمات الشعر العربى القديـم ، وابن بليهد قديم فى منهجه واتجاهه ، فلا يصح أخذه بهذا لكن لايجوز لنا اغفال الاشارة اليه والتنبيه عليه .

٢ ـ وتمثل هذه القصيدة مع مصرياته نقلة كبيرة فى شعره ، نحس ذلك فىَ اللفظ والاسلوب والمعانى والصور ، كما نحسه فـــى الاغراض أيضا .

---

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١ : ٢٧٩ ط دارالكتب المصرية .

أ ـ ففى الموضوع نجده يعالج من الأمور مالم يسبق أن عالجه، مستقلا فى قصائده سواء فى ذلك ما احتواه الديوان ، أو ما عثرنا عليه مما لم يحـــوه الديـــوان •

فمن ذلك : الوصف كما تراه فى حلوانيته ، ومنه ما يدخل اجمالا فى باب الشعر الاجتماعى كهذه القصيدة ، كما ان الحنين الى الوطن كان له نصيبه الأكبر من هذه المصريات وهكذا •

ب ـ وفى الأسلوب نجده أكثر تجويدا ، ومهارة فى التأليف ، حيـث تنساب عباراته فى مصرياته انسيابا فيه من الجمال والجلال ، مـــا تفتقر اليه الكثير من قصائده السابقة لمصرياته •

جـ ـ وتأتى ألفاظه فى المصريات سهلة قريبة التناول طيعة ، لا تحس فيها قلقا أو اعتسافا،ومثل ذلك نجده فى بعض من قصائده غيرالمصرية

د ـ ومثل ذلك يقال فى الأخيلة والصور ، فلقد تخلصت فى جملتهـا من تلك الصبغة البدوية ، التى كانت تطغى على صوره ، وجنحت الى ما تمليه الحضارة ، وتفرضه المدنية من صور وأخيلة ، ترى منهـــا بعض ما نعرضه فى الفقرة التالية •

٢ ـ وقد اشتملت القصيدة فيما اشتملت عليه من مظاهر الجودة والجمال على كثير من الصور البيانية والحلى البديعية ، التى جاءت فى الجملة عفو الخاطر دون تكلف وتعمل •

أ ـ فهو فى «البيت ٢» حين يذكر أيام بلاده يتذكر الشباب التى قضاها بها فيراه روضا نضيرا فى أغصانه غضارة ونضارة ،فالعمر عنده روضة الصبا وغصنها الفينـــان •

ويرى الراقصة تتعطف وتتثنى وتتمايل يمينا وشمالا ، فيصورها فى «البيت ٤» بالجنية التى تلعب ، وتراه فى ذلك دقيق الملاحظة ، لا يفوت عليه أمر اخر ـ فهو ـ عندما صور لك الراقصة ، وهى تقف شبه عارية لم يشغله رقصها بقبحه وفظاعته عن تصوير حركاتها وأنها كأنما هى جنية فى تلويها وخفة وسرعة تحركاتها ، والعرب تنسب الى الجن كل أمر فيه غرابة أو بعد عن المألوف ٠

ب ـ وفى البيت السادس يحس ببشاعة هتك العرض ، فلا يجد ما يصوره به سوى «الوأد» فيستعيره له مدللا بذلك على قبح هذا العمل وشناعته ، وهو تصوير رائع بديع ، لأن الشرف اذا ما انتهكت حرمته استحالت عودته الى ما كان عليه من طهارة قبل ذلك ، فهو تماما كالمقتول مستحيل أن يعود الى الحياة من جديد ٠

ومن الصور القديمة فى شعره تصويره فى البيت التاسع ، العلم بالمسافر الذى ألقى أرحله بمصر ، وهى صورة تعطيك مبلغ اجلال ابن بليهد ، وتعظيمه لما وصل اليه العلم بمصر فى تلك الأيام ٠

ومن المجاز المرسل عنده تعبيره فى البيت ٢٨ بالأوطان عن سكانها وهى صورة تشخيصية جميلة أقام الأوطان فيها مقام الحى العاقل ، وذلك أن جعلها تهفو للمجد وتصبو اليه ٠

وحين يشتد به ولهه الى بلاده يصور لك فى «البيت ٣٢» أحزانه فى صورة شخص يبكى فيريق الدموع شوقا وحنينا ٠

جـ ـ وفى حديثه عن وطنه فى البيت الآول ، لا ينسى أنه مصدر الضياء والاشراق ، فيكنى عنه بمطلع الشمس ، وقد يقال : أن هذا

من قبيل الحقيقة ، اذ أن موطنه شرق مصر ومن ناحيته تشرق الشمس ولكنها ليست مطلع الشمس على أى حال ٠

وفى البيت الخامس يكنى عن ليالى العابثين الماجنين (بالليالـــى الحمر) ، وهذه كناية استعمالها فى هذا العصر كثير ٠

د ـ ومن حلاه البديعية هذا الجناس ، الذى يأتى خاليا من التكلـــف جاريا على الطبع فى البيت الثالث ، ثم هذا الطباق : بين الخير والشر والكفران والايمان فى البيت التاســـع ٠

الباب الخامس

• شعر ابن بليهـــد بين الأصالة والتقليد ●

الفصل الاول : تأثر ابن بليهد بالآخرين

الفصل الثانـــى : وقفة مع ابن بليهد فى شعـــره

الفصل الثالـث : الشكل والمضمون والصورة الأدبية والطبع والصنعة

الفصل الرابـع : الخصائص العامة لشعـــره

الفصل الاول

• تأثر ابن بليهد بالآخريـــــن ●

من المعلوم أن الأدب سجل مشاعر الأمة وآرائها (١) ، تجاه الحياة والناس في شتى الميادين (والأدب ـ قبل أن يكون تعبيرا فنيا ـ أفكار تصاغ في ذلك التعبير واراء تصب في قوالبها الفنية وقد ترجع تلـك الأفكار أو هذه الآراء ، في أدب ما الى مادة عامة متوارثة على الأجيال عن آداب كثيرة) (٢) •

والأديب اكثر الناس ارتباطا بالحياة ماضيها وحاضرها ، وهـــو بثقافته الواسعة مرآة تنعكس عليها صور شتى للحياة ، وهذه الصـــور بحكم ارتباطها بثقافة الأديب،لابد ان تكون خليطا من الماضي والحاضر

وهذا كله يعني أن فكر الأديب خاضع لتأثيرات مختلفة ، يكـــون الماضي جزءا كبيرا منها ، وان تفاوت حجم ذلك الماضي في العمـــل الأدبي الذي يقدمه فكر الأديب ، تفاوتت قوة تأثيره •

من هنا نجد أن ثقافة الأديب كثيرا ما سحبت ظلالها على أعمالـه قد تكون ظاهرة يلحظها القارىء من أول نظرة ، وقد تحتاج الى وقفة وشيء من التفكيـــر •

---

(١) انظر الأدب المقارن ـ دكتور محمـــدغنيمي هلال ـ مطبعة مخيمر شارع الجـــيش ص ١٩٠ •
(٢) المرجع السابق ص ١٧٠ •

فلا بدع اذا ان ظهرت ثقافة صاحبنا فى بعض شعره ، كما أومأ هو الى ذلك بقوله غير أنى لا أنكر أن الافكار والملكات يلقح بعضها بعضا وان الشعر ملكة تقوى بالمرانة ، وتتسع بالقراءة والتثقيف وكثـــرة الاطـلاع والمشاهدات) (١) ٠

واذا كنا قد خصصنا آخر الفصل الأخير بظهور ثقافته التاريخيـة فى شعـــره ٠

فاننا نريد هنا أن نتحدث عن أثر الثقافة الأدبية فيه أو ان شئت فقل ، تأثره بالآخرين ، مما قد يحلو لبعضهم أن يسميه سرقة ، وهذا يفرض علينا أن نوضح هذا الامر نوع ايضاح ، نضمنه رأينا فى هذه القضيـــــة ٠

عندما يقع المتأخر على المعنى ، ويكون قد سبقه اليه أحد المتقدمين ويجد الناقد ذلك يسارع الى نسبة قول المتأخر الى السرقـة دون أن يعير أدنى اهتمام لعلم المتأخر أو جهله بما قال المتقدم ، وكأن المعانى والأفكار والألفاظ ملك لجيل دون جيل أو لمتقدم دون متأخر ٠

ونسوا أو تناسوا أن المعانى أمر مشترك بين العقلاء (٢) ، وانمــا الشأن فى تفنن الأديب فيما يلبس ذلك المعنى من معارض ، كما نسوا أو تناسوا أن اللغة أداة للتعبير والافصاح عن المعانى ، اى انهـــــا معارضها التى تتجلى فيها ، وان المعنى قد يرد على نفس المتأخـــــر كوروده لدى المتقدم ، بل قد يتفق الاثنان او يتقاربان فى القالـــب الذى صب فيـــه ذلك المعنـــى ٠

---

(١) أوراق مخطوطه ٠
(٢) انظر الصناعتين ـ ابو هلال العسكرى ـ طبعه عيسى الحلبى ص ١٩٦ ٠

ولقد تنبه الى ذلك أبو هلال العسكرى (١) ، وذكر أنه نفسه مر بهذه التجربة ، فلقد جمع تشبيهين فى شطر بيت ، ثم وجده لبعض البغداديين ·

وليس من عيب فى أخذ المعنى لأن المعانى متداولة ، وانما العيب فى أخذه بلفظه كاملا أو النقص فيه (٢) ، وقد عدوا للسرقة أنواعا كثيرة منها : الاصطراف ، والاجتلاب والاستلحاق ، والانتحال ، والادعاء والاعارة ، والغصب ، والمرافدة أو الاسترفاد ، والاهتدام والنظر والملاحظة ، والالمام ، والاختلاس والموزانة ، والمواردة ، والالتقاط والتلفيق (٣) ·

كما قسموها من ناحية أخرى الى ثلاثة : النسخ ، والمسخ ، والسلخ (٤)

ويستريح النقاد الى مثل هذا ، فيقسمونه الى مباحث وموضوعات فهناك سرقة للفظ والمعنى أو لبعضهما أو لأحدهما او بعضه ،وهناك السرقة الحسنة والمقبولة والمكروهة والممقوتة (٥) وسرقة ناظم من ناظم ، وناثر من ناظم ، وناظم من ناثر ، وناثر من ناثر وهكذا حتى صار هذا البحث من أدق المباحث النقدية وأحوجها الى سعة الثقافة والدراية والرواية والحذق والمهارة فى التأويل والتفسير ، اذ لم يعد هذا مبحثا من مباحث النقد وحسب ، وانما فيه احتيال لاظهار القدرة فى تفسير كلام الآخرين وتأويله ليمكن رده الى قول سبق ·

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٦ ·
(٢) المرجع السابق ص ١٩٧ ·
(٣) كتاب العمده لابن رشيق ٢ : ٢٨٠ ·
(٤) انظر المثل السائر لابن الاثير ص٢٩٩ ·
(٥) انظر الوساطه القاضى عبد العزيزالجرجانى من ص١٨٣ـ٢١٦ ط عيسى الحلبى·

(وربما يدفع الآخذ عن نفسه تهمة السرق ، ولنا أن نصدق أنه لم يتعمده ، لأن ما أخذه ربما يكون تسرب اليه من محفوظة ومدخرة ، وربما يكون وقع له من التأثر) (١) ٠

ولقد شاع في عصرنا هذا نوع من السرقة قبيح ، منه أن يترجم أديب عملا أدبيا اجنبيا فيدعيه لنفسه ، أو أن يسطو على مقاله في مجلة او صحيفة قديمة أو كتاب مجهول ، فيغير العنوان وينسب المقال لنفسه أو بعضا منه (٢) ٠

كما استغلت تهمة السرقة من لدن آخرين في تأويل نصوص خصومهم ، وحملها على السرقة حملا تعسفيا (٣) ، وهذا حديث طويل طائله قليل ، ويكفينا منه ما أوردناه (٤) ٠

ورأينا فى هذا ٠ جواز التقاء شاعرين أو اكثر على معنى او عبارة دون علم أحدهم أو جميعهم بما قال الآخرون ومن أجل هذا لا نتتبع ابن بليهد ، الا فيما كان أخذه فيه ظاهرا فى العبارة والمعنى ، وسوف نقسمه الى قسمين :

أولا : ما أخذ فيه بيتا أو شطرا ، أو بعض شطر بلفظه ومعناه ٠

ثانيا : ما لم يكن كذلك ٠

١ ــ ما اخذ فيه بيتا أو شطرا أو بعض شطر بلفظه ومعناه ٠

(١) نصوص نقدية ــ دكتور محمد السعدى فرهود ص ٢٩٨ ط دار الطباعة المحمدية ٠
(٢) انظر التيارات المعاصرة ــ دكتور بدوى طبانه من ص ٣٥٠ ــ ٣٦٨ ط الانجلو المصرية ٠
(٣) انظر من ذلك الديوان للعقاد ، المازنى ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ط دار الشعب ٠
(٤) انظر فى الموضوع السرقات الادبية ــ بدوى طبانه ــ مطبعة الرسالة ١٩٥٦ م ٠

أ ـ قال ابن بليهـــــد

تبادر بالمعروف مهما أتيتـــــه
كأنك تعطيه الذى أنت باغيا (١)

وقال الشاعر الحكيم زهير بن أبى سلمى :

تــــراه اذا ما جئته متهلـــــلا
كأنك تعطيه الذى أنت سائلـــه

فأنت تراه أخذ بيته من بيت زهير ، غير أن بيت ابن بليهد لا يدل الا على الكرم ، أما هذا البيت لزهير ، فانه يدل على ارتياح الكريـم لكرمه ، بدليل ما يعلو وجهه من تهلل واشراق عندما يأتى اليه السائل وان كان هذا المعنى قد يفهم ضمنا من قول ابن بليهد : (مهما أتيته) أى فى كل اتيان تأتيه ، لكن ابن بليهد فاق زهيرا فى اظهار صفـــة الكرم ، حيث جعل الممدوح يبادر بالمعروف دون أن ينتظر الطلـــب ، بينما تلمس عكس ذلك فى بيت زهير .

واذا كان ابن بليهد قد أخذ معنى زهير وزاد عليه ، فانه قد قصر دونه فى العبارة وتأليف الكلام ، أما كلمة (باغى) فى بيت ابن بليهد فقد جاءت فى اللسان بمعنى طالب الشىء (٢) فهى صحيحة .

ب ـ وقال ابن بليهـــد :

به مهمه لا يهتدى بمنــــــاره
يطوف عليه الجان جذلان يلعب (٣)

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٧ .
(٢) انظر لسان العـرب ١٨ : ٨١ الدار المصرية للتأليف والترجمـــة ـ الطبعة المصورة عن طبعة بولاق .
(٣) ابتسامات الايام ص ٤٠ .

وقال أيضـــــــا :

ترى به أثر الديبان دراســـــــة
للجن فيه وساويس وأزجـــــال (١)

فقد أخذ هذين البيتين من ثلاثة أبيات أحدهما قول بعضهم :

على لاحب لا يهتدى بمنـــــاره
اذا سامه العود النباطى جرجر

والثانى قول الاعشـــــى :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشــــــــة
للجن فى الليل فى حافاتها زجل

والثالث قول محمد بن لعبون من شعراء العامية :

فى صحصح كنه قفا الترس مقلـوب
طرب به الجنى على فقده الذيب

فقد أحسن ابن بليهد فى أخذ المعنى ، وزاد فيه خلو الأرض المقفرة من جميع انواع الحياة ، حتى الحيات التى درست مساحبها فيها لقلتها وان كان هذا المعنى قد يفهم من قول ابن لعبون حين نفى وجود الذئب فيها لبعدها عن مظاهر الحياة ومظان المـــا ء ٠

جـ ـ وقال ابن بليهد :

وجاء على أمر الامام لأنـــــــــه
حليم ويلقى من فواضله ندى (٢)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٨٥ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٥٣ ٠

وآخره مأخوذ من قول الأعشى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام •

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
تراحي وتلقى من فواضله نـدى

وهو اقتباس حسن كما تراه •

د ــ ومثل ذلك قوله :

وسالمهم فيها اذا اتسق الدجـــى
يبيت كما بات السليم مسهدا (١)

فقد آخذ شطره الأخير من قول الأعشى ، فى مطلع القصيدة السالفة الذكـــر :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وبت كما بات السليم مسهـدا

فقد أحسن الاقتباس حين أراد أن يدلل على أن الناجى من الأعداء يبيت ليله قلقا وجلا ، لأن الخوف يطارده والذعر يقض مضجعه •

د ــ ويقول ابن بليـــهد :

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهلـه
ولو سكتوا أثنى الطريق المقوم (٢)

وهذا من قول الآخـــر :

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهلـه
ولو سكتوا أثنت عليك الحقائـب

---

(١) ابتسامات الايام ص ٥٤ •
(٢) ابتسامات الايام ص ٨٠ •

فأنت تراه لم يغير فى البيت القديم غير الكلمتين الاخيرتين :

ثم أنه أضعف المعنى بهذا التغيير ، فأى معنى للكرم يثنى به الطريق المطروق ، ويمكن حمل الكلام على حذف المضاف وهو سالك الطريق ، وحينئذ يستقيم المعنى لابن بليهد كاستقامته لسابقه ٠

و ـ قال ابن بليهد

اذا مدت الأيدى الى الجهل والهوى
فباع حسين فى الضلالة أطول (١)

وقال من قصيدة أخرى :

اذا مدت الأيدى الى المجد والندى
جميعا فباع المقرنيين (٢) أطول (٤)

وقد نظر فيهما الى قول الشاعر القديم :

وان مدت الأيدى الى الزاد لم اكن
بأعجلهم اذ اجشع القوم أعجل

فأبن بليهد قد أحسن اذ نقل الصورة من الحسى الى المعنوى ، ثم انه دلل على براعته فى هذا باستعمال المعنى فى غرضين مختلفين وهما : الهجاء فى الأول ، والمدح فى الثانى بينما هو عند الشاعر القديم فى الفخر ٠

ز ـ وقال ابن بليهد :

لا يدرك المجد من لا يبذل المالا
ولا ينال ذرا العلياء من قالا

(١) ابتسامات الايام ص ٢١ ٠
(٢) آل مقرن : هم آل سعود ، وينسب الفرد منهم ويقال :مقرنى ،وجمعها مقرنيون٠
(٣) ابتسامات الايام ص ١٠٧ ٠

انى سأدرك أقصاها بلا سبـــــب
وأعمل العيس لا حلا وترحـــالا (١)

وهذان منظور فيهما الى قول الآخر :

لا يدرك المجد من لم يركب الخطرا
ولا ينال العلا من قدم الحـــذرا

على أن المعنى عند ابن بليهد أوسع منه عند الآخر ، اذ دل فى بيتيه على أن المجد والعلا لا ينالان الا بسببين : الكرم ، والسعى الحثيـــث فى نيل المعالــــى .

أما بيت الشاعر السابق فقد ناط المجد والعلا بالجرأة وحسب .

وقد يظن أن ابن بليهد نظر فى بيتيه الى قول تركى بن حميد من شعراء العاميــــة :

ومن لا (٢) يقلط شذرة السيف والكيس
يصبح عليه من الليالى ثلومى (٣)

ح ـ وقال ابن بليهد يرثى ابن عمه :

ما بال عينك منها الدمع ينهمــــر
كأنه جدول أو مدجن مطــر (٤)

وهذا مأخوذ من قول ذى الرمة :

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢١١ .
(٢) يقلط : يقدم
(٣) ابتسامات الايام ص ٣٠١ .
(٤) ابتسامات الايام ص ٢٦١ .

ما بال عينك منها الدمع ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب (١)

ولكن ابن بليهد لم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة ، من عدم ملاحظة الشخص الذى يخاطبه ، على أن ابن بليهد نقل القول من المدح الى الرثاء ، وهذا فى أصله مقبول، على أن سكب الدموع فى الرثاء محمود اكثر مما هو محمود فى حديث الغزل الذى فى أول قصيدة ذى الرمة ٠

ط ـ وقال ابن بليهد :

أقلا ملامى فالحديث طويل
وشكواى بين العارفين شكول (٢)

وصدره من قول ابن عثيمين :

أقلا ملامى فالحديث طويل
ومن عادة ألا يلام عذول

على أن ابن بليهد قد نقل المعنى من النسيب ، الى العتب واللوم الذى هو موضوع قصيدته، على أن المعنى مناسب للموضوع هنا وهناك،

ى ـ وقال ابن بليهد فى رثاء بعض العلماء :

على فقد ميمون النقيبة طاهر
فليس لعين لم تفض ماءها عذر (٢)

---

(١) قيل أن ذاالرمه قال هذا المطلع لقصيدةمدح بها احد خلفاء بنى أميه ، وكانت عين الممدوح دامعة ، من هنا عيب عليه هذا،وان أمكن تفسيره على أن الضمير فيه عائد الى الشاعر ٠٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٦٧ ٠
(٣) ابتسامات الايام ص ٢٥١ ٠

وعجزه من قول ابى تمام فى رثاء حميد الطوسى :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم تفض ماءها عـذر

والمعنى هنا واحد والموضوع واحد ، فلا فضيلة لابن بليهد فيه ٠

ك ـ وقال ابن بليهد من القصيدة السالفة الذكر :

لعل ثياب الموت بعد وفاتـــه
من الجنة الخضراءمن سندس خضر (١)

وهذا منظور فيه الى قول أبى تمام فى قصيدته السالفة الذكر أيضا:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتـى
بها الليل الا وهى من سندس خضر

وابن بليهد هنا أقل احسانا من أبى تمام ، الذى جزم فى بيتـه بالصورة الرائعة للمآل الذى يرجوه لصاحبه ، لان ابن بليهد أضعف الصورة هنا بالرجاء والأمل ، أما ربط صورة حمرة ثياب الشهيد فى ميدان الحرب بخضرتها بعد موته ، فقد أتاحها المقام لابى تمام اذ أن صاحبه مات فى ميدان الجهاد ، بينما مات صاحب ابن بليهد على فراشه

ل ـ ومثله قول ابن بليـهد :

جميل وهل فى العرض بعد انتقاله
يكون لأثواب العلا أبدا نشر (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥١ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٥٢ ٠

من قول أبى تمــــام :

أمن بعد طى الحادثات محمـــــدا
يكون لأثواب الندى أبدا نشـــر

وليس لابن بليهد هنا فضل معنى ، اللهم الا فى ابدال (الندى) ب (العلا) وهو ابدال اقتضاه المقام ، لكونه يرثى عالما كريما لا فارسا على على أن اضافة الأثواب الى الندى اكثر عند الشعراء .

م ـ ويقول ابن بليهد فى قصيدته «ذكرى المولد» :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهـــم
طاروا اليه على علاكة اللجم (١)

وهو من قول قريط بن أنيف :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهـــم
طاروا اليه زرافات ووحدانــــا

فابن بليهد هنا لم يتصرف الا فى الكلمتين الأخيرتين ، على أن هذا التصرف قد أعطى صورة بيت ابن بليهد قوة منبعها ، ما توحى بــــه (علاكة اللجم) ـ وهى الخيل ـ من قوة وجلال ، وان كان آخر بيــت (قريط) يوحى بأن القوم نفروا جميعا ، ولا يوحى بذلك بيت ابن بليهـــــد .

ن ـ ومثله من القصيدة نفسها قوله :

هناك أذن للرحمن فأمتــــــــلات
أسماع يثرب من قدسية النغم (٢)

---

(١) أوراق مخطوطه .
(٢) أوراق مخطوطه .

وهو نفس بيت شوقى أخذه ولم يغير فيه سوى المكان ٠

س ـ وفي قصيدته التي عارض بها ـ فيما يبدو ـ على بن الجهـــم اخذ بيتا كاملا من قول المجنون وهو :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر (١)

ع ـ وفي حلوانية ابن بليهد يقول :

يا روضة ضاحك الصبح الجميل بها
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينـا (٢)

وهو من قول ابن زيدون :

يا روضة طالما أجنت لواحظنــــا
وردا جلاه الصباغضا ونسرينـا

وفي تصرف ابن بليهد في الشطر الأول صورة بديعة ، لا تقــــل روعة وجمالا عن صورة بيت ابن زيدون ٠

ف ـ ويقول ابن بليهد في احدى مصرياته :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفــــا
أنيس ولم نسمر وضوء سناك(٣)

وهو قول الشاعر القديــــم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامـــر

---

(١) أوراق مخطوطه ٠
(٢) أوراق مخطوطه ٠
(٣) أوراق مخطوطه ٠

والتغيير فى الكلمتين الاخيرتين لم يغير فى الصورة ، وان كنت أرتاح الى ما يوحى به ختام بيت ابن بليهد، من سورة مشاعره الخاصة عندما تذكر زوجته المتوفاه •

ص ــ وفى القصيدة نفسها يقول ابن بليهد :

تذكرت والذكرى تهيج مــــــرارة
اذا كان من تهوى رهين هلاك (١)

وهو منظور فيه الى قول الآخر :

تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى
ومن عادة المحزون أن يتذكـــــرا

ولقد أحسن ابن بليهد هنا ، حيث أفاد باستمرار مرارة الفــراق الذى تهيجه الذكرى ، بينما لا يوحى بيت الشاعر القديم ، الا بوجود حزن جعل من العادة أن يتذكر المحزون من أحزنه فراقه •

٢ ــ مالم يلتزم فيه النص عند الاخذ •

أ ــ قال ابن بليهـــــد

الجيش والخيل و الخطى عندهـــم
والسيف يعرفهم حقا اذا جردا (٢)

وهو منظور فيه الى قول أبى الطيب المتنبى :

الخيل والليل والبيداء تعرفنـــى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(١) أوراق مخطوطه •
(٢) ابتسامات الايام ص ٤٥ •

غير أن ابن بليهد نقل المعنى من الفخر الى المدح ·

ب ــ قال ابن بليهد :

الا اذا حربوا ضروا وان ندبوا
سروا وان قعدوا أنعم بمن قعدا (١)

وهذا منظور فيه الى بيت حسان ــ رضى الله عنه ــ فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

على أن ابن بليهد حين أخذ معنى حسان وسع دائرته ، بأن جعل ضررهم عاما لمن حاربهم ، كما جعل نفعهم كذلك عاما لمن ندبهم واستنجد بهم ، سواء أكان من أشياعهم أم من غيرهم ، وزاد عليه بأن جعلهم أهلا للمدح والثناء فى حالى حربهم وسلمهم ·

جـ ــ ويقول ابن بليهد :

أقول اذا صدت عن الحق أعين
هناك بيان لو تكلم أسود (٢)

وهذا بيت نظر فيه المثل القائل «عندك الخبر لو تكلمت يا أسود» وأسود هذا جبل قتل رجل من العرب عنده ،فعجز أهله عن معرفة القاتل فقال أحدهم ذلك القول ، ولقد أحسن ابن بليهد فى هذا الاقتباس ·

---

(١) ابتسامات الايام ص ٤٦ ·
(٢) المرجع السابق ص ٦٧ ·

ـ وقال ابن بليهـــد :

تيممت في غبر البقاع فـــلا أرى
يجوز على سفح الفرات التيمم (١)

وهذا منظور فيه الى الأثر «اذا حضر الماء بطل التيمم» ٠

واذا كان ابن بليهد قد أحسن الاقتباس هنا أيضا فان القارىء يحس فيه تعريضا بأناس فضل الشاعر الملك عبد العزيز عليهم ٠

ولولا أننا لم نعثر على شعر لابن بليهد ، يمدح فيه غير الملك عبد العزيز وأبنائه ، لقلنا أنه كان يلمح الى ضألة أعطيات اولئـك ، اذا قيست بأعطيات الملك عبد العزيز ، فهم كغبر البقاع ، بينما الملك عبد العزيز يشبه نهر الفرات ٠

د ـ وقال ابن بليهـــد :

لاتتخذ غير أطراف القنا خدنا
فوقعها غير وقع الحبر والخطب (٢)

وهذا منظور فيه الى قول ابن عثيمين :

العز والمجد فى الهندية القضـب
لافى الرسائل والتنميق للخطـب

وكان ابن عثيمين قد أخذه بدوره من قول أبى تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتـــب
فى حده الحد بين الجد واللعـب

---

(١) ابتسامات الايام ص ٨٠ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٩١ ٠

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريـــــب

وعندى ان بيت ابن بليهد ، اجمع للمعنى وان كان أقل تفصيلا له، وذلك لجعله الرماح موضع الاخلاء والاصفياء ، لانها أصدق فعلا وخبرا

و ـ وقال ابن بليهد :

ما تقصد العرب تأمينا لخائفهم
الا أذا قصد الهندى والأسل (١)

وقال من قصيدة أخرى :

لا ينفع القول الا بعد ملحمـــــة
يضحى بجانبها المران ينحطـــــم

وهذان منظور فيهما الى قول أبى الطيب المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الـــدم

فأما البيت الاول ، فانه قريب من قول أبى الطيب معنى وصورة ٠

وأما فى الثانى ، فأنه يزيد فيه تسليم الحكم فى فصل الخطـــاب لنقوة والسيطرة فى ميادين الحروب ، وأن الكلام تأتى مرتبته بعـــــد الفعــــــل ٠

ز ـ وقال ابن بليهـــد :

فما فى انتقال المتقى من اســـاءة
اذا حسنت عنه الأحاديث والذكر (٢)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٣٠ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٥٣ ٠

وهذا مأخوذ من قول أبى تمام :

فتى كلما فاضت عيون قبيلـــــــة
دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فابن بليهد ، يرثى عالما تقيا يعد فقده فجيعة على الناس جميعا ، لكن موت التقى ليس بفجيعة ما دام ذكره الحسن باقيا ·

وأبو تمام يرثى قائدا وبطلا شجاعا ، أوجع فقده قبيلته حتـــــى فاضت عيونها دما ، لكن يهون ذلك ذكره الحسن الذى تشرق بـــــه ، الاحاديث والذكر ، فالمعنيان متقاربان وان كان أبو تمام أقوى فــــى اظهار الفجيعة والتدليل عليها ، الى ما جمل به بيته من الطباق ·

ح ـ وقال ابن بليهد :

فلم يبق الا موقد النار حولـــــه
رواكد أمثال الحمام بواقيـــا (١)

وهذا منظور فيه الى قول المضرس بن ربعى :

لمن الديار غشيتها بالاثمـــــــد
بصفاء لينة كالحمام الركـــــد

فكلاهما شبه الأطلال بالحمام الوقع ·

ط ـ وقال ابن بليهـــــــد :

أسائلها عن أهلها أين يممـــوا
وهل يسألن من لايجيب المنايا (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ ·
(٢) ابتسامات الايام ص ١٥ ·

وهذا من قول الأعشى :

ما بكاء الكبير بالأطـــــــلال
وسؤالى وما ترد سؤالـــــــى

ى ـ وقال ابن بليهد :

خليلى عوجا يسلو القلب ساعـــة
بتذكار من يهوى اذا كان نائـــيا

وهذا منظور فيه الى قول الشاعر جميل بن عبد الله صاحب بثينة:

يموت الهوى منى اذا ما لقيتهـــا
ويحيا اذا فارقتها فيعـــــــود

فالمعنى هو هو وان كانت دلالته لدى جميل أوضح ، كما أن الصورة لديه أبدع وأروع ٠

فابن بليهد قد حسن الأخذ فى المعنى ، الا أنه لم يستطع مجـــاراة جميل فى : الأسلوب ، والصورة ٠

ك ـ وقال ابن بليهد فى وصف الخيل :

جياد اذا حل الجلاد كأنهـــــــا
جلامد طود من ذرا النيق تنــزل (١)

وهذا منظور فيه الى قول امرىء القيس فى وصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبر معـــــــــا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢ ٠

غير أن ابن بليهد لم يعط صورة عن الخيل الا فى اقدامها عنـــد الهجمة ، بينما أعطانا امرؤ القيس صورة الحصان فى حالتى : الكـر والفـــــر » ٠

ل ـ وقال ابن بليهد في ذكرى المولد ، يصف اهتزاز ايوان كسرى يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم ٠

ماهزه الذعر كلابل به رقصت
امال فارس تحدى بالهوى النهم (١)

وهذا منظور فيه الى قول أحد شعراء مصر :

مازلزلت مصر من كيد يراد بها
لكنها رقصـــت من عدلكم طربا

لكن ابن بليهد أحسن فى التعليل وأبدع ، أما الشاعر المصرى فانه يمدح ويعلل للزلزال ٠٠

م ـ وفى القصيدة نفسها يقول :

فطمأنته بأن الله مكرمــــه
خديج هاتى دثارى واضغطى قدمى (٢)

وهذا منظور فيه الى الخبر الوارد عن قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يخاطب خديجه بعد أول لقاء بجبريل عليه الســـلام (دثرونى دثرونى) وهو اقتباس حسن كما تراه ٠

وفى قصيدته الميمية التى نظمها فى ذكرى المولد ، كثير من امثـال هذا البيت ضمنت أخبارا ، عن صفات النبى وسيرته العطرة ٠

---

(١) أوراق مخطوطة ٠
(٢) أوراق مخطوطة ٠

ن ـ وفى معارضته لعلى بن الجهم يقول :

ولى صارمان من حسام ومقول
فعولان بالفساق ما لبدو والحضر (١)

اذا صلت صال الموت فى حد صارمى
وان قلت فالقول البليغ بما أطرى

وهذا منظور فيه الى قول حسان رضى الله عنه :

لسانى وسيفى صارمان كلاهما
ويبلغ مالا يبلغ السيف مقولى

فأنت ترى ، أن الفاظ الشطر الاول من البيت الاول لابن بليهد ، هى الفاظ الشطر الاول من بيت حسان ـ رضى الله عنه ـ الا ان ابن بليهد نثرها وألفها تأليفا جديدا اعطاها صورة أجمل ·

ثم ان حسان فضل بيانه على لسانه ، اما ابن بليهد فقد جعلهما فى مرتبه سواء ·

ثم ان ابن بليهد قيد فعل لسانه وسيفه على الفساق من البدو والحضر ، ولم يرد مثل هذا فى قول حسان ـ رضى الله عنه ـ ، وقد يقال ان الاطلاق يفضل التقييد ··

س ـ وفى القصيدة نفسها يقول :

وأفعال آبائى قلائد دهرهم
وللمرء ماتجرى به ألسن الدهر

ويارب شخص قام يوم كريهة
ومكرمة كالالف فى حازب الامر

---

(١) اوراق مخطوطة ·

وألفان قد لايدركوا شأو واحد

فليس لهم ماحاز من رفعة القدر

يعيش الفتى دهرا ليترك بعده

أحاديث فاحذر أن تكون من الشر (١)

وهذه الابيات الاربعة مأخوذة من قول ابن دريد :

والناس ألف منهمو كواحد

وواحد كالالف ان أمر عنا

وانما المرء حديث بعـــده

فكن حديثا حســنا لمن وعا

ع ـ وقال ابن بليهد :

أرى النأى أورى فى الجوانح ناره

ألا فاطفىء نار النوى بصباك (٢)

وهذا منظور فيه الى صدر بيت أبى فراس الحمدانى :

تكاد تضىء النار بين جوانحى

اذا هى أذكتها الصبابة والفكر

فأنت ترى أن ابن بليهد ، حين أخذ المعنى أضفى عليه من جمـال التصرف والاضافة ما أخرجه مخرج الجديد ، وذلك أنه جزم باشتعال النار فى الجوانح بفعل النوى ، بينما عبارة أبى فراس المصدرة ب (تكاد) تفيد التوقع والترقب ، وزاد ابن بليهد هذه الصبا ، التـــى تطفى نار العشق عندما تسرى من نجد •

---

(١) أوراق مخطوطة •
(٢) أوراق مخطوطه •

ف ـ وقال ابن بليهد :

قوم اذا غلبوا فى الحرب لاجزع
منهم ولا فرح يبدو اذا غلبوا (١)

من قول حسان يمدح أصحاب النبى من المهاجرين والانصار :

لايفخرون اذا نالوا عدوهم
وان أصيبوا فلا خورولاهلع

فمعنى ابن بليهد هو نفس معنى حسان ، الا أن ابن بليهد أفاد ان ممدوحيه لثقتهم بأنفسهم وتعودهم الانتصار ، لايفرحون عند تحقيقه، بينما نفى عنهم حسان التفاخر به ، والمبالغة واضحة فى المعنيين ٠

ص ـ وقال ابن بليهد :

تعود بسط الكف طبعا فماذرت
رياح الندى الا عطاياه أجزل (٢)

وهذا من قول الاخر :

تعود بسط الكف حتى لو انه
ثناها لقبض لم تطعه أناملـــه

على أن ابن بليهد ، حين أخذ المعنى زاد فيه أن فضل أكف الممدوح، فى كثرة اعطياته وسرعتها فى ذلك على الرياح ، فأحسن ٠

ق ـ وقال ابن بليهد :

وألقى عصا موسى هناك فأبطلت
ذوى السحر لايدرى الى أين يمموا (٣)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٥٠ ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٣ ٠
(٣) المرجع السابق ص :١٢ ٠

منظور فيه الى الاية الكريمة ـ (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف مايأفكون) (١) ٠

ونظرة سريعة الى ما أسلفناه ، من نماذج تمثل تأثر ابن بليهد بالاخرين ، كفيلة بان تجلو لنا أسلوب ابن بليهد فى الاحتذاء والتأثر، وهو أسلوب بمافيه من حسن تصرف وأخذ ، يدل على ما للرجل من : ملكة شعرية ، وثقافة أدبية قديمة ، وثروة لغوية ، مكنته من الوصول الى ماينشده من صور وغايات كما تجلى لنا ذلك كله فيما قدمناه ونقدمه من مباحث استهدفت الابانة عن بيانه ٠

ولم نكن فى ذلك من المبالغين ، فدليل صدق احكامنا ماثل فيما نستشهد به ونمثل من نصوص أدبه ، ومما يغلب على الظن وترتاح له النفس أن ابن بليهد لم يتعمد الاخذ من السابقين ، وانما علق ذلك بشعره نتيجة لكثرةمحفوظه لاشعار الاقدمين ، وطول نظره فى تلك الاشعار ٠

ويؤيد ذلك أن ابن بليهد كان قليل المعارضة لاشعار الاقدمين ، الا فى قصائد معدودة لاتتجاوز ثلاث قصائد (٢) ٠

فشأنه فى هذا الاخذ شأن البارودى ، وأمثاله (ترد على لسانه كلمات أو أبيات من أشعار القدماء دون ان يدرك لانها من محفوظه ٠ فمصدرها اعتداده بنفسه واعتماده على ذاكرته وعدم دراسته المنظمة) (٣) ٠

---

(١) الاية ٤٥ من سورة الشعراء ٠

(٢) هى : ١ ـ محاكاته لعلى بن الجهم فى رائيته (عيون المها) ٢/ ومحاكاته لابن عثيمين فى بائيته (دعتك طيبة فانهض)٣/ ومحاكاته لمطلع قصيدة الفرزدق، التى وصف فيها الذئب ، وذلك فى قصيدتا (وذئب جسور الخطو ٠٠) وكلها سبقت فى فصل الموازنات فى الباب الرابع ٠

(٣) فى الادب الحديث ١ : ٢٣٦ ـ عمرالدسوقى ـ مطبعة الرسالة ٠

ومما يجمل أخذه بعين الاعتبار عند دراسة شعر هذا الرجل ، البيئة الفكرية التى كانت أيام ابن بليهد (١)، فلقد كان الشعر فى أيامه أشبه بالهياكل اللفظية ، الخالية من الروح الشعرية المقفرة من رائع الصور وبديع الخيال ، كما غلب الهزال على معانيه والضعف على تأليفه ٠

وهذا فى حد ذاته كاف لان ينزل ابن بليهد منزلة الرائد ، لعشاق الادب الرفيع والشعر الجيد فى عصره، وعلى الرغم من وجود المدارس الادبية، والمذاهب الشعرية المختلفة فى أيامنا هذه ، فان مذهب ابن بليهد فى الشعر مازال متعشقا لدى كثير من أبناء هذا العصر ٠

(١) انظر الفصل الثانى من الباب الاول ٠

الفصل الثاني

ـ وقفة مع ابن بليهد فى شعره ـ

فى هذا الفصل نلم بشىء مما أخذنا به ابن بليهد فى ديوانه (ابتسامات الايام فى انتصارات الامام) وما عثرنا عليه من شعره ، وتدور هذه المآخذ حول أمرين :

الاول : مقابلة بين قصائده المنشورة فى الديوان وغيره ، الثانى ملاحظات عروضية ولغوية ..

غير أننا نريد ان نضع بين ايدى هذا الفصل هاتين الملحوظتين :

أولا : ان الخطأ من سمات البشر ، وكما قال الشاعر :

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ثم ان ابن بليهد أقبل على الشعر فى زمن كان الناس فى بلده عنه من العازفين ، لاسباب أشرنا اليها عند حديثنا عن الشعر فى عصره ، فهو لذا كان من الراغبين فى تجديد الشعر ، وان جاء عمله تقليدا لنسابقين .

ونحن مانزال نقرأ ماقاله القاضى الجرجانى فى كتابه (الوساطة بين المتنبى وخصومه) ونرتاح اليه ، وهو قوله : وأى عالم سمعت به ولم يزل ويغلط ! أوشاعر انتهى اليك ذكره لم يهف ولم يسقط ، ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لايمكن لعائب القدح فيه ، اما فى لفظه ونظمه او ترتيبه وتقسيمه ، او معناه ، أو اعرابه .. ولولا ان أهل الجاهلية جدوا بالتقدم ،

وأعتقد الناس فيهم انهم القدوة ، والاعلام والحجة ، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذله ومردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميـــل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر فـــى الذب عنهم كل مذهب ، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام) (١) .

فاذا كان القاضى الجرجانى قال هذا القول ، فى أناس سبقـــوا غيرهم فى ميدان الشعر ، وكانوا فيه أهل الاختراع وآلافتراع ، فما بالك بمن يقلدهم ويحتذى حذوهم ، وكل امله ان يصل الى ماوصلوا اليه ؟ ، وذلك هو موقف ابن بليهد وامثاله من الشعراء ..

ثانيا : ولقد عثر تعلى نسخة للديوان صححها الشاعر نفسه ،. وكتب فى أول صفحة من الديوان مايأتى :

(كانت بين يدى عند طبع هذا الديوان نسختان مخطوطتان ، احداهما مصححة ، والثانية غير مصححة ، وقد قدمت النسختين سهوا الـــى المطبعة فبنوا على غير المصححة ظنا منهم أنها استنسخت بعد التصليح ولم أتبين ذلك الا بعد سنة من انتهاء الطبع ، فصححت هذه النســـخة لتكون الاساس عند اعادة الطبع ، سنة ١٣٧٢هـ).

وقد اعتمدت النسخةالتى صححها ـ رحمه الله ـ الا ماغلب على ظنى انه خطأ مطبعى .

ـ مقابلة بين قصائده المنشورة فى الديوان وغيره ـ

لقد وجدت بعضا من قصائد الديوان منشورة فى الصحف المحلية، واخرى منشورة ضمن قصائد مختارة من شعر الشاعرين : ابـــــن عثيمين ، وابن بليهد ، فى المدح والرثاء ، فقابلتها بعد استنساخها بالديوان ، فوجدت شيئا من الاختلاف فى بعض الابيات : أما بحذف بيت أو اكثر ، أو ابدال كلمة بكلمة او نحو ذلك ، فاثبتها فى هذا الجدول الاتى ، على ان اعقبها بدراسة أتلمس فيها أسباب هـــذا التغيير ومبعثه ، غير أنى لم التفت أيضا هنا الى ما غلب على ذهنــى أنه خطأ مطبعى .

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ ص٤ القاضى الجرجانى ـ مطبعة عيسى الحلبى .

قصائد مختارة من شعر ابن عثيمين وابن بليهد

م	نص الابيات بالديوان	رقم البيت والصفحة	نص الابيات من قصائد مختارة	تاريخ النشر: العدد	التاريخ والصفحة
١	انى سادرك اقصاها بلا سبب / واهمل العيس لاحلا وترحالا ٢	٢١١	انى سادرك أقصاها بلا نصب / واهمل العيس لاحلا وترحالا ٢	١٣٤١	١١
٢	سارت من العارض النجدى دولته / بالامر تدلج أبكارا واصالا ١٢	٢١١	سارت من العارض النجدى كتيبته / بالامر تدلج ابكارا واصالا ١٢	،،	١٢
٣	حتى تقول مغيد فى ديارهم / كأن فى عرصات الارض زلزالا ١٥	٢١٢	حتى تقول مغيد فى ديارهم / كأن فى جنبات الارض زلزالا ١٥	،،	،،
٤	سارت اليهم بنو الاسلام كلهم / والعيس ترقل فى الفيفاء ارقالا ١٦	٢١٢	سارت اليهم جنود الله مسرعة / والعيس ترقل فى الفيفاء ارقالا ١٦	،،	،،
٥	فلانجا منهم الا قلائلهم / وقرب الله للباغيين اجالا ١٩	٢١٢	فلا نجا منهم الاقلائلهم / وقرب الله للباقين اجالا ١٩	،،	،،
٦	ما أصدر البيض من هام العدا أبدا / الاوقد أخذت علا وانهالا ٢٥	٢١٢	ما اصدروا البيض من هام العدا أبدا / الا وقد أخذت علا وانهالا ٢٥	،،	١٣
٧	ان الذى ادرك الاعداء يدركه / ولو تبوأ فى نجران محلالا ٣٠	٢١٣	ان الذى ادرك الاعداء مدركه / ولو تبوأ فى شهلان (١) محلالا ٣٠	،،	١٣
٨	ويصطفى من بنى الاخيار كل فتى / ويصطفى كل زاكى الاصل مفضالا ٣٤	٢١٣	ويصطفى من بنى الاخيار كل فتى / ويجتبى كل زاكى الاصل مفضالا ٣٤	،،	١٣
٩	٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ / ٠٠٠٠ ٠٠٠٠	ـ	ومن تقاصر خوفا من جريرته / يرى الحديد قبيل الصبح اشكالا ٤١	،،	١٤
١٠	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٦٠ / ٠٠٠ ٠٠٠		والا من فى معصم من أم جانبه / يضحى لديه يقر العين والبالا ٤٢	،،	١٤
١١	وقل لهم عن لسانى قول مبتجح / وقد رأى فيهم للجد اقبالا ٤٢	٢١٣	وقل لهم عن لسانى قول مبتهج / وقد راى فيهم للجد اقبالا ٤٤	،،	١٤

---

(١) وقد أورد تعليقا فى قصائد مختارة (شهلان جبل معروف ، بالشين المعجمـــــة ، باقصى المغرب ، وفيه قول الشاعر :
بنانك من مغدودق المزن أهطل وباعك من رضوى وشهلان أطول) ٠

م	نص الابيات بالديوان	رقم البيت	الصفحة	نص الابيات بصحيفة (أم القرى)	العدد	التاريخ
١	واصبحت غضة خضراء باسمة / واصبحوا اهلها فى مربع خضر	٧	١٤٤	واصبحت غضة خضراء باسمة / واصبحوا أهلها فى ارفع السور	١٥٥	جمادى الثانية
٢	لكننى فى ذرا قوم أقيم به / مهذب ماجد من سادة غرر	٣٢	١٤٦	لكننى فى ذراشهم ألوذ به / مهذب ماجد من سادة غرر	،،	سنة ١٣٤٤
٣	سل الدار من ذى قار أو جنباته / به أصدروا سمر القنى وهى نهل	١٨	١٠٨	سل الواد من ذى قار أو جنباته / به اصدروا سمر القنى وهى نهل	١١٠	١٣٤٥/٧/١٧
٤	يفوه له بالحمد حاف وناعل / وساق اليه الشكر ماط ومرجل	٣٠	١٠٨	أفاه له بالحمد حاف وناعل / وساق اليه الشكر ماط مرجل	١١٠	،، ،،
٥	أقام بساحات الامام كأنما / أشيد له بين السماكين منزل	٣٢	١٠٨	أقام على الكريم فيهم كأنما / أشيد له بين السماكين منزل	١١٠	،، ،،
٦	... ... /	...	...	واختم قولى بالصلاة على الذى / حوى الفضل وهو الافضل المتفضل	١١٠	،، ،،
٧	... ... /	...	...	واصحابه والال ماهبت الصبا / ومالاح نور النجم والليل أليل	١١٠	،، ،،
	... ... /	...	...	واختم قولى بالصلاة مسلما / على المصطفى ما انشق للفجر مطلع	١٢٩	١٩٤٥/١١/٢٥
٨	... ... /	...	...	واصحابه والال ماذر شارق / ومالاح برق اخر الليل يلمع	،،	،، ،، ،،
	... ... /	...	...	واختم قولى بالصلاة مسلما / على صاحب القبر المقيم بيثرب	١٢٢	١٩٤٥/١٠/١٣
	... ...	...	...	واصحابه والال مالاح بارق / وما انهل ودق وارتوى كل سكب	،،	،، ،، ،،

م	نص الابيات بالديوان	رقم البيت	رقم الصفحة	نص الابيات بصحيفة (أم القرى)	العدد	تاريخ النشر ورقم العدد التاريخ والصفحة
٩	وقد لبست منه الليالى محاسنا فحيا محياه البلاد وسلما	٢٠	٩٥	فتى لبست منه الليالى محاسنا فحيا محياه البلاد وسلما	٥١	١٩٤٤/٦/٢
١٠	به همة قد قومت عزم رأيه فما يصدق الخطى حتى يقوما	٢١	٩٥	غزا فى حروب قومت عزم رأيه ولا يصدق الخطى حتى يقوما	٥١	،، ،، ،،
١١	... ...			وفيهم يرام العفو عن كل مجرم أتاهم فى الهيجا ليوث اذا كروا	٩٦	١٩٤٥/٤/٨
١٢	... ...			وأختم قولى بالصلاة مسلما على المصطفى والال ماطلع الفجر	،،	،، ،، ،،
١٣	... ...			ثم الصلاة على الهادى وشيعته وآله مابدت فى الظلمة الشهب	٢٢٥	ذى القعده سنة ١٣٤٧
١٤	ماتقصد العرب تامينا لخائفهم الا اذا يقصد الهندى والاسل	٣٥	٢٣٠	ماتقصد العرب تامينا لخائفهم الا اذا انقصد الهندى والاسل	٢٦٦	شعبان سنة ١٣٤٨
١٥	ثم الصلاة على الهادى وشيعته وآله ما استهل المدجن الهمل	٤١	٢٣١	ثم الصلاة على الهادى وشيعته وآله ما استهل المدجن الهطل	،،	،، ،، ،،
١٦	... ...			باى ثغر ترى راياتكم خفقت الا راينا عليها السعد قد خفقا	٣١٩	شعبان سنة ١٣٤٩

م	نص الابيات بالديوان	رقم البيت	رقم الصفحة	نص الابيات بصحيفة (أم القرى)	رقم العدد	التاريخ
١٧	هذا اليقين الذى كنا نؤمله					
	انظر ترى لمحا فى أول الكلم	٢٢	١٥١	... ...		
	ثم الصلاة على الهادى وشيعته			... ...	٤٤٣	صفر سنة ١٣٥٢
	ماغرد الطير فى الاجزاع من اضم	٢٣	١٥١	... ...		
١٨	ياليتنى معهم فى كل مرحلة			... ...	٤٤٣	،، ،، ،،
	للحرب والسلم والاشعار والخطب	٨	١٥٨	... ...		
١٩	الا بطبع زكى الاصل والدهم			... ...	٥١٠	جمادى الثانية
	يسمو الى الذروة العليا من النسب	١٥	١٥٩	الا بطبع زكى الاصل والدهم		سنة ١٣٥٣
	... ...			سما الى الذروة العليا من النسب	،،	،، ،، ،،
	... ...			هنيت من ملك سادت بنوه كما		
٢٠	... ...			سادت بنو مضر الحمراء من العرب	،،	،، ،، ،،
	... ...			اذا رأينا نجيبا منكم فلقد		
	... ...			نرى الشهامة فى أبنائه النجب	،،	،، ،، ،،
	... ...			انا نهنيك باليوم الذى طلعت		
٢١	نعم رأيت سرورا عند مطلعه			عليك أوجههم فى أشرف الرتب	،،	،، ،، ،،
	وافتر ثغر الرضا عن مبسم عذب	٣٠	١٦٠	... ...		
				... ...	٥١٠	سنة ١٣٥٣

م	نص الابيات بالديوان	رقم البيت	رقم الصفحة	نص الابيات بصحيفة (أم القرى)	رقم العدد	التاريخ
٢٢	عن الحجاز الى نجد وساكنه خاض المفازة بين الاكم والكثب	٢٩	١٦٠	من الحجاز الى نجد وساكنه خاض المفازة بين الاكم والكثب	٥١٠	سنة ١٣٥٣
٢٣	كان انخفاض الناس عند سريره من الحزن عبادا ببعض المساجد	٥	٢٥٩	... ...		
٢٤	تضىء له آراؤه وسيوفه على كل يوم قاتم الموت مظلم	١٩	١٢٦	تضىء له آراؤه وسيوفه على كل يوم قاتم اللون مظلم	٥٨٧	ذو الحجة ١٣٥٤
٢٥	كأن فؤادى موثق بضريحه ولو أنه فى المهمه المتباعد	٦	٢٥٩	كأن فؤادى موثق بضريحه ولو أننى فى المنزل المتباعد	٦٩٧	صفر سنة ١٣٥٧
٢٦	فوالله مافى الدهر والعيش لذه تمر وأبقى خالدا بعد خالد	١٠	٢٥٩	فوالله مافى الدهر والعيش لذة تمر وأبقى عائشا بعد خالد	،،	،، ،، ،،
٢٧	كأن لم يجر الجحفل الضخم فى الدجا خميسا كامثال الجبال الرواكـد	١٧	٢٦٠	... ...	،،	،، ،، ،،
٢٨	ولاركب الخيل العتاق الى العدا بسمر القنا والمرهفات الحدائد	١٨	٢٦٠	... ...	،،	،، ،، ،،
٢٩	تسنم من فرعى نزار كليهما ذرا دوحة بين السها والفراقد	٢٠	٢٦٠	... ...	،،	،، ،،

والآن وقد أثبتنا هذا الجدول ، لما وقع فيه تغيير بحذف ، أو زيادة أو تعديل نتناول هذه الابيات بشيء من الدراسة ، عسى أن نتبين من خلالها مايصح أن يسمى بحركة الابداع الفنى لدى الشاعر ، وقد آثرنا أن نصنفها على النحو التالى :

١ ـ زيادة بيت أو أكثر فى الديوان .
٢ ـ حذف بيت أو اكثر من الديوان .
٣ ـ التغيير فى كلمة أو أكثر .
٤ ـ التغيير فى حرف أو أكثر .

وقد يشتمل البيت على تغيير فى الكلمة والحرف ، وحينئذ يكون تابعا للتغيير فى كلمة أو أكثر .

زيادة بيت أو أكثر فى الديوان :

أ ـ فى القصيدة (أبسط يمينا) (١) التى مدح بها ولى العهد فى مناسبة توليته ، زاد فيها البيتين الاخيرين :

هذا الذى كنا نؤمله أنظـــ ـــر ترى لمحا فى أول الكـــلم
ثم الصلاة على الهادى وشيعته ماغرد الطير فى الاجزاع من اضم

ولم يكن المعنى قبلهما مبتورا فيتممه ، لكن لعله أراد بذلك الايماء الىماورد فىشعره سنة١٣٤٨هـ ـ١٩٢٩م،وشعر ابنعثيمين سنة١٣٤٠هـ ١٩٢١م ،من اشارة الىولاية العهد قبلعقدها(٢)،ثم أردفالبيتبالصلاة على النبى ، كما هى عادته فى جل شعره ، لاشىء بعد هذا تفيده هذه الزيادة ، بل انه لو سلم منها لسلم من هذا الضعف الذى تحسه فيها ، الى مايلجىء قارئه الى البحث عن هذه اللمح التى لم يحدد مكانها .

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٥٠ .
(٢) ابتسامات الايام ص ١٤٨ البيت ٢٥،العقد الثمين ـ ابن عثيمين ص ١٧٧ البيت ٣٣ .

ب ـ وفى القصيدة (حط الرحال) (١)، التى مدح بها ولى العهد زاد بيتا بعد البيت التاسع :

يا ليـــتنى معهـم فى كـــــل مرحلـــة

للحرب والسـلم والاشـعار والخطـــب

وليس فيه فضل معنى ، سوى انه يتمنى لو كان مع الممدوحين ، فى كل موقف من مواقفهم • وقد يقال : انه أراد به التمهيد للانتقال من صفات الممدوحين ، التى أثبتها لهم فى الابيات السابقة ، الى الحديث عن نياتهم فى البيت التاسع وهذا حسن •

جـ ـ وفي القصيدة نفسها أقحم بين البيتين رقم (٢٩، ٣١) هذا البيت:

نعـم رأيت سـرورا عنـد مطلعـــه

وافتر ثغـر الرضـا عن مبسـم عـذب

وأقول : أقحم : لانه يتحدث فى البيتين قبله وبعده عن ارتحـــال ولى العهد الى نجد ، فيذكر فى هذا البيت أنه رأى السرور والابتهاج بمقدمه ، وهو لم يوصله فى قصيدته الى الرياض بعد ، ثم ليس فيـه من جديد المعانى مايدفع الشاعر الى الحرص على زيادته •

د ـ وفى رثائه للامير خالد بن محمد سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م) ، زاد فى الديوان بعد البيت الرابع قوله :

كـأن انخفـاض النـاس عنـد سـريره

من الحزن عبادا ببعض المساجـــد

ولا أرى سببا دعاه لهذا ، الا أن يكون حذفه من القصيدة ، عند نشرها فى صحيفة (أم القرى) مراعاة للشعور الدينى ، الذى يرى مثل هذا التشبيه غير لائق ، وان كان من الوجهة البلاغية حسنا •

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٥٨ •

هـ ـ وفى القصيدة نفسها زاد فى الديوان ، الابيات : ١٧، ١٨، ٢٠ :

كـأن لـم يجـر الجحفـل الضـخم فى الدجـــا
خميســا كأمثـــال الجبـــال الرواكـد

ولا ركـــب الخيـــل العتـاق الى العـــدى
بســـمر القـــنى والمزهفـــات الحـــدائد

تســــــنم من فرعـــى نزار كليهمـــــا
ذرا دوحـــة بين السهـــا والفراقد

وليس فيها فضل زيادة فى المعنى ، ولم يستدعها مستدع فى الابيات قبلها وبعدها وانما هى تفريع وزيادات فى ذكر أخلاق المرثى وصفاته ونسبه ومكانته من ذلك النسب ٠

ـ حذف بيت أو أكثر فى الديوان :

أ) وفى قصيدته التى مدح بها الامير فيصل ، ورد زيادة هـــذين البيتين ، فى القصائد المختارة من شعر ابن بليهد وابن عثيمين (١) :

ومـــن تقاصـــر خـــوفا من جـــريرته
يرى الحـــديد قبيل الصـــبح أشـــكالا

والامن فى معصـــم من أم جانبـــــه
يضـــحى لديه يقـــر العين والبـــالا (٢)

فأما البيت الاول فان الصورة فيه رائعة ، ففيها اظهار لقوة المـــلك عبد العزيز وجيشه الذى يقوده ابنه فيصل ، لكن لعله حذفه لكيلا يقول عن جيش الملك عبد العزيز ، انه يتتبع الخائفين من جرائمهم الـــتى ارتكبوها فى حق الملك ، فيثبت بذلك انه انما يتتبع بجيشه من استمر فى مناصبته العداء ، وهذا سبب كاف لتعليل الحذف ، ثم هو دليـــل

(١) قصائد مختارة من ابن عثيمين وابنبليهد مطبعة (أم القرى)٠
(٢) هكذا ورد فى القصائد المختارة ٠

على أن الشاعر كان يتعقب معانيها بالتعهد والنظر، ليستبقي منها مايراه ويستبعد ماليس كذلك ، وأما حذف البيت الثانى فلعل علته هذا الخلل فيه ، وان كان من السهل تقويمه كأن يقول :

وبـات فى معصـم من أم جانبـه
يضحى بحال أقر العين والبـالا

ب ـ وفى قصائد خمس (١) فى الديوان حذف ختامها (٢) بالصـلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو لم يكن قد أثبت ذلك فى جل قصائده ، لقلنا أنه أراد الاختصار ، أو التخلص من هذه السمة التى تلخص منها شعراء العصر لكن ابقاءه على الكثير من ذلك نفى هـذا الاحتمال ، ولعل قلمه لم يطاوعه أن يصنع ذلك فى جميـع شعره ـ واللـه أعلـم .

جـ ـ وفى القصيدة التى ودع فيها الامير سعود بن عبد العـزيز ، حين سافر الى مصر سنة (١٣٤٥ ـ ١٩٢٦م) (٣)، حذف مـع ختامها بالصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيتا قبله :

وفيهم يرام العفو عن كل مجرم
أتاهم ، وفى الهيجاليوث اذا كروا

وهو حذف مقبول اذا نظرنا الى البيت قبله ، المتضمن الدعـاء لملك ال سعود بالبقاء مدى الدهر ، وهو دعاء يوحى بانتهاء القصيدة :

عسى ملكهم يبقى مقيما مخلدا .. وبالاعلى الاشقين مابقى الدهر
لكن اذا نظرنا الى البيت الذى قبل هذا وهو :

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٤٢ ، ١٢٩ ، وصحيفة أم القرى العدد ٩٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٢٥ .
(٢) انظر الجدول الثـانى الارقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ .
(٣) ابتسامات الايام ص ١٤٢ .

وان فرقوا من نسل عدنان عصبة ٠٠ فهذا نكال للوبال الذى جروا

وجدناه متطلبا للبيت المحذوف ، فلو أنه وضعه قبل الاخير، لكان ذلك أجمل من حـــذفه ٠٠

•

د ـ وفى احدى قصائده التى مدح بها ولى العهد سعود (١) ، حـذف منها فى الديوان ثلاثة أبيات بين البيتين : ١٦ ، ١٧ ، والابيات المحذوفة هـــى :

هنيت من ملك سادت بنوه كما
سادت بنو مضر الحمراء فى العرب

اذا رأينا نجيبا منكم فلقد
نرى الشهامة فى أبنائه النجب

انا نهنيك باليوم الذى طلعت
عليك أوجههم فى أشرف الرتب

والواقع أن هذه الابيات المتضمنة لتهنئة الملك عبد العزيز ببنيه ، نحس قلقها فى مكانها من النص المنشور فى أم القرى ، فالقصيدة فى مدح ولى العهد ، والابيات فى تهنئة الملك، والبيتان المكتنفان للابيات المحذوفة ، الحديث فيها عن ابناء الملك وفعالهم فى الحرب ، وليس فيهما خطاب للملك وان ذكر فى أولهما ، والبيتان هما :

الابطبع زكى الاصل والدهم
سما الى الذروة العليا من النسب

آبوا بعز على حال يطيب بها
وجه الزمان لاهل الدين والادب

وعندى ان هذا الحذف يؤكد ماذكرته سلفا ، من أن الشـاعر كان

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ ، صحيفة أم القرى العدد : ٥١٠ ٠

يتعهد قصيده بالتهذيب والتجويد ، وتلك سمة مدح بها عبيد الشعر كصاحب الحوليات زهير بن أبى سلمى وراويته الحطيئة ٠

(التغيير فى كلمة أو أكثر):

وهذه جملة من الابيات نال التغيير بعض كلماتها ، نورد فيها البيت من الديوان والكلمة التى حصل فيها التغيير ، الا اذا تناول ذلك شطرا أو أكثر أعقبناه بمقابلة من المختارات أو صحيفة أم القرى٠

أ- فى القصيدة التى مدح بها الامير فيصل (١) ، أبدل فى البيت الاتى كلمة « نصب (بـ) سبب »٠

انى سادرك أقصاها بلا سبب
وأهمل العيس لا حلا وترحالا

وهذا الابدال غير حسن هنا ، لان المعالى لاتدرك بأى سبب كان كما توحى به الكلمة المبدل بها ، وانما تنال بالتعب وبذل النفس والنفيس ،وهذا ماتوحى به الكلمة المبدل منها ، فهذا ابدال كان أجمل بالشاعر ألا يصير اليه ٠٠

وقد يقال : ان الشاعر أراد أن يبالغ فى تسفيه رأى هذا المدعى نيل المعالى ، وحينئذ يكون حسن الصنيع فى هذا التغيير ، فلعل شاعرنا أراد هذا ٠٠

ب ـ وفى القصيدة نفسها ورد هذا البيت :

سارت من العارض النجدى دولته
بالامر تدلج أبكارا واصالا

وقد أبدلت فيه كلمة (دولته) من (كتيبته)، فلعل الشاعر استقل كلمة كتبته فأبدلها وهو ابدال لاطائل تحته ، اذ ان المعنى المجازى

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢١١ ٠

لدولته ــ وهو الجيش الذى تجهزه الدولة ــ يمكن ان يؤديه معنى كتيبه على نحو مجازى أيضا ، هو التعبير بالجزء عن الكل ، على أن تلافى الضرورة فى تخفيف الياء بكلمة (النجدى) مع كتيبته كاف لان يكون سببا للتغيير ، وحينئذ يكون ابن بليهد قد أحسن فى هذا •

ح ــ وفى القصيدة : نفسها أيضا ورد البيت الاتى :

حتى تقول مغيد فى ديارهم
كأن فى عرصات الارض زلزالا

وقد ابدلت فيه (عرصات «من» جنبات) والمعنى هو هو ، الا ان عرصات توحى بشىء من القوة فى الموسيقى اللفظية ، وهذا كاف لان يكون مدعاة لهذا الابدال ، كما يدل على ان الرجل كان دقيقا فى تخيره للكلمات •

د ــ وفى القصيدة نفسها ورد هذا البيت :

سارت اليهم بنو الاسلام كلهم
والعيس ترقل فى الفيفاء ارقالا

وقد أبدل فيه (بنو الاسلام كلهم «من» جنود الله مسرعة) ولم أجد معنى لهذا التبديل على الرغم مما توحى به كلمة جنود الله من قوة •
هـ ــ وفى القصيدة نفسها فى البيت :

فلا نجا منهم الا قلائلهم
وقرب الله للباغين اجالا

أبدل كلمة (باغين « من » باقين) ولامعنى له الا ان يكون أراد العموم ، وهو مقصد لابأس به ••

ج ــ وفى نفس القصيدة جاء البيت :

ان الذى أدرك الاعداء يدركه
ولو تبوأ فى نجران محلالا

الابدال فيه فى كلمتين الاولى : أبدل فيها المضارع (يدركه) من اسم الفاعل ، والثانية : أبدل (نجران «من» شهلان) و (نجران) اسم مدينة فى جنوبى جزيرة العرب ، وشهلان جبل بأقصى المغرب ، وهذا تبديل لاطائل تحته ، الا ان يقال : ان الفعل يشعر بالتجدد والاستمرار ، وهذا كاف ٠

ز ـ وفى البيت :

ويصطفى من بنى الاخيار كل فتى
ويصطفى كل زاكى الاصل مفضالا

من نفس القصيدة أبدل (يصطفى « الثانية من» يجتبى) وهو ابدال غير حسن وان تماثل المعنى الا أنه يوجد التكرار لكلمة يصطفى ٠

ح ـ وفى البيت :

وقل لهم عن لسانى قول مبتجح
وقد رأى فيهم للجد اقبالا

من القصيدة نفسها أبدل (مبتجح «من » مبتهج) ، ولعله أراد ان صنيعهم أفضى به الى التفاخر والتبجح به ، وذلك مالا تقوم به كلمة مبتهج وان دلت على الفرحة والسرور ٠

ط ـ وفى احدى قصائده فى مدح ولى العهد (١) ورد البيت :

وأصبحت غضة خضراء باسمة
وأصبحوا أهلها فى مربع خضر

وقد أبدلت فيه (مربع خضر «من » أرفع السور) وهذا التعديل يقتضيه المعنى ، لان الحديث قبله عن الغيث ونزوله وما يصنعه فى الارض من خير وبركة ، وهو مالا يقوم به البدل منه الا مع تأول ، ومالا تأول فيه أولى ٠٠

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٤٤ ، صحيفة امالقرى العدد ١٥٥

ى ــ وفى القصيدة نفسها ورد البيت :

لكننى فى ذرا قرم أقيم به
مهذب ماجد من سادة غرر

وقد أبدل فيه (قرم أقيم به) من (شهم الوذ به) وليس بين المعنيين تفاضل ، فهو ابدال لاقيمه له الا أن يقال ان مدلول كلمة (شهم) التى تعنى الاسراع للنجدة فى كل أمر ، أعم وأشمل من كلمة (قرم) التى تعنى الشجاعة والاستبسال ، حينئذ يكون التوفيق خان ابن بليهد فى هذا الابدال ، على ان فى كلمة قرم من القوة والايحاء ، وحلاوة الجرس مايكفى لان يكون مسوغا لهذا الابدال .

ك ــ وفى احدى مدائحه للملك عبد العزيز (١) ورد البيت :

سل الدار من ذى قار أو جنباته
به أصدروا سمر القنى وهى نهل

وقد أبدلت فيه كلمة (دار) من (واد) وهو ابدال حسن لما فيه من تلافى الضرورة ، التى تفرضها كلمة (وادى) ، ثم مافى كلمة « دار» منجمال موسيقى لايتوفر فى كلمة (واد) فى مثل موقعها من البيت .

ل ــ وفى نفس القصيدة ورد البيت :

يفوه له بالحمد حاف وناعل
وساق اليه الشكر ماط ومرجل

وقد أبدل فيه كلمة (يفوه «من» أفاه) وهو ابدال حسن أيضا لمافى كلمة (أفاه) من خطأ أتى من زيادة الالف .

م ــ كما ورد فى القصيدة نفسها البيت :

أقام بساحات الامام كأنما
أشيد له بين السماكين منزل

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٠٨ ، صحيفة أم‌القرى العدد ١١٠ .

وقد أبدل فيه (بساحات الإمام)من(على الكريم فيهم)وهذا ابدال فرضه الوزن أولا ، اذ التفعيلة الثانية فيه مقبوضة ، ثم ان قوله (بساحات الامام) فيه من جلال التعبير مالا يتسنى فى المبدل منه ٠

ن ــ وفى احدى مدائحه للملك عبد العزيز (١) ورد البيت :

وقد لبست منه الليالى محاسنا
فحيا محياه البلاد وسلما

أبدل كلمة (قد) من (فتى) ،وهذا ابدال ماكان يحسن ان يكون ، اذ ان كلمة (فتى) أجمل وأعذب من كلمة «قد» ، ثم انها أقدر على اعطاء المديح حقه ، لان معناها الرجل الذى اكتملت فيه الصفات الحميدة كالشجاعة والنجدة ونحو ذلك ، ومازالت تستخدم كذلك فى موطن الشاعر ، ولايشفع له فى هذا الابدال استعمال المتأخرين لها فى الشاب الصغير ، فان ذلك وان كان مستخدما عند العرب كذلك ، الا أنه ورد فى اللغة مايدل على أن المقصود بها فى المرتبة الاولى الرجل الكامل الجزل من الرجال (٢) ٠

وفى البيت الذى بعده :

به همة قد قومت عزم رأيه
فما يصدق الخطى حتى يقوما

عدل من البيت :

غذى فى حروب قومت عزم رأيه
ولايصدق الخطى حتى يقوما

---

(١) ابتسامات الايـــام ص ٩٥ ، ٩٦ ، صحيفة أم القرى العدد ٥١ ٠
(١) قال ابن منظور فى لسان العرب ٢ :٣ قال القتيبى : ليس الفتى بمعنى الشاب ، والحدث انما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدلك على ذلك قول الشاعر :

ان الفتى حمال كل ملمة   ليس الفتى بمنعم الشبان

فأما الابدال الذى فى الشطر الاول فانه قد أضعف المعنى من وجهين : الاول انه استعمل (به) وكان الاولى ان يقول له ، والثانى: أن الهمة لاتبلغ فى تقويمها عزائم الرجال واكسابهم الصلابة مبلغ الحروب ، وأما التعديل فى الشطر الثانى فانه لم يأت بجديد ، ولم ينقص المعنى كما لم يزده ٠

س ـ وفى احدى مدائحه للامير فيصل ورد البيت :

ماتقصد العرب تأمينا لخائفهم
الا اذا يقصد الهندى والاسل

وقد أبدل فيه المضارع (يقصد) من الماضى (انقصد) (١) وليس فيه فضل معنى ، اللهم الا أن يقال أن المضارع يدل على الحال والمستقبل ، ولكنى أرتاح الى ان الماضى هنا أنسب لترتب الامن على الانقصاد وهذا ظاهر ٠

ع ـ وفى ختام هذه القصيدة أبدل (الهمل «من» الهطل) فى البيت:

ثم الصلاة على الهادى وشيعته ٠٠ وآله ما استهل المدجن الهمل
وهذا ابدال لم يأت بجديد ولانقصان ٠٠

ف ـ وفى احدى مدائحه لولى العهد أبدل المضارع (يسمو) من ماضيه فى قوله :

الا بطبع زكى الاصل والدهم
يسمو الى الذروة العليا من النسب

وهو ابدال لاطائل تحته ، الا أن يقال ان المضارع يدل على الاستمرار ٠

ص ـ وفى احدى مدائحه للملك عبد العزيز ورد البيت :

(١) الفعلان : انقصد ويقصد وردا بهذاالمعنى فى اللسان ٤ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ٠

تضيء له آراؤه وسيوفه

على كل يوم قائم الموت مظلم

وقد أبدل فيه كلمة (الموت) من (اللون) وهو ابدال حسن نقل الموصوف من الحسى الى المعنوى من ناحية ، ومن ناحية أخرى أظهر المعنى وأبرزه ، ولم يحوج فى الوصول اليه الى التأويل ..

ق ـ وفى القصيدة التى رثى فيها الامير خالد بن محمد ورد البيت :

كأن فؤادى موثق بضريحه

ولو أنه فى المهمه المتباعد

وقد أبدل فيه ، (انه فى المهمه «من» أننى فى المنزل) وهو ابدال مقبول لان القبر انما يكون فى المهمه ، ثم يتحدث عن تعلق فؤاده بضريحه ، فالاولى ان يكون الضمير له .

ر ـ وفى القصيدة نفسها ابدل كلمة (خالدا «من» عائش) ولم يختلف المعنى فيه ، الا ان خالدا أنسب من وجهين :الاول : دلالتها على طول البقاء ، والثانى : ماتتيحه مع (خالد) اسم المرثى من موسيقى لفظية وفرها هذا الجناس اللطيف .

التغير فى حرف أو أكثر :

وفى هذا نورد ماكان التغيير فيه فى الحروف ولم يقع الا فى بيتين:

أ ـ فى احدى قصائده فى مدح الامير فيصل (١) ورد البيت :

ما أصدر البيض من هام العدا أبدا

الا وقد أخذت علا وانهالا

وفيه تصحيح لخطأ كان فى الصحيفة ، وذلك هو زيادة واو الجماعه بعد الفعل (أصدر) اذ يترتب على صيغة المبدل منه انكسار فى الشطر الاول .

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢١٢ ، قصائدمختارة .

ب ـ وفى احدى قصائده فى مدح ولى العهد (١) أبدل (عن)من (من) فى البيـــــت :

عن الحجاز الى نجد وساكنه
خاض المفازة بين الاكم والكثب

وحروف الجروان كان بعضها ينوب عن بعض ، الا أن (من) هنا أنسب لوجود (الى) و (خاض)٠

هذا هو ماعثرنا عليه من اختلاف بين الديوان ومانشر من شعر صاحبه ، فى المختارات وصحيفة أم القرى أما فى الديوان ، فلقد قال: ان خطأ وقع من المطبعة ، حيث اعتمدت نسخة غير مصححه قدمها لها سهوا ، ولذا قام ـ رحمه الله ـ باصلاح تلك الاخطاء ، التى تناولت شطرا أو كلمة أو حرفا ٠٠

ولما كان التفصيل فى ذكر تلك الاخطاء جميعها ، يفضى بنا الـــــى الاطالة والاسهاب فيما لاطائل تحته كبير ، فقد آثرنا تقديم نمــــاذج لها تكشف عن ذوق الشاعر وترشد الى مذهبه ، فى تجويد الشــــعر ، وتهـــــذيبه ٠٠

ولما كانت الاصلاحات قد تناولت : الشطر ، والكلمة ، أو الكلمتين، والحرف ، فاننا سنقدم نماذج لهذا الاصلاح ٠

أولا : مانال الاصلاح فيه شطرا :

أ ـ فى احدى مدائحه للملك عبد العزيز ورد البيت الاتى :

ان يرضها فغدا نشدد ركائبنا
ويحدها كل شهم للعلا ندب (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٠ ، صحيفة أم القرى العدد ٥٣٨
(٢) ابتسامات الايام ص ٩٣ ٠

وهو على هذا مشتعل على أقواء لذا أصلحه على النحو التالى :

ان يرضها فغدا نشدد ركائبنا
يحدو بها كل شهم فاتك حرب

ب ـ وفى مدحه الملك عبد العزيز أيضا ، ورد فى النسخه المطبوعة هـــذا البيت :

وأما نجلكم هو لا موارده
بين الكماة وبين البيض والسمر (١)

ولانكساره أبدل الشطر الاول منه هكذا :

وكم تجشم من هول موارده
بين الكماة وبين البيض والسمر

ثانيا : مانال الاصلاح فيه كلمة أو أكثر :

أ ـ ورد هذا البيت على النحو التالى :

وطارت قلوب أهل العراق وزلزلت
دمشق ومنه الخوف تشكوه مأرب (٢)

ولكى يتخلص الشاعر من هذه الضرورة ، حذف كلمة (أهل) واعتاض عنها بالباء الجاره ، فصار مطلع البيت هكذا :

وطارت قلوب بالعراق ..
. .. .. البيت.

ب ـ ومما يدلنا على احساس الشاعر بالكلمة ، وعمق دلالتها اذا ائتلفت مع جاراتها هذا البيت ، الذى ورد فى المطبوع هكذا :

---

(١) ابتسامات الايام ص ١٢٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

والال والصحب ماناح الحمام على
دوح وماغنت القمرى على الطلل (١)

فقد احس الشاعر بقلق (غنت) فى موضعها ، اذ المناسب فى الطلل النوح لا الغناء ، لهذا نقل (غنت) الى الشطر الاول حيث (الـدوح) ، وأبدل منها (ناحت) اى انه قدم وأخر فى الكلمتين ، ليحصل علـى هذا الانسجام الذى وفره هذا التغيير فى مواضع الكلمات ، ثم التخلص من الضرورة بابدال على بفى ، فى الشطر الثانى ·

ثالثا : ومما نال التغيير فيه حرفا هذا البيت :

أ ــ قوم اذا وثب الداعى له وثبت
من كل ناحية يأتونه لبدا (٢)

فلقد أبدل تاء التأنيث بواو الجماعه ، لتصير الكلمة (وثبوا) وهذا أسلم للمعنى وان كان الاول يصح على تقدير ان الفاعل (جموعهم) ومالا تقدير فيه خير وأفضل ··

ب ــ ومنه هذا البيت:

والناكبون عن السمحا لقد رغبوا
فى شر منقلب عن خير منقلب (٣)

فلقد شعر الشاعر بالضرورة الناشئة ، من حذف الهمزة فى(السمحاء) فأعاد الهمزة وحذف لام لقد ··

وعلى هذا النحو كان اصلاحه فى الكثير مما تضمنه الديوان ·

وبالنظر الى ما أسلفناه من نماذج للتهذيب والتجويد ، نستطيع أن نخرج منذلك بنتيجتين :

---

(١) ابتسامات الايام ص ٧٥ ·
(٢) ابتسامات الايام ص ٤٥ ·
(٣) المرجع السابق ص ٩٠ ·

الاولى : أن الرجل كان ينظم شعره كيفما اتفق ، ثم يعود اليه بالتهذيب والتشذيب ، فيحذف ويضيف ويبدل كلمة بأخرى أو حرفا بحرف أو نحو ذلك ، وهذا سبيل مألوف لدى الشعراء ، حتى الفحول الذين تعارفوا على تسميتهم عبيد الشعر ، اذ كانوا يعكفون على تجويده ، باعادة النظر فى أبياته وكلماته ، حتى يصفو لهم منه مايستصفون ، وقد يروق لبعضهم ان يسمى هذا العمل الصنعة ، ويعنون الاحكام والتجويد من خلال اطالة النظر واعادته فى الشعر .

والثانية : أن ابن بليهد كان حريصا على اختيار الكلمات المناسبة ، التى تستطيع القيام بمايقصده من معنى .

وليس شرطا أن يأتى شعره جميعه على هذا النسق ، اذ قد يغلب غير الحسن الحسن ، على لسان الشاعر لملابسة أو أخرى ، وقد يستحسن الشاعر كلمة نراها غير حسنة ، ومصدر ذلك الذوق الخاص الذى قد تغلب عليه الظروف والملابسات او تؤثر فيه .

ومما يدل على أن صاحبنا كان اذا نظر فى الشعر ، تفحص كلماته وتلمس فيها سبل الصحة والجمال ، مارواه لى الشاعر الكبير احمد ابراهيم الغزاوى ، اذ قال بعد أن ذكر جملة من أبيات احدى قصائده كان اخرها قوله :

ان الخلود حفاظ والمنى هوس
عاش البواسل وليفن التنابيل

وهذا الشطر هو الذى لاحظ عليه المرحوم الاستاذ الكبير والشاعر الفطن الشيخ محمد بن بليهد ..

وقال : ان التنابيل فى اللغة هم : القصار ، وفاته أن كعب بن زهير قال فى لاميته (بانت سعاد) :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل (١)

---

(١) فى رسالة منه الى ، وفى حديث بالهاتف .

وأقول : ولقد فات الغزاوى ـ مد الله فى عمره ـ أن قول ابن بليهد هو الصحيح ، بدليل أن أهل اللغة فسروا بيت كعب بن زهير ـ رضى الله عنه ـ الذى احتج به الغزاوى ـ بمثل قول ابن بليهد: ان التنابيل هم القصار (١)٠

واذا كان هذا شاهدا على نظره فى شعر غيره ، فان ما أوردناه سلفا شهود على نظره الطويل المتفحص فى شعره ، وتخير الكلمات الملائمة للحال (٢) ٠

ومن ذلك عنايته بالجرس الذى يحدثه تماثل الكلمات ، اذا جاءت فى الحشو ، أو وردت فيه مماثلة للقافية كابداله «خالد» من «عائش» فى مرثيته للامير خالد بن محمد (٣) :

فوالله مافى الدهر والعيش لذة
تمر وأبقى خالدا بعد خالد

وتردد الاصوات فى الكلام ، يحدث فى السمع طربا ونشوة لما يحدثه من موسيقى لفظية محببة ، وذلك ما لايدركه الا ذو حاسة فنية ، يدعم بها ثروته اللغوية وتمكنه من تبين خاصية كل لفظ وملاءمته لموضعه من الكلام (٤) ٠

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ١٣ : ٨٤ ، ٨٥ يقول ابن منظور (تنبل ـ التنبال والتنبل والتنباله ٠ الرجل القصير ومما استشهد به بيت كعب المذكور ٠

(٢) حدثنى ابن عمه عثمان : أن الاميرفيصل بن عبد العزيز أقام يوما حفلا فى مكان قريب آزيسه ناحيه الشمال ، فوصفه أحد الكتاب فى احدى الصحف وسمى المكان (المضيق) فكتب ابن بليهد ردا عليه كأن أهم ماركز عليه فى هذا المقام اسم المكان، فلقد قال مامعناه : أن تسميته بالمضيق لاتليق بالامير ، اى أنه لايليق أن يكون الامير فى المضيق ، فهذه التسمية خطأ من وجهين أحدهما هذا ، والثانى ان المكان يعرف بعين الليمون ولقد بحثت عن هذا المقال فلم اعثر عليه مطبوعا ، ولا مصنوعا ٠

(٣) انظر فقرة (ر) من هذا الموضوع ٠

(٤) انظر فى هذا موسيقى الشعر ص ٤٣ ـ دكتور ابراهيم أنيس ـ طبعة الانجلو سنة ١٩٥٢م ٠

وذلك كان شأن ابن بليهد فى أكثر شعره ، يتخير الكلمة الملائمة لموضعها المنسجمة مع جاراتها ، ليظفر من ذلك بعمل أدبى يرضى عنه ٠

الثانى : ملاحظات عروضية ولغوية :

أ ــ ملاحظات عروضية :

من المسلم به أن سلامة أوزان الشعر وقوافيه ، مرهونة بجريانه فى ما توارثه الشعراء من نظام للشعر سنه له الاقدمون ، ووضع نظامه وضبطه الخليل بن أحمد ٠

ولقد توارث العرب هذا النظام فتفننوا فى بحوثه ، متلمسين فى ذلك أسباب الحسن لالتزامها ، وأسباب القبح للابتعاد عنها ٠

ونحن هنا لاندرس عروضا ، ولا نقدم دراسة عروضية تطبيقية لشعر شاعرنا لفصل القول فيه ، لكنها ملاحظات لفتت الانتباه عند قراءة شعر هذا الرجل ، لم نشأ أن نتركها ٠

فى دراستى لشعر ابن بليهد لفت انتباهى أمور أهمها :

١ ــ ان ابن بليهد لم يستخدم من حروف الروى الا ثلاثة عشر حرفا ٠
الباء، التاء، الدال، الراء، العين، الفاء، القاف، الكاف، اللام ٠ الميم، النون، الهاء، الياء ٠

وأكثرها عنده : الراء ثم الميم ثم اللام ثم الباء ثم الدال ، فهو لم يستخدم من حروف الروى الا ماكان منها سهلا ميسورا كثير الاستعمال فلم نجد عنده الضاد والظاء والشين ونحوها من القوافى الصعبة ٠

وعندى ان هذا لايعد عيبا ولا دليل ضعف لغوى ، وانما هو حسن اختيار لما له قابلية لدى القارئين والسامعين ، وبخاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار المواقف التى كان ينشد فيها جل شعره ، وان ذلك كان فى مجالس الملوك والامراء التى كان فيها من أقرب الندماء ، فحرى به ــ وهو الخبير بأساليب المنادمة ــ أن يتجافى من تلك الحروف التى تصك الاذان عند أول سماعها ٠

واستخدام الردف عنده قليل الا فى خمس عشرة قافية ، كما لم يـرد التأسيس الا فى عشر قواف ٠

كما انه كثير الاستعمال لالف الاطلاق ، الناشئة من اشباع حـرف الروى ، وهذا حسن لما فيه من مد النفس عند الانشاد ، ولما فيه مـن قضاء حاجة النفس فى التألم أو التشوق ، والحنين فى الرثاء والغزل، ومايلحق بهما كالنسيب فى مطالع القصائد ٠

خذ مثلا قوله فى مدح الملك عبد العزيز :

تغيـر رسـم الدار أصـبح خاليـا
فليس بهـا حى يجيب المنـاديا

٢ ـ وأكثر الابحر عنده حظوة : الطويل والبسيط ، فجـل شـعره جاء عليهمـا ٠

أما مطالعه فكلها مصرعه ماعدا خمسة ، وقليل عنده ذلك فى غيـر المطالع ، وهذا أمر مألوف فى الشعر العربى قل من خالفه حتى لـدى المحـدثين ٠

٢ ـ ان كثيرا من الضرورات الشعرية ، قد وقعت له فى شـعره وان اختلفت كثرة وقلة ، فأكثرها عنده تحريك الساكن ، وأكثر ما تكون في القافية كقولـه :

ألـقى الزمان عـلى الباغين كلكلـه
بالبيـن قبـل نزول الرعب والذعـر

سـقاهم الحرب كأسـا لا انقضـاء له
من قهـوة الموت لا من قهوة الخمر (١)

فقد حركَ عين « ذعر » فى الاول ، « خمر » فى الثانى ٠

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢٤ البيتين :٧ ، ٨٠

ويليه من حيث الكثرة حذف الهمزة ولم تقع له الا في الحشو كقوله :

ففي كل حال ان ألم ملمة
فانا على رب السما نتوكل (١)

فقد حذف همزة « سماء » .

ثم تسكين المتحرك وأكثر ما وقع له في الحشو ، كقوله مسكنا لام (يضرب) في البيت :

الحمد لله حمدا لانفاد له
هذا الامان الذى يضرب به المثل (٢)

ومنه فك الادغام وهو نادر ، كفكه أدغام « يضل » في البيت :

أرى الناس في بحر العمى قبل أحمد
أطاعوا لمن يغوى الانام ويضلل (٣)

وأندر منه حذف الهمزة في صدر الكلمة ، كحذفها من « أهل » في قوله :

والعبد عند هل الملقا وليس به
صبيحة النحر الا السرح والغار (٤)

ولم يقع له من الضرورات في القافية سوى تحريك الساكن .
على أن هذه ضرورات وردت في أشعار الاقدمين ، وقبلها الباحثون ولم ينكروها بل لم يحظروها على الشعراء (٥) .

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٤ البيت : ٦١.
(٢) ابتسامات الايام ص ١٦٩ البيت : ٢٨.
(٣) المرجع السابق ص ٢١ البيت : ١١.
(٤) المرجع السابق ص ٧٠ البيت : ٩ .
(٥) انظر من كتب الضرورات والعروض(مايجوز للشاعر فى الضرورة) ـ القزاز القيروانى ـ الدار التونسية للنشر ـ وكتاب شرح تحفة الخليل ـ عبد الحميد الراضى ـ مؤسسة الرسالة ـ بغداد سنة ١٩٥٤م وميزان الشاعر حسن جاد وخفاجى .

٤ ـ أما العيوب العروضية فانه لم يسلم من بعضها أيضا ، مثل الاقواء (١) الذى وقع له فى أحد عشر موضعا منه قوله :

اذا تشعبت الانساب قيل له
انت الموطد في عدنان منتزرا

وفى اليمامة بيت ضم جانبه
مجدا تقصر عن تفصيله الشعرا

وللامام محل فى أرومته
بمثل سيرته نستحسن السيرا

فقد عدل فى قافية البيت الثانى عن النصب ، الذى تقضيه قافية القصيدة الى الرفع .

وكالتضمين فى مثل قوله واصفا الخيل فى المعارك :

فلا لمست أكفالها أسل القنى
محرمة أعجازها وتحلل

على الطعن لبات السبايا لانها
يطبق أيديها من الدم مقتل (٢)

ب ـ ملاحظات لغوية :

لقد عاش ابن بليهد فى عصر سادت فيه الامية وقل فيه العلماء ، وكان علماء عصره يكتفون من علوم العربية بما يعصم ألسنتهم من الزلل ، في قراءة كتاب الله وسنة رسوله ، ولذا كان كثير منهم يقفون فى دراسة

---

(١) سماه القيروانى الاكفاء ، وأمثلتهفى ذلك هى أمثله الاقواء فى شعر النابغة والواقع ان الاكفاء عند العروضيين هواختلاف حرف الروى ، كأن يكون فى الاول دال والثانية طاء أو نحوه ، ومثل هذا لم يقع لابن بليهد ـ اما الاقواءعند القيروانى فهو (نقصان حرف من فاصلة البيت) ،وذلك خلاف ماعليه العروضيون .
ـ انظر ص ٥٥ ، ٥٦ من كتاب مايجوزللشاعر فى الضرورة ـ للقيروانى .
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٢ .

النحو عند شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك ويكتفون به ، واذا خفى عليهم معنى لفظة لم يوضحها المفسرون ورجال الحديث ، رجعوا الى القاموس أو شرحه (تاج العروس) ، ولم يتعقبوا الشعراء المزامنين لهم فى ألفاظهم الا قليلا ٠

على أن القارىء لشعر ابن بليهد ، يلمس فيه عمق ثقافة الرجل اللغوية ، ذلك الذى من دلائله تضمن شعره لكثير من الالفاظ التى قل استعمالها عند المتأخرين ، مثل (نجد) جمع نجد فى قوله :

من المقيم بأمر الواحد الاحد
معالم العدل فى الاغوار والنجد (١)

ومثل (تلد) بمعنى (تليد) فى قوله :

أبقاهم الله فيما كان بينهم
من طارف الشرف المعمور والتلد (٢)

ومنه « جلائب » جمع جليبة بمعنى مجلوبة فى قوله :

ضعاف النهى تبا لمن قاد رأيهم
يعرضهم للموت مثل الجلائب (٣)

ومن ذلك « ثمال » بمعنى نبت فى قوله :

ربيع تعم الوافدين ثماله
وأرملة تجنى جناه وأرمل (٤)

ومثل « السنور » بمعنى السلاح فى قوله :

بملمومة فيها السنور والقنا
ونار على كبد الخبيثين تشعل (٥)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٦٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٦ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٨ ٠
(٤) المرجع السابق ص ٢٣ ٠
(٥) ابتسامات الايام ص ٢٤ ٠

ومع هذا فقد وقع له من الهنات مايحسب عليه ويعد ، كاستعماله « قباء » بمعنى الفرس المحبوكة الظهر ولم أجدها بهذا فى اللسان :

على كل قباء اذا يفخروا بها
نماها من الانساب جد ومخول (١)

ومن ذلك « يفحم » فى البيت :

فيفحم فيها كل أدهم سابق
وأكمت سفاح وأصفر هيكل (٢)

لقد أراد بذلك التعبير عن اتعاب الخيل واجهادها فى المعركة ، ولم أجدها فى اللسان الا بمعنى لايجيد الشعر أو بحة الصوت ، وعلى هذا الاخير يمكن حمله وتصحيحه ، ولعل المعنى منقول من افحام المتكلم على سبيل المجاز .

ومنه « يتهلهل » فى البيت :

فان خصال الخير فيهم ومنهم
وكل بهتان الندى يتهلهل (٣)

ولعله أراد بها صفاء الوجه واشراقه ، من قولهم الهلاهل الماء الكثير الصافى (٤) ولو انه قال : يتهلل لاستقام المعنى والوزن ، اذ أن يتهلهل على غير التأويل السابق معناها رداءة النسج (٥) ، أو النظم فى الشعر . قال النابغه :

أتاك بقول هلهل النسج كاذب
ولم يأت بالحق الذى هو ناصع

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .
(٤) انظر لسان العرب ١٤ : ٢٣١ .
(٥) انظر لسان العرب ١٤ : ٢٣٠ .

وربما كانت يتهلل ووقع خطأ مطبعى ، لكنه لم يصلحه فيما أصلح من أخطاء ، والله أعلم ٠

ومنه كلمة « داب » بمعنى حية فى قوله :

فقــوم منهــاج الشريعة والهــدى
ومات عن الســلاك داب وعقرب (١)

ولم ترد فيما علمت علما أو وصفا خاصا لها ، وانما هى وصف لكــل داب على الارض أى سائر عليها ٠ وقد يكــون من قبيل المجــاز المرســل ٠

وهذا باب لم يسلم فيه الشعراء حتى الفحول ٠

(١) ابتسامات الايام ص ٤٣ ٠



الفصل الثالث

الشكل والمضمون والصورة الادبية والطبع والصنعة

١ ـ الشكل والمضمون فى شعر ابن بليهد :

أ ـ جرى الكثير من الناقدين على أن الصورة والشكل واللفظ بمعنى واحد ، وان المضمون والمعنى والمحتوى بمعنى واحد ، فالصورة ومرادفاتها تعنى المادة ، والمضمون ومرادفاته روح تلك المادة ، والنص الادبى يتكون من هذين : الروح ، المادة ·

ويرى البعض (١) أن الصورة تشمل المادة والروح ، أى ان الصورة هى ذلك البناء المتكامل المتكون من اللفظ والعبارات المركبة ، والمعنى الذى دلت عليه هذه الالفاظ والعبارات وفى الصورة يتمثل الجمال أو القبح ، وعن طريق التماثل والتجانس والتوافق بين اللغة مفردا وتركيبا والمعنى تتكون الصورة الادبية أى ذلك الجمال الناشىء من تآلف الروح والمادة وتناسبهما ·

وننظر فى شعر ابن بليهد ، فنجد عنده عناية حسنة باللفظ ، ولكنا نراه يعنى بالمعنى أكثر ، بدليل ركوبه لكثير من الضرورات ـ كما أشرنا اليه سلفا ـ وجنوحه لما قرب فهمه ، وكثر استعماله من الكلمات غالبا ·

وقبل أن ندخل ميدان التمثيل فى شعره نود أ ن نلم فى اقتضاب

---

(١) انظر قضايا النقد الأدبى الحديث ـ دكتور محمد السعودى فرهود ـ ص ١١٩ مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) ·

بعض آراء وأقوال السابقين وبعض اللاحقين فى هـــذا الموضوع ، وبخاصة ان آراء المتأخرين مال أكثرها الى القول بتقسيم الاقـــدمين الى قسمين ، وسموا الاول : بالميل الى جانب اللفظ ، ووصفوا الثانى: بالميل الى جانب المعنى ، وقليل منهم من توسط فى ذلك ، فخـــرج أقوال الاقدمين على ما تحتمله نصوصها وواقع القائلين بها الدالـــة عليــه أعمالهـــم ·

•

وضع العرب الاقدمون ألفاظهم لتدل على مدلولاتها ، وتقلب الزمان وطال الامد ، وتنقلت الكلمات من مدلول الى مدلول ، فكثرت مدلولات الكلمات وتعددت معانيها ·

والبحث فى اللفظ المفرد : انما هو شأن علماء اللغة ، أما علمـــاء الادب والنقد والبلاغة ، فان الذى يعنيهم هو دلالة اللفظ ومعناه حين تركبه مع غيره ·

لقد تناول هذا الموضوع كثير من الباحثين العرب الاولين ، فتكلموا فى قضية اللفظ والمعنى ، ودعوا الى العناية بهما ، بل قالوا : ان لكل معنى ألفاظه الملائمة له (ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفـــظ ولكل نوع من المعانى نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف ، والخفيــف للخفيف ، والجزل للجزل) (١) ·

اذن فالفرق انما يبدو واضحا فى اختيار الكلام ووضعه الموضـــع المناسب ، لان المعانى ميسورة التناول قريبة المأخذ ، تخطر بذهـــن العربى والاعجمى والمتعلم والامى ، وانما الشأن فى كيفية ابراز تلك المعانى فى صورة جذابة مشوقة ، من خلال ما توضع فيه من معـــارض الكلام (٢) ·

ان المعنى يقوم فى النفس يدركه هذا وذاك ، ولكنهم يختلفـــون فى

---

(١) الحيوان ــ الجاحظ ٣ : ٤٠ طبعةساسى ·
(٢) أنظر المرجع السابق نفس الصفحة، ٦ : ٣ ، البيان والتبيين ١ : ١١ ، ١٢ ،

القدرة على ابرازه وانما يأتى هذا الاختلاف نتيجة التفاوت · فى القدرة على تخير الكلام ، وتقليب أوجه العبارات ، وأسلوب النظم والتأليف والمهارة فى اختيار الكلمات الملائمة للمعنى الذى قصد الشاعر ابرازه ، ثم سلكها فى نظام مؤتلف لاتنافر فيه ولا تعقيد ولا اسفاف ·

ويقسم ابن قتيبة الكلام الى أربعة أضرب (١) ، ويمثل لكل ضرب من هذه الأضرب بما لاءم ذوقه من الشعر ·

واختلافنا مع ابن قتيبة على قبول أمثلته أو رفضها أو بعضها ، يحمل دليل صدق قول الجاحظ ·

وبصرف النظر عن مدى صدق هذه الاضرب وانطباقها أو عدمه على أنواع الكلام ، فان مقتضاها أن لكل معنى لفظه المناسب له ، وذلك ماقال به نقاد العرب جميعهم ·

يقول ابن رشيق :

(اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباطه بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته) (٢) · فابن رشيق أعطى عبارة أوضح فى الربط بين اللفظ والمعنى وتلازمهما ، وذلك ماعناه الجاحظ وان دل عليه بعبارة مغايرة لعبارة ابن رشيق ·

وقد جمع ابن طباطبا بين عبارتى : الجاحظ وابن رشيق فيما يشبه أن يكون نصا لهما (٣) ، وما زاد الا أن فصل قول الجاحظ بماهو قبس من قول ابن قتيبة ، الذى جعل لكل معنى من المعانى لفظا يلائمه ويجرى مجراه قوة أو ضعفا أو جمالا أو قبحا وهلم جرا ·

---

(١) أنظر الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ دار المعارف من ص ٦٤ ـ ٦٩ ·
(٢) العمدة ـ ابن رشيق ١ : ١٢٤ ·
(٣) أنظر عيار الشعر ـ ابن طباطبا ٥ : ١٢٠ ، المكتبة التجارية سنة ١٩٥٦ م ·

(وهذه الفكرة سبق بها الجاحظ ، وزادها ابن طباطبا تفصيلا ، فأوضح أن ليس كل معرض تلبسه الجارية يزيدها حسنا ، أى ان هناك من المعانى معنى حسنا يشينه معرضه (المعنى الجيد واللفظ الردىء عند ابن قتيبة) وهناك اللفظ الحسن يلبسه المعنى القبيح (اللفظ الجيد والمعنى الردىء عند ابن قتيبة (١) ٠

وينحو الامدى نحو الجاحظ ، فى أن المعانى مطروحة فى الطريق ميسرة لكل انسان فى أى أمة ، وانما العبرة فى الباسها الالفاظ الملائمة لها ، كما ينحو منحى ابن قتيبة فى أن لكل معنى من المعانى لفظا يلائمه ويجرى مجراه ، وسبيل الشاعر فى انتقاء الالفاظ وتخير العبارات ، غير سبيل الفيلسوف والحكيم وغيرهما من الشعراء (٢) ٠

وهذا قد أومأ اليه الجاحظ فى أحد أقواله ، وهو ان الشأن فى اقامة الوزن ، وصحة الطبع وتمييز اللفظ ، وسهولته وجودة السبك ٠

وعلى نحو من ذلك ذهب المرزوقى فى مقدمة شرح الحماسة (٣) فأنت ترى أن عبد القاهر والمرزوقى وابن طباطبا وابن رشيق كلهم تعاوروا معنى قول الجاحظ : (فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض، وصارت المعانى كالجوارى) (٤) ٠

ولايمكن أن يتصور عاقل بأى حال من الاحوال ، أن يعنى نقاد العرب فى أقوالهم « اللفظ المنفرد » والا كان بحثهم حينئذ منصبا على مادة اللغة ، حال كونها ألفاظا مفردة مجردة من علاقاتها بما قبلها وما بعدها فذلك انما هو شأن المعاجم اللغوية ٠

---

(١) قضايا النقد الادبى ـ د٠ محمد السعدى فرهود ص ٣١ مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) ٠

(٢) أنظر الموازنة بين الطائيين أبى تمام والبحترى ٠ مطبعة محمد على صبيح بمصر ٠

(٣) أنظر شرح المقدمة الادبية لشرح المرزوقى على ديوان الحماسة لابى تمام ـ محمد الطاهر عاشور ـ نشر وتوزيع دار الكتب تونس ص ٤١ ٠ مطابع دار الكشاف بيروت ١٩٥٨ م ٠

(٤) البيان والتبين ١ : ١١ الجاحظ طبعه السندوبى ٠

واذا كان الامام عبد القاهر قد صرح بهـــذا فى كتـــابه « دلائل الاعجاز » (١) فانه أمر مفهوم فى أقوال الذين سبقوه ، ومقصود لديهم صرحوا به أو دلت عليه عباراتهم وتفسيراتهم ٠

والذين يدفعون عن الجاحظ وأمثاله العناية بالمعـــنى ، ويتهمونه بتقديم اللفظ عليه ، لايملكون الا أن يعترفـــوا أمـــام نصوص الجاحظ بما فيها من عناية فائقة بالمعانى ، وتقديمه وتوفيره لها كل مايمكن من جدة وبراعة حتى تكون الالفاظ تبعا للمعانى ٠

وممن ذهبوا هذا المذهب فى أدب الجاحظ الدكتور شـــوقى ضيف ، الذى نفى عن الجاحظ العناية بالمعنى (٢) ، ولكنه يعود ليثبت للجاحظ العناية به (٣) ٠

فكيف يعنى الجاحظ باللفظ ويسقط المعنى فى نقده ، ثم يأتى فـى أدبه فيرفع من أمر المعنى ، حتى يجعل اللفظ تبعا له ، أفليس فى هـذا تناقض ؟

والنقاد العرب لم يخطر ببالهم ابدا ، أن يقول القائل كلاما لم يرتبط فيه اللفظ بالمعنى عند قوله ، كما لم يعنوا اطلاقا بالكلام المخالـــف لاصول النحو وقواعده عند حديثهم عن اللفظ ، اذ جريان اللفظ على ما تقتضيه قواعد اللغة وضوابطها وأصولها أمر عندهم بدهى ، بمعنى أنه لايتصور قبول نص لم يلتزم الاصول النحوية فى نظمه ، وانمـــا الفضل يأتي من تباين القدرات فى فهم أسرار اللغة ودقائق معانيهـا ، ثم القدرة على حسن التأليف ٠

ب ـ ولقد عنى ابن بليهد فى شعره بالشكل والمضمون عناية طيبـــة ساعده فيها كثرة محفوظه من الشعر القديم ودراسته له وللاماكـــن

---

(١) دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجانى ص ٣٦ مطبعة المنار ٠

(٢) أنظر النقد الادبى ـ د٠ شـــوقى ضيف ص ١٦١ دار المعارف بمصر ٠ طبعـة ثانية ١٩٦٦

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

الواردة فيه خاصة ، ثم اتساع دائرة مدركاته عن طريق الرحـــلات والتطواف المتواصل فى جزيرة العرب ، ثم ســـفره الى مصر فى آخر حياته ، آلا أنه لم يكن فى عنايتهِ بالشكل والمضمون على وتيرة واحدة بل كان آخر شعره يختلف اختلافا كبيرا عن أوله ، وهذا ماسنشير اليه مستقبلا فى حديثنا عن تدرج شعره فى القوة (١) ٠

ومن هنا صار لزاما علينا ـ ونحن ندرس الشكل والمضمون عنده ـ أن نعرض من النصوص مايمثل ذلك ٠

١ـ فى عام (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٨م) ٠ نظم ابن بليهد أولى قصائده الفصيحة ، واتبعها أخرى فى العام نفسه وفى الغرض نفسه ، وهـــو انتصار جيش الملك عبد العزيز فى موقعه تربة ٠

وفى هاتين القصيدتين ، تظهر لنا عناية ابن بليهد ، بالشكل فى الاولى والمضمون فى الثانية :

أ ـ لنأخذ أولا مطلع الاولى :

تغير رسم الدار ، أصبح خاليـــا
فليس بها حى يجيب المناديا

عفا رسمها من وابل المزن رائح
واخر معهاد من المزن غاديا

فلم يبق الا موقد النار حوله
رواكد أمثال الحمام بواقيا

أسائلها عن أهلها أين يممـــوا
وهل يسألن من لايجيب سؤاليا

---

(١) انظر الفصل الاخير من هذا الباب

منازل حى طالما حل سوحها
أوانس أتراب حسان غوانيا

تداولها ذارى الرياح وأقفرت
على طول مرات السنين الخواليا

خليلى عوجا يسلو القلب ساعـــة
بتذكار من يهوى اذا كان نائيا (١)

لقد ترسم ابن بليهد خطا السابقين فى هذا المطلع ، وعنى عناية فائقة فى تخير الالفاظ ، وحاول أن يعطى شكلا مقبولا ، وصـــورة مرضية لديار الأحبة وأطلالها ، بعد ما تتابعت عليها الامطار والرياح، وتعاقبتها السيول فانمحت معالمها ، الا بقايا من حجارة كحمام وقع ، وقف أمامها يسأل عن أهلها أين يمموا ، ؟ لكن الاطلال والدمـــن لاتستطيع الجواب !

وهى معان كلها مطروقة فى مطالع الشعر العربى ، لم يأت فيـها بجديد بل لم يستطع فيها أن يلحق بمعانى السابقين الى ما لحـــق بعضها من خطأ ، كالاقواء فى الخامس والسادس مثلا ، فأين هو فـى الصورة والمضمون من قول ذى الرمة ؟٠

وقفت على ربع لميه ناقتى
فمازلت أبكى حوله وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه
تكلمنى أحجاره وملاعبه

على أننا نظلم ابن بليهد ، اذا نحن قلنا انه حاكى فى هذا البكاء شعر السابقين فى لفظه ومعناه ، اذ انه يعيش فى تلك الايام عيشـــة تشبه ماكان عليه الاقدمون ، فوسيلته فى أسفاره الابل ، ومنازله فى

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ ٠

اغلب أيامه بيوت الشعر أو الكهوف ، فصور منازل الحى تقع عليها عينه فى كل آن جل وقته كان فى أحضان الصحراء ، وعلى هام الربا وذرا الجبال ، متنقلا بتجارته بين القرى ومضارب البادية ..

ثم ان هذا الشكل فى مطالع القصيد كان شائعا فى الشعر العامى ، الذى أولع به ابن بليهد منذ صغره وبرز فيه وجارى فحوله ، وهو فى الثانية عشرة من عمره ..

وننظر البيت الخامس ، فنجده يصف من يتشوق اليها ويبكى ، ولكنه لا يفردها بل يشرك معها بنات الحى فيكرر الصفات ، ولكنها صفات لا يغنى بعضها عن بعض ، فكل لفظ منها له دلالته كما ان له جرسه وموسيقاه ، فالاوانس هى : جمع مؤنسة ، والاتراب : أى الامثال ، والحسان : الجميلات ، والغوانى : التى غنيت بحسنها ، فكل لفظ له معناه وله جرسه وموسيقاه ، لا يغنى فى مكانه عنه سواه ، عند ارادة اعطاء الصورة التى ارادها الشاعر لحبيبته :

ب ـ وفى مطلع القصيدة الثانية ، يتنكب النسيب ، ويأخذ فى غرضه مباشرة ، فيقول :

بسمر القنى والمرهفات القواضب
تنال العلا والعز أعلى المراتب

تنال العلا والعز أرفع رتبة
بكمت (١) عتاق (٢) ضامرات سلاهب (٣)

من العارض السامى تقاد الى العدا
خلاف القلاص (٤) اليعملات (٥) النجائب

---

(١) الكمت : أى التى لونها بين السواد والحمرة .
(٢) عتاق : أى السوابق . (٣) سلاهب : أى الطوال .
(٤) القلاص : أى الناقة الطويلة القوائم
(٥) اليعملات : أى الابل النجيبة المطبوعة على العمل ، وقيل السريعة ، وقيل توصف بها الناقة ، وقيل بل هى للناقة والجمل .

بأمر امام كلما أم وجهة
يؤمونه الانصار من كل جانب
يؤمونه الانصار من كل هجـــرة (١)
كتائب قوم الحقت بكتائب

فطور بشرقى البلاد وتارة
يفاجى بها حيا من أهل المغــارب (٢)

خذ هذا المطلع وقسه بالمطلع السالف ، ثم انظر أيهما أشد أسرا ، وأقوى حبكا وأمتن أسلوبا ، واقوى تعبيرا ، واوضح صورا ، وأقرب معنى ، وأقدر على وضع المعنى بين يديك ماثلا مشرقا ، لم يكـــدره التكلف ولم يحجبه التصنع ، ولم يثقله التكرار ٠

ويقينى أنك ستقدم الاول عن الثانى ، لما تراه فى الثانى من اثار التصنع وسمات التكلف ومخالفة الطبع ، على الرغم مما فيه من شـرف المعنى وسموه واتساع ميدان الكلام فيه ، تعاقب الشعراء على معاينـة والتصاقه ببيئة الشاعر وعصره ، ومع هذا لم يشفع له ذلك كله لدى الشاعر ، أوقل لم يقو الشاعر على أن يبلغ فيه الهدف أو يقاربه ٠

نقول هذا وفى نفوسنا شىء من أخذ الشاعر بذلك لسببين :

أولهما : أنها ثانية قصائده ، وثانيهما : انه تحرر فيها من القليد والمحاكاه ، فحسبه ما وصل اليه ٠٠

صحيح أن المعنى كما قلنا مطروق فى صور مختلفة ، لكنه عنده شريف لم يقصر به ، فهو يغرى الملك عبد العزيز بالاستمرار فـــى

---

(١) الهجرة : أطلق هذا الاسم عـــلىالقرى التى أقيمت لتحضير البادية ، وسميت كذلك لأنهم هجروا حياة البدو فيهاالى حياة حضرية ٠
(٢) ابتسامات الايام ص ١٨ ٠

الحروب طلبا للمجد والمنزلة السامية التى لايبلغها الا السيوف القواطع والرماح السمر ، والخيل الكمت العتاق ، والابل النجائب ، والرجال الذين يأتون من كل وجهة مناصرين ومؤيدين ومؤازرين ، فيضرب بهم فى فجاج الأرض ، فمن غزوة فى الشرق الى أخرى فى الغـــرب وهكذا ..

ولم يكن اللفظ فى جملته بالهزيل ولا بالضعيف ، وانما الضعف هنا فى تأليف الكلام ، ومن خلال ماوقع فيه من تكرار ، فقد كرر (تنال العلا والعز) فى البيتين الاولين ، كما ان فى «رتبة» فى البيت الثانى اعادة لمفرد الجمع مراتب ـ الوارد فى البيت الاول وكـــذا ـ (يؤمونه الأنصار) فقد كررها فى بيتين متجاورين هما «٤ ، ٥ » الى ما فيهما من ضعف مصدره الحاق الفعل ضمير الفاعل المذكور بعده (١) أما تكرار كلمة «كتائب» فى الشطر الثانى من البيت الخامســـــــــن فانه مقبول ، ومن ضعيف الالفاظ عنده كلمة (خلاف) التى راد بها معنى غير أو الى جانب .

وخلاصة القول فى هذا :

أن النص الاول جاء مقبولا فى لفظه وشكله ، لما فيه من صنعـــــة توخى فيها الشاعر مثالا من المطالع العربية القديمة فاحتذاه ، وجاء شكل الثانى ولفظه أقل لما فيه من ضعف وتكلف وتكرار ..

أما المعنى فمألوف فى الأول لاقوة فيه ولا ابتكار ، بينما هو فى الثانى فخم قوى رحب جمع الشاعر شمله وان ناءت به كلماته ..

---

(١) وهذه لغية ضعيفة عرفت عند النحاة بلغة (أكلونى البراغيث) وهى شائعة فـــى لسان عامة أهل نجد ، وجرت بهـاكثيرا أقلام طلائع المؤلفين : مثل الشيـــخ ابراهيم بن عيسى ، وحسين بـــن غنام ، ومحمد بن عمر الفاخرى .

٢ ـ وهذه قطعة من قصيدة تبلغ واحدا وخمسين بيتا ، نظمها في عام (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م) ردا على قصيدة هجا فيها أحد الشعراء الملك عبد العزيز ، وتبلغ ثمانية وعشرين بيتا (١) ·

يقول ابن بليهد :

ما أصبتم وما لديكم صواب
بعد مانص في البريد (٢) كتاب

وانتبهنا لقولكم حين قلتم
حدثيهم عن بأسنا ياحراب

ان هرمتم على الحروب فانا
كلما طالت الحروب شباب

ان أردنا أتت اليكم سراعا
من بني الحرب اذ يعاف الضراب

وملانا الثغور جيشا وخيلا
ضامرات كأنهن الذئاب

لم يصيحوا بساحة الحي الا
أن تداعوا الى الضلال ، وخابوا (٣)

علم الله أن فيكم رجالا
ان دعاهم سفيه قوم أجابوا

---

(١) نشرت ببريد الحجاز العدد ٢٤السنة الأولى سنة ١٣٤٣هـ · ١٩٢٤ م ·
(٢) بريد ـ صحيفة كانت تصدر فيجدة سنة ١٣٤٣ هـ · ١٩٢٤ ·م
(٣) الضمير في الشطر الاول راجع الىجيش الشريف ، ففيه ضعف تأليف ·

ماتقولون فى مليك اذا ما
مد أيد الى التناور (١) قاب

ذاك عبد العزيز ان ذكر المجد
أو على الخيل فى الجلاد ضباب (٢)

كان هو مقدم القبائل طرا
حين تحدى بأبطحيها الركاب

ان غضبتم فان قبلكم قوم
من بنى الحرب فى الحروب غضاب

أصبحت منهم الديار خلاء
بعد ماصاح بالشتات غراب

هكذا المعتدى يعاقبه الله
جهرة حين لايخاف العقاب

ان غمزنا قناة قوم كسرنا
جانبيها وكان فيه اضطراب

ان ظننتم بأن سلككم (٣) اليوم
عن رحى الحرب والمنون حجاب

---

(١) التناور : لعله أراد التقارع والتطاعن فى ميدان الحرب ، ولم يرد فى اللسان بهذا المعنى ، فلعله من نارت المرأة اذا نفرت من العيب (اللسان ٧ : ١٠٤ ، ١٠٥) أو من النائرة بمعنى العداوة (اللسان ٧ : ١٠٧) فلعله اراد ما قد تخلفه العداوة من صراع ، فان كان الأول فالمعنى انه نفور من العيب ، وان كان من الثانى فالمعنى أنه أقدر الناس على العدو والله أعلم .

(٢) الضباب : ندى كالغيم ، وقيل كالغبار وهو معروف .

(٣) السلك : شبك من الحديد المشوك أحيطت به مدينة جده أيام حصارها .

فارقبوها من الكثيب سراعا
طالعات كأنهن هضاب (١)

أ ـ تمضى القصيدة على هذا النسق من التماسك والترابط ، كل بيت فيها يستدعيه ماقبله ، ويتطلب هو مابعده ، قد أخذ بعضها بحجز بعض ، وهو نوع من حسن التأليف وجودة النظام نلمسه فى كثير من قصائده ، وبخاصة تلك التى انفعل الشاعر بموضوعها (٢) ٠

نعود الى ابيات هذه القصيدة ، فنجد ان البيت الثانى جاء فى صيغة الاخبار بالعلم بتلك القصيدة ، التى تضمنتها الجريدة ـ يريد الحجاز ـ ويأتى البيت الثالث أشبه برد على ما تضمنته الشطرة المضمنة فى سابقه من تهديد ٠

وهكذا تسير أبيات القصيدة متماسكه متآلفه ، أتقن الشاعر فيها ربط الابيات بعضها ببعض ٠٠

ب ـ والالفاظ فيها فخمة جزلة منتقاة ، فيها معانى القوة والعظمة والصلابة ، الاترى الى الكلمات الاتية :

حروب ، والضراب ، والجيش ، والخيل ، والذئاب ، ويصبحوا ، ثم خذ هذه الكلمات فى الحديث عن الاعداء : السفيه ، والشتات ، والغراب ، والعقاب ، والاعداء ، والاضطراب ٠٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٨٦ ، ٨٧ ٠

(٢) قصيدته التى نظمها وهو فى سجن المدينة المنورة سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م ، وكالقصيدة التى نظمها فى عام ١٣٥٠ هـ ٠ حين أقيل من العمل ورحل من الحجاز الى نجد ، وكالقصيدة التى رثى فيها الملك عبد العزيز سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م ونظائرهن فى شعره كثير٠

وهكذا كلمات القصيدة كلها قوية التعبير ، قد استقرت كل كلمة فيها فى موضعها كأنما لا يغنى سواها عنها ..

جـ ـ وننظر فى تأليف الكلمات وتجاورها وأسلوب مؤاخاتها ، وكيفية التأليف بين الجمل والربط بينها وما استدعاه ذلك من حروف متخيرة وافعال مناسبة ، جاءت على صورة من التناسق والائتلاف لاتتأتى الا للفحول ، لكنه مع ذلك وقعت له بعض الهنات ، كالذى نشاهده فى البيت الاول من هزال ، حتى جعل عبارة البيت وكأنما هى من كلام عامة الناس وبسطائهم ، ثم ماوقع له فى البيت السادس من ضعف جره حذف مرجع الضمير فى الشطر الثانى .

د ـ أما المعانى فناهيك بما فيها من جلال وعظمة ، لولا ما اعترى البيتين الاولين من ضعف تآزر فيه ضعف المعنى والاسلوب ، وهزال الالفاظ وبخاصة في الاول .

أما ماعدا هذين ، فمعان متخيرة شريفه صادقة عمد فيها الشاعر الى ابراز قوة جيش الملك عبد العزيز ، وأثنى على الجيش وقائده الملك بكل حسن من المعانى ، وعمد الى اضدادها فألصقها بالاعداء وقادتهم ..

على أن محور الابيات المتبقية من القصيدة ، وقدرها خمسة وثلاثون بيتا ، هو البيت الحرام ، وما يتطلبه وضعه الاسلامى العالمى من أمن ورخاء واستقرار ، وذلك اشرف المعانى وأسماها وأعلاها وأحظاها فى النفوس منزلة .

هـ ـ والصورة الادبية فى هذه القصيدة ، تأتى وقد نظمت صور البيان فيها نظما جيدا ، انظر الى الحروب كيف تهرم لدى أناس وتبعث الشباب فى الاخرين و (بنى الحرب) كيف جعل الابطال ذرية للحرب

يأتونها حين يعاف الضراب ، ثم انظر الى ذلك الجيش من ابل وخيل وقد صورت فى صورة الذئاب التى ملأت الثغر، وهذه ـ أى الثغور ـ لا يحل محلها كلمة أخرى ، لان المعركة كانت فى جدة وهى ثغر البحر الاحمر ·

أما البيت السادس ، فلولا مافيه من ضعف فى التأليف لكان غاية الروعة والجمال ، الشطر الاول منه يصور لك جيش الملك عبد العزيز وقد علا تنادى المقاتلين فيه ، حتى أشبه الصياح من شدة الاندفاع الى الميدان بشجاعة وعزيمة ··

أما الشطر الثانى فيصور لك جيش أعدائهم وقد تنادوا الى الضلال ، فخاب مسعاهم وباءوا بالخسران، صورتان متقابلتان ما نقص من جمالهما ، الا هذا الضعف بسبب حذف مرجع الضمير فى الشطر الثانى ·

ثم انظر الى استعارة الضباب للنقع ، كيف جاء أجمل من تشبيه النقع بالليل عند بشار(١) ولولا ما أدخله بشار فى تشبيهه، من جزئيات جعلت الصورة تتألف من الليل والنجوم والنقع والسيوف ، لولا ذلك لكانت استعارة ابن بليهد أجمل ·

وان شئت مزيدا فدونك هذه الصورة ، التى شبه الشاعر فيها دولة العدو بالقناة ، وجيش ممدوحه بغامز تلك القناة ، ثم أضاف (كسرنا جانبيها) فزاد الصورة جمالا وجلالا ·

أما الصورة فى البيت السادس عشر ، فقد يظن ان الشاعر فيها خالف الصواب لأن الخيل فى الحرب لا تشبه بالهضاب، اذ أن ذلك يدل على سمنها

---

(١) اشارة الى قوله :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

واكتنازها بالشحم وهذا يعوقها ، وانما تشبه فى الحرب بالذئاب كما شبهها هو فى صدر القصيدةفى البيتالخامس،لانها تضمر لتكونأجرى وأسرع وأخف في الكر والفر ، لكن الشاعر ابعد هذا ، وانما أراد ان الخيل قد انقسمت الى مجموعات كل مجموعة فى كثرتها كأنهاهضبة• والله أعلــــــم ••

على أن الخيل المدربة فى الحروب غالبا لا يعوقها اكتناز جسمهــا بالشحم واللحم ، وربما كان عامل قوة •

٢ ــ الصورة الادبيـــة :

هذا البَحث لا يعد ــ فى حقيقة الامر والواقع ــ منفصلا عن سابقــه (الشكل والمضمون) وهو مكمل له ومتم لعقد نظامه ، اذ الصـــــورة الادبية ماهى الا ثمرة الالفاظ ، وتأليفها ودلالتها على ما استهـدف الشاعر الدلالة عليه ، عن طريق التصريح او الايحاء (فان الالفــاظ وصوتها وجوها وتأليفها ، كافية لابداع القصيد البديع ••• وغايات الشعر السامية كما يقول ــ والترزالى ــ لا تخدم بالكلمات الوعـــرة الجافة ، التى تشبه الأشخاص المتعبين •••• ومن التعسف القول بان الكلمات الموحية ، هى التى يرقد فيها الفن الشعرى ، لان هذا القول يخرج أجمل قصائد : المتنبى ، المعرى ، والبحترى ، وشوقى ، مـــن دائرة الفن الشعرى •

والحق الذى لامرية فيه ، أن الكلمات القوية النافذة ، والكلمــات الحلوة العذبة ، تماثل تماما الكلمات الموحية فى كثير من الاحيان •• وللكلمات العذبة المؤنسة سحر وملاحة لا يقلان عن سحر الكلمـــــات الموحية والقوية ••• ولا يعزب عنا ان عذوبة الكلمات وحدها ،لاتخلق

أسلوبا بديعا ، وان كانت تضفى عليه ، رونقا ورواء) (١) ٠

على أنا فى تفتيشنا شعر ابن بليهد ، وتتبع ألفاظه وأساليبه وطرق تعبيره ، تبين لنا أنه فى ذلك لم يكن على وتيرة واحدة ، فحينا تكون أدلته سهله ميسرة ، وحينا يأتى بها عذبة لطيفة ، وتارة موحية ذات دلالات عميقة ، وأخرى تظلل الوعورة أداته وان كان ذلك عنده قليل٠

ولم نشأ اثقال البحث بنماذج هنا ، ففيما سنعرضه من صور شواهد ذلك كله ٠ ولكى نجلو الصورة الأدبية عنده جلاء واضحا ، نعرض لقطوف من أبياته نلتقطها من هنا وهناك فى شعره ، لنخلص منها الى قصيدته فى رثاء الملك عبد العزيز ٠

تأتى الصور البيانية عنده ممثلة تمام التمثيل للبيئة التى نشأ بها ، والزمن الذى عاش فيه ، ونوع الثقافة التى تثقف بها ، والطبيعة التى تقلب فى أحضانها ، والظروف التى اكتنفت مجتمعه اذ ذاك ٠

فأما البيئة فكانت عربية صرفة لم تغشها بعد التقاليد والعادات الوافدة من هنا وهناك ٠

وأما الثقافة فقديمة لا تربطها بالثقافة الحديثة أوهى الصلات ، اللهم الا فى اخريات حياته حيث فرضت عليه الثقافة الحديثة نفسها ـ نوع فرض ـ حين وفد الى مصر ، وأقام بها ثلاث سنين ٠

وأما المجتمع فكان أول الامر فى غاية الفوضى والاضطراب ، وفى

---

(١) الشعر المعاصر ـ مصطفى السحرتى ـ مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ٠

أخره غاية الامن والاستقرار ، وما نظم جل شعره الا فى زمن الفوضى والاضطراب ، وفى أحضان الفتن والقلاقل .

أما الطبيعة التى نشأ فىمهدها وتقلب فى أحضانها ، فانها التى ألهمت الفرزدق وجريرا ، وأمدت النابغة وحسانا ـ رضى الله عنه ـ وأمثالهمممن انجبتهم وربتهم هذه البلاد ..

فمن تلك الصور استعارته الانثى الحبلى للمنون فى قوله :

تمخضت المنون لها بيوم
عبوس والنجيع لها غلام

وحلت بالعذاب على أناس
تقارنت الولادة والفطـــام

وألقت عند معركها بنينا
شآما حين تنتظر الشآم (١)

انظر الى هذه الصورة التى مثلت المنية فى يوم الحرب ، بأنثـــى تمخضت فى هذا اليوم العبوس بغلام هو الدم ، وفطمته فى اليـــوم نفسه ، ثم يزيد الصورة قبحا بجعل البنين شؤما ، وهذا أقبح مايكون عليه البنون .

وشبيه بذلك قوله :

لم يبق من ابل البغى التى لقحت
بالاردنية منه عين وآثار (٢)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٦ .

ونتلمس الالفاظ التى أوحت بهذه الصورة المكفهرة العابسة ، فنجدها جميعها ألفاظا موحية كلها قوة وعمق وصلابة (المنون ، والعبوس ، والنجيع ، والعذاب ، والشام) وهكذا ، التقت الألفاظ وحسنت المواءمة بينها وبين العبارات المتركبة منها ، لتعطى هذه الصورة الغاضبة الدالة على ماكان فى تلك المواقف ، من صراع وقتل وسلب وغلبة وانتصار •

والتصوير الأدبى عنده لايأتى على نمط واحد، بل يختلف قوة وضعفا وجمالا وعمقا وبساطة حسب الزمن الذى نظم فيه ، شأنه شأن جميع شعره الذى سنثبت (٣) انه كان يتدرج فيه حتى باين أوله أخره •

خذ مثلا هذه المجموعة من الصور وردت فيما نظم بين عامى (١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩ م ـ ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤م)، ثم قارنها بما نورده لك من صور بيانية فى مصرياته ، فانك واجد ـ لامحالة ـ فرقا واضحا بين المجموعتين سواء فى الالفاظ وتأليفها ، أو فى أسلوب تناول الصورة وطريقة ابرازها ، وما ذلك الا لان ملكة الرجل كانت ذات قابلية للتفاعل ، بالمدركات والاستجابة للعوامل والمؤثرات •

أولا : هذه مجموعة من الصور فيها الجيد وفيها ما هو دون ذلك •

أ ـ فأما جيدها فأنه يجىء على نحو مما يأتى :

يصور ابن بليهد ، رقاب الاعداء فى صورة الماء يخوضه الممدوح الى أبواب النصر والغلبة ، وأعداؤه يعيشون من أحلامهم فى طيش ، لتحكمه فيهم وغلبته اياهم على أمرهم ••

---

(٣) انظر الفصل الأخير من هذا الباب(تدرج شعره) •

فكم خاض فيها من قبيلـــــــة
تطيش بها احلامها كيف تغلب (١)

فانظر كيف اعطتك كلمة (تطيش) من تصوير دقيق عميق لموقف الاعداء وقد ضمنوا النصر ، فغلبوا فطاشت أحلامهم ، أى انفلت زمام أمرها لشدة ما أصابهم من التهيج والانفعال ·

ويصور أفكار السوء لدى الاعداء ، بالعقارب التى تهيج فى الظلام، فتضربها أفعال الممدوح المشهور بالحلم فتمزقها

تعفو وتصفح عن عز ومقـــدرة
ولاتزال حليما غير منتقم

لكن اذا ضمت الظلما عقاربها
فنور فعلك يجلو غيهب الظلم (٢)

فان فى (ضمت الظلما عقاربها) تصوير بديع ، أدى بكلمـــات موحيه فيها ملاءمة للموضوع ومواءمة للمعنى ، على أبدع ماتكـــون الملاءمة والمواءمة ·

ويشبه تباشر الناس بمقدم الممدوح ، بتباشرهم بالغيث بعد المحـل والجدب ·

تباشر الناس فى نجد بمقدمــــــه
مثل التباشر عند المحـــل بالسحب (٣)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٤١ ·
(٢) المرجع السابق ص ١٥٥ ·
(٣) ابتسامات الايام ص ١٦٠

والذى يعرف أحوال البادية والبلاد التى تعتمد على المطر في مراعيها يحس هذا المعنى احساسا كاملا ، فلا شىء أجمل فى أذن الراعى من صوت المطر ، فما بالك اذا كان بعد جدب وجفاف ! ، انه فى أذنه كحديث الحبيب بل هو أمتع ·

وحديثها كالقطر يسمعه
راعى سنين تتابعت جدبا

ويشبه قلب الناجى من الاعداء فى خفقانه واضطرابه بجناح الطائر الحذر ، يظل يرف خوفا من طوارىء الطوارق ·

ومن نجا منهم ـ لو عاش ـ فى نكد
فؤاده كجناح الطائر الحذر (١)

وفضل الممدوح لايكون فى اقتران جوده بوجوده ، وانما فى عموم فضله وجوده ان أقام وان رحل :

اذا ترحل من دار أقام بها
أبقى لديها صنيعا طيب الاثر
كالغيث أقلع محمودا وخلف ما
يلتف من نفل غض ومن زهر (٢)

ب ـ وأما مادون ذلك ، فمنه تصويره إقدام المقاتلين بتشبيههم بالصائمين ، ويعنى أنهم يقومون على الاعداء ولديهم من التعطش الى دمائهم ، مثلما لدى الصائمين من تعطش الى الماء ·

وتروى المشرفية والعوالى
كأن الطاعنين بها صيام (٣)

---

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢٦
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧ ·
(٣) المرجع السابق ص ٢٥ ·

وهو تشبيه كما تراه لايخلو من سماجة ، لم تستطع دفعها عنه الكلمات المتخيرة (المشرفية ـ العوالى ـ الطاعنين) •

وفى صورة أخرى لاقدام المقاتلين واستبسالهم يشبههم بالموتى ، ويعنى أن حالهم فى اندفاعهم الى المعركة ، كحال من قطع صلته بالحياة •

تجرى بأسد اذا يطرى الجهاد لها
كأن واحدهم فى اللحد قد قبرا (١)

فالشطر الاول من البيت فى غاية القوة والجزالة ، ولكن الشطر الثانى قد انحط الى الدرك الاسفل ، فما هكذا يصور الاقدام والاستبسال ، فلو أنه قال : (كأنها الريح اذ تستقبل الخطرا) لواءم بين جمال صدر البيت وعجزه ، على أن المعنى فى ذاته شريف ، اذ المقصود فيه أن المحارب قد استمات فى اقدامه ، حتى استوت عنده الحياة والموت ، أو آثر الاستشهاد طلبا للجنة ، ولكن الالفاظ لم تقم به •

ويشبه الجود بالميت الذى يدعى فلا يلبى الداعى ، لكنه حين دعاه الممدوح نهض على أقدامه ملبيا النداء ، معتزا باضافته الى الممدوح :

أرى الجود ميتا قد تصرم عهده
ينادى وقال الجود لا أتكلم

فلما دعاه ابن الكرام أجابه
وقام على أقدامه يتبسم

وقال اضافتنى اليك شمائل
لان سجاياك العلا والتكرم (٢)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٠ •
(٢) ابتسامات الأيام ص ٨٠ •

فايقاع الموت على الجود تعبير لايخلو من هزال ، فلو أنه قيد موته بكون ذلك فى أخلاق الناس ، وانها خلت منه لكان أجود وأجدى للمعنى ، فأحسن منه أن يقول : (أرى الجود فى خلق الانام كميت)، والمعنى الذى أراده جيد ، لكن لم يحسن التعبير عنه ٠

جـ ـ ويأتى المجاز المرسل عنده على أبدع ما يكون التصوير ، انه يترقب وصول (الملك عبد العزيز) الى الحجاز ، فيطيل الالتفات الى الطريق الذى سيسلكه الممدوح ، لكنه يعبر عن ذلك بلفت الرقاب بدلا من لفت الرؤوس :

لفتنا لنهج المنجدين رقابنا
كما أشرفت أبصارنا كل مرقب (١)

أنظر ماحواه التعبير عن الرؤوس والرقاب من جمال المعنى وبلاغة المجاز ، واذا كان قد وفق فى الاسلوب المجازى ، فان التوفيق قد خانه حين عبر عن النظر الى درب القادمين بالالتفات ، اذ الملتفت انما يلتفت الى ما وراء ظهره ، وقبيح أن يولى درب الممدوح ظهره ، وكان يجمل به أن يقول (نصبنا لنهج المنجدين وجوهنا) ٠

ثانيا : ويصقل السفر فكره رغم كبر سنه وما يصارعه من أمراض ، فيعذب لفظه وترق أساليبه ، وتسلس عباراته ، وتزداد تصوراته اشراقا ، كل ذلك مع جودة واتقان واحكام أقوى ٠

ونقرأ أولى مقطوعتيه فى المرضتين فيطالعنا منها مثل قوله :

رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى

---

(١) المرجع السابق ١١٠ ٠

فـــأما التى بالكتـــف تذكى بكهـــرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللطـــف (١)

فهل ترى أجمل من تصوير الحب بالنار ، التى تكوى القلب وقـــد أذكتها الملاحة واللطف وهل أبدع وأروع من تشبيهه فتنة الممرضتين بالمنايا فى قوله :

اذا طفقـــت كلتاهما فى علاجهـــا
رأيتالمنايا من أمامى ومن خلفى (٢)

ويقصد الى تصوير ما وصلت اليه مصر من رقى علمى ، فيـــأتى بذلك على هذا النحو من الاستعارة اللفظية ، التى نقلـــت الصـــورة البدوية الى الحاضرة ٠

العلـــم ألقى بـــوادى النيـــل أرحلـــه
حـــتى تســـنم فيه أرفـــع الســـور (٣)

أما حلوانيته التى هى مما نظم فى مصر ، فان صوره فيها تسمو حتى تباهى نفائس الشابى وأمثاله ، من شعراء الطبيعة والجمال ٠
أنظر كيف يصور الزمان ، فى صورة من تطلب منه الهدايا فيجـــود بها ، ولكنها أخبار وعظات ٠

جئنا لحلـــوان نستهدى الزمان به
طريف أخبار من عاشوا به حيـــنا (٤)

ثم أنظر كيف يصور الصبح والازهار ، فى صورة الفين يضاحك كل منهما الاخر ، ثم يوغل فى الخيال فيرى الفراشات ، فى صورة حســـان

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٢ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٧٣ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٠ ٠
(٤) أوراق مخطوطة ٠

غانيات يرقصن على مسرحهن ـ هامات الياسمين ـ ولم يقف عند هذا الحد ، بل جعل طنين الفراش غناء وطربا حتى اذا أدركها الظمأ ترشفت من ثغور الزهر طلا ، كان دموعا ذرفها الليل عندما أضناه تشاكي المحبين :

ياروضة ضاحك الصبح الجميل بها
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا

والياسمين على هاماته رقصت
غيد الفراشات أفواجا تغنينا

وترشف الطل من ثغر الزهور جرى
من أعين الليل أضناه تشاكينا

ما أدمع الليل الا أدمع ذرفت
من أعين هاجها فقد المحبينا (١)

أما قصيدته في رثاء الملك عبد العزيز (٢) التي هي من أواخر ما نظم فانها معدودة في روائع الشعر العربي من وجهين :

الاول : جودتها واحكام نظمها ٠

الثاني : ان فيها من الصور المبتكرة ما تستطيع تبينه دون ايماءة اليه ، وهي تبلغ ثلاثة وثلاثين بيتا يقول منها :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألقت الحرب والاحداث في فيها

حتى تخطف أعلام البلاد على
رغم النفوس التي ظلت تفديها

---

(١) أوراق مخطوطة ٠
(٢) توفي عام (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣م)

أرى المنايا بضخم من كلا كلهـــا
ومستطيل عنيف من أياديهـــــا

جثت وعضت على قطب الزمـــان وقد
لفت ذراعين منها حولـــــه تيها

أن حطمت صارما دان الزمان لــــه
وخافه فى الدنا القاصى ودانيها

وأوقدت بقناة كان ثقفهـــــــا
نارا ولكن سعود قام يطفيهـــــا

وفيصل فى سبيل الله صارمـــــه
ماض وماند ملآراء يدنيهـــــــا

مالى وللمدح يغرينى ببهرجـــه
قصائدى نالها حتـــى مراثيهــا

دع عنك هذا فاللافكار مصطخـــــب
فى الصدر والقول ينئيها ويدنيها

ونحن فى ساعة جن الجنان بهـــا
قد جاءنى نعيه ويحالها فيهـــا

رمت صدور المعالى فى اجنتهـــــا
واستنزلت هام مجد من صباحيها

وخلفت شعب دار العرب منذهـــــــلا
فى ظلمة لا البكا والدمع ويجلوها

اليوم تبكى بلاد العرب عاهلهـــــا
ذاك الذى ظل يعليها ويبنيهـــــــا

بكتــــه فى الحرم المكى كعبتـــــه
وقاصدوها بكوا حتى أعاديهـــا

بيــــوت ربى بكـــت وكل مئــــذنة

وكل روضة علم جل ناديهـــــــا

وكل درب على حافاتها غرســـــت

يمينه الامن فاكتظت بساريهـــــــا

كتاب ربك يبكى فيه حافظـــــــــه

عن ظهر قلب وتبكى الاى تاليهـــــا

وتندب العرب فيه قائدا لمعـــــــت

افكاره كشموس فى نواديهـــــا (١)

واول مانلحظه فى هذه القصيدة ، هذه الصور المبتكره ، فى تصوير المنية بالحيوان المفترس ، الذى لم يكفه ما ألقت الاحداث والحـــروب فى فمه ، حتى تخطف أعلام البلاد ، ثم انظر الى تصويره المنايا فـــى صورة الحيوان المفترس الضخم الكلاكل الطويل اليدين عنيفهـــما ، يجثو على الملك عبد العزيز ، ويعض عليه فى فرح وتيه ان حطم هذا الحسام الذى دان له الزمان ٠

ومثل ذلك فى التعبير عن الملك (بالقناة) ، وأن المنية كانت تريد أن تجعلها وقودا للنار ، لولا أن أبناء المرثى تصدوا لها،فاستنقذوهامن ذلك ٠

ثم انظر كيف صور المنية ترمى افئدة المعالى ، وتستنزل هام المجد ، وهكذا يسير فى هذه القصيدة من تصوير بديع الى ماهو ابدع ، فيجعل الكعبة تبكى والمساجد والمآذن ، ورياض العلم والدروب الآمنـــة ،

---

(١) أوراق مخطوطة ٠

والكتاب وآياته ، حتى كأنما تحولت الدنيا الى مأتم بكى فيه الانسان والجماد والحيوان ، فهل بعد ذلك من تصوير بديع لمثل هذا الموقف ؟

وانما تحولت القصيدة الى ينبوع من الصور الجمالية الرائعة ، لما وهبها الشاعر من فكرة ، واختيار لفظه ، وتأنقه فى تأليفه ، ودقته فى نسجه وحبكه ، فهى تحفة فنية رائعة ، ماتخون محاسنها سوى ما اعترى البيت العاشر ، من تقديمه ل (ويحالها) على (فيها) وهى ضرورة اقتضاها النظم ..

أما كلمات القصيدة فكلها ألفاظ جيدة مختارة ذات ايحاء قوى ، بلغ الذروة حين تآلف على هذا النسق ، الذى أبدع فيه الشاعر ابداعا لم نره الا فى جملة من قصائده المعدودة ..

ونحن لانعنى بذلك ان جيد قصائده هو ذلك المعدود ، وانما نعنى ما اسلفناه فى اكثر من موضع ، من ان له الجيد والردى ، ولكن جيده يتفاوت ، ففيه مابلغ فيه الذروة ، تصويرا ، وشعورا ، وفكرا ، واحساسا كهذه القصيده ، وفيه ماكان دون ذلك .

٣ ـ الطبع والصنعة فى شعر ابن بليهد :

ـ تكلم النقاد العرب فى الطبع والصنعة ، فجعل ابن قتيبة الطبع نظير البديهة ، والارتجال ، وجعل الصنعه نظير التكلف والتمحل(١) ، وليس كذلك فبين الصنعة والتكلف فرق سنعرفه بعد ، وعلى نحو من قول ابن قتيبه نحا المرزوقى فى مقدمة الحماسة (٢).

وقارب بينهما ابن رشيق ، فجعل المطبوع هو الاصل ، وهو الذى

---

(١) انظر الشعر والشعراء ابن قتيبة ص٧٨ ، ٩٠ طبعة دار المعارف ١٩٦٦ ..
(٢) انظر شرح المقدمة الأدبية لشرح الامام المرزوقى على ديوان الحماسة ص ٩٩ دار النشر ـ تونس .

يأتى أولا فى جمال وجلال ، وجعل الصنعة قريبة منه ، وهى التى تأتى نتيجة التأمل والتفكر والتماس أسباب الحسن ، غير أنه استحسن قليلها وانكر كثيرها (١) ٠

أما الجرجانى فقد قسم الشعر الى قسمين : مطبوع ، ومتصنع ، وجعل التصنع مقابل الطبع (٢) ٠

وجعل بعضهم أقسام الشعر ثلاثة : (٣)

مطبوع جرى على اللسان بلا صنعة ولا تكلف ٠

مصنوع اشبه بالمطبوع لحسن تخير ألفاظه واساليبه ٠

مصنوع متكلف ٠

والصنعه لاتتنافى مع الطبع فى حقيقه الامر ، وانما هى خدمة له ، وتتميم لبدائعه ، وتجلية لروائعه ، معدنها معدنة ، ومنبتها منبته ، اذ المستمد فيها انما هو الذوق السليم ، وما الذوق والطبع لدى الشاعر الا أساسين للالهام والابداع ، والبناء والتجويد ٠

ومما يقع فيه غير المتأملين ، الخلط بين الصنعة التى هى مصدر ابداع ، والتصنع المرادف للتكلف والتمحل (٤) ٠

---

(١) العمدة ١ : ٨٣ ابن رشيق٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٣٧٤ ١٩٥٥م ٠

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص١٩ مطبعة عيسى الحلبى ط الثالثة

(٣) أسس النقد الادبى ـ د٠ أحمد بدوى ص ٤٥٣ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٨ م٠

(٤) من هؤلاء سلامة موسى الذى نشر فى مجلة الهلال العدد ج ٢ ، م ٣٤ ـ ص ١٥٦ سنة ١٩٢٥ مقالا تحت عنوان(خصلتان فى الأدب العربى ـ حب القديم وكثرة الصنعة) ٠

وفيه هجم الأدب العربى والنقادوالعرب : القدامى ، والمحدثين كابن قتيبة والامدى وأبى هلال العسكرى والمنفلوطى والرافعى والمازنى ، فقد اتهم المنفلوطى فى اساليبه بأنه كثير التلفت الى القديم متأثرا فى هذا منهج ابن =

فان الاول خادم للطبع أو مساعد له ، وأما الثاني فانه يتنافى مع الطبع القويم ، والذوق السليم ولا يصير اليه الا من فقد الطبع ، فعجز عن اسباب الاجاده ، فطلبها في سبيل اعتساف صور البيان ، واكراه الالفاظ والمحسنات على موافقة هواه ، والوصول الى ما يتمناه .

والاجماع عند نقاد العرب على ان : الأناة ، واطالة التفكير، وتخير الكلمات والنظر فى أبيات القصيدة ، والعمل فيها بالتقديم والتأخير ، والتبديل والتغيير وسد الفجوات ، وابدال الكلمات ، هذا وغيره مما يقتضيه تقويم القصيدة لايتنافى مع الطبع السليم ، والفكر القويم (١) ، بل عده النقاد أفضل الشعر واجوده (٢) ، وعدوا التأنق ودقة الاختيار فى الالفاظ وحسن الملاءمة بينها من أهم أسباب حسن الكلام وموجب قبوله (٣).

= قتيبة، ثم نسب الرافعي والمازني الى الصنعة ، وأنهما فى لفظهما وأسلوبهما يتوخيان منهج ابى هلال العسكرى، والآمدى ، وأمثالهما ، ورد تدهور الاساليب العربية فى عصور الانحطاط الى توخى هذا المنهج أى ما دعا اليه الامدى وأبو هلال من العناية بالالفاظ .

ومن هنا حكم بأن الأدب العربى، لا تجدد فيه لتلفت أربابه الى القديم ، كما دعا الى ذلك ابن قتيبة ، كما زعم أن فى العناية باللفظ والأسلوب ، وتجويدهما بعثرة للجهود وتبديد للقوى .

ويناقض نفسه ، فيقول : ان دقة التعبير هى غاية الغايات فى اللغة، ونسى او تناسى أن ما يقصده نقادالعرب، حين دعوا الى تخير الكلام والعبارات ، وتجويد الأسلوب هو الدقة فى التعبير والدلالة على المقصود ، على أنه يخلط بين الصنعة والتصنع ، بقوله: ان القصد من الصنعة هو الزينة والبهرجة وهذا ما يسميه نقاد العرب التصنع، .

على أن لسلامة موسى وأمثاله أهدافا أتخذوا من مثل هذا القول ستارا لها

(١) انظر عيار الشعر ـ ابن طباطبا ص٥ مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م .

(٢) انظر الموشح للمرزباني ص ١٢٥ المطبعة السلفية .

(٣) انظر الصناعتين ـ أبى هلال العسكرى ص ١٤١ طبعة عيسى الحلبى .

٢ ـ ولقد كان ابن بليهد وافر الحظ والنصيب من محفوظ الشعر وبخاصة شعر العرب الاقدمين : من جاهليين واسلاميين ، ظهر أثره فى شعره فى أكثر من مجتلى ، كما تجلى فى استشهاده به فى مؤلفاته ٠

ولا ريب فى أن الحفظ يغنى لغة الشاعر ، ويفسح له المجال لانتقاء الكلمات وتخير الالفاظ ، ويجعل المجال أمامه رحبا لتخير العبارات والملاءمة بينها ، ويجعل أمر النظم ميسورا له ، وتجويده فى متناول بيانه ، ويعينه على تهذيب شعره ، وهكذا كان العرب السابقون ٠

يقول القاضى الجرجانى :

(وأنا أقول ـ أيدك الله ـ ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم ، والاعرابى والمولد الا أننى أرى حاجة المحدث الى الرواية أمس ، وأجده الى كثرة الحفظ أفقر) (١)

ويبدو ان ابن بليهد كان لايتعهد محفوظه بالمذاكرة ، كما لم يعمد الى معارضة ذلك المحفوظ ، الا قليلا جدا لا يتجاوز قصيدتين : احداهما عارض بها على بن الجهم ، والاخرى عارض بها ابن عثيمين٠

غير أنك ترى طفح ذلك المحفوظ على أديم شعره ، وتلمسه فى كثير من عباراته وكلماته ، على مافصلناه سلفا ٠

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ ص ١٥ ، ١٦ الجرجانى ـ ط عيسى الحلبى الطبعة الثالثة ٠

ولم يكن الاقدمون وحدهم ، الذين عرفوا فضل المحفوظ : فى تقويم اللسان ، واعتدال البيان ، واستقامة عمود الشعر ، بل لقد عرف ذلك المتأخرون ، أو بعبارة اصح تابع المتأخر المتقدم فيه ، لايمانه بجدواه وتأكده من نفعه ، ولا سبيل سواه يدنى الى الاجادة والاحكام ٠

ويقول الشيخ حسين الموصفى :

(اعلم أن لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه ، اى من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، يتخير المحفوظ من الحر النقى الكثير الاساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل مايكفى فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل : ابن أبى ربيعه ، وكثير ، وذى الرمة ، وجرير ، وأبى نواس ، وحبيب ، والبحترى ، والرضى ، وأبى فراس ، واكثر شعر كتاب الاغانى، لانه جمع شعر أهل البطقه الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، بالاكثار منه فتستحكم ملكته وترسخ وربما قيل : أن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها ، فاذاً نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الاسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ بالنسيج عليه من كلمات أخرى)(١) ٠

ومن تعقيب الدكتور محمد مندور عليه قوله :

(وكان الاجدر به ان يحذف الاحتمال من هذا المبدأ ـ ربما ـ وذلك لأنه من الضرورى أن يتحلل كل انتاج شعرى أصيل من الذاكرة لكى يصبح شعر حياة)(٢) ٠

---

(١) الوسيلة الادبية حسين المرصفى ٢ : ٤٦٨ مطبعة المدارس الملكية ٠
(٢) النقد والنقاد المعاصرون ـ د ٠ محمد مندور ط نهضة مصر بالفجالة ص ١٧

وفى النظر الى الطبع والصنعة عند ابن بليهد ، نجد أنه فى شعره لم يسر في طريق واحد ، ولم يكن شعره فى منزله واحدة ، وهذا أمـــر طبعي لدى كل شاعر يقوى جانب اللفظ عنده حينا ، ويغلب الطبـــع والمعنى حينا ، وقد يلتقى هذا وذاك ، فينسب الشاعر الى أقواها فـــى شعره وأغلبها عليه ..

ونحن فى قراءتنا للكثير من شعره ، لانملك أن نسلم له بالموهبه والطبع والعبقرية والالهام ، لما فيه من ابداع فى الكثير من قصائده ، التى يشدنا اليها انسياب عواطفه ومشاعره واحساساته فيها انسيابا ، لا نحس فيه قلقا أو افتعالا أو تكلفا لفنون القول أو تأليف المعانـــى أو الافصاح عن تلك الخطرات النفسية ، التى كانت تعاوده من حيــن لاخر حسب ماتمليه المناسبات ، وتستثيره الاحداث والملابسات ، الا ترى الى حزنه على الملك عبد العزيز ، كيف أخذ ينساب فى مسارب حســه ، ويدفع مشاعره واحساساته الى حد تصور احزان الحيوان حين يفجـــع بالف أو حميم فيأتى فى صورة امتداد غير مألوف لختام مرثيته .

وصل ربى على المختار سيدنا

مالعلع الرعد فى آفاق ساميها

وماهما من عيون السحب ساكبها

على خدود الثرى دمعات باكيها

وما بكت فوق غصن البان نائحـة

حمامة الفها من سهم راميها

ناحت زمانا فأبكانا تفجعها

يا للمصائب حتى الطير تشجيها

غدا ستسلوا ويمسى شجوها نغما

فى ظل الف جديد جاء يسليها

صلاة ربى على طه مجـــــددة
ما استغفر الله مالآنام عاصيـها (١)

وهنا نجد صورة للتعزى رائعة ، جاءت من خلال تصور حال الحمام حين تمر به الأيام ، فيسليه عن أحزانه ألف جديد وكأنه يريد أن يقول: ان هذه سنة الحياة ٠

ولانريد أن يجرنا الكلام ، الى الحديث عن التفريق بين هـــذه الاستعمالات الاربعة : الالهام ، الطبع ، والموهبه ، والعبقرية ، لشىء هو ـ فى نظرنا على الاقل ـ واحد لا اختلاف فيه ، الا وهو المصدر الاول للابداع عند الشاعر ، أو الفنان بعامة ، ذلك الذى تلمس أسبابـــه ومبعثه الناقدون منذ القديم ، فنسبوه حينا الى الالهة وحينا الى الجن والشياطين ، وحينا الى قوى خفية لا تدرك ،وهذا تخبط نجا منه نقدنا العربى قديمه وحديثه ٠٠

ونحن ايضا لانريد أن يجرنا الحديث الى مثل هذه الميادين ، التـى خاض فيها النقد القديم (٢) ، وتكلم فيها الناقدون العرب والغربيون٠

---

(١) أوراق مخطوطة ٠

(٢) على أنا لا نعتقد فى الالهام ، مــا يعتقده سقراط وأمثاله من اليونانيين ، لأن مثل هذا الاعتقاد ، يؤدى الـــى تجريد الشعراء من أعز ما يعتزون بـــه ويحافظون عليه بن صفات ، وهو العقل المفكر ٠

على أن اليونانيين حين سلبوهم ذلك ، شبهوهم بالانبياء والكهنة ، الذيـــن ينطقون بالكلام الحسن والحكمة ،ولا يفقهون من أمرها شيئا ، وأن سامعيهم والمعجبين بهم أقدر على فهم مـــا يقولون منهم ، وهذا تناقض ظاهـــــر ، اذ كيف يكون نبيا ولا يفهم مــــا يقول ؟ حاشا لله أن يوصف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بمثل هذا الوصف ٠

فالنظريات اليونانية فى مثل هذا الميدان ، لا تلائم فكرنا وأدبنا من وجهين :

الأول : أنها تصادم المعتقــــد الدينى ، وهذا لايعنى أننا نقصد الى اخضاع المعايير الأدبية ، لما يقتضيه الدين(وان كنا نميل الى ذلك لكن فى غير هـذا الميدان) ٠ =

وقد استقر عند نقاد العرب السابقين تسميته بالطبع حينا ، كقول الجاحظ الذى يقرر أن المطبوعين من الشعراء هم (الذين تأتيهم المعانى سهوا رهوا ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا)(١) وبالطبع والذكاء حينا، كالجرجانى اذ يقول : (وأنا أقول ـ أيدك الله ـ ان الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء) (٢) ٠

على أن الخلاف حول هذه الاستعمالات ، وماتعنيه لايعنينا ـ على الاقل هنا ـ فلنعمد الى مانحن فيه ٠

لقد كان ابن بليهد شاعرا مطبوعا ، التقت موهبته بثقافته القديمة ، ثم الدربة ،فكونت منه شاعرا فذافى زمانه،وهذا ماعناه الجرجانى(٣) فيما أسلفنا من قولـــــه

ولم تكن ثقافة ابن بليهد ومعالجته الشعر ودربته فيه ، هى التـــى هيأته لقول الشعر ، ولو قلنا أن ذلك وحده كاف، للزم أن يكون بعـــض

= والثانى : أن تحكم « العقليــةالأسطورية » قد انقضى زمنه من بعيد ٠

ولعل هذا القول فـــــى الأدباليونانى ، نشأ من العداوة المستحكمة بيـــن افلاطون وأستاذه سقراط من ناحية، وبين الشعراء من ناحية أخرى ، دعتهما الى أن يطلبا من الدولة أن تكبـــحجماحهم وتشتت شملهم ،لما يأتون به من أمور تفسد أخلاق الشباب ، ولا يشبههذا ما أثر عن شعراء العرب ، من ادعـــاء تابع « شيطان الشعر » لكل واحـــدمنهم ، فان ذلك يمكن تفسيره على وجـــه مجازى ، هو أنهم شبهوا تأجـــــجالعاطفة ،واندفاع المشاعر بالحركةالشيطانية لكنهم لم يعبروا بذلك لميل فـــــىنفوسهم ، الى جذب الناس أكثر لما يقولون ٠

(انظر فى هذا كتاب النقـــــدالأدبى عند اليونان ، بدوى طبانة ـ طبعـة الانجلو ص ٥٢ ، دفاع سقراط ،محاورات أفلاطون ص ٧٦) ٠

(١) البيان والتبيين ٢ : ١١ ط الساسى

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومـــــهعبد العزيز الجرجانى ص ١٥ طبعةالحلبى ٠

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومـــــهعبد العزيز الجرجانى ص ١٥ طبعة الحلبى

من فى عصره ممن هو اوسع منه ثقافة واكثر معالجة للشعر أشعر منه ، كالشيخ ابن سمحان ، لكنه لم يكن مثله ، ولكنها الموهبة والعبقرية : (فالخطل كل الخطل ، أن يزعم زاعم أن المواهب الفنية ، قد تكون نتيجة لمجهودات يبذلها المجدون فى مجالات الفن وقوانينه ، لان هذا الدأب مهما قويت أسبابه ، وتنوعت نتائجه ، لايمكن أن يمنح الجاد الدءوب موهبة ذات نتاج مبتكر ، وانما تنحصر غاياته فى تنويع ما يصدر عن العبقرية التى لا مناص من وجودها أولا بدون كسب أو معاناة) (١) ٠

على أن الموهبة تختلف قوة وضعفا ، لدى الشعراء ، وذلك مايفسر لنا الفرق بين ابن بليهد ومزامنيه ، من شعراء الجزيرة أمثال محمد حسن عواد ، ومحمد سرور الصبان وامثالهما ٠٠

وكاختلاف الشعراء فى الموهبة وتباين حظهم فيها ، يكون تباين حظهم كذلك فى الصنعة ، وسبل التفنن فى أختيار الكلم واحكام القصيد ، وهذا يفسر لنا أيضا ، مانجده من فرق واضح بين شعر ابن بليهد وشعر ابن عثيمين ، الذى كان أجود منه صنعة وأمهر صياغة فى اكثر شعره ، وان قصر دونه فى فنون الشعر ، وتنويع سبل القول فيه ، كما أسلفنا فى حديثنا عن الاغراض وفى الموازنة بين قصيدتين لهذين الشاعرين ٠٠

على أن لابن بليهد من الشعر ماماثل فى جودة صنعته شعر ابن عثيمين ، وبذه بما فى شعره هذا الذى سنورد أمثلة منه ، من سهولة فى المأخذ ويسر فى التناول ٠٠

---

(١) الشاعر عبد الحميد الديب ـ حياته وفنه ـ د ٠ عبد الرحمن عثمان ص ٢٢٣ دار المعارف بمصر ٠

ألا ترى الى قوله يستنهض الملك عبد العزيز ، حين أسر الادريسى عامل الملك على جازان ، كيف جاء على هذا النحو : من متخير الكلام، وجمال الصياغة ، وحلو العبارة ؟

أقمت فما هذا المقام المحتم
ووخد المطايا فى فضا الارض أحزم
ولا تسأل الأقدار عما تجره
مخافه هلك أنها لك مغنم
تفكر ففى قلب الزمان قساوة
علينا ولكن ثغره يتبسم
ولاتترك الخطب العظيم لعظمه
فان الذى باقى من الدهر اعظم
اذا حملت أرض تراب مذلة
فليس عليها للكريم مخيم
ولاتحسبن الدهر ضاقت ضلوعه
بحمل الليالى والتى تتجشم
وكم غمزة فى جانب لم أقل لها
ألمى وجنبى قبلها متألم (١)

على أن النقاد العرب آثروا المطبوع على المصنوع ، وقدموه عليه لما فيه من حلاوة ، وما عليه من طلاوة ، ولبعده عن كد الذهن واتعاب الفكر ، واطالة التأمل والتدبر (وملاك الامر فى هذا الباب خاصة

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٩ .

ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به ، ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المهذب الذى قد صقلـه الادب ، وشحذته الرواية ، والهم الفصل بين الردىء والجيد وتصور أمثلة الحسن والقبح) (١) ·

ونحن حين نقرأ لابن بليهد هذا المطلع الذى ينسب فيه ، فيذكر شدو الحمائم الذى اهتاج صبابته ، ثم يقف على أطلال دار سلمـى فيبكى ويستبكى ، ليخلص من ذلك على أحسن وجه الى مدح الملـك عبد العزيز ، لانملك الا أن ننظر اليه ، على أن مثله هو المعنى فـى قول القاضى الجرجانى السالف ·

واعنى بقول ابن بليهد هذه الابيات :

أهاجكَ من ذاك الحمام الترنم
لانك مشغوف الفؤاد متيم

على دمنة قفر كأن رسومهـا
مراجع وشم ضم باقيه معصم

يكف نواحيها من الريح بارح
عليها وملتج الجوانب مظلم

خلت من شبيهات المها وتصرمـت
مودة سلمىٰ والنوى يتصـرم

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ القاضى الجرجانى ـ ص ٢٥ ـ ط الحلبى ·

بحى خلت منه الديار وأقفرت
فليس بها الا غراب وقشعم

أقول لاصحابى بمنقطع اللوى
تشتت شمل الحى منا ومنهم

. . . .

ولكننى أنسى الصبا عند ساعة
يخاطبنى فيها الامام المعظم

وأترك طياتى اذا قال صاحبى
غداة لارباب العلا نتقدم

كففت صدور العيس عن كل لازم
لأن لقاء المقرنيين ألزم

زجرت الى عبد العزيز ركائبى
كما زجر العيس المراقيل محرم (١)

فانت ترى أن هذه الابيات جاءت على نحو من الجمال والجلال لانها خلت من التكلف والتصنع ، وان معانيها واضحة قريبة ، وانها مصوره لبيئة الرجل وثقافته دالة على ما يعتمل فى نفسه ، وما يهجس به خاطره ٠ ٠

وما ذاك الا لان مبعثها الطبع ، الذى استرسل وراءه الشاعر ، ولم يسمح لاسباب التصنع أن تتمكن منه ، وحين نطلب التقاء الطبع وجودة الصنعه ، بالجزالة والفخامة ، وشرف المعنى ، ومتانة الحبك وحسن الصياغة ، فأنا نجدها ماثله فى الكثير من شعره ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٨ ٠

الا ترى هذه الابيات التى افتتح بها احدى مدائحه للملك عبد العزيز ، كيف جاءت ممثلة لما يطلب فى الشعر الجيد من جزالة ورصانة ويسر ووضوح ؟..

انه يريد أن يقول للملك : لقد بلغت المعالى فلم يعد نيلها مطلبا تنظر اليه أمامك ، لبلوغك ذلك الامر بما خضته من المعارك التى لم تكن مقصدك ، الا بقدر مايؤمن أمتك وينجيها من الاخطار ، انه يريد بهذا ان يقول : أنك رجل سلام ، لكن اذا دعتك الحرب فأنت ابنها .

ثم يفخر بعروبته التى يقصر دونها القلم ، لكن قضية العرب سارت لعبه بين أيدى اللاعبين يتقاذفونها كالكرة ، حتى جاء الملك عبد العزيز فاستنقذها بهممه وعزائمه ، التى لم تستهدف فى سعيها الدنيا وحدها ، وانما الدين أولا ثم الدنيا ،ولذا فهو جدير بأن يهنأ بما ناله من عز وشرف ، وبخاصة بعد أن نشر الأمن فى أم القرى (مكة) وفى سائر أنحاء المملكة ، وهل أدل على ذلك من أنك لو سألت راكبا جاء من بعيد ، واجتاز القفار والمفازات، هل أحس بخوف أو ضاقت به السبل ، لما كان جوابه الا ان الخوف قد نزع وان الامن قد ضرب اطنابه فى كل مكان ، وليس هذا بالعجيب على مثل الملك عبد العزيز، لانه الرجل الذى بلغت به المكارم غايتها :

أنت الامام فما نيل العلا أمم
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم

لقد عدلت بنا عن كل حادثة
وظلمة يرتمى من فوقها ظلم
انا بنو العرب الذين لنا
فخر يقصر عن تعداده القلم

لكنها بين أيدى اللاعبين بـــــه
ومنه قطعت الاسباب والرمم

حتى نهضت بباع المجد منتصرا
للعرب فى عزمات حشوها الهمم

دين ودنيا وأيام مداولــــــة
وتلك فى طيها الايراد والحكم

فأشرب هنيئا بكأس العز مبتهجـــا
طابت بكم (مكة) والحل والحرم

اسائل الراكب المزجى مطيته
من أى فج رماك السير والسأم

قل ، هل خشيت وما تلقى اذا لعبت
بك التنائف أو ضاقت بك الخرم

فلم نجد منبئا بالخوف فى بلـــد
وهذه نعمة ما فوقها نعـــم

يأيها الملك السامى لقد بلغت
بك المكارم فيما ينتهى الكرم (١)

ويظهر انسياقه وراء الطبع عندما يعمد الى تصوير حالة مـــن حالاته النفسية ، التى تكون نتيجة وضع أو حدث ، مما هو متصــل بحياته ومعيشته ٠

يغزو الملك عبد العزيز بلد الحائط ، ويصادف وجود ابن بليهد

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ٨٥ بتاريخ ٢٠ ـ ١ ـ ١٣٤٥ هـ ٠

بها حاملا اليها تجارته ، وقبل أن يهجم جيش الملك يبعث الى أهـــل الحائط كتابا يدعوهم فيه الى الصلح ، ويستعين أهل الحائط بابن بليهد ، ليكون وسيطا بينهم وبين الملك ، فيصور فى قصيده كأنمـــا يرسم لحالته النفسية في مطلعها صورة محسوسة ، كيف يطلب منه أهل الحائط الوساطة ، ولا أمر له عليهم ولا نهى وانما هو غريب فيهـــم يلوذ بظلال النخل فرارا من الاذى ، لكن الصلح خير اذا بنى علـــى اساس من الدين ..

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب
أهيم بظل الباسقات عن الاذى
وأشكر سماك السماء وأحسب
بأن اصطلاح القريتين تدين
على رتب الاسلام لله تغضب (١)

ونختار له نصا آخر متوخين فيه ، مثال ما عناه القاضى الجرجانى ، حين تحدث عن نوع مايختاره من الشعر المطبوع ، بقوله : (ومتـــى سمعتنى أختار للمحدث هذا الاختيار وابعثه على الطبع ، وأحسن لـــه التسهيل ، فلا تظنن أنى أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمـــــــط الاوسط ، ما ارتفع عن الساقط السوقى ، وانحط عن البدوى الوحشى)(٢).

لقد أقام ابن بليهد فى مصر ثلاث سنين ، كانت الذكريات فيها

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٩ .
(٢)الوساطة ـ القاضى الجرجانى ص ٢٣ ، ٢٤ ـ طبعة الحلبى .

تشده الى موطنه واهله ، فكان ينفس عن نفسه بما ينفثه لسانه ، من أبيات يودع فيها أشواقه ، ويملؤها بحنينه وأنينه على نحو من قوله :

على طلل من دارها نسكب الدمعا
ونبقى كما كنا على دربها نسعى

وبنا فلا دار الحبيب قريبة
ولا الشمل فيما يرتضى يرتضى الجمعا

أصحاب أيامى بأكناف موطنى
وأحباب قلبى صدكم أوقد الشمعا

بقلب يعاني جسمه من سقامه
فأعضاؤه خارت فلا الخفض والرفعا (١)

ونطلب ذلك فى شعره على نحو ما طلبه القاضى الجرجانى فى شعر جرير وذى الرمة فى القدماء ، والبحترى فى المتأخرين ، وتتبع نسيب متيمى العرب ، ومتغزلى اهل الحجاز ـ كعمر ، وكثير ،وجميل، ونصيب ـ وأضرابهم (٢) ـ فنجد ذلك فى الكثير من شعره ، الذى تحسس فيه آلام نفسه وأحزانها ، وصور فيه امالها حيث يغنى لنفسه بعيدا عن تلمس رضاء الاخرين ، وتحرى مواطن أهوائهم قريبا من ذكرياته ، التى عاشها زمنا نقشت فى قلبه سعادته فيها حب الرفاق ، الذين كان أقربهم الى نفسه وألصقهم بذاكرته وأقواهم شدا له زوجته (سارة) التى ماتت فى نضارة الشباب ونضارته قبل أن تقضى لبانتها أو يقضى هو منها لبانته ، لذا فلا غرابة أن أبصر دارها فى قلب جزيرة العرب وهو فى مصر ، ففاضت على روحه نسائم تلك

---

(١) أوراق مخطوطة ٠
(٢) انظر الوساطة ص ٢٥ ـ الجرجانى ـ طبعة الحلبى ٠

الربوع ، تهتاج أشواقه وتحيي آماله ، وتبعث ذكريات عـــزيزه ، لاتخلقها الايام والليالي ولاتباعدها المسافات الزمنيـــة والمكانية ، فينساق وراء صور الذكريات ينتظمها ، نظام عقد القصيـــد دررا أو صورا من الكلام ، تنطق بالسحر الحلال على نحو التقى فيه حســـب الاحباب بحب الوطن ، فشكل وجها للحب الصادق المتمكن الخالى ، من الزيف والملق والاحتيال على استرضاء أو اعجاب الاخرين ، ولذا فهو يلح على رفيقى سفره بتعجيل العودة الى وطنه ، الذى اشتد به الشوق اليه :

تنورتها من مصر دارك ســـارة
وأبصرت نور الفجر فوق ثراك

وفاضت على روحى نسائم أربع
وعهد به قد كنت ملك رضاك

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم نسمر وضوء سنـــاك

يرف وضوء البدر خجلان ينطـــوى
حياء وخوفا أن يدوس حمـــاك

ليالى لا أنسى سوافر غلسهـــا
وللوصل أسباب بغير فكـــاك

وقد نصبت للمضجرات من النـــوى
جفونك أشراكا بغير شبـــاك

ليالى عشناها أسيرى صبابـــة
تولت وبانت يوم حان قضـــاك

أسارة ان عزيت نفسى فاننـــى
اخادعها فالقلب رهن هـــواك

تذكرت والذكرى تهيج مـــرارة
اذا كان من تهوى رهين هـــلاك

فيا صاحبى رحلى دعانى وعجـــلا
رجوعى ولا تستأنسا بعراكـــى

قلوت الغوانى بعد سارة مثلمـــا
قلوت الديار غير دار ثـــراك

بلادى بلاد العز والمجد والنـــدى
لقد شاقنى يانجد حسن ربـــاك

كأنى أرى حسن الربيع وقد كســـا
من السندس المرسوم كـــل ذراك

كأنى أرى وجه الرياض وقد بـــدا
كثوب عروس فى زمـــان اولاك

ونبتك ريحان ، أديمك سنـــدس
وكل المنى أن التحف بسمـــاك

أرى النأى اورى فى الجوانح ناره
الا فاطفىء نار النوى بصبـــاك

نسيم صبا نجد على القلب فانسمى
وروض القطا أفى عشقت شذاك

فيا صاحبى رحلى دعانى وأنجـــدا
اذا كنتما لا ترضيان هلاكـــى

بذات زمام فى يمين مـــــــدرب

سبوح كأن ليست بذات حراك(١)

ولعل القارى يشاركنى الاعجاب بهذه النصوص ، التى تشهـــــد لقائلها بالطبع القويم ، والذوق السليم ، والمهارة فى صناعة الشعر ، وصوغ عقد نظامـــــه •

فنظرة اليها وما مثلها من شعره ، كفيلة بأن تكشف لنا محاسـنها ، وتجلو لنا ما تتحلى به من جمال الصنعة وجلال الصياغة ، الى ما تدل عليه من انبثاقها عن طبيعة شعريه أصيلة ، كانت المنطلق الاول الـذى صدرت عنه قصائد صاحبنا شأن كل شاعر أصيل •

على أن القول ، بتدخل الصنعة فى كل نص من نصوص شعـــره ، أمر اقتضاه زمنه : اعنى أن شأنه فى ذلك شأن جميع الشعراء ، الذين أخذوا اللغة العربية دراسة وتثقيفا ، اذ أن عهد السليقة قد انقضـــى وهذا الأمر وحده كاف لتلازم الطبع والصنعة فى شعر كل شاعر مطبوع على أن الشعراء يختلفون فى كيفية استفادتهم مـن الصنـــــعة ، وأسباب تجويد الكـــــلام •

غير أن ابن بليهد ، عرف كيف يستفيد من ذلك ، فهو لم يقنــــع بالسهل اليسير المبتذل ، ولم يوغل فى الصنعة ايغالا يفضى به الــــى التصنع والتكلف ، وانما كان وسطا فى ذلك ، أى أنه اختار السهل الميسر ، الذى سمت به جزالة ألفاظه ورصانة تعبيره وجودة تأليفه ، فجاء الكثير من شعره على هذا النحو الذى تراه فيما أسلفنا •

---

(١)أوراق مخطوطة •

ولو وقفنا عند هذا النص الأخير ، وحاولنا استجلاء ما فيه من جلال الصنعة وجمالها ، والبعد عن التكلف والتصنع ، لوجدنا شاهد ذلك ناطقا فى كل بيت .

فأنت ترى الألفاظ سهلة ميسورة قريبة التناول ، ولكنها مع ذلك فوق الابتذال .

ثم تنظر الى تأليف الكلام ، فترى : الكلمات متآخية ، والعبارات متآلفة ، والأبيات يشد بعضها الى بعض سياق ، نظمها فى نظام لا تقبل سواه ، ولا الزيادة عليه ولا النقصان .

وترى المعانى واضحة جلية ، لم يسترها تعقيد او ابهام ، ولم يبعدها شطوح خيال ، أملتها عاطفة وجدانية ، وأبرزتها رغبة فى النفس ، ربما كانت التنفيس ، وربما كانت التلذذ باستعادة لذيذ الذكريات وأحبها الى القلب ، فهى لوحة شعرية رائعة تمثل غاية ما ينشده أهل عصره ، الذين ينظمون القول فى مثل هذا الميدان .



الفصل الرابع

« خصائص شعره »

لكى يكون تصورنا لشعر ابن بليهد اكثر وضوحا ، وأستخلاصنا لخصائص ذلك الشعر اكثر دقة وأوضح تجلية ، آثرنا أن نسبقه بما يعيننا على ذلك ، فنبدأ بلمحة عن بيئته نستعيد فيهاخلاصة ما أسلفناه من حديث عن تلك البيئة فى الباب الأول ونثنى بنبذة من آراء الباحثين فى شعره لنفضى بعد ذلك الى الحديث عن الخصائص ٠

أولا : لمحة عن بيئته :

عندما يقبل الباحث على عمل ، يقصد فيه أن يلتمس السمات والخصائص العامة أو الخاصة ، فى أدب أديب نثرا كان أم شعرا ، فانه لابد له اذا أراد ان يصل الى نتيجة مرضية ، من ان يتعرف على الشاعر عن طريق دراسة البيئة المحيطة به ، ذلك أن الأديب ما هو الا مصورة مجتمعه وبيئته ، وما أدبه الا صورة لذلك المجتمع وتلك البيئة ، على حسب ما أدركته تلك المصورة ٠

وهل الأدب الا كالصور والرسومات ؟ فيها الملون المزخرف ، الذى تأنق صاحبه فيه فأبدع وأمتع ، وفيه الذى أخرجه صاحبه كيفما اتفق فجاء خاليا من أصول الصنعة مجردا من وسائل الابداع ، فكذلك شأن الأدب أيضا ٠

من هنا كان لابد لناحين نقدم على دراسة أدب ما ، أن نكون على الماام بتلك البيئة ، التى انبتت ذلك الادب ، لكى نكون أقدر على تجلية نصوصه والكشف عن مكامن الابداع فيها ٠

على أن الالمام بالظروف والملابسات ، وأحوال البيئة المحليـــــة بالشاعر ، ليست هى كل ما ينشده الناقد ، من عون فى دراسة العمــل الأدبى ، وانما هى مجرد معين على ذلك ٠

أما أدواته الحقيقية وآلاته المباشرة ، فكامنه فى الذوق النقـــدى والثقافة النقدية القائمة على الأصول المستمدة من اللغة وعلومها ٠

وقد يختلف الذوق باختلاف ثقافة العصر ، فيحكم بالجمال لما ليس بجميل ، وهذه مسألة انما يجب أخذها بعين الاعتبار ، عند الموازنــة بين عملين أدبيين نبتا فى عصريين متغايرين ، أو ببيئتين غيـــــر متماثلتين ، وفيما عدا ذلك يجب القاء هذا الذوق جانبا ٠

وقد سبقت لنا فى صدر بحثنا هذا نظرات ، فى عصر ابن بليهـــد ومجتمعه وبيئته الخاصة والعامة ، فتحدثنا عن السياسة والفكر والعلوم والشعر والدين والأخلاق وما الى ذلك مما يستلزمه مثل بحثنا هذا ٠

غير أن هذا الفصل من بحثنا يلزمنا أن نقدم بين يديه خلاصـــة مجملة ، لما سبق ان فصلناه هناك ٠

لقد عاش ابن بليهد فترة أولها : فوضى واضطراب ، وفقر واجداب فى كل شىء ، وآخرها : أمن واستقرار ، وغنى واخصاب فى كافـــة مناحـــــى الحيـــاة ٠

فلقد كانت جزيرة العرب فى النصف الأول من هذا القرن الرابــع

عشر للهجرة ، تعيش فى صراع مرير بين الملوك والأمراء ، كل واحد منهم يريد الأمر لنفسه ، فقامت لذلك الحروب المستعر أوارها بيـــــن القبائل العربية وأمرائها ، فقلت الطمأنينية وصارت الأقوات تتخطف من الأفواه ، وكثيرا ما تخطفت معها الأرواح ، فاكتفى الناس مــــــن العيش بالكفاف ، ولماذا يسعى الساعى وكسبه منهوب وغنمه مسلوب ؟

أما الشعر فكان خافت الصوت مهزول النصيب ، لا ينظم الا محاكاة وتقليدا ، ويعتسف الطريق اليه اعتسافا ، ولم يكن ذلك أيضا الا فى بعض الأعراض التى لا تنمو بذورها الا فى مثل تلك الحال ، كالهجاء والمدح ، والفخر والحماســـــة ٠

ولشيوع العامية وضآلة نصيب المتعلمين من اللغة العربية وآدابها لا ترى ازدهار تلك الأغراض الا فى الشعر العامى ، الذى حوى الـــــى جانبها فنونا أخرى ، كالحكم والغزل ونحوها ، على نحو ما أسلفنــــا بقدر من التفصيل ، فى الفصل السابع من الباب الثانى فى بحثنا هذا ٠

وفى تلك الفترة الأولى نشأ ابن بليهد ، وبدأ ينظم الشعر عاميــه وفصيحه ، على أن الشعر العامى كان الى لسانه أسبق ، وكان نظمه فيه أجود وان لم يعطه العناية فى النشر مثلما أعطى الفصيح ٠

أما الفترة الثانية فتبدأ بعام ١٣٤٣ هـ ، حيث تم توحيد البلاد فى دولة واحدة ، فأستقرت الأوضاع حين انتهى الصراع بين الزعمــــاء والأمراء فشعر الناس بالطمأنينة ، فاستأنفوا العمل الجاد فى ظل الحياة الجديدة المستقرة فانتعش الاقتصاد وأخذ التعليم فى الانتشار ، وان كان فى بدايته بطىء الخطوات ، وظهرت بعض الصحف والمجلات ، كما غشيت الأفق كثير من الصحف والمجلات ، التى كانت تفد من البــــلاد العربيــــة الأخرى ٠

ووجدت البعوث العلمية طريقها الى مصر وبعض البلاد الغربية ، وبعد أعوام معدودة من بداية هذه الفترة ، أخذت الحكومة السعودية فى استقدام العلماء من الأزهر وغيره للتعليم فى المدارس ، كما بدأت فى نشر كتب التراث الاسلامى ـ وبخاصة كتب الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والسير ـ لحسابها وتوزيعها بالمجان واهتمت الدولة كثيرا بالتجارة والزراعة والصناعة واستخراج النفط ، وتنوعت فى قـــوة صلات البلاد بالعالم الخارجى،فأخذت سحب الفقر والجهل فى الانقشاع

غير أن شاعرنا كان من بحوثه وأعماله فى معزل عن كثير من ذلك فلم نلمس فيما نظم من شعره قبل سنة (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م)وهو العام الذى طبع فيه ديوانه ما يوحى بأنه قرأ لأى من شعراء العصـــر الحديث ، علىالرغم من ظهور تأثير هؤلاءفيمن عاصره من شعراءالمملكة أمثال محمد حسن عواد والشيخ محمد سرور الصبان وأمثالهما ممـــن قويت صلتهم بالأدب الحديث فى مصر والشام ٠

أما ما عثرنا عليه منسوبا له من الشعر بعد طبع الديوان ، فان فيه روح التأثر ببعض من شعراء العصر الحديث ، وقد صرح هو بذلـــك فى مقدمة احدى تلك القصائد ، وهى (رحله الى حلوان) حيث قال :

قال لى أحد الاخوان : لم لا نرى فى شعرك ما نراه فى شعر الكثير من المعاصرين أمثال البارودى واحمد شوقى وابى القاسم الشابـــى والزهاوى والرصافى ونحوهم ؟ قلت له : مثل ماذا ؟ قال : من صـــور طبيعية ، وتنوع فى الموضوع ونحو ذلك ٠

قلت له : أما الرصافى والزهاوى فملحدان ؛ وأما البارودى وشوقى والشابى ، فسوف أعيد القراءة لمن قرأت له منهم ، وأقرأ لمن لم اقرأ له من قبل ، وان كنت لا أميل الا للشيخ محمد عبد المطلب وأمثاله من

شعراء الأزهر ، ثم قرأت لأولئك وحاولت أن أنسج على منوالهم (١)٠

وهذا اعتراف منه ـ رحمه الله ـ بالمحاكاة ، وتلك عادته في رد الفضل الى ذويه ، وهذا مسلك المنصفين ، الذين يحرصون على الأمانة العلمية ٠

لقد كان ابن بليهد ثاني رائدين للشعر الحديث في نجد فلقد كان يعاصر الشيخ محمد بن عثيمين ، الذى قام في جزيرة العرب مقام البارودى بمصر ، ويأتى ابن بليهد في المرتبة الثانية بعد ابن عثيمين من حيث النسج ومتانة الحبك وجزالة اللفظ وحسن التألف ٠

أما ما امتاز به ابن بليهد من صاحبه ، فانه التنويع في الغرض والسهولة واليسر والبعد عن الغريب ، وان كان يجلس من ابن عثيمين مجلس التلميذ من استاذه ، فيروى عنه ويستشهد بشعره ٠

والآن وقد فرغنا من هذا التمهيد المجمل ، الذى أعطينا فيه صورة مقتضبة ، عن حالة العصر والبيئة التى نشأ فيها شاعرنا ، يحسن بنا أن نلم المامة سريعة بآراء أشهر الباحثين ـ من معاصرى ابن بليهد ـ في شعره ٠

ثانيا : آراء بعض الباحثين في شعر ابن بليهد :

ان مما يساعد على فهم النصوص الأدبية ، وتجلية خصائصها ، وتبين سماتها ، الالمام بآراء المعاصرين لصاحب تلك النصوص فيها ٠

ولقد تناول كثير من الباحثين شعر ابن بليهد بشىء من الحديث ٠

واني لأرجو أن أوفق في عرضها ، لكى يكون في ذلك ما ننشده من الوصول الى الهدف المنشود ٠

---

(١) أوراق مخطوطة ٠

رأى الشيخ حمد الجاسر :

ان الشيخ حمد الجاسر ممن عاصر ابن بليهد ، وحين التقيت به أكد لى ما بينهما من روابط وأواصر ، ابتداء بالنسب وانتهاء بالعلم والأدب ، ولقد أمدنى بآرائه في ابن بليهد ، املاء وأوردت كل رأى فى موضعه ، وها نحن نورد هنا رأيه فى شعره ، كما أملاه على كاتبى بمنزله بالقاهرة .

وهو يعطينا صورة للكيفية التى كان بها عشاق الأدب ـ من معاصرى ابن بليهد ـ يستقبلون شعره ، كما يعطينا كذلك صورة لكيفية انشاد ابن بليهد شعره ، ولا شىء غير ذلك سوى اشارة سريعة الى اكثار ابن بليهد من الضرورات فى شعره ، وأن شعره العامى أجود من الفصيح وأنه نظام أكثر منه شاعرا .

ولا نريد أن نناقش الشيخ حمد فى رأيه هذا ، حتى لا نقع فى شىء من التكرار والاعادة ، اذ أن ما أسلفناه من الحديث عن شعر ابن بليهد وما سنضيفه مستقبلا يشهد بأن لهذا الرجل فى شعره نفثات شاعرية ، قد يختلف بعضها عن البعض من حيث الجودة ، ولكنها تحمل روحا شعرية طيبة ، وتفاوت الأعمال الأدبية للاديب الواحد أمر مسلم به لا يحتاج القول فيه الى فضل حديث .

على أنى أدين للشيخ حمد بكثير من المعلومات ، التى لم يفدنى بها سواه ، وهى معلومات يجدها القارى، فيما أوردته منسوبا اليه فى بحثنا هذا .

يقول الشيخ حمد فى حديثه عن شعر ابن بليهد (كان شداة الأدب قبل خمسين عاما فى بلادنا ، لا يعرفون من شعراء عصرهم سوى ابن سحمان وابن عثيمين وابن بليهد ، وكان ما ينظمه هؤلاء من قصائد

ينتشر لها دوى فى أنحاء البلاد ، لأنها كانت تسجل وقائع الملك عبد العزيز وانتصاراته فى حروبه ، فكانت تنشد فى المحافل والمجتمعات وكان شداة الأدب يتداولون كتابتها وحفظها ، وأذكر أننى كنت أحفظ كثيرا من شعر ابن بليهد ، كما أحفظ شيئا من شعر غيره ومما كنت أحفظه من شعره قصيدته اللامية فى غزوة بلاد عسير ، التى يقول فيها فى وصف فيصل قائد تلك الغزوة :

آليت أنى بسيرى لا أبيت به
ولا أقيم على الآبار نزالا

حتى تقول مغيد فى ديارهم
كأن فى عرصات الارض زلزالا

سارت من العارض النجدى دولته
بالأمر تدلج أبكارا وآصالا (١)

وأحفظ قصيدته التى وصف فيها وقعة الجهرا التى يقول فيها :

قل للامام اذا أصبحت لاقيه
أضحى عليك رداء العز مشتهرا

قل للسباع ولو شط المزار بها
تلقين ملحمة فى جانب الجهرا (٢)

وكان ابن بليهد ـ رحمه الله ـ له طريقة فى القاء الشعر ، هى الطريقة التى كان شعراء العرب الأقدمون يلقون بها أشعارهم ، وهو التغنى كما قال الشاعر :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١١ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٠ .

تغن فى كل شعر أنت قائلـــــه
ان الغناء لهذا الفن مزمـــار

وكما قال الحطيئة لما سئل عن أشعر الشعراء ، فقال : الملك الضليل ثم أبو حزرة ، ثم أنا اذا رفعت عقيرتى وعويت عواء الفيصل • كان ابن بليهد يطيل النفس فى التغنى ، وكنت لا أعرف معنى قول النحويين فى التمثيل لنون الترنم مع استشهادهم بقول جرير :

أقلا اللوم عاذلا والعتابـــا
وقولا ان أصبت لقد أصابـا

لم أعرف ذلك ، الا بعد أن سمعت ابن بليهد يلقى قصيدة ويترنـم بها ، فيلحق التنوين فى آخر قوافيهـــا •

أما قيمة شعر ابن بليهد ، فأنا لست شاعرا لكى أحكم على شعـره ولكننى ارى أن ابن بليهد شاعر ، باللغة العامية أكثر منه باللغــة الفصحى ، ويظهر أنه ــ رحمة الله ــ لم يدرس النحو •

وكانت قصائده الأولى ، يصححها له الشيخ ناصر بن ســـعود ، الملقب شويمى من علماء شقراء ، وهو يستعمل الضرورة فى كثير من أشعـــاره •

وقد مضى الزمن ، الذى كنت أنا وأمثالى من شداة الأدب ، نعتبر تلك المنظومات التى نسارع الى حفظها ومجاراتها أيضا ، كنا نعتبرها الذروة فى الشعر ، وأصبحنا الآن نراها كلاما منظوما •

كما قال أحدهـــم :

اذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده
فقل أنا نظام وما أنا شاعر

ويكفى أن شعر ابن بليهد وأشعار معاصريه ، فى تلك الحقبة كانت ذات أثر ، فيمن جاء بعدهم ممن تعاطى النظم وأراد أن يكون شاعرا ، وأكرر القول بأننى اطرب كثيرا لشعره العامى ، ورأى فيـــــه روح شاعرية ، لأنه يصدر عن طبع لا تكلف فيه ، بخلاف نظمه باللغة العربية الفصحـــــى .

رأى عبد القدوس الانصارى :

من الذين تحدثوا عن شعر ابن بليهد ، وأولوه شيئا من الاهتمـام عبد القدوس الانصارى فى كتابه «الملك عبد العزيز فى مرآه الشعر» ويبدو من حديث الشيخ عبد القدوس فى كتابه هذا ، الاهتمام باخبار ابن بليهد وآثاره ، فقد أنحى باللوم على كثير من الباحثين فى اهمالهم لأخبار هذا الرجل وآثاره (١) ، حيث لم يعثر له على ترجمة ســـوى ما ذكره صاحب معجم المؤلفين عمر رضا كحالة من حديث ، فيه اقتضاب وقصور وخطأ فى تسمية (٢) الديـــــوان .

وحديث الأنصارى عن شعر ابن بليهد ، على الرغم من قلة ما اطلع عليه من أخباره حديث المنصف فى الحكم المتحرى للصواب فى الرأى فهو عندما عرض لخبر احدى قصائده فى الملك عبد العزيز عام (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م) . قال : (ولست أدرى متى بدأ ابن بليهد قريضه فـــى

---

(١) انظر «الملك عبد العزيز فى مرأةالشعر» ص ٨٩ ـ سنة (١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

(٢) مما فات الشيخ عبد القدوســـــالاطلاع عليه :

أ ـ بحث فى ٣٧ صفحة كتبه محمدالصالح الخنينى فى عـــــام (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣) . وهو موجود بمكتبـــةكلية الاداب جامعة الرياض مخطوط .

ب ـ وترجمة حسنة فـــى ١١صفحة فى كتابى «الأدب الحديث فى نجـــد» المطبوع عام (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م) ، وكان عند اعداد الشيخ لكتابه موجودا فى الاسواق وفى مكتبات الجامعـــاتبالرياض وجده .

جـ أما ديوان ابن بليهد ، فقدعلمنا أنه قد طبع عام (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠م وهو الذى سماه عمر كحالة «ابتسام» وصحته ابتسامات الأيام فى انتصـــارات الامام ١٠ : ٢٠٥ معجم المؤلفين .

مدح عبد العزيز ، ومن أقدم ما اطلعت عليه من شعره ، القصيدة التى نشرت بجريدة أم القرى له فى (١٣٤٤ هـ) ولا بد أن له قصائـــــد فى الملك أقدم من قصيدته تلك اذ لا يعقل أن يبلغ شعره ذلك المستوى ما لم يكن له روافد سابقـــة ٠

وقد حفلت جريدة أم القرى فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى بقصائد ابن بليهد فى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعــــود) (١) ٠

والأنصارى يرى أن شعر ابن بليهد عربى الأسلوب فى الوصـــف والمديح ، كما أنه يرى التقاءه مع ابن عثيمين فى المورد والمنزع ، وان كان ابن عثيمين قد يفوقه فى غزارة الشعر ٠

(وهو وزميله محمد بن عثيمين ، يمتحان فى شعرهما من بئر واحدة عذبة غزيرة المنابع ، ويبدو أنه ربما كان شعر ابن عثيمين أغزر مادة من شعر ابن بليهـــد) (٢) ٠

ومن أوجه التقائهما عنده ، اتفاقهما فى استعمال بعض الكلمات وأسلوب ايرادهما لبعض العبارات يقول :

(وكلمة «ابن فيصل» قد اشترك معه فى ايرادها بشعره ، محمد بن عثيمين ، الذى قال فى «لاميته» المنظومة بعد عام واحد من نظـــم «عينية» ابن بليهد هذه ، وهى من بحر الطويل أيضا ، قال ابن عثيمين

بأن امام المسلمين (ابن فيصـــل)
هو القائم الهادى بما هو فاصله

---

(١) الملك عبد العزيز فى مراة الشعرص ٨٧ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٨٧ ٠

وهذا التوافق حتى فى الصيغ والعبارات المعينة ، هو أمر يدل دلالة واضحة على مدى تقارب تفكير الشاعرين وتلاحم أسلوبيهما ٠

ولعله مما يميط لنا اللثام عن تداخل منابع شعرهما ـ كما المعنا اليه آنفا ـ أن هذا التوافق لا يعدو أن يكون من باب «توارد الخواطر» فالمعانى العامة كثيرا ما تتوارد فيها خواطر الشعراء ٠

ويعطينا ابن بليهد صورة كاملة ، لمزايا حكم ابن سعود فى مكة المكرمة :

وكانت به (أم القرى) مطمئنة
بأمن وأهلوها سجود وركع

كأن عليها حلة «عبقرية»
تناط بأركان (أم صبح) وترفع

وأصبح باديها مقيما بنعمة
بعيش أنيق ، والسوائم رتع

حماها من الأعداء من كل جانب
وأمنها ، والسيف بالسيف يقرع

وكل من يقارن (لاميه) ابن عثيمين ، و (عينية) ابن بليهد يجد، أن الشاعرين فى الشعر فرسا رهان يدل على ذلك تشابه معانى شعرهما وأساليبهما ومناهجهما ، ومعنى ذلك أن طائرى شعرهما يطيران فى جو واحد ، ويتغذيان من مادة واحدة ، ويترنمان بلحن واحد) (١) ٠

---

(١)الملك عبد العزيز فى مراة الشعر ص ٨٨ ٠

رأى عبدالله بن خميس :

واذا كان الأنصارى قد أعطانا رأيا واضحا جليا فى شعر ابن بليهد الفصيح ، فان ابن خميس يقدم لنا رأيا عابرا مجملا فى أدب ابن بليهد يوحى على الرغم من اقتضابه باهتمام ابن خميس بالشعر العامى ·

يقول فى تقديمه لكتاب «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه»

(ان الشعر النبطى ، قل أن نجد من أدبائنا من يعنى به او يرفع به رأسا ، مع أنه حل محل الشعر العربى سواء بسواء ، وفيه ما فيه من ذكر الأطلال ، وبكاء الديار ، والتغنى بذكر ليلى وسعدى ، والمرور على الدمن ، وذكر الحروب ، والفخر والحماسة ، وحماية الدار · الخ

وابن بليهد شاعر نبطى ذواقة مجيد ، ويحفظ من النبط مئات القصائد ،وانكلتجدفى كتابية «صحيحالأخبار»، وهذا ـ يعنى كتاب ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ـ الشىء الكثير من هذا النوع استشهادا على ما يورد ، واذا أضفنا الى هذا ولع ابن بليهد بهذه الناحية وتفانيه فى سبيلها ، أدركنا مدى ما يتمتع به من قدرة كبيرة على الاجادة فى هذا الفن واتقانه) (١) ·

ومن رأى ابن خميس فى شعر ابن بليهد الفصيح والعامى ، مما بعث بخلاصته فى رسالة منه الى جاء منها :

(وأحب أن أضيف الى معلوماتك ، أن ابن بليهد عاش فى زمن كان الشعر فيه مقلدا ، ولم يكن فى بيئتنا من مقومات الشعر العربى الفصيح ، ما يدخل عليه عناصر التجديد ومواءمة شعر العصر ·

---

(١) ما تقارب سماعه وتباينت امكنتهوبقاعه ـ مخطوط ·

والى جانب ذلك فكما تعلم يعتبر الشعر لدى علمائنا ومحيطنا الدينى نشازا ومجافاة لخلق طالب العلم ، والى جانب ذلك فما ثم من سوق أدبية يروج فيها الشعر ، ويشجع أربابه وتنمى فيه القرائح والملكات .

لذلك فلا غرابة اذا جاء شعر ابن بليهد الفصيح ، دون المستوى شكلا وموضوعا ، على أن فى شعره نفحات جيدة ، تعطينا الدليل على أن هذه الملكة لو غذيت ونميت لكان لها شأن ، من أمثال تهنئته للامير فيصل يوم تصفية منطقة عسير التى منها :

قل قم ترقب لها تحدى ململمة
جيشا وخيلا وتحنانا وتصهالا
يقودها بطل من بيت مملكة
أزكى ربيعة أعماما وأخوالا

ومثل قصيدته فى رثاء الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ . وهكذا .

أما شعره العامى ، فيعتبر جيدا دون التبريز وفوق الاسفاف ، وعلى وجه العموم فشعره العامى بالنسبة لشعره الفصيح أجود وأمكن ، واعتقد أنكم قرأتم ديوانه (ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام ، لتجدوا ما ذكرته لكم حسب رأيى الخاص) .

هذه أمثلة من أقوال مزامنى ابن بليهد وآرائهم فى شعره ، أردنا باثباتها هنا اعطاء صورة لنظرة مزامنية اليه وحكمهم عليه ، لتكون مدخلا لبحثنا فى خصائص شعره ، وان كانت فى جملتها نظرات عجلاء لم تعتمد فى تقويمها له على الدراسة والتحليل والنظر المتقصى ،

ولكنها نظرات عابرة لا يخلو بعضها من صواب، كما لم يخل بعضها من تحامل أو اقتضاب •

فالشيخ حمد الجاسر كان ـ فيما أرى ـ متحاملا حين حمل جميع شعره الفصيح على النظم •

كما أن ابن خميس اقتضب الحديث عن شعره الفصيح ، وجعل شعره العامى دون التبريز وفوق الاسفاف ، على الرغم مما كان عليه شعره العامى من جودة •

وأقربهم الى الانصاف عبد القدوس الانصارى ، الذى كانت نظرته الى شعر ابن بليهد ، مبنية على شواهد من نصوص شعره ، واستنتاج يقضى به مستوى القصائد التى استشهد بنماذج منها •

والآن يطيب لنا أن نتحدث بشىء من التفصيل عن أهم ملامح شعره وخصائصه ، وان شئت فقل صناعته كما يقول الاستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ عند حديثه عن خصائص شعر ابن الرومى (١) •

ثالثا : خصائص شعره :

وتتجلى سمات شعر ابن بليهد وخصائصه فيما يلى :

١ ـ تدرج شعره :

وأول ما يسترعى نظر الباحث الدارس لشعر ابن بليهد ، انه فى لغته وأسلوبه ليس على وتيره واحدة ، ولا يجرى فى حلبة معينة ، بل ان فيه القوى والضعيف ، والهزيل والوسط ، وأنه كلما تقدمت به

---

(١) ابن الرومى ـ حياته وشعره ـ عباس العقاد ـ مطبعة حجازى عام (١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م) الطبعة الثانية •

السن نال شعره قوة ومتانة ورصانة وأن أضعفه ما نظم فى النصف الأول من حياته ، وأقواه ما نظم قبيل وفاته بعشر سنين ، وأن أوسطه ما كان بين ذلك •

ولقد كان ابن بليهد فى شبابه ، يطمح الى أن يكون من شعراء العربية المعدودين ، فكان من أجل ذلك يعالج سبيله ، ويسعى حثيثا فى التزود بأسبابه ، فأكب على القراءة والتحصيل ، وأقبل على مجالس العلماء يهتبل الفرص التى تمكنه من ذلك ، وان لم يكن له فى تلك المجالس انتظام ، اللهم الا مجلس الشيخين ناصر بن سعود ، المقلب شويمى ، وعبدالله بن عبد العزيز بن عمار ، شيخيه فى النحو واللغة والعروض •

ولما كانت البيئة من حوله لا تشجع على الشعر الفصيح لشيوع العامية فيها من ناحية ، ولقلة المرتادين لذلك السبيل من ناحية أخرى ثم اعتقاد بعضهم أنه بعيد المنال الى ما لقيه من تخذيل بعض العارفين واستصغارهم اياه عن أن ينال مثل هذا المرام •

من أجل ذلك كله تأخر نظمه للشعر الفصيح ، اذ كانت أولى محاولاته فيه بعد بلوغه سن الرابعة والعشرين من العمر • أى فى عام (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م) •

ويحدثنا ابن بليهد نفسه فى مقدمة ديوانه عن ذلك ، فيقول بعد حديث عن نجاحه فى الشعر العامى من الصغر قال : (وكان هذا النجاح باعثا على بدء محاولة أخرى ، فأخذت أروى تعطشى من كتب الأدب وأخبار العرب وأبتاع الكتب بأثمانها الباهظة على قلة ذات اليد، وأتعشق مجالسة العلماء • على ان الوسط الذى نشأت فيه كما أسلفت

لم ينتشر فيه العلم بشكل يساعد على التحصيل فكنت أهتبل سوانح الفرص اذا اجتمعت بعالم ما لأستضيء يقبس من عرفانه) (١) ٠

ثم أشار الى ما لقى من تخذيل وازدراء بشاعريته ، التى وان نال منها ذلك وعاق بروزها عن أن يأتى مبكرا ، الا أنه لم يمتها ويقض عليها ، لذا لم تكد تهزها الأحداث حتى جاءت بأولى محاولاته فى هذا الميدان (٢) ، وحين ننظر الى القصائد التى نظمها فى السنوات الاربع الأولى من عهد نظمه للشعر الفصيح ،نجد أنهاأكثر شعره تكلفا و تعملا وتصنعا ، وأن فيها هزالا وضعفا فى المعنى والاسلوب والتأليف ، واعتسافا للالفاظ وارتخاء فى النظم ٠

خذ مثلا قوله من أول قصيدة نظمها فى سنة (١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨م)

١ ـ فأموا بلاد المسلمين وأصبحوا
يسوون فيها للزمان مراميا

٢ ـ فما راعنى الا من الأمر فادح
لمحنتهم رهطا على الحق رأسيا

٣ ـ محا الله من كانت بريحان داره
اذا كان أفعال الخبيثين راضيا

٤ ـ فعدتهم ياجاهلا فى حسابهم
ورى عشرة الآلاف كفرا طواغيا

٥ ـ فصبحهم والله من كان قصده
ليرفع فى الاسلام ما كان واهيا

(١)مقدمة الديوان ص ٧ ٠
(٢) مقدمة الديوان ص ٧،٨ ٠

٦ ـ فاخواننا ثلث ولكن فعالهـــم

كأفعال خدار الأسود الضواريــا

٧ ـ لعمرى لنعم الحى فى كل معرك

اذا اشتبكت بيض الظبا والعواليا

٨ ـ بيوم قد استظمى به السيف والقنا

فآبا وكل منهما كان راويـــا (١)

أنه يخبر بأن الاعداء أموا البلاد وأنهم يحاصرونها ، ولكنه عبر عن الحصار باصلاح اماكن الرماة واعدادها ، وأن ذلك الأمر الفادح الذى امتحن به قومه قد راعه ، فهو يدعو على زعيم الأعداء الذى رضـــى فعالهم الخبيثة ، ثم يفيد بأن عدد الجيش يزيد على عشرة ألاف ، ولكن الملك عبد العزيز صبحهم بجيشه ، الذى لا يصل فى عدده الا الى ثلث جيش العدو ، ولكنه فى فعله كالأسود الضاريات ، فهم نعم الرجـــال حين تشتبك الأسنة والسيوف،فى يوم ظمئت فيهالى الدماء فأرووهامنها

فهذه أبيات فى جملتها تشبه النظم ، انظر الأبيات من ٤ ـ ٧ ، هل نجد فيها الا كلاما منظوما لا خيال فيه ولا جمال فى الصياغة والتأليف ·

ثم التعبير فى البيت الثامن ، عن اشتداد عطش السيوف والرماح الى الدماء (باستظمى) بدلا من ظمىء ، وهذا فيه ما فيه ، لأن السين والتاء تدلان على الطلـــــب ·

ثم استعماله فى البيت الرابع (ورى عشرة الالاف) بمعنى اكثر من عشرة الاف ، وهو استعمال لا يخلو من ضعف كما ترى ·

---

(١) الديوان ص ١٥ ، ١٦ ·

على أن الأبيات على الرغم مما فيها لا تخلو من ومضات شاعرية وتصوير بديع ، من ذلك تعبيره عن الحصار باصلاح أماكن الرماة ، والتعبير عن زعيم القوم بالمكان الذى فيه بيته احتقارا واستهجانا ، لبقائه فيه بينما جيشه فى ميدان الحرب .

وتسير معه أربع سنين الى الامام ، فتجده يتخلص من أكثر تلك القيود المصطنعة فى شعره ، ويتخفف كثيرا من الألفاظ المتسفة المكرهة ، فيصل فى شعره الى مثل هذا الاسلوب السهل المطمئن ، وان لم يبلغ به مراقى الجودة والاتقان ، بل ان فى بعض أبيات تلك القصيدة ما هو بالنظم أشبه ، ولكن بجانبها أبيات لها نصيب وافر من الجودة والاحكام :

١ ـ ما زال فى الأرض للسفار أسفار
فعندنا بحديث الركب أخبار

٢ ـ مشت بنا العيس من أرض القصيم وقد
يبدو لنا بركوب العيس أوطار

٣ ـ اذا تجوز بنا أرضا وتحملنا
الى بلاد وللاقدام آثار

٤ ـ قلنا نعائد أهل الوشم كلهم
وليس للاهل يوم العيد أعذار

٥ ـ فاستعجل الشيخ اعجالا الى بلد
بأهلها من عميم الفضل تيار

٦ ـ وقال نشهد عيدا فى جوانبها
ويشهد العيد سادات وأخيار

٧ ـ قلنا نطيعك خيرا ما أمرت به
وأنت بالخير والمعروف أمار

٨ ـ ان فاتنا العيد اغرم ما يفوت به
والعسر يتبعه فى الدهر ايسار

٩ ـ والعيد عند هل الملقا وليس به
صبيحة النحر الا السرح والغار

١٠ ـ والناس عيدهم فى أهلهم شرف
وعيدنا من جبال الأرض أحجار

١١ ـ والشيخ ما قصرت عنا فضائله
عسى له فى نواد الخير أذكار

١٢ ـ . . . .

١٣ ـ فنحمد الله اذ عمت فضائله
على خلائقه بالفضل مدرار

١٤ ـ نقدر الأرض طولا فى مسافتها
وكان لله فى التقدير أقدار

١٥ ـ أزج المطى فان الأهل بعدهم
أهل وكان لنا عن دارنا دار

١٦ ـ فرحلة اليوم خير من اقامتنا
وفى التنقل لذات وأسرار (١)

هذه الأبيات مقدمة قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز ، بلغت

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٠ ، ٧١ .

ثلاثين بيتا ، بينما كان نصيب الممدوح أربعة عشر بيتا ، تحدث فيها عن سفره مع ابن عمه الى الممدوح وذكر أن منطلق سفرهم كان من القصيم مارين بالوشم ، بلد الشاعر ، فالملقا ، بقرب الرياض ..

وكان يحز فى نفس الشاعر ، أن يجوز بلده الوشم دون أن يبقى فيها أيام العيد ، ليقضى واجب الأهل والأحباء ، لكن ابن عمه الشيخ عبدالله رأى قضاء العيد فى الرياض . فلم يمكنهم ذلك ، فقضوا العيد فى جبل قرب الملقا ، حيث أقام الشيخ عبدالله ـ ابن عمه ـ وليمة العيد فيه .

ان هذه المقدمة تدلنا على تغير كبير لدى الشاعر ، وارتقاء ظاهر فى اللفظ والصياغة والأسلوب ، ثم أنه لم يقف مع الناقة ولا الفيافى والقفار التى قطعها بها الى الممدوح ، كما هو شأن الكثير من المقدمات القديمة وانما عمد الى تصوير العواطف والمشاعر والاحساسات التى أثارها السفر ، الذى كان فى أيام العيد فحرمه قضاء أيامه بين أهله وأحبائه ، وقصر به دون بلوغ الغاية وهى قضاء العيد فى الرياض وجعله يقضيه بين الأشجار والأحجار فى ذلك الجبل القريب من الملقا ولكنه قضاء الله ، فالانسان يقدر ولكن قدر الله هو النافذ .

على انه يعلل نفسه بما هو متوقع من نتائج هذه الرحلة . ولذا فهو يرى أنها خير من الاقامة .

فشتان ما بين هذه وتلك ، فأنت تراه فى الأولى يحاول الحديث عن جيش الملك عبد العزيز وجيش الشريف ، ويقصد الى ابداء ماحل به من حزن وأسى ، على تصارع الاخوان قبل تلك الوقعة ـ موقعة تربة ـ فترى قوله يعجز عن النهوض بذلك ، حتى يأتى عنده من

التداخل ما يفسد عليه أمره ، كما فى البيت الثانى ، ويقول كأنه عامل احصاء فى البيت الرابع : ان جيش العدو اكثر من عشرة الاف ، بينما جيش الملك عبد العزيز ثلث ذلك العدد .

أما الثانية ، فهى أقوى صلة بالروح الشعرية ، وأقرب الى نهج السابقين ، ثم انك ترى فى لفظها حلاوة ، وفى أسلوبها طلاوة ، وفى تأليفها من الالتحام والالتئام ما تفتقر اليه الأولى .

وفى هذا شاهد ما قلناه من تدرج شعره ، وارتقاء أساليبه وعبارات نظمه .

حتى اذا غشى مكة المكرمة والمدينة المنورة فى عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) ومسه من الظلم والاضطهاد ما حرك مشاعره واحساساته جاء بمثل قصيدته ، التى نظمها وهو فى سجن الشريف بالمدينة المنورة ، وقد سبقت فى القصائد المحللة .

ويظل شعره يصعد فى هدوء وبطء سلم الارتقاء ، حتى يصل الى ما نراه فى مصرياته من تجويد واحكام (١) فها هو يئن ويبكى من الام الذكريات ، ووحشة البعاد واشتداد الشوق والحنين الى الأهل والبنين .

على أنه يفتتح هذه الأبيات بالبكاء على زوجته «سارة» التى سبق أن بكاها حين وفاتها ، ثم عاد يصف ألامه وأوجاعه وأشواقه وحنينه وأنينه ، فى ابيات كلها لوعة وحرقة ووجد عارم يكاد اليأس فيها يخنق أنفاسه .

---

(١) انظر الفصل الثانى من الباب الرابع ، ففيه توخيت فى اختيار القصائد وترتيبها ، تمثيلها لتدرج شعره والأطوار التى مر بها ، حتى وصل الذروة فى مصرياته ، وفى مرثيته للملك عبد العزيز التى اوردنا جل أبياتها فى الصورة الأدبية فى الفصل السابق .

على طلل من دارها نسكب الدمعا

ونبقى كما كنا على دربها نسعى

وقد سبقت (١) ٠

وورود شعره على هذا النمط من التدرج ، لا يتنافى مع الطبع السليم والملكة القويمة . فمن المسلم به أن الملكات تقوى بالتثقيف والممارسة وكثرة الدراية ، والشعراء الا القليل منهم جاء شعرهم على نحو من التدرج والارتقاء ، فى سلم الاجادة والاحكام (٢) ٠

ألا ترى الى قول الجرجانى عند حديثه عن الطبع والاسترسال له عند الشاعر (ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المهذب الذى قد صقله الأدب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهم الفصل بين الردىء والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبح) (٣) ٠

٢ ـ مطالع قصائده :

حينما نتتبع مواقف السابقين من نقاد العرب ، نجد أنهم عنوا بالمطالع عناية فائقة ، ايمانا منهم بما يتركه المطلع الجيد فى نفس السامع من أثر ، وما يستتبعه ذلك من استمالة السامعين الى الشاعر وما يقول ، وبالعكس المطلع الردىء فانه يصك الآذان ، ويصرف السامعين ، وقد يجر الى الحكم على شعر الشاعر بالرفض والاستهجان

---

(١) انظر الطبع والصنعة ، الفصل السابق ٠

(٢) استثنى المرحوم عباس العقاد من هذه القاعدة ابن الرومى، الذى حكم بأن شعره جاء على وتيرة واحدة فى قوته وجماله ، انظر «ابن الرومى حياته و شعره» مطبعة حجازى بالقاهرة (١٣٥٧ ـ ١٩٣٨ م) ـ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ٠

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ القاضى الجرجانى ـ مطبعة الحلبى ص ٢٥ ٠

ولذا دعا النقاد الشعراء الى بذل الجهد في تجويد المطلع والاهتمام به ، لكى يحظى من المسامع بالاصغاء والانتباه ، ولا جدال فى أن فحول الشعراء قد تنبهوا لذلك قبل النقاد ، فجودوا مطالعهم وتأنقوا فيها حتى جاءت مطالع بعضهم موحيه بكل ما تضمنته القصيدة مما يريد الشاعر قوله .

الا ترى الى قول حسان ـ رضى الله عنه ـ فى مدح المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه من المهاجرين والأنصار :

ان الذوائب من فهرو اخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

كيف أوحى بمضمون القصيدة ومفهومها فى هذا المطلع الجيد .

ثم ألا ترى الى قول النابغة الذيبانى فى مطلع اعتذاريته ، التى قدمها بين يدى النعمان بن المنذر ، حين غضب عليه :

كلينى لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطىء الكواكب

كيف اشتمل من صنوف الايحاء والتعبير ما يصح به أن يوصف بأنه خلاصة القصيدة ؟ .

وقد استحسن العرب كل مطلع : وضح معناه ، وقرب تناوله ، وخلص من التكلف والتعمل والتصنع ، والغموض والابهام ، ولم يجنح الى الوعورة والاغراب ، ما لم ينحط الى السماجة والابتذال ، فكلما كان جزلا فخما شديد الأسر حسن التأليف ، قريب التناول ، كان عندهم أولى بالقبول وأحظى بالتسليم لصاحبه بالاجادة .

(والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص ، وبعدهما الخاتمة فانها المواقف التى تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء) (١) ٠

وحين ننظر على ضوء ذلك فى مطالع ابن بليهد ، نجد أنه أخذ نصيبا من هذا وذاك ، لقد أتى من المطالع القبيحة أو غير المستحسنة ما يجمل به اجتنابه ، خاصة انه من الندماء المفترض فيهم أن يولوا مثل هذه الجوانب اكبر عناية ٠

يأتيه خبر قدوم الملك عبد العزيز من نجد الى الحجاز ، فينظم قصيدة يمدحه بها ، ويظهر الفرحة والاستبشار بذلك القدوم ولكن المطلع يخونه ، انه يأتى وكأن حزنا آلمه وأوجعه وأسال دموع عينه على خده غزيرة ، لكنه يخشى الملامة والشماتة فيدارية ، او يستنجد عينه لمداراته ٠

أيا عين دارى دمعك المتسكب
فرادى وطال البين للمترقب (٢)

وكان يجمل به أن يجعله مطلعا راقصا فرحا ٠

ويمدح الملك سعودا ويصف جيشه وانتصاراته ، فيبدا القصيدة بهذا المطلع الموحى بالتفرق والتمزق والبعاد فيقول :

الا ان جيران العشية راحل
دعتهم دواعى البين والبين طائل (٣)

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ ص ٤٨ ـ للقاضى الجرجانى ـ مطبعة الحلبى ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ١١٠ ٠ (٣) ابتسامات الايام ص ١٣٦ ٠

غير أنك لا تكاد تجد له من المطالع الناشزة سوى هذين المطلعين ٠

وما خلا ذلك فمطالع ، الا تكن جيدة رائعة فهى مقبولة ، على أن جيدها أكثر من مقبولهـــا ٠

فهو يستقبل الملك عبد العزيز وابنه سعودا ، حين قدما الى الحجاز بهذا المطلع المتفائل المـــرح :

لك الطائر الميمون من متقـــــــدم
بيوم حرام فى بلاد محرم(١)

كما يستقبل قدوم سعود بن عبـــد العزيز بقوله :

طلعت بنجم السعد ياخير وافد
نهنيك يابن الأكرمين الأماجد (٢)

ويفتتح قصيدة فى استقباله أيضا بقوله :

بمقدمك الميمون لاح لنا السعـد
وفى رأيك المحمود قد عرف الرشد (٣)

ويستقبل رجوعه من أوربا بقولـــه :

هذا سعود سعود لاح يطلع
على الحجاز فهل للقول مستمع (٤)

كما يستقبل قدوم الأمير فيصل الى الحجاز بقوله :

فتى السعد باد والعيون تراقبـــه
ولاحت على أفق الحجاز كواكبه (٥)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٢٥ ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٤٧ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١٦٢ ٠
(٤)المرجع السابق ص ١٦٥ ٠
(٥) المرجع السابق ص ٢١٨ ٠

ونعيد النظرة فى مطالع قصائد ابن بليهد ، فنجده فى كثير منها يشعرنا فيه بالغرض مباشرة ، بل ربما صح أن يوصف بعض تلك المطالع بأنه خلاصة لما يفصل فى القصيدة ، خذ مثلا قوله فى مبايعة سعود بن عبد العزيز بولاية العهد :

ابسط يمينا نشت فى الجود والكرم
لبيعة عقدت فى الحل والحرم (١)

وقوله فى وصف المرضتين والتغزل فيهما :

رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى (٢)

ثم هو فى مطالعه هذه ، وما ماثلها ، يبدأ القول بأسلوب يلفت الانتباه ويسترعى الأسماع ، لاتيانها اما بصيغة الاستفهام ، كقوله فى حديث السد المقام فى أعلى مكة المكرمة :

من المقيم بأمر الواحد الأحد
معالم العدل فى الأغوار والنجد (٣)

وقوله فى الموقعة التى قتل فيها حامد بن رفادة ، وهزم جيشه ، وكانت بجوار جبل (شار) :

هل للوغى وحمام الموت من شارى
نعم هناك بسفح الواد من شار (٤)

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٤ .

أو المبتدأ كقوله في وقعة الروضـــــة :

الخيل ما حبست سبتا ولا أحدا
والله ما عذرت عند الوغى أحـدا (١)

او النداء كقوله حين سجن بالمدينة المنورة :

يا نفسى عند اكتراب الأمر لا تسلى
يمضى عليك الذى قد خط فى الأزل (٢)

او الأمر كقوله في الصلح بين الملك عبد العزيز وامام اليمن :

حط الرحال فهذا سيد العرب
عبد العزيز فما فى النفس مـن أرب (٣)

وهو فى ولوعة بذلك النوع من أساليبالمطالع يذكرناأمير الشعراء أحمد شوقى ، الذى يقول فى مطلع قصيدته التى مدح بها الأزهر :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهـــــرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

والذى يقول فى الهمزية النبوية :

ولد الهدى فالكائنات ضيـــــاء
وفم الزمان تبسم وثنـــــاء

٣ ـ بناء القصيدة على النمط القديم ، أو الوحدة العضوية :

والوحدة في اللغة تعنى الانفراد ، والاختصاص بمزية لا توجـــد فى غيره ، فهو واحد ووحيد ، ووحد وأحد ، وقد وحده ووحده (مخففا

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٨ .

ومشددا) : جعله واحدا ، وفلان نسيج وحده ، وواحد دهره ، أى لا نظير له ، وتوحد واستوحد : انفرد • وتوحد برأيه : تفرد بـــه ، وتوحيد الله : الايمان به واحدا أحدا متوحدا سبحانهـ واتحد الرجلان فى الرأى : صار بينهما اتحاد فيه ، أى : أنهما التقيا فى رأى واحد •

وما يسمى فى الشعر بالوحدة العضوية ، يعنى تماسك أجـــزاء القصيدة وتلازمها على نحو يجعل كل جزء مترتبا على سابقه مقتضيا للاحقة ، لا يجوز أن يفصل بينهما فاصل ، ولا أن يدخل فيهما أجنبى وهذا انما يأتى تحقيقه على وجهه الأكمل ، فى الشعر الملحمـــــى والقصصى والمسرحى ، وأرسطو حين اوجب ذلك انما أوجبه فـــــى هذه الأنواع ، وأخرج من هذا الحكم «الشعر الغنائى» اذ الوحدة على هذا النحو غير ملحوظة فيه ولا مطالب بها،فتعسف المتأخرين ومطالبتهم «الشعر العربى» بأن تحقق فيه هذه الوحدة ، انما هو جهل أو مغالطة قد تكون لأهداف خبيثة ، وقد يكون الدافع اليها حب التقليد ومجاراة الغربيين فيما أخضعوا له أدبهم ، اذ كان قبل ظهور الغنائيين يدور فى فلك الشعر المسرحى والملحمى ، وهذا كان خاضعا لقيد الزمان والمكان والحدث ، وهذه من مقتضيات الوحدة العضوية •

أما الشعر الغنائى ، فانه لا يخضع لمثل هذه القيود ، فهو لا يرتبط بالزمان والمكان والحدث ، وانما ارتباطه : بشخص صاحبه ، وعواطفه وانفعالاته ، وميوله ورغباتـــــه •

فالشاعر الغنائى لذلك حر من هذه القيود ، له أن يطوف فى كـــل زمان ومكان ، وله أن يعلق بالحقيقة ، كما أن له أن يجنح الى عالـــم الأحلام والخيالات •

والشعر العربى كله غنائى ، ولذا فلا مجال لمفهوم الوحدة عنـــد

اليونان والغربيين فيه (١) ، فما مفهوم الوحدة عند العرب شعراء ونقادا ؟ .

لست أكتب كتابا فى النقد ، حتى أبسط الحديث فى مثل هذه الموضوعات ، وانما أنا ممهد هنا وهناك لأحاديث عن خصائص شعر ابن بليهد ، فحسبى اذن ان ألم فى صدر كل بحث بعجالة تعطى صورة للفكر بلا تفصيل .

لقد سار العربى منذ القدم ، على أن يسلك قصيدته فى عقد نظيم يبدأ : بذكر المنازل والديار ، والنقلة والاسفار ، وذكر الأحبة والراحلة ونحو ذلك ، مما تنتظمه عاطفة المرء ، وتجمعه أحاسيس الشاعر ابن الصحراء ، ليخلص من ذلك الى غرضه من مدح أو فخر او نحوهما ، ولكنه يمزج ذلك كله بالحكمة والمثل ونحوها ، مما يعتمل فى النفس البشرية تجاه الحياة وتجارب الانسان معها ، وعلى ذلك سار شعراء العرب ، حتى جاء المولدون الذين أخذوا فى مجافاة المطالع الشعرية التى ألفها العرب ، لكنهم لم يجاهروا بالدعوة التى نبذها بعضهم ، وانما اكتفوا باطراح تلك المطالع كصنيع بشار بن برد فى قوله وهو يهجو السفاح :

ظل اليسار على العباس ممدود
وقلبه أبدا بالبخل معقود

---

(١) انظر كتاب «النقد الأدبى الحديث»د . محمد غنيمى هلال ـ مطابع الشعب سنة ١٩٦٤ من ص ٢١٤ الى ص٢٢٤ .
وكتاب «قضايا النقد الأدبى الحديث» ـ د محمد السعدى فرهود مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م من ص ٨٧ الى ص ٩٤ .
وكتاب «مذاهب النقد وقضاياه» ـ د . عبد الرحمن عثمان ـ مطابع شركة الاعلانات الشرقية ص ١٦٠ .
وكتاب «فى النقد الأدبى» ـ د .شوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ص ١٥٣.

وظلوا على ذلك حتى جاء أبو نواس ، فجاهر بحرب المطالع ، ودعا الى تبذها فى شعره فى مثل قوله :

صفة الطلول بلاغة القـــــــدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ويقال : أن ذلك ساء الرشيد ، فنهاه عنه فعاد يقول :

أعر شعرك الأطلال والمنزل القفـــرا
فقد طالما أزرى به وصفك الخمرا

دعانى الى وصف الطلول مسلـــط
يعز علينا أن نرد له أمـــــرا

فسمعا أمير المؤمنين وطاعــــة
وان كنتقد جشمتنىمركبا وعرا

واذا كانت تلك الدعوة التى جدت ، مصاحبة للافكار الشعوبية اذ ذاك ، قد وجدت سبيلها الى فكار الشعوبيين ومشايعيهم ، فان علماء العرب ونقادهم قد وقفوا لذلك كله بالمرصاد ، كابن قتيبة الذى عــاب على المتأخرين خروجهم عن نهج المتقدمين فى هذا (١) · كما أن فحول الشعراء قد استهجنوا هذه النظرة الى المطالع العربية قال المتنبى :

اذا كان مدح فالنسيب المقـــدم
أكل فصيح قال شعرا متــيم

على أن اطراح المطالع فى القصيد قد وجد سبيله ، حتى الى شعر الفحول أمثال المتنبى الذى من افتتاحياته قوله :

---

(١) انظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ـ دار المعارف بمصر ص ٧٦ ·

لكل امرىء من دهره ما تعـــــودا
وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا

وكانت نظرة النقاد العرب الى وحدة القصيدة تنصب على المعانى أولا ثم الألفاظ ، وترابطها ترابطا اجماليا ، بمعنى أنهم لم يطلبــوا فى القصيدة العربية ، أن تصب فى قالب يشبه القوالب القصصية وما ماثلها ، وانما دعوا الى ارتباط أولها بآخرها ، وتماثل كل بيت مع ما جــــاوره .

يقول ابن قتيبة : (وتتبين التكلف فى الشعر أيضا ، بأن تـــرى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضموما الى غير لفقه ، ولذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : وبم ذلك ؟ فقال . لأنى أقول البيت وأخاه ولانك تقول البيت وابن عمه) (١) .

وقد عالج هذا كثير من نقاد العرب أمثال ابن رشيق فى «العمــدة» وابن طباطبا فى «عيار الشعر» وأبو هلال العسكرى فى «الصناعتين» وغيرهم كثيـــــر .

ويذهب الحاتمى الى أن التماسك والترابط ضرورة فى القصيدة حتى تكون ابياتها منها ما يشبه الجسم المتكون من جملة أعضاء تعاونت وتآزرت فى تكوينه ، فلا يغنى أحدها عن الاخر ، ومتى فقد واحد منها خلف فى الجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفى معالمه ، وشهد لحـــــذاق المتقدمين والمتأخرين بتحريهم مراعاة ذلك فى شعرهم ، لتكمل سمــات الحسن والجمال بعد أن يتم ما بينه من اتصال ، ولكنه خص المتأخرين بالامتيــــاز فى ذلـــك (٢) .

---

(١) الرجع السابق ص ٩٠ .
(٢) انظر «زهر الآداب» ٣ : ١٦ لابى اسحق الحصرى ـ مطبعة حجازى بمصر .

(ولم يأخذ النقاد العرب رأى «الحاتمى» بما ينبغى له من الشرح والمعالجة ، وكأنهم اكتفوا بقراءته «فأبو هلال العسكرى» اكتفى من المعنى أن يكون صوابا ، واشترط جودة اللفظ وبهاءه ، وصحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف «والمرزوقى» دعا الى لزوم طريقة العرب فى شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته والاصابة فى الوصف ، فاذا توفرت هذه الأصول بلغ الشعر المرتبة السامية من البلاغة ، وكثرت فيه سوائر الأمثال وشوارد الأبيات و ابن رشيق طالب بالحفاظ على بنية البيت ، الا أنه تقدم خطوة نتلمس فيها الوحدة الفنية ، حين أوصى ان تتلاحم الأبيات وينسق بعضها على بعض ، واعترض على بناء القصيدة التقليدى ، فرأه غير ضرورى للمحدثين ، لأنه بناء أوجبته طبيعة الجاهلية) (١) ٠

وكما عنى الشعراء والنقاد العرب بمطالع قصيدهم ومقدماتها ، عنوا كذلك بحسن الانتقال من غرض الى غرض ومن معنى الى معنى وهو ما يسمونه بحسن الانتقال ٠

كما عنوا بالخاتمة (المقطع) لكونها آخر ما يسمعه السامع ٠ فاجادتها تجعل أخر ما يستقر فى سمعه جيدا ، فاذا حسن المطلع والمقطع ، صار أمكن فى النفس واكثر استمالة ، لكونه أول واخر ما يسمع السامع (٢) ، وانكار وحدة القصيدة العربية ، انما كان لبعض

---

(١) «قضايا النقد الادبى» ـ د ٠ محمدالسعدى فرهود ص ٩٣ ٠

(٢) انظر فى الموضوع الكتب الآتية :

«النقد الأدبى الحديث» د ٠ محمدغنيمى هلال مطابع الشعب سنة ١٩٦٤ م ٠

«قضايا النقد الأدبى » د ٠ محمدالسعدى فرهود مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) ٠

« مذاهب النقد وقضاياه» د ٠ عبدالرحمن عثمان مطابع شركة الاعلانات الشرقية ٠

« اسس النقد الأدبى» د ٠ احمدحمد بدوى مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٨م٠

«الأسس الجمالية فى النقد» عزالدين اسماعيل دار الفكر العربى سنة ١٩٥٥ م من ص ١٩٣ الى ٢٠١ ٠

المفتونين بالأدب الأروبى وفى مثلهم يقول الدكتور طه حسين : (وتفكك قصيدة العربية ، واقتصار وحدتها على الوزن والقافية دون المعنى ، أسطورة من هذه الأساطير ، التى أنشأها الافتتان بالأدب الاروبى الحديث ، والقصور عن تذوق الادب العربى القديم) (١) .

وحين ننظر فى القصيدة عند ابن بليهد على ضوء ما عرفناه ، نجد أنه لم يخرج عما رسمه الناقدون والشعراء العرب الاقدمون للقصيدة العربية ولم يقصر دون هذه الرسوم، اللهم الا فى الاقلال من النسيب الذى اعتاض منه فى الكثير من قصائده ، بحمد الله والثناء عليه ، والشهادة بأن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كقوله :

لك الحمد يامن للمحامد مأهل
وشكر جزيل والرضا منك أجزل

لك الحمد يامنان ياسامك السما
تضمن أحكام البرايا ومنزل

كتابا أبان الحق حتى كأنه
سناء أضاء الليل والليل أليل

كتابا أبان الحق من كل باطل
يبلغه عبد الى الناس مرسل

شهدت بأن الله لا رب غيره
قدير بأحكام البرية يعدل

---

(١) حديث الأربعاء د . طه حسين ص٣٠ مطبعة الحلبى .

وأن ختام الأنبياء محمـــــــد
له سنة مثل النهار تفصــــل

محبته حق وانـــــى أحبـــــه
محبة نصح لاجفاء ولا غـل (١)

ولم ينسب الا فى قصائد معدودة ، جاء فيها النسيب عربيا صرفـا لا يفصله عن العصور الأولى ، سوى أن ناظمه فى عصرنا هذا .

خذ مثلا فى مطلع قصيدة يمدح بها الملك عبد العزيز فيبدؤها بهذا النسيب الجميـــــل :

أهاجك من ذاك الحمام الترنـــــم
لأنك مشغوف الفؤاد متيـــم (٢)

ثم انه بينما يتنكب المقدمات فيأخذ فى الغرض مباشرة ، وجـــــل مطالعه من هذا كقوله فى مدح الملك عبد العزيز ، ووصف انتصـــار جيشه يوم تربه سنة ١٣٣٧ هـ :

بسمر القنا والمرهفات القواضـــب
تنال العلا والعز أعلى المراتب (٣)

وقوله فى مدح الملك عبد العزيز وقد بعث الى أهل الحائط كتابا يدعوهم فيه الى السمع والطاعة ، وكان ابن بليهد فى الحائط لغرض الاتجار ، فطلب منه أهلها ان يكون وسيطا فى الصلح بينهم وبين الملك عبد العزيز فقـــال :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١ .
(٢) سبق هذا المطلع كاملا فى الطبع والصنعة الفصل السابق فانظره هناك .
(٣) ابتسامات الأيام ص ١٨ .

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب (١)

وهذا نهج ألفناه لدى شعراء العرب ـ فى العصر العباسى ـ الذين كثيرا ما تجافوا عن المقدمات واذا كان ابن بليهد قد سار فى بناء القصيدة على النمط القديم ، فصار يجمع فى القصيدة الواحدة اكثر من غرض ، فمن نسيب الى مدح الى حكم الى فخر فحماسه وهكذا ، فما ذاك الا لأن رسالته فى تجديد الشعر هى البعث والاحياء ، وانشاط الفن الشعرى من عقاله بعد أن انهكته عصور الانحطاط ، وبعد ان فهمه بعض معاصريه وبعض من وليهم ، على أنه الكلام الموزون المقفى وحسب ، فجاء ابن بليهد وأستاذه ابن عثيمين ليعيدا للشعر حيويته ونشاطه وان كان ذلك بقدر ، ولكنه بعث للشعر على أى حال •

ومن هنا لايصح أن نطالب ابن بليهد بأكثر مما جاء به ، ولا أن نحاسبه الحساب الذى نحاسب به من أتى بعده ، ولا أن نزن شعره بالمعايير التى نزن بها شعر المعاصرين ، بل نحاسبه بالمعايير التى بها فهم معاصروه الشعر •

وحينئذ نقول بارتياح : ان ابن بليهد كان من رجال البعث الجديد للشعر العربى القديم ، ثم هو يحيا حياة عربية محافظة ، اذا جددت فى شىء فانما هو تجديد فى اطار المفاهيم العربية ، القديمة ولم يقصر دون ذلك ، بل أتى بما يعد بدعا فى زمانه ، اذ لم تكن آمال أبناء عصره تطمح الى أكثر من هذا ، وهل أدل على ريادته فى التجديد ، من أنه جانب نظم العلوم والفنون والمسائل الدينية ، ولم يزحمها فى شعره ؟ كما هو شأن بعض معاصريه •

---

(١) ابتسامات الايام ص ٣٩٠ •

وحين ينتقل من المقدمة نسيبا كانت أو حمدا ، يخلص الى غرضه على أحسن ما يكون حسن التخلص .. خذ مثلا قوله حين أراد أن يخلص من النسيب الى ذم أعداء الملك عبد العزيز ، ذلك الذم الذى يخلص منه فيما بعد الى مدحه :

عنى نأى الحى لا أرجو مواصلة
كما نأت فرقة الباغين وانقلبوا (١)

ويقول فى مثل هذا الغرض أيضا :

فظل الوحش معتكفا عليها
تآلفت الجآذر والنعام

كما ائتلف العدا من كل فج
بحمد الله ألفها الامام (٢)

فأنت تراه يأتى بالمشبه فى المقدمة ، والمشبه به فى الغرض الذى انتقل اليه ، ففى الاول شبه ابتعاد الحى بتولى الباغين وفرارهم ،وفى الثانى شبه ائتلاف الوحش فى أطلال ديار الأحبة بعد اقفارهما منهم ، بائتلاف الاعداء وتآخيهم فى ظل حكم الملك عبد العزيز . أما المقطع والختام ، فانه عنده على قسمين :

أولهما : أن يعقب المقطع الصلاة على النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك كثير فى شعره سواء أكان مدحا أم رثاء أم غيرهما خلا الغزل ، لانه قول لايليق أن يقرن به اسم المصطفى عليه الصلاة والسلام .

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٤٨ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٥ .

ومثال ذلك قوله مادحا الملك عبد العزيز :

لما رأيت ديـار العـز طالعـة
أرضا تباعد عن سكانها العـار

ثم الصـلاة على الهـادى وشـيعته
ما دام لليـل اقبـال وادبـار

ما طافت العيـن فى كل الديار وما
غنى على جنبـات الدوح أطيار (١)

وثانيهما : أن يأتى المقطع ولاشىء بعده ، كقوله مادحا الملك عبد العزيز ومشيرا الى أن مدحه لال سعود ، انما كان منشأه الحب الذى أملاه وأوجبه عليه الدين ، لانهم حماته ولانهم يدافعون بسيوفهم الظلم والغدر والجور :

أحبهـم دينـا لأن سيوفهـم
تقوم ميل الغادرين وتعـدل (٢)

واذا اعتبرنا الصلاة على النبى من قبيل التزيد طلبا للخير والبركة، وأن ذلك خارج عن صلب الموضوع ، فاننا نجد المقطع عنده يأتى حكمة كقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز وذم أعدائه :

وخيـر الناس من ختمـت بخيـر
له الاعمـال ان كشـف الختـام (٣)

وقوله من قصيدة يهنىء بها أمير الأحساء عبدالله بن جلوى بفتح « حـائل » :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٧١ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٠٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧ .

العمــــر ينفـــد والايام باقيـــة
لكل نفس وان طال المدى أجـــل (١)

أو نصحا وارشادا ، كقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العـــزيز ووصف وقعـــة تربة :

وكــن شــاكرا للــه فى كــل حالـــة
ليكفيك المولى جميـــع النــوائب (٢)

وقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز ، وحثه على الثـــأر لسريته بالروضة من أعمال (حائل) ، التى قتلها أمير حائل محمد بن طـــلال :

واسأل الهك لاتسأل سواه فمـــا
يغنى عن الخالق المخلوق فى الطلب (٣)

وقولة من قصيدة يهنىء فيها الملك عبد العزيز بانتصار جيشه الـذى قاده الى (أبها) ابنه فيصل :

وأشــكر الهــك وأحمــده وكــن فطنـــا
فيما أمرت وكن فى الحكم عــدالا (٤)

وقد يكون غير هذا وذاك ، فيأتى وكأنه خلاصة ماقيل فى القصيدة، من ذلك مقطع رده على من هجا الملك عبد العزيز وجيشه ، حيث قـال ابن بليهـــد : ـ

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٠ ٠
(٣) ابتسامات الأيام ص ٤٧ ٠
(٤) ابتسامات الأيام ص ٢١٤ ٠

لا تعضـــوا بالالســـن العـــرب

يوم عضتكـم الرهاف العضاب

انهـا عنـد معترك الخيل

كلما ضاقت المخارج بـــاب (١)

ومن ذلك مقطع احدى تهنئاته للملك عبد العزيز قد ختمها بقوله :

اشرب هنيئـــا فمـــاء العـــز شربكـــم

وشرب ضـــدكم فى الذل والنـــدم

ويشكو من فراق الامير فيصل بن عبد العزيز ، فيأتى مقطع تـــلك القصيدة على هذا النحو الموحى بكل مافى نفسه ، من ألم وحسرة على فراق ذلك الاميـــر :

فيا ســـائلا عنـــا فان قلوبنـــــا

جميع وأرواح الأحبة تلتقى (٢)

ومهما يكن من أمر ، فان مقاطع ابن بليهد فى جملتها مقبولة لاغبار عليها ، تأتى قوية الحبك جزلة على نحو ماطالب به نقاد العرب الشعراء وأمثلة ذلك واضحة لنا فيما مر .

٤ ـ طـــول القصـــائد :

وفيما يسترعى انتباه الدارس لشعر الرجل ، أنك لا تعثر علـــــى المقطعات والابيات ، وانما جل قصائده مطولات ، ولايستثنى من ذلك سوى ست قصائد ، تتراوح مابين ثمانية الى ستة عشر بيتا ، واذا كان

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤ .

طول نفس الشاعر فى القصيد ، وارتياحه للمد فيه دليلا على طاقته الشعرية واسترواحه فيما يصدر منه ، فان صاحبنا فى ذلك من

المقدمين وفى شعر المديح يعمد للاطالة قضاء لحق الممدوح عليه ، واكبارا لشأنه وحفاوة به ، واظهارا لعنايته بارضائه ٠

وقد يشعر بالتقصير ، فيحاول لأن يتداركه بمثل قوله من قصيدة استنهض فيها الملك عبد العزيز لقتال الثالوث ، الذى تكون من جيوش الشريف ، وابن صباح ، وابن رشيد لقتال الملك عبد العزيز :

وهذا اجتهاد من مقل ولم يكن
يضن باظهار القريض ويبخل (١)

غير أن حبه للاطالة كثيرا ما أوقعه فى التكرار ، وأمثلة ذلك تكثر عنده فى شعر المديح ، حيث يسترسل فيه ، ويستقصى المعانى التى يثبت حسنها للممدوح ، وينفى عنه قبيحها ليلصقها بأعدائه شأن المادحين ، وذلك ما أوضحناه فى حديث عن الاغراض (٢) ٠

٥ ـ ظهور ثقافته فى شعره ٠

تتعدد ثقافة الشاعر فيظهر فى شعره صدى تلك الثقافات ، قد يغلب عليه فيفسد شعره ، وقد يأتى بقدر فلا يظهر ذلك بصورة تؤخذ عليه ، وقد يتعادل تأثيرها فلا يكون فى ذلك مايعاب على الشاعر ، وقد يغلب فرع من فروع الثقافة فيكون ذلك موضع ملاحظة ٠

وفى شعراء العربية المجيدين من برزت ثقافتهم فى نتاجهم الادبى كأبى الوليد بن زيدون ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٤ ٠
(٢) انظر الفصل الثانى من الباب الثالث ٠

واذاشئنا أن نعرض لهذا فى شعر ابن بليهد ، فانا واجدون لثقافته التاريخية غلبة على سائر أنواع الثقافات ، ذلك لما ضمنه شعره من أحداث تاريخية ، وأسماء رجال كان لهم شأن فى التاريخ ٠

ويبدو أنه كان يرتاح لمثل هذا ويلذ له بدليل ، أنه كان يعمد الى ايضاحه بالتهميشات ٠

خذ مثلا هذه الابيات من احدى قصائده فى ولى العهد :

لقد عرفته الناس بالحلم والتقى
كما عرفت بالحلم أحنفها سعد

أقمت كتاب الله والسنة التى
توالت على تأييد صاحبها الازد

فلو علم الشيخان أد ويعرب
بأنك من عدنان ما سمحت اد (١)

فقد أشار فى الاول الى (الاحنف بن قيس) الذى اشتهر بالحلم ، وقبيلته بنو سعد وهم بطن من تميم ٠

وفى الثانى : أشار للانصار الذين نصروا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لانهم من الازد ٠

وفى الثالث (اد ويعرب بطنان من بطون اليمن من العرب العرباء) ولم ينس الشاعر أن يذكر هذه الاشارات فى هوامش الابيات ليدل عليها ، وربما ليدل بها وبما يعرفه من التاريخ ، وعلى كل فان صنيعه هذا يكشف عن لون ثقافته ٠

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٦٣ ، ١٦٤ ٠

ثم اقرأ قوله فى مدح الملك سعود بن عبد العزيز :

حنت اليك حنين الجذع والتفتت
شوقا لرؤيتك الاعناق والمقل (١)

ويقصد كما أشار هو « الجذع الذى كان يخطب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما تركه وصعد المنبر حن ، فوضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده عليه ، فسكت » والصورة جيدة مع هذه الاشارة التاريخية الفريدة ، وقد يقحم ابن بليهد ثقافته التاريخية فى شعره ، كما صنع بقصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون التى زج بها فى أحدى مدائحه للملك عبد العزيز ، فبعد عشرين بيتا فى المدح قال فى وصف جهاده :

هذا الجهاد فلا والله ننكره
فلا يقوم به الا الذى صبرا

على الظما والحفا والطعن بينهم
والنصر ينزله المولى لمن نصرا (٢)

ثم سرد فى اقتضاب قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون فى هذه الابيات :

قد سر بالقول عبد حين قال له
انى قريب لديكم أسمع وأرى
فحمل الله موسى حين كلمه
أمرا يقربه من كان معتبرا

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٩ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٩ .

فتابعتـــه على ماقـال طائفـــة
عـلى طريقتـه قامـوا بما أمـــرا

مشت اليهم من الأمصار قائدهـــم
فرعون يقدمهـم للكفـــر منتصرا

لما استضاقت بنو الاسلام وازدحمت
البحر حاجزهـــم والكافرون ورا

فلا مفـر ولا ملجـأ سـوى فـــرج
من الذى نزل الايـــات والســـورا

أوحى الاله الى موســى وقال لــــه
ارفع عصاك اذا وأضرب بها البحرا

وأسلك طريقا وللســـلاك بعدكـم
بحر اذا ســكنت أمواجه زخـــــرا

ماتوا جميعــا وبعد الموت ان لهـم
نارا تــذوب فى أكنافهـــا الحجرا

ان الدلائل فى التنـــزيل واضحـة
فى النازعات وفى الاعراف والشعرا (١)

وورود ذلك فى شعره يشبه أن يكون أمرا عاديا ، اذا نحن أخـــذنا نوع ثقافته واختصاصه بعين الاعتبار ، اذ هو معدود فى عـــــداد الباحثين ، فى تاريخ جزيرة العرب المحققين للاماكن والبقاع بها ٠

---

(١) يشير بهذا الى ما ورد من اخبـار موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون فى السور الثلاث ، سورة الاعراف الاية من١٠٣ ـ ١٣٨ ، وسورة الشعراء الآية من ١٠ ـ ٦٨ ، وسورة النازعات من الآية ١٥ ـ ٢٦ ، وليس هذا كل ما ورد فـــى القرآن الكريم من اخبار موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون فهناك الكثير من السور لم يشر اليها مثل ســـورة البقرة ، وسورة طه وسورة القصص وغيرها

٦ ـ التصنع :

حديثنا هنا عن التصنع ، وهو التكلف ومخالفة الطبع وحمل الكلام على غير طبيعته

أما الطبع والصنعة ، فهو حديث آخر سلف •

والتصنع هو أن تكره الكلمة على موقعها ، وأن تحمل عليها فوق طاقتها من المعانى والافكار ، أو أن توغل فى المحسنات البديعية ، وتفتعل التصوير الادبى ، فيأتى الكلام على غير سبيله ، ومن هنا ينتج خلاف المقصود •

وقد فرق العلماء بين (الصنعة والتصنع) فجعلوا الصنعة التهذيب والتجويد والتحليك ، وأما التصنع فعلى نحو ما أسلفنا •

على أن بعض العلماء خلط بين الامرين ، وذلك ما أوضحناه فى حديث الصنعة سلفا •

وانما هدفنا هنا ، هو الكشف عن مدى تأثر (ابن بليهد) بعصره وأساليبه الشائعة فيه اذ ذاك •

فلقد كان ابن بليهد يعيش فى عصر ، كان التصنع والتكلف سمة شعرائه ، الذين كان منهم الشيخ سليمان بن سحمان وأمثاله ، وكان طبيعيا أن ينهج ابن بليهد مثل هذا المنهج ، أو يظهر ذلك فى الكثير من شعره ، لكن الذى حدث هو العكس من ذلك ، فلقد علمنا أن ابن بليهد كان تقليديا فى جل شعره ، اللهم الا مانظمه بعد رحلته الى مصر عام (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م)

وهو ـ قياسا على سائر شعره ـ قليل ، الا أنه يشكل قدرا لابأس به فهو جدير بأن يأخذ بعض العناية والاهتمام عند اعطاء أى حكم على

شعر الرجل ، ومع انه يعد فى الشعراء المقلدين ، الذين أهم سمات شعرهم شيوع المحسنات البديعية ونحوها ، من مظاهر التصنع والتكلف الاخرى ، الا أن قارىء شعره يخرج بنتيجة تخالف ما يتوقعه أول صحبته للديوان ، اذ أنه كلما تقدم معه فى شعره الى الامام وجد آثار التصنع والتكلف تضعف ، حتى تكاد تختفى من شعره ، وذلك لان الرجل يصدر عن طبع وينسج على سجيته ، لايتكلف البديع ولا يتصنع المحسنات ، وما ورد من ذلك فى قصائده الاولى كما أسلفنا كان قليلا جاء على نحو قوله :

غوى غاوى أغوى من الترك عصبة
على شر حال واستذل البواديا (١)

وتتابع المشتقات من مادة واحدة ، لا يخلو من تكلف وثقل واستكراه ومنه قوله :

فغر هزيلا ، فى المصارع صرعوا
وأغوى بنى سفيان يوم التواثب (٢)

وقد يفضى به التكلف والتصنع الى هذا النحو من التكرار ، الذى حملته عليه المبالغة فى مدح الممدوح :

الخير خيركم فى كل ناحية
والفضل فضلكم فى الأرض قد حمدا (٣)

ومن مظاهر التصنع لدى أهل عصره ، تسجيل سنوات الاحداث بالشعر ، اما عن طريق الحروف الابجدية ، أو ألفاظ الارقام الحسابية .

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٧ .

وفى تتبعى لشعر ابن بليهد ، لم أجد فيه من ذلك سوى بيت واحد، أرخ فيه لفتح جدة عام (١٣٤٤هـ ــ ١٩٢٥م) :

ثلاث مئيــن فوقهــا ألف حجــة
مع الاربعين ان ذا العام رابــع (١)

كما لم يعمد الى المعارضات لقصائد السابقين أو المعاصرين لــه ، اللهم الا فى قصيدته (عيون المها) التى لم يحوها الديوان ، أو آخـر حلوانيته التى لم يحوها الديوان أيضا ، فان الاولى كانت معارضـة لقصيدة على بن الجهم (الرصافية) وآخر الثانيـة تلوح فيــه روح ابن زيدون (وقد سلفت فى الصورة الادبية) ، وماعدا ذلك فان ابن بليهد يبدو فى شعره بعيدا عن المعارضات والنسج علــى مثــــال سابق ٠

٧ ـ كثـــرة الوصـــف :

لقد أكثر ابن بليهد فى شعره من الوصف ، ولكنه كان يأتى ممزقا، أعنى أنه لايعمد الى لم شمله فى قطعة مستقلة ، بل يأتى به مفــرقا بين أبياته ، ثم أن وصف ابن بليهد فى جملته وتفصيله وصف البدوى القديم ، لايتجاوز فيه مألوفاته التى عرفها فى بيئته ، فهو وصـــــف للصحراء وجبالها، ووديانها ووعورها وسهولها، ومرتفعاتها ووهادها ونجادها ، ووصف للقفار والفيافى وما يجتازه بها ، كالناقة الـــتى أطال فى وصفها ، لانها هى كل شىء فى حياته ، ولانهـــا وسيلته فى الاسفار وسائر أسباب المعيشة ، فلا ضير عليه اذا ان هو أطال فى وصفها ، حتى لاتكاد تجد له قصيدة خلت من ذلك ، كقوله فى وصف

---

(١) المرجع السابق ص ٩٩ ٠

ناقته بالعظم والضخامة وبالشدة ، وانها أمون نعمت برعى النبت الناعم الطرى الاخضر ، الذى نما فى واردات ووداديها الذى باكره الوسمى فسامت فيه سنين حتى انمحى عن وبرها أثر الرحل ، فهو بقربها لتقطع به المسافة الى الممدوح ، حيث لايستطيع ذلك سواها من الابل ، لان المسافة بعيدة والمعالم مطموسة ، حتى الليل غاب عنه انقمر ، حتى اذا استوحشت وحنت وعدها بقرب الفرج ، حين ابوصول الى الممدوح وهو الملك عبد العزيز :

وانم القتود على وجنى عذافرة
قد استطاب لديها الناعم الخضر (١)
بواردات وواديها وناعمها
أندى نبات من الوسمى مبتكر
سامت سنين خلين ماشقين بها
حتى تطاير عن أكتافها الوبر
اذا الركاب براها الاين وانطمست
عنها الكواكب والاكام والقمر
لما تراجعت التحنان قلت لها
لا تسأمين فان الامر مشتهر (٢)

---

(١) القتود : اداة الرحل أو جميعها (اللسان ٤ : ٣٤٠)
وجنى : نقاقة ،وجناء اى تامةالخلق غليظة لحم الوجنة صلبة شديدة مشتقة من الوجين ، التى هى الأرض الصلبةأو الحجارة (اللسان ١٧ : ٣٣٤)
العذافرة : الناقة الشديدة الأمينةالوثيقة الظهيرة وهى الأمون (اللسان ٦ : ٢٣٠) .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٣ .

فأنت تراه قد رسم لك صورة ناقته قوية ضخمة قد امتلأت من رعى الربيع ، حتى ارتفع وبرها فوق أكتافها ، وذلك غايةماينشده الواصف ، اذ ليس من الضرورى عندهم أن يذكر الواصف جميع صفات الموصوف ، وانما يكفى أن يذكر أشهرها على نحو يجعلك تحس الموصوف من خلال الكلمات ، كأنما هو نصب عينيك ، يقول أبو هلال العسكرى :

(وينبغى أن تعرف أن أجود الوصف ما يستوعب أكثر معانى الموصوف ، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك ، وذلك مثل قول الشماخ فى نباله :

خلت غير آثار الاراجيل ترتمى
تقعقع فى الاباط منها وفاضها

فهذا البيت يصور لك هرولة الرجاله ، ووفاضها فى آباطها تقعقع (١) ثم هو يصف ماعاشه من أحوال : كالسفر ، والحرب وأدوات ذلك من سيف ، ورمح ، ودرع .

كقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز :

يزول عنها الاذى جهرا اذا ضحكت
بيض الصوارم بين البيض واليلب (٢)

وفى قصيدة مدح بها الامير فيصل بن عبد العزيز ، يصف الجيش فى كثرته وقوته واندفاعه ، ويشبهه بالوادى الذى اكتظ بالسيول ، فصار يقتلع مايعترضه من شجر وينفيه على جنباته :

---

(١) الصناعتين . لأبى هلال العسكرى ـ تحقيق أبو الفضل والبجاوى ـ مطبعة الحلبى (١٩٥٢ م) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٩١ .

اذا أتوا مثـل سـيل الواد ملتطمـا
ينفى على جلهتيه الطلح والضالا (١)

ومن قصيدة أخرى فى مدح الملك عبد العزيز ، يصف حركة جيشه فى كثرته وسرعته وقوته التى كأنما يهز بها الارض .

وضـمرا عوجيـات اذا جـذبت
كأنها فوق ظهر الارض زلـزالا (٢)

(وهنا ينبغى لنا : أن نقرر أن النقاد العرب اطمـأنوا الى أن للعرب فى تشبيهاتهم طرائق شتى : فمنها تشبيه الشىء بالشىءصورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به حركة وبطئا وسرعة ، ومنها تشبيهه بـه لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض ، فاذا اتفق فى الشىء المشبه بالشىء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوى التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وحسن الشـعر بـه) (٣).

أما منجزات العصر الحديث ، كالسيارة ، والطيارة ، والكهربـاء، والراديو ،والمبرق (اللاسلكى) والهاتف ونحوه ، فانه قد صدف عنها وان كان وصف بعضا من ذلك ، فانه وصف قليل من ناحية ، ومن ناحية اخرى جاء مقتضبا فى جملته.

لقد وصف القطار فى ستة ابيات من قصيدته الحلوانية وقدسبقت فى الاغراض ، كما وصف الطائرة فى اربعة ابيات من قصيدته حنين،

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٤ .
(٣) « نصوص نقدية» للدكتور محمد السعدى فرهود ـ دار الطباعة المحمدية (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م) ص ١٧٤ .

فشبه مقودها بزمام الفرس فى يد الفارس ، كما شبهها بالفرس السبوح وفى صورة اخرى يشبهها بالطير وهو يجتاز الافاق ، ويشبه السحاب من تحتها بمطية امتطتها الطائرة حيث يقول :

بذات زمام فى يميـــن مـــدرب
سبوح كأن ليست بـــذات حـــراك

يطــوف بها الافاق كالطير ســـابحا
ويركـــب متـــن السحب قرب سماك

ويطوى بنا الاميال ليس بخـــائف
فسيرى وبالتوفيق ربـــى حمـــاك

ولا تعجلى ان فوق دار محمـــــــد
سبحت ففيها لو عقلت هـداك (١)

أما الكهرباء ، فانه لم يتحدث عنها الا فى شطر واحد فقط مـــن البيـــــت :

علينا اليد البيضا له مستمـــرة
تضىء كضوء الكهربـــاء المعلق (٢)

وهو من قصيدة نظمها فى التشوق الى الامير فيصل بن عبدالعزيز ، حين رحل عنه الشاعر من الحجاز الى نجد ، او فى قصيدتيه الغزليتين ، اللتين نظمهما فى المرضتين ، حيث قال فى الاولى :

فأما التى بالكتف تـــذكى بكـــهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللطف (٣)

---

(١) أوراق مخطوطة ٠
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٣٢ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٢ ٠

وقال فى الثـــانية :

اذا دعوناك فاهرج أيهـــا القمـــر
هـــل عندكم مـــن علاج الكهربا خبر

... ...

.. ..

فى ركبتيك تـــرى للكهربا أثـــــرا
يطيـــر للقلب من جرائه شرر (١)

على ان وصفه كما تراه لا يتجاوز فى جملته الظواهر والمحسوسات الـــــى المعنويـــات ·

واذا كان ذلك الوصف قد كثر لديه ، فما ذاك الا لأن طبيعة الحياة البدوية او الريفية تقتضى ذلك ، وابن بلهيد عاش جل حياته بين البدو وسكان القرى ، وفى مثل تلك البيئة يقول الاستاذ العقاد :

(لابد أن نستحضر فى خلدنا بعدما أسلفنا ، أن أهل البداوةوالريف أكثر تشبيها بطبيعة معيشتهم من الحضريين ولا سيما المحدثين ، لأن الاشياء المحسوسة عندهم أقل من الاشياء المتخيله أو الغـــائبة ، ولأن التفرس والتوسم وانعام النظر عندهم حاجه من حاجات الحياة بيـــن الجبال والصحارى والسهول ، فى الاقامة والسفر ، والغزو والدفاع ، ومعرفة الأنساب ، وتمييز فضائل الحيوان ، فاذا كـــثرت التشبيهات فى كلامهم أحيانا فذلك سببه الأصيل وليس سببه (التشبيه لمحض التشبيه) ··· أى أنهم يصدرون عن الطبيعة والوعى الصادق فى تشبيهاتهم،ولا يصدرون عن رغبة مختلقة أو صناعة مموهة) (٢) ·

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٤ ·
(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيـــل الماضى » ـ عباس العقاد ـ دار الهلال سنة (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م) ص ٥٨·

ونحن نعلم أن تلك كانت سمة شعراء العرب السابقين ، فلاجناح عليه اذن ان هو جاراهم وسار فى الخط الذى ساروا فيه، لأنهم مثله الذى يحتذيه ، وينسج على منواله .

أما وصفه : للدمن ، والديار الدوارس ، فتلك سنة جرى عليها السائرون من الشعراء على نهج العرب الاقدمين ، ألا ترى ان البارودى وهو رائد الشعر الحديث ، قد أكثر من ذلك فى شعره ،ومع هذا سلم له الناقدون بالزعامة والرياده فى سبيل الشعر .

على أن وقوف ابن بليهد بالدمن والاطلال كان قليلا ، اذا ما قيس بمعاصريه من أمثال الشيخ محمد بن عثيمين ، والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهما .

٨ ـ كثرة المدح :

واذا كان ابن بلهيد قد اكثر من المدح ، حتى غلب على أكثر شعره الذى حواه الديوان (١) ، فانه فى مدحه قليل التعلق بالحسيات ، وان كان قد يشبه ممدوحه حينا بالجبل ، كقوله فى قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز :

وأنت أثبت من ثهلان منفردا
فى خطة الحرب أو فى المسلك الصعب (٢)

او البدر والشمس ، كقوله من قصيدة يمدح فيها ولى العهد سعود بن عبد العزيز :

---

(١) استثناء لما عثرت عليه من شعره الذى لم يحوه الديوان ، وعدد قصائده سبع عشرة قصيدة ، ليس فيها من المدح سوى ثلاث .
(٢) ابتسامات الأيام ص ١٩٢ .

هذا سعود بـــدا بالسعد طالعــــه
كالبدر والشمس أو كالشامخ العلم (١)

ولكنه فى هذا القليل ، لم يكن يقصد فيه لا الوسامة ولا الضخامة وانما يعنى أمورا معنوية كعلو الهمة وثبات العزيمة ، ونحو ذلك ، مما استهدفه فحول الشعراء منذ القديم ، وان كانت الصورة حسية ٠

أما المدح بالوسامة والجمال وتاج الملك ونحوه،فنادرعنده لايتجاوز أبيـــاتا معـــدودة ٠

منها قوله من قصيدة يمدح بها ولى العهد سعود :

هم الفتية الغر الذين وجوههـــم
عتـــاق فتستشفى بها الاعين الرمد (٢)

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك عبد العزيز :

وكان بالتاج تـــاج الملـــك معتصبا
أخو المكـــارم لا عى ولا وكـــل (٣)

أما ما عنى به كثيرا وتخلل مدحه جملـــة وتفصيلا : فالشجاعة ، والبأس ، والكرم ، والجود ، والحسب والنسب ، والحزم ، والحلم ، والعدل ونحو ذلك ، من المعانى النفسية التى هى هدف المادحين،ووسيلتهم فى تفضيل الممدوحين ، واجلاء سماتهم وخصائصهم ٠

ومما يؤكد عليه ابن بلهيد :التقى والعفة ، ونصرة الدين،والتفانى فى سبيله ، وقد اوردنا لذلك كله ، فى حديثنا عن فن المدح عنده مـــن

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥١ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٦٢ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٦١ ٠

الشواهد ما يغنى عن ايراد نماذج هنا ، ثم ان جميع قصائده ـ خلا قصائد معدودة ـ مملوءة بشواهد ذلك ، وفى الرجوع الى ما حللناه من نصوص أو كان موضوع موازنة بينه وبين آخرين ، ما يكفى فى ذلك ويشفى •

وأجل وأسمى مامدح به الممدوحين من صفات : هى أنهم حماة الدين ، وأنصار الاسلام ، وبهم نشر لواء الامن والسلام •

ولاشك ان تلك الصفات تتطلب الحديث ، عن أدوات الشجاعة والرياسة والريادة ، من نحو الخيل والدرع والسيف ، والرمح ، عند الحديث عن الشجاعة ، وهكذا فى الصفات الأخرى التى يمتدح بها •

٩ ـ أساليبه :

يصادف الأديب حدثا من أحداث الحياة ، أو حالة من حالات النفس البشرية ، يكون نتيجة وضع من الاوضاع العامة ، أو الخاصة فينفعل به أو يتلقاه غير مبال به ، وقد يقتضى الحال النابع من نفس الأديب أو من وضع خارجى ، أن يؤدى الاديب دوره فى التعبير عن هذا والتجاوب معه ، قضاء لحق نفسى فردى أو واجب جماعى •

وكل واحد من هذين الموقفين لدى الأديب ـ الايجابى والسلبى ـ ينعكس صداه على النفس ويبرز مظهره وأثره ، فيما يؤدى به ذلك من ألفاظ وتراكيب •

من هنا يمكننا أن نتبين أثر الأوضاع ، والاحداث على نفس الشاعر من خلال ألفاظه وتراكيبه ، وما يستتبعه ذلك من صور أدبية وخيالات •

فالموقف الايجابى يجعل الأديب يستجيب للموضوع وينفعل به ، فتنقاد نفسه اليه وتطاوعه كلماته وتسابقها تعبيراته ، الى تصوير ذلك

وابراز ذلك الشعور ، الذى سيطر عليه وتملك احساساتهومشاعره.

من هنا نجد ان الكلمات عنده : تأتى طربة مرحة ان كان غزلا أو مدحا ، باكية حزينة ان كان رثاء أو حبا معقدا أو محروما ، غاضبة مكفهرة قد امتلأت بموجات السخط ، وشحنت بالعنف،والغضبأوالتهكم والسخرية ان كان هجاء ، وعارمة مندفعة تقودها الجرأة ، وتدفعها الرغبة وتقويها العزة والاباء ان كان حماسة ، وهكذا .

أما اذا كان موقف الأديب سلبيا ، وكانت الاوضاع تفرض عليه التجاوب والمشاركة مع ذلك الحدث الذى لم يجد سبيله ، الى نفسهفان الاديب حينئذ يكون كالصانع الذى أكره على عمل ، قد يدفعه دافع الى محاولة التأنق والاتقان ، فيجيد نوع اجادة هى على أى حال اجادة المتكلف المتصنع، أو يؤدى الامر لمجردأن يقال انه شارك أو عمل ، وحينئذ يكون عمله أوهى من سابقه تجىء الظلال فيه باهته وتموت فيه الكلمات على الشفاه .

من هنا نجد أن الانفعال هو الاساس الاول للاجادة ، وأن اللغة والاساليب أداة طيعة فى يد الاديب ، متى طاوعته انفعالاته ومشاعره واحساساته ، التى تدفع بالذوق الادبى والخيال الشعرى الى الامام ، لتؤدى دورها الجمالى فى أسلوب الشاعر .

والثقافة اللغوية والادبية أمر اساسى ، فى الاجادة ، فكلما اتسعت دائرة الثقافة ، قويت أسباب الاجادة والوصول بالعمل الادبى الى الذروة .

وعلى ضوء ذلك ، نتناول أسلوب الشعر عند ابن بليهد ، بالتمثيل والايضاح والايماء الى الاسباب والمسببات :

أ ـ ان أول ما يقابلك من سمات شعره ، تلك السهولة فى المآخذ واليسر فى التناول خذ مثلا مطلع هذه القصيدة ، التي نظمها فى توديع الملك عبد العزيز عند سفره من الحجاز الى نجد ، شكا وتألم فيه من فراق الملك عبد العزيز ، ولكنه تعزى ببقاء ابنه فيصل فى الحجاز:

أهاجتك دار أم أهاجك منزل
كأنك بالبين المشت موكل

فخل من بكت عيناك من ساكن الحمى
تراعى طريق المنجدين وتهمل
كأنك بعد الظاعنين عشية
كثير الجنايا بالحديد مكبل

فللبين لمات اذا انشقت العصا
تقارع لولا أننى أتجمل

دع الهم والتذكار عنا فما لنا
بأدنى قرى البحرين أهل ومأهل

وعرج على البيت الحرام وطف به
كما طاف فيه الخاضع المتذلل
ولا تنتظر الركبان عند رحيلهم
ففى عرضها للناس منأى ومرحل

فظلت مقيما بالحجاز واننى
لراض بما يرضى الامير المبجل

اذا غاب عن أم القرى ابن فيصل
أقام بها والحمد لله فيصل (١)

(١) ابتسامات الأيام ص ١٠٧ .

فأنت تراه سهلا ميسورا ، لا يحتاج قارئه الى تعب وعناء، واطالةفى التفكير كى يفهم عنه ما يريد ، وهذا من اوضح الدلائل على أنه يصدر عن نحو من الطبع وينظم على السجية ، اذ أنه كما يخرج من فم الشاعر تتلقاه أذن السامع ، وفهم القارىء ، وأخص الناقد الذواقه •

وأثر الانفعال ، وتجاوب المشاعر والاحساسات ، والقدرة علـــى تصوير ذلك كله بعد صبه في قوالب طاوع فيها اللفظ المعنى ، فجـــاء صورة لما اعتمل فى نفس الشاعر كل ذلك واضح فى أبياته لا يحتـــاج الـــى دليـــل •

فبعد ان كشف لك مافى نفسه من حسرة وألم ، من خلال تساؤله فى البيت الاول ، وأمره نفسه بمتابعة الظاعنين بعينه الهامية دموعها ، ثـم تشبيهه وقد ملك الحزن عليه نفسه بمن كبل بالقيود ، يأتيك بتفسـير أسباب ذلك كله فى البيت الرابع، وأن البين قد فجعه ، فآلامه تقارعـه لكن التجمل والتجلد هو الذى يحفظ عليه أمره •

فانظر كيف آخى بين الالفاظ وواءم بين التراكيب ، ثم انظر كيف كان اختياره للكلمات القادرة على التعبير ، عن طريق ابرازها فى صورة أدبية ، فيها من روعة الجمال وبهاء الجلال ،ما يجعلك تسلم له بالجودة وتحكم له بالصدق والابداع الفنى ، فى التعبير والتصوير •

واذا شئت مزيدا يوضح لك قرب معانيه ، وسهولة تراكيبه ودنــو الفاظه ، على نحو بعيد عن التعقيد أو الغموض أو الخفاء ، فاقرأ قوله من قصيدة نظمها وهو يتوقع قدوم الملك عبد العزيز من نجد الى الحجاز:

كـــأن فؤادى حين طال به النـــوى

الى نجـــد مذهوب بـــه كل مذهب

اذا جن من ليـــل التمام ظـــــلامه
وبت أراعى كـــوكبا بعد كـــوكب

فيالك من عين كــــأن بجفنهــــا
قتادا وقلب هائـــم متشـــعب

أعلل نفسى بالمنى ، ان فى المنــــى
رجــاء قــدوم النازح المتغيــــب

لفتنا لنهـــج المنجـدين رقابنــا
كمــا أشرفت أبصارنا كـل مرقــب

وان جاء ركب من ربـــا نجد قــادما
فقد طابت الانبـــاء للمتطلب (١)

فانظر الى هذا القلب الذى أوقعه فراق الاحباب فى حاله من الحيرة حتى كأنما تنازعته الأسباب من هنا وهناك ، فلم يعد قادرا على تبين أمره ، ثم انظر الى تلك العين التى كأنما حشيت بشوك القتاد، حيـــن يجن الليل وتتعلق بمراعاة النجوم، فتتراءى لها عيونا تطل على الاحباب وهكذا تلتئم كلماته وتأتلف عباراته على هذا النحو الرائع البديع .

ب ـ واذا كان ابن بليهد قد وصل بشعره الى هذه المرتبة المرضية، التى مثلت لنا فى كثير من شعره ، فلقد وقع له : ردىء القول ،وركيك التعبير ،وهزيل الخيال ، مما يؤاخذ به أدبه ويعاب به شعره .

فلقد أتى فى اساليبه بما يشبه كلام العامة وسذج الدهماء، وكقوله من قصيده فى مدح ولى العهد سعود بن عبد العزيز :

---

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٠ .

أحرزت من عشرها تسعا وواحدة
كفيت شر العمى والعى والشلل (١)

وقوله في قصيده فى مدح الأمير فيصل بن عبد العزيز :

كفيت الردى والسوء والشر والاذى
وحاطت بمن يهوى رداك الزلازل (٢)

وما أظننى مبالغا لو قلت : ان هذين البيتين يذكراننى بما يقوله الوافقون على الطرقات وأبواب المساجد ، يستدرون صدقات المتصدقين ويسوق الابيات حينا وكأنه يحكى حديث مجالس سمر ومقاه ، ليس فيه روح الشعر ولامتانة اللغة والاسلوب ، أو كأنه حديث يساق فى رسالة لا فى قصيدة .

خذ مثلا حديثه عن وصول خبر مسيرة الملك عبد العزيز الى اعدائه وانه وصل اليه مع الركبان الحاملين الكتب :

فجاءنا منكم ركب وقلت لهم
متى يسير الامام أيها الركب ؟

فأخبروا ويقين العلم متضح
من بعد ما فللت من طيها الكتب

من ركن داركم تمشى على عجل
فلو جذبت جميع الناس تنجذب (٣)

ويسوق المعانى الفخمة حينا فى أساليب لاتتلاءم معها ، بل تأتى على نحو يدنو كثيرا مما ورد فى المثال السابق ، فمثلا بينما يريد أن

(١) ابتسامات الايام ص ١٤٠ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٣٩ .
(٣) ابتسامات الأيام ص ٢٩ .

يعبر عن دحر الباغين وطردهم ، حتى انكشف الكـــرب وعم الأمن وان الممدوح كريم يجود بنفائس المال ، اذ ينتقل فجأة الى الحديث عن الحرب والاستعداد لها ، فيعبر عن ذلك فى ثلاثة أبيات متوالية من احدى قصائده فى مدح الملك عبد العزيز :

نفا من أرضـــه الباغين طـــــــــرا

ولاح النـــور وانكشف الظـــــــــلام

وأزجى المكرمات مـــن الســـــبايا

خـــلاف الحيـــل زينها الســـــنام

لايام الجهـــاد نهضن يومـــــــــا

ونار الحرب حل بهـــا اضطرام (١)

ونعلم ان الكريم لا يبلغ غاية الكرم ، الا اذا جاد فى حالى العسر واليسر ، كما قال زهير :

يمينا لنعـــم السيدان وجدتمـــــــــا

على كل حـــــال من ســـــحيل ومبرم

ولكن ابن بليهد فى أحد أبياته يمدح الممدوح بأنه يجود اذا كـــــان مقتدرا ، الا اذا تمحلنا وقلنا انه يؤكد اقتداره :

قرينه المجد والمعروف يعرفه

سمح بذول كريم وهو مقتدر (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥ .
(٢) ابتسامات الايام ص ٣٤ .

بل قد يأتى بما هو أقبح فى بابه ، فيمدح الممدوح بأنه يبعث الى الاحياء ، طالبا مايطيقون دفعه له من مالهم ، والفضل انما يكون فى العطاء لا فى الطلب ، وليس يشفع فى ذلك واقع الامر وحقيقته ..

وان بعثت الى حى بطاقته

فلا يرد سوى المعروف مجتهدا

كفاه ماضمنت فيها وما نظرت

عيناه فامتلأت مما بها وجدا (١)

غير أنه لم ينفرد بذلك من بين الشعراء ، فان أبا الطيب المتنبى على ماله من قدر فى الشعر ، وصف النقاد شعره أنه كبساط الملوك يقع فيه النوى والذهب ، فاذا كان ذلك شأن شعر المتنبى وهو من هو فى تجويدالشعر واحكام نسجه ، فكيف بمثل صاحبنا ؟ على أن أخطاء البعض لاتسوغ أخطاء اخرين ، لكنه الشىء بالشىء يذكر، وحديث الفنون ذو شجون .

فبشار بن برد الذى يقول :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى

وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

اذا الملك الجبار صعر خده

مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٧ .

هو القائل :

ربابة ربة البيـــــت
تصب الخل فى الزيـــــت

لها عشـــــر دجاجات
وديك حســـــن الصوت

والبحترى الذى يقول :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكـا
من الحسن حتى كـاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجـــى
أوائل ورد كن بالامس نوما

هو الذى يقول :

فؤادى منـــــــك ملآن
وسرى فيـــــــك اعلان

وأنت الحســـــــن لو كان
وراء الحســـــــن احسان

١٠ ـ الالفاظ :

والحديث عن الالفاظ يرتبط عادة بالصورة الادبية والصنعـــة ، وفى الفصل السابق اسلفنا فى هذا مايحسن الرجوع اليه ، ولكـــن البحث يفرض علينا أن نومىء هنا الى لغة ابن بليهد فى شعره والفاظه فيه ..

اننا حين ننظر فى لفظه، لانجد سوى كل لفظ دنامأخذه، ووضحت دلالته، وقليلا ماتعثر على اللفظ الغريب ، مما يدل على أنه كان يتعمد البعد عن غريب اللغة ، فينتقى الفاظه مما هو متداول غير مبتذل، حتى أنه اذا سبق الى لسانه شىء من هذا ، عمد الى التعليق عليه وشرحه فى الهامش ، من ذلك كلمة (النجم) لما صغر من النبات فى قوله :

أقوت مراقبها لم يبق بعدهم
لدى المنازل الا النجم والشجر (١)

(وكالصفائح والدسر) التى هى حذاء الخيل ومساميرها فى قوله :

يقى السنابك عن حزن وفى سهل
صم الصفائح اذ تلوى بها الدسر (٢)

(وكالبيض واليلب) فى قوله يمدح جيش الملك عبد العزيز بالشجاعة ، وانهم بشجاعتهم لايضعون فى الحرب غطاء على رؤوسهم ولا يلبسون الدروع ، وانما يتخذون من سيوفهم أجنة :

قوم حصونهم بيض مهندة
وليس فوقهم بيض ولا يلب (٣)

و (كالزجل) بمعنى البحر فى قوله :

وأزعج الفرس من جاورت أرضهم :
رعب ونال الامان البر والزجل (٤)

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٥١ .
(٤) المرجع السابق ص ٦٤ .

لذا نجد ان أسلوبه ولغته اقرب الى مدرسة أبى العتاهيه (١) ـ ان صح التعبير ـ لم ينهج مانهجه معاصروه من تكلف كالشيخ سليمان بن سحمان أو اغراب كما هو شأن الشيخ محمد بن عثيمين ، وانما كان وسطا فى اللغة والاسلوب ، على الرغم من انه ينظر الى ابن عثيمين نظرة الاجلال ، ولايصفه الا بالشاعر الكبير ، بل انه لم يشر الى أحد من معاصريه من الشعراء سواه لابذم ولا ثناء ·

ولكن تكون الصورة عن ألفاظه أوضح ، نتناول نماذج من نظمه فى أول عهده بالشعر ، وفى اخريات أيامه ·

نشرت أم القرى (٢) قصيده لابن بليهد ، فى مدح الملك عبد العزيز جاء فى مطلعها :

يابن الاولى وبنوك الفتية الصيد
تقابل السعد فى مرآك والعيد

على جبينك تاج العـز مرتفع
له رواق من الاسلام معقود

قد يعلم الناس من عرب ومن عجم
ان المجن له سيف وتوحيد

كما تقول بنو (نجد)الكرام : فما
تحمى التويم (٣) من الاعداء الجلاميد

فدم سليما كما ألبستنا حللا
أمنا تآلف فيه الشاء والسيد

---

(١) من حيث السهولة واليسر فى الألفاظ والعبارات والأساليب ، ومن حيث جريان الشعر على اللسان بلا تعمل ولا تمحل واطالة تفكير ·

(٢) العدد ٣٢٤ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٤٩ هـ · باسم ابن عمه عثمان بن بليهد·

(٣) التويم : الفرس الشديد السريع الجرى ·

ننظر الى ألفاظ هذه الابيات ، فلا نرى فيها لفظا جاء فى غير موضعه ، أو استعمل على وجه لايحسن استعماله فيه ، فهو فى البيت الاول يخاطب الملك بالاشارة الى آبائه ، اشارة تحمل كل معانى الاكبار والاجلال ، والمدح والثناء ثم يمتدح أبناءه بأنهم فتية كالاسود ،ليخلص من ذلك الى الاخبار بأن مرأى الملك كالعيد ، فما بالك وقد اجتمعا معا فى يوم واحد، فكان يوم سعد ، ثم يمدح الملك يتألق التاج على جبينه، لكنه ليس تاج الملك ، وانما هو تاج العز الذى ألبسه اياه الاسلام الذى قام الملك لنصرته ونشر تعاليمه ، ثم يزيد قوله ايضاحا بالقول بأنه من المعلوم أن تآزر الدين والقوة هو مصدر العز ، ويقوى هذا برواية المثل السائر على ألسن أهل تلك البلاد (الجلاميد لاتحمى التويم من الاعداء) ، ثم يدعو له بأن يبقى سليما لما تم على يده من أمن سارت الشاء فيه الى جانب الذئب ، لاتهابه ولا يجرؤ على افتراسها ٠

فانظر كيف استطاع ان يتخير الكلمات ، ويحسن التأليف بينها حتى استطاع ان يأتى بمثل هذه الصياغة ، التى جمعت الى قوة اللفظ وفخامته ، متانة الاسلوب وجزالته ، ثم أنظر كيف جعلها تقوم بهذه المعانى الجليلة السامية ، على نحو جمع : اشراق الديباجه ، وعمق الدلالة ، وقوة التعبير ، ووضوح البيان فى بلاغة وايجاز ٠

لننظر الى البيت الاول ، حيث جمع فيه مدح الممدوح وبنيه ، مع افراد الممدوح بالشطر الثانى ، وهكذا بقية الابيات فى لفظها واسلوبها وتصويرها ٠

ولو تحسسنا ألفاظه لما وجدنا فيها الا ماهو مقدم فى هذا الباب ، حتى كلمة التاج لم يرض الا أن يجعله تاج العز ، الذى ألبسه الاسلام الممدوح ، فهو اذن من المعانى الشريفة ، وليس داخلا فى باب الحسيات ، التى لم يستحسنها نقاد العرب ٠

وشبيه بهذا قوله من قصيدة يمدح بها الملك عبد العزيز :

أسد على الخيل لم تغمد سيوفهم
يوم القتال وفى وقت الندى ديم
قوم على منهج المختار منهجهم
بلا خلاف على الحق الذى علموا
تلك المكارم لافخر ابن مارية (١)
عمرو ولا مكرمات شادها هرم (٢)

ان مايقال فى النص السالف لفظا وأسلوبا وبيانا ، يقال فى هذا ، فلقد جمع للمدوحين فى الشطر الاول الشجاعة والكرم ، ثم نمى منهجهم الى منهج الاسلام ، ونفى عنهم الخلاف عليه ، وتوج ذلك بتفضيل مكارمهم على مكارم العرب الاقدمين ٠

وننظر فيما قال فى اخر حياته ، فنجد أسلوبه فى انتقاء الالفاظ ، لايبعد كثيرا عن منهجه فيما أسلفنا ، وان كان هناك تجديد ففى الغرض والاسلوب ٠٠

لنقرأ من احدى مصرياته قوله :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليله
على رملة بين الجوا وقنان ؟
وهل أعملن شملالة وسط فدفد
يصاب بها الخريت بالغثيان ؟
وياليت شعرى أين رمحى وصارمى ؟
وأين مجنى المصطفى وحصانى ؟

---

(١) هو عمرو بن عامر بن حارثة وأمه ماريه ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبه بن جفنه واليها نسب ٠
أنظر «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لابى الحسن على بن الحسين المسعودى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ص ٣٦٦ سنة ١٩٦٦ ـ شركة الاعلانات الشرقية مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع ٠
(٢) العدد ٨٥ صحيفة أم القرى ٢ محرم سنة ١٣٤٥ هـ ٠

وأين الليالى المسفرات بموطنى
وأين ضياء الصبح ذو اللمعان ؟

وأين قفارا توحش الطير سكنة
بها لم أكن اخشى من الحدثان ؟

أرى ذكريات الامس تهتاج خاطرى
وترهق منى القلب بالخفقان (١)

لقد هاجت الذكريات مشاعره واحساساته ، فاشتد به الحنين الى بلاده ، فنظم شيئا من حلو ذكرياته أيام أن كان يجوب الصحراء ، ويطوى الفيافى والقفار على ناقته التى تجوز به قفارا اذا غشيها الخريت فنظر فى اتساعها وانطماس المعالم فيها ، خبثت نفسه واصيب بالغثيان ، فأين تلك الايام التى كان فيها يفترش الرمال فى مبيته تحت أضواء القمر ، ليستقبل بعد انجلاء الليل لمعان الصبح الجميل المشرق على تلك القفار ، التى يوحش سكونها الطير ، فيغشاها هو غير هياب ولا وجل ؟.

انها ذكريات تشده الى موطنه ، وما كان يستخدمه فى اسفاره ، والحروب التى كان يشارك فيها ، من سيف ورمح ودرع وحصان .

واذا نحن نظرنا الى الالفاظ التى استخدمها فى هذه الابيات ، لم نجد سوى اللفظ المنتقى المتخير ، المستمد من البيئة التى أوحت بهذه الابيات ، ولو تلمسنا مواضع الكلمات لوجدنا ان كل لفظ جاء فى موضعه منقادا دون اعتساف أو أكراه ، ثم ان فى كل كلمة من الايحاء والدلالة على مشاعر الشاعر وانفعالاته مالا تستطيع توفيره كلمة

---

(١) أوراق مخطوطة .

أخرى ، وماكان ليتأنى له ذلك لولا ماتحلى به من حسن اختيار الكلمات، والقدرة على تبين أسرار الفاظه حين نظمها ٠

وشبيه بذلك قوله فى مطلع احدى مصرياته :

يالائح البرق تحتالمدجن الهامى
ياعيون السما فى أفقها السامى

ويانسيم الصبا من أرضنا خفقت
أنسامه فى الفؤاد المدنف الدامى

رفقا فنفسى بها من بعدها فرق
وفى الحنايا جحيم جمرها حامى (١)

انك لتسمع فى أبياته أنين فؤاده وهو يشكو من البعاد ، ويحن الى الاهل والديار ، وترى صورة البيئة تلوح فيها ، على الرغم من كونه حين نظمها فى بلاد لايعنيها لمعان البرق تحت السحاب الممطر ، ولا يهتاج مشاعر واحساسات ابنائها لعدم ارتباطه بحياتهم ٠ ٠

ثم ننظر فى الالفاظ ، فنراها ألفاظا عذبة سائغة لها طلاوة وحلاوة، تستميل السمع وتستهوى المشاعر ، ثم هى فى ائتلافها غاية فى الجودة والاحكام ، تماثل فى انسجامها وتآلفها ماعرفناه فيما اسلفناه من أمثلة ٠ ٠

وخلاصة القول فى هذا ، أنه لم يجعل من الالفاظ وانتقائها شغلا يشغله عن التفكير فى المعانى ، الا بقدر مايساعده على تطويع المعنى واخضاعه لما يريد ، حتى يخيل لقارىء شعره أنه يرتجل ارتجالا لما

---

(١) أوراق مخطوطة ٠

يحسه فيه من سلاسة وطواعية وانقياد ووضوح ، لم يكدره التعقيد والخفاء ، ولم يعقه التقعر والاغراب ٠

تلك جولة جسنا فيها خلال شعر ابن بليهد ، وتلمسنا فيها مواطن ابداعه ، ومنافذ ضعفه ثم أثبتنا ماله وما عليه ، دون انتقاص ، أو تزيد ، أو تحامل ، أو تغافل ، أو حمل للامور ، على غير محاملها ، وانما جعلنا النصوص دعائم الاحكام ، لتكون خير شاهد على مانقول وليشاركنا قارىء بحثنا هذا فى الحكم له أو عليه ولو أننى جاريت المفتونين بشعره ونثره ، المتفننين فى الثناء عليه واطرائه لقلت فيه مثلما قال الشيخ ابراهيم (١) بن صالح بن عيسى حين قرأ أولى محاولات ابن بليهد فى الشعر الفصيح بعد ان بعث بها اليه شاعرنا فلقد بعث الشيخ ابراهيم الى ابن بليهد برسالة قال فيها :

(من ابراهيم بن صالح بن عيسى الى حضرة الاديب اللوذعى الهمام الحبيب محمد بن عبدالله بن بليهد ٠٠٠٠٠٠ ولما

---

(١) الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى من ١٢٧٠ هـ الى ١٣٤٣ هـ ـ ١٨٥٣ م الى ١٩٢٤ م ٠

ولد بأشيقر من أقليم الوشم بنجد ، وتوفى بمدينة عنيزه بالقصيم ٠
درس على جملة من علماء نجد منهم ابن عمه الشيخ احمد بن عيسى ثم تنقل فى كثير من البلدان طالبا العلم فزار الاحساء بشرق المملكة ثم الزبير والبصرة بالعراق ومد أسباب رحلاته الى الهند ٠

له مؤلفات فى التاريخ والتراجم منها : «عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى أواخر القرن الثالث عشر ، وأول القرن الرابع عشر» جعله ذيلا لكتاب بعنوان «المجد فى تاريخ نجد لعثمان بن بشر » ٠

وكان جل اقامته فى أشيقر التى جلس فيها لطلاب العلم زمنا تلقى فيه على يده العلم كثير من العلماء الذين كان يدرس لهم التفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو ، وكان له ولوع بالأدب العربى القديم وبخاصة كتاب الأغانى والمقامات للبديع والحريرى ٠

أمعنت النظر فى المنظومة المذكورة وجدتها بديعة المعانى لطيفة المبانى ، فقلت لله درقريحة أبرزتها وفكرة هذبتها ونقحتها ، فلا فض فوك ، وأبعد الله من يجفوك ، فلو رآها الحريرى ، وتأمل نظمها البديع لعلم ان الضالع لايبلغ شأو الضليع ، ولو لمحها القاضى الفاضل لعلم كيف سبقه الافاضل) (١) ٠

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ـ تأليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام ج ٣ ص ٨٠٨ ـ مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ ٠

(الخاتمــة)

والان وقد فرغنا من دراسة حياة وآثار أحد رجال الطليعة ،ورائد من رواد الادب والبحث والتأليف فى بلادنا ، نضع القلم ونحن على ثقة واطمئنان من وجوه :

أولها : أنا كشفنا القناع عن جهود هذا الرجل ، واسهامه فــى حركة البعث والاحياء لتراث الاباء والاسلاف ، فنشط العقول وحرك الاقلام ودفع بهمم أبناء هذا الجيل الى استكمال مابدأه واختط سبيله فى ميدان الادب والبحث والتأليف ٠

وثانيهما : أنا نفضنا غبار النسيان عن آثــاره ببحثنــا هذا ، الذى جمع شمل ماتفرق منها فى دراسة قلنا فيها مانعتقد أنــه الحق ، دون تزيد ولا انتقاص ٠

وثالثها : أنا أضفنا ببحثنا هذا لبنة فى صرح ثقافتنا العربيـة الاصيلة ، التى اتخذت من التراث العربى منطلقا ومستمدا ، لكيـان حديث يلتقى فيه جلال الماضى واصالته ، برونق الحديث وطلاوته ، على نحو لاجمود فيه ولا تطرف ٠

ورابعها : أنى بهذا البحث رجوت أن أنصف رجلا هضمه مزامنوه ومن بعدهم من المثقفين ، فتجافت عن سبيل الحـــديث عنه وعن مؤلفاته وتراثه اقلامهم ، حتى جهل سيرته منهم الرواد ، وكان أحرى بهم ألا يجهلوه ٠

وكان فيما خرجت به فى هذا البحث من نتائج مايلى:

١ـ أن ابن بليهد كان أول من درس الاماكن الواردة فى أشعار العرب ، وبخاصة المعلقات العشر ، دراسة جغرافية تطبيقية ، حدد فيها الاماكن والبقاع ناظرا فى ذلك الى أقوال الاقدمين باثبات صحيحها ورد خطئها مع التدليل ، مثبتا ماجد عليها من تغير أو تبدل، فى بحوث يمكن أن تسمى بـ (الجغرافيا الادبية) ٠

٢ ـ انه كان من طلائع المؤلفين والمحققين ، والكاتبين فى بلادنا، وأنه ترك لنا فى ذلك ثلاثة مؤلفات : (صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ، وماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، وتحقيقه صفه جزيرة العرب للهمدانى) وهى آثار جمة النفع كثيرة الفائدة ، لايستغنى عنها الباحثون ٠

٣ ـ أنه كان من طلائع الشعراء فى نجد ، وهؤلاء كان شداة الادب يحتذون حذوهم ويقلدون أشعارهم ، وانه فى ذلك كان ثالث ثلاثة هم : ابن عثيمين ، وابن بليهد ، وابن سحمان ٠

٤ـ أن شعر ابن بليهد كان سجلا لاحداث عصره ، وصورة واقعية لبيئته ومجتمعه ، كما كان سجلا لعواطفه ومشاعره واحساساته ، وقارىء بحثنا يخرج بصورة كاملة عن جوانب حياة ذلك المجتمع ٠

٥ ـ انه كان ذا ملكة شعرية راسخة ذات قبول للتطور والارتقاء ، كما يشهد بذلك تدرج شعره كما أسلفنا ٠

٦ ـ أنه كان من المجددين فى الشعر ، الا ان تجديده كان فى العودة بالشعر الى مناهج الاقدمين وأساليبهم ٠

٧ ـ وانه حين أقبل على احتذاء السابقين ، لم تذب شخصيته فى

شخصياتهم ، ولم يأت شعره ترديدا لاقوالهم أو تقليدا ، الا في قليل درسناه وابدينا الرأى فيه . (واذا كنت قد بذلت في هذا البحث جهدا ليس بالقليل ، ولم أبخل عليه بوقت أو مال ، ولم أسمح لنفسي بالراحة حتى فرغت منه فاني أحمد الله أولا على ذلك ، ثم أثني على أستاذي الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود بما هو أهله من نبل وفضل وكرم وحسن توجيه ، وما أوسع لى في مجلسه ولبحثي في صدره وعلمه ، وتلك صفات العلماء المخلصين ..

(والحمد لله أولا وآخرا . وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم) .

ـ ملحق ، بالقصائد التى لم يحوها الديوان (١) ـ

في صدر الفصل الاول من الباب الثالث من هذا البحث ، أشرت ـ في عرض لشعر ابن بليهد ـ الى ماعثرت عليه من قصائد لم يحوها الديوان ، ومن هذه القصائد ماوردت كاملة في الموازنات والتحليل(٢) ومنها ما استشهدنا ببيت أو اكثر منها .

واتماما لفائدة البحث ، وحفظا لشعر الرجل ، ولم شمل ما تفرق منه ، آثرت أن أذيل بحثي هذا بملحق يحتوى على نصوص تلك القصائد ..

على أني أورد هذه النصوص مجردة من التحليل والتعليق ، اذ سبق في بحثنا ما يغني عنه ، ثم ان الهدف من هذا الملحق هو حفظ مالم يرد ذكره في البحث من شعره الذى لم يحوه الديوان .
وسيكون ترتيبها حسب القوافي ..

---

(١) هذا الملحق خاص بالشعر الفصيح
(٢) انظر الباب الرابع .

(القصائد التى لم يحوها الديوان)

١ ـ فى مرثية ابن بليهد للملك عبد العزيز ورد بيتان ، قال انه افتتح النظم بهما فلم تعجبه القافيه فعدل عنها ، وهما :

سل العلا والنهى والجود والادبا
وسائل السمحة الغراء والكتبا

وسائل الشمس مابـال الضياء غدا
فى منظر العين ليل يفقد الشهبا

٢ ـ أنا والذئب (١) :

قال ابن بليهد :

بت ليلة فى بيداء مقفرة فأقبل على الذئـب وقد اشعلـت نارى وطرحت صيدى بجانبها وقمت أصلى وناقتى معقولة أمامى وبعـد فراغى من الصلاة لاحظت أن الذئب قد هم بى فألقيت اليه بعـض اللحم ثم خشيت ان هو ذاقه ألا يتركنى وتلك عادة معروفة لـدى الذئاب فسحبت اللحم فكأنى قد استثرته فأخذ يبدى من الحركـات مايسبق انقضاضه فى العادة فغافلته وقتلته ثم أسرعت فى انضـاج شوائى وحملته بين يدى لاكل منه على ظهر ناقتى ثم أسرعت اليهـا فأطلقت عقالها وهربت من المكان لان الذئاب حين تشم رائحـة صاحبها ستسرع للانتقام وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة :

---

(١) أوراق مخطوطة ٠

وذئب جسور الخطو غير مجرب

لفعلي ولم تمسسه بعد قناتي

وقد غره مني سكوتي وأنني

من البرد قد لفت على عباتي

فأقبل كالمختال يمشي مجرجرا

أتاه المنى في مقفر الفلوات

فلي نظرة منها وأخرى لناقتي

أمامي وقد أوثقتها بحباتي

وتد قمت للرحمن ربي مصليا

فأمهلني حتى قضيت صلاتي

هو الله لم يمكنه مني بسجدة

وناري من خلفي اشد حماتي

بقدرته حتى قضيت عبادتي

وأدنيت مني صارمي وعصاتي

وقلت له ياذئب اني وناقتي

عليك حرام فاقنعن بهباتي

سأطعم من صيدي واعطيك بعضه

وان أنت لم تشبع رميت فتاتي

اليك فان أغرتك فى شراسة

بطبعك لم تقنع بغير حياتى

فدونك ان ماشئت ضربة صارم

له من سيوف الهند خير شباتى

تمطى وآرخى فكه فى تشــــاؤب

ليخدعنى أو أن تلين حصاتى

علمت بأن الحرب بينى و بينــه

على كف شيطان دعانى هاتى

فقلت على رسلى لالحظ فرصـــــة

يكون بها الحظ السعيد مواتى

فخاتلته حتى أتت ففجأتــــــه

بهجمة فتاك كجمع كماة

وأعملت فيه السيف والرمح والعصا

ولولا الاذى اكرمته كعفاتى

وماهبته مثل الفرزدق ان دعـــــا

الى صحبة مجلوبة بهباتى

٣ ــ وفضلكم خالد (١):

يابن الاولى وبنوك الفتية الصيد

تقابل السعد فى مرآك والعيد

---

(١) هذه القصيدة نشرت فى صحيفة أم القرى عدد ٣٢٤ بتاريخ ٩ شوال سنة ٣٤٩ هـ باسم ابن عمه عثمان بن بليهدوانظر اشارتنا الى ذلك فى هامش ص ١٥

على جبينك تاج العز مرتفع
ولـه رواق من الاسلام معقود

قد يعلم الناس من عرب ومن عجم
ان المجن له سيف وتوحيد

كما تقول بنو نجد الكرام : فما
تحمى التويم من الاعدا الجلاميـد

فدم سليما كما ألبستنا حلـــلا
أمنا تآلف، فيه الشاء والسيد

أمنا أحاط على الافاق كلكله
يمتد جانبه ما امتدت البيد

كم مشهد لك فى الاسلام وقد وخدت
بذكره وبه المهـــرية القود

ومثله لك عند الله مدخــــر
نصر تدين له الاعدا وتأييد

بالله ثم بحد السيف قد فتحت
تلقى اليك على الرغم المقاليد

أنتم ذرا دوحة فى المجد منبتها
ودوحة المجد فيها يطلب الجود

وفضلكم خالد دامت أرومته
مادام فى الناس تفضيل وتخليد

حميتم الدين والدنيا بسعيكم
والسعد فيكم قبيل اليوم مشهود

من غره منكم حلم يقال لـــه
مهلا فان اللوى الخفاق موجود
ومرهفات بأيدى فتية صدقوا
من وقعهن يزول الهام والجيد
عين الشقى اليها وهى لامعـــة
ان البلاء على الاشقين مردود
ضع المهند فيما شئت ـ ضعـة
تبقى ـ وانت قرير العين محمود

٤ ـ توديع سمو الامير فيصل :

ياراكب البحر فى الروحات والبكر
فى حفظ رب البرايا خالق البشر
زمتك زمزم (١) قبل الظهر يكلؤكم
حرز من الله محفوظ من الخطر
هنأت صاحبها والمحدقين به
بصحبة المرتضى واليمن فى السفر
فذانكم مطلع النورين (٢) بينكم
هذا سهيل وهذا مطلع القمر
وراحتان ينابيع الندى بهمـــا
كأن هتانها صوب من المطر

---

(١) اسم الباخرة المصرية التى سافـــر فيها .
(٢) يعنى الأمير فيصل، وابنه عبدالله.

والناس قد ملئوا أركان ساحتها
مابين مرتفـــع فيها ومنحدر

فاقبلت فوق ظهر البحر تنسفه
نسفا ومسلكها الهادى من البحر

أتبعتها بصرى من بعدها وخدت
حتى اختفت واختفى الدخان عن بصرى

وقفت حينا على ظهر البلاط وقد
ترقرق الدمع فوق الخد والصدر

فقلت للصحب مايغنى الوقوف ولا
يغنى البكاء على السافى من الاثر

سيف نضاه أبوه عند حاجته
فذلك الحد حد الصارم الذكر

اختاره الملك الميمون طائره
فى رؤية العين مايغنى عن الخبر

واختاره الله للأمر الذى سبقت
به السعادة فى الاولى وفى الاخر

فذاك من نبعة صم مكاسرهـــا
تغرى وليست من القصباء والعشر

نضاه بالامس سهما من كنانته
لكنه لم يقع الا على الثغر

فعند ذكر الندى غيث المنتجع
وعند ذكر العلا نصر لمنتصر

دعتهم القبلة الاولى بأجمعها
وربعها بين معمور ومندثر

تبكى بدمعة محزون يرق لها
بنو ربيعة والامجاد من مضر

ومن بقى من بنى الاذواء تندبه
اهل الجياد واهل البيض والسمر

تذكرت سيرا تبقى محاسنها
تاجا على كتب التاريخ والسير

قالت يهود نشت فيها أوائلها
وتلك أبناؤنا باقون فى المدر

مانسمع الزور والمين الصراح وما
قالت يهود كقول الكاذب الاشر

أما بنوها فعملاق واسرته
وآل كنعان أهل المجد والظفر

وبعدهم حمير سادت بنوه على
كل القبائل من تيما الى البحر

أضحت قضاعة فى تلك البلاد وفى
مشارف الشام لم ترحل ولم تسر

تبنى القصور وتحميها وتمنعها
بالسيف من حادثات السهل والوعر

قبل ابن مريم فيها الملك متسق
بين الاعارب فى البادين والحضر

وبعده وطدت غسان مملكة
باق لها غرة فى جبهة الدهر

تسلسل الملك دهرا خالدا ومضى
فى آل جفنة أهل المجد والفخر

حتى أتى الله بالاسلام وافتتحت
تلك البلاد بعهد المرتضى عمر

ومد باعا طويلا فى جوانبها
وسار فيها بعيش ناعم نضر

دين صحيح حنيفى يقام بها
شعاره الحق محفوظ من الكدر

من ذلك الوقت ماسارت ظعينتهم
بين المهامه والانجاد والغرر

أوطان ماخضعت الا لاولهم
على ممر ليالى الدهر والشهر

اذا دعا المسجد الاقصى غطارفة
فأنت وأبناءهم تمشى على الاثر

يدعو بزيد وعمرو والامين أبى
عبيده المرتضى للمازق الخطر

وخالد خلد التاريخ سيرته
والقائد اليمنى فى منهج النعر

وما فلسطين الا دار مملكة
للعرب من سابق الدنيا الى الحشر

تقلبت حقبا فى كف مالكها
ان كان منتزرا أو غير منتزر

ما لليهود بها شبر تحل به
اهدى السلام على الماضى من العصر

فما كبا الزند من نجد وما قصرت
من الحجاز حبال الورد والصدر

ترى اشارة مأمول تراقبه
فكم جلا عقبات العسر باليسر

ان قام يطلب ثأر الدين مجتهدا
بكل أبيض نظار بلا نظر

وان راى للمنايا عارضا فله
من اليقين دروع الحزم والصبر

حتى اجتنى من ثمار العز أينعها
وكان نيل العلا فى ذلك الثمر

شهم يريش من الاراء أعدلهـــا
ففكره ساعة يغنى عن الفكر

محض النجارين من جد ووالدة
ليسوا من التتر الماضين والخزر

تسلسلوا من مطا عدنان وارتفعوا
على البرية مثل الانجم الزهر

ثم الصلاة على الهادى وشيعته
وآله المصطفين السادة الغرر

مالاح برق وماهبت شآمـــة
وما ترنمت القمرى فى السحر

٥ ـ عيون المهـــــا :

وقال وهو فى مصر أيضا ، وأظنه فيها محاكيا رائية على بن الجهـــم التى سبق أن وازنا بينها وبين قصيدة ابن بليهد هذه :

عيون المها بين الجزيرة والنهر
جلبن لقلبى سالف العهد والذكر

فجددن فيه الجرح بعد التآمه
وايقظن احلام الصبا والهوى العذرى

دعانى الهوى من أهل نجد وصحبتى
بمصر على قلبى تفيض من السحر

بما أنشط الامال فى نفس مجهد
من الهم والالام والنأى والكبر

(تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر)

واى مرام للغوانى وقد غدا
على لمتى والذقن كالملح فى شعرى

رويدا ظباء النيل ما أنا خاطب
ولا أنا صياد وتعلمن من أمرى

لتد هزنى رغم المشيب ورغم ما
أعانى من الاوجاع فى الكتف والظهر

سهام الجفون الناعسات غرسنها
نوافذ فى الاحشاء من بعد ماصدرى

فتكن به وهو العصى على القنا
وكان به صبر على البيض والسمر

صدور العوالى فى أديمى تحطمت
فما بال الحاظ الحسان له تهرى

أديمى مجن فى الحروب فليته
وقى القلب ما القت به ربة الخدر

ولى صارمان من حسام ومقول
فعولان بالفساق ملبدو والحضر

اذا صات صال الموت فى حد صارمى
وان قلت فالقول البليغ بما أطرى

ولى قلم سحر البيان لعابه
شباة يراعى ان تسل بلسم الفكر

كفانى بيانى عن حصيلة اخر
تناولها السراق فى البيت والشطر

وقد يعجب البيت الانيق مثقفا
فيجريه فيما يرتضيه من الشعر

ولكنه لايدعى انه لـــــــه
ولكن يحد القول بالقوس كى يدرى

مريد سبيل الحق انى مضمن
وانى عفيف فى جلائى وفى السر

وأفعال آبائى قلائد دهرهم
وللمرء ماتجرى به ألسنة الدهر

ويارب شخص قام يوم كريهة
ومكرمه كالالف فى حــازب الامر

وألفان قد لايدركوا شأو واحد
فليس لهم ماحاز من رفعة القدر

يعيش الفتى دهرا ليترك بعده
أحاديث ما حاز من رفعة القدر

وأن رضاء الله خير وسيلة
لان يشمل العبد بفيض من الستر

فيارب لطفا منك فى كل حالة
ويارب عطفا ياكاشف الضر

وياصاحب النعما على الكون كله
ويامودجد الارزاق فى البر والبحر

ويامالك الملك الذى عز جانبا
ارادته تمضى وقدرته تجرى

الهى هبنى منك ما أنت أهله
فقد ناء ظهرى بالذنوب وبالوزر

ويارب لم الشمل بعد انشعابه
فقد طال تحنانى الى البر والبر

مقيم على كره بدار طعامها
كريم ولكن ليس كالبر والتمر

وليس لاصناف الطعام تشوقى
ولكن شيئا يجلب الشى للذكر

حنينى الى دارى واهلى وجيرتى
آلى مهرة تاهت دلالا على المهر

أحن اليها والنوى يدفع النوى
وبيني وبين الالف مستوحش القبر

أرى حبها يستوقف القلب كلما
الى غيرها مالت به أعين الغر

فياصاحبى رحلى دعانى فاننى
لغير الذى تطرون فى يومكم اطرى

دعانى وكفا عن ملامى وابعدا
قلو صيكما عنى ولا تنفخا جمرى

ولاتدفعانى فى طريق قلوته
وماكنت من عشاقه سالف الامر

دعانى وكفا عن ملامى واجملا
ولاتفضحا شيبى على اخر العمر

قطعت صلاتى بالغوانى ودربهـا
ويشهد ربى ماجنحت الى العهر

ولكن عذارى الشعر تغرى قصـائدى
وماجر حاكى الكفر شعر الى الكفر

فعفوك يارب العباد فمالنــــا
سواك على الحالين فى العسر واليسر

وصل اله العالمين مسلما
على المصطفى المختار ما لعلع القمرى

٦ ـ والناس في جنة من عدل سيرتهم :

هناك عند بنى الاملاك مجتمع
به من الناس متبوع ومتبع

لكنها أسفرت بالعز مشرقة
غراء ظلت بها الركبان تندفع

قل للخبير الذى يلقى روايته
عميا عبارتها هل أنت مستمع ؟

بشرى أتتنا وأمسى العز مرتعنا
كأن أيامنا الاعياد والجمع

وأشرق السعد فى الافاق أجمعها
له رواق الى الجوزاء مرتفع

أسعد بيوم به الاقبال مؤتلف
والشعب ملتئم والشمل مجتمع

قضى الاله على الاشقى الكبير كما
قضى على أهل جو والقنا شرع

نعوذ بالله من زيغ القلوب كما
زاغوا ، لانهم عن دينهم رجعوا

ألقى عليهم قضاء عم فادحه
ظنوا بأن النجاة المكر والخدع

فكيف تخلو من التقوى قلوبهـــم
كما خلت منهم الاطلال والربع

من نار حرب تداعتهم بألســنة
فوق الربا من شدوق الاكم تندلع

الكافرون بهدى المصطفى ولهـــم
صوامع ولهم من شكلها بيـــع

وينكرون من الاديان شرعتـــه
اذا تفرقت النحـــلات والشيـــع

فهؤلاء وأولاك المارقــون ســـوا
واللهِ قد صنعوا مثل الذى صنعوا

تبا لقوم نما فى الشر بذرهـــم
لكنهم حصدوا مثل الذى زرعـــوا

واستثمروا ثمرا فى كل معركـــة
منها يضيق الفضا والبر متســع

حتى استقرت على الصحرا جماجمهـــم
يؤمها الطير لما أمها الســـبع

من كف أروع شهم عمــه مصـــر
سام الذرا برسول الله يجتمـــع

الى نزار أبى القوم الكرام اذا
قالوا ففضل وهذا الفضل يتبع

وفى ربيعة منشى كـــل سابقة
بمثلها وبها يستحصل الربـــع

كــآل فيصـــل من آل سـعود اذا
عد، العلا نزلوا فى المجد مارفعوا

قد جردوا للعــدا عضبا مضــاربه
يغنى السراحين منها الرى والشــبع

كالبحــر لو أمن التيــار راكبـــه
فذاك ان هاج للافلاك يبتلـــع

وللعفاة مقام يأمنــون بـــه
تلقى على أهلـــه التيجان والخلع

ينتابه الناس أفواجا وكــان بـــه
عن نازل الجدب مصطاف ومرتبـــع

تولعــوا ببنــاء المكرمات كمـــا
ان الطريق لاسباب الهوى الولع

« والناس فى جنة من عدل سيرتهم »
مما رأوا فى مطاويها وما سمعوا

أبقاهم الله ذخرا للبــلاد عــلى
مر الزمان بملك ليس ينقطـع

ما أومضت بابتسام البرق سـارية
تحت الدجى وبدت نار لها لمع

ثم الصلاة على الهــادى وشيعته
وآله ما استهل المدجن الهمـــع

٧ ــ على طــلل :

وقال وهو فى مصر أيضا وقد أبطأت عنه الرسائل :

على طلل مــن دارها نســكب الدمعــا
ونبقى كماكنا عــلى دربها نسعــى

وبنا فلا دار الحبيــب قريبـــة
ولا الشمل فيما يرتضى يرتضى الجمعا

أأصحاب أيامى بأكنــاف موطـــنى
وأحباب قلبى صدكم أوقد الشمعا

بقلب يعانى جسمه من ســـقامه
فأعضاؤه خارت فلا الخفض والرفعا

تطيق ولكــن فى الالــه رجاؤها
قوى وحبل الله ما انبت وانقطعا

رسالاتكم قلت وأخباركـــم نـــأت
فيا ليتنى أنساكم كلكم جمعــــــا

ولكن حبى للبــلاد يشـــدنى
اليكم ويدنى نحونا الاهل والربعا

٨ ــ مناقضـــة :

قال لى صديق عزيز بمصر :

مارأيك فى أن يجرب كل واحد منا سيفه فى الاخر ــ يعــنى أن نتهاجى ٠

قلت له أنا لا أحب المهاترات الشخصية ولو كانت مزاحا فقد يجر

المزاح أنجس العدا . فقال لى نجعله عاما تهجو قومى وأهجو قومك . قلت له : شريطة أن تبدأ أنت عسى أن تستثير شيطان شعرى فهو فى هذه الناحية كثير الخمول ـ وكان قصدى أن يبدأ بالسوء أولا ـ فقال :

فى طبعك الغلظة الحمقاء والصلف
وفيك مالاتبين الخاء والالف

غذاك قومك من أهل الحجاز بها
من كل أهوج فى أخلاقه جلف

قوم طعامهمو لحم الجمال وخذ
غير الير ابيع والاضباب ما ألفوا

فى أرضكم رقصت حمالة الحطب
أرض بقر الشتا والصيف تلتحف

وقد نمتهم الى الكذاب جدتهم
سجاح فاسمع الا يكفيك ما أصف

يا راعى الشاء يزجيها ويدفعها
الى المراعى وفى أعطانها يقف

كفى فما الفخر الا فى مآثرنا
يكفى أبو الهول والاهرام والتحف

تلك أبيات صاحبى وقد أجبته بقصيدة منها :

من لؤم أخلاقكم يا صاحبى تكف
وفيكم فقد الاخلاص والشرف

ولست يا صاحبى أهـوى مهاترة
لكن دعوت الى مامنـه تغترف

بضاعة أنتمو أهل لها ، ولنـا
عنها عزوف وللاخـلاق ما نصـف

عيرت بالضـب واليربوع انهمـا
لا كالفسيخ فهل سدت لكم أنـف

حلو الطعام لديكم ما بـه نتـن
مثل الفسخ ومش الجبن والقرف

لولا الحيا قلت مايزرى بجدكـم
لكن لسانى عن الفحشـاء منصرف

ان فاخر الناس بالاباء فخركـم
بأنكم للعبيد الاشقيا سـلف

نحن الالى بعـث الهادى بساحتنا
فيكم ولكم فرعون يعتسـف

يا ابن الحرافيش أى الناس قومكم ؟
بأى فضل يباهى فيكم السلف

عبـدا ونخاسة أو صـانع خـزف
او صانع بوظة يشقى بها الخزف

٩ ـ حنيـن

أخذت عينى سنة من النوم وأنا متجه الى الشرق ، وكنت أحـب أن أكون هكذا طوال اقامتى فى مصر • فأبصرت فيما أبصرت فى

النوم قبر زوجتى سارة ـ رحمها الله ـ فقلت فى الحنين الى تلك الديار المباركة :

تنورتها من مصر دارك سارة
وأبصرت نور الفجر فوق ثراك

وفاضت على روحى نسائم أربع
وعهد به قد كنت ملك رضاك

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم نسمر وضوء سناك

يرف وضوء البدر خجلان ينزوى
حياء وخوفا أن يدوس حماك

ليالى لا أنسى سوافر غلسها
وللوصل أسباب بغير فكاك

وقد نصبت للمضجرات من النوى
جفونك اشراكا بغير شباك

ليالى عشناها أسيرى صبابة
تولت وبانت يوم حان قضاك

أسارة ان عزيت نفسى فاننى
أخادعها فالقلب رهن هواك

تذكرت والذكرى تهيج مرارة
اذا كان من تهوى رهين هلاك

فيا صاحبى رحلى دعانى وعجلا
رجوعى ولا تستأنسا بعراكى

قلوت الغوانى بعد سـارة مثل ما
قلوت الديار غير دار ثراك

بلادى بلاد العز والمجـد والندى
لقد شاقنى يانجد حسن ربـاك

كأنى أرى حسن الربيع وقد كسـا
من السندس الموسوم كـل ذراك

كأنى أرى وجه الرياض وقد بـدا
كثوب عروس فى زمان أولاك

ونبتك ريحان أديمـك سندس
وكل المنى أن ألتحف بسـماك

أرى النأى أورى فى الجوانح ناره
ألا فاطفىء نار النوى بصباك

نسيم صبا نجد على القلب فانسـمى
وروض القطا انى عشقت شذاك

فيا صاحبى رحلى دعانى وانجدا
اذا كنتما لاترضـيان هـلاكى

بذات زمـام فى يميـن مـدرب
سبوح كأن ليست بذات حراك

يطوف بها الافاق كالطير سـابحا
ويركب متن السحب سـماك

ويطوى بنا الاميال ليس بخائف
فسيرى وبالتوفيـق ربى حمـاك

ولا تعجلى ان فوق دار محمد
سبحت ففيها لو عقلت هداك

١٠ ـ وفى أبنائه المجد الاثيل :

مرثية فى الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود :

أقلوا بالملامة أو أطيلوا
فما يغنى البكاء ولا العويل

فما يغنى البكاء بسفح حجر
اذا حان التفرق والرحيل

فما يغنى البكاء اذا بكينا
وما يغنى القريض وما نقول

لقد رزىء الجحاجح من نزار
شباب باليمامة أو كهول

ويجرون الدموع فداء نعش
على امتانه البطل الجليل

فزعنا اذ نعاه البرق حقا
ومد رواقه البين الطويل

عسى النور المقيم له امام
يراه والثواب له زميل

فان ريب المنون أزال بدرا
فان النور باق لا يزول

بما شادت يداه من المعالى
وحسبك ما تداوله القبيل

وملء الكف من جدوى يديه
منال بالمكارم أو منيل

وينتاب الضعيف وكل ضيف
ذرا علياه والجار النزيل

فلو أن الفقيد بسهم قوم
مصاب بالاسنة أو قتيل

لجردنا السيوف لاخذ ثأر
وجالت فى شكائمها الخيول
ولكن الاله قضى قضاه

فيا نعم المؤمل والكفيل

لقد بات الامام ببطن أرض
تواريه الحزونة والسهول

سقاك الغيث من جنبات قبر
غدا للصالحات به سبيل

اذا ناح الحمام ببطن وج
فدمع العين منسكب هميل

لئن كان البكا طربا دعاه
صليل الماء والكرم الظليل

نناد النائحات نقول مهلا
خفيف ما أصابك أم ثقيل

اذا كان البكاء بكاء حزن
ففى أحشائنا حزن دخيل

على ابن الاكرمين أخ المعـــالى
فيا نعم الارومة والاصـــول

ترقى فى البواذخ من معـــد
(وفى أبنائه المجد الاثيـل)

ولكن المنـون قضـت عليـه
فصبر عند حادثها جميل

١١ ـ أنت الامـــام :

أنت الامام فما نيل العـلا أمـم
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم

لقد عدلت بنا عـن كـل حادثة
وظلمة يرتمى من فوقها ظلم

نحن بنو العرب العرب الذين لنـا
فخر يقصر عن تعداده القلم

لكنهـا بين أيدى اللاعبين بـه
ومنـه قطعت الاسـباب والرمـــم

حتى نهضـت بباع المجـد منتصرا
للعرب فى عزمات حشوها الهمم

دين ودنيـا وأيام مداولـــة
وتلك فى طيها الايراد والحكم

فأشرب هنيئا بكأس العز مبتهجـــا
طابت بكم (مكة) والحل والحرم

أسائل الراكب المزجى مطيتـــه
من أى فج رماك السير والسأم

قل ، هل خشيت وما تلقى اذا لعبت
بك التنائف ، أو ضاقت بك الخرم

فلم نجد منبئا بالخوف فى بلد
وهذه نعمة ما فوقها نعم

يأيهـــا الملك السامى لقد بلغت
بك المكارم فيما ينتهى الكرم

لقد بنيت المعالى وهى راغمة
على أنوف الاعادى مابقى كلـم

ان ترضـــها فلهـــا كمت مســـومة
جرد تفصم عن اضر اسها اللجم

تدك أرض العدا والليـــل معتكر
منها تخر على أذقانها الاكم

وضمر شد قميات اذا جذبـــــت
يؤمها من بنيك الفارس الشهم

يشنها غارة يحمى الوطيس بهـــــا
شعواء اضيافها العقبان والرخـم

ان قلت سيروا ففى الآفاق مضطرب
لنا وبغيتنا فيما وطا القـــدم

فى دار قوم رميناها بقاصفـــــة
اذا تمزق فى ارجائها القتـــــم

أضحت خلاء وامست بعد ساكنهـا
قفرا وللبوم فى أطلالها نغـــم

وكم هتكنا على الجبار قبتـــه
ولو أحاطت به الحجاب والخـدم

بالله ثم بمن قاد الجياد الـــى
دار العدا ومحا القول الذى زعموا

فالوحش ينفر من زلزال وطأتـه
العصم والريم والعفـرى والأدم

يابن الائمة ان القول مستمـــع
وليس فى سمع أرباب النهى صمم

من رام رشدا فلن يحرم عواقبــه
انت الرشيد وانت الصارم الخذم

فلو حلفت بمن حج الحجيج لـــه
لقد يبر بنذر الحالف القســم

لو قام جدك فى عدنان مفتخـــرا
بفعلك المرتضى دانت له الامـم

بنى ربيعة مجدا فى أوائلــه
وشدته فى المعالى قبل ينهـــدم

من فتية لو دعا للحرب ناد بـــها
سعى اليها فتاهم قبـل يحتلـــم

(أسد على الخيل لم تغمد سيوفهـم
يوم القتال وفى وقت الندى ديم

قوم على منهج المختار منهجهـــم
بلا خلاف على الحق الذى علمـــوا
تلك المكارم لا فخر ابن ماريـــة
عمرو ولا مكرمات شادها هرم)
يا صاحب المهمة العليا بطلعتـــه
وابن الذين سما نجد بمجدهـــم
أشدد عرى الدين تبلغ كل مكرمـــة
كما بك اليوم أضحى الكون يبتسم

ثم الصلاة على الهادى وشيعتـــه
وآله ما أجازوا نخله الحـــرم
ما أزلفت بالحجيج العيس مرقلـــة
وما أقيمت بسفح المشعر الخيـم

١٢ ــ عيــن نجــم :

تحممت فى نجم وقد طلع النجـــم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم
تحممت فيها للشفاء وربنـــا
لطيف ففى كل الامور له حكـــم

فعافانى المولى من المرض الـــذى
بعقد أعصابى وليس بهـــا ورم
فكان طبيبى خالقى حين دلنـــى
عليها هو البارى فقد برىء الجسم

سقاها من الوسمى كل محنتـــم
يساق اليها كلما دخل الوســـم

وأمسى على الهفهوف منبثق العـزا
تمج كثير الودق أمزانه السحـــم

على جنبات الفرن ضاف عبابـــه
ومعهده المعروف سيلهما حتـــم

ففى سالف الازمان مهما ظن هاجس
بان جنبات القرن يقرى به علـم

ولكن هذى نهضة قد تبثقـــــت
قريحة أهليها وطاب لها الفهـــم

هنيئا لأهل القرن والمعبد الـــذى
به كلما عدت مناقبة يســـمـــو

وأسبابه هذا المدير الذى بـــــه ،
أديب وفى كل العلوم له فهـــم

لقد زرته يوما فالفيت نهضـــــة
تلاميذه تمضى كما قد مضى السهم

واسمعنى التقرير كل مهذب
وطفنا عيلهم كل فرد له اســـم

أتينا من الدمام عند وصولنـــا
الى جانب الهفهوف ينقطع الحزم

قابلنا من نسل زيد عصابـــــة
كرام بها ليل أنو فهـــم شـــم

وقام بما نحتاج قرم موفـــــق

يروم قضا حاجاتنا بطل شهـــم

لنعم كرام القوم من آل عيهـــــب

كرام مساعيهم وقد نالهم نعـــم

وناهيك بابن العم واذكر فعالـــه

وليس لنا فى الدار خال ولا عم

١٣ــ الــوداع :

نويت العودة الى بلادى فنظمت مطلع هذه القصيدة ثم أتبعتها مـا نظمته فى مناسبة ذكرى مولد النبى عليه الصلاة والسلام ــ وهى ذكرى يحتفل بها المصريون ويصنعون فيها أنواع الحلوى المختلفة فيتهادون بها ويأكلون منها وفيها ما يصنع فى شكل تماثيل ملونة يهادون بها الاطفال

دنا الرحيـــل فودع جيرة الهـــرم

واترك زمام دموع العين أن تهم

ودع فتوديع اخوان الصفاصفـــة

ما حاد عنها أولو الاخلاق والشيم

ياجيرة النيل آمالى بصحبتكـــم

خطت على القلب مثل الخط بالقلم

لو أنصفتنى الليالى ما تركت ربا

وادى الكنانة مهد السحر بالقلـم

ا مصر فيك تعود الشيخ صبوتـــه

عهد الشباب وأيام الصبا النهـم

لكن بنجدلنا دار مكللـــــــة
بالمجد هاماتها خفاقة العلـــــم

ودعت مصر وفى صدرى لها نزل
وللصحاب وداد غير ذى بـــــرم

دع عنك مصرا فانت اليوم مرتحل
لموطن فيه تلقى جيرة الحـــرم

هناك حيث ديار العز عامــــــرة
بالفضل والنبل فى الأخلاق والكرم

من العبادة أنضاء تخالهـــــــم
ظلا وفى الحرب أسد الغاب والاجم

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهـــــم
طاروا اليه على علاكة اللجـم

دم العروبة فى أنقى منابعـــــه
فيهم وفيهم سجاياها من القـــدم

وفيهم طلعت شمس الهدى وبهـــم
هدى الانام ومنهم سيد الامم

محمد خير خلق الله كلهــــمو

وطاهر الكف والاردان والشيـم

جاء الوجود يتيما فى لفافتـــه

سر النجاة لكل العرب والعجـــم

واستقبل الكون ميلاد الكريم بمـــا

أضفى غليه اله الكون من كـــرم

النور آشرق ملء الافق ساطعــــه
من السماوات حتى خافض آلرغم

والنار فى أرض كسرى جن موقدها
خبت وكان لظاها شر مضطــــرم

واهتز من فرح أودى بشرفتــــه
ايوان كسرى فضج الغارم الاثـم

ماهزة الذعر كلابل به رقصـــت
آمال فارس تحدى بالهوى النهـم

الى الخلاص من الطاغي وصولتـــه
أتى الطبيب ـ جراح الامس فالتأمى

خوارق لست أحصيها فقد كثــرت
فى ساعة جاء فيها سيد الامــــم

عاش اليتيم وعين الله تكلـــؤه
ولم يضر قط بالاملاق واليتـــم

وعاش كالانبياء السابقين فلـــم
يشرب مداما ولم يركع لدى صنم

وعاش فى عفة من كل ناحيـــة
ما ضر أن كان من سواقة الغنـم

ولم يضره لدى اشراف امته
أن كان فيهم زمانا راعى الغنـم

ولقبوه أمين القوم صادقهـــــم
وبات كالبدر فيهم أو ذرا العلـم

خديجة ربة العقل الكبيـــــر رأت
بعين رأى حصيف نافـــذ السهم

أن الرسول الرفيق المصطفى ولـــه
كف اذا تاجرت سحب من الديـم

تقدمت نحوه الحسناء خاطبــــة
ولم تكن عادة النسوان فى الامـم

لم يلهه المال والاهلون عن طلـــب
للرشد فى الغار بالتفكيرفى الظلم

حتى اذا جاءه جبريل أرعبـــه
هول الفجاءة والاجلال بالكلـــم

فجاء والرعب يجرى فى مفاصلــــه
خديج هاتى دثارى واضغطىقدمى

فطمأنته بان الله مكرمـــــه
وكيف لا وهو فيهم حافظ الذمم ؟

كانت له أول الاتباع قاطبــــة
قول ابن نوفل يغرى كل مؤتمـم

لما أطمأن الى درب النجاة أتـــى
اليه أمر بانذار لذى الرحــــم

وظل يصعد فى درب الرسالـــة لا
يثنيه خوف ولا ما صيغ من تهـــم

لما تكاثر أصحاب الرسول قضـــى
قاضى الطغاة بتعذيب لمعتصـــم

بالله ، بان له درب الهدى فعـــدا
اليه عدو جياد للسباق ظمـــى

وشاح عن وجهه الضلال مبتعـــدا
عن الخنا وعن التسبيح للصنـــم

حتى اذا أذن المولى بهجرتهـــــم
خفوا ولاذوا بأقوام من العجـــم

وظل باقيهم فى عين ظالمهـــم
مثل القذى والسفا فى الحلق والحمم

فى الصدر تغلى بها غليا مراجلهـم
لا يملكون سوى التعذيب للخـدم

حتى اذا اجمع القوم الطغاة علـــى
قتل الرسول وعين الله لم تنـــم

مشى وصاحبه الأوفى يحفهـــما
روح من الله لا الآثار للغنـــــم

وقصة الغار لا تحصى خوارقهـــا
نسج العناكب نسج غير مختـــرم

الى المدينة حيث المصطفين من الـ
انصار أهل الوفى والجود والكرم

هناك أذن للرحمن فامتـــلات
أسماع يثرب من قدسية النغـــم

وشمر الدين عن زند الجهاد فلـــم
يبق سوى السيف للعاصين للكلم

وأيد الله جند المصطفى فمشـــت
كتائب بالهدى خفاقــة العلـــــم

يحدوه نصر الى نصر ويصحبـــه
من المهيمن عز بازخ العظـــــم

ياجيرة البيت لاريعت مرابعـــه
شوقى لكم عارم ياجيرة الحـرم

ابكى فتبكى الآمانى فى مساربها
والعين تهريق دمعا غير محتشـم

وصل ربى على الهادى وشيعتـــه
ما أومض البرق فى الداجى من الظلم

١٤ ـ فى مطلع الشمس :

وقال وهو فى مصر ، وقد حن الى موطنـــه :

فى مطلع الشمس لى أهل وجيـــران
واخوة فى سبيل الحق أعـــوان

ولى مرابع أنس قد نشأت بهـــا
أيام غصن الصبا فى العمر فينان

دار قضيت بها صبوات مهتبـــل
للذة ما بهـــا دن ودنـــان

ولا قمار ولا تلويح راقصـــــة
شبه العرايا وفى تلعابها جـــان

ولا بنات الليالى الحمر أرخص ما
عزت به فاسد الاخلاق مجـــان

غدا على الشرف الموءود تبصرها
وليس يرحمها فى النوح انسان
تنوح تنوح الثكالى ليس ينفعها
نوح وأخدانها كانوا وقد بانوا
حال كريه بوادى النيل أشهده
لا بارك الله فى من للخنا عانوا
دار النقائض مصر فهى جامعة
سير وسر وكفران وإيمان
الكل يدعو الى ما يشتهى وله
فيما ينادى به قول وبرهان
والفسق فيها جهارا لا جناح على
من رامه ومكان الذكر ملآن
وللحضارة فيها خير شاهدها
أهرامها وابو الهول وتيجان
على فراعنة كانت لهم دول
اخنت عليهم عصور ثم أزمان
آمون ما دفعت عنه المنون قوى
جيش لقوته الآنام قد دانوا
ولا دهاقنة التنجيم مانفعوا
ولا معابد فيها قام رهبان
الكل ـ يسعى ليبقى ملكهم ومضى
لكن له فى ضفاف النيل عنوان

ظلت حضارة وادي النيل فى كنف
الاسلام محفوظة والقوم قد صانوا

وأتحفوها بآثار مقدســـــــــة
ذكر وفكر وتعليـــــم وبنيـــان

والعلم القى بوادى النيل أرحلـــه
فما لابنـــائه للغـــى قد لانوا

هانوا وهانت عليهم أربع شرفـــت
بأزهر صحنه للعلم صيـــــوان

دع عنك مصرا فما لى فى مرابعها
الا خليل حديث العهد عجـــلان

يسعى الى حاجة يوما ليدركهـــا
ان نالها خير مايعروه نسيـــان

دع عنك مصرا فلى فى غيرها وطن
له على مواثيـــق وأيمـــــان

يانجد انى على العهد القديم كمـا
عهدتنى ثابت مادام ثهـــــلان

والله لو سكبت أرض الكنانة فـــى
يمناى در وياقوت ومرجـــــان

ولو نثرن على دربى جآذرهـــا
أرواحهن فلن يعروه نســـيان

قلبى الذى عمرت نجد جوانبـــه
يحبها وهـــوى الاوطان فتـــان

يا نجد أنت بلاد المجد مذ عرفت
اسماؤه وهفت للمجد أوطـــان

وأنت دار الألى عزت بعزهـــم
بنو العروبة وانقادوا وما دانوا

الا لهم بعد مادلت فعالهـــم
على الفضائل أقدام واحســان

يا دار هيفاء ما أوفى على جسدى
يوم وجن الدجى والكون وسنـــان

الا ذكرتك مزهوا ومفتخـــرا
أشدو فتهريق دمع العين احـــزان

أمسيت ناء بدار شط زائرهـــا
والناس فيها لحكم القرش قد دانوا

وجوههم كوجوه الصخر جامـــدة
وان نضحت ببقشيش لها لانـــوا

انى لمستعر الأشواق ما تركـــت
به النوى غير ظل كان انســان

به وبات خيالا ليس يمسكـــه
الا تعلل من شاقته أوطـــان

ثاو بمصر يروض المستحيل بها
غدا يعود وللاسعاد عنـــوان

صحبت فى مصر اخوانا سعدت بهـم
دهرا وعاشرنى مالقوم ذئبان

قوم بهم حافظ (١) ابراهيم قد برمت
اخلاقه فمضى بالكره غـــــرثان

يارب ادعوك دعوى الضارعيـن بأن
يحوطنى منك توفيق واحســــان

وهب لنا من مديد العمر أوسعـه
ياراحم الخلق حنـــــان ومنان

لك الجميل من الاسماء أقدسهـا
سبوح قدوس والاسماء عنــــوان

وصل ربى صلاة الصادقين علـى
من جازت الشهب فخرا فيه عدنان
محمد سيد الاكوان قاطبـــة
مالاح بدر السنا وانهل هتـــان

١٥ ـ ألا ليت شعرى :

تلوح أمام العين أطياف سالف
من الدهر والافكار ملء حنانـى

واذكر أياما قضيت ورفقـة
بذكرهم طوفت كل مكــــان

هنا وهنا اخوان صدق تضمهم
خلائق يغنى نظمهن بيـــانى

(الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
على رملة بين الجوا وقنـــان

---

(١) اشارة الى القصيدة التى القاهـــا حافظ ابراهيم فى مدرسة البنات ببور سعيد

وهل أعملن شملالة وسط فدفد
يصاب بها الخريت بالغثيان

وياليت شعرى أين رمحى وصارمى
وأين مجنى المصطفى وحصانى

وأين الليالى المسفرات بموطنى
وأين ضياء الصبح ذو اللمعان

وأين قفارا توحش الطير سكنة
بها لم اكن أخشى من الحدثان

أرى ذكريات الامس تهتاج خاطرى
ترهق منى القلب بالخفقان)

١٦ ــ الى حلوان :

قال لى أحد الاخوان لم نر فى شعرك ماتراه في شعر الكثير من المعاصرين أمثال البارودى وأحمد شوقى وابو القاسم الشابى والزهاوى والرصافى ونحوهم ؟.

قلت له مثل ماذا ؟. قال من صور طبيعية ، وتنوع فى الموضوع ونحو ذلك ..

قلت له : أما الرصافى والزهاوى فملحدان ، وأما البارودى وشوقى والشابى فسوف أعيد القراءة لمن قرأت له منهم واقرأ لمن لم اقرأ له من قبل وان كنت لا اميل الا للشيخ محمد بن عبد المطلب وامثاله من شعراء الازهر ، ثم قرأت لاولئك وحاولت ان انسج على منوالهم من نحو ماتراه فى قصيدة حلوان وماقد يتبعها ، وان كنت اكره التقليد وتقمص شخصيات واساليب الاخرين، غير أنى لا انكر أن الافكار والملكات

يلقح بعضها بعضا ، وأن الشعر ملكة تقوى بالمرانة وتتسع بالقراءة ، والتثقيف ، وكثرة الاطلاع والمشاهدات ، ولقد نلت فى مصر من ذلك الكثير ، أضفته الى رصيدى الضخم وحصيلتى الكبيرة التى زودتنى بها جزيرة العرب ، وأخصها بلاد نجد التى كثر تغنى الشعراء باسمهـا ونبتها وجبالها واوديتها ، حتى أنك لو بحثت عن شبر فيها لم يذكر فى الشعر لما ظفرت بشىء من ذلك •

بالامس فوق ظهور القاطرات الى
حلوان سرنا وكان السعد حادينا

فى رفقة من صحـاب لاتملهم
اخلاقهم مثل اكناف الصبـالينا

وقد تركنا بويب آللوق فى صخب
من صوت قاطرة قامت تحيينـا

بصوتها الجش ان همت بمرتحل
حتى رمتنا بعيدا وهى تدنينـا

ان هاجها سائق خفت لرغبته
أوشدها وقفت كالطود فى سينـا

كأنما الريح فى مجرى اعنتهـا
والصوت رعد يعنينا ويضنيـنا

وبالمزالق اجراس لها نغـم
قامت على الدرب تحذيرا لماشينا

جئنا لحلوان نستهدى الزمان به
طريف اخبار من عاشوا به حيـنا

فحدثتنا مياه يستطب بـــها
بالنازلين ومن جاءوا كما حبنـــا

وحدثتنا رياض كان يعمرها
ظل الملوك بتاج العز يمشـــــونا

يمشون مشى الجمال البزل فى حلل
من نسج داود أو من نسج دارينا

دانت لهم مصر حيـنا ثم اسلمهم
ريب المنون وحظ بات مغـــبونا

مالى أطوف فى الدنيا بذاكرتى
واذكر اليوم فاروقا وامـــونا

مالى واصحاب دار ليس لى جمل
فيها ولا ناقة بالدر تســـــقينا

دع عنك هذا وسل النفس مابقيت
بما به بات قلب المرء مفتـــــونا

ياروضه ضاحك الصبح الجميل بها
وردا جلاه الصبا غضا ونســرينا

والياسمين على هاماته رقصت
غيد الفراشات افواجا تغنينـــــا

وترشف الطل من ثغر الزهور جرى
من أعين الليل اضناه تشـــاكينا

ما أدمع الليل الا أدمع ذرفت
من أعين هاجها فقد المحبيـــنا

لا أبعد الله اياما بها كسرت
روحى الجمود لتحياها رياحينا

نفسى بها كل آلام مبرحة
جسما وروحا فقد فتنا المواسينا

يا دار فرعون جئنا نستطب بها
نسعى وربك من فوق المداوينا

يادار موسى وعمرو والاولى نصبوا
للعلم فيها منارات لقارينا

جودى علينا بروح غير كاذبة
انى سمئت كذابا من مؤاخينا

١٧ ـ رثاء الملك عبد العزيز (رحمه الله) :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألقت الحرب والاحداث فى فيها

حتى تخطف اعلام البلاد على
رغم النفوس التى ظلت تفديها

أرى المنايا بضخم من كلاكلها
ومستطيل عنيف من أياديها

جثت وعضت على قطب الزمان وقد
لفت ذراعين منها حوله تيها

ان حطمت صارما دان الزمان له
وخافه فى الدنا القاصى ودانيها

وأوقدت بقناه كان ثقفها
نارا ولكن سعود قام يطفيها

وفيصل فى سـبيل الله صـارمه
ماض وما نـد ملآراء يدنيهـا
مالى وللمـدح يغرينـى ببهرجـه
قصـائدى نالهـا حتى مراثيهـا
دعـك عنـك هذا فللافكار مصطخـب
فى الصدر والقـول ينئيها ويدنيها
ونحـن فى سـاعة جن الجنان بهـا
قد جاءنى نعيه ـ ويحا لها ـ فيهـا
رمت صـدور المعالى فى أجنتهـا
واستنزلت هام مجد مـن صياصـيها
وخلفـت شـعب دار العـرب منذهلا
فى ظلمة لا البكا والدمع يجلوهـا

اليـوم تبكى بلاد العـرب عاهلهـا
ذاك الذى ظـل يعليها ويبنيهـا
بكتبـه فى الحـرم المكى كعبتـه
وقاصدوها ، بكى حـتى أعاديهـا
بيـوت ربى بكـت وكـل مئـذنة
وكل روضة علم جل ناديهـا

وكـل درب عـلى حـافاته غرسـت
يمينه الامـن فاكتظـت بسـاريها
والشرع يحميـه حام فى مرابعـه
(يحمى الحدود) حدود الله يمضيهـا
كتـاب ربـك يبكى فيـه حافظـه
عن ظهر قلب وتبكى الآى تاليهـا
وتنـدب العـرب فيه قائدا لمعـت
أفكـاره كشموس فى نواديهـا

والمسلمون بأرض الله كلهم
يبكون خادم بيت الله واليها
سقيت يا جدثا ضمت جوانبه
(بالعود)(1) عودا وحفته هواميها

سحائب من رضا الله تملؤه
ورحمة منه للمرحوم يوليها
وثبت الله بالصبر الجميل على
درب الهدى كل من مازال يحميها

شريعة جاء خير المسلمين بها
والله من فوق كل الخلق راعيها
فى ذمة الله يامن مات فى شهر
فيه أسلم المصطفى الروح لباريها
والموت أمر قضاه الله خالقنا
على البرية قاصيها ودانيها

ترضى به مثل مارضى الاله لنا
وأجر صبر الثكالى عند باريها
وصل ربى على المختار سيدنا
مالعلع الرعد فى آفاق ساميها

وما همى من عيون السحب ساكبها
على خدود الثرى دمعات باكيها
وما بكت فوق غصن البان نائحة
حمامة الفها من سهم راميها

---

(1) (العودة) اسم المكان الذى فيه المقبرة فى الرياض ، والعود الثانية الشيخ الكبير فى السن .

ناحت زمانا فأبكانا تفجعهـــــا
يا للمصائب حتى الطير تشجيهـــــا
غـــدا ستسلوا ويمســـى شـجوها نغما
فى ظل الف جـــديد جاء يســليها
صـــلاة ربى عــلى طـــه مجددة
ما أستغفر الله مالآثام عاصيهـــــا

١٨ ـ يالائح البـــرق :

يا لائح البرق تحت المدجن الهـامى
ويا عيون السما فى أفقها الســـامى
ويا نسيم الصبا من أرضـــنا خفقـــت
أنسامه فى الفـؤاد المدنف الــدامى

رفقا فنفســـى بها من بعـدها فرقـا
وفى الحنايا جحيم جمرها حـــامى
أصبو لنجــد وفى صـــدرى لها نــزل
لانهـــا مهـــد أيامى وأحـــــلامى

أمسى وأصـــبح فى حال مكـــررة
وبالدجى تســـتثير الدمع أوهـــامى
بالامس غنيــت نجــدا فوق يعملــة
أطـوى عليهــا قفارا آلها طــــامى

اذا الجخــادب أضناها الهجيــر ســمت
فوق الحزون كظبـــى ذاره الــــرامى
واليــوم غنيتها والشــمل منشـــعب
لكن رجــائى بربى سعد أيامـــــى



فهرس الاعــــلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(ه)

(ى)

فهرس الاماكن والبقاع

(أ)

(ب)

(خ)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(غ)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام : محمد بن بليهد ـ مطبعة السنه المحمديه (سنة ١٣٧٠ هـ ـ سنة ١٩٥٠ م) ٠

٢ ـ ابن الرومى ـ حياته وشعره : عباس محمود العقاد ـ مطبعة حجازى بالقاهرة (سنة ١٣٥٧ هـ ـ سنة ١٩١٨! م) ٠ طبعة ثانية

٣ ـ ابن زيدون ـ عصره ، حياته ، أدبه : الدكتور حسن جاد حسن ـ المطبعةالمنيريه بالازهر (سنة ١٣٧٤ هـ ـ سنة ١٩٥٥ م) ٠

٤ ـ ابن عثيمين رائد الشعر الحديث فى نجد : رسالة دكتوراة أعدها الدكتور عبد العزيز ابراهيم الفريح (سنة ١٣٩٧ هـ ـ سنة ١٩٧٧ م) ٠

٥ ـ أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع : الشيخ حمد الجاسر طبعة دار اليمامة بالرياض ٠

٦ ـ الأتجاهات الفنية فى شعر عبد الرحمن شكرى : الدكتور محمد السعدى فرهود ـ مطبعة زهران (سنة ١٣٨٨ هـ ـ سنة ١٩٦٩م)

٧ ـ اتجاهات النقد الادبى العربى : الدكتور محمد السعدى فرهود ـ دار الطباعة المحمدية (سنة ١٣٩٠ هـ ـ سنة ١٩٧٠ م) ٠

٨ ـ أثر الدعوة الوهابية فى الاصلاح : محمد حامد الفقى ـ مطبعة النهضة بالقاهرة (سنة ١٣٥٤ هـ ـ سنة ١٩٣٥ م) ٠

٩ ـ الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة : ابراهيم أحمد أبو بكر مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٤٨ م ٠

١٠ ـ الأدب المقارن : الدكتور محمد غنيمى هلال ـ مطبعة مخيمر شارع الجيش بالقاهرة ٠

١١ ـ أدب الحجاز : الشيخ محمد سرور الصبان ـ طبع بمصر سنة ١٩٤٦ م ٠

١٢ ـ الأدب الحديث في نجد : محمد بن سعد بن حسين ـ مطبعة الفجالة بمصر (سنة ١٣٩١ هـ سنة ١٩٧١ م) .
١٣ ـ الأدب الشعبى فى جزيرة العرب : الشيخ عبدالله بن خميس ـ مطابع الرياض سنة ١٣٧٨ هـ .
١٤ ـ الأسس الجمالية فى النقد : عز الدين اسماعيل ـ طبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٥٥ م .
١٥ ـ الأسلوب : احمد الشايب ـ مطبعة النهضة المصرية .
١٦ ـ أسس النقد الادبى : الدكتور أحمد أحمد بدوى ـ مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م .
١٧ ـ أسود آل سعود : ابراهيم بن خميس ـ دار النجاح بيروت (سنة ١٣٩٢ هـ ـ سنة ١٩٧٢ م) .
١٨ ـ الأسنة الحداد : الشيخ سليمان بن سحمان ـ طبعة الرياض الثانية
١٩ ـ أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام : سعيد الافغانى ـ دار الفكر بدمشق سنة ١٣٧٩ هـ .
٢٠ ـ أصول النقد الأدبى : أحمد الشايب ـ مكتبة النهضة المصرية .
٢١ ـ الأعلام : خير الدين الزركلى ـ طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ ـ طبعة ثانية .
٢٢ ـ أقرب الموارد فى فصح العربية الشوارد : سعيد الخورى اللبنانى مطبعة مرسيلى اليسوعية ـ بيروت سنة ١٨٨٩ م .
٢٣ ـ انسان الجزيرة : الدكتور ابراهيم عبده ـ المطبعة النموذجية
٢٤ ـ الوان : الدكتور طه حسين ـ طبعة دار المعارف المصرية ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٠ م .
٢٥ ـ أوراق مخطوطة ورسائل شخصية .
٢٦ ـ البراهين الموضحات فى نظم كتاب كشف الشبهات : محمد الطيب الانصارى ـ طبعة المدينة المنورة سنة ١٣٥٧ هـ .
٢٧ ـ بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين السيوطى ـ مطبعة عيسى الحلبى ـ طبعة أولى .
٢٨ ـ البلاد العربية السعودية : فؤاد حمزة ـ مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٥ هـ .

٢٩ ـ بلاد العرب : الحسن بن عبدالله الأصفهاني ـ تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، والدكتور صالح العلي ـ منشورات دار اليمامة ـ الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) ٠
٣٠ ـ البناء الفني للقصيدة العربية : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ مكتبة القاهرة ٠
٣١ ـ البيان والتبيين : عمرو بن بحر الجاحظ ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ، طبعة السندوبي ٠
٣٢ ـ تأليف العبارة : الدكتور محمد السعدى فرهود ـ المكتبة السعيدية بالقاهرة (سنة ١٣٩٦ هـ ـ سنة ١٩٧٦ م) ٠
٣٣ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد : الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى دار اليمامة بالرياض سنة ١٩٦٦ م ٠
٣٤ ـ تاريخ نجد فى مخطوط الفاخرى : عبدالله يوسف الشبل ـ رسالة ماجستير بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية (سنة ١٣٩٧ هـ ـ سنة ١٩٧٧ م) ٠
٣٥ ـ تاريخ نجد : محمود شكرى الالوسى بتتمه الشيخ سليمان بن سحمان ـ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ ٠
٣٦ ـ تاريخ القصة والنقد فى الأدب العربى : السباعى بيومى ـ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٦ م ٠
٣٧ ـ تاريخ النقائض فى الشعر العربى : احمد الشايب ـ طبعة مكتبة النهضة سنة ١٩٦٦ م ٠
٣٨ ـ التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جده : الشيخ عبد القدوس الانصارى مطابع الاصفهانى بجدة ٠
٣٩ ـ الترغيب والترهيب : المنذرى ـ طبعة أولى ٠
٤٠ ـ التوفيقات الالهامية : مختار باشا رئيس المجلس العالى العسكرى دار الطباعة ببولاق سنة ١٣١١ هـ ٠
٤١ ـ التيارات الأدبية فى قلب جزيرة العرب : عبدالله عبد الجبار ـ معهد الدراسات العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م ٠
٤٢ ـ التيارات المعاصرة : الدكتور بدوى طبانة ـ طبعة الانجلو المصرية
٤٣ ـ ثمرات الأوراق : ابن حجة الحموى ـ المطبعة الخيرية ٠

٤٤ ـ ثورة الجزيرة أو آل سعود والعصر الذهبى : عبد السلام هاشم حافظ ـ القاهرة سنة ١٩٥٥ م ٠
٤٥ ـ الجامع الصغير : للحافظ جلال الدين السيوطى
٤٦ ـ جزيرة العرب فى القرن العشرين : حافظ وهبة ـ مصر سنة ١٩٣٥ م ٠
٤٧ ـ جزيرة العرب فى العصر الحديث : الدكتور صلاح العقاد ـ معهد البحوث والدراسات الاسلامية (سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م) ٠
٤٨ ـ جمهرة الاسلام: أمين الدين أبى الغنائم مسلم بن محمود الشيرازى دار الكتب المصرية رقم ٩٢٢٣ أدب مخطوط ٠
٤٩ ـ حاضر العالم الاسلامى : لوتروب استودارد ـ ترجمة عجاج ـ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ ٠
٥٠ ـ حافظ ابراهيم ، ماله وما عليه : الدكتور محمد كامل جمعه ـ مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٥٩ م ٠
٥١ ـ حديث الاربعاء: الدكتور طه حسين ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى
٥٢ ـ الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية : الدكتور بكرى شيخ أمين ـ دار صادر بيروت (سنة ١٣٩٢ هـ ـ سنة ١٩٧٢ م) ٠
٥٣ ـ الحكاية والخرافة : فريد ريش فون ـ ترجمة الدكتورة نبيله ابراهيم ـ دار الهنا للطباعة ٠
٥٤ ـ الحيوان : عمرو بن بحر الجاحظ ـ طبعة ساسى ٠
٥٥ ـ خمسون عاما فى جزيرة العرب : حافظ وهبة ـ طبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٨٠ هـ ٠
٥٦ ـ الخيال الشعرى عند العرب : أبو القاسم الشابى ـ الدار التونسية للنشر ٠
٥٧ ـ دراسات فى النقد والأدب : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ـ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ـ طبعة أولى ٠
٥٨ ـ الدرر السنية فى الأجوبة النجدية : جمع الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم ـ مطابع بيروت ٠
٥٩ ـ دفاع سقراط «محاورات افلاطون» ٠
٦٠ ـ دلائل الاعجاز : عبد القادر الجرجانى ـ مطبعة المنار ٠

٦١ ـ دواعى الاغراء (كلمة وفاء لزوجته عليه صادق لبيب) على امام عطية ـ مطبعة الحرية بمصر (سنة ١٣٨٢ هـ سـنة ١٩٦٢ م) الطبعـة الأولـى ٠
٦٢ ـ ديوان حافظ ابراهيم : مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٧ م ٠
٦٣ ـ ديوان النبط : المقدمة ٠ خالد الفرج ٠
٦٤ ـ الديوان : عباس العقاد ، عبد القادر المازنى ـ طبعة دار الشعب
٦٥ ـ ديوان على بن الجهم : تحقيق خليل مردم بك ـ طبعة لجنـة التراث العربى ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ٠
٦٦ ـ ديوان الفرزدق : دار صادر بيروت (سنة ١٣٨٠ هـ ـ سـنة ١٩٦٠ م) ٠
٦٧ ـ ديوان النابغة الذبيانى : تحقيق فوزى عطوى المحامى ـ الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة والنشر ـ بيروت ٠
٦٨ ـ ديوان الأعشى « ميمون بن قيس» : شرح وتعليق الدكتور محمد حسين المطبعة النموذجية بالقاهرة ٠
٦٩ ـ الرثاء : الدكتور شوقى ضيف ـ دار المعارف سنة ١٩٥٥ م ٠
٧٠ ـ الرحلة الحجازية : محمد لبيب البتانونى ـ المطبعة الجماليـة بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ـ طبعة ثانية ٠
٧١ ـ الرحلة النجدية الحجازية :محمد بهجة البيطار ـ المطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٦٧ م ٠
٧٢ ـ رحلة الى بلاد نجد : آن بلنت ـ ترجمة محمد أنعم غالب ـ دار اليمامة بالرياض سنة ١٩٦٧ م ٠
٧٣ ـ رحلات فى ميادين العمل والجهاد : فؤاد شاكر ـ مطابـع دار الكتاب العربى (سنة ١٣٧٣ هـ سنة ١٩٥٤ م) ٠
٧٤ ـ رحلة الربيع : فؤاد شاكر ـ دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٤٦م
٧٥ ـ روضة الأفكار والافهام : الشيخ حسين بن غنام ـ الطبعة الثانية
٧٦ ـ زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : الدكتور احمد أمين ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م ٠
٧٧ ـ زهر الأداب : أبى اسحق الحصرى ـ مطبعة حجازى بالقاهرة ٠
٧٨ ـ السرقات الأدبية : الدكتور بدوى طبانه ـ مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٦ م ٠

٧٩ ـ شاعر العروبة والاسلام احمد محرم : ابراهيم الجيوشي ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ـ طبعة أولى .
٨٠ ـ الشاعر عبد الحميد الديب . حياته وفنه : الدكتور عبد الرحمن عثمان ـ دار المعارف بمصر .
٨١ ـ شرح المقدمة الأدبية لشرح الامام المرزوقي على ديوان الحماسة محمد الطاهر عاشور ـ مطابع دار الكشاف ـ بيروت سنة ١٩٥٨م توزيع دار الكتب بتونس .
٨٢ ـ شرح تحفة الخليل : عبد الحميد الراضي ـ مؤسسة الرسالة بغداد سنة ١٩٥٤ م .
٨٣ ـ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي : عباس محمود العقاد ـ كتاب الهلال ـ دار الهلال يناير سنة ١٩٧٢ م .
٨٤ ـ شعراء بغداد : علي خاقاني ـ طبعة أسعد بغداد (سنة ١٣٨٢ هـ سنة ١٩٦٢ م) .
٨٥ ـ الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح : الشيخ عبدالله بن خميس بحث مقدم للمؤتمر الاول للادباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز بتاريخ ١ر٣ر١٣٩٤ هـ .
٨٦ ـ شعراء هجر : الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .
٨٧ ـ شعراء نجد المعاصرون : عبدالله بن أدريس ـ اسطنبول سنة ١٩٣١ م طبعة رابعة .
٨٨ ـ الشعر والشعراء : ابن قتيبة ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م .
٨٩ ـ الشعر المعاصر : مصطفى السحرتي ـ مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م .
٩٠ ـ شوقي أو صداقة «أربعين عاما» : الامير شكيب أرسلان مطبعة عيسى الحلبي بمصر (سنة ١٣٥٥ هـ ـ سنة ١٩٣٦ م) .
٩١ ـ الشيخ محمد بن بليهد : عبد العزيز سليمان الفاضل ـ بحث مخطوط .
٩٢ ـ صحيح البخاري : الامام البخاري .

٩٣ ـ صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار : محمد بن بليهد الطبعة الثانية (سنة ١٣٩٢ هـ ـ سنة ١٩٧٢ م) ٠
٩٤ ـ صفة جزيرة العرب : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ـ تحقيق محمد بن الاكوع تقديم الشيخ حمد الجاسر ـ دار اليمامة بالرياض ، تحقيق محمد بن بليهد ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣ م
٩٥ ـ الصناعتين : أبو هلال العسكري ـ تحقيق محمد البجاوي وأبي الفضل دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ م ، تصحيح محمد الخانجي ـ طبعة الاستانة سنة ١٣١٩ هـ ٠
٩٦ ـ الصواعق المرسلة : الشيخ سليمان بن سحمان ـ طبعة الرياض سنة ١٣٧٩ هـ ٠
٩٧ ـ عثمان بن بشر منهجه ومصادره : الدكتور عبد العزيز الخويطر ـ مؤسسة الجزيرة بالرياض سنة ١٩٧٠م ٠
٩٨ ـ عصر الاساطير : توماس بلفيتش ـ ترجمة رشدي السيسي ـ مطابع البلاغ بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م ٠
٩٩ ـ العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين : دار المعارف بمصر الطبعة الاولى ٠
١٠٠ ـ عقود الجواهر المنضدة الحسان : الشيخ سليمان بن سحمان ـ مطبعة المصطفوية بالهند ٠
١٠١ ـ علماء نجد خلال ستة قرون : تأليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام ـ مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ ٠
١٠٢ ـ العمدة : ابن رشيق القيرواني ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧ م ٠
١٠٣ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد : عثمان بن بشر ـ دار صادر بيروت سنة ١٣٨٧ هـ ٠
١٠٤ ـ عيار الشعر : ابن طباطبا ـ مطبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٥٦م
١٠٥ ـ الغزل فنون الأدب العربي : سامي الدهان ـ دار المعارف بمصر
١٠٦ ـ في الادب الحديث : عمر الدسوقي ـ مطبعة الرسالة ـ الطبعة السابعة ٠

١٠٧ ـ القاموس المحيط : الفيروز أبادى ـ المطبعة التجارية ٠
١٠٨ ـ قدر ورجل : محمد حسن الفقى ـ طبعة الدار السعودية للنشر سنة ١٣٨٦ هـ ٠
١٠٩ ـ قصائد مختارة من شعر ابن بليهد وابن عثيمين : مطبعة أم القرى ـ مكة المكرمة ٠
١١٠ ـ قضايا النقد الأدبى الحديث : الدكتور محمد السعدى فرهود مطبعة زهران بالقاهرة (سنة ١٣٨٨ هـ ـ سنة ١٩٦٨م) ٠
١١١ ـ قواعد الشعر : أبى العباس ثعلب ـ مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٤٨ م ٠
١١٢ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى عبدالله حاجى خليفه المطبعة البهية ـ اسطنبول سنة ١٩٤٣ م ٠
١١٣ ـ لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ابن منظور) : ـ
طبعة مصورة عن طبعة بولاق ـ الدار المصرية للتأليف والنشر ٠
١١٤ ـ لمحات عن التطور الفكرى فى جزيرة العرب فى القرن العشرين فهد المارك مطابع ابن زيدون دمشق سنة ١٣٨٢ هـ ٠
١١٥ ـ ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه : محمد بن بليهد مخطوط
١١٦ ـ ما يجوز للشاعر فى الضرورة : القزاز القيروانى ـ الدار التونسية للنشر ٠
١١٧ ـ المتوسط الكافى فى علمى العروض والقوافى : الدكتور موسى ابن المليانى الاحمدى ـ طبعة الدار الجزائرية الاسلامية ٠
١١٨ ـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر : ابن الاثير « ضياء الدين نصرالله» تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٩م ٠
١١٩ ـ مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما : الدكتور محمد مهدى علام ـ المطابع الاميرية (سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٦٦ م) ٠
١٢٠ ـ محمد بن عبد الوهاب : عبد الغفار عطار ـ طبعة بيروت ٠
١٢١ ـ المديح : سامى الدهان ـ دار المعارف المصرية ـ طبعة ثانية ٠

١٢٢ ـ المدائح النبوية : الدكتور زكى مبارك ـ طبعة دار الشعب ٠
١٢٣ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ : الشيخ حمد الجاسر ـ دار اليمامة بالرياض ٠
١٢٤ ـ مذاهب النقد وقضاياه : الدكتور عبد الرحمن عثمان ـ طبعة شركة الاعلانات الشرقية ٠
١٢٥ ـ المرصاد : ابراهيم هاشم الفلامى ـ المطبعة المنيرية بالازهر (سنة ١٣٧٥ هـ سنة ١٩٥٦ م) طبعة ثانية ٠
١٢٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : ابى الحسن على بن الحسين المسعودى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٦٦م ٠ شركة الاعلانات الشرقية ـ مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر ٠
١٢٧ ـ مشاهير علماء نجد : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ـ دار اليمامة بالرياض طبعة أولى (سنة ١٣٩٢ هـ ـ سنة ١٩٧٢م)
١٢٨ ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموى ـ طبعة دار المأمون ٠
١٢٩ ـ معجم المؤلفين : عمر رضا كحاله ـ طبعة بيروت ـ دار احياء التراث الأدبى ٠
١٣٠ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموى ـ طبعة أولى ٠
١٣١ ـ معجم ما أستعجم : عبدالله البكرى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (سنة ١٣٦٨ هـ ـ سنة ١٩٤٩ م) ٠
١٣٢ ـ المعلقات العشر : الامام التبريزى ـ طبعة أولى ٠
١٣٣ ـ المعرض : الشيخ محمد سرور الصبان ـ مطبعة العصرية ـ سنة ١٣٤٥ هـ ٠
١٣٤ ـ مع عاهل الجزيرة العربية : عباس العقاد ـ مطبعة العصرية ـ بيروت ٠
١٣٥ ـ مغنى اللبيب : جمال الدين بن هشام ـ طبعة عيسى الحلبى ٠
١٣٦ ـ مقدمة القصيدة العربية فى العصر الاموى ، ومقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الاول : دار المعارف بمصر (حسين عطوان) ٠

١٣٧ ــ مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية : وزارة المعـــارف السعودية (سنة ١٣٩٥ هـ سنة ١٩٧٥ م) .
١٣٨ ــ الملك عبد العزيز فى مرآه الشعر : الشيخ عبد القدوســـــ الانصارى ــ مؤسسة مكة للطباعة (سنة ١٣٩٤ هـ ــ سنة ١٩٧٤م
١٣٩ ــ ملوك العرب : أمين الريحانى ــ دار الريحانى ــ بيروت ســنة ١٩٦٠ م .
١٤٠ ــ من وحى الصحراء : جمع الاديبين محمد سعيد عبدالمقصود ، عبدالله بالخير ــ مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٥٥ هـ .
١٤١ ــ الموازنة بين الشعراء : الدكتور زكى مبارك ــ القاهرة ١٩٢٦م
١٤٢ ــ الموازنة بين الطائيين «أبى تمام والبحترى» : ابو القاسم بن بشر الآمدى ــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ــ المكتبة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .
١٤٣ ــ موسيقى الشعر : الدكتور ابراهيم أنيس ــ طبعة الانجلــــو المصرية سنة ١٩٥٢ م .
١٤٤ ــ الموشح : أبى عبدالله المرزبانى ــ المطبعة السلفية .
١٤٥ ــ موقع عكاظ : الدكتور عبد الوهاب عزام ــ دار المعارف المصرية
١٤٦ ــ ميزان الشاعر فى العروض والقوافى : الدكتور حسن جـــاد حسن ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ــ طبعة دار التأليـــف الطبعة الأولى (سنة ١٣٧١ هـ ــ سنة ١٩٥٢ م) .
١٤٧ ــ النديم الأديب : الدكتور محمد السعدى فرهود ــ دار الطباعة المحمدية بالأزهر سنة ١٩٧٦ م .
١٤٨ ــ نصوص نقدية : الدكتور محمد السعدى فرهود ــ دار الطباعة المحمدية بالأزهر (سنة ١٣٩٥ هـ ــ سنة ١٩٧٥ م) .
١٤٩ ــ نضال العرب ضد الاستعمار : محمد العبدالله الميمان ــ طبعة أولى سنة ١٩٦٢ م .
١٥٠ ــ النقائض (نقائض الفرزدق وجرير) : طبع فى مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٩٠٧ م .
١٥١ ــ النقد الأدبى الحديث : الدكتور محمد غنيمى هلال ــ مطبعـــة الشعـــــب سنة ١٩٦٤ م .

١٥٢ ـ النقد الأدبى : الدكتور أحمد أمين ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠
١٥٣ ـ النقد الأدبى ٠ تاريخه ونظرياته : الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب دار التأليف والنشر سنة ١٩٦٨ م ـ طبعة أولى ٠
١٥٤ ـ النقد الأدبى : الدكتور شوقى ضيف ـ دار المعارف المصرية ـ طبعة ثانية ٠
١٥٥ ـ النقد والنقاد المعاصرون : الدكتور محمد مندور ـ طبعة نهضة مصر بالفجاله ٠
١٥٦ ـ النقد الأدبى عند اليونان : الدكتور بدوى طبانه ـ طبعة الانجلو المصرية ٠
١٥٧ ـ نوادر المخطوطات (رسالة عرام بن الأصبغ): تحقيق الدكتور عبد السلام هارون ـ طبعة مصطفى الحلبى بمصر (سنة ١٣٩٣ هـ ـ سنة ١٩٧٣ م) الطبعة الثانية ٠
١٥٨ ـ النهاية في غريب الحديث : ابن الاثير «مجد الدين المبارك» ٠
١٥٩ ـ النهضة الأدبية بنجد : حسن محمد محمود الشنقيطى ـ طبعة مصطفى الحلبى بمصر (سنة ١٣٧٠ هـ ـ سنة ١٩٥١م) ٠
١٦٠ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه : القاضى على عبد العزيز الجرجانى ـ طبعة عيسى الحلبى ٠
١٦١ ـ الوسيلة الأدبية : حسين المرصفى ـ مطبعة المدارس الملكية ٠

الصحف والمجلات :

١٦٢ ـ صحيفة أم القرى ٠
١٦٣ ـ صحيفة بريد الحجاز
١٦٤ ـ صحيفة البلاد السعودية ٠
١٦٥ ـ صحيفة القبلة ٠
١٦٦ ـ مجلة الأديب اللبنانية ٠
١٦٧ ـ مجلة الحج ٠
١٦٨ ـ مجلة العرب ٠
١٦٩ ـ مجلة المنهل ٠
١٧٠ ـ مجلة الهلال ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

والان وقد فرغنا من موضوعات هذا الكتاب الذى أنست فيه صحبة عالم جليل وجدت لديه المثالية التى افتقدناها فى كثير من علماء هذا العصر ، هذا العالم هو استاذى الجليل الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود الذى كان له الاشراف على هذه الاطروحة أقدم له بعد الله الشكر والثناء ..

ثم اقدم الشكر والثناء الجميل الى الشيخ عبد الله بن محمد بن بليهد ، فلقد صحبتنى جهوده منذ بدأت البحث فى تراث ابيه وحياته وما تزال ، فهو مصدرى الاول بعد مؤلفات ابيه ، ومخطوط آثار ابيه كان هو مصدرها الا القليل ، ثم ان اهتمامه بى وببحثى كان عامل تشجيع لا انساه له ابدا ..

ولا انسى اولئك الذين امدونى بالمعلومات عن الشيخ بن بليهد وآثاره سواء منهم من فى بلادنا او بمصر ، حتى تمكنت بتوفيق الله الى لم شتات تراث هذا الرائد ودراسته ، فلهؤلاء ، بعد الله الشكر.

وماتوفيقى الا بالله

المؤلف
الدكتور محمد سعد حسين

فهرس
القسم الثاني

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

جدول الخطأ والصواب



صواب الخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥٠	١٧	خذ	اخذ
٦٥٨	٥	فارسا على	فارسا
٦٦١	٢٢	١٦١	٦٦١
٦٦٤	١٩	المنايا	المناديا
٦٩٢	١	مشتعل	مشتمل
٧٠٣	١٩	السعودى	السعدى
٧١١	١٧	القليد	التقليد
٧١٢	١٣	راد	أراد
٧١٩	٥	قليل	قليلا
٧٣٤	١٢	البطلقة	الطبقة
٧٥١	١١	عصريين	عصرين
٧٥٢	٣	الطمأنينية	الطمأنينة
٧٧٥	٢٣	(٣)	(٤)
٧٩٩	١	السبوح	السبوح
٨٠٠	١٤	تشبيها	تشبيها
٨٣٣	١١	صات	صلت
٨٤٩	١٩	بعقد	يعقد
٨٥٠	١٨	عيلهم	عليهم
٨٦١	١٠	ترهق	وترهق
٨٦٧	٣	ستسلوا	ستسلو
٨٧٢	٣١	بنى بن بن	بنى بكر بن
٨٩٤	١٢	جلدان : ٢٠١	———
٩٠١	٥	الفطفط	الغطغط
٩٠٩	٥	اثنية	ثانية
٩٠٩	١	ال٠قاموس	القاموس
٩١٦	١٦	المارك	المبارك
٩٢١	١٥	على	على امام

صواب الخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥٠	١٧	خذ	اخذ
٦٥٨	٥	فارسا على	فارسا
٦٦١	٢٢	١٦١	٦٦١
٦٦٤	١٩	المنايا	المناديا
٦٩٢	١	مشتعل	مشتمل
٧٠٣	١٩	السعودى	السعدى
٧١١	١٧	القليد	التقليد
٧١٢	١٣	راد	أراد
٧١٩	٥	قليل	قليلا
٧٣٤	١٢	البطلقة	الطبقة
٧٥١	١١	عصريين	عصرين
٧٥٢	٣	الطمأنينية	الطمأنينة
٧٧٥	٢٣	(٣)	(٤)
٧٩٩	١	السبوح	السبوح
٨٠٠	١٤	تشبيها	تشبيها
٨٣٣	١١	صات	صلت
٨٤٩	١٩	بعقد	يعقد
٨٥٠	١٨	عيلهم	عليهم
٨٦١	١٠	ترهق	وترهق
٨٦٧	٣	ستسلوا	ستسلو
٨٧٢	٣١	بنى بن بن	بنى بكر بن
٨٩٤	١٢	جلدان : ٢٠١	ـــــ
٩٠١	٥	الفطفط	الغطغط
٩٠٩	٥	اثنية	ثانية
٩٠٩	١	ال٠قاموس	القاموس
٩١٦	١٦	المارك	المبارك
٩٢١	١٥	على	على امام


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com